النصف الأول من كتاب الزهرة

تأليف أبي بكر محمد بن أبي سليمان داود الأصفهاني

رحمه الله تعالى

أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد

لصاحبها

قاسم محمد الرجب

النصف الاول من كتاب الزهرة

تأليف ابي بكر محمد بن ابي سليمن الاصفهاني رحمه الله تعالى

طبع لاول مرة

نقلاً عن النسخة الوحيدة المخطوطة في دار الكتب المصرية

اعتنى بنشره

الدكتور لويس نيكل البوهيمي

من المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو

بمساعدة الشاعر الاديب

ابراهيم عبد الفتاح طوقان

نابلس (فلسطين)

طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٣٢/١٣٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة الابواب

بِسمِ ٱللهِ ٱلرَّحمَنِ ٱلرَّحِيمِ وَبِهِ نَستَعِينُ

أَطالَ ٱللهُ فِي ٱلعِزِّ ٱلدَّائِمِ بَقَاكَ وَصانَ عَنْ غِيَرِ ٱلأَيَّامِ نُعْمَاكَ وَجَعَلَنِي غَرَضًا لِلنَّوَائِبِ فِـدَاكَ وَقَدَّمَنِي إِلَى وُرُودِ ٱلحِمَـامِ قَبْلَكَ وَأَبْقَاكَ أَمَّا بَعْدُ أَدَامَ ٱللهُ ٱلرَّغْبَةَ إِلَيكَ وَجَعَلَ مُعتَمَدَ أَوْلِيَائِكَ فِي ٱلمُهِمَّاتِ عَلَيكَ فَإِنِّي وَإِنْ بَخِلَ عَلَيَّ ٱلزَّمَانُ بِوَفَائِكَ وَنَافَسَتْنِي ٱلأَيَّامُ فِيمَا أَعتَصِمُ بِهِ مِنْ حَبْلِ إِخَـائِكَ لَيَنْطِقُ مِنَ ٱلمَوَدَّةِ لَـكَ وَٱلثِّقَةِ بِكَ وَٱلرِّعَايَةِ وَٱلأُنْسِ بِقُرْبِكَ عَلَى حَالٍ تَفْنَى ٱلأَوْصَـافُ دُونَ فَنَـائِهَا وَتَنْقَضِي ٱلآجَالُ قَبْلَ ٱنْقِضَائِهَا وَلَنْ يَعْـدِلَ بِي مَا شَكَوْتُ وُجُودَهُ مِنْ تَوَاتُرِ جَفَائِكَ وَأَلِمْتُ لِفَقْدِهِ مِنْ صِحَّةِ وَفَـائِكَ عَنِ ٱلمُسَارَعَةِ إِلَى طَاعَتِكَ وَٱلوُقُوفِ عِنْدَ مَحَبَّتِكَ فَـإِنَّ مَنْ حَسُنَ وِدَادُهُ قَبُحَ ٱستِفْسَادُهُ وَمَنْ صَحَّتْ مَوَدَّتُهُ وَجَبَتْ طَاعَتُهُ وَلَنْ أَفْعَـلَ ذَلِكَ قَدَّمَنِي ٱللهُ قَبْلَكَ وَقَاوَلَكَ بَدَلًا مِنْ وَفَائِكَ وَلَا مُجَـازَاةً لَـكَ عَلَى عَـدْلِكَ وَنُعْمَائِكَ مُلْتَمِسًا ٱلذَّرِيعَةَ إِلَيْكَ وَلَا مُتَفَضِّلًا بِهِ عَلَيْـكَ لِأَنَّ مَنْ دَعَاهُ إِلَى ٱلوَفَاءِ لِصَاحِبِهِ وَفَاؤُهُ دَعَاهُ إِلَى ٱلغَدْرِ جَفَاؤُهُ وَمَنْ دَعَاهُ ٱلعَدْلُ إِلَى ٱلإِنْصَافِ دَعَاهُ ٱلجَوْرُ إِلَى ٱلانْتِصَافِ وَمَنْ دَعَاهُ إِلَى فِعْلِ ٱلمَـكْرُمَاتِ رَغْبَتُهُ فِي ٱلمُجَازَاةِ دَعَاهُ إِلَى تَرْكِهَا ظَفَرُهُ بِأُمْنِيَّتِهِ أَوْ يَأْسُهُ مِنْ لِحَاقِ طِلْبَتِهِ وَكَيْفَ يَـكُونُ مُتَفَضِّلًا عَلَيْـكَ مَنْ لَيْسَتْ فِيهِ فَضِيلَةٌ إِلَّا وَهِيَ مَرْدُودَةٌ إِلَيـكَ لَئِنْ حُرِمْتُ ٱلعِلْمَ بِفَضْلِـكَ عَلَيَّ مَعَ مَا حُرِمْتُهُ مِنْ رَغْبَتِكَ فِيَّ وَمَيْلِكَ إِلَيَّ لَقَدْ حُرِمْتُ حَظًّا جَزِيـلًا وَخيرًا كَثِيرًا وَلَـكِنَّ ٱلسَّبَبَ ٱلبَـاعِثَ لِي عَلَى طَاعَتِـكَ وَٱلمُذَلِّلَ لِي عِنْدَ سَطْوَتِكَ وَٱلبَاسِطَ لَكَ ٱلعُذْرَ فِيمَا تَجْنِيهِ وَٱلمُعَدِّلَ لَكَ فِيمَا تَدَّعِيهِ سَبَبٌ يَلْطُفُ عَنْ أَنْ يُعَايَنَ بِٱلأَبْصَارِ وَيَـدِقُّ عَنْ

أَنْ يُدْرِكَ بِالْفَحْصِ وَالاعْتِبَارِ إِنْ رُمْتُ إِخْفَاءَهُ وُجِدَ وَإِنْ حَاوَلْتُ إِظْهَارَهُ فُقِدَ هُوَ شَيْءٌ يَمْنَعُنِي عَنْ وَصْفِ جِنْسِهِ اشْتِغَالِي بِهِ فِي نَفْسِهِ وَتَقْطَعُنِي ٢ مُسَامَرَتُهُ عَنِ الْمُسَامَرَةِ بِـهِ وَيَعُوقُنِي * التَّفَرُّدُ بِمُعَانَاتِهِ عَنِ التَّعَرُّضِ لِصِفَاتِهِ كَمَا قَالَ بَعْضُ أَهْلِ هٰذَا الْعَصْرِ

يُنْسِي الْهَوَى وَصْفَهُ مَنْ حَلَّ ذُرْوَتَهُ كَالأَرْضِ يُشْغَلُ عَنْهَا مَنْ ثَوَى فِيهَا

لَا أَقُولُ هُوَ شَيْءٌ وَقَعَ بِي اضْطِرَارًا فَأُقِرُّ بِأَنِّي لَمْ أَكُنْ لَهُ مُخْتَارًا وَلَا أَقُولُ أَوْقَعْتُهُ لِنَفْسِي اكْتِسَاباً فَـأَكُونَ إِذْ نَفَيْتُهُ عَنْ طَبْعِي كَـذَّاباً لَا أَزْهَدُ فِيهِ فَأَرْغَبَ فِي سِوَاهُ وَلَا يُفَارِقُنِي فَـأَتَمَنَّاهُ مَحَلُّـهُ مِنَ الرُّوحِ مَحَلُّ الرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ لَا يَدْرِي الْجَسَدُ مَا الرُّوحُ فَيُسَرَّ إِذْ جُعِـلَ وِعَاءُهُ أَوْ يَحْزَنَ إِذْ لَمْ يُسْتَوْدَعْ سِوَاهُ وَلَا يَتَّجِهُ إِلَى عِلْمِهِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَصِلَ إِلَى وَاصِفِهِ لِأَنَّ الشَّيْءَ الْحَـادِثَ لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِمَا هُوَ أَعْلَى مِنْـهُ وَمِثْلُهُ وَلَا سَبِيلَ إِلَى مَا يُفَصِّلُهُ فَيَـكُونَ مُعَبِّرًا عَنْهُ . وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى مَا وَصَفْتُهُ مِنْ تَصَارِيفِ الأَزْمَانِ وَخِيَانَةِ الإِخْوَانِ وَأَعْلَمُ أَيَّدَكَ اللّٰهُ أَنَّ مِنْ عَجِيبِ مَا تُحْضِرُهُ الأَيَّامُ وَتُحَوِّلُ بِهِ الأَوْهَامُ ظَـالِمٌ يَتَظَلَّمُ وَغَابِنٌ يَتَنَدَّمُ وَمُطَاعٌ يَسْتَظْهِرُ وَغَالِبٌ يَسْتَنْصِرُ مَا الَّذِي تُنْكِرُ — أَدَامَ اللّٰهُ عِزَّكَ وَبَسَطَ بِالْخَيْرَاتِ يَدَكَ — مِنْ تَغَيُّرِ الزَّمَانِ وَأَنْتَ مِنْ مُغَيِّرِيهِ وَمِنْ جَفَاءِ الإِخْوَانِ وَأَنْتَ الْمُقَدَّمُ فِيهِ أَنْتَ بِأَنْ تَحْتَجَّ لَـهُ وَتَعْتَذِرَ لِفَاعِلِيهِ أَحْرَى مِنْكَ بِأَنْ تَعِيبَهُ وَتَذُمَّ مُسْتَعْمِلِيهِ أَنْشَدَنَا مُحَمَّـدُ بْنُ يَحْيَى الشَّيْبَانِيُّ

فَلَا تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا فَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَـا

وَقُلْتَ قَدَّمَنِي اللّٰهُ قَبْلَـكَ قَـدْ أَعْيَا عَلَيَّ وُجُودُ نَدِيمٍ آنَسُ بِهِ فِي الْخَلَوَاتِ وَأَجِدُ عِنْدَهُ عَزَاءً عَنِ النَّائِبَـاتِ يُورِدُ إِلَيَّ الأَخْبَارَ وَيَكْتُمُ

عَلَيَّ ٱلأَسْرَارَ فَإِنْ كَانَ فِي نَاحِيَتِكَ مَنْ يَفِي بِهٰذَا ٱلمِقْدَارِ وَيَحْفَظُ طَرَفاً مِنْ أَشْعَارِ ٱلمُتَغَزِّلِينَ وَأَخْبَارِ ٱلمُتَيَّمِينَ وَكَانَ عَالِماً بِطُرُقِ ٱلهَوَى وَأَحْكَامِهِ عَارِفاً بِٱلمُصِيبِ مِنَ ٱلشُّعَرَاءِ فِي كَلَامِهِ حَافِظاً مِنْ أَنْوَاعِ ٱلشِّعْرِ فِي كُلِّ بَابٍ مَا يُدْخِلُ حَافِظَهُ فِي جُمْلَةِ أَهْلِ ٱلآدَابِ تَطَوَّلْتَ بِإِيثَارٍ ضَنَّتْ بِهِ عَلَيَّ نَفْسُكَ* وَأَعْفَيْتَنِي مِنْ صَرْفِ حَاجَتِي فِيهِ إِلَى غَيْرِكَ وَأَعْلَمْ أَدَامَ ٱللّٰهُ تَأْيِيدَكَ أَنَّ ٱلمُرْتَضِينَ مِنَ ٱلإِخْوَانِ مَعْدُومُونَ فِي هٰذَا ٱلزَّمَانِ وَإِنَّمَا بَقِيَ قَوْمٌ يَنْتَصِفُونَ وَلَا يُنْصِفُونَ إِنْ بَسَطْتَهُمْ لَمْ يَهَابُوكَ وَإِنْ أَحْشَمْتَهُمْ أَغْتَابُوكَ مَا دَامُوا لَكَ رَاجِينَ أَوْ خَائِفِينَ فَهُمْ إِلَيْكَ مُنْقَطِعُونَ فَإِنْ زَايَلُوا هَاتَيْنِ ٱلحَالَتَيْنِ لَمْ يَرْعَوْا لَكَ إِخَاءً وَلَمْ يَعْتَقِدُوا لَكَ وَفَاءً فَإِذَا ظَفِرْتَ بِمُنَافِقٍ فَتَمَسَّكْ بِهِ فَإِنَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ خَيْرٌ مِنْ غَيْرِهِ لِأَنَّهُ يُظْهِرُ لَكَ بِلِسَانِهِ مَا تُسَرُّ بِهِ وَإِنْ كَانَ يُضْمِرُ خِلَافَهُ بِقَلْبِهِ وَحَسْبُكَ بِقَوْمٍ خَيْرُهُمُ ٱلمُنَافِقُونَ وَأَهْلُ ٱلوَفَاءِ مِنْهُمْ مَفْقُودُونَ . بَلَغَنِي عَنْ عَبْدِ ٱلمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَنَّهُ قَالَ كُلُّ لَذَّاتِ ٱلدُّنْيَا قَدْ بَلَغْتُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَخٌ يُسْقِطُ عَنِّي مُؤُونَةَ ٱلتَّحَفُّظِ وَقَدْ عَزَمْتُ لِمَا رَأَيْتُ بِكَ مِنْ غَلَبَاتِ ٱلأَشْتِيَاقِ وَمِنْ مَيْلِكَ إِلَى تَعَرُّفِ أَحْوَالِ ٱلعُشَّاقِ أَنْ أُوَجِّهَ إِلَيْكَ نَدِيماً يُشَاهِدُ بِكَ أَحْوَالَ ٱلمُتَقَدِّمِينَ وَيُحْضِرُكَ أَخْبَارَ ٱلغَائِبِينَ يَنْشَطُ بِنَشَاطِكَ وَيَمَلُّ بِمَلَالِكَ إِنْ أَدْنَيْتَهُ دَنَا وَإِنْ أَقْصَيْتَهُ نَأَى لَا يَزْهَى عَلَيْكَ عِنْدَ حَاجَتِكَ إِلَيْهِ وَلَا يَرْغَبُ عَنْكَ عِنْدَ رَغْبَتِكَ عَنْهُ وَحَيْفَكَ عَلَيْهِ لَا يَحْفَظُ أَسْرَارَكَ فَضْلًا عَنْ أَنْ يُفْشِيَهَا وَلَا تَخْطُرُ بِبَالِهِ فَيَحْتَاجَ أَنْ يُخْفِيَهَا لَا تَمْنَعُكَ حِشْمَتُهُ مِنْ سُؤَالِهِ وَلَا يُغْضِبُكَ عِنْدَ خَوْفِكَ مِنْ مَلَالِهِ . إِنْتَزَعْتُهُ لَكَ مِنْ خَوَاطِرِي وَٱخْتَرْتُهُ مِنْ غَرِيبِ مَا ٱتَّصَلَ بِمَسَامِعِي إِنِ ٱخْتَصَصْتَ بِهِ مَنْ تُحِبُّ مِنْ إِخْوَانِكَ لَمْ تَفْتَقِدْهُ مِنْ

دِيوَانِكَ وَإِنِ ٱسْتَبَدَدْتَ بِهِ دُونَ أَولِيَائِكَ فَضُلْتَ بِهِ عَلَى نُظَرَائِكَ وَهُوَ كِتَابٌ سَمَّيْتُهُ كِتَابَ ٱلزَّهْرَةِ وَٱسْتَوْدَعْتُهُ مِئَةَ بَابٍ ضَمَّنْتُ كُلَّ
٤ بَابٍ مِئَةَ بَيْتٍ أَذْكُرُ فِي خَمْسِينَ بَاباً مِنْهَا جِهَاتِ ٱلْهَوَى* وَأَحْكَامَهُ وَتَصَارِيفَهُ وَأَحْوَالَهُ وَأَذْكُرُ فِي ٱلْخَمْسِينَ ٱلثَّانِيَةِ أَفَانِينَ ٱلشِّعْرِ ٱلْبَاقِيَةَ وَأَقْتَصِرُ فِي ذَٰلِكَ عَلَى قَلِيلٍ مِنْ كَثِيرٍ وَأَقْنَعُ مِنْ كُلِّ فَنٍّ بِٱلْيَسِيرِ إِذْ كَانَ مَا نَقْصِدُهُ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يَتَضَمَّنَهُ كِتَابٌ أَوْ يُعَبِّرَ عَنْ حَقِيقَتِهِ خِطَابٌ وَمِثْلُ هٰذَا ٱلْكِتَابِ إِنَّمَا يَطْلُبُهُ أَهْلُ ٱلْآدَابِ لِيَخِفَّ عَلَى ٱلْأَلْفَاظِ وَيَتَسَهَّلَ لِلْحُفَّاظِ فَإِنْ بَعُدَ آخِرُهُ نُسِيَ أَوَّلُهُ وَلَسْنَا وَإِنِ ٱجْتَهَدْنَا فِي إِطَالَتِهِ رَاجِينَ ٱلتَّنَاهِي إِلَى غَايَتِهِ وَمَنْ لَمْ يَرْجُ ٱلْكَمَالَ فِي ٱلْإِكْثَارِ كَانَ حَقِيقاً أَن يَقْنَعَ بِٱلِٱخْتِصَارِ وَقَدْ رَأَيْتُ كَثِيراً مِمَّنْ يَنْسِبُ نَفْسَهُ إِلَى ٱلْأَدَبِ وَيَتَحَقَّقُ بِتَأْلِيفِ ٱلْكُتُبِ قَصَدَ فِي مِثْلِ هٰذَا ٱلْكِتَابِ إِلَى مَقْصِدٍ يَبْعُدُ عِنْدِي مِنَ ٱلصَّوَابِ ٱبْتَدَأَ بِذِكْرِ مَنْ عَشِقَ مِنَ ٱلْمُتَقَدِّمِينَ حَتَّى ٱرْتَقَى إِلَى ذِكْرِ بَعْضِ ٱلْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ ٱللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَذَكَرَ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنِ ٱتِّبَاعِ ٱلْهَوَى عَلَى حَالٍ لَا يَجُوزُ أَنْ يُضَافَ مِثْلُهَا إِلَيْهِمْ وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَدَّعِيَهَا عَلَيْهِمْ مِنْ قَتْلِ ٱلنُّفُوسِ ٱلْمُحَرَّمَاتِ وَمِنْ فِعْلِ ٱلْأَشْيَاءِ ٱلْمُسْتَقْبَحَاتِ وَنَحْنُ لَو شِئْنَا أَنْ نَذْكُرَ مِنْ كِتَابِ ٱللهِ جَلَّ وَعَزَّ وَمِنْ أَخْبَارِ ٱلْمُتَقَدِّمِينَ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَأَيْضاً نُخْبِرَ مِنْ أَوْلِيَائِهِ مَا يُسَهِّلُ سَبِيلَ ٱلْهَوَى عَلَى مَنْ أَنْكَرَهَا وَيُقَرِّبُهَا مِنْ فَهْمِ مَنْ لَمْ يَرَ أَثَرَهَا مِنْ حَيْثُ لَا يُسْتَوْجَبُ بِهِ مِنْ عَاقِلٍ إِنْكَارٌ وَلَا يَلْحَقُ بِأَحَدٍ مِنَ ٱلْأَئِمَّةِ فِيهِ عَارٌ لَرَجَوْنَا بِإِذْنِ ٱللهِ أَنْ لَا نَقْصُرَ عَنْ ذَٰلِكَ غَيْرَ أَنَّ هٰذَا ٱلْأَمْرَ لَيْسَ مِنْ أُمُورِ ٱلدِّيَانَاتِ ٱلَّتِي لَا تَثْبُتُ إِلَّا بِٱلِٱحْتِجَاجَاتِ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يَخْتَصُّ بِهِ قَوْمٌ بِرِقَّةِ طِبَاعِهِمْ وَتَأَلُّفِ

أزواجهم فمن كان مثلهم فهو يعذرهم ومن خرج عن حدهم هان قوله والنبيون عليهم السلام والصالحون من أئمة أهل الإسلام يجل مقدارهم عن أن تذكر للعوام أخبارهم فيضعوها في غير مواضعها إن قبلوها أو يكذبوا حاكيها إن أنكروها . ولكل من العلوم حد متعارف* بين أهله لا يصلح أن يخلط بغيره لا سيما وأكثر غرضنا من هذا الكتاب أن نذكر ما توقعه المشاكلة وما توجبه الطبائع المتعادلة فإذا جمعنا بين المفترقات وألفنا بين الأشياء المتنافيات كان العار لاحقاً لنا بقضائنا على أنفسنا . وقد جعلت الأبواب المنسوبة إلى الغزل من هذا الكتاب أمثالا ورتبتها على ترتيب الوقوع حالا فحالا . فقدمت وصف كون الهوى وأسبابه وبسطت ذكر الأحوال العارضة فيه بعد استحكامه من الهجر والفراق وما توجبه غلبات التشوق والإشفاق ثم ختمتها بذكر الوفاء بعد الوفاة وبعد أن أتيت على ذكر الوفاء في الحياة وأجريت ما بين أول الأبواب وأوسطها وما بين أوسطها وآخرها على المراتب باباً فباباً لم أقدم مؤخرا ولم أؤخر مقدماً . وهذه ترجمة الأبواب

١ من كثرت لحظاته دامت حسراته ٢ العقل عند الهوى أسير والشوق عليهما أمير ٣ من تداوى بدائه لم يصل إلى شفائه ٤ ليس بلبيب من لم يصف ما به لطبيب ٥ إذا صح الظفر وقعت الغير ٦ التذلل للحبيب من شيم الأديب ٧ من طال سروره قصرت شهوره ٨ من كان ظريفاً فليكن عفيفاً ٩ ليس من الظرف امتهان الحبيب بالوصف ١٠ سوء الظن من شدة الضن ١١ من وفى له الحبيب هان عليه الرقيب ١٢ من منع من كثير الوصال قنع بقليل

ٱلنَّوَالِ بج مَنْ حُجِبَ عَنِ ٱلْأَحْبَابِ تَذَلَّلَ لِلْحُجَّابِ بد مَنْ مُنِعَ مِنَ ٱلْوُصُولِ ٱقْتَصَرَ عَلَى ٱلرَّسُولِ به مَنْ أَحَبَّهُ أَحْبَابُهُ وَشَى بِهِ أَتْرَابُهُ بو مَنْ لَمْ يُعَاتِبْ عَلَى ٱلزَّلَّةِ فَلَيْسَ بِحَافِظٍ لِلْخُلَّةِ بز مَنْ عَاتَبَ عَلَى كُلِّ ذَنْبٍ أَخَاهُ فَخَلِيقٌ أَنْ يَمَلَّهُ وَيَقْلَاهُ بح بُعْدُ ٱلْقُلُوبِ عَلَى قُرْبِ ٱلْمَزَارِ أَشَدُّ مِنْ بُعْدِ ٱلدِّيَارِ مِنَ ٱلدِّيَارِ بط مَا عَتَبَ مَنِ ٱغْتَفَرَ وَلَا أَذْنَبَ مَنِ ٱعْتَذَرَ كـ إِذَا ظَهَرَ ٱلْغَدْرُ سَهُلَ ٱلْهَجْرُ كا مَنْ رَاعَهُ ٱلْفِرَاقُ مَلَكَهُ ٱلِٱشْتِيَاقُ كب قَلَّ مَنْ سَلَا إِلَّا غَلَبَهُ ٱلْهَوَى* كج مَنْ ٦ غَلَبَهُ هَوَاهُ عَلَى ٱلصَّبْرِ صَبَرَ لِمَنْ يَهْوَاهُ عَلَى ٱلْغَدْرِ كد مَنْ تَجَلَّدَ عَلَى ٱلنَّوَى فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْبَلَا كه فِي ٱلْوَدَاعِ قَبْلَ ٱلْفِرَاقِ بَلَاغٌ إِلَى وَقْتِ ٱلتَّلَاقِ كو مَا خُلِقَ ٱلْفِرَاقُ إِلَّا لِتَعْذِيبِ ٱلْعُشَّاقِ كز مَنْ غَابَ قَرِينُهُ كَثُرَ حَنِينُهُ كح مَنْ لَمْ يَلْحَقْ بِٱلْحُمُولِ بَكَى عَلَى ٱلطُّلُولِ كط مَنْ قَصَّرَ عَنْ مُصَاحَبَةِ ٱلْجَارِ لَمْ يَنْفَعْهُ مُسَاءَلَةُ ٱلدَّارِ ل مَنْ مُنِعَ مِنَ ٱلْبَرَاحِ تَشَوَّقَ بِٱلرِّيَاحِ لا فِي لَوَامِعِ ٱلْبُرُوقِ أُنْسٌ لِلْمُسْتَوْحِشِ ٱلْمَشُوقِ لب فِي تَلَهُّبِ ٱلنِّيرَانِ أُنْسٌ لِلْمُدْنَفِ ٱلْحَيْرَانِ لج فِي نَوْحِ ٱلْحَمَامِ أُنْسٌ لِلْمُنْفَرِدِ ٱلْمُسْتَهَامِ لد مَنِ ٱمْتُحِنَ بِٱلْمُفَارَقَةِ وَٱلْهَجْرِ ٱشْتَغَلَ فِكْرُهُ بِٱلْعِيَافَةِ وَٱلزَّجْرِ له فِي حَنِينِ ٱلْبَعِيرِ ٱلْمُفَارِقِ أُنْسٌ لِكُلِّ صَبٍّ وَامِقٍ لو مَنْ فَاتَهُ ٱلْوِصَالُ نَعَشَهُ ٱلْخَيَالُ لز مَنْ مُنِعَ مِنَ ٱلنَّظَرِ ٱسْتَأْنَسَ بِٱلْأَثَرِ لح مَنْ حُجِبَ عَنِ ٱلْأَثَرِ تَعَلَّلَ بِٱلذِّكْرِ لط مُسَامَرَةُ ٱلْأَوْهَامِ وَٱلْأَمَانِي سَبَبٌ لِتَمَامِ ٱلْعَجْزِ وَٱلتَّوَانِي م مَنْ قَصُرَ نَوْمُهُ طَالَ لَيْلُهُ ما مَنْ غَلَبَ عَزَاهُ كَثُرَ بُكَاهُ مب نُحُولُ ٱلْجَسَدِ مِنْ دَلَائِلِ ٱلْكَمَدِ مج طَرِيقُ ٱلصَّبْرِ بَعِيدٌ وَكِتْمَانُ ٱلْحُبِّ شَدِيدٌ مد مَنْ غَلَبَ صَبْرَهُ ظَهَرَ سِرُّهُ مه مَنْ لَمْ يَقَعْ لَهُ ٱلْهَوَى بِٱكْتِسَابٍ لَمْ يَنْزَجِرْ بِٱلْعِتَابِ

مو مَن قَدُمَ هَوَاهُ قَوِيَ أَسَاهُ مز مَن شَابَتْ ذَوَائِبُهُ جفَاهُ حَبَائِبُهُ مح مَن يَئِسَ مِمَّنْ هَوَاهُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ مِنْ وَقْتِهِ سَلَاهُ مط لَا يُعْرَفُ ٱلْمُقِيمُ عَلَى ٱلْعَهْدِ إِلَّا عِنْدَ فِرَاقٍ أَو صَدٍّ ن قَلِيلُ ٱلْوَفَاءِ بَعْدَ ٱلْوَفَاةِ أَجَلُّ مِن كَثِيرِهِ وَقْتَ ٱلْحَيَاةِ

وَأَنَا إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ أَذْكُرُ بِعَقِبِ كُلِّ بَابٍ مِنْهَا مَا يُشَاكِلُهُ مِنَ ٱلْأَشْعَارِ وَأَقْتَصِرُ عَلَى ٱلْقَلِيلِ مِنَ ٱلْأَخْبَارِ لِأَنَّهَا قَدْ كَثُرَتْ فِي أَيْدِي ٱلنَّاسِ فَقَلَّ مَن يَسْتَفِيدُهَا وَأُفَاضِلُ بَيْنَ ٱلْأَشْعَارِ عَلَى مَا تُوجِبُهُ ٱلْحَالُ ٱلَّتِي ٱدَّعَاهَا صَاحِبُهَا وَلَا أَحْمِلُ ٱلنَّاسَ عَلَى ٱخْتِيَارِ أَحَدِهِمْ فَأَكُونَ ظَالِمًا لَهُمْ لِأَنَّ ٱلرَّجُلَ لَا يَلْزَمُهُ أَنْ يَقُودَ مَا أَصَّلَهُ غَيْرُهُ وَإِنَّمَا يَلْزَمُهُ أَنْ يَفِيَ بِمَا شَرَطَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَلَيْسَ لِهٰذَا ٱلشَّأْنِ أَصْلٌ مُقَدَّمٌ وَطَرِيقٌ مُفَوَّضٌ فَمَنْ خَالَفَ تَرْتِيبَهُ كَانَ مُعَنَّفًا أَنْشَدَنِي بَعْضُ ٱلظُّرَفَاءِ

لَيسَ خَطْبُ ٱلْهَوَى بِخَطْبٍ يَسِيرِ ... لَا يُنَبِّيكَ عَنْهُ مِثْلُ خَبِيرِ *٧
لَيْسَ أَمْرُ ٱلْهَوَى يُدَبِّرُهُ ٱلرَّأْيُ ... وَلَا بِٱلْقِيَاسِ وَٱلتَّفْكِيرِ
إِنَّمَا ٱلْأَمْرُ فِي ٱلْهَوَى خَطَرَاتٌ ... مُحْدِثَاتُ ٱلْأُمُورِ بَعْدَ ٱلْأُمُورِ
إِنْ تَكُنْ صَادِقَ ٱلْمَوَدَّةِ فَٱقْنَعْ ... وَٱرْضَ مِمَّنْ تُحِبُّهُ بِٱلْيَسِيرِ

غَيْرَ أَنِّي وَإِنْ كُنْتُ مُقِرًّا لَهُمْ بِٱلْإِصَابَةِ عَلَى مَا قَدَّمُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ فَلَنْ أَمْنَعَ نَفْسِي حَظَّهَا مِنَ ٱلْإِخْبَارِ بِأَحْسَنِ أَقَاوِيلِهِمْ وَلَنْ يَعْدَمَ كِتَابُنَا هٰذَا أَنْ يُصَادِفَ عَاقِلًا وَجَاهِلًا مُتَحَامِلًا وَٱلْمُتَحَامِلُ يَعْرِفُ مَغْزَاهُ مِن فَحْوَاهُ وَٱلْعَاقِلُ لَا يَرَى لِنَفْسِهِ أَنْ يَعِيبَ مَنْ لَمْ يَدَّعِ أَنَّهُ قَدْ كَمُلَ بِمَا يَرَى فِي كِتَابِهِ مِنَ ٱلْخَلَلِ وَبِٱللّٰهِ أَسْتَعِينُ وَعَلَيْهِ أَتَوَكَّلُ فَإِنَّهُ خَيْرُ ٱلْمُؤَمَّلِينَ وَأَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ وَصَلَّى ٱللّٰهُ عَلَى مُحَمَّدٍ سَيِّدِ ٱلْمُرْسَلِينَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ٱلطَّيِّبِينَ

الباب الاول

مَنْ كَثُرَتْ لَحَظَاتُهُ دَامَتْ حَسَرَاتُهُ

قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ رُبَّ حَرْبٍ جُنِيَتْ مِنْ لَفْظَةٍ وَرُبَّ عِشْقٍ غُرِسَ مِنْ لَحْظَةٍ وَقَالَ ٱلْعُتْبِيُّ أَبُو ٱلْغُصْنِ ٱلْأَعْرَابِيُّ قَالَ خَرَجْتُ حَاجًّا فَلَمَّا مَرَرْتُ بِقُبَاءٍ تَدَاعَى ٱلنَّاسُ أَلْمَا وَقَالُوا قَدْ أَقْبَلَتِ ٱلصَّقِيلُ فَنَظَرْتُ • وَإِذَا جَارِيَةٌ كَأَنَّ وَجْهَهَا سَيْفٌ صَقِيلٌ فَلَمَّا رَمَيْنَاهَا بِٱلْحَدَقِ أَلْقَتِ ٱلْبُرْقُعَ عَلَى وَجْهِهَا فَقُلْتُ يَرْحَمُكِ ٱللّٰهُ إِنَّا سَفْرٌ وَفِينَا أَجْرٌ فَأَمْتِعِينَا بِوَجْهِكِ فَٱنْصَاعَتْ وَأَنَا أَرَى ٱلضَّحِكَ فِي عَيْنَيْهَا وَهِيَ تَقُولُ

وَكُنْتَ مَتَى أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا ... لِقَلْبِكَ يَوْمًا أَتْبَعَتْكَ ٱلْمَنَاظِرُ
رَأَيْتَ ٱلَّذِي لَا كُلُّهُ أَنْتَ قَادِرٌ ... عَلَيْهِ وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرُ

وانشدني ابو العباس احمد بن يحيى النحوي لامرأةٍ من الاعراب

أَرَى ٱلْحُبَّ لَا يَفْنَى وَلَمْ يُفْنِهِ ٱلْأُلَى ... أُحِبُّوا وَقَدْ كَانُوا عَلَى سَالِفِ ٱلدَّهْرِ *
وَكُلُّهُمْ قَدْ خَالَهُ فِي فُؤَادِهِ ... بِأَجْمَعِهِ يَحْكُونَ ذٰلِكَ فِي ٱلشِّعْرِ
وَمَا ٱلْحُبُّ إِلَّا سَمْعُ أُذْنٍ وَنَظْرَةٌ ... وَوَجْبَةُ قَلْبٍ عَنْ حَدِيثٍ وَعَنْ ذِكْرِ
وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ غَيْرُهُ فَنِيَ ٱلْهَوَى ... وَأَبْلَاهُ مَنْ يَهْوَى وَلَوْ كَانَ مِنْ صَخْرِ

وقال آخر

تَعَرَّضْنَ مَرْمَى ٱلصَّيْدِ ثُمَّ رَمَيْنَنَا ... مِنَ ٱلنَّبْلِ لَا بِٱلطَّائِشَاتِ ٱلْخَوَاطِفِ
ضَعَائِفُ يَقْتُلْنَ ٱلرِّجَالَ بِلَا دَمٍ ... فَيَا عَجَبًا لِلْقَاتِلَاتِ ٱلضَّعَائِفِ
وَلِلْعَيْنِ مَلْهًى فِي ٱلتِّلَادِ وَلَمْ يَقُدْ ... هَوَى ٱلنَّفْسِ شَيْئًا كَٱقْتِيَادِ ٱلطَّرَائِفِ

وقال آخر

وَكَمْ مِنْ فَتًى جَلْدٍ يُقَادُ لِحَيْنِهِ ... بِطَرْفٍ مَرِيضِ ٱلنَّاظِرَيْنِ كَحِيلِ
إِذَا مَا ٱلْهَوَى مِنْهُ تَعزَّزَ جَانِبٌ ... فَمَا شِئْتَ مِنْ مَقْتُولَةٍ وَقَتِيلِ

وقال جرير بن عطية

• إِنَّ ٱلْعُيُونَ ٱلَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ ... قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلَانَا
يَصْرَعْنَ ذَا ٱللُّبِّ حَتَّى لَا حِرَاكَ بِهِ ... وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ ٱللهِ أَرْكَانَا

وقال جميل بن معمر العذري

رَمَى ٱللهُ فِي عَيْنَيْ بُثَيْنَةَ بِٱلْقَذَى ... وَفِي ٱلْغُرِّ مِنْ أَنْيَابِهَا بِٱلْقَوَادِحِ
رَمَتْنِي بِسَهْمٍ رِيشُهُ ٱلْكُحْلُ لَمْ يَضِرْ ... ظَوَاهِرَ جِلْدِي فَهُوَ فِي ٱلْقَلْبِ جَارِحِي

أَمَّا مَعْنَى ٱلْبَيْتِ ٱلْأَوَّلِ فَقَبِيحٌ أَنْ يُجْعَلَ فِي ٱلْغَزَلِ إِنْ كَانَ قَصَدَ فِي بَاطِنِهِ مَا يَتَبَيَّنُ فِي ظَاهِرِهِ وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ ٱلْأَدَبِ أَنَّ قَوْلَهُ رَمَى ٱللهُ فِي عَيْنَيْ بُثَيْنَةَ بِٱلْقَذَى إِنَّمَا عَنَى بِهِ ٱلرَّقِيبَ وَقَوْلَهُ . وَفِي ٱلْغُرِّ مِنْ أَنْيَابِهَا إِنَّمَا عَنَى بِهِ سَرَوَاتِ قَوْمِهَا وَٱلْقَوَادِحِ ٱلْحِجَارَةَ وَقَدْ عَرَضْتُ هٰذَا ٱلْقَوْلَ عَلَى أَبِي ٱلْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى فَأَنْكَرَهُ وَقَالَ لَمْ يَعْنِ وَلَمْ يَرَ بِهِ بَأْسًا ٱلْعَرَبُ تَقُولُ قَاتَلَهُ ٱللهُ مَا أَشْجَعَهُ وَلَا تُرِيدُ بِذٰلِكَ* سو١٢ ٩

وقال العديل بن الفرج العجلي

يَأْخُذْنَ زِينَتَهُنَّ أَحْسَنَ مَا تَرَى ... فَإِذَا عَطِلْنَ فَهُنَّ غَيْرُ عَوَاطِلِ
وَإِذَا جَلَيْنَ خُدُودَهُنَّ أَرَيْنَنَا ... حَدَقَ ٱلْمَهَا وَأَخَذْنَ نَبْلَ ٱلْقَاتِلِ
فَرَمَيْنَنَا لَا يَسْتَتِرْنَ بِجُنَّةٍ ... إِلَّا ٱلصِّبَى وَعَلِمْنَ أَيْنَ مَقَاتِلِي
يَلْبَسْنَ أَرْدِيَةَ ٱلْوَقَارِ لِأَهْلِهَا ... وَيَجُرُّ بَاطِلُهُنَّ حَبْلَ ٱلْبَاطِلِ

وقال عمر بن عبدالله بن ابي ربيعة المخزومي

سَمْعِي وَطَرْفِي حَلِيفَا عَلَى جَسَدِي ... فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَنْ سَمْعِي وَعَنْ بَصَرِي

لَوْ طَاوَعَـانِي عَلَى أَنْ لَا أُطَاوِعَهَا   إِذًا لَقَضَّيْتُ مِنْ أَوْطَارِهَا وَطَرِي

وقال يزيد بن سويد الضبعي

بِيضٌ أَوَانِسُ يَلْتَاطُ ٱلْعَبِيرُ بِهَـا   كَفَّ ٱلْفَوَاحِشَ عَنْهَا ٱلْأُنْسُ وَٱلْخَفَرُ
مِيلُ ٱلسَّوَالِفِ غِيدٌ لَا يَزَالُ لَمَا   مِنَ ٱلْقُلُوبِ إِذَا لَاقَيْنَهَا جَزَرُ

وانشدني بعض الكلابيين

يَا مَنْ بَدَائِعُ حُسْنِ صُورَتِهِ   تَثْنِي إِلَيْهِ أَعِنَّةَ ٱلْحَدَقِ
لِي مِنْكَ مَا لِلنَّاسِ كُلِّهِمِ   نَظَرٌ وَتَسْلِيمٌ عَلَى ٱلطُّرُقِ
لٰكِنَّهُمْ سَعِدُوا بِأَمْنِهِمِ   وَشَقِيتُ حِينَ أَرَاكَ بِٱلْفَرَقِ

وقال آخر

دَعَا قَلْبَهُ يَوْماً هَوًى فَأَجَابَهُ   فُؤَادٌ إِذَا يَلْقَى ٱلْمِرَاضَ مَرِيضُ
بِمُسْتَأْنِسَاتٍ بِٱلْحَدِيثِ كَأَنَّهَا   تَهَلُّلُ مُزْنٍ بَرْقُهُنَّ وَمِيضُ

وانشدني احمد بن ابي طاهر

طَرِبْتُ إِلَى حَوْرَاءَ آلِفَةِ ٱلْخِدْرِ   هِيَ ٱلْبَدْرُ أَوْ إِنْ قُلْتَ أَكْمَلُ مِنْ بَدْرِ
١٠ تُرَاسِلُنِي بِٱللَّحْظِ عِنْدَ لِقَائِهَا   فَتَخْلِسُ قَلْبِي عِنْدَ ذٰلِكَ مِنْ صَدْرِي*

وقال عمرو بن الايهم

وَيَوْمَ ٱرْتِحَالِ ٱلْحَيِّ رَاعَتْكَ رَوْعَةً   فَلَمْ تَنْسَهَا مِنْ ذَاكَ إِلَّا عَلَى ذِكْرِ
رَمَتْكَ بِعَيْنَيْ فَرْقَدٍ ظَلَّ يَتَّقِي   شَآبِيبَ قَطْرٍ بَيْنَ غُصْنَيْنِ مِنْ سِدْرِ

وقال آخر

قَلْبِي إِلَى مَا ضَرَّنِي دَاعِي   يُكْثِرُ أَسْقَامِي وَأَوْجَاعِي
لَقَلَّ مَا أَبْقَى عَلَى مَا أَرَى   أُوشِكُ أَنْ يَنْعَانِيَ ٱلنَّاعِي
كَيْفَ ٱحْتِرَاسِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا   كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي

مَا أَقْتَلَ ٱلْيَأْسَ لِأَهْلِ ٱلْهَوَى لَا سِيَّمَا مِنْ بَعْدِ إِطْمَاعِ

وقال الطرماح

فَلَمَّا أَدْرَكْنَاهُنَّ أَبْدَيْنَ لِلْهَوَى مَحَاسِنَ وَٱسْتَوْلَيْنَ دُونَ مَحَاسِنِ
ظَعَائِنُ يَسْتَحْدِثْنَ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ رَهِيناً وَلَا يُحْسِنَّ فَكَّ ٱلرَّهَائِنِ

وقال العجيف العقيلي

خَلِيلَيَّ مَا صَبْرِي عَلَى ٱلزَّفَرَاتِ وَمَا طَاقَتِي بِٱلشَّوْقِ وَٱلْعَبَرَاتِ
تَقَطَّعُ نَفْسِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عَلَى إِثْرِ مَنْ قَدْ فَاتَهَا حَسَرَاتِ
سَقَى وَرَعَى ٱللهُ ٱلْأَوَانِسَ كَٱلدُّمَى إِذَا قُمْنَ جُنْحَ ٱللَّيْلِ مُنْبَهِرَاتِ
دَعَوْنَ بِحَبَّاتِ ٱلْقُلُوبِ فَأَقْبَلَتْ إِلَيْهِنَّ بِٱلْأَهْوَاءِ مُبْتَدِرَاتِ

وانشدني احمد بن يحيي الشيباني ابو العباس النحوي

إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ ٱلْأَحَادِيثَ لِلْفَتَى سُقُوطَ حَصَى ٱلْمَرْجَانِ مِنْ سِلْكِ نَاظِمِ
رَمَيْنَ فَأَنْفَذْنَ ٱلْقُلُوبَ وَلَا تَرَى دَماً مَا تَرَى إِلَّا ٱلْجَوَى فِي ٱلْحَيَازِمِ
وَخَبَّرَكِ ٱلْوَاشُونَ أَلَّا أُحِبَّكُمْ بَلَى وَسُتُورِ ٱلْبَيْتِ ذَاتِ ٱلْمَحَارِمِ
أُصُدُّ وَمَا ٱلصَّدُّ ٱلَّذِي تَعْلَمِينَهُ بِنَا وَبِكُمْ إِلَّا ٱجْتِرَاعُ ٱلْعَلَاقِمِ * ١١
حَيَاءً وَبُقْيَا أَنْ تَشِيعَ نَمِيمَةٌ بِنَا وَبِكُمْ أُفٍّ لِأَهْلِ ٱلنَّمَائِمِ
أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ غَيْرُكِ أَرْقَلَتْ صِعَادُ ٱلْقَنَا بِٱلرَّاعِفَاتِ ٱللَّهَاذِمِ
وَلٰكِنْ وَبَيْتِ ٱللهِ مَا طَلَّ مُسْلِماً كَغُرِّ ٱلثَّنَايَا وَاضِحَاتِ ٱلْمَلَاغِمِ
وَإِنَّ دَماً لَوْ تَعْلَمِينَ جَنَيْتِهِ عَلَى ٱلْحَيِّ جَانِي مِثْلِهِ غَيْرُ نَائِمِ

وقال عمر بن ابي ربيعة

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَقْبَلَتْ وُجُوهٌ زَهَاهَا ٱلْحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّعَا
تَبَالَهْنَ بِٱلْعِرْفَانِ لَمَّا عَرَفْنَنِي وَقُلْنَ ٱمْرُؤٌ بَاغٍ أَضَلَّ وَأَوْضَعَا
وَقَرَّبْنَ أَسْبَابَ ٱلْهَوَى لِمُتَيَّمٍ يَقِيسُ ذِرَاعاً كُلَّمَا قِسْنَ إِصْبَعَا

فَقُلْتُ لِمُطْرِيهِنَّ بِـالْحُسْنِ إِنَّمَا ضَرَرْتَ فَهَلْ تَسْطِيعُ نَفْعاً فَتَنْفَعَا

وقال ايضاً

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ مَـا يُبَاءُ بِهِ دَمٌ وَمِنْ غَلِقٍ رَهْناً إِذَا لَفَّهُ مِنَى
وَمِنْ مَالِىءٍ عَيْنَيْهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ إِذَا رَاحَ نَحْوَ ٱلْجَمْرَةِ ٱلْبِيضُ كَٱلدُّمَى
أَوَانِسُ يَسْلُبْنَ ٱلْحَلِيمَ فُؤَادَهُ فَيَا طُولَ مَا شَوْقٍ وَيَا حُسْنَ مُجْتَلَى
مَعَ ٱللَّيْلِ قَصْرًا قَدْ أَضَرَّ بِكَفِّهَا ثَلَاثَ أَسَابِيعٍ تُعَدُّ مِنَ ٱلْحَصَى
فَلَمْ أَرَى كَٱلتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ نَاظِرٍ وَلَا كَلَيَالِي ٱلْحَجِّ أَفْتَنَّ ذَا هَوَى

وقال آخر

بَوَارِحُ رُحْنَ مِنْ بَرْحٍ إِلَيْنَـا بِأَفْئِـدَةِ ٱلرِّجَـالِ مُبَرِّحَاتِ
رَمَيْنَ حَصَى ٱلْجِمَارِ بِخَاضِبَاتٍ وَأَفْئِـدَةَ ٱلرِّجَالِ بِصَائِبَاتِ

وقال ذو الرمة

فَمَا ظَبْيَــةٌ تَرْعَى مَسَاقِطَ رَمْلَـةٍ كَسَا ٱلْوَاكِفُ ٱلْغَادِي لَهَا وَرَقاً خُضْرَا
١٢ بِأَحْسَنَ مِنْ مَيٍّ عَشِيَّةَ حَاوَلَتْ لِتَجْعَلَ صَدْعًا فِي فُؤَادِكَ أَوْ عَفْرَا*
بِوَجْهٍ كَقَرْنِ ٱلشَّمْسِ حُرٍّ كَأَنَّمَا تَهِيجُ بِهَـذَا ٱلْقَلْبِ لَمْحَتُـهُ وَقْرَا
وَعَيْنٍ كَأَنَّ ٱلْبَابِلِيَّيْنِ لَبَّسَا بِقَلْبِكَ مِنْهَا يَوْمَ لَاقَيْتَهَـا سِحْرَا

وقال كثيّر بن عبد الرحمن ١

أَصَابَكَ نَبْلُ ٱلْحَاجِبِيَّةِ إِنَّهَا إِذَا مَـا رَمَتْ لَا يَسْتَبِلُّ كَلِيمُهَـا
لَقَدْ غَادَرَتْ فِي ٱلْقَلْبِ مِنِّي أَمَانَةً وَلِلْعَيْنِ عَبَرَاتٌ سَرِيعٌ سُجُومُهَا
فَذُوقِي بِمَا أَجْنَيْتِ عَيْناً مَشُومَةً عَلَيَّ وَقَدْ يَأْتِي عَلَى ٱلْعَيْنِ شُومُهَـا

وقال آخر

وَتَنَالُ إِنْ نَظَرَتْ إِلَيْكَ بِطَرْفِهَا مَا لَا يَنَـالُ بِحَـدِّهِ ٱلنَّصْلُ

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى مَحَاسِنِ وَجْهِهَا   فَلِكُلِّ مَوْضِعِ نَظْرَةٍ قَتْلُ
وَلِقَلْبِهَا حِلْمٌ تَصُدُّ بِهِ   عَنْ ذِي ٱلْهَوَى وَلِطَرْفِهَا جَهْلُ

وقال حبيب بن اوس الطائي

يَا جُفُونًا سَوَاهِدًا أَعْدَمَتْهَا   لَذَّةَ ٱلنَّوْمِ وَٱلرُّقَادِ جُفُونُ
إِنَّ لِلّٰهِ فِي ٱلْعِبَادِ مَنَايَا   سَلَّطَتْهَا عَلَى ٱلْقُلُوبِ عُيُونُ

وانشدتني ام حمادة الهمدانية

دَارَ ٱلْهَوَى بِعِبَادِ ٱللّٰهِ كُلِّهِمِ   حَتَّى إِذَا مَرَّ بِي مِنْ بَيْنِهِمْ وَقَفَا
إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ قَلْبٍ يُكَلِّفُكُمْ   وَمَا يَرَى مِنْكُمُ بِرًّا وَلَا لَطَفَا
لَوْلَا شَقَاوَةُ جَدِّي مَا عَرَفْتُكُمُ   إِنَّ ٱلشَّقِيَّ ٱلَّذِي يَشْقَى بِمَنْ عَرَفَا

وانشدني ابو طاهر احمد بن بشر الدمشقي

رَمَتْنِي وَسِتْرُ ٱللّٰهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا   عَشِيَّةَ أَحْجَارِ ٱلْكِنَاسِ رَمِيمُ
رَمِيمُ ٱلَّتِي قَالَتْ لِجَارَاتِ بَيْتِهَا   ضَمِنْتُ لَكُمْ أَنْ لَا يَزَالُ يَهِيمُ
أَلَا رُبَّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمَيْتُهَا   وَلٰكِنَّ عَهْدِي بِٱلنِّضَالِ قَدِيمُ ١٣*

وَبَلَغَنِي أَنَّ بُثَيْنَةَ وَعَزَّةَ كَانَتَا خَالِيَتَيْنِ تَتَحَدَّثَانِ إِذْ أَقْبَلَ كُثَيِّرٌ فَقَالَتْ بُثَيْنَةُ لِعَزَّةَ أَتُحِبِّينَ أَنْ أُبَيِّنَ لَكِ إِنْ كَانَ كُثَيِّرٌ فِيمَا يُظْهِرُهُ لَكِ مِنَ ٱلْمَحَبَّةِ غَيْرَ صَادِقٍ قَالَتْ نَعَمْ قَالَتْ ٱدْخُلِي ٱلْخِبَاءَ فَتَوَارَتْ عَزَّةُ وَدَنَا كُثَيِّرٌ حَتَّى وَقَفَ عَلَى بُثَيْنَةَ فَسَلَّمَ عَلَيْهَا فَقَالَتْ لَهُ مَا تَرَكَتْ فِيكَ عَزَّةُ مُسْتَمْتَعًا لِأَحَدٍ فَقَالَ كُثَيِّرٌ وَٱللّٰهِ لَوْ أَنَّ عَزَّةَ أَمَةٌ لَوَهَبْتُهَا لَكِ قَالَتْ لَهُ بُثَيْنَةُ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَٱصْنَعْ فِي ذٰلِكَ شِعْرًا فَأَنْشَأَ يَقُولُ

رَمَتْنِي عَلَى فَوْتٍ بُثَيْنَةُ بَعْدَ مَا   تَوَلَّى شَبَابِي وَٱرْجَحَنَّ شَبَابُهَا
بِعَيْنَيْنِ نَجْلَاوَيْنِ لَوْ رَقْرَقَتْهُمَا   لِنَوْءِ ٱلثُّرَيَّا لَٱسْتَهَلَّ سَحَابُهَا

فَبَادَرَتْ عَزَّةُ فَكَشَفَتِ ٱلْحِجَابَ وَقَالَتْ يَا فَاسِقُ قَدْ سَمِعْتُ ٱلْبَيْتَيْنِ قَالَ لَهَا فَٱسْمَعِي ٱلثَّالِثَ قَالَتْ وَمَا هُوَ فَأَنْشَأَ يَقُولُ

وَلٰكِنَّمَا تَرْمِينَ نَفْساً شَقِيَّةً لِعَزَّةَ مِنْهَا صَفْوُهَا وَلُبَابُهَا

وَهٰذَا ٱلشِّعْرُ وَإِنْ كَانَ قَبِيحاً لِمُنَاسَبَتِهِ ٱلْخِيَانَةَ وَٱلْغَدْرَ فَهُوَ حَسَنٌ مِنْ ثَبَاتِ حِدَّةِ ٱلْخَاطِرِ وَسُرْعَةِ ٱلْفِكْرِ

وقال ابو عبادة البحتري

نَظَرَتْ قَادِرَةً أَنْ يَنْكَفِي كُلُّ قَلْبٍ فِي هَوَاهَا بِعَلَقْ

قَالَ بُطْلًا وَأَفَالَ ٱلرَّأْيَ مَنْ لَمْ يَقُلْ إِنَّ ٱلْمَنَايَا فِي ٱلْحَدَقْ

كَانَ يَكْفِي مَيِّتاً مِنْ ظَمَإٍ فَضْلُ مَا أَوْبَقَ مَيْتاً مِنْ غَرَقْ

إِنْ تَكُنْ مُحْتَسِباً مَنْ قَدْ ثَوَى لِحِمَامٍ فَٱحْتَسِبْ مَنْ قَدْ عَشِقْ

وقال القطامي وهو احسن ما قيل في معناه

وَفِي ٱلْخُدُورِ غَمَامَاتٌ بَرَقْنَ لَنَا حَتَّى تَصَيَّدْنَنَا مِنْ كُلِّ مُصْطَادِ

يَقْتُلْنَنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ مَنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكْتُومُهُ بَادِ

١٤ فَهُنَّ يَنْبِذْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصِبْنَ بِهِ مَوَاقِعَ ٱلْمَاءِ مِنْ ذِي ٱلْغُلَّةِ ٱلصَّادِي*

قَدْ ذَكَرْنَا مِنْ أَقَاوِيلِ ٱلشُّعَرَاءِ فِي ٱلْهَوَى أَنَّهُ يَقَعُ إِبْتِدَاؤُهُ مِنَ ٱلنَّظَرِ وَٱلسَّمَاعِ مَا فِي بَعْضِهِ بَلَاغٌ ثُمَّ نَحْنُ إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ ذَاكِرُونَ مَا فِي ذٰلِكَ ٱلْأَمْرِ ٱلَّذِي أَوْقَعَهُ ٱلسَّمَاعُ وَٱلنَّظَرُ وَلِمَ وَقَعَ وَكَيْفَ وَقَعَ إِذْ قَدْ صَحَّ كَوْنُهُ عِنْدَ ٱلْعَامَّةِ وَخَفِيَ سَبَبُهُ عَلَى ٱلْخَاصَّةِ أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ٱلصَّاغَانِي قَالَ حَدَّثَنَا ٱبْنُ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عَمْرَةَ عَنْ عَائِشَةَ عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ ٱلْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ٱئْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا ٱخْتَلَفَ

وفي مثل ذلك يقول طرفة بن العبد

تَعَارَفُ أَرْوَاحُ ٱلرِّجَالِ إِذَا ٱلْتَقَوْا   فَمِنْهُمْ عَدُوٌّ يُتَّقَى وَخَلِيلُ
وَإِنَّ ٱمْرَءًا لَمْ يَعْفُ يَوْماً فُكَاهَةً   لِمَنْ لَمْ يُرِدْ سُوءًا بِهَا لَجَهُولُ

وَزَعَمَ بَعْضُ ٱلْمُتَفَلْسِفِينَ أَنَّ ٱللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ خَلَقَ كُلَّ رُوحٍ مُدَوَّرَةَ ٱلشَّكْلِ عَلَى هَيْئَةِ ٱلْكُرَةِ ثُمَّ قَطَعَهَا أَيْضاً فَجَعَلَ فِي كُلِّ جَسَدٍ نِصْفاً وَكُلُّ جَسَدٍ لَقِيَ ٱلْجَسَدَ ٱلَّذِي فِيهِ ٱلنِّصْفُ ٱلَّذِي قُطِعَ مِنَ ٱلنِّصْفِ ٱلَّذِي مَعَهُ كَانَ بَيْنَهُمَا عِشْقٌ لِلْمُنَاسَبَةِ ٱلْقَدِيمَةِ وَتَتَفَاوَتُ أَحْوَالُ ٱلنَّاسِ فِي ذٰلِكَ عَلَى حَسَبِ رِقَّةِ طَبَائِعِهِمْ

وقد قال جميل في ذلك

تَعَلَّقَ رُوحِي رُوحَهَا قَبْلَ خَلْقِنَا   وَمِنْ بَعْدِ مَا كُنَّا نِطَافاً وَفِي ٱلْمَهْدِ
فَزَادَ كَمَا زِدْنَا فَأَصْبَحَ نَامِياً   وَلَيْسَ إِذَا مُتْنَا بِمُنْتَقِضِ ٱلْعَهْدِ
وَلٰكِنَّهُ بَاقٍ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ   وَزَائِرُنَا فِي ظُلْمَةِ ٱلْقَبْرِ وَٱللَّحْدِ

وفي نحوه يقول بعض اهل هذا العصر

مَنْ كَانَ يَشْجَى بِحُبٍّ مَا لَهُ سَبَبٌ   فَإِنَّ عِنْدِي لِمَا أَشْجَى بِهِ سَبَبُ
حُبِّيهِ طَبْعٌ لِنَفْسِي لَا يُغَيِّرُهُ   كَرُّ ٱللَّيَالِي وَلَا تُودِي بِهِ ٱلْحِقَبُ
إِنْ كَانَ لَا بُدَّ لِلْعُشَّاقِ مِنْ عَطَبٍ   فَفِي هَوَى مِثْلِهِ يُسْتَغْنَمُ ٱلْعَطَبُ *١٥

وَكَتَبَ بَعْضُ ٱلظُّرَفَاءِ إِلَى أَخٍ لَهُ إِنِّي صَادَقْتُ مِنْكَ جَوْهَرَ نَفْسِي فَأَنَا غَيْرُ مَحْمُودٍ عَلَى ٱلْإِنْقِيَادِ إِلَيْكَ بِغَيْرِ زِمَامٍ لِأَنَّ ٱلنَّفْسَ يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضاً وَحُكِيَ عَنْ إِفْلَاطُونَ أَنَّهُ قَالَ مَا أَدْرِي مَا ٱلْهَوَى غَيْرَ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ جُنُونٌ إِلَاهِيٌّ لَا مَحْمُودٌ وَلَا مَذْمُومٌ

وقد قال بعض الشعراء في مثله

إِنَّ ٱلْمَحَبَّةَ أَمْرُهَا عَجَبٌ   تُلْقَى عَلَيْكَ وَمَا لَهَا سَبَبُ

ولقد احسن الحسين بن مطير في قوله

قَضَى ٱللّٰهُ يَا سَمْرَاءُ مِنِّي لَكِ ٱلْهَوَى بِعَزْمٍ فَلَمْ أَمْنَعْ وَلَمْ أُعْطِهِ عَمْدَا
وَكُلُّ أَسِيرٍ غَيْرُ مَنْ قَدْ مَلَكْتِهِ مُرَجًّى لِقَتْلٍ أَوْ لِنُعْمَاءَ أَوْ مُفْدَى

وَزَعَمَ بَطْلِيمُوسُ أَنَّ ٱلصَّدَاقَةَ وَٱلْعَدَاوَةَ تَكُونُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرَابٍ إِمَّا لِٱتِّفَاقِ ٱلْأَرْوَاحِ فَلَا يَجِدُ ٱلْمَرْءُ بُدًّا مِنْ أَنْ يُحِبَّ صَاحِبَهُ وَإِمَّا لِلْمَنْفَعَةِ وَإِمَّا لِحُزْنٍ وَفَرَحٍ فَأَمَّا ٱتِّفَاقُ ٱلْأَرْوَاحِ فَإِنَّهُ يَكُونُ مِنْ كَوْنِ ٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ فِي ٱلْمَوْلِدَيْنِ فِي بُرْجٍ وَاحِدٍ وَيَتَنَاظَرَانِ مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ تَسْدِيسٍ نَظَرَ مَوَدَّةٍ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ كَذٰلِكَ كَانَا صَاحِبَا ٱلْمَوْلِدَيْنِ مَطْبُوعَيْنِ عَلَى مَوَدَّةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ فَأَمَّا ٱللَّذَانِ تَكُونُ مَوَدَّتُهُمَا لِحُزْنٍ أَوْ لِفَرَحٍ فَإِنَّهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ طَالِعُ مَوْلِدَيْهِمَا بُرْجًا وَاحِدًا وَيَتَنَاظَرُ طَالِعَاهُمَا مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ تَسْدِيسٍ وَأَمَّا ٱللَّذَانِ مَوَدَّتُهُمَا لِلْمَنْفَعَةِ فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا سَعَادَتَاهُمَا فِي مَوْلِدَيْهِمَا فِي بُرْجٍ وَاحِدٍ أَوْ يَتَنَاظَرُ ٱلسَّهْمَانِ مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ تَسْدِيسٍ فَإِنَّ ذٰلِكَ يَدُلُّ عَلَى ٱلْمَوْلِدَيْنِ تَكُونُ مَنْفَعَتُهُمَا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ وَيَنْتَفِعُ أَحَدُهُمَا بِصَاحِبِهِ فَتَجْلِبُ ٱلْمَنْفَعَةُ بَيْنَهُمَا ٱلصَّدَاقَةَ أَوْ تَكُونُ مَضَرَّتُهُمَا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ فَيَتَّفِقَانِ عَلَى ٱلْحُزْنِ فَيَتَوَادَّانِ بِذٰلِكَ ٱلسَّبَبِ وَيُقَوِّي ذٰلِكَ كُلَّهُ نَظَرُ ٱلسُّعُودِ فِي وَقْتِ ٱلْمَوَالِيدِ وَيُضْعِفُهُ نَظَرُ ٱلنُّحُوسِ وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ ٱلْهَوَى فَقَسَّمَهُ
١٦ عَلَى نَحْوٍ مِنْ هٰذَا ٱلْمَعْنَى فَقَالَ*

ثَلَاثَةُ أَحْبَابٍ فَحُبُّ عَلَاقَةٍ وَحُبُّ تِمِلَّاقٍ وَحُبٌّ هُوَ ٱلْقَتْلُ

وَزَعَمَ جَالِينُوسُ أَنَّ ٱلْمَحَبَّةَ قَدْ تَقَعُ مِنَ ٱلْعَاقِلَيْنِ مِنْ بَابِ تَشَاكُلِهِمَا فِي ٱلْعَقْلِ وَلَا تَقَعُ بَيْنَ ٱلْأَحْمَقَيْنِ مِنْ بَابِ تَشَاكُلِهِمَا فِي ٱلْحُمْقِ لِأَنَّ ٱلْعَقْلَ يَجْرِي عَلَى تَرْتِيبٍ فَيَجُوزُ أَنْ يَتَّفِقَ فِيهِ عَلَى طَرِيقٍ وَاحِدٍ وَٱلْحُمْقَ لَا

يجري على ترتيب فلا يجوز أن يقع به اتفاق بين اثنين وقال بعض المتطببين إن العشق طمع يتولد في القلب وتجتمع إليه مواد من الحرص فكلما قوي ازداد صاحبه في الاهتياج واللجاج وشدة القلق وكثرة الشهوة وعند ذلك يكون احتراق الدم واستحالته إلى السوداء والتهاب الصفراء وانقلابها الى السوداء ومن طغيان السوداء فساد الفكر ومع فساد الفكر تكون الفدامة ونقصان العقل ورجاء ما لا يكون وتمني ما لا يتم حتى يؤدي ذلك إلى الجنون فحينئذ ربما قتل العاشق نفسه وربما مات غما وربما نظر إلى معشوقه فيموت فرحا أو أسفا وربما شهق شهقة فتختفي فيها روحه أربعا وعشرين ساعة فيظنون أنه قد مات فيقبرونه وهو حي وربما تنفس الصعداء فتختنق نفسه في تأمور قلبه وينضم عليها القلب فلا ينفرج حتى يموت وربما ارتاح وتشوق للنظر أو رأى من يحب فجأة فتخرج نفسه فجأة دفعة واحدة وأنت ترى العاشق إذا سمع بذكر من يحب كيف يهرب ويستحيل لونه وإن كان الأمر يجري على ما ذكر فإن زوال المكروه عمن هذه حاله لا سبيل إليه بتدبير الآدميين ولا شفاء له إلا بلطف يقع له من رب العالمين وذلك أن المكروه العارض من سبب قائم منفرد بنفسه يتهيأ التلطف في إزالته بإزالة سببه فإذا وقع الشيآن وكل واحد منهما علة لصاحبه لم يكن إلى زوال واحدة منهما سبيل فإذا كانت السوداء* سببا لاتصال الفكر ١٧
وكان اتصال الفكر سببا لاحتراق الدم والصفراء وقلبها إلى تقوية السوداء كلما قويت قوت الفكر والفكر كلما قوي قوى السوداء وهذا هو الداء الذي يعجز عن معالجته الأطباء وقد زعم

بعض المتصوفين أنّ الله جلّ ثناؤه إنّما امتحن النّاس بالهوى ليأخذوا أنفسهم بطاعة من يهوونه وليشقّ عليهم سخطه ويسرّهم رضاؤه فيستدلّوا بذلك على قدر طاعة الله عزّ وجلّ إذ كان لا مثل له ولا نظير وهو خالقهم غير محتاج إليهم ورازقهم مبتدئاً غير ممتنّ عليهم فإن أوجبوا على أنفسهم طاعة من سواه كان هو تعالى أحرى بأن يتّبع رضاه والكلام في اعتبار ما حكيناه والإخبار عن جميعه بما يرضاه يكثر وربّما استغني بالحكايات عن التصريح بالاختبارات ونحن إن شاء الله نذكر بعقب هذا الباب مبلغ الهوى من قلوب ذوي الألباب ونصف مراتبه وتصرّفه وازدياده وتمكّنه ونخبر باقتداره على المقتدرين واستظهاره على المستظهرين وتلاعبه بقلوب المتفلسفين وتمالكه على خواطر المستسلمين

الباب الثاني

العقل عند الهوى أسير والشوق عليهما أمير

قال جالينوس العشق من فعل النّفس وهي كامنة في الدّماغ والقلب والكبد وفي الدّماغ ثلاثة مساكن التّخييل وهو في مقدّم الرّأس والفكر وهو في وسطه والذّكر وهو في مؤخّره وليس يكمل لأحد اسم عاشق إلّا حتّى إذا فارق من يعشقه لم يخل من تخييله وفكره وذكره وقلبه وكبده فيمتنع من الطّعام والشّراب باشتغال الكبد ومن النّوم باشتغال الدّماغ والتّخييل والذّكر له والفكر فيه

فَيَكُونُ جَمِيعُ مَسَاكِنِ ٱلنَّفْسِ قَدِ ٱشْتَغَلَتْ* بِهِ فَمَتَى لَمْ يَشْتَغِلْ بِهِ ١٨ وَقْتَ ٱلْفِرَاقِ لَمْ يَكُنْ عَاشِقاً فَإِذَا لَقِيَهُ خَلَتْ هٰذِهِ ٱلْمَسَاكِنُ وَلَعَمْرِي لَقَدْ أَحْسَنَ فِيمَا وَصَفَ وَٱحْتَجَّ لِمَا قَالَ فَٱنْتَصَفَ غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ حَالَ ٱلْعِشْقِ وَحْدَهُ وَتَرَكَ ذِكْرَ أَحْوَالِ مَا قَبْلَهُ وَأَحْوَالِ مَا بَعْدَهُ وَذٰلِكَ أَنَّ ٱلْأَحْوَالَ ٱلَّتِي تَتَوَلَّدُ عَنِ ٱلسَّمَاعِ وَٱلنَّظَرِ مُخْتَلِفَةٌ فِي بَابِ ٱلْعِظَمِ وَٱلصِّغَرِ وَلَهَا مَرَاتِبُ فَأَوَّلُ مَا يَتَوَلَّدُ عَنِ ٱلنَّظَرِ وَٱلسَّمَاعِ ٱلِاسْتِحْسَانُ ثُمَّ يَقْوَى فَيَصِيرُ مَوَدَّةً وَٱلْمَوَدَّةُ سَبَبُ ٱلْإِرَادَةِ فَمَنْ وَدَّ إِنْسَانًا وَدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ خِلًّا وَمَنْ وَدَّ غَرَضاً وَدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ مُلْكاً ثُمَّ تَقْوَى ٱلْمَوَدَّةُ فَتَصِيرُ مَحَبَّةً وَٱلْمَحَبَّةُ سَبَباً لِلطَّاعَةِ

وفي ذلك يقول محمود الوراق

تَعْصِي ٱلْإِلٰـهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ... هٰذَا مُحَالٌ فِي ٱلْقِيَاسِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ ... إِنَّ ٱلْمُحِبَّ لِمَنْ أَحَبَّ مُطِيعُ

ثُمَّ تَقْوَى ٱلْمَحَبَّةُ فَتَصِيرُ خُلَّةً وَٱلْخُلَّةُ بَيْنَ ٱلْآدَمِيِّيْنِ أَنْ تَكُونَ مَحَبَّةُ أَحَدِهِمَا قَدْ تَمَكَّنَتْ مِنْ صَاحِبِهِ حَتَّى أَسْقَطَتِ ٱلسَّرَائِرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فَصَارَ مُتَخَلِّلًا لِسَرَائِرِهِ وَمُطَّلِعًا عَلَى ضَمَائِرِهِ

وفي هذا النحو يقول بعض اهل هذا العصر

فَلَا تَهْجُرْ أَخَاكَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ ... فَإِنَّ ٱلْهَجْرَ مِفْتَاحُ ٱلسُّلُوِّ
إِذَا كَتَمَ ٱلْخَلِيلُ أَخَاهُ سِرًّا ... فَمَا فَضْلُ ٱلصَّدِيقِ عَلَى ٱلْعَدُوِّ

وَيُقَالُ إِنَّ ٱلْخُلَّةَ بَيْنَ ٱلْآدَمِيِّيْنِ مَأْخُوذَةٌ مِنْ تَخَلُّلِ ٱلْمَوَدَّةِ بَيْنَ ٱللَّحْمِ وَٱلْعَظْمِ وَٱخْتِلَاطِهِمَا بِٱلْمُخِّ وَٱلدَّمِ وَهٰذَا ٱلْمَعْنَى غَيْرُ مُخَالِفٍ لِلْأَوَّلِ بَلْ هُوَ أَوْضَحُ سَبَبٍ لَهُ لِأَنَّ مَنْ حَلَّ مِنَ ٱلنَّفْسِ هٰذَا ٱلْمَحَلَّ لَمْ يَسْتَبِدَّ عَنْهُ بِأَمْرٍ وَلَمْ يَسْتَظْهِرْ عَلَيْهِ بِسِرٍّ

وقد انشدنا لعبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود في هذا النحو

تَغَلْغَلَ حُبُّ عَثْمَةَ فِي فُؤَادِي فَبَادِيهِ مَعَ ٱلْخَافِي يَسِيرُ
١٩ تَغَلْغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورُ*

ثُمَّ تَقْوَى ٱلْخُلَّةُ فَتُوجِبُ ٱلْهَوَى وَٱلْهَوَى ٱسْمٌ لِٱنْحِطَاطِ ٱلْمُحِبِّ فِي مَحَابِّ ٱلْمَحْبُوبِ وَفِي ٱلتَّوَصُّلِ إِلَيْهِ بِغَيْرِ تَمَالُكٍ وَلَا تَرْتِيبٍ

انشدنا ابو العباس احمد بن يحيى

وَإِنَّ ٱمْرَءًا يَهْوِي إِلَيْكِ وَدُونَهُ مِنَ ٱلْأَرْضِ مَوْمَاةٌ وَبَيْدَاءُ خَيْفَقُ
لَمَحْقُوقَةٌ أَنْ تَسْتَجِيبِي لِصَوْتِهِ وَإِنْ تَعْلَمِي إِنَّ ٱلْمُعِينَ مُوَفَّقُ

ثُمَّ تَقْوَى ٱلْحَالُ فَيَصِيرُ عِشْقًا وَٱلْعَاشِقُ يَمْنَعُهُ مِنْ سُرْعَةِ ٱلِٱنْحِطَاطِ فِي هَوَى مَعْشُوقِهِ إِشْفَاقُهُ عَلَيْهِ وَضَنُّهُ بِهِ حَتَّى أَنَّ إِبْقَاءَهُ عَلَيْهِ لَيَدْعُوهُ إِلَى مُخَالَفَتِهِ وَتَرْكِ ٱلْإِقْبَالِ عَلَيْهِ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَتَوَهَّمُ لِهَذِهِ ٱلْعِلَّةِ أَنَّ ٱلْهَوَى أَتَمُّ مِنَ ٱلْعِشْقِ وَلَيْسَ ٱلْأَمْرُ كَذَلِكَ ثُمَّ يَزْدَادُ ٱلْعِشْقُ فَيَصِيرُ تَتْيِيمًا وَهُوَ أَنْ تَصِيرَ حَالُ ٱلْمَعْشُوقِ مُسْتَوْفِيَةً لِلْعَاشِقِ فَلَا يَكُونُ فِيهِ مَعَهَا فَضْلٌ لِغَيْرِهَا وَلَا يَزِيدُ بِقِيَاسِهِ شَيْئًا إِلَّا وَجَدَتْهُ مُتَكَامِلًا فِيهَا

وفي مثل هذا المعنى يقول ابو الشيص

وَقَفَ ٱلْهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتِ فَلَيْسَ لِي مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدَّمُ
أَجِدُ ٱلْمَلَامَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً حُبًّا لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِي ٱللُّوَّمُ
أَشْبَهْتِ أَعْدَائِي فَصِرْتُ أُحِبُّهُمْ إِذْ كَانَ حَظِّي مِنْكِ حَظِّي مِنْهُمُ
وَأَهَنْتِنِي فَأَهَنْتُ نَفْسِي جَاهِدًا مَا مَنْ يَهُونُ عَلَيْكِ مِمَّنْ أُكْرِمُ

وَلَوْ لَمْ يَقُلْ أَبُو ٱلشِّيصِ فِي عُمْرِهِ بَلْ لَوْ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِ غَيْرَ هَذِهِ ٱلْأَرْبَعَةِ ٱلْأَبْيَاتِ لَكَانُوا غَيْرَ مُقَصِّرِينَ وَإِذَا كَانَتْ كُلُّ خَوَاطِرِ ٱلْعَاشِقِ فِيمَا يَتَمَنَّاهُ وَاقِعَةً مِمَّنْ يَهْوَاهُ عَلَى ٱلْأَمْرِ ٱلَّذِي يَرْضَاهُ

فَهٰذِهِ فِي ٱلْمُشَاكَلَةِ ٱلطَّبِيعِيَّةِ ٱلَّتِي لَا يُفْنِيهَا مَرُّ ٱلزَّمَانِ وَلَا تَزُولُ إِلَّا بِزَوَالِ ٱلْإِنْسَانِ وَإِذَا صَحَّ هٰذَا ٱلْمَذْهَبُ لَمْ يُعْجَبْ مِنْ أَنْ يَمِيلَ ٱلْإِنْسَانُ إِلَى ٱلْإِنْسَانِ بِخَلَّةٍ أَوْ خَلَّتَيْنِ فَإِذَا زَالَتِ ٱلْعِلَّةُ زَالَ ٱلْهَوَى فَلَا يَزَالُ ٱلْمُرَابِطُ مُتَنَقِّلًا إِلَى أَنْ يُصَادِفَ مَنْ يَجْتَمِعُ* فِيهِ هَوَاهُ فَحِينَئِذٍ يَرْضَاهُ فَلَا يَنْعَطِفُ عَنْهُ إِلَى أَحَدٍ سِوَاهُ

ولبعض اهل هذا العصر في هذا المعنى

أَيَا زَاعِمًا أَنِّي لَهُ غَيْرُ خَالِصٍ ... وَأَنِّي مَوْقُوفٌ عَلَى كُلِّ قَانِصِ
كَمَا أَنْتَ فَٱنْظُرْ فِي وَفَائِكَ خَالِصًا ... تَرَاهُ لِمَنْ يَهْوَاكَ أَمْ غَيْرَ خَالِصِ
فَحِينَئِذٍ فَٱرْجِعْ بِمَا تَسْتَحِقُّهُ ... عَلَيَّ وَطَالِبْنِي إِذًا بِٱلنَّقَائِصِ
سَأَعْرِضُ نَفْسِي يُمْنَةً وَشَآمَةً ... عَلَى كُلِّ نَاوٍ فِي ٱلْبِلَادِ شَاخِصِ
إِلَى أَنْ أَرَى شَكْلًا يَصُونُ مَوَدَّتِي ... فَحِينَئِذٍ أَغْلُو عَلَى كُلِّ غَائِصِ
أَمِثْلِي يَخُونُ ٱلْعَهْدَ عَنْ غَيْرِ حَادِثٍ ... وَمَا بِي إِذًا رَبِّي بِحَتْفٍ مُنَافِصِ

ثُمَّ يَزْدَادُ ٱلتَّتْيِيمُ فَيَصِيرُ وَلَهًا وَٱلْوَلَهُ هُوَ ٱلْخُرُوجُ عَنْ حُدُودِ ٱلتَّرْتِيبِ وَٱلتَّعَطُّلُ عَنْ أَحْوَالِ ٱلتَّمْيِيزِ حَتَّى تَرَاهُ يَطْلُبُ مَا لَا يَرْضَاهُ وَيَتَمَنَّى مَا لَا يَهْوَاهُ ثُمَّ لَا يَحْتَذِي مَعَ ذٰلِكَ مِثَالًا وَلَا يَسْتَوْطِنُ حَالًا

وقد قال حبيب بن اوس الطائي في نحو هذا

وَلَهَتْهُ ٱلْعُلَى فَلَيْسَ يَعُدُّ ٱلْـ ... ـبُؤْسَ بُؤْسًا وَلَا ٱلنَّعِيمَ نَعِيمَا

وَٱلشَّوْقُ تَابِعٌ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هٰذِهِ ٱلْأَحْوَالِ وَٱلْمُسْتَحْسِنُ يَشْتَاقُ إِلَى مَا يَسْتَحْسِنُهُ عَلَى قَدْرِ مَحَلِّهِ مِنْ نَفْسِهِ ثُمَّ كُلَّمَا قَوِيَتِ ٱلْحَالُ قَوِيَ مَعَهَا ٱلْاشْتِيَاقُ فَٱلْحُبُّ وَمَا أَشْبَهَهُ يَتَهَيَّأُ كِتْمَانُهُ فَإِذَا بَلَغَتِ ٱلْاشْتِيَاقَ بَطَلَ ٱلْكِتْمَانُ

وفي مثل ذلك يقول يزيد بن الطثرية

أَعِيبُ ٱلَّذِي أَهْوَى وَأُطْرِي جَوَارِيًا يَرَيْنَ لَهَا فَضْلًا عَلَيْهِنَّ بَيِّنَا
بِرَغْمِي أُطِيلُ ٱلصَّدَّ عَنْهَا إِذَا بَدَتْ أُحَاذِرُ أَسْمَاعًا عَلَيْهَا وَأَعْيُنَا
فَقَدْ غَضِبَتْ أَنْ قُلْتُ أَنْ لَيْسَ حَاجَتِي إِلَيْهَا وَقَالَتْ لَمْ يُرِدْ أَنْ يُحِبَّنَا
وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا مُعْمَدًا قَانِطَ ٱلْهَوَى أُسِرُّ فَلَمَّا قَادَهُ ٱلشَّوْقُ أَعْلَنَا

٢١ أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ ٱلْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبِي خَالِيًا فَتَمَكَّنَا* •

وَلَعَمْرِي إِنَّ هٰذَا لَمِنْ نَفِيسِ ٱلْكَلَامِ غَيْرَ أَنَّ فِي ٱلْبَيْتِ ضَعْفًا وَذٰلِكَ أَنَّهُ جَعَلَ سَبَبَ تَمَكُّنِ ٱلْهَوَى مِنْ قَلْبِهِ أَنَّهُ صَادَفَهُ خَالِيًا لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ غَيْرُهُ وَلَيْسَتْ هٰذِهِ مِنْ أَحْوَالِ أَهْلِ ٱلتَّمَامِ إِذْ كُلُّ مَنْ صَادَفَ مَحَلًّا لَا يُدَافِعُ عَنْهُ لَمْ يَتَعَذَّرْ عَلَيْهِ طَرِيقُ ٱلتَّمَكُّنِ مِنْهُ

وقد قال بعض اهل هذا العصر

وَقَدْ كَانَ يَسْبِي ٱلْقَلْبَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ثَمَانُونَ بَلْ تِسْعُونَ نَفْسًا وَأَرْجَحُ
يَهِيمُ بِهٰذَا ثُمَّ يَعْشَقُ غَيْرَهُ وَيَسْلَاهُمُ مِنْ فَوْرِهِ حِينَ يُصْبِحُ
وَكَانَ فُؤَادِي صَاحِيًا قَبْلَ حُبِّكُمْ وَكَانَ بِحُبِّ ٱلْخَلْقِ يَلْهُو وَيَمْزَحُ
فَلَمَّا دَعَا قَلْبِي هَوَاكِ أَجَابَهُ فَلَسْتُ أَرَاهُ عَنْ وِدَادِكِ يَبْرَحُ
رُمِيتُ بِهَجْرٍ مِنْكِ إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا وَإِنْ كُنْتُ فِي ٱلدُّنْيَا بِغَيْرِكِ أَفْرَحُ
وَإِنْ كَانَ شَيْءٌ فِي ٱلْبِلَادِ بِأَسْرِهَا إِذَا غِبْتِ عَنْ عَيْنِي عِنْدِي يَمْلُحُ
فَإِنْ شِئْتِ وَاصِلْنِي وَإِنْ شِئْتِ لَمْ تَصِلْ فَلَسْتُ أَرَى قَلْبِي لِغَيْرِكِ يَصْلُحُ

فَٱلْمَحَبَّةُ مَا دَامَتْ لَهْوًا وَنَظَرًا فَهِيَ عَذْبَةُ ٱلْمُبْتَدَإِ سَرِيعَةُ ٱلِٱنْقِضَاءِ فَإِذَا وَقَعَتْ مُرَتَّبَةً عَلَى ٱلتَّمَامِ فِي ٱلْمُصَافَاةِ تَعَذَّرَتْ قُدْرَةُ ٱلْقَلْبِ عَلَى هَوَاهُ فَحِينَئِذٍ تَضِلُّ أَفْهَامُ ٱلْمُتَمَيِّزِينَ وَتَبْطُلُ حِيَلُ ٱلْمُتَفَلْسِفِينَ

وفي نحو ذلك يقول بعض الظرفاء

طَوَى شَجَنًا فِي ٱلصَّدْرِ فَٱلدَّمْعُ نَاشِرُهْ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَعْذِرْهُ فَٱلشَّوْقُ عَاذِرُهْ

هَوًى عَذُبَتْ مِنْهُ مَوَارِدُ بَدْئِهِ   فَلَمَّا نَمَى أَعْيَتْ عَلَيْهِ مَصَادِرُهْ

وانشدني ابو العباس احمد بن يحيي لامرأة من قيس

وَمَا كَيِّسٌ فِي ٱلنَّاسِ يُحْمَدُ رَأْيُهُ   فَيُوجَدَ إِلَّا وَهْوَ فِي ٱلْحُبِّ أَحْمَقُ
وَمَا مِنْ فَتًى مَا ذَاقَ بُؤْسَ مَعِيشَةٍ   فَيَعْشَقَ إِلَّا ذَاقَهَا حِينَ يَعْشَقُ

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير

وَرَمَى ٱلْهَوَى مِنَّا ٱلْقُلُوبَ بِأَسْهُمٍ   رَمْيَ ٱلْكُمَاةِ مَقَاتِلَ ٱلْأَعْدَاءِ* ٢٢
وَمِنَ ٱلْعَجَائِبِ قَتْلُهُ لِكِرَامِنَا   وَشِدَادِنَا بِمَكَائِدِ ٱلضُّعَفَاءِ

وقال ابو دلف

أَلْحَرْبُ تَضْحَكُ عَنْ كَرِّي وَإِقْدَامِي   وَٱلْخَيْلُ تَعْرِفُ آثَارِي وَأَقْدَامِي
سَيْفِي مُدَامِي وَرَيْحَانِي مُثَقَّفَةٌ   وَهِمَّتِي مِقَةُ ٱلتَّقْصِيمِ لِلْهَامِ
وَقَدْ تَجَرَّدَ لِي بِٱلْحُسْنِ مُنْفَرِدًا   أَمْضَى وَأَشْجَعُ مِنِّي يَوْمَ إِقْدَامِي
سَلَّتْ لَوَاحِظُهُ سَيْفَ ٱلسَّقَامِ عَلَى   جِسْمِي فَأَصْبَحَ جِسْمِي رَبْعَ أَسْقَامِ

وقال آخر

أَلَا قَاتَلَ ٱللّٰهُ ٱلْهَوَى كَيْفَ يَقْتُلُ   وَكَيْفَ بِأَكْبَادِ ٱلْمُحِبِّينَ يَفْعَلُ
فَلَا تَعْذُلَنِّي فِي هَوَايَ فَإِنَّنِي   أَرَى سَوْرَةَ ٱلْأَبْطَالِ فِي ٱلْحُبِّ تَبْطُلُ

وقال آخر

أَلْحُبُّ يَتْرُكُ مَنْ أَحَبَّ مُدَلَّهًا   حَيْرَانَ أَوْ يَقْضِي عَلَيْهِ فَيُسْرِعُ
أَلْحُبُّ أَهْوَنُهُ شَدِيدٌ فَادِحٌ   يَهِنُ ٱلْقَوِيَّ مِنَ ٱلرِّجَالِ فَيَصْرَعُ
مَنْ كَانَ ذَا حَزْمٍ وَعَزْمٍ فِي ٱلْهَوَى   وَشَجَاعَةٍ فَٱلْحُبُّ مِنْهُ أَشْجَعُ

وقال النابغة الذبياني

لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطَ رَاهِبٍ   يَدْعُو ٱلْإِلٰهَ صَرُورَةٍ مُتَعَبِّدِ
لَرَنَا لِبَهْجَتِهَا وَحُسْنِ حَدِيثِهَا   وَلَخَالَهُ رَشَدًا وَإِنْ لَمْ يَرْشُدِ

أَسعُ ٱلبِـلَادَ إذَا أَتيتُـكِ زَائِرًا   وَإِذَا هَجَرْتُكِ ضَاقَ عَنِّي مَقْعَدِي

وانشدتني اعرابية بالبادية

تَبصَّرْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى بَيْنَ وَاشِرٍ   وَبَيْنَ أُحَيْدٍ مِنْ ظَعَائِنَ كَٱلْأَثْلِ
ظَعَـائِنُ يَسْلُبْنَ ٱلْفَتَى ٱلْغِرَّ عَقْلَـهُ   وَذَا ٱلْأَهْلِ حَتَّى لَا يُبَالِيَ بِٱلْأَهْلِ

٢٣ وقال اخر*

أَرُوحُ وَلَمْ أُحْـدِثْ لِلَيْلَى زِيَارَةً   لَبِئْسَ إِذَا دَاعِي ٱلْمَوَدَّةِ وَٱلْوَصْلِ
تُرَابٌ لِأَهْلِي لَا وَلَا نِعْمَـةٌ لَهُمْ   لَشَدَّ إِذَنْ مَا قَـدْ تَعَبَّـدَنِي أَهْلِي

وقال ماني

مُـكْتَئِبٌ ذُو كَبِـدٍ حَرَّى   تَبْكِي عَلَيْـهِ مُقْلَـةٌ عَبْرَى
يَرْفَعُ يُمْنَـاهُ إِلَى رَبِّـهِ   يَـدْعُو وَفَوْقَ ٱلْـكَبِدِ ٱلْيُسْرَى
يَبْقَى إِذَا كَلَّمْتَـهُ بَاهِتـاً   وَنَفْسُهُ مِمَّـا بِـهِ سَكْرَى
تَحْسَبُـهُ مُسْتَمِعـا نَاصِتـاً   وَقَلْبُـهُ فِي أُمَّـةٍ أُخْرَى

وقال غيره وهو مجنون بني عامر

وَشُغِلْتُ عَنْ فَهْمِ ٱلْحَدِيثِ سِوَى   مَا كَانَ فِيـكِ وَحُبُّـكُمْ شُغْلِي
وَأُدِيمُ نَحْوَ مُحَـدِّثِي نَظَرِي   أَنْ قَـدْ فَهِمْتُ وَعِنْـدَكُمْ عَقْلِي

وقال آخر

مَنْ كَانَ لَمْ يَدْرِ مَا حُبٌّ وَصَفْتُ لَهُ   إِنْ كَانَ فِي غَفْلَةٍ أَوْ كَانَ لَمْ يَجِدِ
أَلْحُبُّ أَوَّلُـهُ رَوْعٌ وَآخِرُهُ   مِثْلُ ٱلْحَرَارَةِ بَيْنَ ٱلْقَلْبِ وَٱلْكَبِدِ

وقال الحسين بن مطير الاسدي وهو من جيد ما قيل في معناه

قَضَى ٱللهُ يَا أَسْمَاءُ أَنْ لَسْتُ زَائِلًا   أُحِبُّكِ حَتَّى يُغْمِضَ ٱلْعَيْنَ مُغْمِضُ
فَحُبُّـكِ بَلْوَى غَيْرَ أَنْ لَا يَسُرُّنِي   وَإِنْ كَانَ بَلْوَى أَنَّنِي لَكِ مُبْغِضُ
إِذَا مَا صَرَفْتُ ٱلْقَلْبَ فِي حُبِّ غَيْرِهَا   إِذَا حُبُّهَـا مِنْ دُونِـهِ يَتَعَرَّضُ

فَيَا لَيْتَنِي أُقْرِضْتُ جَلْـدًا صَبَابَتِي وَأَقْرَضَنِي صَبْرًا عَلَى ٱلشَّوْقِ مُقْرِضُ

أَمَّا قَوْلُهُ فَحُبُّكِ بَلْوَى فَكَلَامٌ قَبِيحُ ٱلْمَعْنَى وَذٰلِكَ أَنَّهُ إِنْ كَانَ صَادِقًا فِي هَوَاهَا مُخْتَارًا لَهَا عَلَى مَا سِوَاهَا فَقَدْ أَتَى عَلَى نَفْسِهِ إِذْ جَعَلَ ٱخْتِيَارَهُ مُضِرًّا بِقَلْبِهِ وَإِنْ كَانَ لَمْ يَدْخُلْ فِي ٱلْهَوَى مُخْتَارًا وَإِنَّمَا وَقَعَ بِهِ ٱضْطِرَارًا* ٢٤ فَقَدْ أَخْطَأَ إِذْ سَمَّى مَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي طَبْعِهِ مُفَارِقٌ لِنَفْسِهِ بِٱسْمِ ٱلْبَلْوَى ٱلَّتِي تَعْرِضُ لَهُ وَتَنْصَرِفُ عَنْهُ وَأَمَّا إِخْبَارُهُ بِأَنَّـهُ لَا يُسَرُّ بِأَنْ يَكُونَ مُبْغِضًا لَهَا فَكَلَامٌ لَوْ سَكَتَ عَنْهُ كَانَ أَوْلَى أَوْ أَنْ يَكُفَّهُ أَنَّهُ مُبْتَلًى عِنْـدَ نَفْسِهِ بِهَوَاهَا حَتَّى يُرِيدَ مَعَ ذٰلِكَ أَنْ يَكُونَ مُبْغِضًا مَائِلًا إِلَى سِوَاهَا غَيْرَ أَنِّي أَرْجِعُ إِلَى مَنْ مَلَـكَهُ ٱلْإِشْفَاقُ وَغَلَبَ عَلَى قَلْبِهِ ٱلِاشْتِيَـاقُ عُذْرًا بِأَنْ يُظْهِرَ مَا يُضْمِرُ سِوَاهُ وَيَتَمَنَّى لِنَفْسِهِ غَيْرَ مَا يَهْوَاهُ أَلَمْ يَسْمَعْ ٱلَّذِي يَقُولُ

مِنْ حُبِّهَـا أَتَمَنَّى أَنْ يُـلَاقِيَنِي مِنْ نَحْوِ بَلْدَتِهَـا نَاعٍ فَيَنْعَاهَـا
كَيْمَا أَقُولَ فِرَاقٌ لَا ٱلْتِقَاءَ لَـهُ وَتُضْمِرَ ٱلنَّفْسُ يَأْسًا ثُمَّ تَسْلَاهَـا

وَهٰذَا لَعَمْرِي سَرَفٌ شَدِيدٌ وَطَرِيقُ ٱلِاعْتِذَارِ لِقَائِلِهِ بَعِيدٌ وَأَقْرَبُ مِنْهُ

قول ابي الوليد بن عبيد الطائي

مُقِيمٌ بِأَكْنَـافِ ٱلْمُصَلَّى تَصِيـدُنِي لِأَهْلِ ٱلْمُصَلَّى ظَبْيَةٌ لَا أَصِيدُهَا
أُرِيدُ لِنَفْسِي غَيْرَهَا حِينَ لَا أَرَى مُقَارَبَةً مِنْهَـا وَنَفْسِي تُرِيـدُهَا

وَهٰذَا ٱلْـكَلَامُ أَيْضًا حَسَنُ ٱلظَّـاهِرِ قَبِيحُ ٱلْبَـاطِنِ وَذٰلِكَ أَنَّهُ يُعَبِّرُ عَنْ صَاحِبَتِهِ أَنَّهُ إِنَّمَا يُرِيدُهَا مَا دَامَتْ تُوَاصِلُهُ فَإِذَا هَجَرَتْهُ ٱنْصَرَفَ عَنْهَا قَلْبُهُ إِلَّا أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ مُقَصِّرًا فِي هٰذَا ٱلْبَيْتِ فَمَا قَصَّرَ فِي قَوْلِهِ

يَهْوَاكَ لَا أَنَّ ٱلْغَرَامَ أَطَاعَـهُ حَتْمًا وَلَا أَنَّ ٱلسُّلُوَّ عَصَـاهُ
مُتَخَيِّرٌ أَلِفَـاكَ خِيـرَةَ نَفْسِهِ مِمَّنْ نَـآهُ ٱلْوِدُّ أَوْ أَدْنَاهُ

وهذا ضد قول ابي علي البصير

لَوْ تَخَيَّرْتُ مَا عَشِقْتُ وَلَوْ مُلِّ كْتُ أَمْرِي عَرَفْتُ وَجْهَ ٱلصَّوَابِ

واقبح من هذا القول الذي يقول

إِنَّ ٱلَّذِي بِعَذَابِي ظَلَّ مُفْتَخِرًا هَلْ كُنْتَ إِلَّا مَلِيكًا جَارَ إِذْ قَدِرَا*
لَوْلَا ٱلْهَوَى لَتَجَارَيْنَا عَلَى قَدَرٍ وَإِنْ أُفِقْ لَكَ يَوْمًا مَا فَسَوْفَ تَرَى •

هَذَا يَتَوَعَّدُ مَحْبُوبَهُ بِٱلْعِقَابِ وَهُوَ أَسِيرٌ فِي يَدِهِ يَجْرِي عَلَيْهِ حُكْمُهُ وَيَنْفُذُ فِيهِ فَكَيْفَ لَوْ قَدْ مَلَكَ نَفْسَهُ وَقَدِرَ عَلَى ٱلْإِنْصَافِ مِنْ خَصْمِهِ هَذِهِ حَالٌ لَا يُخْبِرُ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ إِلَّا مَنْ قَدْ غُلِبَ عَلَى عَقْلِهِ أَوْ تَحَيَّرَ فِي أَمْرِهِ وَقَدْ قَالَ جَمِيلٌ فِي قَرِيبٍ مِنْ هَذَا ٱلْمَعْنَى قَوْلًا مَلِيحًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْنَاهُ عِنْدَنَا صَحِيحًا وَهُوَ

فَيَا رَبِّ حَبِّبْنِي إِلَيْهَا وَأَعْطِنِي ٱلْـ مَوَدَّةَ مِنْهَا أَنْتَ تُعْطِي وَتَمْنَعُ
وَإِلَّا فَصَبِّرْنِي وَإِنْ كُنْتُ كَارِهًا فَإِنِّي بِهَا يَا ذَا ٱلْمَعَارِجِ مُولَعُ

وللمجنون ما هو اقبح منه

فَيَا رَبِّ سَوِّ ٱلْحُبَّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا كَفَافًا فَلَا يَرْجَحْ لِلَيْلَى وَلَا لِيَا
وَإِلَّا فَبَغِّضْهَا إِلَيَّ وَأَهْلَهَا تَكُنْ نِعْمَةً ذَا ٱلْعَرْشِ أَهْدَيْتَهَا لِيَا

وانشدني ابو العباس محمد بن يزيد النحوي ليزيد بن الطثرية في ضد هذا المعنى

يَقُولُونَ صَبْرًا يَا يَزِيدُ إِذَا نَأَتْ وَيَا رَبِّ لَا تَرْزُقْ عَلَى حُبِّهَا صَبْرَا

فَهَذَا يَخْتَارُ لِنَفْسِهِ ٱلْبَلَاءَ ضَنًّا بِمَحَلِّهَا مِنَ ٱلْهَوَى وَلَعَمْرِي إِنَّ هَذِهِ لَحَالٌ وَكِيدَةٌ وَإِنَّهَا لَوْ فَارَقَتْهُ حَتَّى يَرَى نَفْسَهُ بِعَيْنِ ٱلْحُرِّيَّةِ مِنْ مُلْكِهَا لَانْتَقَلَ عَنْ رَأْيِهِ وَنَدِمَ عَلَى وَفَائِهِ وَقَدْ حَدَّثَتْنِي مَرْيَمُ ٱلْأَسَدِيَّةُ قَالَتْ سَمِعْتُ ٱمْرَأَةً عُقَيْلِيَّةً تَقُولُ وَهِيَ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا تَسِيرُ

سُقِينَا سَلْوَةً فَسَلَا كِلَانَا أَرَاكَ ٱللهُ نِعْمَةَ مَنْ سَقَانَا

قَالَتْ مَرْيَمُ فَسَأَلْتُهَا عَنْ خَبَالِهَا فَقَالَتْ كُنْتُ أَهْوَى ٱبْنَ عَمٍّ لِي فَفَطِنَ بِي بَعْضُ أَهْلِي فَسَقَوْنِي وَإِيَّاهُ شَيْئاً فَسَلَا كُلٌّ وَاحِدٍ مِنَّا عَنْ صَاحِبِهِ وَهٰذِهِ حَالٌ قَلَّ مَا يَقَعُ مِثْلُهَا وَهِيَ أَلْطَفُ مَحَلًّا مِنْ كُلِّ مَا ذَكَرْنَاهُ وَمَا نَذْكُرُهُ بَعْدَهَا* لِأَنَّا إِنَّمَا نَصِفُ مَنْ آثَرَ ٱلْمُقَامَ مَعَ مَنْ يَهْوَاهُ عَلَى ٱلسُّلُوِّ ٢٦
عَنْهُ وَٱلرَّاحَةِ مِنْ أَذَاهُ وَهُوَ بَعْدُ مُقِيمٌ فِي هَوَاهُ وَصَاحِبَةُ هٰذَا ٱلْبَيْتِ قَدْ سَلَتْ عَنْ مَحْبُوبِهَا وَإِنَّمَا تَأَسَّى عَلَى ٱلْعِشْقِ لَا عَلَى ٱلْمَعْشُوقِ وَفِي مِثْلِ هٰذَا ٱلْمَعْنَى يَقُولُ بَعْضُ ٱلْهُذَلِيِّينَ

إِذَا مَا سَأَلْتُكَ وَعْداً تُرِيحُ ... بِهِ مُهْجَتِي فَأَنَا ٱلْمُسْتَرِيحُ
فَلَا تُعْطِنِي ٱلْوَعْدَ خَوْفَ ٱلسُّلُوِّ ... فَإِنِّي عَلَى حَسَرَاتِي شَحِيحُ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ ٱلصَّبْرِ عَنْكَ ... فُؤَادٌ قَرِيحٌ وَقَلْبٌ جَرِيحُ

ولقد احسن الوليد بن عبيد حيث يقول

وَيُعْجِبُنِي فَقْرِي إِلَيْكَ وَلَمْ يَكُنْ ... لِيُعْجِبَنِي لَوْلَا مَحَبَّتُكَ ٱلْفَقْرُ
وَمَا لِيَ عُذْرٌ فِي جُحُودِكَ نِعْمَةً ... وَلَوْ كَانَ لِي عُذْرٌ لَمَا حَسُنَ ٱلْعُذْرُ

واحسن الذي يقول

وَمَا سَرَّنِي أَنِّي خَلِيٌّ مِنَ ٱلْهَوَى ... عَلَى أَنَّ لِي مَا بَيْنَ شَرْقٍ إِلَى غَرْبِ
فَإِنْ كَانَ هٰذَا ٱلْحُبُّ ذَنْبِي إِلَيْكُمُ ... فَلَا غَفَرَ ٱلرَّحْمٰنُ ذٰلِكَ مِنْ ذَنْبِ

واحسن ايضاً الذي يقول

أَحَبَّتْ قَلْبِي لَمَّا أَحَبَّكُمُ ... وَصَارَ رَأْيِي لِرَأْيِهِ تَبَعَا
وَرُبَّ قَلْبٍ يَقُولُ صَاحِبُهُ ... تَعْساً لِقَلْبِي فَبِئْسَ مَا صَنَعَا

وانشدني احمد بن يحيى عن الزبير بن بكار لجميل بن معمر

خَلِيلَيَّ فِيمَا عِشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا ... قَتِيلاً بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي
فَلَوْ تَرَكَتْ عَقْلِي مَعِي مَا تَبِعْتُهَا ... وَلٰكِنْ طِلَابِيهَا لِمَا فَاتَ مِنْ عَقْلِي

وَهَذَا ٱلْمَعْنَى ٱلَّذِي فِي ٱلْبَيْتِ ٱلثَّانِي دَاخِلٌ فِيمَا عَيَّنَّاهُ مِنْ أَنَّ مَنْ أَقْبَلَ عَلَى مَنْ يَهْوَاهُ مَا دَامَ مُفْتَقِرًا إِلَيْهِ فَلَيْسَتْ لَهُ فِي ذٰلِكَ مِنَّةٌ عَلَيْهِ

وَحَدَّثَنِي أَبُو ٱلْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ٱلنَّحْوِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ ٱلْقَرَوِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَخِي عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى * قَالَ أَخْبَرَنِي بَعْضُ ٢٧
أَصْحَابِنَا أَنَّ ٱلْمَجْنُونَ لَمَّا تَغَوَّلَ كَانَ لَا يُؤْخَذُ مِنْهُ ٱلشِّعْرُ إِلَّا أَنْ يَجْلِسَ ٱلرَّجُلُ قَرِيبًا مِنْهُ فَيُنْشِدَ ٱلنَّسِيبَ فَيَرْتَاحُ إِلَيْهِ فَإِذَا سَمِعَ ذٰلِكَ أَنْشَدَ قَالَ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ رَجُلٌ فَأَنْشَدَهُ بَيْتًا مِنَ ٱلنَّسِيبِ فَقَالَ مَا أَحْسَنَ هَذَا ثُمَّ أَنْشَدَهُ

عَجِبْتُ لِذَاكَ عُرْوَةَ كَيْفَ أَضْحَى ‏ أَحَادِيثًا لِقَوْمٍ بَعْدَ قَوْمِ
وَعُرْوَةُ مَاتَ مَوْتًا مُسْتَرِيحًا ‏ وَهَا أَنَذَا أَمُوتُ كُلَّ يَوْمِ

وانشدني بعض الادباء للمجنون ايضاً

أَرَانِي إِذَا صَلَّيْتُ يَمَّمْتُ نَحْوَهَا ‏ أَمَامِي وَإِنْ كَانَ ٱلْمُصَلَّى وَرَائِيَا
وَمَا بِيَ إِشْرَاكٌ وَلٰكِنَّ حُبَّهَا ‏ مَكَانَ ٱلشَّجِى أَعْيَا ٱلطَّبِيبَ ٱلْمُدَاوِيَا
أُصَلِّي فَمَا أَدْرِي إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا ‏ أَثِنْتَيْنِ صَلَّيْتُ ٱلضُّحَى أَمْ ثَمَانِيَا
وَمَا جِئْتُهَا أَبْغِي شِفَائِي بِنَظْرَةٍ ‏ فَأَبْصَرْتُهَا إِلَّا ٱنْصَرَفْتُ بِدَائِيَا

وانشدني بعض الكتّاب لنفسه

وَلِي فُؤَادٌ إِذَا طَالَ ٱلسَّقَامُ بِهِ ‏ هَامَ ٱشْتِيَاقًا إِلَى لُقْيَا مُعَذِّبِهِ
يَفْدِيكَ بِٱلنَّفْسِ صَبٌّ لَوْ يَكُونُ لَهُ ‏ أَعَزُّ مِنْ نَفْسِهِ شَيْءٌ فَدَاكَ بِهِ

الباب الثالث

مَنْ تَدَاوَى بِدَائِهِ لَمْ يَصِلْ إِلَى شِفَائِهِ

قَدْ ذَكَرْنَا فِي صَدْرِ هَذَا ٱلْكِتَابِ أَنَّ أَصْلَ ٱلْهَوَى يَتَوَلَّدُ مِنَ ٱلنَّظَرِ وَٱلسَّمَاعِ ثُمَّ يَنْمِي حَالًا بَعْدَ حَالٍ فَإِذَا كَانَ ٱلنَّظَرُ ٱلصَّاحِي إِلَى ٱلصُّورَةِ ٱلَّتِي يَسْتَحْسِنُهَا طَرْفُهُ مُؤَكِّدًا لِلْمَنْظُورِ إِلَيْهِ ٱلْمَحَبَّةَ فِي قَلْبِهِ كَانَ نَظَرُ ٱلْمُحِبِّ بَعْدَ تَمَكُّنِ ٱلْمَحَبَّةِ لَهُ أَحْرَى أَنْ يَغْلِبَهُ عَلَى لُبِّهِ وَيَزِيدَهُ كَرْبًا ٢٨
عَلَى كَرْبِهِ أَلَا تَرَى أَنَّ مَنْ حُمَّ يَوْمَيْنِ مُتَوَالِيَيْنِ كَانَ أَلَمُهُ* فِي ٱلثَّانِي مِنَ ٱلْيَوْمَيْنِ إِذَا تَسَاوَى مِقْدَارُ ٱلْحُمَّيَيْنِ أَصْعَبَ إِلَيْهِ فِي أَوَّلِ ٱلْيَوْمَيْنِ

وفي مثل ذلك يقول حبيب بن اوس الطائي

بَعَثْنَ ٱلْهَوَى فِي قَلْبِ مَنْ لَيْسَ هَائِمًا ... فَقُلْ فِي فُؤَادٍ رُعْنَهُ وَهْوَ هَائِمُ

وقال غيلان بن عقبة في نحو ذلك

خَلِيلَيَّ لَمَّا خِفْتُ أَنْ تَسْتَفِزَّنِي ... أَحَادِيثُ نَفْسِي بِٱلْهَوَى وَٱهْتِمَامُهَا
تَدَاوَيْتُ مِنْ مَيٍّ بِتَكْلِيمَةٍ لَهَا ... فَمَا زَادَ إِلَّا ضِعْفَ شَوْقِي كَلَامُهَا

وقال ايضاً

وَكُنْتُ أَرَى مِنْ وَجْهِ مَيَّةَ لَمْحَةً ... فَأَبْرَقُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ مَكَانِيَا
وَأَسْمَعُ مِنْهَا لَفْظَةً فَكَأَنَّمَا ... يُصِيبُ بِهَا سَهْمٌ طَرِيقَ فُؤَادِيَا
تُطِيلِينَ لَيَّانِي وَأَنْتِ مَلِيَّةٌ ... وَأُحْسِنُ يَا ذَاتَ ٱلْوِشَاحِ ٱلتَّقَاضِيَا
هِيَ ٱلسِّحْرُ إِلَّا أَنَّ لِلسِّحْرِ رُقْيَةً ... وَأَنِّيَ لَا أَلْقَى مِنَ ٱلْحُبِّ رَاقِيَا

وقال ايضاً

تَحِنُّ إِلَى مَيٍّ وَقَدْ شَطَّتِ ٱلنَّوَى وَمَا كُلُّ هَـذَا ٱلْحُبِّ غَيْرُ غَرَامِ
لَيَالِيَ مَيٍّ مَوْتَـةٌ ثُمَّ نَشْرَةٌ لِمَا ٱلْمَحَتْ مِنْ نَظْرَةٍ وَكَـلَامِ

وقال آخر

يَقُولُونَ لَيْلَى بِٱلْعِرَاقِ مَرِيضَـةٌ فَأَقْبَلْتُ مِنْ مِصْرٍ إِلَيْهَا أَعُودُهَـا •
فَوَٱللهِ مَا أَدْرِي إِذَا أَنَا جِئْتُهَـا أَأُبْرِئُهَا مِنْ دَائِهَـا أَمْ أَزِيدُهَـا

ولقد احسن الطائي حيث يقول

أَمْتَعْتُ طَرْفِي يَوْمَ ذَاكَ بِنَظْرَةٍ لَا تُمْتِعُ ٱلْأَرْوَاحَ بِٱلْأَجْسَادِ

وانشدني ابو طاهر الدمشقي

٢٩ دَوَائِي مَكْرُوهِي وَدَائِي مَحَبَّتِي فَقَدْ عِيلَ صَبْرِي كَيْفَ بِي أَتَقَلَّبُ *
فَـلَا كَمَدٌ يَبْلَى وَلَا لَكِ رَحْمَةٌ وَلَا عَنْكِ إِقْصَارٌ وَلَا عَنْكِ مَذْهَبُ

وقال علي بن محمد العلوي

كَمْ نَـظْرَةٍ مِنْهَـا شَجِيتُ لَهَا قَـامَتْ مَقَـامَ ٱلْفَقْـدِ لِلنَّظَرِ
وَلَّى بِأَوْطَـارِي وَلَسْتُ أَرَى عَيْشاً يَهَشُّ لَـهُ بِـلَا وَطَرِ

وانشدنا احمد بن ابي طاهر

نَازَعَنِي مِنْ طَرْفِـهِ ٱلْوَحْيَـا وَهَمَّ أَنْ يَنْطِقَ فَٱسْتَحْيَـا
جَرَّدَ لِي سَيْفَيْنِ مِنْ لَحْظِـهِ أَمَاتَ عَنْ ذَا وَبِـذَا أَحْيَى

وقال الحسين بن الضحاك المعروف بالخليع

وَأَتَانِي مُفْحِمٌ بِغُرَّتِـهِ قُلْتُ لَهُ إِذْ خَلَوْتُ مُحْتَشِماً
تُحِبُّ بِٱللهِ مَنْ يَخُصُّكَ بِٱلْحُبِّ فَمَا قَـالَ لَا وَلَا نَعَمَـا
ثُمَّ تَوَلَّى بِمُقْلَتَيْ خَجِـلٍ أَرَادَ رَدَّ ٱلْجَوَابِ فَـٱحْتَشَمَا
فَكُنْتُ كَـٱلْمُبْتَغِي بِحِيلَتِـهِ بُرْءاً[١٢] مِنَ ٱلسُّقْمِ فَـٱبْتَدَا سَقَمَـا

وقال آخر

تَأَمَّلتُهَا مُغتَرَّةً فَكَأَنَّمَا رَأَيتُ بِهَا مِن سُنَّةِ ٱلبَدرِ مَطلَعَا
إِذَا مَا مَلَأتُ ٱلعَينَ مِنهَا مَلَأتُهَا مِنَ ٱلدَّمعِ حَتَّى أَنزِفَ ٱلدَّمعَ أَجمَعَا

وقال آخر

تَمَنَّيتُ مَن أَهوَى فَلَمَّا لَقِيتُهُ بُهِتُّ فَلَم أُعمِل لِسَانًا وَلَا طَرفَا
فَأَغضَيتُ إِجلَالًا لَهُ وَمَهَابَةً وَحَاوَلتُ أَن يَخفَى ٱلَّذِي بِي فَلَم يَخفَى

وانشدني احمد بن ابي طاهر لعلي بن الجهم لنفسه

وَلَمَّا بَدَت بَينَ ٱلوُشَاةِ كَأَنَّهَا عِنَاقُ وَدَاعٍ يُشتَهَى وَهوَ يَقتُلُ
أَيِستُ مِنَ ٱلدُّنيَا فَقُلتُ لِصَاحِبِي لَئِن عَجِلَت لِلمَوتِ أَوحَى وَأَعجَلُ * ٣٠

وقال آخر

أَيُّهَا ٱلنَّاعِسُونَ حَولِي هَنِيئًا هٰكَذَا كُنتُ حِينَ كُنتُ خَلِيًّا
مَن رَآنِي فَلَا يُدِيمَنَّ لَحظًا وَلْيَكُن مِن جَلِيسِهِ سَامِرِيًّا

وقال مسلم بن الوليد

أَدِيرَا عَلَيَّ ٱلكَأسَ لَا تَشرَبَا قَبلِي وَلَا تَطلُبَا مِن عِندِ قَاتِلَتِي ذَحلِي
فَمَا حَزَنِي أَنِّي أَمُوتُ صَبَابَةً وَلٰكِن عَلَى مَن لَا يَحِلُّ لَهَا قَتلِي
أُحِبُّ ٱلَّتِي صَدَّت وَقَالَت لِتِربِهَا دَعِيهِ ٱلثُّرَيَّا مِنهُ أَقرَبُ مِن وَصلِي
أَمَاتَت وَأَحيَت مُهجَتِي فَهيَ عِندَهَا مُعَلَّقَةٌ بَينَ ٱلمَوَاعِيدِ وَٱلمَطلِ
وَمَا نِلتُ مِنهَا طَائِلًا غَيرَ أَنَّنِي بِشَجوِ ٱلمُحِبِّينَ ٱلأُولَى سَلَفُوا قَبلِي
بَلَى رُبَّمَا وَكَّلتُ عَينِي بِنَظرَةٍ إِلَيهَا تَزِيدُ ٱلقَلبَ خَبلًا عَلَى خَبلِ

وقال ايضاً

عَرَفتُ بِهَا ٱلأَشجَانَ وَهيَ خَلِيَّةٌ مِنَ ٱلحُبِّ لَا وَصلٌ لَدَيهَا وَلَا هَجرُ
أَرَاهَا فَأَطوِي لِلنَّصِيحِ عَدَاوَةً وَأَحمَدُ عُقبَى مَا جَنَى ٱلنَّظَرُ ٱلشَّزرُ

فَلا سِيَّمَا ٱلمُذَّالَ فِيهَا مَلامُهُمْ   أَلَسْتُ إِذَا لَامُوا أَبِيتُ وَلِي عُذْرُ
شَكَوْتُ فَقَالُوا ضِقْتَ ذَرْعًا بِحُبِّهَا   مَتَى تُمْلَكُ ٱلشَّكْوَى إِذَا غُلِبَ ٱلصَّبْرُ
أَلَمَّتْ بِنَا فِي ٱلعَائِدَاتِ مِنَ أَهْلِهَا   فَأَذْكَتْ غَلِيلًا مَا لَدَيْهَا بِهِ خُبْرُ

ولبعض اهل هذا العصر

إِذَا كَانَ ٱللِّقَاءُ يَزِيدُ شَوْقاً   وَكَانَ فِرَاقُ مَنْ أَهْوَى يَشُوقُ
فَلَيْسَ إِلَى ٱلسُّلُوِّ وَإِنْ تَمَادَى   عِتَابُكَ فِي ٱلْهَوَى أَبَدًا طَرِيقُ
وَمَنْ يَكُ ذَا سَقَامٍ إِنْ تَدَاوَى   تَزَايَدَ سُقْمُهُ فَمَتَى يُفِيقُ

٣١ وله ايضاً*

إِذَا زَارَ ٱلْحَبِيبُ أَثَارَ شَوْقاً   تَفَتَّتْ مِنْ حَرَارَتِهِ ٱلعِظَامُ
وَرَوَّانِي بِعَيْنَيْهِ مُدَاماً   تَدِينُ بِسُكْرِ شَارِبِهَا ٱلْمُدَامُ
فَوَصْلٌ يُكْسِبُ ٱلْمُشْتَاقَ سُقْماً   وَنَأْيٌ لَا يَقُومُ لَهُ قِوَامُ
فَهَلْ يَصِلُ ٱلسَّقِيمُ إِلَى شِفَاءٍ   إِذَا كَانَ ٱلدَّوَاءُ هُوَ ٱلسَّقَامُ

وله ايضاً

أَغْرَيْتَنِي بِحَيَاتِي إِذْ غَرِيتَ بِهَا   فَصَارَ طُولُ بَقَائِي بَعْضَ أَعْدَائِي
فَكَيْفَ يُنْعَشُ مَنْ أَرْدَاهُ نَاعِشُهُ   وَمَنْ يَرَى جِسْمَهُ رَأْيَ ٱلْأَطِبَّاءِ
أَمْ كَيْفَ يَبْرَأُ قَلْبِي مِنْ صَبَابَتِهِ   بِطِبِّكُمْ وَدَوَائِي عِنْدَكُمْ دَائِي

وله ايضاً

مَتَى يَا شِفَاءَ ٱلسُّقْمِ سُقْمِيَ مُنْقَضٍ   إِذَا مَا دَوَاءٌ كَانَ لِلدَّاءِ مُمْرِضِي
فَهَيْهَاتَ مَا هَذَا عَلَى ذَا يُقْلِعُ   أَجَلْ لَا وَلَكِنْ مُدَّةُ ٱلْعُمْرِ تَنْقَضِي

وقال آخر

وَمُخْتَلِسٍ بِٱللَّحْظِ مَا لَا يَنَالُهُ   قَرِيبٍ بِحَالِ ٱلنَّازِحِ ٱلْمُتَبَاعِدِ
وَفِي نَظَرِ ٱلصَّادِي إِلَى ٱلْمَاءِ حَسْرَةٌ   إِذَا كَانَ مَمْنُوعاً سَبِيلَ ٱلْمَوَارِدِ

وقال آخر

خَلِيلَيَّ أَضْحَتْ حَاجَةٌ لِأَخِيكُمَا … بِتُوضِحَ وَٱلْحَاجَاتُ يُرْجَى بَعِيدُهَا
فَكَيْفَ طِلَابِي حَاجَةً لَا يَنَالُهَا … بَرِيدِي وَلَا يَجْرِي إِلَيَّ بَرِيدُهَا
فَهَلْ يَنْفَعُ ٱلْحَرَّانَةَ ٱلْكَبْدِ أَنْ تَرَى … حِيَاضَ ٱلْقِرَى مِنْ دُونِهَا مَنْ يَذُودُهَا
• وَهَلْ يَنْفَعُ ٱلْعَيْنَ ٱلشَّقِيَّةَ بِٱلْبُكَا … ذُرَى طَامِسِ ٱلْأَعْلَامِ لَا بَلْ يَزِيدُهَا

وقال مجنون بني عامر

تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلَى بِلَيْلَى مِنَ ٱلْهَوَى … كَمَا يَتَدَاوَى شَارِبُ ٱلْخَمْرِ بِٱلْخَمْرِ * ٣٢
أَلَا زَعَمَتْ لَيْلَى بِأَنْ لَا أُحِبُّهَا … بَلَى وَٱللَّيَالِي ٱلْعَشْرِ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ
إِذَا ذُكِرَتْ يَرْتَاحُ قَلْبِي لِذِكْرِهَا … كَمَا ٱنْتَفَضَ ٱلْعُصْفُورُ مِنْ بَلَلِ ٱلْقَطْرِ

وقال البحتري

سَقَى ٱللّٰهُ أَخْلَاقاً مِنَ ٱلدَّهْرِ رَطْبَةً … سَقَتْنَا ٱلْجَوَى إِذْ أَبْرَقُ ٱلْحَزْنِ أَبْرَقُ
لَيَالٍ سَرَقْنَاهَا مِنَ ٱللَّهْوِ بَعْدَمَا … أَضَاءَ بِإِصْبَاحٍ مِنَ ٱلشَّيْبِ مَفْرِقُ
تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلَى بِلَيْلَى فَمَا ٱشْتَفَى … بِمَاءِ ٱلرُّبَى مَنْ بَاتَ بِٱلْمَاءِ يَشْرَقُ

وقال جميل

فَيَا حُسْنَهَا إِذْ يَغْسِلُ ٱلدَّمْعُ كُحْلَهَا … وَإِذْ هِيَ تُذْرِي ٱلدَّمْعَ مِنْهَا ٱلْأَنَامِلُ
عَشِيَّةَ قَالَتْ فِي ٱلْعِتَابِ قَتَلْتَنِي … وَقَتْلِي بِمَا قَالَتْ هُنَاكَ تُحَاوِلُ
فَقُلْتُ لَهَا جُودِي فَقَالَتْ مُجِيبَةً … أَلَلْجِدُّ هٰذَا مِنْكَ أَمْ أَنْتَ هَازِلُ
لَقَدْ جَعَلَ ٱللَّيْلُ ٱلْقَصِيرُ لَنَا بِكُمْ … عَلَيَّ لِرَوْعَاتِ ٱلْهَوَى يَتَطَاوَلُ

والاصل في هذا كله هو لامرىء القيس

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إِلَّا لِتَضْرِبِي … بِسَهْمَيْكِ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ

وقال بشار بن برد

مَرِيضَةُ مَا بَيْنَ ٱلْجَوَانِحِ بِٱلضَّنَى … وَفِيهَا دَوَاءٌ لِلْعُيُونِ وَدَاءُ

عِتَابُ ٱلْفَتَى فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ   وَتَقْوِيمُ أَضْغَانِ ٱلنِّسَاءِ عَنَاءُ

وقال عبيد بني حسحاس

تَجَمَّعْنَ مِنْ شَتَّى ثَلَاثًا وَأَرْبَعًا   وَوَاحِدَةً حَتَّى كَمُلْنَ ثَمَانِيَا
يَعُدْنَ مَرِيضاً هُنَّ هَيَّجْنَ دَاءَهُ   أَلَا إِنَّمَا بَعْضُ ٱلْعَوَائِدِ دَائِيَا

وقال آخر

٣٣ كَمَا تَيَقَّنْتَ أَنَّ ٱلْحَيَّ قَدْ رَقَدُوا   خُطَاكَ فَوْقَ رِقَابِ ٱلنَّاسِ مَا تَجِدُ*
فَلَا بَلَغْتَ ٱلَّذِي تَشْفِي ٱلْغَلِيلَ بِهِ   وَلَا ظَفِرْتَ وَلَا نَالَتْ يَدَيْكَ يَدُ

وقال آخر

إِنَّ ٱلَّذِينَ بِخَيْرٍ كُنْتَ تَذْكُرُهُمْ   هُمْ أَهْلَكُوكَ وَعَنْهُمْ كُنْتُ أَنْهَاكَا
لَا تَطْلُبَنَّ حَيَاةً عِنْدَ غَيْرِهِمِ   فَلَيْسَ يُحْيِيكَ إِلَّا مَنْ تَوَفَّاكَا

فَهَذَا ٱلْبَائِسُ مَعَ مَنْ قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ مَعَ نُظَرَائِهِ قَدْ صَبَرَ عَلَى مَضَاضَةِ دَائِهِ مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّهُ زَائِدٌ فِي دَائِهِ وَلَمْ يَرَ أَنْ يَنْعَطِفَ إِلَى سِوَاهُ وَلَا طَلَبَ ٱلرَّاحَةَ إِلَّا مِنْ عِنْدِ مَنِ ٱبْتَلَاهُ وَهَذَا ضِدُّ ٱلَّذِي يَقُولُ

وَلَمَّا أَبَى إِلَّا جِمَاحاً فُؤَادُهُ   وَلَمْ يَسْلُ عَنْ لَيْلَى بِمَالٍ وَلَا أَهْلِ
تَسَلَّى بِأُخْرَى غَيْرِهَا فَإِذَا ٱلَّتِي   تَسَلَّى بِهَا تُغْرِي بِلَيْلَى وَلَا تُسْلِي

وضد الذي يقول

تَسَلَّيْتُ عَنْ ذِكْرِ ٱلْحَبِيبِ بِغَيْرِهِ   وَمِلْتُ إِلَيْهِ بِٱلْمَوَدَّةِ وَٱلذِّكْرِ
فَمَا زَادَنِي إِلَّا ٱشْتِيَاقاً وَحُرْقَةً   إِلَيْهِ وَلَمْ أَمْلِكْ سُلُوِّي وَلَا صَبْرِي
وَمَا ٱلْحُبُّ إِلَّا فَرْحَةٌ إِنْ نَكَلْتَهَا   بِأُخْرَى قَرَنْتَ ٱلضُّرَّ مِنْكَ إِلَى ٱلضُّرِّ
فَلَا تُطْفِ نَارَ ٱلْحُبِّ بِٱلْحُبِّ طَالِباً   سُلُوًّا فَإِنَّ ٱلْجَمْرَ يُسْعَرُ بِٱلْجَمْرِ

وَهَذَا وَإِنْ كَانَ مُخَالِفاً لِذَلِكَ فِي أَنَّهُ جَرَّبَ ٱلْأَدْوِيَةَ عَلَى نَفْسِهِ وَٱلْتَمَسَ ٱلرَّاحَةَ فِي إِلْفٍ غَيْرِ إِلْفِهِ فَإِنَّهُ مُوَافِقٌ لِلَّذِي يُقَدِّمُهُ فِي ٱلْتِمَاسِهِ مِنْ

نَحْوِ ٱلْجِهَةِ ٱلَّتِي حَدَثَ عَنْهَا ٱلدَّاءُ فِي رُجُوعِ نَفْسِهِ إِلَى وَطَنِهَا وَإِقْبَالِهَا بَعْدَ ٱلِٱنْحِرَافِ عَلَى سَكَنِهَا

وقال عبيد الراعي

بَنِي ولوسى قَدْ سَئِمْنَا جِوَارَكُمْ   وَمَا جَمَعَتْنَا نِيَّةٌ قَبْلَهَا مَعَا
خَلِيلَانِ مِنْ شَعْبَيْنِ شَتَّى تَجَاوَرَا   قَلِيلًا وَكُنَّا بِٱلتَّفَرُّقِ أَمْتَعَا
أَرَى آلَ هِنْدٍ لَا يُبَالِي أَمِيرُهُمْ   عَلَى كَبِدِ ٱلْمَحْزُونِ أَنْ تَتَقَطَّعَا ٣٤*

وقال علي بن الجهم

عُيُونُ ٱلْمَهَا بَيْنَ ٱلرُّصَافَةِ وَٱلْجِسْرِ   جَلَبْنَ ٱلْهَوَى مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلَا أَدْرِي
أَعَدْنَ لِي ٱلشَّوْقَ ٱلْقَدِيمَ وَلَمْ أَكُنْ   سَلَوْتُ وَلٰكِنْ زِدْنَ جَمْرًا عَلَى جَمْرِ
وَقُلْنَ لَنَا نَحْنُ ٱلْأَهِلَّةُ إِنَّمَا   تُضِيءُ لِمَنْ يَسْرِي بِلَيْلٍ وَلَا تَقْرِي
فَلَا نَيْلَ إِلَّا مَا تَزَوَّدَ نَاظِرٌ   وَلَا وَصْلَ إِلَّا بِٱلْخَيَالِ ٱلَّذِي يَسْرِي

وقال آخر

وَقَالُوا لَهَا هٰذَا حَبِيبُكِ مُعْرِضًا   فَقَالَتْ أَلَا إِعْرَاضُهُ أَيْسَرُ ٱلْخَطْبِ
فَمَا هُوَ إِلَّا نَظْرَةٌ بِتَبَسُّمٍ   فَتَصْطَكُّ رِجْلَاهُ وَيَسْقُطُ لِلْجَنْبِ

وقال ابو صخر الهذلي

وَإِنِّي لَآتِيهَا وَفِي ٱلنَّفْسِ هَجْرُهَا   بَيَاتًا لِأُخْرَى ٱلدَّهْرِ مَا طَلَعَ ٱلْفَجْرُ
فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً   فَأُبْهَتَ لَا عُرْفٌ لَدَيَّ وَلَا نُكْرُ
وَأَنْسَى ٱلَّذِي قَدْ جِئْتُ كَيْمَا أَقُولَهُ   كَمَا قَدْ تُنَسِّي لُبَّ شَارِبِهَا ٱلْخَمْرُ

وقال آخر

وَكَيْفَ يُحِبُّ ٱلْقَلْبُ مَنْ لَا يُحِبُّهُ   بَلَى قَدْ تُرِيدُ ٱلنَّفْسُ مَنْ لَا يُرِيدُهَا
وَكُنْتُ إِذَا مَا زُرْتُ لَيْلَى بِأَرْضِهَا   أَرَى ٱلْأَرْضَ تُطْوَى لِي وَيَدْنُو بَعِيدُهَا
تَحَلَّلُ أَحْقَادِي إِذَا مَا لَقِيتُهَا   وَتَنْمِي بِلَا جُرْمٍ عَلَيَّ حُقُودُهَا

أَمَّا قَوْلُهُ تَحَلَّلْ أَحْقَادِي إِذَا مَا لَقِيتُهَا فَهُوَ كَلَامٌ صَحِيحٌ وَلَوْ أَبْدَلَ ٱسْمَ ٱلْحِقْدِ بِغَيْرِهَا كَانَ أَحْسَنَ لِأَنَّ ٱلْحِقْدَ لَا يَتَوَلَّدُ إِلَّا عَنْ مَوْجِدَةٍ فَتَخْفَى فِي ٱلنَّفْسِ وَيَظْهَرُ غَيْرُهَا وَيُرْصَدُ صَاحِبُهَا بِٱلْمُكَافَاةِ عَنْهَا وَهٰذَا كُلُّهُ مُحَالٌ بَيْنَ ٱلْمُتَحَابَّيْنِ بَيْنَ بَابِ ٱلْجِدِّ وَٱلْهَزْلِ جَمِيعاً وَقَدْ ذَكَرَ ٱللهُ تَعَالَى جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي بَابِ مَحَبَّتِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ دَلِيلًا عَلَى مَا قُلْنَاهُ وَذٰلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ* وَٱلنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ ٱللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ ٣٥ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ فَجَعَلَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُكَافَاتَهُمْ بِٱلْمُعَاقَبَةِ عَلَى ذُنُوبِهِمْ دَلِيلًا عَلَى تَكْذِيبِ دَعْوَاهُمْ وَنَحْوَ ذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ ٱللهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ فَضَمَّ جَلَّ وَعَزَّ ٱلذُّنُوبَ إِلَى ٱلْمَحَبَّةِ غَيْرَ أَنَّ مَنْ أَحْسَنَ فِي بَيْتَيْنِ وَقَصَّرَ فِي بَيْتٍ كَانَ مُحْسِناً مُغْفِيًا عَلَى إِسَاءَتِهِ وَأَمَّا قَوْلُهُ وَتَنْمِي بِلَا جُرْمٍ عَلَيَّ حُقُودُهَا فَتَعْتَوِرُهُ مَعَانٍ أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ ضَنُّهُ بِوُدِّهَا دَعَاهُ إِلَى سُوءِ ٱلظَّنِّ بِهَا فَنَسَبَهَا أَنَّهَا تُضْمِرُ لَهُ حِقْدًا وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عَرَفَ مِنْ خَلَائِقِهَا مَا هُوَ مُغَيَّبٌ عَنَّا

الباب الرابع

لَيْسَ بِلَبِيبٍ مَنْ لَمْ يَصِفْ مَا بِهِ لِطَبِيبٍ

قَالَ أَنُو شُرْوَانُ لِبُزُرْجُمِهْرَ مَتَى يَكُونُ ٱلْعَيِيُّ بَلِيغاً فَقَالَ إِذَا وَصَفَ هَوًى أَوْ حَبِيباً وَقِيلَ لِبَعْضِ أَهْلِ هٰذَا ٱلْعَصْرِ مَتَى يَكُونُ ٱلْبَلِيغُ

عَيِيًّا فَقَالَ إِذَا سُئِلَ عَمَّا يَتَمَنَّاهُ أَوْ شَكَا مَا بِهِ إِلَى مَنْ يَهْوَاهُ وَقَالَ

مَا يَعْلَمُ ٱللهُ أَنِّي مُـنْذُ هَوِيتُكُمُ   أُطِيقُ إِظْهَـارَ مَا أَلْقَـاهُ بِٱللَّفْظِ
كَمْ قَدْ تَحَفَّظْتُهُ حَتَّى إِذَا نَظَرَتْ   عَيْنِي إِلَيْكَ أَزَالَتْ هَيْبَتِي حِفْظِي

وقال بعض الادباء في مثل ذلك

أُفَكِّرُ مَـا أَقُولُ إِذَا ٱلْتَقَيْنَـا   وَأُحْـكِمُ دَائِباً حُجَجَ ٱلْمَقَـالِ
فَتَرْتَعِـدُ ٱلْفَرَائِصُ حِينَ تَبْـدُو   وَأَنْطِقُ حِـينَ أَنْطِقُ بِٱلْمُحَـالِ

وقال آخر

أَتَيْتُ مَعَ ٱلْحُدَّاثِ لَيْلَى فَلَمْ أَقُلْ   وَأُخْلِيتُ فَٱسْتَعْجَمْتُ عِنْدَ خَلَائِي
وَجِئْتُ فَلَمْ أَنْطِقْ وَعُدْتُ فَلَمْ أُحِرْ   جَوَابًا كِلَا ٱلْيَوْمَيْنِ يَوْمُ عَنَائِي * ٣٦
فَيَا عَجَباً مَا أَشْبَهَ ٱلْيَـأْسَ بِٱلْغِنَى   وَإِنْ لَمْ يَـكُونَا عِنْـدَنَا بِسَوَاءِ

وَهٰذَا ٱلْمَعْنَى ٱلَّـذِي ذَكَرَهُ لَيْسَ بِمُسْتَنْكَرٍ قَدْ تَمْنَعُ ٱلْمُحِبَّ هَيْبَـةُ ٱلْمَحْبُوبِ مِنَ ٱلنَّيْلِ ٱلَّذِي هُوَ ٱللُّطْفُ مِنَ ٱلشَّكْوَى مَحَلًّا فِي ٱلْقُلُوبِ أَلَمْ تَسْمَعْ ٱلَّذِي يَقُولُ

مُحِبٌّ قَـالَ مُكْتَتِماً مُنَـاهُ   وَأَسْعَـدَهُ ٱلْحَبِيبُ عَـلَى هَوَاهُ
أَضَـاعَ ٱلْخَوْفُ أَنْفَسَ مَا يُعَانِي   وَمَـا عَـذَرَ ٱلْمُضِيعَ لِمَا عَنَـاهُ
فَـأَصْبَحَ لَا يَلُومُ بِمَا جَنَـاهُ   مِنَ ٱلتَّفْرِيـطِ إِنْسَانًا سِوَاهُ
أَسَرَّ نَـدَامَةَ ٱلْكُسَعِيِّ لَمَّـا   رَأَتْ عَيْنَاهُ مَـا صَنَعَتْ يَـدَاهُ

وانشدني ابو العباس احمد بن يحيى

وَإِنِّي لَأَخْشَى أَنْ أَمُوتَ فُجَـاءَةً   وَفِي ٱلنَّفْسِ حَاجَاتٌ إِلَيْكِ كَمَا هِيَا
وَإِنِّي لَيُنْسِينِي لِقَـاؤُكِ كُلَّمَا   لَقِيتُـكِ يَوْماً أَنْ أَبُثَّـكِ مَا بِيَا
وَقَـالُوا بِـهِ دَاءٌ عَيَاءٌ أَصَـابَهُ   وَقَدْ عَلِمَتْ نَفْسِي مَكَانَ دَوَائِيَـا

فَهٰذَا يُخْبِرُ أَنَّ لِقَاءَهَا هُوَ ٱلَّذِي يَمْنَعُهُ مِنْ شَكْوَى مَـا يَجِـدُهُ إِلَّا أَنَّهُ

يُشفِقُ مِنْ ضَرَرِهِ عَلَى نَفسِهِ وَلَا يُبقِي بِكِتْمَانِهِ عَلَى غَيْرِهِ عَلَى أَنَّهُ قَدْ قَصَّرَ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنْ أَهلِ هٰذَا ٱلْعِلْمِ فِي قَوْلِهِ إِنَّ لِقَاءَهَا يُحْدِثُ فِي قَلْبِهِ حَالًا لَمْ تَكُنْ قَبْلَ ذٰلِكَ ظَاهِرَةً مِنْ نَفسِهِ إِذْ لَوْ كَانَ ٱلْهَوَى قَدِ ٱسْتَوْفَى مِنْهُ حَقَّهُ وَتَنَاهَى بِهِ إِلَى غَايَةٍ بَعْدَهُ لَمَا كَانَ ٱللِّقَاءُ يَزِيدُ شَيْئاً وَلَا يَنْقُصُهُ

كما قال يزيد بن الطثرية

وَلَمَّا تَنَاهَى ٱلْحُبُّ فِي ٱلْقَلْبِ وَارِدًا أَقَامَ وَسُدَّتْ بَعْدُ عَنْهُ مَصَادِرُهْ
فَأَيُّ طَبِيبٍ يُبْرِئُ ٱلْحُبَّ بَعْدَمَا يُسِرُّ بِهِ بَطْنُ ٱلْفُؤَادِ وَظَاهِرُهْ

وكما قال ذو الرمة

وَمَا زِلْتُ أَطْوِي ٱلشَّوْقَ عَنْ أُمِّ خَالِدٍ وَجَارَاتِهَا حَتَّى كَأَنْ لَا أُرِيدُهَا
٣٧ فَمَا زَالَ يَنْمِي حُبُّ مَيَّةَ عِنْدَنَا وَيَزْدَادُ حَتَّى لَمْ نَجِدْ مَا نَزِيدُهَا*

ولقد احسن حبيب بن اوس الطائي حيث يقول

إِذَا أَزْهَدَتْنِي فِي ٱلْهَوَى خِيفَةُ ٱلرَّدَى جَلَتْ لِيَ عَنْ وَجْهٍ يُزَهِّدُ فِي ٱلزُّهْدِ
فَلَا دَمْعَ مَا لَمْ يَبْدُ فِي إِثْرِهِ دَمٌ وَلَا وَجْدَ مَا لَمْ تَعْيَ عَنْ صِفَةِ ٱلْوَجْدِ

واحسن علي بن محمد العلوي الكوفي حيث يقول

قَالَتْ عَيِيتَ عَنِ ٱلشَّكْوَى فَقُلْتُ لَهَا جُهْدُ ٱلشِّكَايَةِ أَنْ أَعْيَا عَنِ ٱلْكَلِمِ
أَشْكُو إِلَى ٱللهِ قَلْباً لَوْ كَحَلْتُ بِهِ عَيْنَيْكِ لَٱخْتَضَبَتْ مِنْ حَرِّهِ بِدَمِ
لَا تُبْرِمِي فَاقِدَ ٱلدُّنْيَا وَبَهْجَتِهَا وَمَا يُسَرُّ بِهِ مِنْهَا بِلَا وَلَمِ

عَلَى أَنَّهُ مَنْ طَلَبَ لِآدَمِيٍّ مِثْلَهُ بِمَا لَمْ يُطَالِبِ ٱللهُ عِبَادَهُ فَأَخْلَقُ بِأَنْ يَكُونَ ظَالِمًا وَقَدْ مَدَحَ ٱللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَوْماً فَقَالَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا فَلَمْ يَعِبْهُمْ تَعَالَى بِأَنْ كَانَ ذِكْرُهُ بِحَضْرَتِهِمْ مُظْهِرًا عَلَيْهِمْ مَا لَمْ يُمْكِنْ قَبْلُ

مَوْجُودًا مِنْهُمْ وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ وَأَعْرَفُ مِنَ ٱلشِّعْرِ فِي هٰذَا ٱلْمَعْنَى

تَفْدِيكَ نَفْسِي لَسْتُ أَدْرِي أَيَّمَا   أَيَّامِكُمْ مِنْ أَيِّهَا أَشْجَاهَا
فِي حُبِّكُمْ شُغُلٌ لِقَلْبِي شَاغِلٌ   عَنْ كُلِّ نَائِبَةٍ يَخَافُ رَدَاهَا

ومن جيد ما قيل في نحو الفصل الاول

جَعَلْتُكَ دُنْيَايَ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَجُدْ   عَلَيَّ بِوَصْلٍ فَٱلسَّلَامُ عَلَى ٱلدُّنْيَا
كَتَمْتُكَ مَا أَلْقَى لِأَنَّكَ مُهْجَتِي   أَخَافُ عَلَيْهَا أَنْ تَذُوبَ مِنَ ٱلشَّكْوَى

ولبعض اهل هذا الزمان في هذا المعنى

بِحُرْمَةِ هٰذَا ٱلشَّهْرِ لَمَّا نَعَشْتَنِي   بِعَفْوِكَ إِنِّي قَدْ عَجِزْتُ عَنِ ٱلْعُذْرِ
فَلَوْ كُنْتَ تَدْرِي مَا أُلَاقِي مِنَ ٱلْهَوَى   لَسَاءَكَ مَا أَلْقَى فَلَيْتَكَ لَا تَدْرِي
لِأَشْقَى بِمَا أَلْقَى وَتَبْقَى مُنَعَّماً   خَلِيًّا وَنَارُ ٱلشَّوْقِ تُسْعَرُ فِي صَدْرِي

وانشدني ابو العباس احمد بن يحيى عن الزبير بن بكار عن ثابت بن الزبير* عن ٣٨ ابي العتاهية

مَنْ لِعَبْدٍ أَذَلَّهُ مَوْلَاهُ   مَا لَهُ شَافِعٌ إِلَيْهِ سِوَاهُ
يَشْتَكِي مَا بِهِ إِلَيْهِ وَيَخْشَا   هُ وَيَرْجُوهُ مِثْلَ مَا يَخْشَاهُ

وَهٰذِهِ حَالٌ مَنْقُوضَةٌ لِأَنَّ مَنْ مَنَعَهُ مِنْ شَكْوَى مَا يَلْقَاهُ إِشْفَاقُهُ مِنْ مَوْجِدَةِ مَنْ يَهْوَاهُ فَإِنَّمَا أَبْقَى عَلَى نَفْسِهِ وَمَنِ ٱمْتَنَعَ مِنْ ذٰلِكَ إِشْفَاقًا عَلَى قَلْبِ صَاحِبِهِ فَقَدِ ٱعْتَرَضَ عَلَى وَجْدِهِ ٱلتَّصَنُّعُ إِذْ فَعَلَ مَا يَقْدِرُ عَلَى تَرْكِهِ

وقال آخر

أَلْجِسْمُ يَنْقُصُ وَٱلسَّقَامُ يَزِيدُ   وَٱلدَّارُ دَانِيَةٌ وَأَنْتَ بَعِيدُ
أَشْكُوكَ أَمْ أَشْكُو إِلَيْكَ فَإِنَّهُ   لَا يَسْتَطِيعُ سِوَاهُمَا ٱلْمَجْهُودُ

وقال الحسن بن هانئ

لَا وَٱلَّذِي لَا إِلٰــهَ إِلَّا هُو   مَـا خَانَ أَحْبَـابُنَا وَمَـا تَاهُوا
مَـا عَلِمُوا بِٱلَّذِي يُجِنُّ لَهُمْ   مِنْ طُولِ شَوْقٍ وَلَا دَرَوْا مَا هُوَ

وللفتح بن خاقان

قَدِرْتَ عَلَى نَفْسِي فَأَزْمَعْتَ قَتْلَهَا   عَلَى غَيْرِ جِدٍّ مِنْكَ وَٱلنَّفْسُ تَذْهَبُ
كَعُصْفُورَةٍ فِي كَفِّ طِفْلٍ يَسُومُهَا   وُرُودَ حِيَاضِ ٱلْمَوْتِ وَٱلطِّفْلُ يَلْعَبُ •

وقال الحسين بن الضحاك

أَيَا مَنْ طَرْفُهُ سِحْرٌ وَيَا مَنْ رِيقُهُ خَمْرُ   تَجَاسَرْتُ فَكَاشَفْتُكَ لَمَّا غُلِبَ ٱلصَّبْرُ
وَمَا أَحْسَنَ فِي مِثْلِكَ إِنْ يَنْهَتِكَ ٱلسِّتْرُ   فَإِنْ عَنَّفَنِي ٱلنَّاسُ فَفِي وَجْهِكَ لِي عُذْرُ

وقال ايضاً

إِنَّ مِنْ أَطْوَلِ لَيْـلٍ أَمَـدًا   لَيْـلَ مُشْتَـاقٍ تَصَـابَى فَكَتَمْ
٣٩ رُبَّ فَـظِّ ٱلْقَلْبِ لَا لِينَ لَـهُ   لَوْ رَأَى مَـا بِكَ مِنْـهُ لَرَحِمْ*

وقال ايضاً

أُكَاتِمُ وَجْـدِي وَمَـا يَنْكَتِمْ   فَمَنْ لَوْ شُكِيتُ إِلَيْـهِ رَحِمْ
وَإِنِّي عَـلَى حُسْنِ ظَنِّي بِـهِ   لَأَحْـذَرُ إِنْ بُحْتُ أَنْ يَحْتَشِمْ
وَقَـدْ عَلِمَ ٱلنَّـاسُ أَنِّي لَـهُ   مُحِبٌّ وَأَحْسِبُـهُ قَـدْ عَلِمْ
وَلِي عِنْـدَ رُؤْيَتِـهِ نَظْرَةٌ   تُحَقِّقُ مَـا ظَنَّـهُ ٱلْمُتَّهِمْ

وقال المجنون

فَأَنْتَ ٱلَّذِي إِنْ شِئْتَ أَشْقَيْتَ عِيشَتِي   وَإِنْ شِئْتَ بَعْـدَ ٱللهِ أَنْعَمْتَ بَالِيَا
وَأَنْتَ ٱلَّذِي مَا مِنْ صَدِيقٍ وَلَا عِدًا   رَأَى نِضْوَ مَـا أَبْقَيْتَ إِلَّا رَثَا لِيَـا

وقال ابو نواس

قَـالَتْ ظَـلُومُ سَمِيَّـةُ ٱلظُّلْمِ   مَا لِي رَأَيْتُـكَ نَاحِـلَ ٱلْجِسْمِ
يَا مَنْ رَمَى قَلْبِي فَأَقْصَـدَهُ   أَنْتَ ٱلْخَبِيرُ بِمَوْقِعِ ٱلسَّهْمِ

وقال ابو تمام

وَٱللهِ لَوْ تَلْقَى ٱلَّذِي أَلْقَى لَحَرِجْتَ أَنْ تَتَجَاوَزَ ٱلْخَفَا
بِي فَوْقَ مَا تَلْقَى بِوَاحِدِهَا أَمْ تَرَاهُ لِجَنْبِهِ مُلْقَى

وقال ابو صخر الهذلي

بِيَدِ ٱلَّذِي شَغَفَ ٱلْفُؤَادَ بِكُمْ   تَفْرِيجُ مَا أَلْقَى مِنَ ٱلْهَمِّ
مَا فِي ٱلْحَيَاةِ إِذَا هِيبَتْ لَنَا   خَيْرٌ وَلَا لِلْعَيْشِ مِنْ طَعْمِ
وَلَمَّا بَقِيتِ لَتَبْقَيَنَّ جَوًى   بَيْنَ ٱلْجَوَانِحِ مُضْرِعًا جِسْمِي
فَتَيَقَّنِي أَنْ قَدْ كَلِفْتُ بِكُمْ   ثُمَّ ٱصْنَعِي مَا شِئْتِ عَنْ عِلْمِ

وقال خليفة بن روح الاسدي

قِفِي يَا أُمَيْمَ ٱلْقَلْبِ نَقْرَأْ تَحِيَّةً   وَنَشْكُو ٱلْهَوَى ثُمَّ ٱصْنَعِي مَا بَدَا لَكِ * ٤٠
فَلَوْ قُلْتِ طَأْ فِي ٱلنَّارِ أَعْلَمُ أَنَّهُ   هَوًى لَكِ أَوْ مُدْنٍ لَنَا مِنْ وِصَالِكِ
لَقَدَّمْتُ رِجْلِي نَحْوَهَا فَوَطِئْتُهَا   هُدًى مِنْكِ لِي أَوْ هَفْوَةً مِنْ ضَلَالِكِ
فَلَا تَجْعَلِينِي كَٱمْرِئٍ إِنْ وَصَلْتِهِ   أَشَاعَ وَإِنْ صَرَّمْتِهِ لَمْ يُبَالِكِ

وانشدني ابن ابي طاهر

قَالَتْ لَقِيتَ ٱلَّذِي لَمْ يَلْقَهُ أَحَدٌ   قُلْتُ ٱلدَّلِيلُ عَلَى ذَاكَ ٱلَّذِي أَجِدُ
أَوْدَعْتِنِي سَقَمًا لَا أَسْتَقِلُّ بِهِ   فَلَيْسَ يَنْفَدُ حَتَّى يَنْفَدَ ٱلْأَبَدُ

وقال مضرس بن بطر الهلالي

وَكَادَتْ بِلَادُ ٱللهِ يَا أُمَّ مَالِكٍ   بِمَا رَحُبَتْ يَوْمًا عَلَيَّ تَضِيقُ
أَذُودُ سَوَادَ ٱلطَّرْفِ عَنْكِ وَمَا لَهُ   إِلَى أَحَدٍ إِلَّا إِلَيْكِ طَرِيقُ
وَلَوْ تَعْلَمِينَ ٱلْعِلْمَ أَيْقَنْتِ أَنَّنِي   وَرَبِّ ٱلْهَدَايَا ٱلْمُشْعَرَاتِ صَدِيقُ
سَلِي هَلْ قَلَانِي مِنْ عَشِيرٍ صَحِبْتُهُ   وَهَلْ ذَمَّ رَحْلِي فِي ٱلرِّفَاقِ رَفِيقُ

وانشدني آخر

أَمْسَيْتُ لَعًّابًا وَأَمْسَى ٱلْهَوَى يَلْعَبُ فِي رُوحِي وَجِثْمَانِي
أُشْفِقُ إِنْ بُحْنَا وَإِنْ لَمْ أَبُحْ فَٱلْمَوْتُ فِي سِرِّي وَإِعْلَانِي

وانشدني ابو الضياء لنفسه

أُنْظُرْ إِلَى نَاظِرٍ قَدْ شَفَّهُ ٱلسَّهَدُ وَٱعْطِفْ عَلَى مُهْجَةٍ أَوْدَى بِهَا ٱلْكَمَدُ
لَا ذُقْتَ مَا ذَاقَهُ مَنْ أَنْتَ مَالِكُهُ وَلَا وَجَدْتَ بِهِ مِثْلَ ٱلَّذِي يَجِدُ •
أُخْفِي هَوَاكَ فَتَنْمُهُ مَدَامِعُهُ وَٱلْعَيْنُ تُعْرِبُ عَمَّا ضَمَّتِ ٱلْكَبِدُ
فَإِنْ جَحَدْتَ ٱلَّذِي قَاسَاهُ بَيْنَهُمَا فَشَاهِدَاهُ عَلَيْكَ ٱلْخَدُّ وَٱلْجَسَدُ

وقال ابو المنهال الاشجعي

٤١ يَا أُمَّ عَمْرٍو وَخَيْرُ ٱلْقَوْلِ أَصْدَقُهُ أَوْفِي وَأَنْتِ مِنَ ٱلْمُوفِينَ بِٱلذِّمَمِ *
أَوْفِي وَفَاءَ كَرِيمٍ ذِي مُحَافَظَةٍ وَإِنْ أَبَيْتِ تَقَاضَيْنَا إِلَى حَكَمِ
عَدْلٍ مِنَ ٱلنَّاسِ يُرْضِي حِينَ يَبْلُغُهُ أَنْ كَانَ حَبْلُكِ أَمْسَى وَاهِيَ ٱلرِّمَمِ
فَأَعْرَضَتْ ثُمَّ قَالَتْ وَهْيَ لَاهِيَةٌ بَعْدَ ٱلتَّغَضُّبِ قَوْلَ ٱلْمُوسِفِ ٱلْأَطِمِ
إِنْ تَدْعُ لِي حَكَمًا عَدْلًا أُحَكِّمُهُ أَنْطِقْ لَدَيْهِ بِلَا عِيٍّ وَلَا بَكَمِ
مِنِّي بِأَرْضِكَ شَجْوٌ لَسْتُ نَاسِيَةً لَوْ بِٱلْحِجَازِ هَوَى أَيَّامِكِ ٱلْقُدُمِ

وكتب عبدالله بن الدمينة الى امامة

وَأَنْتِ ٱلَّتِي كَلَّفْتِنِي دَلَجَ ٱلسُّرَى وَجُونُ ٱلْقَطَا بِٱلْجَلْهَتَيْنِ جُثُومُ
وَأَنْتِ ٱلَّتِي قَطَّعْتِ قَلْبِي حَزَازَةً وَفَرَّقْتِ قَرْحَ ٱلْقَلْبِ فَهْوَ كَلِيمُ
وَأَنْتِ ٱلَّتِي أَحْفَظْتِ قَوْمِي فَكُلُّهُمْ بَعِيدُ ٱلرِّضَا دَانِي ٱلصُّدُودِ كَتُومُ

وكتبت اليه

وَأَنْتَ ٱلَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وَأَشْمَتَّ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ
وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي لَهُمْ غَرَضًا أُرْمَى وَأَنْتَ سَلِيمُ
فَلَوْ أَنَّ قَوْلًا يَكْلِمُ ٱلْجِسْمَ قَدْ بَدَا بِجِسْمِيَ مِنْ قَوْلِ ٱلْوُشَاةِ كُلُومُ

وكتب بعض اهل الادب الى اخ له من اهل هذا العصر

سَيِّدِي أَنْتَ قَدْ أَسَأْتُ بِقَوْلِي   سَيِّدِي أَنْتَ فَارْضَ عَبْدَكَ عَبْدَا
لَا تَلَقَّى ٱلدُّعَاءَ مِنِّي بِنُكْرٍ   فَتَرَى قَاتِلًا لِنَفْسِيَ عَمْدَا

فاجابه

أَنَا بِالرِّقِّ فِي ٱلْهَوَى مِنْكَ أَوْلَى   وَأَرَى ذَاكَ يَشْهَدُ ٱللهُ مَجْدَا
عَلِمَ ٱللهُ أَنَّنِي مِنْكَ رَاضٍ   أَنْ تَرَانِي لِعَبْدِ عَبْدِكَ عَبْدَا

وقال آخر

يَا مُوقِدَ ٱلنَّارِ إِلْهَابًا عَلَى كَبِدِي   إِلَيْكَ أَشْكُو ٱلَّذِي بِي لَا إِلَى أَحَدِ * ٤٢
إِلَيْكَ أَشْكُو ٱلَّذِي بِي مِنْ هَوَاكَ فَقَدْ   طَلَبْتُ غَيْرَكَ لِلشَّكْوَى فَلَمْ أَجِدِ

وقال بعض الاعراب

إِذَا لُمْتُهَا قَالَتْ عَدِيمٌ وَإِنَّمَا   صَمَتُّ فَمَا جَرَّبْتَ جُودًا وَلَا بُخْلَا
بَلَى قُلْتَ هَلْ ثُمَّ ٱنْصَرَفْتَ وَلَمْ تَعُدْ   فَتَسْتَنْكِرَ ٱلْإِعْرَاضَ أَوْ تَعْرِفَ ٱلْبَذْلَا

أَمَّا هٰذِهِ فَقَدْ قَرَّعَتْ صَاحِبَهَا عَلَى تَرْكِهِ تَقَاضِيهَا تَقْرِيعًا يُغْرِي ٱلْمُغْتَرِّينَ بِشَكْوَى كُلِّ مَا يَجِدُونَهُ وَبِٱلْإِلْحَاحِ عَلَى مَنْ يَوَدُّونَهُ فِي ٱلْمُطَالَبَةِ بِجَمِيعِ مَا يُرِيدُونَهُ وَهٰذِهِ حَالُ مَنْ تَحَكَّمَ عَلَى مَوَارِدِهَا تَحَكَّمَتْ عَلَيْهِ مَصَادِرُهَا فَيَنْدَمُ حَيْثُ لَا تَنْفَعُهُ ٱلنَّدَامَةُ وَهَرَبَ إِلَى حَيْثُ لَا تَنْفَعُهُ ٱلسَّلَامَةُ وَكَيْفَ يَتَهَيَّأُ لِلنَّادِمِ عَلَى إِظْهَارِ مَا فِي ضَمِيرِهِ أَنْ يُخْفِيَهُ بَعْدَ إِظْهَارِهِ وَقَدْ كَانَ جَدِيرًا أَنْ يَظْهَرَ مِنْهُ بِغَلَبَاتِ ٱلْحَالِ فِي وَقْتِ حِرْصِهِ عَلَى أَسْرَارِهِ وَٱلْمَحْبُوبُ كَثِيرًا مَا يُطْمِعُ مُحِبَّهُ فِي نَفْسِهِ هٰذَا ٱلْإِطْمَاعَ أَوْ نَحْوَهُ لِيَطَّلِعَ عَلَى حَقِيقَةِ مَا فِي ضَمِيرِهِ وَقَلْبِهِ فَإِذَا وَثِقَ بِصِحَّةِ ٱلْمُلْكِ زَالَتْ عَنْهُ دَوَاعِي ٱلشَّكِّ فَتَرَاخَى حِينَئِذٍ عَنِ ٱلِاسْتِعْطَافِ تَرَاخِيَ ٱلْمَالِكِينَ وَحَصَلَتْ لِلنَّاسِي ٱلْمُظْهِرِ مَا فِي ضَمِيرِهِ ذِلَّةُ ٱلْمَمْلُوكِينَ

وَلَمْ أَجِدْ فِيمَا جَرَيْتُ إِلَيْهِ فِي هٰذَا ٱلْفَصْلِ بِأَرْزَأَ مِنِّي عَلَى مَنْ أَظْهَرَ إِلْفَهُ عَلَى مَا يَجِدُ مِنَ ٱلْمَحَبَّةِ وَإِنَّمَا جَرَيْتُ إِلَى عَيْبِ مَنْ يَدْعُوهُ إِلَى إِظْهَارِ مَا فِي نَفْسِهِ رَجَاءَ ٱلنَّوَالِ مِنْ صَاحِبِهِ وَلَعَمْرِي لَقَدْ قَالَ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ فِي هٰذَا ٱلْبَابِ مَا يَقْرُبُ مِنْ جِهَةِ ٱلصَّوَابِ وَهُوَ قَوْلُهُ

يَا سَقِيمَ ٱلْجُفُونِ غَيْرَ سَقِيمٍ   وَمُرِيبَ ٱلْأَلْحَاظِ غَيْرَ مُرِيبِ •
إِنَّ قَلْبِي لَكُمْ لَكَالْكَبِدِ ٱلْحَرَّى   وَقَلْبِي لِغَيْرِكُمْ كَالْقُلُوبِ
لَسْتُ أُدْلِي بِحُرْمَةٍ مُسْتَزِيدًا   فِي وِدَادٍ مِنْكُمْ وَلَا فِي نَصِيبِ
غَيْرَ أَنَّ ٱلْعَلِيلَ لَيْسَ بِمَذْمُومٍ   عَلَى شَرْحِ مَا بِهِ لِلطَّبِيبِ
٤٣ لَوْ رَأَيْنَا ٱلتَّوْكِيدَ خُطَّةَ عَجْزٍ   مَا شَفَعْنَا ٱلْأَذَانَ بِالتَّثْوِيبِ*

وَهٰذَا ٱلَّذِي وَصَفَ أَيْضًا مِنَ ٱلْحَالِ غَيْرُ مُسْتَوْعِبٍ لِحَدِّ ٱلْكَمَالِ وَذٰلِكَ أَنَّ ٱلْكَامِلَ فِي حَالِهِ هُوَ ٱلَّذِي كَانَ غَرَضُهُ فِي إِظْهَارِ إِلْفِهِ عَلَى كُلِّ مَا يُلْقَى بِهِ أَنْ يَجْعَلَهُ مُشَارِكًا لَهُ فِي عِلْمِ ضَمَائِرِهِ وَمُتَحَكِّمًا مَعَهُ لَا بَلْ عَلَيْهِ فِي سَرَائِرِهِ فَلَا يَتَحَكَّمُ هُوَ حِينَئِذٍ عَلَى خَلِيلِهِ فِي أَمْرٍ وَلَا يَسْتَظْهِرُ عَلَيْهِ بِسِرٍّ وَكُلُّ مَنْ زَالَ عَنْ هٰذِهِ ٱلْحَالِ فَزَائِلٌ عَنْ مَرْتَبَةِ ٱلْكَمَالِ

الباب الخامس

إِذَا صَحَّ ٱلظَّفَرُ وَقَعَتِ ٱلْغِيَرُ

أَشْعَارُ هٰذَا ٱلْبَابِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا مُضَادَّةٌ لِلْأَشْعَارِ ٱلَّتِي قَبْلَهَا لِأَنَّ فِي أَشْعَارِ ٱلْبَابِ ٱلْمَاضِي تَحْرِيضًا لِلْمُحِبِّ عَلَى إِظْهَارِ مَحْبُوبِهِ عَلَى مَا لَهُ

فِي نَفسهِ وَلَوْماً لِمَنْ كَتَمَ عَنْ صَاحِبِهِ مَا يَجِدُهُ بِهِ وَمَا يَلْقَاهُ بِسَبَبِهِ وَأَشعَارُ هٰذَا ٱلْبَابِ إِنَّمَا هِيَ تَحْرِيضٌ عَلَى ٱلْكِتْمَانِ وَتَحْذِيرٌ مِنَ ٱلْإِعْلَانِ وَٱلْعِلَّةُ فِي هٰذَا مَا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ مِنْ أَنَّ ٱلْمَحْبُوبَ يَسْتَعْطِفُ مُحِبَّهُ لِيُشْرِفَ عَلَى حَقِيقَةِ مَا فِي قَلْبِهِ وَلِيَتَمَكَّنَ أَيضاً هَوَاهُ مِنْ نَفْسِهِ فَإِذَا وَقَعَ لَهُ ٱلْيَقِينُ ٱسْتَغْنَى عَنِ ٱلتَّعَرُّفِ وَإِذَا حَصَلَ لَهُ ٱلْوُدُّ ٱسْتَغْنَى عَنِ ٱلتَّأَلُّفِ فَحِينَئِذٍ يَقَعُ ٱلْغَضَبُ عَنْ غَيْرِ ذَنْبٍ وَٱلْإِعْرَاضُ مِنْ غَيْرِ وَجْدٍ لِسُكُونِ ٱلْقَلْبِ ٱلْوَاثِقِ وَٱسْتِظْهَارِ ٱلْمَعْشُوقِ عَلَى ٱلْعَاشِقِ

قال بشار بن برد

أَبْكِي ٱلَّذِينَ أَذَاقُونِي مَوَدَّتَهُمْ حَتَّى إِذَا أَيْقَظُونِي لِلْهَوَى رَقَدُوا
وَٱسْتَنْهَضُونِي فَلَمَّا قُمْتُ مُنْتَصِباً بِثِقْلِ مَا حَمَّلُونِي وُدَّهُمْ قَعَدُوا
لَأَخْرُجَنَّ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَحُبُّكُمُ بَيْنَ ٱلْجَوَانِحِ لَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدُ
أَلْقَيْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ ٱلْحُزْنِ مَعْرِفَةً لَا تَنْقَضِي أَبَدًا أَوْ يَنْقَضِي ٱلْأَبَدُ

وقال طلحة بن ابي بكر* ٤٤

لَا تُظْهِرَنَّ مَوَدَّةً لِحَبِيبِ فَتَرَى بِعَيْنِكَ مِنْهُ كُلَّ عَجِيبِ
أَظْهَرْتُ يَوْماً لِلْحَبِيبِ مَوَدَّتِي فَأَخَذْتُ مِنْ هِجْرَانِهِ بِنَصِيبِ

وقال جميل بن معمر

إِذَا قُلْتُ مَا بِي يَا بُثَيْنَةُ قَاتِلِي مِنَ ٱلْحُبِّ قَالَتْ ثَابِتٌ وَيَزِيدُ
وَإِنْ قُلْتُ رُدِّي بَعْضَ عَقْلِي أَعِشْ بِهِ مَعَ ٱلنَّاسِ قَالَتْ ذَاكَ مِنْكَ بَعِيدُ
فَلَا أَنَا مَرْدُودٌ بِمَا جِئْتُ طَالِباً وَلَا حُبُّهَا فِيمَا يَبِيدُ يَبِيدُ
إِذَا فَكَّرَتْ قَالَتْ قَدَ ادْرَكْتُ وُدَّهُ وَمَا ضَرَّنِي بُخْلِي فَفِيمَ أَجُودُ
يَمُوتُ ٱلْهَوَى مِنِّي إِذَا مَا لَقِيتُهَا وَيَحْيَى إِذَا فَارَقْتُهَا فَيَعُودُ

وقال ذو الرمة

وَلَمَّا شَكَوْتُ ٱلْحُبَّ كَيْمَا تُثِيبَنِي بِوَجْدِيَ قَالَتْ إِنَّمَا أَنْتَ تَمْزَحُ
دَلَالًا وَإِبْعَادًا عَلَيَّ وَقَدْ أَرَى ضَمِيرَ ٱلْحَشَى قَدْ كَادَ بِٱلْقَلْبِ يَنْزَحُ

وقال آخر

وَلَمَّا شَكَوْتُ ٱلْحُبَّ قَالَتْ أَمَا تَرَى مَكَانَ ٱلثُّرَيَّا وَهْوَ مِنْكَ بَعِيدُ
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ ٱلثُّرَيَّا وَإِنْ نَأَتْ يَصُوبُ مِرَارًا نَوْءُهَا فَيَجُودُ •

وانشدتني ام حمادة الهمدانية

شَكَوْتُ إِلَيْهَا ٱلْحُبَّ قَالَتْ كَذَبْتَنِي أَلَسْتُ أَرَى ٱلْأَجْلَادَ مِنْكَ كَوَاسِيَا
رُوَيْدَكَ حَتَّى يَبْتَلِي ٱلشَّوْقُ وَٱلْهَوَى عِظَامَكَ حَتَّى يَرْتَجِعْنَ بَوَادِيَا
وَيَأْخُذَكَ ٱلْوَسْوَاسُ مِنْ لَوْعَةِ ٱلْهَوَى وَتَخْرَسَ حَتَّى لَا تُجِيبَ ٱلْمُنَادِيَا

وقال آخر

أَحِينَ مَلَكْتِنِي أَعْرَضْتِ عَنِّي كَأَنِّي قَدْ قَتَلْتُ لَكُمْ قَتِيلَا
٤٥ فَهَلَّا إِذْ هَمَمْتِ بِصَرْمِ حَبْلِي جَعَلْتِ إِلَى ٱلتَّصَبُّرِ لِي سَبِيلَا*

وقال آخر

أَطْمَعَتْنِي فَقُلْتُ أَخْذًا بِكَفِّي ثُمَّ عَادَتْ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ بِخُلْفِ
زَعَمَتْ أَنَّهَا تُرِيدُ عَفَافًا قُلْتُ رُدِّي عَلَيَّ قَلْبِي وَعِفِّي

وقال العباس بن الاحنف

يَا وَيْحَ مَنْ خَتَلَ ٱلْأَحِبَّةُ قَلْبَهُ حَتَّى إِذَا ظَفِرُوا بِهِ قَتَلُوهُ
عَزُّوا وَمَالَ بِهِ ٱلْهَوَى فَأَذَلَّهُ إِنَّ ٱلْعَزِيزَ عَلَى ٱلذَّلِيلِ يَتِيهُ
أُنْظُرْ إِلَى جَسَدٍ أَضَرَّ بِهِ ٱلْهَوَى لَوْلَا تَقَلُّبُ طَرْفِهِ دَفَنُوهُ
مَنْ كَانَ خِلْوًا مِنْ تَبَارِيحِ ٱلْهَوَى فَأَنَا ٱلْهَوَى وَحَلِيفُهُ وَأَخُوهُ

وقال ايضاً

أُحْرَمُ مِنْكُمْ بِمَا أَقُولُ وَقَدْ نَالَ بِهِ ٱلْعَاشِقُونَ مَا عَشِقُوا

صِرْتُ كَأَنِّي ذُبَالَةٌ نُصِبَتْ   تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ

وانشدنا احمد بن يحيى الشيباني

وَمَا أَنْصَفَتْ ذَلْفَاءُ أَمَّا دُنُوُّهَا   فَهَجْرٌ وَأَمَّا نَأْيُهَا فَيَشُوقُ
تَبَاعَدُ مِمَّنْ وَاصَلَتْ وَكَأَنَّهَا   لِآخَرَ مِمَّنْ لَا تَوَدُّ صَدِيقُ

وقال آخر

وَمَا أَنْصَفَتْ أَمَّا ٱلنِّسَاءُ فَبَغَّضَتْ   إِلَيْنَا وَأَمَّا بِٱلنَّوَالِ فَضَنَّتِ
دَعَتْنِي بِأَسْبَابِ ٱلْهَوَى فَٱتَّبَعْتُهَا   حَنِيناً فَلَمَّا أَقْصَدَتْنِي تَوَلَّتِ

وقال المجنون

أَأَدْنَيْتِنِي حَتَّى إِذَا مَا مَلَكْتِنِي   بِقَوْلٍ يُحِلُّ ٱلْعُصْمَ سَهْلَ ٱلْأَبَاطِحِ
تَجَافَيْتِ عَنِّي حِينَ لَا لِيَ حِيلَةٌ   وَخَلَّفْتِ مَا خَلَّفْتِ بَيْنَ ٱلْجَوَانِحِ

وقال آخر* ٤٦

دَنَتْ فِعْلَ ذِي وُدٍّ فَلَمَّا تَبِعْتُهَا   تَوَلَّتْ وَأَبْقَتْ حَاجَتِي فِي فُؤَادِيَا
فَإِنْ قُلْتُمُ إِنَّا ظَلَمْنَا فَلَمْ نَكُنْ   ظَلَمْنَا وَلٰكِنَّا أَسَأْنَا ٱلتَّقَاضِيَا

وقال ذو الرمة

وَتَهْجُرُهُ إِلَّا ٱخْتِلَاساً نَهَارَهَا   وَكَمْ مِنْ مُحِبٍّ رَهْبَةَ ٱلْعَيْنِ هَاجِرِ
إِذَا خَشِيَتْ مِنْهُ ٱلصَّرِيمَةَ أَبْرَقَتْ   لَهُ بَرْقَةً مِنْ خُلَّبٍ غَيْرِ مَاطِرِ

وقال المجنون

لَعَمْرُ أَبِيهَا إِنَّهَا لَبَخِيلَةٌ   وَمِنْ قَوْلِ وَاشٍ إِنَّهَا لَغَضُوبُ
رَمَتْنِي عَنْ قَوْسِ ٱلْعَدَاوَةِ إِنَّهَا   إِذَا مَا رَأَتْنِي مُعْرِضاً لَخَلُوبُ

وقال ابو ذهيل

أَبَعْدَ ٱلَّذِي قَدْ لَجَّ تَتَّخِذِينَنِي   عَدُوًّا وَقَدْ جَرَّعْتِنِي ٱلسُّمَّ مُنْقَعَا
وَشَفَّعْتِ مَنْ يَنْعَى عَلَيَّ وَلَمْ أَكُنْ   لِأَزْجُرَ مَنْ يَلْحَى عَلَيْكِ مُشَفَّعَا

فَقَالَتْ وَمَا هَمَّتْ بِرَجْعِ جَوَابِنَا   بَلْ أَنْتَ أَبَيْتَ ٱلدَّهْرَ إِلَّا تَضَرُّعَا
فَقُلْتُ لَهَا مَا كُنْتُ أَوَّلَ ذِي هَوًى   تَحَمَّلَ حِمْلًا فَادِحًا فَتَوَجَّعَا

وقال آخر

وَقَالَتْ وَصَدَّتْ وَجْهَهَا لِتَغِيظَنِي   أَبِالصَّدِّ تُجْزَى أَمْ عَلَى ٱلذَّنْبِ تُوصَلُ
فَقُلْتُ مَتَى أَذْنَبْتُ قَالَتْ تُرِيدُهُ   فَقُلْتُ فَلَمْ أَفْعَلْ فَقَالَتْ سَتَفْعَلُ
فَقُلْتُ وَهَلْ أُجْزَى بِذَنْبٍ لَمْ آتِهِ   وَلَكِنْ ظَفِرْتُمْ بِٱلْمُحِبِّينَ فَٱقْتُلُوا

وقال آخر

شَكَوْتُ فَقَالَتْ كُلُّ هَـذَا تَبَرُّمًا   بِحُبِّي أَرَاحَ ٱللهُ قَلْبَكَ مِنْ حُبِّي
فَلَمَّا كَتَمْتُ ٱلْحُبَّ قَالَتْ لَشَدَّ مَا   صَبَرْتَ وَمَا هَذَا بِفِعْلِ شَجِي ٱلْقَلْبِ
٤٧ فَشَكْوَايَ تُؤْذِيهَا وَعَتْبِي يَسُوءُهَا   وَتَغْضَبُ مِنْ بُعْدِي وَتَنْفِرُ مِنْ قُرْبِي*
فَيَا قَوْمِ هَلْ مِنْ حِيلَةٍ تَعْرِفُونَهَا   أَشِيرُوا بِهَا وَٱسْتَوْجِبُوا ٱلْأَجْرَ فِي ٱلصَّبِّ

وانشدني اعرابي بنجد

ذَكَرْتُكِ إِذْ نَامَ ٱلْخَلِيُّ وَلَمْ أَنَمْ   وَإِذْ أَنْتِ فِي شُغْلٍ بِلَهْوِكِ عَنْ ذِكْرِي
وَإِذْ أَنْتِ تَثْنِينَ ٱلْكِعَابَ بِقَصْرِهِ   وَقَلْبِي لَهُ لَذْعٌ أَحَرُّ مِنَ ٱلْجَمْرِ
فَإِنْ أَنَا لَمْ أَشْكُ ٱلْهَوَى قُلْتِ قَدْ صَحَا   وَإِنْ بُحْتُ فِيهِ خِفْتُ أَنْ يَعْلَمُوا أَمْرِي
وَلَيْسَ خَلِيلِي بِٱلْمُرَجَّى وَلَا ٱلَّذِي   إِذَا غِبْتُ عَنْهُ كَانَ عَوْنًا عَلَى ٱلدَّهْرِ
وَلَكِنْ خَلِيلِي مَنْ يَصُونُ مَوَدَّتِي   وَيَحْفَظُنِي إِنْ كَانَ مِنْ دُونِ ٱلْبَحْرِ

وانشدني احمد بن طاهر لنفسه

ذَهَبْتِ عَلَى صَبٍّ شَكَا أَلَمَ ٱلْهَوَى   كَمَا ذَهَبَتْ أَرْضٌ وَطِئْتِ تُرَابَهَا
وَكَانَ يُرَجِّي نَفْعَ شَكْوَاهُ إِذْ شَكَا   إِلَيْكِ فَقَدْ أَمْسَى يَخَافُ عِقَابَهَا

وقال المؤمل

شَكَوْتُ وَجْدِي إِلَى هِنْدٍ فَمَا ٱكْتَرَثَتْ   يَا قَلْبَهَا أَحَدِيدٌ أَنْتَ أَمْ حَجَرُ

إِذَا مَرِضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمُ   وَتُذْنِبُونَ فَنَأْتِيكُمْ فَنَعْتَذِرُ

وَبَلَغَنِي أَنَّ عَبْدَ ٱلْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ جَلَسَ يَوْماً لِلنَّظَرِ فِي ٱلْمَظَالِمِ فَرُفِعَتْ إِلَيْهِ قِصَّةٌ مَنْسُوبَةٌ إِلَى عَمْرِو بْنِ حَارِثٍ وَكَانَ فِيهَا

عَلِقْتُ بِأَسْبَابِ ٱلْمَوَدَّةِ وَٱلْهَوَى   فَلَمَّا حَوَتْ قَلْبِي ثَنَتْ بِصُدُودِ

فَلَوْ شِئْتَ يَا ذَا ٱلْعَرْشِ حِينَ خَلَقْتَنِي   شَقِيًّا بِمَنْ أَهْوَاهُ غَيْرَ سَعِيدِ

عَطَفْتَ عَلَيَّ ٱلْقَلْبَ مِنْهَا بِرَحْمَةٍ   وَإِنْ كَانَ قَلْبًا مِنْ صَفاً وَحَدِيدِ

فَقُلْ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّمَا   تُحَكَّمُ وَٱلْأَحْكَامُ ذَاتُ حُدُودِ

فَلَمَّا قَرَأَهَا عَبْدُ ٱلْمَلِكِ قَلَبَهَا ثُمَّ وَقَّعَ فِي ظَهْرِهَا

أَرَى ٱلْجَوْرَ مِنْهَا ظَاهِرًا يَا ٱبْنَ حَارِثٍ   وَمَا رَأْيُهَا فِيمَا أَتَتْ بِرَشِيدِ *٤٨

أَمِنْ بَعْدِ مَا صَادَتْ فُؤَادَكَ وَٱحْتَوَتْ   عَلَيْهِ ثَنَتْ وَجْهَ ٱلْهَوَى بِصُدُودْ

فَإِنْ هِيَ لَمْ تَرْحَمْ بُكَاكَ وَلَا حَنَتْ   عَلَيْكَ فَمَا مِنْكَ ٱلرَّدَى بِبَعِيدِ

سَأَقْضِي عَلَيْهَا أَنْ تُجَازِي بِوُدِّهَا   أَخَا صَبْوَةٍ جَارَتْ عَلَيْهِ وَدُودِ

ولبعض اهل هذا العصر

مَنْ لِي بِعَطْفِ أَخٍ خَلَّى ٱلْإِخَاءَ وَرَا   ظَهْرٍ وَمِنْ ثَمَّ مَارَى ٱلرُّوحَ فِي ٱللَّطَفِ

حَتَّى يُصَيِّرَهَا إِنْ خُيِّرَتْ تَلَفاً   وَفُرْقَةً مِنْهُ لَمْ تَخْتَرْ سِوَى ٱلتَّلَفِ

أَغْرَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ ٱلدَّهْرِ فَٱحْتَشَدَتْ   بِيَ ٱلْخُطُوبُ ٱحْتِشَادَ ٱلْحَنَقِ ٱلْأَسِفِ

حَتَّى إِذَا أَنِسَتْ نَفْسِي بِأَنَّكَ لِي   وَٱسْتَعْذَبَتْ طِيبَ ذَاكَ ٱلْمَشْرَبِ ٱلْأُنُفِ

أَمْكَنْتَ مِنِّي ٱللَّيَالِي فَٱنْتَصَفْنَ وَمَنْ   يُظْلَمْ وَيُمْكَنْ مِنَ ٱلْإِنْصَافِ يَنْتَصِفِ

يَا قَلْبُ وَصْفُكَ يُغْرِي مَنْ كَلِفْتَ بِهِ   فَٱكْمُدْ بِكِتْمَانِ مَا تَلْقَى وَلَا تَصِفِ

إِنْ كُنْتَ لَمْ تَشْجَ بِٱلْكِتْمَانِ فَٱشْجَ بِهِ   أَوْ كُنْتَ لَمْ تَعْتَرِفْ بِٱلصَّرْمِ فَٱعْتَرِفِ

قُلْ لِلَّيَالِي مَلَكْتِ ٱلْحُكْمَ فَٱحْتَكِمِي   وَلِلْمَصَائِبِ قَدْ مُكِّنْتِ فَٱنْتَصِفِي

وله ايضاً

يَا مُنْيَةَ ٱلْقَلْبِ لَوْ آمَالُهُ ٱنْفَسَحَتْ   وَحَظَّ نَفْسِي مِنْ دِينِي وَدُنْيَـائِي
قُلْ لِي تَنَاسَيْتَ أَمْ أُنْسِيتَ أَلْفَتَنَا   أَيَّامَ رَأْيُـكَ فِينَـا غَيْرُ ذَا ٱلرَّائِي
كَانَتْ لِقَلْبِيَ أَهْوَاءٌ مُفَرَّقَـةٌ   فَٱسْتَجْمَعَتْ مُذْ رَأَتْكَ ٱلْعَيْنُ أَهْوَائِي
فَصَارَ يَحْسُدُنِي مَنْ كُنْتُ أَحْسُدُهُ   وَصِرْتُ مَوْلَى ٱلْوَرَى مُذْ صِرْتَ مَوْلَائِي
حَتَّى إِذَا ٱسْتَيْأَسَ ٱلْحُسَّادُ مِنْ دَرَكِي   وَقَلَّ أَعْـدَائِيَ مُذْ قَلَّلْتَ أَكْفَائِي
حَمَيْتَ طَعْمَ ٱلْكَرَى عَيْنَيَّ فَٱهْتَجَرَا   فَصَارَ طِيبُ ٱلْكَرَى مِنْ بَعْضِ أَعْدَائِي
مَنْ خَانَ هَانَ وَقَلْبِي رَائِـدٌ أَبَدًا   مَيْلًا إِلَيْكَ عَلَى هَجْرِي وَإِقْصَائِي
لَا بُدَّ لِي مِنْكَ فَٱصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ بِي   فَقَدْ قَدِرْتَ عَلَى قَتْلِي وَإِحْيَـائِي

وانشدني محمد بن الخطاب

عَلَّمْتِنِي ٱلْإِصْـدَارَ وَٱلْإِيرَادَا   فَٱرْفِقِي بِي فَقَـدْ مَلَكْتِ ٱلْقِيَـادَا
لَا تَقُولِي إِذَا نَأَيْتُ سَلَا عَنَّـ   ـا وَإِنْ زُرْتُكُمْ أَرَادَ ٱلْبِعَـادَا
٤٩ عَلِّمِيـنِي ٱلدُّنُوَّ مِنْـكِ إِذَا شِئْـ   ـتِ وَعَنْكِ ٱلْبِعَـادَ أَلْقَ ٱلرَّشَادَا*

وقال الاعشى

دَارٌ لِقَاتِلَةِ ٱلْغَرَانِقِ مَا بِهَـا   إِلَّا ٱلْوُحُوشُ خَلَتْ لَـهُ وَخَلَالَهَا
ظَلَّتْ تُسَائِلُ بِٱلْمُتَيَّمِ أَهْلَـهُ   وَهِيَ ٱلَّتِي فَعَلَتْ بِهِ أَفْعَـالَهَا

وقال عمر بن ابي ربيعة

دَارُ ٱلَّتِي صَادَتْ فُؤَادَكَ إِذْ رَمَتْ   بِٱلْخَيْفِ يَوْمَ ٱلْتَفَّ أَهْلُ ٱلْمَوْسِمِ
فَتَجَاهَلَتْ عَمَّا بِنَا وَلَقَـدْ رَأَتْ   أَنْ قَـدْ تَخَلَّلَتِ ٱلْفُؤَادَ بِأَسْهُمِ
أَرْسَلْتُ جَارِيَتِي فَقُلْتُ لَهَا ٱذْهَبِي   فَٱشْكِي إِلَيْهَا مَـا لَقِيتُ وَسَلِّمِي
قُولِي يَقُولُ تَخَوَّفِي فِي عَـاشِقٍ   صَبٍّ بِكُمْ حَتَّى ٱلْمَمَـاتِ مُتَيَّمِ
وَيَقُولُ إِنِّي قَـدْ عَلِمْتُ بِأَنَّكُمْ   أَصْبَحْتُمُ يَا بِشْرُ أَوْجَهَ ذِي دَمِ
فَتَبَسَّمَتْ عُجْباً وَقَـالَتْ قَوْلَـةً   إِلَّا فَعِلْمُنَـا بِمَا لَمْ نَعْلَمِ

عَهْـدِي بِهِ وَٱللهُ يَغْفِرُ ذَنْبَـهُ   فِيمَا بَـدَا لِي ذُو هَوًى مُتَقَسِّمِ
قَالَتْ لَهَا بَلْ قَـدْ أَرَدْتِ بِعَادَهُ   لَمَّا عَلِمْتِ فَإِنْ بَـذَلْتِ فَتَمِّمِي

فَهٰذَا ٱلتَّجَنِّي وَٱلْمُبَاعَدَةُ أَمْتَعُ مِنَ ٱلْإِقْرَارِ وَٱلْمُوَاصَلَةِ لِأَنَّ ٱلْوَصْلَ ٱلْمُتَقَدِّمَ لِوُقُوعِ ٱلْعِلْمِ إِنْ كَانَ عَنْ مَوَدَّةٍ صَادِقَةٍ لَمْ يَزِدْهُ ٱلْعِلْمُ بِحَقِيقَةِ ٱلْحَالِ إِلَّا تَوْكِيدًا وَإِنْ كَانَ ٱمْتِحَانًا وَتَعَرُّفًا لَمْ تَزِدْهُ ٱلثِّقَةُ إِلَّا وَفَاءً وَتَعَطُّفًا وَإِنْ كَانَ ٱلَّذِي تُظْهِرُهُ ٱلثِّقَةُ وَٱلْإِدْلَالُ نِعْمَةً لَا يُؤَدَّى شُكْرُهَا إِذْ كَانَ دَلِيلًا عَلَى تَمَامِ ٱلْحَالِ ٱلَّتِي قَصَدَهَا وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَظَاهَرُ عَلَيْهِ ثِقَلُهَا فَيَضْعُفُ فُؤَادُهُ عَنْ حَمْلِهَا فَتَرَاهُ يَنْهَى وَيَأْمُرُ بِٱلْكِتْمَانِ وَمَنْ قَنِعَ بِهٰذِهِ ٱلْحَالِ كَانَ ٱنْتِفَاعُهُ قَلِيلًا وَقَلَقُهُ بِتَعَرُّفِ حَالِهِ عِنْدَ صَاحِبِهِ طَوِيلًا وَلَيْسَتْ تُنَالُ ٱلرُّتَبُ إِلَّا بِٱلتَّجَاسُرِ وَلَا تَصِحُّ ٱلْعُلَى إِلَّا لِلْمُخَاطِرِ وَرُبَّمَا نَجَّتْ [ٱلْجَبَانَ] قَنَاعَتُهُ وَأَهْلَكَتِ ٱلشُّجَاعَ جَسَارَتُهُ بَلَغَنِي أَنَّ فَتًى مِنَ ٱلْأَعْرَابِ يُكَنَّى ٱمْرَأَ ٱلتَّيْسِ هَوِيَ فَتَاةً مِنَ ٱلْحَيِّ فَلَمَّا وَقَفَتْ عَلَى مَا لَهَا عِنْدَهُ هَجَرَتْهُ فَأَشْفَى عَلَى ٱلتَّلَفِ فَلَمَّا بَلَغَهَا ذٰلِكَ جَاءَتْ فَأَخَذَتْ بِعِضَادَتَيِ* ٱلْبَابِ وَقَالَتْ كَيْفَ نَجِدُكَ يَا ٱمْرَأَ ٱلتَّيْسِ فَأَنْشَأَ يَقُولُ ٥٠

دَنَتْ وَظِلَالُ ٱلْمَوْتِ بَيْنِي وَبَيْنَهَـا   وَأَدْلَتْ بِوَصْلٍ حِينَ لَا يَنْفَعُ ٱلْوَصْلُ

ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى مَاتَ فَمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ ٱلْجُبْنُ مِنْ مِثْلِ هٰذِهِ ٱلْحَالِ مَالَ إِلَى ٱلتَّسَتُّرِ وَٱلْكِتْمَانِ وَمَنْ طَمِعَ فِي مِثْلِ مَا ذَكَرْنَا مِنْ حُسْنِ ٱلْمُجَازَاةِ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْوِصَالِ مَالَ إِلَى ٱلْإِعْلَانِ وَبُلُوغِ ٱلْغَايَةِ فِي ٱلْوَجْهَيْنِ جَمِيعًا شَدِيدٌ وَٱلتَّوَسُّطُ أَقْرَبُ إِلَى ٱلسَّلَامَةِ لِأَنَّ مَنْ لَمْ تُعْلِمْهُ بِمَا تَنْطَوِي لَهُ لَمْ تَلَذَّ بِمَا يَبْدُو لَكَ مِنْ وَصْلِهِ وَٱلْهَجْرُ ٱلَّذِي يَتَوَلَّدُ عَنِ ٱلثِّقَةِ بِٱلْوِدَادِ خَيْرٌ مِنَ ٱلْوِصَالِ ٱلَّذِي يَقَعُ مِنْ غَيْرِ ٱعْتِمَادٍ وَمَنْ أَطْلَعْتَهُ عَلَى كُلِّ مَا تُضْمِرُهُ لَهُ لَمْ تَجِدْ سَبِيلًا إِلَى مُكَافَاتِهِ عَلَى مَا يَتَجَدَّدُ

لِذلِكَ مِنْ إحسَانِهِ هٰذَا إذَا سَلِمْتَ مِنَ ٱلدَّالَّةِ ٱلْمُؤَدِّيَةِ إلَى ٱلتَّلَفِ فَخَيْرُ ٱلْأُمورِ لِمَنْ أَطَاقَهُ أَنْ يُظْهِرَ بَعْضاً وَيُخْفِي بَعْضاً ثُمَّ يُظْهِرَ ٱلِازْدِيَادَ حَالاً فحَالاً عَلى أَنَّ ٱلْحَالَ إذَا ٱسْتَغْرَقَتْ صَاحِبَها كَانَ ٱسْتِعْمَالُ ٱلِاخْتِيَارِ فِيهَا مُحَالاً

ولقد احسن العباس بن الاحنف حيث يقول

مَنْ كَانَ يَزْعُمُ أَنْ سَيَكْتُمُ حُبَّهُ حَتّى يُشَكِّكَ فِيهِ فَهْوَ كَذُوبُ
ٱلْحُبُّ أَغْلَبُ لِلرِّجَالِ بِقَهْرِهِ مِنْ أَنْ يُرَى لِلسِّرِّ فِيهِ نَصِيبُ
وَإذَا بَدَا سِرُّ ٱللَّبِيبِ فَإنَّهُ لَمْ يَبْدُ إلّا وَهْوَ مَغْلُوبُ
إنِّي لَأُبْغِضُ عَاشِقاً مُتَحَفِّظاً لَمْ تَتَّهِمْهُ أَعْيُنٌ وَقُلُوبُ

الباب السادس

أَلتَّذَلُّلُ لِلْحَبِيبِ مِنْ شِيَمِ ٱلْأَدِيبِ

قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ تَقْصِيرَ ٱلْمَحْبُوبِ عَنْ مُوَاصَلَةِ مُحِبِّهِ وَتَرَاخِيهِ عَنْ إظْهَارِهِ عَلَى كُلِّ مَا لَهُ فِي قَلْبِهِ إنَّمَا يَتَوَلَّدَانِ عَنْ وُقُوعِ ٱلثِّقَةِ بِهِ فَرُبَّمَا جَهِلَ
٥١ ٱلْمُحِبُّ عَلَى نَفْسِهِ فَتَوَهَّمَ أَنَّ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي بَابِ ٱلْخِيَانَةِ وَٱلْغَدْرِ* فَكَافَى عَلَيْهِ بِٱلِانْحِرَافِ وَٱلْهَجْرِ فَيَجْنِي عَلَى نَفْسِهِ مَا لَا يَتَلَافَاهُ ٱلْعُذْرُ وَلَا يُقَاوِمُهُ ٱلصَّبْرُ وَٱلْحَازِمُ مَنْ صَبَرَ عَلَى مَضَاضَةِ ٱلتَّذَلُّلِ وَٱلْتَمَسَ ٱلْعِزَّ فِي ٱسْتِشْعَارِ ٱلتَّذَلُّلِ فَحِينَئِذٍ يَتَمَكَّنُ مِنْ وِدَادِ مَحْبُوبِهِ وَيَظْفَرُ مِنْ هَوَاهُ بِمَطْلُوبِهِ

قال الحسن بن هانئ

يَا كَثِيرَ ٱلنَّوْحِ فِي ٱلدِّمَنِ   لَا عَلَيْهَا بَلْ عَلَى ٱلسَّكَنِ
سُنَّةُ ٱلْعُشَّاقِ وَاحِدَةٌ   فَإِذَا أَحْبَبْتَ فَٱسْتَكِنِ

وقال معاذ ليلى

عَفَا ٱللهُ عَنْ لَيْلَى وَإِنْ سَفَكَتْ دَمِي   فَإِنِّي وَإِنْ لَمْ تَجْزِنِي غَيْرُ عَاتِبِ
عَلَيْهَا وَلَا مُبْدٍ لِلَيْلَى شِكَايَةً   وَقَدْ يَشْتَكِي ٱلْمُشْكِي إِلَى كُلِّ صَاحِبِ
يَقُولُونَ تُبْ عَنْ حُبِّ لَيْلَى وَذِكْرِهَا   وَمَا خِلْتُنِي عَنْ حُبِّ لَيْلَى بِتَائِبِ

وقال عمر بن ابي ربيعة

لَسْتُ مِنْ ظَالِمَتِي مُنْتَصِفاً   قَبَّحَ ٱللهُ مُحِبًّا يَنْتَصِفْ
وَفَتَاةٍ إِنْ تَغِبْ شَمْسُ ٱلضُّحَى   فَهِيَ لِلنَّاسِ مِنَ ٱلشَّمْسِ خَلَفْ
أَجْمَعَ ٱلنَّاسُ عَلَى تَفْضِيلِهَا   وَهَوَاهُمْ فِي سِوَاهَا مُخْتَلِفْ

وقال المؤمل

أَمِنْ فَقْدِ ٱلْحَبِيبِ عَيْنَاكَ تَبْكِي   نَعَمْ فَقْدُ ٱلْحَبِيبِ أَشَدُّ فَقْدِ
بَرَانِي ٱلْحُبُّ حَتَّى صِرْتُ عَبْدًا   فَقَدْ أَمْسَيْتُ أَرْحَمَ كُلِّ عَبْدِ
فَأُقْسِمُ لَوْ هَمَمْتِ بِمَدِّ قَلْبِي   إِلَى جَوْفِ ٱلسَّعِيرِ لَقُلْتُ مُدِّي

وقال ابو الوليد عبيد الطائي

مِنِّيَ وَصْلٌ وَمِنْكَ هَجْرُ   وَفِيَّ ذُلٌّ وَفِيكَ كِبْرُ
عَذَّبَنِي حُبُّكَ ٱلْمُعَنِّي   وَغَرَّنِي مِنْكَ مَا يَغُرُّ * ٥٢
قَدْ كُنْتُ حُرًّا وَأَنْتَ عَبْدٌ   فَصِرْتُ عَبْدًا وَأَنْتَ حُرُّ
يَا ظَالِمًا لِي بِغَيْرِ جُرْمٍ   إِلَيْكَ مِنْ ظُلْمِكَ ٱلْمَفَرُّ
أَنْتَ نَعِيمِي وَأَنْتَ بُؤْسِي   وَقَدْ يَسُوءُ ٱلَّذِي يَسُرُّ

وقال آخر

تُسِيءُ بِنَا هِنْدٌ وَنُحْسِنُ جُهْدَنَا   فَحَتَّى مَتَى هِنْدٌ تُسِيءُ وَنُحْسِنُ

وَأَجْبُنُ عَنْ تَقْرِيعِ هِنْـدٍ بِذَنْبِهَـا   وَلَوْ غَيْرُ هِنْدٍ كَانَ مَا كُنْتُ أَجْبُنُ

وانشدني محمد بن الخطاب الكلابي قال انشدني ماني لنفسه

يَزِيدُنِي مَـا ٱسْتَزَدْتُ مِنْ صِلَتِهْ   وَعَنْ قَلِيـلٍ يَعُودُ فِي هِبَتِـهْ
لَوْ حُزْتُ قَطْرَ ٱلسَّمَاءِ لَانْهَمَلَتْ   عَلَيَّ ظُلْماً سَمَـاءُ مَوْجِدَتِـهْ
كَمْ زَلَّةٍ مِنْـهُ قَـدْ ظَفِرْتُ بِهَـا   فَقَـامَ حُبِّي لَـهُ بِمَعْذِرَتِـهْ
تُفْنِي ٱللَّيَـالِي وَعِيـدَهُ وَأَنَا   قَرِيبُ عَهْـدٍ بِسُوءِ مَمْلَكَتِهْ

وقال ابو تمام الطائي

ظَنِّي بِـهِ حَسَنٌ لَوْلَا تَجَنِّيـهِ   وَأَنَّهُ لَيْسَ يَرْعَى عَهْـدَ حُبِّيـهِ
عَمَّتْ مَحَـاسِنُهُ عَنِّي إِسَاءَتَـهُ   حَتَّى لَقَدْ حَسُنَتْ عِنْدِي مَسَاوِيـهِ
تَاهَتْ عَلَى صُورَةِ ٱلْأَشْيَاءِ صُورَتُهُ   حَتَّى إِذَا خَضَعَتْ تَاهَتْ عَلَى ٱلتِّيـهِ
لَمْ تَجْتَمِعْ فِرَقُ ٱلْحُسْنِ ٱلَّتِي ٱفْتَرَقَتْ   عَنْ يُوسُفِ ٱلْحُسْنِ حَتَّى ٱسْتَجْمَعَتْ فِيهِ

وقال آخر

مُسْتَقْبَلٌ بِٱلَّذِي يَهْوَى وَإِنْ كَثُرَتْ   مِنْهُ ٱلْإِسَاءَةُ مَعْـذُورٌ بِمَا صَنَعَـا
فِي وَجْهِـهِ شَافِعٌ يَمْحُو إِسَاءَتَهُ   مِنَ ٱلْقُلُوبِ وَجِيهٌ حَيْثُ مَا شَفَعَا

وانشدني بعض اخواننا

٥٣ يَا مَنْ أَرَاهُ أَحَقَّ بِي مِنِّي   إِنْ غِبْتُ عَنْكَ فَلَمْ تَغِبْ عَنِّي*
أَغْفَلْتَنِي لَمَّـا ٱعْتَلَلْتُ وَلَمْ   يَكُ ذَاكَ مِنْكَ يَـدُورُ فِي ظَنِّي
وَأَمَرُّ مَا ذَاقَ ٱمْرُؤٌ فَـهِمٌ   مَـا جَاءَهُ مِنْ مَوْضِعِ ٱلْأَمْنِ
كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَمَا مَنَحْتُكَهُ   صَفْوٌ بِـلَا كَـدَرٍ وَلَا مَنِّ

وقال كثيّر

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُولَةٌ   لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّـةٌ إِنْ تَقَلَّتِ
أَصَابَ ٱلرَّدَى مَنْ كَانَ يَهْوَى لَكِ ٱلرَّدَى   وَجُنَّ ٱللَّوَاتِي قُلْنَ عَزَّةُ جُنَّتِ

خَلِيلَيَّ هٰـذَا رَسْمُ عَزَّةَ فَأَعْقِـلَا   قَلُوصَيْكُمَا ثُمَّ أَبْكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ

وقال اخر

إِنَّ ٱلْهَوَانَ هُوَ ٱلْهَوَى نُقِصَ ٱسْمِهِ   فَـإِذَا هَوِيتَ فَقَـدْ لَقِيتَ هَوَانَا
وَإِذَا هَوِيتَ فَقَدْ تَعَبَّدَكَ ٱلْهَوَى   فَٱخْضَعْ لِإِلْفِـكَ كَائِناً مَنْ كَانَا

وقال آخر

صَفَحْتُ بِرُغْمِي عَنْكَ صَفْحَ ضَرُورَةٍ   إِلَيْكَ وَفِي قَلْبِي نُدُوبٌ مِنَ ٱلْعَتْبِ
خَضَعْتُ وَمَا ذَنْبِي إِنَّمَا ٱلْحُبُّ عَزَّنِي   فَأَغْضَيْتُ ضُعْفاً عَنْ مُعَالَجَةِ ٱلْحُبِّ
وَمَا ذَاكَ بِي فَقْرٌ إِلَيْـكَ مُنَازِعٌ   يُذَلِّـلُ مِنِّي كُلَّ مُمْتَنِعٍ صَعْبِ
إِلَى ٱللهِ أَشْـكُو أَنَّ وُدِّي مُضَيَّعٌ   وَقَلْبِي جَمِيعٌ عِنْدَ مُقْتَسَمِ ٱلْقَلْبِ

وقالت امراة من الاعراب

بِنَفْسِي وَأَهْـلِي مَنْ لَوَ انِّي أَتَيْتُـهُ   عَلَى ٱلْبَحْرِ فَٱسْتَسْقَيْتُهُ مَا سَقَانِيَـا
وَمَنْ لَوْ رَأَى ٱلْأَعْدَاءَ يَنْتَضِلُونَنِي   لَهُمْ غَرَضاً يَرْمُونَنِي لَرَمَانِيَـا
وَمَنْ قَدْ عَصَيْتُ ٱلنَّاسَ فِيهِ جَمَاعَةً   وَصَرَّمْتُ خُـلَّانِي لَهُ وَجَفَانِيَـا
فَيَا أَخَوَيَّ ٱلـلَّائِمَيَّ عَلَى ٱلْهَوَى   أُعِيـذُكُمَا بِٱللهِ مِنْ مِثْـلِ مَا بِيَا
سَأَلْتُكُمَـا بِـٱللهِ لِمَّا جَعَلْتُمَا   مَكَانَ ٱلْأَذَى وَٱللَّوْمِ أَنْ تَرْثِيَا لِيَا * ٥٤
وَلَا تَعْفَـلَا إِنْ لَامَنِي ثَمَّ لَائِمٌ   وَلَوْ سَخِطَ ٱلْوَاشُونَ أَنْ تَعْذُرَانِيَا
فَـأُقْسِمُ لَوْ خُيِّرْتُ بَيْنَ فِرَاقِـهِ   وَبَيْنَ أَبِي إِخْتَرْتُ أَنْ لَا أَبَالِيَـا
ثَـكِلْتُ أَبِي إِنْ كُنْتُ ذُقْتُ كَرِيقِهِ   لِشَيْءٍ وَلَا مَاءٍ مِنَ ٱلْمُزْنِ صَـافِيَا

وقال كثيّر

وَقَائِلَـةٍ دَعْ وَصْـلَ عَزَّةَ وَٱتَّبِـعْ   مَوَدَّةَ أُخْرَى وَٱبْلُهَا كَيْفَ تَصْنَعُ
أَرَاكَ عَلَيْهَـا فِي ٱلْمَوَدَّةِ زَارِياً   وَمَا نِلْتَ مِنْهَا طَائِلًا حَيْثُ تَسْمَعُ
فَقُلْتُ ذَرِينِي بِئْسَ مَا قُـلْتِ إِنَّنِي   عَلَى ٱلْبُخْلِ مِنْهَا لَا عَلَى ٱلْجُودِ أَتْبَعُ

وقال البحتري

أَمِيلُ إِلَيْـكَ عَنْ وُدٍّ قَرِيبٍ ... فَتُقْصِينِي عَلَى ٱلنَّسَبِ ٱلْبَعِيـدِ
فَمَا ذَنْبِي بِـأَنْ كَـانَ ٱبْنُ عَمِّي ... سِوَاكَ وَكَانَ عُودُكَ غَيْرَ عُودِي
وَفِي عَيْنَيْـكَ تَرْجَمَةٌ أَرَاهَـا ... تَـدُلُّ عَلَى ٱلضَّغَـائِنِ وَٱلْحُقُودِ
وَأَخْـلَاقٍ عَهِدْتُ ٱللِّينَ فِيهَـا ... غَـدَتْ وَكَأَنَّهَـا زُبَرُ ٱلْحَدِيـدِ
وَقَدْ عَاقَـدْتَنِي بِخِلَافِ هٰـذَا ... وَقَـالَ ٱللّٰهُ أَوْفُوا بِـٱلْعُقُودِ
وَمَا لِيَ قُوَّةٌ تَنْهَـاكَ عَنِّي ... وَلَا آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيـدِ
سَأَرْحَـلُ عَاتِبًا وَيَـكُونُ عَتْبِي ... عَلَى غَيْرِ ٱلتَّهَـدُّدِ وَٱلْوَعِيـدِ
وَأَحْفَظُ مِنْـكَ مَـا ضَيَّعْتَ مِنِّي ... عَـلَى رَغْمِ ٱلْمُكَاشِحِ وَٱلْحَسُودِ

هٰـذَا ٱلْـكَلَامُ وَإِنْ كَانَ فِيـهِ شَيْءٌ مِنَ ٱلتَّوَاضُعِ وَٱلِاسْتِكَانَةِ فَإِنَّ فِيهِ ضَرْبًا مِنَ ٱلضَّجَرِ ٱلدَّاعِي إِلَى ٱلْخِيَانَةِ لِأَنَّ صَاحِبَهُ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى ٱلتَّذَلُّلِ نَفْسَهُ عَلَى مَا صَبَرَ عَلَيْهِ مَنْ بَدَأْنَا بِذِكْرِهِ

وفي نحو هذا المعنى قول الآخر

فَإِنْ يَكُ هٰذَا مِنْكَ جِدًّا فَـإِنَّنِي ... مُدَاوِي ٱلَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ بِٱلْهَجْرِ
٥٥ وَمُنْصَرِفٌ عَنْكَ ٱنْصِرَافَ ٱبْنِ حُرَّةٍ ... طَوَى وُدَّهُ وَٱلطَّيُّ أَبْقَى عَلَى ٱلنَّشْرِ *

وفي مثله يقول البحتري

وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ ٱلصُّدُودَ ٱلَّذِي مَضَى ... دَلَالٌ فَمَا إِنْ كَانَ إِلَّا تَجَنُّبَـا
فَوَا أَسَفَا حَتَّـامَ أَسْأَلُ مَـانِعًا ... وَآمَنُ خَوَّانًا وَأُعْتِبُ مُذْنِبَـا
سَأَثْنِي فُؤَادِي عَنْكَ أَوْ أَتْبَعُ ٱلْهَوَى ... إِلَيْكَ إِنِ ٱسْتَعْصَى فُؤَادِيَ أَوْ أَبَى

وانشدني احمد بن ابي طاهر لنفسه في نحوه

مَا لِي أُقَرِّبُ مِنْكَ نَفْسِيَ جَاهِدًا ... وَأَرَاكَ مِنِّي جَاهِـدًا تَتَبَاعَـدُ
قَدَّمْتَ دُونَ أَخِيكَ مَنْ هُوَ دُونَهُ ... وَعَنِدْتَ عَنْهُ وَهْوَ مِنْكَ يُعَانِـدُ

أَيَأَسْتَنِي بَعْدَ ٱلرَّجَاءِ فَمَنْ تَرَى يَزْجُوكَ بَعْدِي أَوْ عَلَيْكَ يُحَاسِدُ
أَمْ كَيْفَ يَأْمَلُ مِنْكَ يَوْماً صَالِحاً أَحَدٌ وَرَأْيُكَ فِيَّ رَأْيٌ فَاسِدُ

وقال ابن حازم في نحو ذلك

لَا تَرْضَ عَيْشاً عَلَى ٱمْتِهَانٍ وَلَا تُرِدْ وَصْلَ ذِي ٱمْتِنَانِ
أَشَدُّ مِنْ عَيْلَةٍ وَفَقْرٍ إِغْضَاءُ حُرٍّ عَلَى هَوَانِ
إِذَا نَبَا مَنْزِلٌ بِحُرٍّ فَمِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانِ

وَهٰؤُلَاءِ كُلُّهُمْ وَمَنْ جَرَى فِي هٰذَا ٱلْقَوْلِ مَجْرَاهُمْ إِنَّمَا يَتَضَاجَرُونَ عَلَى خُلَّانِهِمْ لِثِقَلِهِمْ إِيَّاهُمْ عَنْ عَادَاتِهِمْ وَمَنْعِهِمْ إِيَّاهُمْ مَا ٱسْتَعْبَدُوهُ مِنْ مُوَاصَلَاتِهِمْ لِتَغَلُّبِ ٱلْحَيْرَةِ عَلَى قُلُوبِهِمْ يَحْسَبُونَ أَنَّ ٱنْحِرَافَهُمْ عَنْ أَحْبَابِهِمْ أَقَلُّ أَذًى عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلصَّبْرِ لَهُمْ عَلَى مَحَبَّاتِهِمْ وَلَوْ قَدْ أَنْفَذُوا مَا عَزَمُوا عَلَيْهِ مِنَ ٱلْفِرَاقِ وَٱلْهَجْرِ لَشَاهَدُوا مَا يَضْطَرُّهُمْ إِلَى ٱلرُّجُوعِ بِٱلصِّغَرِ وَٱلتَّوَسُّلِ إِلَى ٱلصَّفْحِ بِٱلْعُذْرِ مَا لَمْ يَسْمَعِ ٱلَّذِي يَقُولُ

مَزَحْتَ بِٱلْهَجْرِ وَلَا عِلْمَ لِي أَنَّكَ مُشْتَاقٌ إِلَى ٱلْهَجْرِ
فَلَا يَضِقْ عَفْوُكَ عَنْ تَائِبٍ تَضِيقُ عَنْهُ سَعَةُ ٱلْعُذْرِ* ٥٦

وفي مثل ذلك يقول الآخر

يَا بِنْتَ خَنْسَاءَ ٱلَّذِي أَتَجَنَّبُ ذَهَبَ ٱلزَّمَانُ وَحُبُّهَا لَا يَذْهَبُ
مَا لِي أَحِنُّ إِذَا جِمَالُكِ قُرِّبَتْ وَأَصُدُّ عَنْكِ وَأَنْتِ مِنِّي أَقْرَبُ
لِلّٰهِ دَرُّكِ هَلْ لَدَيْكِ مُعَوَّلٌ لِمُكَلَّفٍ أَمْ هَلْ لِوُدِّكِ مَطْلَبُ

وفي نحو ذلك يقول البحتري

رَحَلْتُ عَنْكَ رَحِيلَ ٱلْمَرْءِ عَنْ وَطَنِهْ وَرِحْلَةَ ٱلسَّكَنِ ٱلْمُشْتَاقِ عَنْ سَكَنِهْ
فَإِنْ تَحَمَّلْتُ صَبْراً عَنْكَ أَوْ مُنِيَتْ نَفْسِي بِهِ فَهُوَ صَبْرُ ٱلطَّرْفِ عَنْ وَسَنِهْ

ولبعض الاعراب في مثل ذلك

وَإِنِّي وَإِنْ لَمْ آتِ لَيْلَى وَأَهْلَهَا لَبَاكٍ عَلَى لَيْلَى بُكَا ذِي ٱلتَّمَائِمِ
بُكاً لَيسَ بِٱلنَّزْرِ ٱلْقَلِيلِ وَدَائِمٌ كَمَا ٱلْهَجْرُ مِنْ لَيْلَى عَلَى ٱلْوَصْلِ دَائِمُ
هَجَرْتُكِ أَيَّاماً بِذِي ٱلْعُمْرِ إِنَّنِي عَلَى هَجْرِ أَيَّامِي بِذِي ٱلْعُمْرِ نَادِمُ
فَلَمَّا مَضَتْ أَيَّامُ ذِي ٱلْعُمْرِ وَٱرْتَمَى بِيَ ٱلْهَجْرُ لَامَتْنِي عَلَيْكِ ٱللَّوَائِمُ
وَإِنِّي وَذَاكَ ٱلْهَجْرُ لَوْ تَعْلَمِينَهُ كَمَا ذِيَةٍ عَنْ طِفْلِهَا وَهِيَ رَائِمُ
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي أَهِيمُ بِذِكْرِكُمْ عَلَى حِينِ لَا يَبْقَى عَلَى ٱلْوَصْلِ دَائِمُ
أَظَلُّ أُمَنِّي ٱلنَّفْسَ إِيَّايَ خَالِياً كَمَا يَتَمَنَّى بَارِدَ ٱلْمَاءِ صَائِمُ

ولقد احسن العباس بن الاحنف حيث يقول

لَا بُدَّ لِلْعَاشِقِ مِنْ وَقْفَةٍ تَكُونُ بَيْنَ ٱلْوَصْلِ وَٱلصَّرْمِ
حَتَّى إِذَا ٱلْهَجْرُ تَمَادَى بِهِ رَاجَعَ مَنْ يَهْوَى عَلَى رَغْمِ

واحسن ايضاً في قوله

أَلْعَاشِقَانِ كِلَاهُمَا مُتَعَتِّبُ وَكِلَاهُمَا مُتَذَلِّلٌ مُتَغَضِّبُ
٥٧ صَدَّتْ مُرَاغَمَةً وَصَدَّ مُرَاغِماً وَكِلَاهُمَا مِمَّا يُعَالِجُ مُتْعَبُ*
رَاجِعْ أَحِبَّتَكَ ٱلَّذِينَ هَجَرْتَهُمْ إِنَّ ٱلْمُتَيَّمَ قَلَّ مَا يَتَجَنَّبُ
إِنَّ ٱلصُّدُودَ إِذَا تَمَكَّنَ مِنْكُمَا دَبَّ ٱلسُّلُوُّ لَهُ فَعَزَّ ٱلْمَطْلَبُ

ولبعض اهل هذا العصر

يَا مُتُّ قَبْلَكَ طَالَ ٱلْحُزْنُ وَٱلْأَسَفُ وَجَاوَزَ ٱلشَّوْقُ بِي حَدَّ ٱلَّذِي أَصِفُ
قَلْبِي إِلَيْكَ مَعَ ٱلْهِجْرَانِ مُنْعَطِفٌ وَأَنْتَ عَنِّي رَخِيُّ ٱلْبَالِ مُنْحَرِفُ
فَإِنْ تَكُنْ عَنْ إِخَائِي ٱلْيَوْمَ مُنْصَرِفاً فَٱللهُ يَعْلَمُ مَا لِي عَنْكَ مُنْصَرَفُ
هَبْنِي ٱعْتَرَفْتُ بِأَنِّي لَسْتُ ذَا شَغَفٍ أَلَمْ يَكُنْ كَمَدِي أَنْ لَسْتُ أَنْتَصِفُ
كَمْ قَدْ كَذَبْتُ عَلَى قَلْبِي فَكَذَّبَنِي طُولُ ٱلْحَنِينِ وَعَيْنٌ دَمْعُهَا يَكِفُ

إنْ كُنْتَ يَوْماً مُقِيلِي زَلَّةً سَلَفَتْ فَالْآنَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُغْرَى بِيَ ٱلتَّلَفُ
أَللّهَ أَللّهَ فِي نَفْسِي فَقَدْ عَطِبَتْ وَلَيْسَ فِي قَيْلِهَا مِنْ شُكْرِهَا خَلَفُ
قَدْ ذَلَّلَ ٱلشَّوْقُ قَلْبِي فَهْوَ مُعْتَرِفٌ إنَّ ٱلتَّذَلُّلَ فِي حُكْمِ ٱلْهَوَى شَرَفُ
فَٱعْمَلْ بِرَأْيِكَ لَا أَدْعُوكَ مُعْتَدِيًا وَلَا أَقُولُ لِشَيْءٍ قُلْتَهُ سَرَفُ

الباب السابع

مَنْ طَالَ سُرُورُهُ قَصُرَتْ شُهُورُهُ

مَنْ صَبَرَ عَلَى ٱلِامْتِحَانِ لِمَنْ يَهْوَاهُ عَلَى مِثْلِ مَا ذَكَرْنَاهُ كَانَ خَلِيقاً أَنْ يَبْلُغَ أَقْصَى مُنَاهُ وَأَهْلُ هٰذِهِ ٱلْحَالِ ٱلَّذِينَ يَحْمَدُونَ ٱلْهَوَى وَيَشْكُرُونَهُ وَيَصِفُونَ لَذَاذَتَهُ لِلَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَهُ وَيُزْرُونَ عَلَى عَيْشِ مَنْ لَمْ يَتَطَعَّمْ مَذَاقَهُ وَلَمْ يُتَعَبَّدْ بِٱسْتِرْقَاقِهِ أَلَمْ تَسْمَعْ ٱلَّذِي يَقُولُ

إذَا أَنْتَ لَمْ تَعْشَقْ وَلَمْ تَدْرِ مَا ٱلْهَوَى فَكُنْ حَجَرًا مِنْ يَابِسِ ٱلصَّخْرِ جَلْمَدَا
فَمَا ٱلْعَيْشُ إلَّا مَا تَلَذُّ وَتَشْتَهِي وَإِنْ لَامَ ذُو ٱلشَّنْآنِ فِيهِ وَفَنَّدَا
تَبِعْتُ ٱلْهَوَى جُهْدِي فَمَنْ شَاءَ لَامَنِي وَمَنْ شَاءَ آسَى فِي ٱلْبُكَاءِ وَأَسْعَدَا ٥٨*

والكميت انصف من هذا حيث يقول

مَا ذَاقَ بُؤْسَ مَعِيشَةٍ وَنَعِيمَهَا فِيمَا مَضَى أَحَدٌ إذَا لَمْ يَعْشَقِ
أَلْحُبُّ فِيهِ حَلَاوَةٌ وَمَرَارَةٌ سَائِلْ بِذٰلِكَ مَنْ تَطَعَّمَ أَوْ ذُقِ

وقال القطامي

أَلَا عَلِّلَانِي كُلُّ حَيٍّ مُعَلَّلُ وَلَا تَعِدَانِي ٱلشَّرَّ وَٱلْخَيْرُ مُقْبِلُ
فَإِنَّكُمَا لَا تَدْرِيَانِ أَمَا مَضَى مِنَ ٱلدَّهْرِ أَمْ مَا قَدْ تَأَخَّرَ أَطْوَلُ

انشد ابو تمام لنفسه

أَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ أَمْلَحَ مِنْ صَبٍّ أَدِيبٍ مُتَيَّمٍ بِأَدِيبِ
جَازَ حُكْمِي فِي قَلْبِهِ وَهَوَاهُ بَعْدَمَا جَازَ حُكْمُهُ فِي ٱلْقُلُوبِ
كَادَ أَنْ يَكْتُبَ ٱلْهَوَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ كِتَابًا هٰذَا حَبِيبُ حَبِيبِ
غَيْرَ أَنِّي لَوْ كُنْتُ أَعْشَقُ نَفْسِي لَتَنَغَّصْتُ عِشْقَهَا بِٱلرَّقِيبِ

فَهٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ قَدْ سَامَحَهُمُ ٱلدَّهْرُ بِصِحَابِهِمْ فَٱسْتَطَابُوا ٱلْمُقَامَ عَلَى حَالِهِمْ وَمَنْ وَصَلَ إِلَى شَيْءٍ نَفْسِهِ تَقَاصَرَتْ عَلَيْهِ ٱلْأَيَّامُ وَرَاصَدَتْهُ بِمَكْرُوهَاتِ ٱلشُّهُورِ وَٱلْأَعْوَامِ

قال جميل بن معمر

يَطُولُ ٱلْيَوْمُ لَا أَلْقَاكِ فِيهِ وَحَوْلٌ نَلْتَقِي فِيهِ قَصِيرُ
وَقَالُوا لَا يَضُرُّكَ نَأْيُ شَهْرٍ فَقُلْتُ لِصَاحِبِي فَلِمَنْ يَضِيرُ

وقال آخر

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَٱلْعِيسُ تَهْوِي بِنَا بَيْنَ ٱلْمُنِيفَةِ وَٱلضِّمَارِ
تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ ٱلْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ
أَلَا يَا حَبَّذَا نَفَحَاتُ نَجْدٍ وَرَيَّا رَوْضِهِ بَعْدَ ٱلْقِطَارِ
٥٩ وَأَهْلُكَ إِذْ يَحُلُّ ٱلْقَوْمُ نَجْدًا وَأَنْتَ عَلَى زَمَانِكَ غَيْرُ زَارِي*
شُهُورٌ يَنْقَضِينَ وَمَا عَلِمْنَا بِأَنْصَافٍ لَهُنَّ وَلَا سِرَارِ

وقال آخر

لَيَالِيَ أَعْطَيْتُ ٱلصَّبَابَةَ مِقْوَدِي تَمُرُّ ٱللَّيَالِي وَٱلشُّهُورُ وَلَا أَدْرِي
مَضَى لِي زَمَانٌ لَوْ أُخَيَّرُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَيَاتِي خَالِيًا آخِرَ ٱلدَّهْرِ
لَقُلْتُ ذَرُونِي سَاعَةً وَكِلَاهُمَا عَلَى غَفْلَةِ ٱلْوَاشِينَ ثُمَّ ٱقْطَعُوا عُمْرِي

وقال ابو تمام لنفسه

وَفَاتِنِ ٱلْأَلْحَاظِ وَٱلْخَدِّ مُعْتَدِلِ ٱلْقَامَةِ وَٱلْقَدِّ
صَيَّرَنِي عَبْدًا لَهُ حُسْنُهُ وَٱلطَّرْفُ قَدْ صَيَّرَهُ عَبْدِي

وقال بعض بني قشير

لَوَ ٱنَّكَ شَاهَدْتَ ٱلصِّبَي يَاٱبْنَ بَوْزَلٍ بِجِزْعِ ٱلْغَضَا إِذْ وَاجَهَتْنَا عَيَاطِلُهْ
لَأَبْصَرْتَ عَيْشًا بَعْدَ سُخْطٍ مِنَ ٱلنَّوَى وَبَعْدَ تَنَائِي ٱلدَّارِ حُلْوًا شَمَائِلُهْ

وقال الطائي

لَوْ كُنْتَ عِنْدِي أَمْسِ وَهْوَ مُعَانِقِي وَمَدَامِعِي تَجْرِي عَلَى خَدَّيْهِ
وَقَدِ ٱرْتَوَتْ مِنْ عَبْرَتِي وَجَنَاتُهُ وَتَنَزَّهَتْ شَفَتَايَ فِي شَفَتَيْهِ
لَرَأَيْتَ بَكَّاءً يَهُونُ عَلَى ٱلْهَوَى وَتَهُونُ تَخْلِيَةُ ٱلدُّمُوعِ عَلَيْهِ
وَرَأَيْتَ أَحْسَنَ مِنْ بُكَائِي قَوْلَهُ هٰذَا ٱلْفَتَى مُتَعَنِّتٌ عَيْنَيْهِ

وقال ايضاً

ظَنُّكَ فِيمَا أُسِرُّهُ حَكَمُ أَرْضَى بِهِ لِي وَطَرْفُكَ ٱلْفَهِمُ
فِيمَ سُلُوِّي وَأَنْتَ بِي كَلِفٌ لَيْسَ بِهٰذَا تُعَاشَرُ ٱلنِّعَمُ
كَيْفَ وَعَيْنِي إِلَيْكَ مُسْرِعَةٌ فِيكَ وَقَلْبِي عَلَيْكَ مُتَّهَمُ
أَظْهَرْتُ مِنْ لَوْعَةِ ٱلْهَوَى جَزَعًا وَٱلصَّبْرُ إِلَّا عَنِ ٱلْهَوَى كَرَمُ *٦٠

وقال ايضاً

نِعَمُ ٱللهِ فِيكَ لَا أَسْأَلُ ٱللّٰـ ـهَ إِلَيْهَا نُعْمَى سِوَى أَنْ تَدُومَا
وَلَوَ ٱنِّي فَعَلْتُ كُنْتُ كَمَنْ تَسْـ ـأَلُهُ وَهْوَ قَائِمٌ أَنْ يَقُومَا

وقال ايضاً

أَيَّامُنَا مَصْقُولَةٌ أَطْرَافُهَا بِكَ وَٱللَّيَالِي كُلُّهَا أَسْحَارُ
هِمَمِي مُعَلَّقَةٌ عَلَيْكَ رِقَابُهَا مَغْلُولَةٌ إِنَّ ٱلْوَفَاءَ إِسَارُ
وَمَوَدَّتِي لَكَ لَا تُعَارُ بَلَى إِذَا مَا كَانَ تَأْمُورُ ٱلْفُؤَادِ يُعَارُ

وَٱلنَّـاسُ غَيْرَكَ مَا تُغَيِّرُ حَبْوَتِي لِفِرَاقِهِمْ هَلْ أَنْجَـدُوا أَمْ غَارُوا
وَلِذَاكَ شِعْرِي فِيكَ قَدْ سَمِعُوا بِهِ سَحَرٌ وَأَشْعَـارِي بِهِمْ إِشْعَارُ

وقال علي بن محمد العلوي

مِنْ قِصَرِ ٱللَّيْـلِ إِذَا زُرْتِنِي أَبْـكِي وَتَبْـكِينَ مِنَ ٱلطُّولِ
عَـدُوُّ عَيْنَيْـكِ وَشَانِيهِمَـا أَصْبَحَ مَشْغُولًا بِمَشْغُولِ

وقال ابو عبادة البحتري

لَوَتْ بِٱلسَّلَامِ بَنَـانًا خَضِيبًا وَلَحْظًا يَشُوقُ ٱلْفُؤَادَ ٱلطَّرُوبَا
وَزَارَتْ عَلَى عَجَلٍ فَٱكْتَسَى لِزَوْرَتِهَـا أَبْرَقُ ٱلْحَزْنِ طِيبَـا
فَكَانَ ٱلْعَبِيرُ بِهَـا وَاشِيًا وَجَرْسُ ٱلْحُلِيِّ عَلَيْهَـا رَقِيبَـا
وَلَمْ أَنْسَ لَيْلَتَنَـا فِي ٱلْعِنَاقِ وَلَفَّ ٱلصَّبَـا بِقَضِيبٍ قَضِيبَا
كَمَا أَقْبَلَتِ ٱلرِّيحُ فِي مَرِّهَـا فَطَوْرًا خُفُوقًا وَطَوْرًا هُبُوبَا

وقال ايضاً

تَأْبَى ٱلْمَنَازِلُ أَنْ تُجِيبَ وَمِنْ جَوًى يَوْمَ ٱلدِّيَارِ دَعَوْتُ غَيْرَ مُجِيبِ
٦١ وَقِصَـارَ أَيَّامٍ بِهِ سَرَقَتْ لَنَـا حَسَنَاتِهَا مِنْ كَاشِحٍ وَرَقِيبِ*
سُقِيَ ٱلْغَضَا وَٱلنَّازِلِيهِ وَإِنْ هُمُ شَبُّوهُ بَيْنَ جَوَانِحٍ وَقُلُوبِ

وله ايضاً

وَأَخٍ لَبِسْتُ ٱلْعَيْشَ أَخْضَرَ نَاضِرًا بِكَرِيمِ عِشْرَتِـهِ وَفَضْلِ إِخَائِهِ
وَضِيَاءِ وَجْهٍ لَوْ تَأَمَّلَـهُ ٱمْرُؤٌ صَادِي ٱلْجَوَانِحِ لَٱرْتَوَى مِنْ مَائِهِ
فَدَعِ ٱلْهَوَى أَوْ مُتْ بِدَائِكَ إِنَّ مِنْ شَأْنِ ٱلْمُتَيَّمِ أَنْ يَمُوتَ بِدَائِهِ

وله ايضاً

أَلَنْتَ لِي ٱلْأَيَّامَ مِنْ بَعْدِ قَسْوَةٍ وَعَاتَبْتَ لِي دَهْرِي ٱلْمُسِيءَ فَأَعْتَبَا
وَأَلْبَسْتَنِي ٱلنُّعْمَى ٱلَّتِي غَيَّرَتْ أَخِي عَلَيَّ فَأَضْحَى نَازِحَ ٱلْوُدِّ أَجْنَبَا

وقال آخر

وَلَمَّا خَلَوْنَا وَٱطْمَأَنَّتْ بِنَا ٱلنَّوَى   وَعَادَ لَنَا ٱلعَيْشُ ٱلَّذِي كُنْتُ أَعْرِفُ
أَخَـذْتُ بِكَفِّي كَفَّهَا فَوَضَعْتُهَا   عَلَى كَبِدٍ مِنْ خَشْيَةِ ٱلْبَيْنِ تَرْجُفُ

قال محمد بن نصير

لَا أَظْلِمُ ٱللَّيْـلَ وَلَا أَدَّعِي   أَنَّ نُجُومَ ٱللَّيْـلِ لَيْسَتْ تَغُورُ
أَللَّيْـلُ مَا شَاءَتْ فَـإِنْ لَمْ تَزُرْ   طَـالَ وَإِنْ زَارَتْ فَلَيْلِي قَصِيرُ

وقال جميل

تَذَكَّرَ مِنْهَا ٱلْقَلْبُ مَا لَيْسَ نَاسِياً   مَلَاحَةَ قَوْلٍ يَوْمَ قَالَتْ وَمَعْهَدَا
فَإِنْ كُنْتَ تَهْوَى أَوْ تُرِيـدُ لِقَاءَنَا   عَلَى خَلْوَةٍ فَٱضْرِبْ لَنَا مِنْكَ مَوْعِدَا
فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِـكْ سَوَابِقَ عَبْرَةٍ   أَأَحْسَنُ مِنْ هٰـذَا ٱلْعَشِيَّةَ مَقْعَدَا
فَقَالَتْ أَخَافُ ٱلْكَاشِحِينَ وَأَتَّقِي   عُيُوناً مِنَ ٱلْوَاشِينَ حَوْلِيَ شُهَّـدَا

وقال خالد الكاتب

عَشِيَّـةَ حَيَّـانِي بِوَرْدٍ كَأَنَّهُ   خُدُودٌ أُضِيفَتْ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضِ
وَوَلَّى وَفِعْلُ ٱلسُّـكْرِ فِي لَحَظَـاتِهِ   كَفِعْلِ نَسِيمِ ٱلرِّيحِ بِٱلْغُصُنِ ٱلْغَضِّ

وقال آخر

وَقَصِيرَةِ ٱلْأَيَّامِ وَدَّ جَلِيسُهَـا   لَوْ نَالَ مَجْلِسَهَـا بِفَقْدِ حَمِيمِ * ٦٢
بَيْضَـاءُ مِنْ بَقَرِ ٱلْجِوَاءِ كَـأَنَّمَا   حفن ٱلْحَيَـاةِ بِهَـا وَدَاءُ سَقِيمِ

وقال عروة بن اذينة

فَذَانِ يُعْنِيهِمَـا لِلْبَيْنِ فُرْقَتُـهُ   وَلَا يَمَلَّانِ طُولَ ٱلدَّهْرِ مَا ٱجْتَمَعَا
مُسْتَقْبِـلَانِ نَشَاطاً مِنْ شَبَابِهِمَا   إِذَا دَعَا دَعْوَةً دَاعِي ٱلْهَوَى سَمِعَا
لَا يَعْجَبَانِ بِقَوْلِ ٱلنَّاسِ عَنْ عُرُضٍ   وَيَعْجَبَـانِ بِمَا قَـالَا وَمَا صَنَعَـا

وقال العرجي

لَقِيتُ بِهِ سِرًّ يَنظُرْنَ مَوْعِدِي ... وَقِدْمًا وَفَتْ مِنِّي لَهُنَّ ٱلْمَوَاعِدُ
أَمِنَّ ٱلْعُيُونَ ٱلرَّامِقَاتِ وَلَمْ يَكُنْ ... لَهُنَّ بِهِ عَيْنٌ سِوَى ٱلصُّبْحِ رَائِدُ
فَبِتُّ صَرِيعًا بَيْنَهُنَّ كَأَنَّنِي ... أَخُو سَقَمٍ تَحْنُو عَلَيْهِ ٱلْعَوَائِدُ
يُفَدِّينَنِي طَوْرًا وَيَضْمُمْنَ تَارَةً ... كَمَا ضَمَّ مَوْلُودًا إِلَى ٱلصَّدْرِ وَالِدُ
لَعَمْرِيَ إِنْ أَبْدَيْنَ لِي ٱلْوُدَّ إِنَّنِي ... بِهِنَّ وَإِنْ أَخْفَيْتُ وَجْدِي لَوَاجِدُ

وقال البحتري

وَأَهْيَفَ مَأْخُوذٍ مِنَ ٱلنَّفْسِ شَكْلُهُ ... تَرَى ٱلْعَيْنُ مَا تَحْتَاجُ أَجْمَعَ فِيهِ
وَلَمْ تَنْسَ نَفْسِي مَا سُقِيتُ بِكَفِّهِ ... مِنَ ٱلرَّاحِ إِلَّا مَا سُقِيتُ بِفِيهِ
أَرَى غَفْلَةَ ٱلْأَيَّامِ إِعْطَاءَ مَانِعٍ ... يُصِيبُكَ أَحْيَانًا وَحِلْمَ سَفِيهِ

وقال آخر

وَلَيْلٍ لَمْ يُقَصِّرْهُ رُقَادٌ ... وَقَصَّرَهُ مُنَادَمَةُ ٱلْحَبِيبِ
نَعِيمُ ٱلْحُبِّ أَوْرَقَ فِيهِ حَتَّى ... تَنَاوَلْنَا جَنَاهُ مِنْ قَرِيبِ
وَمَجْلِسِ لَذَّةٍ لَمْ نَقْوَ فِيهِ ... عَلَى شَكْوَى وَلَا عُذْرِ ٱلذُّنُوبِ
فَلَمَّا لَمْ نَطِقْ فِيهِ كَلَامًا ... تَكَلَّمَتِ ٱلْعُيُونُ عَنِ ٱلْقُلُوبِ

٦٣ وانشدتني ستيرة العصيبية*

بِتْنَا بِأَطْيَبِ لَيْلَةٍ وَأَلَذِّهَا ... يَا لَيْتَهَا وُصِلَتْ لَنَا بِلَيَالِ
حَتَّى إِذَا مَا ٱللَّيْلُ أَشْغَلَ لَوْنَهُ ... بِٱلصُّبْحِ أَوْ أَوْدَى عَلَى ٱلْإِشْغَالِ
نَادَى مُنَادٍ بِٱلصَّلَاةِ فَرَاعَنَا ... وَمَضَى جَمِيعُ ٱللَّيْلِ غَيْرَ نَوَالِ
فَنَهَضْنَ مِنْ حَذَرِ ٱلْعُيُونِ هَوَارِبًا ... نَهْضَ ٱلْهِجَانِ بِدَكْدَكٍ مُنْهَالِ
ثُمَّ ٱطَّلَعْنَ كَأَنَّهُنَّ غَمَائِمٌ ... زَمَنَ ٱلرَّبِيعِ هَمَمْنَ بِٱسْتِهْلَالِ
حَتَّى دَفَعْنَ إِلَى فَتًى جَشَّمْنَهُ ... رَدَّ ٱلْكَرَى وَتَعَسُّفَ ٱلْأَهْوَالِ

وقال بعض اهل هذا العصر

خَلِيلَيَّ أَغرَانِي مِنَ ٱلشَّوْقِ وَٱلْهَوَى وَأَخْلَطُ مِنْ مَاءِ ٱلشَّارِبِينَ بِٱلْخَمْرِ
فَصَدْرٌ عَلَى صَدْرٍ وَنَحْرٌ عَلَى نَحْرٍ وَخَدٌّ عَلَى خَدٍّ وَثَغْرٌ عَلَى ثَغْرِ
يَظَلُّ حَسُودُ ٱلْقَوْمِ فِينَا مُفَكِّرًا بِخَيْلٍ مِنَ ٱلْمَعْشُوقِ مِنَّا فَلَا يَدْرِي

وقال عمر بن ابي ربيعة

وَغَضِيضِ ٱلطَّرْفِ مِكْسَالِ ٱلضُّحَى أَحْوَرِ ٱلْمُقْلَةِ كَٱلرِّيمِ ٱلْأَغَنْ
مَرَّ بِي فِي بَقَرٍ يَحْفُفْنَهُ مِثْلَ مَا حَفَّ ٱلنَّصَارَى بِٱلْوَثَنْ
رَاعَنِي مَنْظَرُهُ لَمَّا بَدَا رُبَّمَا أَرْتَاعُ بِٱلشَّيْءِ ٱلْحَسَنْ
قُلْتُ مَنْ هٰذَا فَقَالَتْ بَعْضُ مَنْ فَتَنَ ٱللّٰهُ بِهِ فِيمَنْ فَتَنْ
بَعْضُ مَنْ كَانَ سَتِيرًا زَمَنًا ثُمَّ أَضْحَى فَهَوَاكُمْ قَدْ مَحَنْ
قُلْتُ حَقًّا قُلْتِ قَالَتْ قَوْلَةً أَوْرَثَتْ فِي ٱلْقَلْبِ هَمًّا وَحَزَنْ
قُلْتُ يَا سَيِّدَتِي عَذَّبْتِنِي قَالَتِ ٱللّٰهُمَّ عَذِّبْنِي إِذَنْ

أَمَّا هٰذِهِ ٱلْمُخَاطَبَةُ فَقَلَّ مَا يَقَعُ أَلْطَفَ مِنْهَا لَفْظًا وَلَا أَجَلَّ مِنْهَا مَوْقِعًا وَلَوْ لَمْ يَصْبِرِ ٱلْمُحِبُّ عَلَى ٱمْتِحَانِ إِلْفِهِ إِلَّا بِسَمْعِ مِثْلِ هٰذَا مِنْ لَفْظِهِ لَكَانَ ذٰلِكَ حَظًّا جَزِيلًا وَدَرَكًا جَلِيلًا فَكَيْفَ وَحَالُ ٱلصَّفَاءِ إِذَا ٱبْتَدَأَتْ بَيْنَ ٱلْمُتَحَابَّيْنِ * بِٱلْمُشَاكَلَةِ ٱلطَّبِيعِيَّةِ ثُمَّ ٱتَّصَلَتْ بِٱلْحِرَاسَةِ ٦٤
عَنِ ٱلْأَخْلَاقِ ٱلدَّنِيَّةِ ثُمَّ عَذُبَتْ بِٱلرِّعَايَاتِ ٱلْاخْتِيَارِيَّةِ بَلَغَتْ بِهِمَا ٱلْحَالُ إِلَى حَيْثُ ٱنْقَطَعَتْ بِهِمْ دُونَهُ ٱلْآمَالُ وَعَلَى أَنَّ ٱلْحَزْمَ لِمَنْ سُومِحَ بِٱلْوِصَالِ أَلَّا يُرْسِلَ نَفْسَهُ كُلَّ ٱلْإِرْسَالِ فَإِنَّ ذٰلِكَ رُبَّمَا دَعَا ٱلْمَحْبُوبَ إِلَى ٱلْمَلَالِ وَإِنْ كَانَ مُقِيمًا عَلَى رِعَايَةِ ٱلْحَالِ

ولقد احسن الذي يقول

عَلَيْكَ بِإِقْلَالِ ٱلزِّيَارَةِ إِنَّهَا تَكُونُ إِذَا دَامَتْ إِلَى ٱلْهَجْرِ مَسْلَكَا
فَإِنِّي رَأَيْتُ ٱلْقَطْرَ يُسْأَمُ دَائِمًا وَيُسْأَلُ بِٱلْأَيْدِي إِذَا هُوَ أَمْسَكَا

الباب الثامن

مَنْ كَانَ ظَرِيفاً فَلْيَكُنْ عَفِيفاً

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ دَاوُدَ وَحَدَّثَنِي أَبِي قَالَ حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ الْحَدَثَانِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ أَبِي يَحْيَى الْقَتَّاتِ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ عَشِقَ فَعَفَّ فَكَتَمَهُ فَمَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ وَلَوْ لَمْ تَكُنْ عِفَّةُ الْمُتَحَابَّيْنِ عَنِ الْأَدْنَاسِ وَتَحَامِيهِمَا مَا يُنْكَرُ فِي عُرْفِ كَافَّةِ النَّاسِ مُحَرَّماً فِي الشَّرَائِعِ وَلَا مُسْتَقْبَحاً فِي الطَّبَائِعِ لَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا تَرْكَهُ إِبْقَاءً وُدِّهِ عِنْدَ صَاحِبِهِ وَإِبْقَاءً عَلَى وُدِّ صَاحِبِهِ عِنْدَهُ

انشدني احمد بن يحيى عن زبير عن محمد بن اسحاق عن مؤمل بن طالوت من اهل وادي القرى عن حمزة بن ابي ضيغم

وَبِتْنَا خِلَافَ الْحَيِّ لَا نَحْنُ مِنْهُمُ ... وَلَا نَحْنُ بِالْأَعْدَاءِ مُخْتَلِطَانِ
وَبِتْنَا يَقِينَا سَاقِطَ الطَّلِّ وَالنَّدَى ... مِنَ اللَّيْلِ بُرْدَا يُمْنَةٍ عَطِرَانِ
نَذُودُ بِذِكْرِ اللهِ عَنَّا غَوَى الصِّبَى ... إِذَا كَادَ قَلْبَانَا بِنَا يَرِدَانِ
وَنَصْدُرُ عَنْ رِيِّ الْعَفَافِ وَرُبَّمَا ... سُقِينَا عَلَيْكِ النَّفْسَ بِالرَّشَفَانِ*

وانشدتني اعرابية بالبادية

وَيَوْمٍ كَإِبْهَامِ الْحُبَارَى لَهَوْتُهُ ... بِقَعْمَةَ وَالْوَاشُونَ فِيهِ تَحَرَّفُ
بِلَا حَرَجٍ إِلَّا كَلَامَ مَوَدَّةٍ ... عَلَيْنَا رَقِيبَانِ التُّقَى وَالتَّعَفُّفُ
إِذَا مَا تَهَمَّمْنَا صَدَدْنَا نُفُوسَنَا ... كَمَا صَدَّ مِنْ بَعْدِ التَّهَمُّمِ يُوسُفُ

وقال العباس بن الاحنف

أَتَـأْذَنُونَ لِصَبٍّ فِي زِيَارَتِكُمْ ... فَعِنْدَكُمْ شَهَوَاتُ ٱلسَّمْعِ وَٱلْبَصَرِ
لَا يُضْمِرُ ٱلسُّوءَ إِنْ طَالَ ٱلْجُلُوسُ بِهِ ... عَفُّ ٱلضَّمِيرِ وَلٰكِنْ فَاسِقُ ٱلنَّظَرِ

واحسن من هذا قول عمر

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِٱلْمُحَصَّبِ مِنْ مِنًى ... وَلِي نَظَرٌ لَوْلَا ٱلتَّحَرُّجُ عَارِمُ
فَقُلْتُ أَشَمْسٌ أَمْ مَصَابِيحُ بِيعَةٍ ... بَدَتْ لَكَ خَلْفَ ٱلسَّجْفِ أَمْ أَنْتَ حَالِمُ
بَعِيدَةُ مَهْوَى ٱلْقُرْطِ إِمَّا لِنَوْفَلٍ ... أَبُوهَا وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمُ
طَلَبْنَ ٱلصِّبَى حَتَّى إِذَا مَا أَصَبْنَهُ ... نَزَعْنَ وَهُنَّ ٱلْمُسْلِمَاتُ ٱلْكَرَائِمُ

ولبعض اهل هذا العصر

أَمَوْلَايَ لَمْ تَبْعُدْ عَلَيْكَ مَطَالِبِي ... وَلَمْ تَخْشَ إِنْ فَكَّرْتَ فِيَّ فَوَاتِي
أَمَوْلَايَ لَا أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ مِنَ ٱلْهَوَى ... فَقُلْ لِي لِمَا بَادَرْتَ بِٱلنَّقِمَاتِ
أَأُنْسِيتَ عَهْدَيْنَا بِوَادٍ مُعَظَّمٍ ... وَلَيْسَ بِذِي زَرْعٍ سِوَى ٱلْحَسَنَاتِ
وَأَنْتَ حَرَامٌ حُرْمَةَ ٱلْحَجِّ وَٱلْهَوَى ... عَلَى ٱلْعَيْنِ إِلَّا هَفْوَةَ ٱللَّحَظَاتِ
أَخُنْتُكَ كَانَ ٱلْعَفْوُ أَوْلَى بِذِي ٱلْهَوَى ... أَمْ ٱبْلِغْتَ زُورًا لَمْ شَفَيْتَ وُشَاتِي

قَالَ وَبَلَغَنِي عَنِ ٱلْأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ قَالَ بَيْنَا أَنَا أَطُوفُ بِٱلْبَيْتِ إِذَا أَنَا بِجَارِيَةٍ مُتَعَلِّقَةٍ بِأَسْتَارِ ٱلْكَعْبَةِ وَهِيَ تَقُولُ

لَنْ يَقْبَلَ ٱللّٰهُ مِنْ مَعْشُوقَةٍ عَمَلًا ... يَوْمًا وَوَامِقُهَا غَضْبَانُ مَهْجُورُ* ٦٦
وَكَيْفَ يَأْجُرُهَا فِي قَتْلِ عَاشِقِهَا ... لٰكِنَّ عَاشِقَهَا فِي ذَاكَ مَأْجُورُ

قَالَ فَقُلْتُ لَهَا يَرْحَمُكِ ٱللّٰهُ أَفِي مِثْلِ هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ تُنْشِدِينَ هٰذَا فَقَالَتْ إِلَيْكَ عَنِّي يَا عِرَاقِيُّ لا ارهقك فَقُلْتُ لَهَا وَمَا ٱلْحُبُّ فَقَالَتْ هَيْهَاتَ جَلَّ وَٱللّٰهِ عَنْ أَنْ يُحْصَى وَخَفِيَ عَنْ أَنْ يُرَى فَهُوَ كَامِنٌ كَكُمُونِ ٱلنَّارِ فِي حَجَرِهَا إِنْ قَدَحْتَهُ وَرَى وَإِنْ تَرَكْتَهُ تَوَارَى ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ

إِنْسٌ غَرَائِرُ مَا هَمَمْنَ بِرِيبَةٍ   كَظِبَاءِ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامُ
يُحْسَبْنَ مِنْ لِينِ ٱلْحَدِيثِ فَوَاسِقاً   وَيَصُدُّهُنَّ عَنِ ٱلْخَنَا ٱلْإِسْلَامُ

وقال ابو صخر الهذلي

وَلَلَيْلَةٌ مِنْهَا تَعُودُ لَنَا   فِي غَيْرِ مَا رَفَثٍ وَلَا إِثْمِ
أَهْوَى إِلَى نَفْسِي وَلَوْ نَزَحَتْ   مِمَّا مَلَكْتُ وَمِنْ بَنِي سَهْمِ

وقال آخر

فَلَمَّا ٱلْتَقَيْنَا قَالَتِ ٱلْحُكْمَ فَٱحْتَكِمْ   سِوَى خَصْلَةٍ هَيْهَاتَ مِنْكَ مَرَامُهَا
فَقُلْتُ مَعَاذَ ٱللهِ مِنْ تِلْكَ خَصْلَةً   تَمُوتُ وَيَبْقَى وِزْرُهَا وَإِثَامُهَا
فَبِتُّ أُثَنِّيهَا عَلَيَّ كَأَنَّهَا   مِنَ ٱلنَّوْمِ سَكْرَى وَارِفَاتٌ عِظَامُهَا

وقال مسعر بن كدام

تَفْنَى ٱللَّذَاذَةُ مِمَّنْ نَالَ صَفْوَتَهَا   مِنَ ٱلْحَرَامِ وَيَبْقَى ٱلْإِثْمُ وَٱلْعَارُ
تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوءٍ فِي مَغَبَّتِهَا   لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا ٱلنَّارُ

وقال جرير

كَانَتْ إِذَا أَخَذَتْ لِعِيدٍ زِينَةً   هَشَّ ٱلْفُؤَادُ وَلَيْسَ فِيهَا مَطْمَعُ
تَرَكَتْ حَوَائِمَ صَادِيَاتٍ هُيَّماً   مُنِعَ ٱلشِّفَاءُ وَطَابَ هٰذَا ٱلْمَشْرَعُ

٦٧ وقال عبيد الراعي*

نُقَارِبُ أَفْنَانَ ٱلصِّبَى وَيَرُدُّنَا   حَيَاءٌ إِذَا كِدْنَا نَلِجُّ فَنَجْمَحُ
حَرَائِرُ مَا يَدْرِينَ مَا سُوءُ شِيمَةٍ   وَيَتْرُكْنَ مَا يُلْحَى عَلَيْهِ وَيُفْضَحُ

وقال ذو الرمة

أَرَيْنَ ٱلَّذِي ٱسْتَوْدَعْنَ سَوْدَاءَ قَلْبِهِ   هَوًى مِثْلَ شَكٍّ بِٱلرِّمَاحِ ٱلنَّوَاجِمِ
أُولٰئِكَ آجَالُ ٱلْفَتَى إِنْ أَرَدْنَهُ   بِقَتْلٍ وَأَسْبَابُ ٱلسَّقَامِ ٱلْمُلَازِمِ
يُقَارِبْنَ حَتَّى يَطْمَعَ ٱلتَّابِعُ ٱلصِّبَى   وَتَهْتَزُّ أَحْشَاءُ ٱلْقُلُوبِ ٱلْحَوَائِمِ

إِذَا قالَ يَا قَدْ حَـلَّ دَيْنِي قَضَيْنَهُ أَمَانِيَّ عِنْـدَ ٱلزَّاهِرَاتِ ٱلْعَوَائِمِ

وقال ايضاً

وَإِنَّا لَنَرْضَى حِينَ نَشْكُو بِخَلْوَةٍ إِلَيْهِنَّ حَاجَاتِ ٱلنُّفُوسِ بِلَا بَذْلِ
وَمَا ٱلْفَقْرُ أَزْرَى عِنْدَهُنَّ بِوَصْلِنَا وَلٰـكِنْ جَرَتْ أَخْلَاقُهُنَّ عَلَى ٱلْبُخْلِ

وانشدني اعرابي ببلاد نجد

وَقَدْ كُنْتُ وَدَّعْتُ ٱلنَّقَا لَيْلَةَ ٱلنَّقَا بِمَا لَيْسَ يُبْلِي ثَوْبَ جِدَّتِـهِ ٱلدَّهْرُ
وَمَا نِلْتُ شَيْئاً غَيْرَ أَنَّكَ قُلْتَ لِي سَأَرْعَاكَ فَٱحْفَظْنِي فَدَيْتُكَ يَا بَدْرُ
سَبَتْكَ بِوَجْهٍ كَالصَّحِيفَةِ وَاضِحٍ وَفِي مُقْلَتَيْ وَسْنَانَ فِي طَرْفِـهِ فَتْرُ
وَفِي مِضْحَكٍ عَذْبٍ كَأَنَّ رُضَابَهُ نُوَارُ أَقَـاحِيٍّ يُدَجِّنُهَـا ٱلْقَطْرُ
وَمَا لِيَ عِلْمٌ غَيْرَ أَنِّي أَظُنُّـهُ وَمَا لِيَ عِـلْمٌ غَيْرَ ظَنِّي وَلَا خُبْرُ

وقال آخر

فَمَا نُطْفَـةٌ مِنْ مَاءِ مُزْنٍ تَنَسَّمَتْ رِيَاحٌ لِأَعْلَى مَتْنِـهِ فَهْوَ قَارِسُ
بِأَطْيَبَ مِنْ فِيهَا وَمَا ذُقْتُ طَعْمَهُ وَلٰـكِنَّنِي فِيمَا تَرَى ٱلْعَيْنُ فَـارِسُ

وانشدني احمد بن يحيى النحوي لزينب بنت فروة

وَمَا طَعْمُ مَاءٍ أَيُّ مَاءٍ تَقُولُـهُ تَحَدَّرَ مِنْ غُرٍّ طِوَالِ ٱلذَّوَائِبِ * ٦٨
بِمُنْعَرَجٍ أَوْ بَطْنِ وَادٍ تَحَدَّثَتْ عَلَيْهِ رِيَاحُ ٱلصَّيْفِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
نَفَتْ جِرْيَةُ ٱلْمَاءِ ٱلْقَذَى عَنْ مُتُونِهِ فَمَا إِنْ تَرَى فِيـهِ مُعَـابَاً لِعَائِبِ
بِأَطْيَبَ مِمَّنْ يَقْصُرُ ٱلطَّرْفَ دُونَهُ تُقَى ٱللهِ وَٱسْتَحْيَاءُ بَعْضِ ٱلْعَوَاقِبِ

وقال العديس الكناني

جَزَى ٱللهُ ٱلْوُشَاةَ جَزَاءَ سَوْءٍ فَـإِنَّهُمُ بِنَـا قَـدْ يُولَعُونَا
وَلَوْ لَمْ نَخْشَ إِلَّا ٱلنَّـاسَ كَانُوا عَلَيْنَـا فِي ٱلْإِسَاءَةِ هَيِّنِينَـا
وَلٰـكِنَّـا نَخَـافُ ٱللهَ حَقّاً وَنَخْشَى ٱللهَ إِسْـلَاماً وَدِينَـا

وَنَسْتَحْيِي وَنَرْعَى غَيْبَ جُمْلٍ   وَنَحْنُ عَلَى ٱلْمَوَدَّةِ مُنْطَوِينَا

وقال آخر

وَأَقْصُرُ طَرْفِي دُونَ جُمْلٍ كَرَامَةً   بِجُمْلٍ وَلِلطَّرْفِ ٱلَّذِي أَنَا قَاصِرُهْ
سَقَى ٱللّٰهُ بَيْتاً لَسْتُ آتِي أَهْلَهُ   وَقَلْبِي فِي ٱلْبَيْتِ ٱلَّذِي أَنَا هَاجِرُهْ

وقال آخر

تَضَوَّعَ مِسْكاً بَطْنُ نُعْمَانَ إِذْ مَشَتْ   بِهِ زَيْنَبٌ فِي نِسْوَةٍ عَطِرَاتِ
خَرَجْنَ بِفَجٍّ رَائِحَاتٍ عَشِيَّةً   يُلَبِّينَ لِلرَّحْمَانِ مُعْتَمِرَاتِ
يُغَطِّينَ أَطْرَافَ ٱلْبَنَانِ مِنَ ٱلتُّقَى   وَيَخْرُجْنَ بِٱلْأَسْحَارِ مُعْتَجِرَاتِ
وَلَمَّا رَأَتْ نَكْثَ ٱلنُّمَيْرِيِّ أَعْرَضَتْ   وَكُنَّ مِنَ ٱنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتِ

وقال الحسن بن هانئ

أَحْسَنُ مِنْ زَحْفِ قَبِيلَتَيْنِ   وَمِنْ تَلَاقِي كَتِيبَتَيْنِ
وَمِنْ نِزَالٍ بِمُرْهَفَاتٍ   بَيْنَ مَغَاوِيرِ عَسْكَرَيْنِ
فَمَانِ قَدْ أُعْمِلَا رِضَاعاً   وَمَصُّ رِيقٍ بِشَفَتَيْنِ
لَمْ يُطْعَمَا ٱلْغُمْضَ مِنْ نِفَارٍ   مُحَادِثَيْنِ مُلَازِمَيْنِ
حَتَّى إِذَا ٱلصُّبْحُ لَاحَ قَامَا   عَلَى وُضُوءٍ مُصَلِّيَيْنِ

وقال آخر

فَمَا أَنْسَ مِمَّا قَدْ رَأَيْتُ وَفَاتَنِي   بِهِ ٱلدَّهْرُ مِمَّا كُنْتُ أُعْطَى وَأُرْزَقُ
فَلَنْ أَنْسَ مَسْرَاهَا وَسِرْباً سَرَتْ بِهِ   بِغَوْرِ ٱلنَّقَا كَادَتْ لَهُ ٱلْأَرْضُ تُشْرِقُ
٦٩ إِلَى مَوْعِدٍ مِنَّا وَمِنْهُنَّ شَاقَنَا   إِلَيْهِ ٱلْأَعَادِي وَٱلْهَوَى ٱلْمُتَشَوِّقُ*
فَبِتْنَ جُنُوحاً يَشْتَكِينَ وَنَشْتَكِي   إِلَيْهِنَّ لَمْ يَهْبِطْ لَنَا ٱلْأَرْضَ مِرْفَقُ
عَفَائِفُ لَا يَدْنُونَ مِنَّا لِرِيبَةٍ   وَلَا نَحْنُ مَكْرُوهاً مِنَ ٱلْأَمْرِ نَرْهَقُ
فَلَمَّا رَأَيْنَ ٱلصُّبْحَ لَاحَ وَصَوَّتَتْ   كَرَائِمُ طَيْرٍ لَمْ تَكُنْ قَبْلُ تَنْطِقُ

فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى وَدِدْتُ بِأَنَّنِي … بِمَا فِي فُؤَادِي مِنْ دَمِ ٱلْجَوْفِ أَشْرَقُ
وَأَعْلَنَتِ ٱلشَّكْوَى حَصَانٌ غَرِيرَةٌ … تَجُودُ بِمَاضِي دَمْعِهَا ثُمَّ تَشْهَقُ
يَظَلُّ ٱلْغَيُورُ أَرْغَمَ ٱللهُ أَنْفَهُ … عَلَى مُلْتَقَانَا قَائِمًا يَتَحَنَّقُ

وقال آخر

أَلَا يَاشِفَاءَ ٱلنَّفْسِ لَمْ تُسْعِفِ ٱلنَّوَى … وَتُحْيِي فُؤَادًا لَا تَنَامُ سَرَائِرُهْ
أَثِيبِي فَتًى حَقَّقْتِ قَوْلَ عَدُوِّهِ … عَلَيْهِ وَقَلَّتْ فِي ٱلصَّدِيقِ مَعَاذِرُهْ
أُحِبُّكِ يَا سُلْمَى عَلَى غَيْرِ رِيبَةٍ … وَمَا خَيْرُ حُبٍّ لَا تَعِفُّ سَرَائِرُهْ

ولبعض اهل هذا العصر

لَا تُلْزِمَنِّيَ فِي رَعْيِ ٱلْهَوَى سَرَفًا … وَمَا أُوَفِّيهِ إِلَّا دُونَ مَا يَجِبُ
لَوْ كُنْتَ شَاهِدَنَا وَٱلدَّارُ جَامِعَةٌ … وَٱلشَّمْلُ مُلْتَئِمٌ وَٱلْوُدُّ مُقْتَرِبُ
لَا بَلْ مُسَاوَاةُ وُدِّي وُدَّهُ بِهَوًى … كَأَنَّهُ نَسَبٌ بَلْ دُونَهُ ٱلنَّسَبُ
مُسْتَأْنِسَيْنِ بِمَا تُخْفِي ضَمَائِرُنَا … عَلَى ٱلْعَفَافِ وَرَعْيِ ٱلْوُدِّ نَصْطَحِبُ
فَإِنْ نَحَا ٱلشَّوْقَ فَرْطُ ٱلْأُنْسِ أَوْحَشَنَا … أُنْسُ ٱلْعَوَاذِلِ إِنْ جَدُّوا وَإِنْ لَعِبُوا
فَمَا نُدَافِعُ بِٱلْهِجْرَانِ فَهْوَ عَلَى … أَنْ لَا يَزُولَ هَوَانَا مُشْفِقٌ حَدِبُ
عَايَنْتَ مَنْزِلَةً فِي ٱلظَّرْفِ عَالِيَةً … وَرُتْبَةً قَصَّرَتْ عَنْ شَأْوِهَا ٱلرُّتَبُ
فِي عِفَّةٍ نَتَحَامَى أَنْ يُلِمَّ بِهَا … سُوءُ ٱلظُّنُونِ وَأَنْ تَغْتَالَهَا ٱلرِّيَبُ

وقال آخر

فَلَا بُخْلٌ فَيُؤْيِسَ مِنْكَ بُخْلٌ … وَلَا جُودٌ فَيَنْفَعَ مِنْكَ جُودُ * ٧٠
شَكَوْنَا مَا عَلِمْتَ فَمَا وَلِيتُمْ … وَبَاعَدْنَا فَمَا نَفَعَ ٱلصُّدُودُ
وَنُحْسَدُ أَنْ نَزُورَكُمُ وَنَرْضَى … بِدُونِ ٱلْبَذْلِ لَوْ رَضِيَ ٱلْحَسُودُ

وقال آخر

وَيَخْشَوْنَ فِي لَيْلَى عَلَيَّ وَلَمْ أَنَلْ … مَعَ ٱلْعَذْلِ مِنْ لَيْلَى حَرَامًا وَلَا حِلَّا

سِوَى ان نحا لَوْ تَشَاءُ أَقَلَّهَا وَلَوْ تَبْتَغِي ظِلًّا لَكَانَ لَهَا ظِلَّا
أَلَا حَبَّذَا أَطْلَالُ لَيْلَى عَلَى ٱلْبِلَى وَمَا بَذَلَتْ لِي مِنْ نَوَالٍ وَإِنْ قَلَّا
وَمَا يَتَمَادَى ٱلْعَهْدُ إِلَّا تَجَدَّدَتْ مَوَدَّتُهَا عِنْدِي وَإِنْ زَعَمَتْ أَنْ لَا

وَلَعَمْرِي إِنَّ هٰذَا مِنْ نَفِيسِ ٱلْكَلَامِ قَدْ جَمَعَ لَفْظًا فَصِيحًا وَمَعْنًى صَحِيحًا غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يُخْبِرْ بِٱلْعِلَّةِ ٱلَّتِي مِنْ أَجْلِهَا لَمْ يَنَلْ حَرَامًا وَلَا حَلَالًا . فَيُقْضَى لَهُ عَلَى حَسَبِ ذٰلِكَ لِأَنَّ مَنْ مَنَعَهُ مِنْ إِتْيَانِ ٱلْمُنْكَرِ عَجْزُهُ عَنْهُ لَمْ يُشْكَرْ وَإِنَّمَا يُسْتَطْرَفُ مِمَّنْ قَدِرَ عَلَى مَا يَهْوَاهُ فَتَعَفَّفَ

كما قال مسلم بن الوليد

وَمَا ذَمِّيَ ٱلْأَيَّامَ أَنْ لَسْتُ حَامِدًا لِعَهْدِ لَيَالِيهَا ٱلَّتِي سَلَفَتْ قَبْلُ
أَلَا رُبَّ يَوْمٍ صَادِقِ ٱلْعَيْشِ نِلْتُهُ بِهَا وَنَدَامَايَ ٱلْعَفَافَةُ وَٱلْبَذْلُ

وقال بعض اهل هذا العصر

يَا مُتُّ قَبْلَكَ قَدْ وَٱللهِ بَرَّحَ بِي شَوْقِي إِلَيْكَ فَهَلْ لِي فِيكَ مِنْ حَظِّ
قَلْبِي يَغَارُ عَلَى عَيْنِيَّ إِذَا نَظَرَتْ بُقْيَا عَلَيْكَ فَمَا أُرْوَى مِنَ ٱللَّحْظِ

فَهٰذَا يُخْبِرُ أَنَّ صَاحِبَهُ وَنَفَاسَتَهُ فِي صَدْرِهِ مَنَعَاهُ مِنَ ٱلْاِسْتِمْتَاعِ بِٱلنَّظَرِ إِلَى شَخْصِهِ وَأَكْسَبَاهُ ٱلْغَيْرَةَ لَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَلَهُ أَيْضًا فِي بَابِ ٱلتَّعْظِيمِ لِإِلْفِهِ وَٱلتَّقْدِيمِ لَهُ عَلَى نَفْسِهِ كَلَامٌ إِنْ لَمْ يَقْبُحْ مِنْ بَابِ ٱلْإِفْرَاطِ وَٱلتَّكْثِيرِ لَمْ يَسْهُلْ مِنْ بَابِ ٱلتَّسَاهُلِ وَٱلتَّقْصِيرِ وَهُوَ

٧١ جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنْ صَلُحَتْ فِدَاءً لِنَفْسِكَ نَفْسُ مِثْلِي أَوْ وِقَاءً*
وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ تَفْدِيكَ نَفْسِي وَلَيْسَ مَحَلُّ نَفْسَيْنَا سَوَاءً

وَبَلَغَنِي أَنَّ أَعْرَابِيًّا خَلَا بِصَاحِبَتِهِ فَقِيلَ لَهُ مَا كَانَ بَيْنَكُمَا فَقَالَ مَا زَالَ ٱلْقَمَرُ يُزَيِّنُهَا فَلَمَّا غَابَ زَيَّنَتْهُ فَوَضَعْتُ كَفِّي عَلَى كَفِّهَا فَقَالَتْ مَهْ لَا تُفْسِدْ فَقُلْتُ وَٱللهِ مَا يَرَانَا إِلَّا ٱلْكَوَاكِبُ فَقَالَتْ وَيْحَكَ وَأَيْنَ

مُكَوْكِبُهَا قَالَ فَٱرْفَضَضْتُ وَٱللهِ عَرَقاً وَلَمْ أُعِدْ وَبَلَغَنِي أَنَّ ٱلْعَبَّاسَ بْنَ سَهْلٍ ٱلسَّاعِدِيَّ دَخَلَ عَلَى جَمِيلٍ وَقَدِ ٱحْتُضِرَ فَقَالَ لَهُ جَمِيلٌ يَا بْنَ سَهْلٍ أَتَظُنُّ رَجُلًا عَاشَ فِي ٱلْإِسْلَامِ لَمْ يَزْنِ وَلَمْ يَسْرِقْ وَلَمْ يَسْفِكْ دَماً حَرَاماً نَاجِياً مِنْ هَوْلِ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ قَالَ ٱلْعَبَّاسُ فَقُلْتُ أَيْ وَٱللهِ فَمَنْ ذٰلِكَ قَالَ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَهُ قَالَ فَتَبَسَّمْتُ وَقُلْتُ أَبَعْدَ إِتْيَانِكَ بُثَيْنَةَ عِشْرِينَ سَنَةً فَقَالَ إِنِّي فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ ٱلدُّنْيَا وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ ٱلْآخِرَةِ فَلَا نَالَتْنِي شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ كُنْتُ حَدَّثْتُ نَفْسِي بِحَرَامٍ مِنْهَا قَطُّ فَضْلًا عَمَّا وَرَاءَ ذٰلِكَ قَالَ ثُمَّ مَاتَ مِنْ يَوْمِهِ

الباب التاسع

لَيْسَ مِنَ ٱلظَّرْفِ ٱمْتِهَانُ ٱلْحَبِيبِ بِٱلْوَصْفِ

مَنْ سَامَحَتْهُ ٱلْأَيَّامُ لِمَحَابِّهِ وَرُزِقَ حُسْنَ ٱلْوَفَاءِ وَٱلْمُسَاعَدَةِ مِنْ أَحْبَابِهِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ فِي حُدُودِ ٱلظَّرْفِ دُونَ مَا يَجِبُ مِنْ رِعَايَةِ حُقُوقِ ٱلْإِلْفِ أَنْ يُقَابِلَ نِعَمَ ٱللهِ عَلَيْهِ بِمَا يُوجِبُ ٱلْمَزِيدَ فِيهَا لَدَيْهِ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِأَسْبَابِ ٱلْمَهَالِكِ وَلْيَعْلَمْ أَنَّ وَصْفَ مَا فِي صَاحِبِهِ مِنَ ٱلْخِصَالِ ٱلْمُرْتَضَاةِ مُغْرٍ بِمَنْ عَلِمَهَا بِٱلْمُشَارَكَةِ لَهُ فِي هَوَاهُ وَلَقَدْ أَحْسَنَ ٱلَّذِي يَقُولُ

وَلَسْتُ بِوَاصِفٍ أَبَدًا خَلِيلًا ... أُعَرِّضُهُ لِأَهْوَاءِ ٱلرِّجَالِ
وَمَا بَالِي أُشَوِّقُ عَيْنَ غَيْرِي ... إِلَيْهِ وَدُونَهُ سَتْرُ ٱلْحِجَالِ

٧٢ كَأَنِّي آمَنُ ٱلشُّرَكَاءِ فِيهِ وَآمَنُ فِيهِ أَحْدَاثَ ٱلرِّمَالِ*

واحسن ايضاً الذي يقول

أَصُونُكَ أَنْ أَدُلَّ عَلَيْكَ وَهْمًا لِأَنَّ ٱلظَّنَّ مِفْتَاحُ ٱلْغُيُوبِ

وما قصّر علي بن محمد العلوي حيث يقول

رُبَّمَا سَرَّنِي صُدُودُكَ عَنِّي وَتَنَائِيكَ وَٱمْتِنَاعُكَ مِنِّي
ذَاكَ أَلَّا أَكُونَ مِفْتَاحَ غَيْرِي وَإِذَا مَا خَلَوْتُ كُنْتَ ٱلتَّمَنِّي

وَإِذْ قَدْ دَلَلْنَا عَلَى قُبْحِ وَصْفِ ٱلْخَلِيلِ بِمَا فِيهِ مِنَ ٱلْخَلْقِ وَٱلْخُلُقِ ٱلْجَمِيلِ فَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى دَلَالَةٍ عَلَى قُبْحِ ٱلْوَصْفِ لِمَا حَمَلَ عَلَيْهِ نَفْسَهُ مِنَ ٱلْمُسَامَحَةِ بِصَاحِبِهِ وَٱلْمُسَارَعَةِ إِلَى بُلُوغِ مَحَبَّتِهِ فَإِنَّ ٱلْمَحْبُوبَ رُبَّمَا دَعَتْهُ ٱلرَّأْفَةُ بِمُحِبِّهِ أَوِ ٱلْإِشْفَاقُ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ يَحْمِلَ نَفْسَهُ لَهُ عَلَى مَا لَا يُوجِبُهُ حَقُّ ٱلْهَوَى عَلَيْهِ وَعَلَى مَا لَمْ يُوصِلْهُ صَاحِبُهُ مِنْهُ وَأَنْ يَدْعَهُ إِلَيْهِ تَحَقُّقاً بِٱلرِّعَايَةِ لِمَنْ يَهْوَاهُ وَتَظَرُّفاً بِٱلسِّيَاسَةِ لَهُ إِلَى أَكْثَرِ مَا يَتَمَنَّاهُ وَإِنْ لَمْ يَقَعْ ذٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَمْلِ عَلَى ٱلنَّفْسِ وَٱلْغَضِّ مِنْهَا فَإِذَا كَانَ وَصْفُ ٱلْخِلْقَةِ ٱلَّتِي لَا يَتَهَيَّأُ نَقْلُهَا وَلَا يُعَابُ بِهَا صَاحِبُهَا لَيْسَ بِجَمِيلٍ كَانَ وَصْفُ ٱلْخَلَائِقِ ٱلَّتِي قَدْ سُومِحَ فِيهَا أَحْرَى أَنْ يَكُونَ غَيْرَ جَمِيلٍ

ولعمري لقد احسن جميل بن عبدالله بن معمر العذري حيث يقول

هَلِ ٱلْحَائِمُ ٱلْعَطْشَانُ مُسْقًى بِشُرْبَةٍ مِنَ ٱلْمُزْنِ تَرْوِي مَا بِهِ فَتُرِيحُ
فَقَالَتْ فَنَخْشَى إِنْ سَقَيْنَاكَ شُرْبَةً تُخَبِّرُ أَعْدَائِي بِهَا فَتَبُوحُ
إِذَنْ فَأَبَاحَتْنِي ٱلْمَنَايَا وَقَادَنِي إِلَى أَجَلِي عَضْبُ ٱلسِّلَاحِ سَفُوحُ
لَبِئْسَ إِذَنْ مَأْوَى ٱلْكَرِيمَةِ سِرُّهَا وَإِنِّي إِذَنْ مِنْ حُبِّكُمْ لَصَحِيحُ

أَمَّا قَوْلُهُ لَبِئْسَ مَأْوَى ٱلْكَرِيمَةِ سِرُّهَا فَكَلَامٌ حَسَنٌ وَأَهْلُهُ وَإِنِّي

إِذًا مِنْ حُبِّكُمْ لَصَحِيحٌ فَكَلَامٌ قَبِيحٌ أَتَرَاهُ إِنْ صَحَا مِنْ حُبِّهَا خَبَّرَ ٱلنَّاسَ بِسِرِّهَا حَتَّى يَجْعَلَ عَلَيْهِ فِي كِتْمَانِهِ إِيَّاهُ أَنَّهُ مُغْرَمٌ بِهَا بَلَغَنِي أَنَّ
رَجُلًا* قَامَ بِحَضْرَةِ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ قَبَّحَ ٱللهُ ٱلْمَجُوسَ بَلَغَنِي أَنَّ أَحَدَهُمْ ٧٣
يَتَزَوَّجُ بِأُمِّهِ وَٱللهِ لَوْ أُعْطِيتُ عَشَرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ أَنْ أَفْعَلَ ذَٰلِكَ مَا فَعَلْتُهُ فَلَمَّا ٱنْصَرَفَ قَالَ مُعَاوِيَةُ مَا لَهُ أَسْخَنَ ٱللهُ عَيْنَهُ أَتَرَى لَوْ زِيدَ عَلَى ذَٰلِكَ كَانَ يَفْعَلُ وَلٰكِنْ يُتَلَقَّى هٰذَا ٱلْكَلَامُ مِنْ جَمِيلٍ بِٱلْيَدَيْنِ وَيُحْمَلُ عَلَى ٱلرَّأْسِ وَٱلْعَيْنَيْنِ إِذَا سَمِعَ كَلَامُ ٱلشَّيْخِ ٱمْرِئِ ٱلْقَيْسِ

فَلَمَّا دَنَوْتُ تَسَدَّيْتُهَا فَثَوْبًا نَسِيتُ وَثَوْبًا أُجُرّْ
وَلَمْ يَرَنَا كَالِئٌ كَاشِحٌ وَلَمْ يُفْشَ مِنَّا لِذَا ٱلْبَيْتِ سِرّْ
وَقَدْ رَابَنِي قَوْلُهَا يَا هَنَاهُ وَيْحَكَ أَلْحَقْتَ شَرًّا بِشَرّْ

فَمَا أَدْرِي مِنْ أَيِّ أَمْرَيْهِ أَعْجَبُ أَمِنْ خَشْيَةٍ فِي نَفْسِهِ أَمْ مِنْ جَهْلِهِ بِأَمْرِهِ يَفْرَحُ بِأَنْ لَمْ يَرَهُمْ [كَاشِحٌ وَلَمْ] يُفْشَ لَهُمْ فِي ٱلْبَيْتِ سِرٌّ وَمَا عَسَى ٱلْكَاشِحُ لَوْ رَآهُمْ إِنْ كَانَ يَصْنَعُ بِهِمْ هَلْ كَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُشَنِّعَ عَلَيْهِمْ إِلَّا بَعْضَ تَشْنِيعِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ

ولعمري قد احسن الذي يقول

مَا يَبْلُغُ ٱلْأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ مَا يَبْلُغُ ٱلْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ

فَأَمَّا هٰذَا ٱلنَّحْوُ مِنَ ٱلشِّعْرِ فَلَسْتُ أَنْشَطُ لِذِكْرِهِ لَا مِنْ شِعْرِ ٱمْرِئِ ٱلْقَيْسِ وَلَا مِنْ شِعْرِ غَيْرِهِ [فَهُوَ] فِعْلٌ خَارِجٌ عَنْ حَدِّ ٱلدِّيَانَةِ وَٱلْمُرُوءَةِ وَمَا خَرَجَ عَنْ حَدِّ هٰذَيْنِ ٱلْبَابَيْنِ تَعَدَّى عَيْبُهُ مِنْ فَاعِلِهِ إِلَى نَاشِرِهِ وَمُسْتَحْسِنِهِ وَأَمَّا مَا ذَكَرْنَاهُ فِي ٱلْبَابِ ٱلثَّامِنِ مِنْ وَصْفِ ٱجْتِمَاعِ ٱلْمُحِبِّ مَعَ مَحْبُوبِهِ وَمُسَامَحَتِهِ لَهُ فِيمَا يحور مَحْبُوبَهُ فَهُوَ لَعَمْرِي مَعِيبٌ مِمَّنْ حَكَاهُ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنَّهُ عَيْبٌ لَا يَهْتِكُ سِتْرَ ٱلْمَوَدَّةِ

بِمِثْلِهِ فَمِنْ أَجلِ ذٰلِكَ سامَحْنا بِـذِكْرِهِ وَإِنْ كانَتْ مَرْتَبَـةُ ٱلْـكَمالِ مُوجِبَةً لِغَيْرِهِ وَكَذٰلِكَ نَتَساهَلُ إِنْ شاءَ ٱللهُ فِي ذِكْرِ بَعْضِ ما وَصَفَـهُ
٧٤ ٱلمحِبُّونَ مِنْ صُوَرِ ٱلْمَحْبُوبِينَ وَإِنْ كانَ فِيهِ بَعْضُ ٱلْهُجْنَـةِ بِهِمْ * فَإِنَّ فِيهِ بَعْضَ ٱلْمَنْفَعَةِ لِغَيْرِهِمْ

قال ذو الرمة

لَهَا بَشَرٌ مِثْـلُ ٱلْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ   رَخِيمُ ٱلْحَوَاشِي لَا هُرَاءٌ وَلَا نَزْرُ
وَعَيْنَـانِ قَـالَ ٱللهُ كُونَا فَكَانَتَا   فَعُولَانِ بِٱلْأَلْبَابِ مَا تَفْعَلُ ٱلْخَمْرُ

وقال معن بن اوس

ظَعَائِنُ مِنْ أَوْسٍ وَنُعْمَانَ كَٱلدُّمَى   حَوَاضِرُ لَمْ يُجْزِينَ عَمًّا وَلَا بَعْـلَا
أَوَانِسُ يَرْكُضْنَ ٱلْمُرُوطَ كَأَنَّمَا   يَطَأْنَ إِذَا ٱسْتَوْسَقْنَ فِي جَدَدٍ وَحْلَا

وقال ابن مرداس

وَأَهْوَتْ لِتَنْتَاشَ ٱلرِّوَاقَ فَلَمْ تَقُمْ   إِلَيْهِ وَلٰـكِنْ طَأْطَأَتْـهُ ٱلْوَلَائِدُ
قَلِيلَـةُ لَحْمِ ٱلنَّـاظِرَيْنِ يَزِينُهَا   شَبَابٌ وَمَخْفُوضٌ مِنَ ٱلْعَيْشِ بَارِدُ
تَنَاهَى إِلَى لَهْوِ ٱلْحَدِيثِ كَأَنَّهَـا   أَخُو سَقَمٍ قَدْ أَسْلَمَتْـهُ ٱلْعَوَائِدُ
تَرَى ٱلْقُرْطَ مِنْهَا فِي فِنَاهُ كَأَنَّهُ   بِمَهْلَكَـةٍ لَوْلَا ٱلْعُرَى وَٱلْمَعَاقِـدُ

وقال قيس بن الحطيم

وَلَمْ أَرَهَـا إِلَّا ثَلَاثًا عَـلَى مِنًى   وَعَهْدِي بِهَا عَذْرَاءُ ذَاتُ ذَوَائِبِ
تَبَدَّتْ لَنَا كَٱلشَّمْسِ تَحْتَ غَمَامَةٍ   بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضَنَّتْ بِحَاجِبِ

وقال محمد بن ابرهيم الاسدي

وَأَصْبَحَ مَا رَجَّيْتُ مِنْ أُمِّ وَاصِلٍ   يُقَطِّعُ إِلَّا حَاجَـةً سَأَقُولُهَا
رَقُودُ ٱلضُّحَى مِبْسَامَةٌ لَا يَهُمُّهَـا   صُرُوفُ ٱلنَّوَى تَظْعَانُهَا وَحُلُولُهَا
إِذَا ضَحِكَتْ لَمْ تَنْبَسِطْ وَتَبَسَّمَتْ   حَيَاءً وَيَكْفِيهَا مِنَ ٱلْخَلْفِ قِيلُهَـا

وقال الضحاك بن عقيل العامري

بِأَشْنَبَ صَافٍ تَعْرِفُ ٱلنَّفْسُ أَنَّهُ ‌ ‌ وَإِنْ لَمْ يُذَقْ حُمْشُ ٱللِّثَاتِ عِذَابُ
وَكَفٍّ كَقِنْوَانِ ٱلنَّقَا لَا يَضِيرُهَا ‌ ‌ إِذَا أُبْرِزَتْ أَنْ لَا يَكُونَ خِضَابُ* ٧٥
وَمَتْنَانِ يَزْدَادَانِ لِيناً إِذَا مَشَتْ ‌ ‌ كَمَا ٱهْتَزَّ مِنْ مَاءِ ٱلسُّيُولِ جَنَابُ

وقال محمد بن بشير الخارجي

وَتَرَى مَدَامِعَهَا تُرَقْرِقُ مُقْلَةً ‌ ‌ سَوْدَاءُ تَرْغَبُ عَنْ سَوَادِ ٱلْإِثْمِدِ
خَوْدٌ إِذَا كَثُرَ ٱلْحَدِيثُ تَعَوَّذَتْ ‌ ‌ بِحِمَى ٱلْحَيَاءِ وَإِنْ تَكَلَّمْ تَقْصِدِ

وقال الركاض الزبيدي

وَمَا أَثَرَتْ حُبِّي عَلَى نَوْمَةِ ٱلضُّحَى ‌ ‌ لَهَا مِهْنَةً يَوْماً وَلَا بَاكَرَتْ طَعْمَا
وَلَا أَنْمَأَتْ يَوْماً حَدِيثاً لِجَارَةٍ ‌ ‌ تُعَذِّرُ مِنْ إِنْمَائِهِ بَعْدَ مَا يُنْمَى

وقال صخر بن الجعد المحازي

بِنَفْسِي وَأَهْلِي مَنْ إِذَا عَرَّضُوا لَهُ ‌ ‌ بِبَعْضِ ٱلْأَذَى لَمْ يَدْرِ كَيْفَ يُجِيبُ
وَلَمْ يَعْتَذِرْ عُذْرَ ٱلْبَرِيِّ وَلَمْ تَزَلْ ‌ ‌ بِهِ سَكْتَةٌ حَتَّى يُقَالَ مُرِيبُ
لَقَدْ ظَلَمُوا ذَاتَ ٱلْوِشَاحِ وَلَمْ يَكُنْ ‌ ‌ لَنَا مِنْ هَوَى ذَاتِ ٱلْوِشَاحِ نَصِيبُ
سُقِيتُ دَمَ ٱلْحَيَّاتِ إِنْ كُنْتُ بَعْدَهَا ‌ ‌ مُحِبًّا وَلَوْ عَنَّفْتُهُ لَحَبِيبُ

وقال سويد بن ابي كاهل

حُرَّةٌ تَجْلُو شَتِيتاً وَاضِحاً ‌ ‌ كَشُعَاعِ ٱلْبَرْقِ فِي ٱلْغَيْمِ سَطَعْ
تَمْنَحُ ٱلْمِرْآةَ لَوْناً حَسَناً ‌ ‌ مِثْلَ قَرْنِ ٱلشَّمْسِ فِي ٱلصَّحْوِ طَلَعْ

وقال ابرهيم النظام

هُوَ ٱلْبَدْرُ إِلَّا أَنَّ فِيهِ رَقَائِقاً ‌ ‌ مِنَ ٱلْحُسْنِ لَيْسَتْ فِي هِلَالٍ وَلَا بَدْرِ
وَيَنْظُرُ فِي ٱلْوَجْهِ ٱلْقَبِيحِ بِحُسْنِهِ ‌ ‌ فَيَكْسُوهُ حُسْناً بَاقِياً آخِرَ ٱلدَّهْرِ

وله ايضاً

رَقَّ فَلَوْ بُزَّتْ سَرَابِيلُهُ عُلِّقَهُ ٱلْجَوُّ مِنَ ٱللُّطْفِ
٧٦ يَجْرَحُهُ ٱللَّحْظُ بِتَكْرَارِهِ وَيَشْتَكِي ٱلْإِيمَاءَ بِٱلْكَفِّ*

وله ايضاً

نَسَى ٱلْمَحَاسِنَ فِي أَجْنَاسِ نُورِيِّ صَافِي ٱلضَّرَائِبِ رُوحِيِّ
تَمَّتْ عَلَى أَبْهَى ٱلصِّفَاتِ فَلَمْ يُطْلِقْ لَنَا عَنْ حَدِّ كَيْفِيِّهِ
أَبْدَعَهُ ٱلْخَالِقُ وَٱخْتَارَهُ مِنْ مَازِجِ ٱلْأَنْوَارِ عُلْوِيِّ

فَكُلُّ مَنْ أَغْرَقَ فِي وَصْفِهِ أَصْبَحَ مَنْسُوبًا إِلَى ٱلْعِيِّ

وَهٰذَا ٱلْبَيْتُ لَا يَتَهَيَّأُ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَخَطَّاهُ وَلَا يَأْتِي بِأَجْوَدَ مِنْ مَعْنَاهُ وَقَدْ قَالَ جَرِيرٌ فِي هٰذَا ٱلنَّحْوِ فَأَحْسَنَ غَيْرَ أَنَّهُ حَلَّ آخِرَ كَلَامِهِ مَا عَقَدَ فَإِذَا ضُمَّ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ فَسَدَ

قال جرير

مَا ٱسْتَوْصَفَ ٱلنَّاسُ مِنْ شَيْءٍ يَرُوقُهُمُ إِلَّا تَرَى أُمَّ عَمْرٍو فَوْقَ مَا وَصَفُوا
كَأَنَّهَا مُزْنَةٌ غَرَّاءُ رَائِحَةٌ أَوْ دُرَّةٌ لَا يُوَارِي لَوْنَهَا ٱلصَّدَفُ

وقال علي بن العباس الرومي

بِأَبِي حُسْنُ وَجْهِكَ ٱلْيُوسُفِيِّ يَا كَفِيَّ ٱلْهَوَى وَفَوْقَ ٱلْكَفِيِّ
فِيهِ وَرْدٌ وَنَرْجِسٌ وَعَجِيبٌ إِجْتِمَاعُ ٱلرَّبِيعِ وَٱلْخَرْفِيِّ

وقال حبيب بن اوس

لَمْ أَنْسَهَا وَصُرُوفُ ٱلْبَيْنِ تَظْلِمُهَا وَلَا مُعَوَّلَ إِلَّا ٱلْوَاكِفُ ٱلسَّرِبُ
أَدْنَتْ نِقَابًا عَلَى ٱلْخَدَّيْنِ وَٱنْتَسَبَتْ لِلنَّاظِرِينَ بِقَدٍّ لَيْسَ يَنْتَسِبُ

وقال ذو الرمة

أَسِيلَةُ مَجْرَى ٱلدَّمْعِ هَيْفَاءُ طَفْلَةٌ رَدَاحٌ كَإِيمَاضِ ٱلْبُرُوقِ ٱبْتِسَامُهَا
كَأَنَّ عَلَى فِيهَا وَمَا ذُقْتُ طَعْمَهُ زُجَاجَةَ خَمْرٍ طَابَ عَنْهَا مُدَامُهَا

وقال ابو دلف العجلي

نَفْسِي ٱلَّتِي لَمْ أَزَلْ بِٱلْحُبِّ أَعْرِفُهَا   تَحَيَّرَتْ دُونَ مَنْ أَهْوَى أَمَانِيهَا* ٧٧
شَمْسٌ بَدَتْ لَكَ فِي أَثْوَابِ جَارِيَةٍ   أَلشَّمْسُ تُشْبِهُهَا وَٱلْبَدْرُ يَحْكِيهَا
أَطْنَبْتُ مُجْتَهِدًا فِي وَصْفِهَا فَلَقَدْ   أَفْنَى جَمِيعَ صِفَاتِي بَعْضُ مَا فِيهَا

وقال امرؤ القيس

كَأَنَّ ٱلْمُدَامَ وَصَوْبَ ٱلْغَمَامِ   وَرِيحَ ٱلْخُزَامَى وَنَشْرَ ٱلْقُطُرْ
يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا   إِذَا طَرِبَ ٱلطَّائِرُ ٱلْمُسْتَحِرْ

وقال يزيد بن الطثرية

كَأَنَّ مُدَامَةً مِنْ خَمْرِ دَنٍّ   تُصَبُّ عَلَى ثَنَايَاهَا طُرُوقَا
أَلَذُّ ٱلنَّاسِ فِي ٱلدُّنْيَا حَدِيثاً   وَأَطْيَبُهُ بُعَيْدَ ٱلنَّوْمِ رِيقَا
جُعِلْتُ لَكِ ٱلْفِدَاءَ مِنَ ٱلْمَنَايَا   وَإِنْ كَلَّفْتِنِي مَا لَنْ أُطِيقَا

وقال امرؤ القيس بن حجر

خَلِيلَيَّ مُرَّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبِ   لِنَقْضِيَ حَاجَاتِ ٱلْفُؤَادِ ٱلْمُعَذَّبِ
أَلَمْ تَرَيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقاً   وَجَدْتُ بِهَا طِيبًا وَإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ

وَهٰذَا مَعْنًى لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ وَلَمْ يَلْحَقْهُ فِيهِ مَنْ بَعْدَهُ وَإِنَّهُ لَحَسَنُ ٱللَّفْظِ مُسْتَوْفِي ٱلْمَعْنَى

وقال ابو تمام

كَٱلْخُوطِ فِي ٱلْقَدِّ وَٱلْغَزَالَةِ فِي ٱلْبَهْـ   جَةِ وَٱبْنِ ٱلْغَزَالِ فِي غَيَدِهْ
وَمَا حَكَاهُ وَلَا نَعِيمَ لَهُ   فِي جِيدِهِ لَمْ حَكَاهُ فِي جَيَدِهْ

ولابي تمام ايضاً

مُتَصَرِّفٌ فِي ٱلطَّرْفِ بَاطِنُ صَدْرِهَا   مُتَفَنِّنٌ فِي ٱلْحُسْنِ ظَاهِرُ صَدْرِهَا
تُعْطِيكَ مَنْطِقَهَا فَتَعْلَمُ أَنَّهُ   لَحْنٌ عُذُوبَتُهُ تَمُرُّ بِثَغْرِهَا

وَأَظُنُّ حَبْلَ وِصَالِهَا لِمُحِبِّهَا ... أَوْهَى وَأَضْعَفَ قُوَّةً مِنْ خَصْرِهَا

وقال علي بن محمد العلوي الكوفي

وَهَيْفَاءَ تَلْحَظُ عَنْ شَادِنٍ ... وَتَبْسِمُ عَنْ زَهَرِ ٱلْأُقْحُوَانْ
وَكَٱلْغُصْنِ بَانٍ وَجِدْلِ ٱلْعِنَانِ ... وَمَيَّادَةِ ٱلْقُضُبِ ٱلْخَيْزُرَانْ
تَرَى ٱلشَّمْسَ وَٱلْبَدْرَ مَعْنَاهُمَا ... بِهَا وَاحِدًا وَهُمَا مَعْنَيَانْ

٧٨ وقال آخر*

إِذَا ٱحْتَجَبَتْ لَمْ يَكْفِكَ ٱلْبَدْرُ فَقْدَهَا ... وَتَكْفِيكَ ضَوْءَ ٱلْبَدْرِ إِنْ حُجِبَ ٱلْبَدْرُ
وَحَسْبُكَ مِنْ خَمْرٍ بِقُرْبِكَ رِيقُهَا ... وَوَٱللّٰهِ مَا مِنْ رِيقِهَا حَسْبُكَ ٱلْخَمْرُ

وقال آخر

هِيَ ٱلْخَمْرُ حُسْنًا وَهْيَ كَٱلْخَمْرِ رِيقُهَا ... وَرِقَّةُ ذَاكَ ٱللَّوْنِ فِي رِقَّةِ ٱلْخَمْرِ
فَقَدْ جُمِعَتْ فِيهَا خُمُورٌ ثَلَاثَةٌ ... وَفِي وَاحِدٍ سُكْرٌ يَزِيدُ عَلَى ٱلسُّكْرِ

وقال آخر

وَفِي ٱلْغُصْنِ بَيْضَاءُ ٱلْعَوَارِضِ طِفْلَةٌ ... مُبَتَّلَةٌ يُصْبِي ٱلْحَلِيمَ ٱبْتِسَامُهَا
إِذَا سُمْتَهَا ٱلتَّقْبِيلَ صَدَّتْ وَأَعْرَضَتْ ... صُدُودَ شَمُوسِ ٱلْخَيْلِ ضَلَّ لِجَامُهَا
وَعَضَّتْ عَلَى إِبْهَامِهَا حِينَ أَوْمَأَتْ ... أَخَافُ ٱلْعُيُونَ أَنْ تَهُبَّ نِيَامُهَا

وقال الاحمر الطائي

أَلَامُ عَلَى لَيْلَى وَلَوْ أَنَّ هَامَتِي ... تَدَاوَى بِلَيْلَى بَعْدَ يَأْسٍ لَبَلَّتِ
بِذِي أُشُرٍ تَجْرِي بِهِ ٱلرَّاحُ أُنْهِلَتْ ... أَخَاكَ بِهِ بَعْدَ ٱلْعِشَاءِ وَعُلَّتِ
وَتَبْسِمُ إِيمَاضَ ٱلْغَمَامَةِ إِنْ سَمَتْ ... إِلَيْهَا عُيُونُ ٱلنَّاسِ حِينَ ٱسْتَهَلَّتِ

وقال حسان بن ثابت

يَا لَقَوْمِي هَلْ يَقْتُلُ ٱلْمَرْءَ مِثْلِي ... وَاهِنُ ٱلْبَطْشِ وَٱلْعِظَامِ سَؤُومُ
شَأْنُهَا ٱلْعِطْرُ وَٱلْفِرَاشُ وَيَعْلُو ... هَا لُجَيْنٌ وَلُؤْلُؤٌ مَنْظُومُ

لَوْ يَدِبُّ ٱلْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ ٱلذَّ رِّ عَلَيْهَا لَأَنْدَبَتْهَا ٱلْكُلُومُ

وَهٰذَا سَرَفٌ شَدِيدٌ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ ٱمْرِئِ ٱلْقَيْسِ

مِنَ ٱلْقَاصِرَاتِ ٱلطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحْوِلٌ مِنَ ٱلذَّرِّ فَوْقَ ٱللِّيتِ مِنْهَا لَأَثَّرَا

ولبعض اهل هذا العصر

٧٩ * نَظَرْتُ إِلَيْهِ نَظْرَةَ مُسْتَهَامٍ فَأَثَّرَ نَاظِرِي فِي وَجْنَتَيْهِ

فَلَاحَظَنِي وَقَدْ أَثْبَتُّ وَجْدًا فَأَثَّرَ فِي ٱلْفُؤَادِ بِمُقْلَتَيْهِ

وقال آخر

فِيكَ لِي فِتْنَتَانِ لَحْظٌ وَلَفْظٌ وَعِظَاتِي لَوْ كَانَ يَنْفَعُ وَعْظُ

لَكَ وَجْهٌ كَأَنَّهُ رِقَّةُ ٱلْمَاءِ وَقَلْبٌ كَأَنَّهُ ٱلصَّخْرُ فَظُّ

أَنْتَ حَظِّي فَمَا يَضُرُّكَ لَوْ كَا نَ لِمَنْ أَنْتَ حَظُّهُ مِنْكَ حَظُّ

وقال الوليد بن عبيد الطائي

أَلَمْعُ بَرْقٍ سَرَى أَمْ ضَوْءُ مِصْبَاحِ أَمِ ٱبْتِسَامَتُهَا بِٱلْمَنْظَرِ ٱلضَّاحِي

يَا بُؤْسَ نَفْسٍ عَلَيْهَا جِدُّ آسِفَةٍ وَشَجْوَ قَلْبٍ إِلَيْهَا جِدُّ مُرْتَاحِ

تَهْتَزُّ مِثْلَ ٱهْتِزَازِ ٱلْغُصْنِ أَتْعَبَهُ مُرُورُ غَيْثٍ مِنَ ٱلْوَسْمِيِّ سَحَّاحِ

أَرْسَلْتِ شُغْلَيْنِ مِنْ لَفْظٍ مَحَاسِنُهُ تُرْوِي ٱلضَّجِيعَ وَلَحْظٍ يُسْكِرُ ٱلصَّاحِي

أُثْنِي عَلَيْكِ بِأَنِّي لَمْ أَخَفْ أَحَدًا يَلْحَى عَلَيْكِ وَمَاذَا يَزْعُمُ ٱللَّاحِي

ولقد انصف غاية الانصاف الذي يقول

فَمَا ٱلشَّمْسُ يَوْمَ ٱلدَّجْنِ وَافَتْ فَأَشْرَقَتْ وَلَا ٱلْبَدْرُ وَافَى أَسْعَدًا لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ

بِأَحْسَنَ مِنْهَا بَلْ تَزِيدُ مَلَاحَةً عَلَى ذَاكَ أَوْ رَأْيُ ٱلْمُحِبِّ فَلَا أَدْرِي

وَمُخْتَارُ مَا قَالَتْهُ ٱلشُّعَرَاءُ فِي وَصْفِ ٱلْخَلْقِ وَٱلْأَخْلَاقِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تَتَضَمَّنَهُ [ٱلْأَوْرَاقُ] وَفِيمَا ذَكَرْنَا مِنْهُ بَلَاغٌ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ وَصْفُ ٱلْخَلَائِقِ وَٱلْأَفْعَالِ أَسْهَلُ مِنْ وَصْفِ ٱلْخِلْقَةِ بِٱلْجَمَالِ وَكِلَاهُمَا دَاخِلٌ فِي مَعْنَى

ٱلدَّلَالَةِ عَلَى ٱلشَّرِكَةِ فِي ٱلْأَحْبَابِ حَسْبَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ فِي صَدْرِ هٰذَا ٱلْكِتَابِ

الباب العاشر

سُوءُ ٱلظَّنِّ مِنْ شِدَّةِ ٱلضَّنِّ

٨٠ قَالَ ٱلزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ مَا رَأَيْتُ مُصْعَبًا يَخْتَالُ* بِٱلْبَلَاطِ إِلَّا عَرَفَ عَلَى بُثَيْنَةَ وَهِيَ بِٱلْحَبَابِ وَبَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ

وقال العباس بن الاحنف

لَمْ أَلْقَ ذَا شَجَنٍ يَبُوحُ بِحُبِّهِ   إِلَّا ظَنَنْتُكِ ذٰلِكَ ٱلْمَحْبُوبَا
حَذَرًا عَلَيْكِ وَإِنَّنِي بِكِ وَاثِقٌ   أَلَّا يَنَالَ سِوَايَ مِنْكِ نَصِيبَا

ولبعض اهل هذا العصر

أَيَا أَمَلِي هَلْ فِي وَفَائِكَ مَطْمَعٌ   فَأَطْلُبَهُ أَمْ قَدْ تَنَاهَتْ أَوَاخِرُهْ
فَإِنْ يَكُ مَا قَدْ خِفْتُ حَقًّا فَلَا تَعُدْ   فَلَنْ يَسْتَوِي مُومٍ فِي ٱلْفُؤَادِ وَعَاذِرُهْ
وَإِلَّا فَلَا تَعْتِبْ عَلَيَّ فَإِنَّهُ   إِذَا ظَنَّ قَلْبُ ٱلْمَرْءِ سَاءَتْ خَوَاطِرُهْ

وله ايضاً

قَسَمْتُ عَلَيْكَ ٱلدَّهْرَ نِصْفًا تَعَتُّبًا   لِفِعْلِكَ فِي ٱلْمَاضِي وَنِصْفًا تَرَقُّبَا
إِذَا ٱسْتَيْقَنَتْ نَفْسِي بِأَنْ لَسْتَ عَاذِرًا   لِيَ ٱلظَّنَّ وَٱلْإِشْفَاقَ إِلَّا تَرَيُّبَا
فَقَدْ وَٱلَّذِي لَوْ شَاءَ غَلَّبَ وَاحِدًا   فَرَوَّحَ قَلْبًا آمِنًا مُتَهَيِّبَا
شَكَكْتُ فَلَا أَدْرِي لِفَرْطِ مَوَدَّتِي   يُبَرِّيكَ أَمْرَضَنِي يُرِينِيكَ مُذْنِبَا
وَلَوْ كَانَ قَصْدِي مِنْكَ وَصْلًا أَنَالُهُ   لَقَدْ كُنْتَ لِي أَنْدَى جَنَابًا وَأَخْصَبَا

لَوَ ٱدْنُو لَأَقْلَلْتُ ٱلْعِتَابَ وَلَمْ أَزِدْ عَلَى أَنْ تَرَانِي فِي ٱمْتِدَاحِكَ مُطْنِبَا
وَلٰكِنَّ بِي ظَنًّا أَبَى أَنْ يُقِيمَنِي لَدَيْكَ بِمَا لَا أَرْتَضِيهِ مُصَوِّبَا

وله ايضاً

لَقَدْ جَمَعَتْ أَهْوَايَ بَعْدَ شَتَاتِهَا صِفَاتُكَ فَٱنْقَادَ ٱلْهَوَى لَكَ أَجْمَعُ
سِوَى خِصْلَةٍ ذِكْرِي رَهِينٌ بِذِكْرِهَا فَقَلْبِيَ مِنْهَا مَا حَيِيتُ مُرَوَّعُ
وَحَاشَاكَ مِنْهَا غَيْرَ أَنَّ أَخَا ٱلْهَوَى بِذِكْرِ ٱلَّذِي يَخْشَى مِنَ ٱلْغَدْرِ مُولَعُ

وقال بشار بن برد* ٨١

كَأَنَّ فُؤَادَهُ كُرَةٌ تَنَزَّى حِذَارَ ٱلْبَيْنِ لَوْ نَفَعَ ٱلْحِذَارُ
يُرَوِّعُنَا ٱلسِّرَارُ بِكُلِّ شَيْءٍ مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ بِهِ ٱلسِّرَارُ

وقال آخر

وَقَدْ خِفْتُ حَتَّى لَوْ تَطِيرُ حَمَامَةٌ رَقِيباً عَلَيْنَا أَوْ طَلِيعَةَ مَعْشَرِ
فَإِنْ قِيلَ خَيْرًا قُلْتُ هٰذَا خَدِيعَةٌ وَإِنْ قِيلَ شَرًّا قُلْتُ حَقٌّ فَشَمِّرِ

وقال آخر

تَرَكَتْنِي ٱلْوُشَاةُ نُصْبَ ٱلْمُشِيرِينَ وَأُحْدُوثَةً بِكُلِّ مَكَانِ
لَا أَرَى خَالِيَيْنِ لِلسِّرِّ إِلَّا قُلْتُ مَا يَخْلُوَانِ إِلَّا لِشَانِي

قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَٱتَّصَلَ بِي أَنَّ دِيكَ ٱلْجِنِّ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ لَهُ فَوَجَدَ جَارِيَتَهُ وَقَدْ كَانَ يَهْوَاهَا عَبْدُ أَخِيهِ تَسْأَلُهُ عَنْ خَبَرِهِ لِإِبْطَاءٍ كَانَ عَيَّنَهَا فَقَتَلَهَا وَقَتَلَ أُمَّهَا وَقَالَ فِي ذٰلِكَ

يَا مُهْجَةً طَلَعَ ٱلْحِمَامُ عَلَيْهَا وَجَنَى لَهَا ثَمَرَ ٱلرَّدَى بِيَدَيْهَا
حَكَّمْتُ سَيْفِي فِي مَجَالِ خِنَاقِهَا وَمَدَامِعِي تَجْرِي عَلَى خَدَّيْهَا
رَوَّيْتُ مِنْ دَمِهَا ٱلثَّرَى وَلَطَالَ مَا رَوَّى ٱلْهَوَى شَفَتَيَّ مِنْ شَفَتَيْهَا
فَوَحَقِّ نَعْلَيْهَا وَمَا وَطِئَ ٱلْحَصَى شَيْءٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَعْلَيْهَا

مَـا كَانَ قَتْلِيهَـا لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ   أَبْـكِي إِذَا سَقَطَ ٱلذُّبَابُ عَلَيْهَـا
لٰكِنْ بَخِلْتُ عَلَى ٱلْعُيُونِ بِلَحْظِهَـا   وَأَنِفْتُ مِنْ نَظَرِ ٱلْعُـدَاةِ إِلَيْهَـا

وله ايضاً فيها

أَشْفَقْتُ أَنْ يَرِدَ ٱلزَّمَانُ بِغَـدْرِهِ   أَوْ أُبْتَلَى بَعْـدَ ٱلْوِصَـالِ بِهَجْرِهِ
قَمَرٌ أَنَا ٱسْتَخْلَصْتُـهُ مِنْ دُجْنَـةٍ   لِبَلِيَّتِي وَجَلَبْتُـهُ مِنْ خِـدْرِهِ
٨٢ فَقَتَلْتُـهُ وَبِهِ عَلَيَّ كَرَامَـةٌ   مِلْءُ ٱلْحَشَا وَلَهُ ٱلْفُؤَادُ بِأَسْرِهِ*
عَهْدِي بِـهِ مَيْتاً كَأَحْسَنِ نَائِمٍ   وَٱلدَّمْعُ يَجْرَحُ مُقْلَتِي فِي نَحْرِهِ
لَوْ كَانَ يَدْرِي ٱلْمَيْتُ مَاذَا بَعْدَهُ   بِٱلْحَيِّ مِنْـهُ بَكَى لَـهُ فِي قَبْرِهِ
غُصَصٌ ٱلزَّمَانِ تَفِيظُ مِنْهَا رُوحُهُ   وَتَكَادُ تَنْزِعُ قَلْبَـهُ مِنْ صَـدْرِهِ

وله ايضاً فيها

لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ لِعَطْفِـكِ مِـلْتُ   وَإِلَى ذٰلِـكَ ٱلْوِصَـالِ وَصَلْتُ
فَٱلَّـذِي مِنِّيَ ٱشْتَمَلْتِ عَلَيْـهِ   أَلِعَارٍ مَا قَـدْ عَلَيْـهِ ٱشْتَمَلْتُ
قَالَ ذُو ٱلْجَهْلِ لِمْ جَهِلْتَ وَلَا أَعْـ   ـلَمُ أَنِّي حَـلِمْتُ حَتَّى جَهِلْتُ
لَائِمٌ لِي بِجَهْلِـهِ وَلِمَـاذَا   أَنَا وَحْدِي أَحْبَبْتُ ثُمَّ قَتَلْتُ
سَوْفَ آسَى طُولَ ٱلْحَيَاةِ وَأَبْكِيكِ   عَـلَى مَا فَعَـلْتِ لَا مَا فَعَلْتُ

وَهٰذَا وَإِنْ سَلِمَ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَغْلُوبًا عَلَى عَقْلِهِ فَظَنُّهُ ٱلظَّنُّ ٱلَّذِي لَا غَايَةَ بَعْدَهُ وَذٰلِكَ أَنَّهُ قَدْ أَيِسَ مِنْ حَبِيبِهِ بِقَتْلِهِ لَهُ وَهُوَ غَيْرُ نَادِمٍ عَلَى فِعْلِهِ بَلْ مُصَوِّبٌ لَهُ وَرَاجِعٌ بِٱللَّوْمِ عَلَى نَفْسِهِ فِيمَا أَتَاهُ مِنَ ٱلْغَدْرِ

وقال آخر

يَتَعَاتَبَانِ وَيَشْكُوَانِ هَوَاهُمَـا   بِمَـدَامِعٍ جَلَّتْ عَنِ ٱلْهَمَـلَانِ
يَتَهَاجَرَانِ بِسُوءِ ظَنٍّ فِي ٱلْهَوَى   وَيَقِلُّ صَبْرُهُمَـا فَيَصْطَلِحَـانِ

وقال آخر

عَجِلْتُ عَلَى ٱلصَّـدِيقِ بِسُوءِ ظَنٍّ   وَعَتْبٍ أُمُورِهِ فِي كُـلِّ فَنِّ
وَأُقْسِمُ صَـادِقًا مَا خُنْتُ عَهْـدًا   وَلَسْتُ بِخَـائِنٍ مَا لَمْ تَخُـنِّي
وَمَا كَانَ ٱلَّذِي ٱسْتَوْحَشْتَ مِنِّي   عَـلَى ٱلْمَعْنَى ٱلَّذِي بُلِّغْتَ عَنِّي
وَكُنْتُ إِذَا أَتَيْتُكَ كُنْتَ حَسْبِي   فَلَمْ يَـكُ فِيَّ فَضْـلٌ لِـلتَّمَنِّي
فَهَـلَّا إِذْ عَتِبْتَ بَحَثْتَ عَـنِّي   وَلَمْ تُمْضِ ٱلْحُكُومَـةَ بِٱلتَّجَنِّي *٨٣

وقال البحتري

أَعْظَمُ ٱلرُّزْءِ أَنْ تُقَدَّمَ قَبْلِي   وَمِنَ ٱلرُّزْءِ أَنْ تُؤَخَّرَ بَعْـدِي
حَـذَرًا أَنْ تَـكُونَ إِلْفًا لِغَيْرِي   إِذْ تَفَرَّدْتُ بِٱلْهَوَى فِيكَ وَحْدِي

وقال بشار

نَصَباً لِعَيْنِـكَ لَا تَرَى حَسَناً   إِلَّا رَأَيْتَ بِـهِ لَهَا شَبَهَـا
إِنِّي لَأُشْفِقُ أَنْ أُقَدِّمَهَـا   قَبْـلِي وَأَكْرَهُ أَنْ أُؤَخِّرَهَـا

وقال ماني

جَعَلْتُ عِنَـانَ وُدِّي فِي يَدَيْـكَا   فَـلَمْ أَرَ ذَاكَ يَنْفَعُنِي لَدَيْكَـا
وَقَـدْ وَٱللهِ ضِقْتُ فَـلَيْتَ رَبِّي   قَضَى أَجَـلِي عَلَيَّ وَلَا عَلَيْـكَا
فَـلَمْ أَرَ عَاشِقاً لَـكَ قَطُّ مِثْلِي   أَغَارُ عَلَيْـكَ مِنْ نَظَرِي إِلَيْـكَا

وقال

وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ أَشْقَى مِنْ مُحِبٍّ   وَإِنْ وَجَدَ ٱلْهَوَى عَذْبَ ٱلْمَـذَاقِ
تَرَاهُ بَاكِياً فِي كُلِّ حِـينٍ   مَخَافَةَ فُرْقَـةٍ أَوْ لِأَشْتِيَـاقِ
فَيَبْكِي إِنْ نَأَوْا شَوْقـاً إِلَيْهِمْ   وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا خَوْفَ ٱلْفِرَاقِ
فَتَسْخَنُ عَيْنُـهُ عِنْـدَ ٱلتَّنَائِي   وَتَسْخَنُ عَيْنُـهُ عِنْـدَ ٱلتَّـلَاقِ

وَهٰذِهِ ٱلْمَكَارِهُ كُلُّهَا أَثْمَارُ تِلْكَ ٱلْمَلَاذِّ ٱلَّتِي قَبْلَهَا وَذٰلِكَ أَنَّ مَنْ هَوِيَ إِنْسَانًا فَإِنَّمَا قُصَارُهُ حِينَ يَهْوَاهُ أَنْ يُعِيدَ نَظَرَهُ إِلَيْهِ فَيَرْوَى مِنْ شَخْصِهِ

وَيَسْتَمْتِعَ مِنْ لَفْظِهِ فَإِذَا تَهَيَّأَ ذٰلِكَ لَهُ ٱزْدَادَ وَجْدُهُ بِهِ أَضْعَافاً عَلَى مَا كَانَ فِي قَلْبِهِ ثُمَّ تَدْعُوهُ نَفْسُهُ بَعْدَ ذٰلِكَ إِلَى كَثْرَةِ ٱلتَّلَاقِي وَٱلْمُوَاصَلَةِ وَتَنْبَسِطُ لِلْمُسَائَلَةِ وَٱلْمُشَاوَرَةِ وَهُوَ فِي كُلِّ هٰذِهِ ٱلْأَحْوَالِ مَشْغُولٌ بِحُظُوظِ نَفْسِهِ غَيْرُ فَارِغٍ مَعَهَا لِصَبَابَةِ غَيْرِهِ بَلْ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ
٨٤ إِلْفُهُ سَمْحاً بِٱلْمُوَاصَلَةِ لِمَنْ عَلِمَ* أَنَّهُ يَوَدُّهُ لِيَكُونَ ذٰلِكَ سَبَباً لَهُ إِلَى مُوَاصَلَتِهِ وَتَسْهِيلًا لَهُ ٱلسَّبِيلَ إِلَى مُعَاشَرَتِهِ فَإِذَا تَمَكَّنَ وُدُّهُ مِنْ نَفْسِ مَحْبُوبِهِ فَٱسْتَشْعَرَ ٱلْوَفَاءَ لَهُ وَدَفَعَ قِيَادَهُ إِلَيْهِ فَلَمْ يَعْتَرِضْ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ عَلَيْهِ لِكَسْبِهِ ذٰلِكَ ضَنًّا بِهِ وَصِيَانَةً لَهُ

وفي مثل ذلك يقول بعض اهل هذا العصر

إِذَا ٱزْدَادَ رَعْياً لِلْهَوَى زِدْتُهُ هَوًى ... وَضَنِّي بِهِ مِقْدَارَ هٰذَيْنِ يَضْعُفُ
فَفُوهُ أَمْنِي زَائِدٌ فِي تَخَوُّفِي ... وَلَاحَظَّ لِي فِي أَنْ يَزُولَ ٱلتَّخَوُّفُ
فَلَا يَتَشَاغَلْ عَاذِلٌ بِنَصِيحَتِي ... فَمِثْلِي عَلَى إِرْشَادِهِ لَا يُوَقَّفُ
وَلَا يَرْثِ لِي فِي ذِلَّتِي وَتَوَاضُعِي ... فَإِنِّي بِهٰذَا ٱلذُّلِّ أَزْهَى وَأَشْرَفُ

فَمَا ظَنُّكَ بِتَرَادُفِ حَالَيْنِ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا سَبَبٌ لِصَاحِبَتِهَا مَتَى يَكُونُ ٱنْقِضَاؤُهُمَا أَمْ كَيْفَ يُتَوَهَّمُ زَوَالُهُمَا لَاسِيَّمَا وَإِحْدَاهُمَا قَدْ كَانَتْ قُوَّتُهَا فِي نَفْسِهَا مُنْمِيَةً لَهَا قَبْلَ أَنْ تَبْتَدِئَ ٱلْأُخْرَى فِي مَعُونَتِهَا فَإِذَا ٱنْتَهَتِ ٱلْحَالُ إِلَى حَيْثُ وَصَفْنَا فَرَغَ ٱلْمُحِبُّ حِينَئِذٍ مِنَ ٱلْمُطَالَبَةِ بِحُظُوظِ نَفْسِهِ وَتَشَاغَلَ بِٱلْمُطَالَبَةِ بِحُقُوقِ إِلْفِهِ فَأَنِفَ لَهُ مِنْ مُعَاشَرَةِ غَيْرِهِ بَلْ صَانَهُ وَأَشْفَقَ عَلَيْهِ مِنْ مُخَالَطَتِهِ هَوَاهُ وَعَادَ إِلَى مَا كَانَ يَحْسَبُ لَهُ بِهِ مَكْرُمَةً مِنْ بِرِّهِ بِهِ فَجَعَلَهُ عَلَيْهِ هُجْنَةً وَأَوْهَمَ نَفْسَهُ أَنَّ ذٰلِكَ ٱلَّذِي نَالَهُ غَيْرُهُ مَمْنُوعٌ مِنْ كُلِّ مَنْ سَأَلَهُ أَلَمْ تَسْمَعِ ٱلَّذِي يَقُولُ

فَلَا تُكْثِرِي قَوْلًا مَنَحْتُكَ وُدَّنَا ... فَقَوْلُكِ هٰذَا فِي ٱلْفُؤَادِ مُرِيبُ

تَعُدِّينَ مَا أَوْلَيْتِنِي مِنْـكِ نَائِلًا   وَلِلْقَابِسِ ٱلْعَجْلَانِ فِيكِ نَصِيبُ

وفي نحو هذا المعنى يقول الآخر

تَمَتَّعْ بِهَا مَا سَاعَفَتْكَ وَلَا تَكُنْ   عَلَيْكَ شَجًا تُؤْذِيـكَ حِينَ تَبِينُ
وَإِنْ هِيَ أَعطَتْـكَ ٱللِّيَانَ فَإِنَّهَـا   لِآخَرَ مِنْ خُلَّانِهَـا سَتَلِـينُ

فَحِينَئِذٍ يَظُنُّ ٱلْمُحِبُّ مَا لَا يَخْشَاهُ وَيَتَمَنَّى مَـا لَا يَهْوَاهُ وَيَفْسُدُ عَلَيْهِ أَمْرُ دِينِهِ* وَدُنْيَاهُ وَهَذِهِ حَالُ ٱلْوَلَهِ ٱلَّذِي ذَكَرْنَاهُ ٥٨

وقال بعض الادباء في نحو ذالك

يُسِيءُ مِنْ كَثْرَةِ ٱلظَّنِّ ٱلظُّنُونَ بِهَا   حَتَّى يَظُنَّ ظُنُونًا لَيْسَ يَخْشَاهَـا

وَمَرْتَبَةُ ٱلْعِشْقِ ٱلَّتِي هِيَ فِي هَذَا ٱلطَّرِيقِ إِلَى هَذِهِ ٱلْمَرْتَبَةِ تُوجِبُ عَلَى ٱلْمُحِبِّ طَاعَةَ ٱلْمَحْبُوبِ فِي كُلِّ مَا أَحَبَّهُ حَتَّى لَا يَعْصِيَ لَهُ أَمْرًا وَلَا يُقَبِّحَ لَهُ فِعْلًا

وفي مثل ذالك يقول بعضهم

كُلُّ شَيْءٍ مِنْكَ فِي عَيْنِي حَسَنْ   وَنَصِيبِي مِنْـكَ هَمٌّ وَحَزَنْ

ويقول الآخر

صَمِمْتُ عَنِ ٱلْأَصْوَاتِ مِنْ غَيْرِ وَقْرَةٍ   وَإِنِّي لِأَدْنَى صَوْتِهَـا لَسَمِيعُ
شَفِيعِي إِلَيْهَا قَلْبُهَا إِنْ تَعَتَّبَتْ   وَقَلْبِي لَهَا فِيمَا عَتِبْتُ شَفِيـعُ
وَقَدْ ظَفِرَتْ مِنِّي بِسَمْعٍ وَطَـاعَةٍ   وَكُلُّ مُحِبٍّ سَامِعٌ وَمُطِيـعُ

ويقول الآخر

يَقِرُّ بِعَيْنِي مَـا يَقِرُّ بِعَيْنِهَـا   وَأَحْسَنُ شَيْءٍ مَا بِهِ ٱلْعَيْنُ قَرَّتِ
كَأَنِّي أُنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَعْرَضَتْ   مِنَ ٱلصُّمِّ لَوْ تَمْشِي بِهَا ٱلْعُصْمُ زَلَّتِ
صَفُوحًا فَمَـا تَلْقَاكَ إِلَّا بَخِيلَـةً   فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ ٱلْوَصْلَ مَلَّتِ

وَبَلَغَنِي عَنِ ٱلْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ ٱلْكَاتِبِ أَنَّهُ قَـالَ أَمَّا أَنَا فَإِذَا أَحْبَبْتُ

إنسانًا نَظَرْتُ إلَي فِعْلِهِ فَفَعَلْتُ مِثْلَهُ فَإِنَّهُ إنْ أَبْغَضَنِي أَبْغَضَ نَفْسَهُ فَإِذَا ٱبْتَدَأَ أَهْلُ ٱلْعِشْقِ يَرْتَفِعُونَ عَنْ هٰذِهِ ٱلْحَالِ تَكَشَّفَ لَهُمْ عَوَارُ هٰذِهِ ٱلْأَفْعَالِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ

ففي مثل ذلك يقول ابو عبادة البحتري

يُرَيِّبُنِي ٱلشَّيْءُ تَأْتِي بِهِ   وَأُكْبِرُ قَدْرَكَ أَنْ أَسْتَرِيبَا
٨٦ وَأَكْرَهُ أَنْ أَتَمَادَى عَلَى   سَبِيلِ ٱغْتِرَارٍ فَأَلْقَى شَعُوبَا*
وَلَا بُدَّ مِنْ لَوْمَةٍ أَنْتَحِي   عَلَيْكَ بِهَا مُخْطِئًا أَوْ مُصِيبَا
سَأَصْبِرُ حَتَّى أُلَاقِي رِضَاكَ   إِمَّا بَعِيدًا وَإِمَّا قَرِيبَا
أُرَاقِبُ رَأْيَكَ حَتَّى يَصِحَّ   وَأَنْظُرُ عَطْفَكَ حَتَّى يَثُوبَا

ولبعض اهل هذا العصر في هذا المعنى

بَدَأْتَ بِمَوْعِدٍ وَرَجَعْتَ عَنْهُ   وَكُنْتُ أَعُدُّ وَعْدَكَ مِنْ عَطَائِكْ
وَلَمْ تَزَلِ ٱلْخَوَاطِرُ عَنْكَ تُنْبِي   بِأَنَّكَ لَا تَدُومُ عَلَى وَفَائِكْ
فَلَوْ كَانَتْ عُهُودُكَ لَمْ تُغَيَّرْ   وَلَمْ يَبْدُ ٱلتَّكَدُّرُ فِي صَفَائِكْ
وَفَيْتَ بِمَا ٱبْتَدَأْتَ بِهِ وَلٰكِنْ   أَظُنُّكَ قَدْ نَدِمْتَ عَلَى ٱبْتِدَائِكْ
فَإِنْ تَكُ قَدْ نَدِمْتَ عَلَى ٱصْطِفَائِي   فَإِنِّي مَا نَدِمْتُ عَلَى ٱصْطِفَائِكْ
وَإِنْ تَكُ لَمْ تَخُنْ فَلِأَيِّ شَيْءٍ   تَغَيَّرَ مَا عَهِدْنَا مِنْ إِخَائِكْ

وله ايضاً في نحو ذلك

أَمِنْتُ عَلَيْكَ صَرْفَ ٱلدَّهْرِ حَتَّى   أَنَاخَ بِغَدْرِهِ مَا لَمْ أُحَاذِرْ
وَجَسَّرَنِي وَفَاؤُكَ لِي إِلَى أَنْ   أَذَاقَنِي ٱلرَّدَى غِبُّ ٱلتَّجَاسُرْ
فَجِئْتُكَ شَاكِرًا وَأَقَلُّ حَقِّي   إِذَا أَحْسَنْتَ أَنْ أَلْقَاكَ عَاذِرْ
وَحَسْبُكَ رُتْبَةً لَكَ مِنْ صَدِيقٍ   أَتَاكَ بِعَاتِبٍ فِي زِيِّ شَاكِرْ

ولغيره في نحوه ايضاً

[وَ] كَذَّبتُ طَرْفِي عَنكَ وَالطَّرْفُ صَادِقٌ   وَأَسْمَعْتُ أُذْنِي مِنكَ مَا لَيْسَ يَسْمَعُ
فَلَا كَمَدٌ يَبْلَى وَلَا لَكِ رَحْمَةٌ   وَلَا عَنكِ إِقْصَارٌ وَلَا فِيكِ مَطْمَعُ
وَلَمْ أَسْكُنِ الْأَرْضَ الَّتِي تَسْكُنِينَهَا   لِئَلَّا يَقُولُوا صَابِرٌ لَيْسَ يَجْزَعُ

وَرُبَّمَا ضَعُفَ الْخَارِجُ عَنْ حَالِ الْعِشْقِ الَّتِي تُوجِبُ طَاعَةَ الْمَحْبُوبِ عَلَى الْمُحِبِّ إِلَى حَالَةِ الْوَلَهِ الَّتِي تُوجِبُ الِاعْتِرَاضَ عَلَيْهِ لِفَرْطِ الْمَيْلِ مِنْهُ إِلَيْهِ فَيَرْجِعُ* مِنْ قَرِيبٍ وَيَنْقَادُ صَاغِرًا إِلَى كُلِّ مَا يُرِيدُهُ الْمَحْبُوبُ ٨٧

وفي مثل ذلك يقول بعض اهل هذا العصر

عَلَامَ وَقَدْ أَذَبْتَ الْقَلْبَ شَوْقًا   تَصُدُّ وَقَدْ عَزَمْتَ عَلَى ارْتِحَالِ
وَلَمْ أَكُ قَبْلَ ذَاكَ أَتَيْتُ ذَنْبًا   سِوَى أَنِّي نَهَيْتُكَ عَنْ خِصَالِ
أَرَدْتُ بِذَاكَ أَنْ تُدْعَى رَشِيدًا   إِذَا افْتَضَحَ الْمَعَارِفُ بِالْمَقَالِ
وَأَلَّا تُبْتَلَى بِدَنِيءِ قَوْمٍ   فَيُكْثِرَ فِيكَ مِنْ قِيلٍ وَقَالِ
فَيَسْمَعَهُ الْمُصَادِقُ وَالْمُعَادِي   فَتَنْدَمَ عِنْدَ مُفْتَخَرِ الرِّجَالِ
وَمَا كُلٌّ يُصَدِّقُ فِيكَ قَوْلِي   فَكُنْتَ تَكُونُ فَوْقَ ذُرَى الْمَعَالِي
فَصُنْ نَفْسًا عَلَيَّ أَعَزَّ مِنِّي   وَقَاكَ السُّوءَ أَهْلِي ثُمَّ مَالِي
وَأَيْقِنْ أَنَّنِي لَمْ آتِ ذَنْبًا   وَدُونَكَ مَا هَوِيتُ مِنَ الْفَعَالِ
تَجِدْنِي رَاضِيًا بِهَوَاكَ طَوْعًا   لِأَمْرِكَ فِي الْحَرَامِ وَفِي الْحَلَالِ
فَوَاللَّهِ الْعَظِيمِ لَوَ انَّ قَلْبِي   عَصَاكَ هَمَمْتُ عَنْهُ بِانْتِقَالِ
أَقِلْنِي تَدَّخِرْ فِي الْحَشْرِ أَجْرًا   إِذَا احْتَاجَ الْمُقِيلُ إِلَى الْمُقَالِ

وَالْعَاشِقُ مَا دَامَتْ حَالُ الْعِشْقِ مَالِكَةً يَتَوَهَّمُ أَلَّا غَايَةَ بَعْدَهَا وَلَا رُتْبَةَ فَوْقَهَا وَيَرَى أَنَّ اعْتِرَاضَ الْمُحِبِّ عَلَى مَحْبُوبِهِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ نَقْصِ حَالِهِ فِي قَلْبِهِ وَلَيْسَ الْأَمْرُ بِحَيْثُ عَلِيٌّ بَلْ هُوَ بِضِدِّهِ

ولقد احسن علي بن الرومي بقوله

يَا أَخِي أَيْنَ رَيْعُ ذَاكَ ٱلْإِخَاءِ   أَيْنَ مَا كَانَ بَيْنَنَا مِنْ صَفَاءِ
أَنْتَ عَيْنِي وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ عَيْنِي   طَبْقُ أَجْفَانِهَا عَلَى ٱلْأَقْذَاءِ

الباب الحادي عشر

مَنْ وَفَى لَهُ ٱلْحَبِيبُ هَانَ عَلَيْهِ ٱلرَّقِيبُ

وَإِنَّمَا يَغْلُظُ أَمْرُ ٱلرَّقِيبِ عَلَى مَنْ لَمْ يُمْتَحَنْ بِمُفَارَقَةِ ٱلْحَبِيبِ فَأَمَّا مَنْ
غَلَبَهُ ٱلْفِرَاقُ* وَمَلَكَهُ ٱلْإِشْفَاقُ وَأَذَاعَ سِرَّهُ ٱلْإِشْتِيَاقُ قَلَّ ٱكْتِرَاثُهُ ٨٨
بِمَنْ يَرْتَقِبُهُ بَلْ سَهُلَ عَلَيْهِ أَلَّا يُعَايِنَ مَنْ يُحِبُّهُ إِذَا وَثِقَ بِقُرْبِهِ مِنْهُ
وَأَمِنَ مِنْ إِعْرَاضِهِ عَنْهُ وَرُبَّمَا كَانَتْ غَيْبَةُ ٱلْحَبِيبِ أَيْسَرَ مِنْ حُضُورِهِ
مَعَ ٱلرَّقِيبِ وَهٰذَا شَيْءٌ تَخْتَلِفُ فِيهِ ٱلْآرَاءُ عَلَى حَسَبِ غَلَبَاتِ ٱلْأَهْوَاءِ

قال ابن الدمينة

يَقُولُونَ قَصِّرْ عَنْ هَوَاهَا فَقَدْ وَعَتْ   ضَغَائِنَ شُبَّانٌ عَلَيْكَ وَشِيبُ
وَمَا إِنْ تُبَالِي سُخْطَ مَنْ لَا تُحِبُّهُ   إِذَا نَصَحَتْ مِمَّنْ تُحِبُّ جُيُوبُ

وقال ابو تمام الطائي

مَا شِئْتَ مِنْ مَنْطِقٍ أَدِيبِ   فِيهِ وَمِنْ مَنْظَرٍ أَرِيبِ
لَمَّا رَأَى رِقْبَةَ ٱلْأَعَادِي   عَلَى مُعَنًّى بِهِ كَئِيبِ
جَرَّدَ لِي مِنْ هَوَاهُ نُصْحًا   صَارَ رَقِيبًا عَلَى ٱلرَّقِيبِ

وقال ايضاً

مِنْ قَطْعِ أَلْفَاظِهِ تَوْصِيلُ مَهْلَكَتِي   وَوَصْلِ أَلْحَاظِهِ تَقْطِيعُ أَنْفَاسِي
رُزِقْتُ رِقَّةَ قَلْبٍ مِنْهُ نَغَّصَهَا   مُنَغِّصٌ مِنْ رَقِيبٍ قَلْبُهُ قَاسِي

وقال بعض الفصحاء

طَلْحٌ وَلٰكِنَّا نَرَى ٱلْحَيَّاتِ رُقْطاً فِي خِلَالِهْ
يَمْنَعُنَا أَنْ نَسْتَظِلَّ مِنَ ٱلْهَوَاجِرِ فِي ظِلَالِهْ

وقال الاخطل

وَلَيْسَ ٱلْقَذَى بِٱلْعُودِ يَسْقُطُ فِي ٱلْإِنَا   وَلَا بِذُبَابٍ خَطْبُهُ أَيْسَرُ ٱلْأَمْرِ
وَلٰكِنَّ شَخْصاً لَا نُسَرُّ بِقُرْبِهِ   رَمَتْنَا بِهِ ٱلْأَزْمَانُ مِنْ حَيْثُ لَا نَدْرِي

٨٩

وانشد اعرابي بالبادية*

أَحَقًّا عِبَادَ ٱللهِ أَنْ لَسْتُ وَارِدًا   مِيَاهَ ٱلْحِمَى إِلَّا عَلَيَّ رَقِيبُ
وَلَا آتِياً وَحْدِي وَلَا بِجَمَاعَةٍ   مِنَ ٱلنَّاسِ إِلَّا قِيلَ ذَاكَ مُرِيبُ
أُحِبُّ ظِبَاءَ ٱلْوَادِيَيْنِ وَإِنَّنِي   لَمُشْتَهَرٌ بِٱلْوَادِيَيْنِ غَرِيبُ
أُمَيْمُ ٱحْفَظِي عَهْدَ ٱلْهَوَى لَا يَزَلْ لَنَا   عَنِ ٱلنَّأْيِ وَٱلْهِجْرَانِ مِنْكِ نَصِيبُ
أَلَا يَا أُمَيْمَ ٱلْقَلْبِ دَامَ لَكِ ٱلْغِنَا   أَمَا سَاعَةٌ إِلَّا عَلَيْكِ رَقِيبُ

وقال آخر

صَغِيرٌ يَصِيرُ بالا كثير مجرب   او اخر يرمي بِٱلظُّنُونِ أَرِيبُ

وقال اخر

وَإِنِّي لَآتِي ٱلْبَيْتَ أُبْغِضُ أَهْلَهُ   وَأُكْثِرُ هَجْرَ ٱلْبَيْتِ وَهْوَ حَبِيبُ
تَطِيبُ لِي ٱلدُّنْيَا مِرَارًا وَإِنَّهَا   لَتَخْبُثُ حَتَّى مَا تَكَادُ تَطِيبُ
وَأُعْرِضُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْكَ تُرِيبُنِي   وَأُدْعَى إِلَى مَا نَابَكُمْ فَأُجِيبُ

وانشدنا احمد بن ابي طاهر

حَبِيبِي حَبِيبٌ يَكْتُمُ ٱلنَّاسَ أَنَّهُ   لَنَا حِينَ تَرْمِينَا ٱلْعُيُونُ حَبِيبُ
يُبَاعِدُنِي فِي ٱلْمُلْتَقَى وَفُؤَادُهُ   وَإِنْ هُوَ أَبْدَى لِي ٱلْبِعَادَ قَرِيبُ
وَيُعْرِضُ عَنِّي [وَٱلْهَوَى مِنْهُ مُقْبِلٌ]   إِذَا خَافَ عَيْناً أَوْ أَشَارَ رَقِيبُ

فَتخرَسُ مِنَّا أَلْسُنٌ حِينَ نَلْتَقِي وَتَنْطِقُ مِنَّا أَعْيُنٌ وَقُلُوبُ

وله ايضاً .

إِذَا مَا ٱلْتَقَيْنَا وَٱلْوُشَاةُ بِمَجْلِسٍ فَلَيْسَ لَنَا رُسْلٌ سِوَى ٱلطَّرْفِ بِٱلطَّرْفِ
فَإِنْ غَفَلَ ٱلْوَاشُونَ فُزْتُ بِنَظْرَةٍ وَإِنْ نَظَرُوا نَحْوِي نَظَرْتُ إِلَى ٱلسَّقْفِ
أُسَارِقُ مَوْلَاهَا ٱلسُّرُورَ بِقُرْبِهَا وَأَهْجُرُ أَحْيَانًا وَفِي هَجْرِهِمْ حَتْفِي

٩٠ وقال آخر*

إِذَا غَفَلُوا عَنَّا نَطَقْنَا بِأَعْيُنٍ بِرَاضٍ وَإِنْ خِفْنَا نَظَرْنَا إِلَى ٱلْأَرْضِ
شَكَا بَعْضُنَا لَمَّا ٱلْتَقَيْنَا تَسَتُّرًا بِأَبْصَارِنَا مَا فِي ٱلنُّفُوسِ إِلَى بَعْضِ

وقال مسلم بن الوليد

جَعَلْنَا عَلَامَاتِ ٱلْمَوَدَّةِ بَيْنَنَا دَقَائِقَ لَحْظٍ هُنَّ أَخْفَى مِنَ ٱلسِّحْرِ
فَأَعْرِفُ مِنْهَا ٱلْوَصْلَ فِي لِينِ طَرْفِهَا وَأَعْرِفُ مِنْهَا ٱلْهَجْرَ بِٱلنَّظَرِ ٱلشَّزْرِ

وانشدنا ابن ابي طاهر لابي تمام

أَزُورُ مُحَمَّدًا وَإِذَا ٱلْتَقَيْنَا تَكَلَّمَتِ ٱلضَّمَائِرُ فِي ٱلصُّدُورِ
فَأَرْجِعُ لَمْ أَلُمْهُ وَلَمْ يَلُمْنِي وَقَدْ فَهِمَ ٱلضَّمِيرُ مِنَ ٱلضَّمِيرِ

وقال آخر

إِذَا نَحْنُ خِفْنَا ٱلْكَاشِحِينَ فَلَمْ نُطِقْ كَلَامًا تَكَلَّمْنَا بِأَعْيُنِنَا سِرَّا
فَنَقْضِي وَلَمْ يُعْلَمْ بِنَا كُلَّ حَاجَةٍ وَلَمْ نُظْهِرِ ٱلشَّكْوَى وَلَمْ نَهْتِكِ ٱلسِّتْرَا
وَلَوْ قَذَفَتْ أَحْشَاؤُنَا مَا تَضَمَّنَتْ مِنَ ٱلْوَجْدِ وَٱلْبَلْوَى إِذَنْ قَذَفَتْ جَمْرَا

صَاحِبُ هٰذَا ٱلشِّعْرِ ٱلْبَائِسُ مُغْتَرٌّ بِٱلزَّمَانِ جَاهِلٌ بِصُرُوفِ ٱلْأَيَّامِ يَتَبَرَّمُ بِٱلرَّقِيبِ مَعَ مُشَاهَدَةِ ٱلْحَبِيبِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَنَّ هٰذِهِ ٱلْحَالَ تَتَقَاصَرُ عَنْهَا ٱلْآمَالُ وَتَنْقَطِعُ دُونَهَا ٱلْآجَالُ وَلٰكِنْ مَنْ لَمْ يَنْكُبْهُ ٱلْفِرَاقُ وَلَا ٱلْهَجْرُ وَلَمْ يَعْتَرِضْ إِلَى ٱلْخِيَانَةِ وَٱلْغَدْرِ حَسِبَ أَنَّ ٱلرَّقِيبَ

هُوَ مُنْتَهى كَيْدِ ٱلدَّهْرِ وَظَنَّ أَنَّهُ قَدِ ٱمْتُحِنَ بِمَا لَا يَقُومُ لَهُ ٱلصَّبْرُ

وقد قال بعض اهل هذا العصر

لَئِنْ كَانَ ٱلرَّقِيبُ بَلَاءَ قَوْمٍ   فَمَا عِنْدِي أَجَلُّ مِنَ ٱلرَّقِيبِ
حِجَابُ ٱلْإِلْفِ أَيْسَرُ مِنْ نَوَاهُ   وَهَجْرُ ٱلْخِلِّ خَيْرٌ لِلْأَدِيبِ
وَلَا وَأَبِيكَ مَا عَايَنْتُ شَيْئاً   أَشَدَّ مِنَ ٱلْفِرَاقِ عَلَى ٱلْقُلُوبِ

وقال آخر* ٩١

أَشَارَتْ بِعَيْنَيْهَا إِشَارَةَ خَائِفٍ   حِذَارَ عُيُونِ ٱلْكَاشِحِينَ فَسَلَّمَتْ
فَرَدَّ عَلَيْهَا ٱلطَّرْفُ مِنِّي سَلَامَهَا   وَأَوْمَا إِلَيْهَا أَسْكُنِي فَتَبَسَّمَتْ
وَأَوْمَتْ إِلَى طَرْفِي يَقُولُ لِطَرْفِهَا   بِنَا فَوْقَ مَا تَلْقَى فَأَشْجَتْ وَتَيَّمَتْ
فَلَوْ سُئِلَتْ أَلْحَاظُنَا عَنْ قُلُوبِنَا   إِذَنْ لَٱشْتَكَتْ مِمَّا بِهَا وَتَبَرَّمَتْ
وَمَا هٰكَذَا إِلَّا عُيُونُ ذَوِي ٱلْهَوَى   إِذَا خَافَتِ ٱلْأَعْدَاءَ يَوْماً تَكَلَّمَتْ

وقال آخر

وَقَفْنَا فَلَوْ لَا أَنَّنَا رَاعَنَا ٱلْهَوَى   لَهَتَّكَنَا عِنْدَ ٱلرَّقِيبِ نَحِيبُ
وَفِي دُونِ مَا نَلْقَاهُ مِنْ أَلَمِ ٱلْهَوَى   تُشَقُّ جُيُوبٌ بَلْ تُشَقُّ قُلُوبُ
وَلَمَّا نَظَرْنَا بِٱلرَّقِيبِ وَلَحْظِهِ   وَلَحْظِي عَلَى لَحْظِ ٱلرَّقِيبِ رَقِيبُ
صَدَدْنَا وَكُلٌّ قَدْ طَوَى تَحْتَ صَدْرِهِ   فُؤَادًا لَهُ بَيْنَ ٱلضُّلُوعِ وَجِيبُ

وقال آخر

إِذَا مَا ٱلْتَقَيْنَا وَٱلْوُشَاةُ بِمَجْلِسٍ   فَأَلْسُنُنَا حَرْبٌ وَأَعْيُنُنَا سِلْمُ
وَتَحْتَ مَجَارِي ٱلصَّدْرِ مِنَّا مَوَدَّةٌ   تَطَّلِعُ سِرًّا حَيْثُ لَا يَذْهَبُ ٱلْوَهْمُ

وانشد ابن ابي طاهر

إِذَا خِفْنَا مِنَ ٱلرُّقَبَاءِ عَيْناً   تَكَلَّمَتِ ٱلْعُيُونُ عَنِ ٱلْقُلُوبِ
وَفِي غَمْزِ ٱلْحَوَاجِبِ مُسْتَرَاحٌ   لِحَاجَاتِ ٱلْمُحِبِّ إِلَى ٱلْحَبِيبِ

وقال آخر

وَمُرَاقَبَيْنِ يُكَاتِمَانِ هَوَاهُمَا جَعَلَا ٱلصُّدُورَ لِمَا تَجِنُّ قُبُورَا
يَتَلَاحَظَانِ تَلَاحُظاً فَكَأَنَّمَا يَتَنَاسَخَانِ مِنَ ٱلْجُفُونِ سُطُورَا

وانشد ابن ابي طاهر

٩٢ عَرَفَتْ بِٱلسَّلَامِ عَيْنَ ٱلرَّقِيبِ وَأَشَارَتْ بِلَحْظِ طَرْفٍ مُرِيبِ*
وَشَكَتْ لَوْعَةَ ٱلنَّوَى بِجُفُونٍ أَعْرَبَتْ عَنْ لِسَانِ قَلْبٍ كَئِيبِ
رُبَّ طَرْفٍ يَكُونُ أَفْصَحَ مِنْ لَفْـ ـظٍ وَأَبْدَى لِمُضْمَرَاتِ ٱلْقُلُوبِ

وقال آخر

وَإِذَا ٱلْتَقَيْنَا وَٱلْعُيُونُ رَوَامِقٌ صَمَتَ ٱللِّسَانُ وَطَرْفُهَا يَتَكَلَّمُ
تَشْكُو فَأَفْهَمُ مَا تَقُولُ بِطَرْفِهَا وَيَرُدُّ طَرْفِي مِثْلَ ذَاكَ فَتَفْهَمُ

وانشدني ابن ابي طاهر

كَتَبْتُ إِلَى ٱلْحَبِيبِ بِكَسْرِ عَيْنِي كِتَاباً لَيْسَ يَقْرَأُهُ سِوَاهُ
فَأَخْبَرَنِي تَوَرُّدُ وَجْنَتَيْهِ وَكَسْرُ جُفُونِهِ أَنْ قَدْ قَرَاهُ

وانشدني ايضاً لنفسه

لَقَدْ عَرَّضَ بِٱلْحُبِّ كَمَا عَرَّضْتُ بِٱلْحُبِّ
وَكَانَتْ أَعْيُنٌ رُسْلاً مَكَانَ ٱلرُّسْلِ بِٱلْكُتْبِ
عُيُونٌ تَنْقُلُ ٱلْأَسْرَارَ مِنْ قَلْبٍ إِلَى قَلْبِ

وقال آخر

إِذَا نَظَرَتْ طَرْفِي تَكَلَّمَ طَرْفُهَا وَجَاوَبَهُ طَرْفِي وَنَحْنُ سُكُوتُ
فَكَمْ نَظْرَةٍ مِنْهَا تُخَبِّرُ بِٱلرِّضَا وَأُخْرَى لَهَا نَفْسِي تَكَادُ تَمُوتُ

وانشدني ابن ابي طاهر

وَمُلَاحِظٍ سَرَقَ ٱلسَّلَامَ بِطَرْفِهِ حَذَرَ ٱلْعُيُونِ وَرِقْبَةً لِلْحَارِسِ

رَاجَعْتُـهُ بِلِسَانِ طَرْفٍ نَاطِقٍ   يُخْفِي ٱلْبَيَانَ عَلَى ٱلرَّقِيبِ ٱلْجَالِسِ
فَتَكَلَّمَتْ مِنَّـا ٱلضَّمَائِرُ بِٱلَّذِي   نُخْفِي وَفَازَ مُجَالِسٌ بِمُجَالِسِ

وقال الطرماح

كَأَنْ لَمْ يَرُعْكَ ٱلظَّاعِنُونَ بِبَيْنِهِمْ   بَلَى إِنَّ بَيْنَ ٱلظَّـاعِنِينَ نَزُوعُ
يُرَاقِبْنَ أَبْصَارَ ٱلْغَيَارَى بِأَعْيُنٍ   حَوَاذِرَ مَا تَجْرِي لَهُنَّ دُمُوعُ* ٩٣

وقال آخر

أَشَارَتْ بِطَرْفِ ٱلْعَيْنِ خِيفَةَ أَهْلِهَا   إِشَارَةَ مَحْزُونٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ
فَأَيْقَنْتُ أَنَّ ٱلطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَباً   وَأَهْـلًا وَسَهْـلًا بِٱلْحَبِيبِ ٱلْمُتَيَّمِ

وانشدني ابن ابي طاهر

أُلَاحِظُهَا خَوْفَ ٱلْمُرَاقِبِ لَحْظَـةً   فَأَشْكُو بِطَرْفِي مَا بِقَلْبِي مِنَ ٱلْوَجْدِ
فَتَفْهَمُـهُ عَنْ لَحْظِ عَيْنِي بِقَلْبِهَـا   فَتُومِي بِطَرْفِ ٱلْعَيْنِ أَنِّي عَلَى ٱلْعَهْدِ

وله ايضاً

تُحَدِّثُنَا ٱلْأَبْصَارُ مَا فِي قُلُوبِنَـا   فَنَغْنَى بِهَا عَمَّـا يُرَدَّدُ فِي ٱلْكُتْبِ
عَلَامَاتُنَا مَكْتُوبَـةٌ فِي جِبَاهِنَـا   حَبِيبَانِ مَوْقُوفَانِ فِي سُبُلِ ٱلْحُبِّ

وقال آخر

بَنَانُ يَـدٍ تُشِيرُ إِلَى بَنَـانٍ   تُجَاوِبُنَـا وَمَا يَتَكَلَّمَـانِ
جَرَى ٱلْإِيمَاءُ بَيْنَهُمَا رَسُولًا   فَأَعْرَبَ وَحْيُـهُ ٱلْمُتَنَاجِيَانِ

وانشدني ابن ابي طاهر

يُكَلِّمُهَا طَرْفِي فَتُومِي بِطَرْفِهَـا   فَتُخْبِرُ عَمَّا فِي ٱلضَّمِيرِ مِنَ ٱلْوَجْـدِ
فَإِنْ نَظَرَ ٱلْوَاشُونَ صَدَّتْ وَأَعْرَضَتْ   وَإِنْ غَفِلُوا قَالَتْ أَلَسْتُ عَلَى ٱلْعَهْدِ

وقال بعض الاعراب

فَلَمَّا ٱدَّرَكْنَـا رَاعَهُنَّ مُنَـادِيًا   كَمَا رَاعَ خَيْلًا مِنْ لِجَامٍ صَلَاصِلُهْ

فَنَازَعَنَا وَحْياً خَفِيّاً كَأَنَّهُ   [جَنَى]ٱلْمُجْتَنِي ٱلرَّيْحَانِ أَمْرَعَ حَاصِلُهْ
بِوَحْيٍ لَوَ انَّ ٱلْعُصْمَ تَسْمَعُ رَجْعَهُ   لَقُضْقِضَ مِنْ أَعْلَى إِبَانٍ حَوَافِلُهْ

وانشدنا ابن ابي طاهر

٩٤ وَمِنِّي وَمِنْهَا ٱثْنَانِ قَلْبٌ وَمُقْلَةٌ   مَرِيضَانِ مَغْبُوطٌ وَآخَرُ يُرْحَمُ*
وَطَرْفِي لَهَا عَمَّا بِقَلْبِي مِنَ ٱلْهَوَى   إِذَا لَمْ أُطِقْ شَكْوَى إِلَيْهَا مُتَرْجِمُ

وقال آخر

يُكَلِّمُ طَرْفِي طَرْفَهَا حِينَ نَلْتَقِي   وَإِنْ كَانَ فِينَا لِلْعِتَابِ صُدُودُ
فَإِنْ نَحْنُ صِرْنَا لِلْفِرَاقِ تَلَاحَظَتْ   لَنَا بِهَوَانَا أَعْيُنٌ وَخُدُودُ
فَنَحْنُ كَأَنَّا بِٱلْقُلُوبِ وَذِكْرِهَا   إِذَا مَا ٱفْتَرَقْنَا حَاضِرُونَ شُهُودُ

وقال الراعي

يُنَاجِينَنَا وَٱلطَّرْفُ دُونَ حَدِيثِنَا   وَيَقْضِينَ حَاجَاتٍ وَهُنَّ مَوَازِحُ
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا شَجَيْنَ بِعَبْرَةٍ   وَزَوَّدْنَنَا شَوْقاً وَهُنَّ فَوَاضِحُ
فَوَيْلُ ٱمِّهَا مِنْ خِلَّةٍ لَوْ تَنَكَّرَتْ   لِأَعْدَائِنَا أَوْ صَالَحَتْ مَنْ تُصَالِحُ

وقال آخر

قِفِي أَخْبِرِينِي ثُمَّ حُكْمُكِ وَاجِبٌ   عَلَيَّ إِذَا خَبَّرْتِ مَا أَنَا سَائِلُ
مَتَى أَنَا نَاجٍ يَا قَتُولُ فَأَوْمَأَتْ   بِطَرْفٍ كَفَى رَجْعَ ٱلَّذِي أَنَا قَائِلُ

وقال آخر

أَلَا حَبَّذَا ٱلدَّهْنَا وَطِيبُ تُرَابِهَا   وَأَرْضٌ خَلَاءٌ يَصْدَعُ ٱللَّيْلَ هَامُهَا
وَنَصُّ ٱلْمَهَارِي بِٱلْعَشِيَّاتِ وَٱلضُّحَى   إِلَى نَفَرٍ وَحْيُ ٱلْعُيُونِ كَلَامُهَا

وانشدني الفضل بن ابي طاهر

إِشَارَةُ أَفْوَاهٍ وَغَمْزُ حَوَاجِبٍ   وَتَكْسِيرُ أَجْفَانٍ وَكَفٌّ تُسَلِّمُ
وَأَلْسُنُنَا مَعْقُودَةٌ عَنْ شَكَاتِنَا   وَأَبْصَارُنَا عَنْهَا ٱلصَّبَابَاتِ تَفْهَمُ

وقال بن الوليد عبيد الطائي

يَتَبَسَّمْنَ مِنْ وَرَاءِ حَوَاشِي ٱلرَّيْـ ـطِ عَنْ بَرَدِ أُقْحُوَانِ ٱلثُّغُورِ
وَيُسَاقِطْنَ وَٱلرَّقِيبُ قَرِيبٌ لَحَظَاتٍ يُعْلِنَّ سِرَّ ٱلضَّمِيرِ *٩٥
ضَعُفَ ٱلدَّهْرُ عَنْ هَوَاهَا وَمَا ٱلدَّهْـ ـرُ عَلَى كُلِّ دَوْلَةٍ بِقَدِيرِ
لَيْسَ فِي ٱلْعَاشِقِينَ أَنْقَصُ حَظّاً فِي ٱلتَّصَابِي مِنْ وَاصِلٍ مَهْجُورِ

أَمَّا هٰذَا ٱلْكَلَامُ فَكَلَامُ مُتَغَطْرِسٍ عَلَى ٱلْأَيَّامِ وَقَدْ كَانَ يُقَالُ عِنْدَ ٱلثِّقَةِ بِٱلْأَيَّامِ تُحْذَرُ ٱلْغِيَرُ

وقال ابراهيم النظّام

وَنَشْكُو بِٱلْعُيُونِ إِذَا ٱلْتَقَيْنَا فَنَفْهَمُهُ وَيَعْلَمُ مَا أَرَدْتُ
أَقُولُ بِمُقْلَتِي أَنْ مُتُّ شَوْقاً فَيُوحِي طَرْفُهُ أَنْ قَدْ عَلِمْتُ

الباب الثاني عشر

مَنْ مُنِعَ مِنْ كَثِيرِ ٱلْوِصَالِ قَنِعَ بِقَلِيلِ ٱلنَّوَالِ

قال ذو الرمة

أَلِمَّا بِمَيٍّ قَبْلَ أَنْ تَطْرَحَ ٱلنَّوَى بِنَا مَطْرَحاً أَوْ قَبْلَ بَيْنٍ يُزِيلُهَا
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مُعَرَّسُ سَاعَةٍ قَلِيلًا فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا
خَلِيلَيَّ عُدَّا حَاجَتِي مِنْ هَوَاكُمَا وَمَنْ ذَا يُدَاوِي ٱلنَّفْسَ إِلَّا خَلِيلُهَا

وقال ايضاً

وَإِنِّي لَيُرْضِينِي قَلِيلُ نَوَالِكُمْ وَإِنْ كُنْتُ لَا أَرْضَى لَكُمْ بِقَلِيلِ
بِحُرْمَةِ مَا قَدْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنَ ٱلْوُدِّ أَلَّا عُدْتُمْ بِجَمِيلِ

وقال جميل

وَيَقُلْنَ إِنَّكَ قَدْ رَضِيتَ بِبَاطِلٍ   مِنْهَا فَهَلْ لَكَ فِي ٱعْتِزَالِ ٱلْبَاطِلِ
وَلَبَاطِلٌ مِمَّنْ أُحِبُّ حَدِيثَهُ   أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ ٱلْبَغِيضِ ٱلْبَاذِلِ
وَلَرُبَّ عَارِضَةٍ عَلَيْنَا وَصْلَهَا   بِٱلْجِدِّ تَخْلِطُهُ بِقَوْلِ ٱلْهَازِلِ
فَأَجَبْتُهَا بِٱلْقَوْلِ بَعْدَ تَسَتُّرٍ   حُبِّي بُثَيْنَةَ عَنْ وِصَالِكِ شَاغِلِي
لَوْ كَانَ فِي قَلْبِي كَقَدْرِ قُلَامَةٍ   فَضْلٌ وَصَلْتُكِ أَوْ أَتَتْكِ رَسَائِلِي* ٩٦

أَمَّا هٰذَا فَقَدْ دَلَّنَا بِغَايَةِ جُهْدِهِ عَلَى شِدَّةِ تَمَكُّنِهَا مِنْ قَلْبِهِ وَأَخْبَرَنَا مَعَ ذٰلِكَ فِي شِعْرِهِ أَنَّهُ لَوْ تَهَيَّأَ خَلَاصُ شَيْءٍ مِنْ حُبِّهِ مِنْ يَدِهَا لَصَرَفَهُ إِلَى غَيْرِهَا وَهٰذِهِ حَالٌ لَا تُرْضِي أَهْلَ ٱلْوَفَاءِ وَلَا يَسْتَعْمِلُهَا أَهْلُ ٱلصَّفَاءِ

وقال آخر

وَإِنِّي لَأَرْضَى مِنْكِ يَا لَيْلُ بِٱلَّذِي   لَوْ أَخْبَرَهُ ٱلْوَاشِي لَقَرَّتْ بَلَابِلُهْ
بَلَى وَبِأَنْ لَا أَسْتَطِيعَ وَبِٱلْمُنَى   وَبِٱلْوَعْدِ حَتَّى يَسْأَمَ ٱلْوَعْدَ آمِلُهْ
وَبِٱلنَّظْرَةِ ٱلْعَجْلَى وَبِٱلْحَوْلِ تَنْقَضِي   أَوَاخِرُهُ لَا تَلْتَقِي وَأَوَائِلُهْ

هٰذِهِ لَعَمْرِي قَنَاعَةٌ شَدِيدَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ وَرَاءَهَا ذِلَّةً وَكِيدَةً لِأَنَّ مَنْ يَتَهَيَّأُ لَهُ مَنْ يَهْوَاهُ لَا يَقْنَعُ بِأَنْ لَا يَرَاهُ وَبِأَنْ يَعِدَهُ وَعْدَهُ إِلَّا يُطَالِبُهُ بِوَفَائِهِ وَلَعَمْرِي إِنَّ هٰذِهِ ٱلْحَالَ تُقِرُّ عَيْنَ ٱلْمُعَادِي وَتُسْخِنُ عَيْنَ ٱلْمُوَالِي إِلَّا أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ بَالَغَ فِي ٱلْقَنَاعَةِ فَإِنَّهُ قَدِ ٱلْتَمَسَ ٱلتَّعَلُّلَ بِٱلْوَعْدِ وَبِتَأْمِيلِ ٱللِّقَاءِ عَلَى ٱلْبُعْدِ وَمَنْ قَنِعَ بِتَرْكِ ٱللِّقَاءِ وَأَقَامَ عَلَى حَالِ ٱلْوَفَاءِ كَانَ أَتَمَّ حَالًا

كما قال ابو دلف العجلي

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ لَا أَرَاكِ وَلَا   أَطْمَعُ فِي ذَاكَ سَائِرَ ٱلْأَبَدِ

لَقَانِعٌ بِٱلسَّلَامِ يَبْلُغُنِي   أَشْفِي غَلِيلًا بِهِ مِنَ ٱلْكَمَدِ
وَأَدْفَعُ ٱلْهَمَّ بِٱلسُّرُورِ إِذَا   أَيْقَنْتُ أَنَّا جَارَانِ فِي بَلَدِ

ولبعض اهل هذا العصر

أَأَيَّامَ هٰذَا ٱلدَّهْرِ كَمْ تَعْنَفِينَ بِي   كَأَنْ لَمْ تَرَى قَبْلِي مُعَنًّى وَلَا بَعْدِي
نَوَالًا كَرَجْعِ ٱلطَّرْفِ أَعْجَلَهُ ٱلْقَذَى   وَضَنًّا كَضَنِّ ٱلْجَفْنِ بِٱلْأَعْيُنِ ٱلرُّمْدِ
فَمَنْ يَكُ مُشْتَاقًا إِلَى نُجْحِ مَوْعِدٍ   فَهَا أَنَا مُشْتَاقٌ إِلَى خَلَفِ ٱلْوَعْدِ
فَلَا خُلْفَ إِلَّا بَعْدَ تَوْكِيدِ مَوْعِدٍ   وَلَا وَعْدَ إِلَّا عَنْ صَفَاءٍ مِنَ ٱلْوُدِّ
وَقَدْ قَذَفَتْ نَفْسِي أَجَلَّ حُظُوظِهَا   لَدَيْكَ وَفَقْدُ ٱلْحَظِّ جُزْءٌ مِنَ ٱلْفَقْدِ* ٩٧

وقال آخر

أَوَجْدٌ عَلَى وَجْدٍ وَأَنْتِ بَخِيلَةٌ   وَقَدْ زَعَمُوا أَنْ لَا يُحَبَّ بَخِيلُ
بَلَى وَٱلَّذِي حَجَّ ٱلْمُلَبُّونَ بَيْتَهُ   وَيُشْفَى ٱلْجَوَى بِٱلنَّيْلِ وَهْوَ قَلِيلُ

وقال آخر

يَقَرُّ بِعَيْنِي أَنْ أَرَى مِنْ مَكَانِهِ   ذُرَى عُقُدَاتِ ٱلْأَبْرَقِ ٱلْمُتَقَاوِدِ
وَأَنْ أَرِدَ ٱلْمَاءَ ٱلَّذِي وَرَدَتْ بِهِ   سُلَيْمَى إِذَا مَلَّ ٱلسُّرَى كُلُّ وَاحِدِ
فَأُلْصِقُ أَحْشَائِي بِبَرْدِ تُرَابِهِ   وَإِنْ كَانَ مَخْلُوطًا بِسُمِّ ٱلْأَسَاوِدِ

وقال آخر

يَقَرُّ بِعَيْنِي أَنْ أَرَى كُفَّةَ ٱلْغَضَا   إِذَا مَا بَدَتْ يَوْمًا لِعَيْنِي قِلَالُهَا
وَلَسْتُ وَإِنْ أَحْبَبْتُ مَنْ يَسْكُنُ ٱلْغَضَا   بِأَوَّلِ رَاجٍ حَاجَةً لَا يَنَالُهَا

وقال جميل

قَدْ مَاتَ قَبْلِي أَخُو نَهْدٍ وَصَاحِبُهُ   مُرَقِّشٌ وَٱشْتَفَى مِنْ عُرْوَةَ ٱلْكَمَدُ
إِنِّي لَأَحْسَبُ أَوْ [قَدْ] كِدْتُ أَعْلَمُهُ   أَنْ سَوْفَ تُورِدُنِي ٱلْحَوْضَ ٱلَّذِي وَرَدُوا
فَمَا يَضُرُّ ٱمْرَءًا أَمْسَى وَأَنْتِ لَهُ   أَنْ لَا يَكُونَ مِنَ ٱلدُّنْيَا لَهُ سَنَدُ

وقال ايضاً

يُكَذِّبُ أَقْوَالَ ٱلْوُشَاةِ صُدُودُهَا   وَيَجْتَازُهَا عَنِّي كَأَنْ لَا أُرِيدُهَا
وَتَحْتَ مَجَارِي ٱلدَّمْعِ مِنَّا مَوَدَّةٌ   تُلَاحِظُ سِرًّا لَا يُنَادَى وَلِيدُهَا
رَفَعْتُ عَنِ ٱلدُّنْيَا ٱلْمُنَى غَيْرَ وُدِّهَا   فَمَا أَسْأَلُ ٱلدُّنْيَا وَلَا أَسْتَزِيدُهَا

وقال ايضاً

مِنَ ٱلْخَفِرَاتِ ٱلْبِيضِ أُخْلِصَ لَوْنُهَا   تُلَاحِي عَدُوًّا لَمْ تَجِدْ مَا يَعِيبُهَا
٩٨ فَمَا مُزْنَةٌ بَيْنَ ٱلسِّمَاكَيْنِ أَوْمَضَتْ   مِنَ ٱلنُّورِ ثُمَّ ٱسْتَعْرَضَتْهَا جُنُوبُهَا*
بِأَحْسَنَ مِنْهَا يَوْمَ قَالَتْ وَعِنْدَنَا   مِنَ ٱلنَّاسِ أَوْبَاشٌ يُخَافُ شُغُوبُهَا
تَمَانَيْتَ فَٱسْتَغْنَيْتَ عَنَّا بِغَيْرِنَا   إِلَى يَوْمِ يَلْقَى كُلُّ نَفْسٍ حَسِيبُهَا
وَدِدْتُ وَلَا تُغْنِي ٱلْوَدَادَةُ أَنَّهَا   نَصِيبِي مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَنِّي نَصِيبُهَا

وقال آخر

هَلِ ٱللهُ عَافٍ عَنْ ذُنُوبٍ تَسَلَّفَتْ   أَمِ ٱللهُ إِنْ [لَمْ] يَعْفُ عَنْهَا يُعِيدُهَا
وَكُنَّا إِذَا دَانَتْ بِذَلْفَاءَ نِيَّةٌ   رَضِينَا بِدُنْيَانَا فَمَا نَسْتَزِيدُهَا

وقال ايضاً

عَاتِبَةٌ لَمْ أَعْنَ عَنْ وَصْلِهَا   يَقْتُلُ فِي أَجْفَانِهَا ٱلسِّحْرُ
إِنْ نَظَرَتْ قُلْتُ بِهَا ذِلَّةٌ   أَوْ خَطَرَتْ قُلْتُ بِهَا كِبْرُ
أَصْبَحْتُ لَا أَطْمَعُ فِي وَصْلِهَا   حَسْبِيَ أَنْ يَبْقَى لِيَ ٱلْهَجْرُ

وقال آخر

صُدُودُكَ عَنِّي إِذْ أَسَأْتُ يَسُرُّنِي   وَلَمْ أَرَ قَبْلِي عَاشِقًا سُرَّ بِٱلصَّدِّ
سُرِرْتُ بِهِ أَنِّي تَيَقَّنْتُ أَنَّمَا   دَعَاكَ إِلَيْهِ رَغْبَةٌ مِنْكَ فِي وُدِّي
وَلَوْ كُنْتَ فِيَّ زَاهِدًا لَمْ تُبَالِ بِي   وَلٰكِنَّمَا عَتْبُ ٱلْمُحِبِّ مِنَ ٱلْوَجْدِ
فَيَا فَرْحَةً لِي إِذْ رَأَيْتُكَ عَاتِبًا   عَلَيَّ لِذَنْبٍ كَانَ مِنِّي بِلَا عَمْدِ

وقال البحتري

أَخٌ لِيَ لَمْ تَتَّصِلْ نِسْبَتِي   بِقُرْبَى أَبِيهِ وَلَا أُمِّـهِ
تَنَـكَّرَ حَتَّى لَأَنْـكَرْتُهُ   خَلَا أَنَّنِي عَارِفٌ بِٱسْمِهِ
وَمَا لِيَ مِنْهُ سِوَى رِقَّةٍ   يُرَاحُ بِهَا ٱلشِّعْرُ مِنْ فَهْمِهِ
كَذَا ٱلْمِسْكُ مَا فِيهِ مُسْتَمْتَعٌ   لِمُتَّخِذِيهِ سِوَى شَمِّهِ

وقال ابراهيم بن العباس* ٩٩

مِنِّيَ ٱلصَّبْرُ وَمِنْـكَ ٱلْهَـ   جْرُ فَأَبْلِغْ بِي مَدَاكَا
بَعُـدَتْ هِمَّـةُ عَـيْنٍ   طَمِعَتْ فِي أَنْ تَرَاكَا
أَوَ مَا حَـظٌّ لِعَـيْنٍ   أَنْ تَرَى مَنْ قَدْ يَرَاكَا
أَوْ تَرَى مَنْ قَدْ رَأَى مَنْ   قَـدْ رَأَى مَنْ قَدْ رَآكَا

وقال بعض الاعراب

أَيَا جَبَلَيْ نُعْمَانَ قَلْبِي إِلَيْكُمَا   مُسِرٌّ هَوًى مُسْتَـأْنِسٍ بِلِقَـاكُمَا
كَتَمْتُ جَمِيعَ ٱلنَّاسِ وَجْدِي عَلَيْكُمَا   وَأَضْمَرْتُ فِي ٱلْأَحْشَاءِ مِنِّي هَوَاكُمَا
دَعَا لَـكُمَا قَلْبِي ٱلْحَنِينُ وَإِنَّـهُ   لَيُؤْنِسُ عَيْنِي أَنْ تَرَى مَنْ يَرَاكُمَا

وقال بعض الاعراب

وَإِنَّ ٱلَّذِي أَرْضَى بِـهِ مِنْ نَوَالِهَا   عَلَيْهَـا وَإِنْ ضَنَّتْ بِـهِ لَيَسِيرُ
سَلَامٌ بِعَيْنٍ أَوْ سَلَامٌ بِحَـاجِبٍ   إِذَا مَا بِـهِ لَمْ تَـدْرِ كَيْفَ تُشِيرُ

وقال الاحوص بن محمد

وَقَـدْ جِئْتُ ٱلطَّبِيبَ لِسُقْمِ نَفْسِي   لِيَشْفِيَهَـا ٱلطَّبِيبُ فَمَا شَفَاهَـا
وَكُنْتُ إِذَا سَمِعْتُ بِأَرْضِ سُعْدَى   شَفَانِي مِنْ سَقَـامِي أَنْ أَرَاهَـا
فَمَنْ هَـذَا ٱلطَّبِيبُ لِسُقْمِ نَفْسِي   سِوَى سُعْدَى إِذَا شَحَطَتْ نَوَاهَا

وقال ايضاً

أَمَلَامُ هَلْ لِمُتَيَّمٍ تَنْوِيلُ   أَمْ قَدْ صَرَمْتِ وَغَالَ وُدَّكِ غُولُ
لَا تَصْرِمِينِي مِنْ دَلَالِكِ إِنَّهُ   حَسَنٌ لَدَيَّ وَإِنْ بَخِلْتِ جَمِيلُ

وقال البحتري

وَيَحْسُنُ دَلُّهَا وَٱلْمَوْتُ فِيهِ   وَقَدْ يُسْتَحْسَنُ ٱلسَّيْفُ ٱلصَّقِيلُ
أَقُولُ أَزِيدُ مِنْ سَقَمٍ فُؤَادِي   وَهَلْ يَزْدَادُ مِنْ قَتْلٍ قَتِيلُ *

وقال اخر

إِنَّ ٱلَّتِي زَعَمَتْ فُؤَادَكَ مَلَّهَا   خُلِقَتْ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوًى لَهَا
حَجَبَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي   مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقَلَّهَا

ولبعض اهل هذا العصر

فَإِنْ تَكُنِ ٱلْقُلُوبُ إِذَنْ تُجَازَى   وَأَسْلُكُ فِي ٱلْهَوَى سَنَنًا سَوِيًّا
فَمَا لِي أَهْوَى ٱلثَّقَلَيْنِ جَمْعًا   عَلَيْكَ وَأَنْتَ أَكْرَمُهُمْ عَلَيَّا
عَمِرْتُ سِنِينَ أَسْتَخْفِي ٱلتَّصَافِي   وَلَا أَرْضَى مِنَ ٱلْوَصْلِ ٱلرَّضِيَّا
فَلَمْ تُقْلِعْ صُرُوفُ ٱلدَّهْرِ حَتَّى   حُبِسْتُ عَنْ أَنْ أَجِي أَوْ أَنْ أُحَيَّا
تَبَغَّضْ مَا ٱسْتَطَعْتَ وَعِشْ سَلِيمًا   فَأَنْتَ أَحَبُّ مَخْلُوقٍ إِلَيَّا

وقال ابو صخر الهذلي

وَيُقِرُّ عَيْنِي وَهْيَ نَازِحَةٌ   مَا لَا يُقِرُّ بِعَيْنِ ذِي ٱلْحِلْمِ
أَنِّي أَرَى وَأَظُنُّ أَنْ سَتَرَى   وَضَحَ ٱلنَّهَارِ وَعَالِيَ ٱلنَّجْمِ

وَهٰذِهِ لَعَمْرِي قَنَاعَةٌ مُفْرِطَةٌ فِي بَابِهَا وَإِنْ كَانَتْ مُقَصِّرَةً عَنْ حَالِ ٱلتَّمَامِ لِأَنَّ صَاحِبَ هٰذِهِ ٱلْحَالِ يَسْتَجْلِبُ بُعْدًا لِنَفْسِهِ نَسِيمَ ٱلْوِصَالِ وَمَا قَصَّرَ عَنْ هٰذَا ٱلنَّحْوِ ٱلَّذِي يَقُولُ

أَتَانِي عَنْكِ سَبُّكِ لِي فَسُبِّي   أَلَيْسَ جَرَى بِفِيكِ ٱسْمِي فَحَسْبِي
فَسُبِّي مَا بَدَا لَكِ أَنْ تَسُبِّي   فَمَا ذَا كُلُّهُ إِلَّا لِحُبِّي

وقال آخر في هذا المعنى فما قصر

تَعَالَلْتِ كَيْ أَشْجَى وَمَا بِكِ عِلَّةٌ تُرِيدِينَ قَتْلِي قَدْ ظَفِرْتِ بِذٰلِكِ
لَئِنْ سَاءَنِي أَنْ نِلْتِنِي بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ سَرَّنِي أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكِ

وانشدني احمد بن يحيى ابو العباس* ١٠١

يَا أَيُّهَا ٱلرَّاكِبُ ٱلْغَادِي لِطِيَّتِهِ عَرِّجْ أُنَبِّئْكَ عَنْ بَعْضِ ٱلَّذِي أَجِدُ
مَا عَالَجَ ٱلنَّاسُ مِنْ وَجْدٍ أَلَمَّ بِهِمْ إِلَّا وَجَدْتُ بِهِ فَوْقَ ٱلَّذِي وَجَدُوا
حَسْبِي رِضَاهُ وَأَنِّي فِي مَسَرَّتِهِ وَوُدِّهِ آخِرَ ٱلْأَيَّامِ أَجْتَهِدُ

ولعمري لقد احسن الذي يقول ويقال انه لابي داود

لَا تُنِلْنِي ٱلرِّضَا وَلَا تَهْوَ غَيْرِي فَكَفَانِي بِذَاكَ نَيْلًا وَرِفْقَا
غَايَتِي أَنْ أَرَاكَ حَيًّا وَأُضْحِي آمِنًا أَنْ تُعِيرَ طَرْفَكَ خَلْقَا
ثُمَّ لَا أَسْتَزِيدُ مِنْكَ وَلَا أَطْـ لُبُ نَيْلًا وَلَوْ تَقَطَّعْتُ عِشْقَا

ولبعض اهل هذا العصر في مثله

أَمَرْتَ أَلَّا أَتَشَكَّى ٱلْهَوَى وَفِعْلُ مَا تَهْوَاهُ مَفْرُوضُ
فَلَسْتُ أَعْدُو حَدَّ مَا قُلْتَهُ حَسْبِي مِنَ ٱلتَّصْرِيحِ تَعْرِيضُ

وَكُلُّ هٰذِهِ ٱلْأَحْوَالِ نَاقِصَةٌ عَنْ حَدِّ ٱلتَّمَامِ عَلَى عُجْبِ أَصْحَابِهَا بِهَا وَٱفْتِخَارِهِمْ بِذِكْرِهَا وَتَوَهُّمِهِمْ أَنْ قَدْ تَهَيَّأَ لَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مَا لَمْ يَتَهَيَّأْ لِغَيْرِهِمْ مِنْ صَبْرِهَا لِأَحْبَابِهِمْ عَلَى ٱلْحَظِّ ٱلْيَسِيرِ مِنْ نَوَالِهِمْ وَأَتَمُّ مِنْ هٰؤُلَاءِ فِي ٱلْحَالِ وَأَحْسَنُ صَبْرًا عَلَى قَلِيلِ ٱلنَّوَالِ بَلْ عَلَى تَرْكِ جَمِيعِهِ مَنْ رَضِيَ مِنَ ٱلنَّيْلِ بِسَلَامَةِ مَحْبُوبِهِ وَكَانَ ذٰلِكَ نِهَايَةَ مَطْلُوبِهِ

وفي مثل ذلك يقول بعض اهل هذا العصر

إِلَّا تَكُنْ فِي ٱلْهَوَى أَرْوَيْتَ مِنْ ظَمَإٍ وَلَا فَكَكْتَ مِنَ ٱلْأَغْلَالِ مَأْسُورَا

لَقَدْ ذَلَلْتُ عَلَى مَحْضِ ٱلْهَوَى لَكَ لَا لِأَجْلِ مَا كَانَ مَرْجُوًّا وَمَذْخُورَا
فَحَسْبُ نَفْسِي عَنَاً عِلْمِي بِمَوْضِعِهَا مِنَ ٱلْهَوَى وَحَسْبُ أَنْ كُنْتُ مَعْذُورَا
فَأَيْنَ أَذْهَبُ بَلْ مَاذَا أُرِيدُ مِنَ ٱلْ أَيَّامِ أَزْوِي عَلَيْهَا ٱلْإِفْكَ وَٱلزُّورَا
وَأَنْتَ ذَاكَ وَقَلْبِي ذَا ٱلَّذِي مَلَكَتْ هَوَاهُ نَفْسُكَ إِكْرَاهًا وَتَخْيِيرَا
١٠٢ لَمْ يَهْوِكَ ٱلْقَلْبُ إِنْ أَظْهَرْتَ أَنْتَ لَهُ بِرًّا فَيَسْلَاكَ إِذْ أَظْهَرْتَ تَقْصِيرَا * •
وَلَمْ يَكُنْ بِٱخْتِيَارٍ لِي فَأَتْرُكَهُ وَلَا ٱضْطِرَارٍ أَتَاهُ ٱلْقَلْبُ مَقْهُورَا
لٰكِنَّهُ مِنْ أُمُورِ ٱللهِ مُمْتَنِعٌ فِي ٱلْوَصْفِ قَدَّرَهُ ٱلرَّحْمَانُ تَقْدِيرَا
لَنْ يَضْبُطَ ٱلْعَقْلَ إِلَّا مَا يُدَبِّرُهُ وَلَنْ تَرَى فِي ٱلْهَوَى بِٱلْعَقْلِ تَدْبِيرَا
كُنْ مُحْسِنًا أَوْ مُسِيئًا وَٱبْقَ لِي أَبَدًا تَكُنْ لَدَيَّ عَلَى ٱلْحَالَيْنِ مَشْكُورَا

الباب الثالث عشر

مَنْ حُجِبَ مِنَ ٱلْأَحْبَابِ تَذَلَّلَ لِلْحُجَّابِ

أَصْلُ ٱلْحِجَابِ يَكُونُ مِنْ جِهَتَيْنِ إِمَّا أَنْ يَقَعَ مِنَ ٱلْمَحْبُوبِ ٱخْتِيَارًا وَإِمَّا أَنْ يُوقِعَهُ غَيْرُهُ بِهِ ٱضْطِرَارًا فَأَمَّا ٱلْإِضْطِرَارُ فَقِسْمٌ وَاحِدٌ وَهُوَ صَوْنُ ٱلْمَحْبُوبِ عَنِ ٱلْمَحْجُوبِ وَأَمَّا ٱلْاخْتِيَارُ فَيَنْقَسِمُ عَلَى ضُرُوبٍ فَرُبَّمَا كَانَ ٱمْتِحَانًا لِلْمُحِبِّ مِنَ ٱلْمَحْبُوبِ وَرُبَّمَا كَانَ خَوْفًا عَلَيْهِ مِنَ ٱلرَّقِيبِ وَرُبَّمَا كَانَ ٱسْتِدْعَاءً لِلزِّيَادَةِ فِي ٱلْحَالِ وَرُبَّمَا كَانَ إِشْفَاقًا عَلَى ٱلنَّفْسِ مِنَ ٱلْعُذَّالِ وَتَصَوُّنًا عَنْ قَبِيحِ ٱلْمَقَالِ وَرُبَّمَا كَانَ عَلَى جِهَةِ ٱلضَّجَرِ وَٱلْمَلَالِ وَهٰذَا هُوَ شَرُّ ٱلْأَحْوَالِ وَفِي كُلِّ ذٰلِكَ قَدْ قَالَتِ ٱلشُّعَرَاءُ وَنَحْنُ إِنْ شَاءَ ٱللهُ نَذْكُرُ مِنْ ذٰلِكَ بَعْضَ مَا يَتَهَيَّأُ عَلَى حَسَبِ

مَا يَحْتَمِلُهُ ٱلْعَدَدُ ٱلَّذِي شَرَطْنَاهُ

وانشدني ابو الفضل احمد بن ابي طاهر

يَكُونُ لَهُ مِنْ دُونِ رُؤْيَتِهَا سِتْرَا   حِجَابٌ فَإِنْ تَبْدُو فَلِلدَّمْعِ جَوْلَةٌ
فَإِنْ غَاضَ دَمْعُ ٱلْعَيْنِ أَقْبَلَ كَاشِحٌ   يَرُدُّ جُفُونَ ٱلْعَيْنِ قَدْ مُلِئَتْ ذُعْرَا
وَمَنْ يَشْتَرِي مِنِّي حَيَاتِي بِمِيتَةٍ   أَبِعْهُ حَيَاةً يَشْتَرِي بَعْدَهَا قَبْرَا
وَمَنْ يَشْتَرِي عَيْنِي بِعَيْنٍ صَحِيحَةٍ   أَزِدْهُ عَلَى عَيْنَيَّ قَلْباً أَبَى ٱلصَّبْرَا

وقال عبدالله بن طاهر

إِنْ يَمْنَعُونِي مَمَرِّي نَحْوَ بَابِكُمُ   فَسَوْفَ أَنْظُرُ مِنْ بُعْدٍ إِلَى ٱلدَّارِ
لَا يَقْدِرُونَ عَلَى مَنْعِي وَإِنْ جَهِدُوا   إِذَا مَرَرْتُ وَتَسْلِيمِي بِإِضْمَارِ ١٠٣*
مَا ضَرَّ جِيرَانَكُمْ وَٱللهُ يَكْلَأُهُمْ   لَوْلَا شَقَائِي إِقْبَالِي وَإِدْبَارِي

وقال قيس بن ذريح

فَإِنْ يَحْجُبُوهَا أَوْ يَحُلْ دُونَ وَصْلِهَا   مَقَالَةُ وَاشٍ أَوْ وَعِيدُ أَمِيرِ
فَلَنْ يَحْجُبُوا عَيْنَيَّ مِنْ دَائِمِ ٱلْبُكَا   وَلَنْ يُذْهِبُوا مَا قَدْ أَجَنَّ ضَمِيرِي

وقال بعض الاعراب

فَإِنْ يَمْنَعُوا لَيْلَى وَحُسْنَ حَدِيثِهَا   فَلَنْ يَمْنَعُوا مِنِّي ٱلْبُكَا وَٱلْقَوَافِيَا
فَهَلَّا مَنَعْتُمْ إِذْ مَنَعْتُمْ كَلَامَهَا   خَيَالًا يُوَافِينَا عَلَى ٱلنَّأْيِ هَادِيَا

وقال آخر

لِي إِلَى ٱلرِّيحِ حَاجَةٌ إِنْ قَضَتْهَا   كُنْتُ لِلرِّيحِ مَا حَيِيتُ غُلَامَا
حَجَبُوهَا عَنِ ٱلرِّيَاحِ لِأَنِّي   قُلْتُ لِلرِّيحِ بَلِّغِيهَا ٱلسَّلَامَا

وقال البحتري

وَيَكْفِي ٱلْفَتَى مِنْ نُصْحِهِ وَوَفَائِهِ   تَمَنِّيهِ أَنْ يُرْدَى وَيَسْلَمَ صَاحِبُهْ
فَلَا تَحْسَبَا تَرْكِي ٱلزِّيَارَةَ جَفْوَةً   وَلَا سُوءَ عَهْدٍ جَاذَبَتْنِي جَوَاذِبُهْ

وَمَنْ لِي بِإِذْنٍ حِينَ أَعْدُو إِلَيْكُمَا   وَدُونَكُمَا ٱلْبُرْجُ ٱلْمُطِلُّ وَحَاجِبُهْ

وقال آخر

خَلِيلَيَّ لَيْسَ ٱلْهَجْرُ أَنْ تَشْحَطَ ٱلنَّوَى   بِإِلْفَيْنِ دَهْرًا ثُمَّ يَلْتَقِيَانِ
وَلٰكِنَّمَا ٱلْهِجْرَانُ أَنْ تَجْمَعَ ٱلنَّوَى   وَأُحْصَرَ عَمَّنْ قَدْ أَرَى وَيَرَانِي

وقال البحتري

فَكَمْ جِئْتُ طَوْعَ ٱلشَّوْقِ مِنْ بُعْدِ غَايَةٍ   إِلَى غَيْرِ مُشْتَاقٍ وَمَا رَدَّنِي بِشْرُ
وَمَا بَالُهُ يَأْبَى دُخُولِي وَقَدْ رَأَى   خُرُوجِي مِنْ أَبْوَابِهِ وَيَدِي صِفْرُ

١٠٤ وقال ايضاً*

إِذَا أَتَيْتُكَ إِجْلَالًا وَتَكْرُمَةً   رَجَعْتُ أَحْمِلُ بِرًّا غَيْرَ مَقْبُولِ
فَإِنْ أَرَدْتُكَ عَرَّضْتُ ٱلرَّسُولَ لِمَا   يُخْشَى مِنَ ٱلرَّدِّ وَٱسْتَأْذَنْتُ مِنْ مِيلِ

وقال ابو تمام الطائي

صَبْرًا عَلَى ٱلْمَطْلِ مَا لَمْ يَتْلُهُ ٱلْكَذِبُ   فَلِلْخُطُوبِ إِذَا سَامَحْتَهَا عُقَبُ
لَيْسَ ٱلْحِجَابُ بِمُقْصٍ عَنْكَ لِي أَمَلًا   إِنَّ ٱلسَّمَاءَ تُرَجَّى حِينَ تَحْتَجِبُ

وقال ابن ابي طاهر

حُجِبْتُ وَقَدْ كُنْتُ لَا أُحْجَبُ   وَأُبْعِدْتُ عَنْكَ فَمَا أَقْرُبُ
وَمَا لِيَ ذَنْبٌ سِوَى أَنَّنِي   إِذَا أَنَا أُغْضِبْتُ لَا أَغْضَبُ
وَأَنْ لَيْسَ دُونَكَ لِي مَطْلَبٌ   وَلَا دُونَ بَابِكَ لِي مَهْرَبُ
فَلَيْتَكَ تَبْقَى سَلِيمَ ٱلْمَحَلِّ   وَتَأْذَنُ إِنْ شِئْتَ أَوْ تَحْجُبُ

وقال العرجي

لَقَدْ أَرْسَلَتْ لَيْلَى رَسُولًا بِأَنْ أَقِمْ   وَلَا تَقْرَبَنَّا فَٱلتَّجَنُّبُ أَمْثَلُ
لَعَلَّ ٱلْعُيُونَ ٱلرَّامِقَاتِ لِوُدِّنَا   تُكَذَّبُ عَنَّا أَوْ تَنَامُ فَتَغْفُلُ
أُنَاسٌ أَمِنَّاهُمْ فَنَمُّوا حَدِيثَنَا   فَلَمَّا كَتَمْنَا ٱلسِّرَّ عَنْهُمْ تَقَوَّلُوا

فمَا حفظُوا ٱلعهدَ ٱلذي كانَ بيننَا وَلَا حِينَ همُّوا بِٱلقَطِيعَةِ أَجمَلُوا
فقُلتُ وَقَدْ ضَاقَتْ بِلَادِي بِرُحبِهَا عَلَيَّ بِمَا قَدْ قِيلَ وَٱلعَيْنُ تَهمِلُ
سَأَجتَنِبُ ٱلدَّارَ ٱلَّتِي أَنتُمُ بِهَا وَلٰكِنَّ طَرْفِي نَحوَهَا سَوفَ يُعمَلُ
أَلَمْ تَعلَمِي أَنِّي وَهَلْ ذَاكَ نَافِعِي لَدَيكِ وَمَا أُخفِي مِنَ ٱلوُدِّ أَفضَلُ
أَرَى مُستَقِيمَ ٱلطَّرْفِ مَا ٱلطَّرْفُ أَمَّكُمْ وَإِنْ رَامَ طَرْفِي غَيرَكُمْ فَهوَ أَحوَلُ

وقال آخر

أَلَا طَرَقَتنَا آخِرَ ٱللَّيلِ زَينَبُ عَلَيكِ سَلَامٌ هَلْ لِمَا فَاتَ مَطلَبُ* ١٠٥
وَقَالَتْ تَجَنَّبْنَا وَلَا تَقرَبَنَّنَا فَكَيفَ وَأَنتُمْ حَاجَتِي أَتَجَنَّبُ

وقال آخر

أَللهُ يَعلَمُ مَا تَرْكِي زِيَارَتَكُمْ إِلَّا مَخَافَةَ أَعدَائِي وَحُرَّاسِي
وَلَوْ قَدِرْتُ عَلَى ٱلإِتيَانِ جِئتُكُمُ سَحْبًا عَلَى ٱلوَجهِ أَوْ مَشيًا عَلَى ٱلرَّاسِ

وقال آخر

عُقَيلِيَّةٌ أَمَّا مَلَاثُ إِزَارِهَا فَدِعصٌ وَأَمَّا خَصرُهَا فَنَحِيلُ
تَقِيظُ بِأَكنَافِ ٱلحِمَى وَيُظِلُّهَا بِنُعمَانَ مِنْ وَادِي ٱلأَرَاكِ مَقِيلُ
أَيَا مَنْ كَتَمنَا حُبَّهَا لَمْ نُطِعْ بِهِ عَدُوًّا وَلَمْ يُؤمَنْ عَلَيهِ دَخِيلُ
وَيَا خُلَّةَ ٱلنَّفسِ ٱلَّتِي لَيسَ دُونَهَا لَنَا مِنْ أَخِلَّاءِ ٱلصَّفَاءِ خَلِيلُ
أَمَا مِنْ مَقَامٍ نَشتَكِي غُربَةَ ٱلنَّوَى وَخَوفَ ٱلعِدَى فِيهِ إِلَيكِ سَبِيلُ
فَدَيتُكِ أَعدَائِي كَثِيرٌ وَشُقَّتِي بَعِيدٌ وَأَشيَاعِي إِلَيكِ قَلِيلُ
وَكُنتُ إِذَا مَا جِئتُ جِئتُ بِعِلَّةٍ فَأَفنَيتُ عِلَّاتِي فَكَيفَ أَقُولُ
فَمَا كُلَّ يَومٍ لِي بِأَرضِكِ حَاجَةٌ وَلَا كُلَّ يَومٍ لِي إِلَيكِ رَسُولُ
أَلَيسَ قَلِيلًا نَظرَةٌ إِنْ نَظَرتُهَا إِلَيكِ وَكُلٌّ مِنكِ لَيسَ قَلِيلُ

وقال البحتري

قَدَّمْتَ قُدَّامِي رِجَالًا كُلُّهُمْ   مُتَخَلِّفٌ عَنْ غَايَتِي مُتَقَاعِسُ
وَأَذَلْتَنِي حَتَّى [لَقَدْ] أَشْمَتَّ بِي   مَنْ كَانَ يَحْسُدُ مِنْهُمُ وَيُنَافِسُ
أَوْعَدْتَنِي يَوْمَ الْخَمِيسِ وَقَدْ مَضَى   مِنْ بَعْدِ مَوْعِدِكَ الْخَمِيسُ الْخَامِسُ

وانشدني احمد بن ابي طاهر لنفسه

إِذَا كُنْتَ لَا تَخْفَى بِقُرْبِي وَلَا بُعْدِي   وَلَمْ تَدْرِ مَا عِنْدِي وَقَدْ جَلَّ مَا عِنْدِي *
فَهَلْ أَنْتَ إِنْ حَكَّمْتُ جُودَكَ مُنْصِفٌ   فَمَا لِي عَلَيْهِ غَيْرُ جُودِكَ مِنْ مُعْدِ* ١٠٦
أَبَى الْحَقُّ أَنْ يَخْفَى وَأَقْضِي وَلَا أَرَى   بِجُودِكَ يَوْمًا فِي سَعِيدٍ وَلَا سَعْدِ
وَيَدْفَعُ فِي صَدْرِي حِجَابُكَ بَعْدَمَا   أَكُونُ وَمَا قَبْلِي لِأُنْسٍ وَلَا بَعْدِي
فَمَا لِيَ قَدْ أُبْعِدْتُ عَنْكَ وَطَالَمَا   دَعَوْتُ فَلَمْ تُبْعِدْ نَدَاكَ عَلَى بُعْدِي
وَأَصْبَحْتَ قَدْ شُورِكْتَ فِيكَ وَلَمْ نَزَلْ   كَغُصْنَيْنِ فِي سَاقٍ وَسَيْفَيْنِ فِي غِمْدِ
أَلِلْجِدِّ هٰذَا مِنْكَ أَمْ أَنْتَ مَازِحٌ   فَكَمْ مِنْ مُزَاحٍ عَادَ يَوْمًا إِلَى الْجِدِّ
وَلَيْسَ دَوَامُ الشُّكْرِ يَوْمًا بِوَاجِدٍ   لِمَنْ لَمْ يَدُمْ مِنْهُ الْوَفَاءُ عَلَى الْعَهْدِ

ولبعض اهل هذا الزمان

بِعَيْنَيْكَ مَا أَلْقَى إِذَا كُنْتَ حَاضِرًا   وَإِنْ غِبْتَ فَالدُّنْيَا عَلَيَّ مَحَابِسُ
فَفِيمَ أَرَى نَفْسِي لَقًى بِفِنَائِكُمْ   وَلَا مَنْ يُدَانِينِي لَدَيْكُمْ مُؤَانِسُ
أَتَحْجُبُنِي أَنْ قُلْتَ تَحْسُدُ مَنْ بَغَى   هَوَايَ وَمَنْ أَحْفَى بِهِ وَأُوَانِسُ
أَجَلْ إِنَّ مَنْ يَبْغِي هَوَاكَ مُحَسَّدٌ   عَلَيْكَ وَمَنْ يَهْوَى هَوَاهُ مُنَافِسُ
إِذَا لَمْ أُنَافِسْ فِي هَوَاكَ وَلَمْ أَغِرْ   عَلَيْكَ فَفِيمَنْ لَيْتَ شِعْرِي أُنَافِسُ
فَلَا تَحْتَقِرْ نَفْسِي وَأَنْتَ حَبِيبُهَا   فَكُلُّ امْرِئٍ يَصْبُو إِلَى مَنْ يُجَانِسُ

وقال جرير

قَتَلْنَنَا بِعُيُونٍ زَانَهَا مَرَضٌ   وَفِي الْمِرَاضِ لَنَا شَجْوٌ وَتَعْذِيبُ
حَتَّى مَتَى أَنْتَ مَشْغُوفٌ بِغَانِيَةٍ   صَبٌّ إِلَيْهَا طِوَالَ الدَّهْرِ مَكْرُوبُ

قَدْ تَيَّمَ ٱلْقَلْبَ حَتّى زَادَهُ خَبَلَا   مَنْ لَا يُكَلِّمُ إِلَّا وَهُوَ مَحْجُوبُ

وَأَرَى فِي هٰذِهِ ٱلْمَقْطُوعَةِ وَمَقْطُوعَاتٍ قَبْلَهَا مَا يَدُلُّ عَلَى ضَجَرٍ مِنَ ٱلْمَحْجُوبِ وَقِلَّةِ صَبْرٍ مِنْهُ عَلَى نَازِلَاتِ ٱلْخُطُوبِ وَلَعَمْرِي كَانَ ٱلضَّجَرُ عَلَى مَا لَا يَصْلُحُ مِنْهُ ٱلِانْتِصَارُ وَلَا يَنْبَسِطُ عَلَيْهِ ٱلِاقْتِدَارُ مُهَجِّنًا لِمُظْهِرِهِ • وَمُزْرِيًا بِمُسْتَشْعِرِهِ فَإِنَّ مَنْ تَسَامَحَ لَهُ ٱلزَّمَانُ وَتَغَافَلَتْ عَنْهُ صُرُوفُ ٱلْأَيَّامِ فَوَقَعَ فِي مَرْعًى خَصِيبٍ وَظَفِرَ بِمَا لَمْ يَأْمُلْهُ* ٱلْمَحْبُوبُ ثُمَّ عَطَفَتْ ١٠٧
عَلَيْهِ ٱلْأَيَّامُ عَطْفَةَ ٱلْحَنِقِ ٱلْمُغْتَاظِ فَٱسْتَرْجَعَتْ مَا أَعْطَتْهُ وَٱسْتَرَدَّتْ مَا أَعَارَتْهُ لَغَيْرُ مُعَنَّفٍ عَلَى ٱلْحَيْرَةِ وَٱلتَّخْلِيطِ وَٱلتَّأَسُّفِ عَلَى مَا قَدَّمَ مِنَ ٱلتَّفْرِيطِ

وفي هذا المعنى يقول بعض اهل هذا العصر

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ قَدْ دَعَاهُ تَجَاسُرُهْ   وَضَاقَتْ بِهِ بَعْدَ ٱلْوُرُودِ مَصَادِرُهْ
تَغَافَلَ عَنْهُ ٱلدَّهْرُ فَٱغْتَرَّ بِٱلْمُنَى   فَلَمَّا أَضَاعَ ٱلْحَزْمَ كَرَّتْ عَسَاكِرُهْ
فَأَصْبَحَ كَٱلْمَأْسُورِ طَالَتْ عُدَاتُهُ   عَلَيْهِ وَذَلَّتْ بَعْدَ عِزٍّ عَشَائِرُهْ
تَجَرَّتْ عَلَيْهِ ٱلنَّائِبَاتُ فَأَصْبَحَتْ   بِكُلِّ ٱلرَّدَى غَيْرَ ٱلْحِمَامِ تُبَادِرُهْ
وَقَدْ كَانَ صَرْفُ ٱلدَّهْرِ يُقْبِلُ نَحْوَهُ   إِذَا جَالَ فِي بَحْرٍ مِنَ ٱلْفِكْرِ خَاطِرُهْ

وانشدني ابو طاهر الدمشقي في نحو ذالك

رُبَّ قَوْمٍ قَدْ غَدَوْا فِي نِعْمَةٍ   وَعُلًا عِزٍّ عَلَا ثُمَّ بَسَقْ
سَكَتَ ٱلدَّهْرُ زَمَانًا عَنْهُمُ   ثُمَّ أَبْكَاهُمْ دَمًا حِينَ نَطَقْ

وفي مثله يقول عدي بن زيد

قَدْ أَرَانَا وَأَهْلَنَا بِخَفِيرٍ   نَحْسِبُ ٱلدَّهْرَ وَٱلسِّنِينَ شُهُورَا
فَأَمِنَّا وَغَرَّنَا ذَاكَ حَتَّى   رَاعَنَا ٱلدَّهْرُ إِذْ أَتَانَا مُغِيرَا
إِنَّ لِلدَّهْرِ صَوْلَةً فَٱحْذَرُوهَا   لَا تَبِيتَنَّ قَدْ أَمِنْتَ ٱلدُّهُورَا

قَدْ يَنَامُ ٱلْفَتَى صَحِيحاً فَيَرْدَى وَلَقَدْ بَاتَ آمِناً مَسْتُورَا

ولعمري لقد احسن ابو تمام الطائي حيث يقول

أَعْوَامُ وَصْلٍ كَانَ يُنْسِي طُولَهَا ذِكْرُ ٱلنَّوَى فَكَأَنَّهَا أَيَّامُ
ثُمَّ ٱنْبَرَتْ أَيَّامُ هَجْرٍ أُرْدِفَتْ بِجَوًى أَسًى فَكَأَنَّهَا أَعْوَامُ
ثُمَّ ٱنْقَضَتْ تِلْكَ ٱلسِّنِينُ وَأَهْلُهَا وَكَأَنَّهُمْ وَكَأَنَّهَا أَحْلَامُ •

وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يُفْرِطَ فِي ٱلْجَزَعِ مِنْ غِيَرِ ٱلْأَيَّامِ فَإِنَّ
١٠٨ ٱلدَّهْرَ حَالٌ بَعْدَ حَالٍ * وَكَمَا كَانَ ٱتِّصَالُ ٱلسُّرُورِ ذَرِيعَةً إِلَى وُقُوعِ
ٱلْمَحْذُورِ فَكَذٰلِكَ رُبَّمَا كَانَ وُقُوعُ ٱلْمَكْرُوهِ مِنْ أَقْوَى ٱلْأَسْبَابِ
لِرُجُوعِ ٱلْمَحَابِّ وَلَقَدْ أَحْسَنَ كُلَّ ٱلْإِحْسَانِ ٱلَّذِي يَقُولُ

قَدْ يُنْعِمُ ٱللّٰهُ بِٱلْبَلْوَى وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَبْتَلِي ٱللّٰهُ بَعْضَ ٱلْقَوْمِ بِٱلنِّعَمِ

وَقَدْ قِيلَ فِي ذَمِّ ٱلْحَاجِبِ وَٱلْمَحْجُوبِ أَشْيَاءُ لَا تَصْلُحُ مِنْ مُحِبٍّ إِلَى مَحْبُوبٍ غَيْرَ أَنَّا نَصِلُ بِذِكْرِ بَعْضِهَا ٱلْبَابَ لِأَنَّهَا وَإِنْ لَمْ تَكُنْ دَاخِلَةً فِي حَقِيقَتِهِ فَإِنَّهَا غَيْرُ خَارِجَةٍ مِنْ جُمْلَتِهِ

انشدنا ابو الضياء لنفسه

كُلُّ حِجَابِ ٱلْمَرْءِ نَقْصٌ بِهِ وَبَعْضُهُ أَقْبَحُ مِنْ بَعْضِهِ
وَحَاجِبُ ٱلْمَرْءِ إِذَا ٱخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ تَاهَ عَلَى عِرْضِهِ
وَرُبَّمَا ذُمَّ عَلَى تِيهِهِ خَلِيفَةُ ٱلرَّحْمَانِ فِي أَرْضِهِ
وَكَمْ رَأَيْنَا حَاجِباً تَائِهاً قَدْ أَبْغَضَ ٱلْمَحْجُوبَ مِنْ بُغْضِهِ

وانشدني ابو العباس احمد بن يحيى

لَمَّا رَأَيْتُ أَمِيرَنَا مُتَهَجِّماً وَدَّعْتُ عَرْصَةَ دَارِهِ بِسَلَامِ
وَرَفَضْتُ صَفْحَتَهُ ٱلَّتِي لَمْ أَرْضَهَا وَأَزَلْتُ عَنْ رُتَبِ ٱلدُّنَاةِ مَقَامِي
وَوَجَدْتُ آبَائِي ٱلَّذِينَ تَقَدَّمُوا سَنُّوا ٱلْإِبَاءَ عَلَى ٱلْمُلُوكِ أَمَامِي

وقال ايضاً احمد بن يحيى

سَأَتْرُكُ هٰذَا ٱلْبَابَ مَا دَامَ إِذْنُهُ عَلَى مَا أَرَى حَتَّى تَلِينَ قَلِيلَا
إِذَا لَمْ نَجِدْ يَوْماً إِلَى ٱلإِذْنِ سُلَّماً وَجَدْنَا إِلَى تَرْكِ ٱلْمَجِيءِ سَبِيلَا

وقال البحتري

وَلَمَّا وَقَفْنَا بِبَابِ ٱلْوَزِيرِ وَقَدْ رُفِعَ ٱلسِّتْرُ أَوْ جَانِبُهْ
ظَلِلْنَا نُرَجِّمُ فِيكَ ٱلظُّنُونَ أَحَاجِبُهُ أَنْتَ أَمْ حَاجِبُهْ* ١٠٩

وقال ابن عبدوس انفسه

قَدْ أَتَيْنَاكَ وَإِنْ كُنْـ ـتَ بِنَا غَيْرَ حَقِيقِ
وَتَوَخَّيْنَاكَ بِـٱلْبِـ ـرِّ عَلَى بُعْدِ ٱلطَّرِيقِ
كُلَّمَا جِئْنَاكَ قَالُوا نَائِمٌ غَيْرُ مُفِيقِ
لَا أَنَامَ ٱللهُ عَيْنَيْـ ـكَ وَإِنْ كُنْتَ صَدِيقِي

الباب الرابع عشر

مَنْ مُنِعَ مِنَ ٱلْوُصُولِ ٱقْتَصَرَ عَلَى ٱلرَّسُولِ

ذَكَرُوا أَنَّ جَمِيلًا وَكُثَيِّرًا ٱلْتَقَيَا فَقَالَ جَمِيلٌ لِكُثَيِّرٍ بِأَنِّي أُرِيدُ أَنْ تَصِيرَ إِلَى بُثَيْنَةَ فَتَأْخُذَ لِي عَلَيْهَا مَوْعِدًا فَقَالَ لَهُ وَيْحَكَ مِنْ عِنْدِ عَمِّهَا جِئْتُ وَغَاشِيَةُ أَهْلِهَا كُثَيِّرٌ قَالَ لَهُ جَمِيلٌ إِنَّ ٱلْحِيلَةَ تَأْتِي مِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ فَقَالَ لَهُ كُثَيِّرٌ فَأَعْطِنِي عَلَامَةً تَعْرِفُهَا قَالَ جَمِيلٌ آخِرَ يَوْمٍ ٱلْتَقَيْنَا كُنَّا فِي وَادِي ٱلدَّوْمِ فَأَصَابَ ثَوْبَهَا شَيْءٌ مِنْ وَرَقِ ٱلشَّجَرِ فَغَسَلَتْهُ فَمَضَى كُثَيِّرٌ إِلَى عَمِّهَا فَقَالَ لَهُ مَا ٱلَّذِي رَدَّكَ فَقَالَ أَبْيَاتٌ صَنَعْتُهَا

فِي عَزَّةَ أَحبَبْتُ أَنْ تَسْمَعَهَا قَالَ وَمَا هِيَ فَأَنْشَأَ يَقُولُ

أَقُولُ لَهَا يَا عَزُّ أَرْسِلْ صَاحِبِي   عَلَى نَأْيِ دَارٍ وَالْمُوَكَّلُ مُرْسِلُ
بِأَنْ تَجْعَلِي بَيْنِي وَبَيْنَكِ مَوْعِدًا   وَأَنْ تَأْمُرِينِي مَا الَّذِي فِيهِ أَفْعَلُ
أَمَا تَذْكُرِينَ الْعَهْدَ يَوْمَ لَقِيتُكُمْ   بِأَسْفَلِ وَادِي الدَّوْمِ وَالثَّوْبُ يُغْسَلُ

فَلَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ بُثَيْنَةُ قَالَتْ إِخْسَأْ قَالَ لَهَا عَمُّهَا مَا الَّذِي أَخْسَأْتِ يَا بُثَيْنَةُ قَالَتْ كَلْبًا كَانَ يَعْتَرِينَا لَيْلًا وَقَدْ رَأَيْتُهُ نَهَارًا فَانْصَرَفَ كُثَيِّرٌ إِلَى جَمِيلٍ وَعَرَّفَهُ أَنَّهَا قَدْ ذَكَرَتِ اللَّيْلَ فَصِرْ إِلَيْهَا

وقال آخر

إِنَّ الَّتِي أَبْصَرْتَهَا   سَحَرًا تُكَلِّمُنِي رَسُولُ
١١٠ أَدَّتْ إِلَيَّ رِسَالَةً   كَادَتْ لَهَا نَفْسِي تَسِيلُ*
فَلَوَ [انَّ] أُذْنَكَ بَيْنَنَا   حَتَّى تَسَمَّعَ مَا نَقُولُ
لَرَأَيْتَ مَا اسْتَقْبَحْتَهُ   مِنْ فِعْلِنَا وَهُوَ الْجَمِيلُ

وقال آخر

خَلِيلَيَّ عُوجَا بَارَكَ اللهُ فِيكُمَا   وَإِنْ لَمْ تَكُنْ [أَرْضِي] لِأَرْضِكُمَا قَصْدَا
وَقُولَا لَهَا لَيْسَ الضَّلَالُ اخْتِيَارَنَا   وَلَكِنَّنَا جُزْنَا لِنَلْقَاكُمْ عَمْدَا

وقال آخر

أَلَا يَا نَسِيمَ الرِّيحِ إِنْ كُنْتَ هَابِطًا   بِلَادَ سُلَيْمَى فَالْتَمِسْ أَنْ تَكَلَّمَا
لِتَقْرَا عَلَى لَيْلَى السَّلَامَ وَأَهْلِهَا   وَكُنْ بَعْدَهَا عَنْ سَائِرِ النَّاسِ أَعْجَمَا

وقال خليفة بن روح الاسدي

أَلَا يَا خَلِيلَ النَّفْسِ إِنْ جِئْتَ أَرْضَهَا   فَأَنْتَ لَمَشْهُورٌ هُنَاكَ رَسُولُ
فَسَلْ أُمَّ سَلْمٍ هَلْ مَحَا عَهْدَهَا الْغِنَى   وَمَالٌ حَوَتْهُ بَعْدَنَا وَخَلِيلُ
وَبِاللهِ سَلْهَا هَلْ تَطَاوَلَ لَيْلُهَا   كَمَا اللَّيْلُ إِذْ بَانَتْ عَلَيَّ طَوِيلُ

وَإِنَّ لِسَانِي بِٱسْمِ لَيْلَى وَذِكْرِهَا   إِذَا قُلْتُ تَشْبِيباً بِهَا لَذَلُولُ

وقال ابن ابي امية

أَقُولُ وَقَدْ أَجَدَّ رَحِيلُ صَحْبِي   لِخِدْنَيَّ أَهْدِيَا هَدْيًا جَمِيلَا
أَلِمَّا قَبْلَ بَيْنِكُمَا بِسُلْمَى   فَقُولَا أَنْتِ ضَامِنَةٌ قَتِيلَا
رَجَا مِنْكِ ٱلنَّوَالَ فَلَمْ تُنِيلِي   وَقَدْ أَوْرَثْتِهِ سَقَماً طَوِيلَا
فَإِنْ وَصَلَتْكُمَا سُلْمَى فَقُولَا   نَرَى فِي ٱلْحَقِّ أَنْ نَصِلَ ٱلْوَصُولَا
وَإِنْ آنَسْتُمَا بُخْلًا فَلَسْنَا   بِأَوَّلِ مَنْ رَجَا حَرِجاً بَخِيلَا

وقال المقدام بن ضيغم

أَخَا ٱلْجِنِّ بَلِّغْهَا ٱلسَّلَامَ فَإِنَّنِي   مِنَ ٱلْإِنْسِ مُزْوَرُّ ٱلْجَنَانِ كَتُومُ* ١١١
أَخَا ٱلْجِنِّ حَالَ ٱلنَّاسُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا   عَدُوٌّ وَمُسْتَحْيِاً عَلَيَّ كَرِيمُ

وقال يزيد بن الطثرية

أَلِمَّا عَلَى ظَلَّامَةَ ٱلْيَوْمَ فَٱنْطِقَا   بِعُذْرِي لَدَيْهَا وَٱذْكُرَانِي تَعَجُّبَا
وَقُولَا إِذَا عَدَّتْ ذُنُوبًا كَثِيرَةً   عَلَيَّ تَجَنَّاهَا ٱمْرُؤٌ مَا تَغَبَّبَا
هَبِيهِ ٱمْرَءًا إِمَّا بَرِيئاً ظَلَمْتِهِ   وَإِمَّا مُسِيئاً تَابَ بَعْدُ وَأَعْتَبَا

وقال ايضاً

أَيَا رِفْقَةً مِنْ أَهْلِ بُصْرَى تَحَمَّلَتْ   تَؤُمُّ ٱلْحِمَى لُقِّيتِ مِنْ رِفْقَةٍ رُشْدَا
إِذَا مَا بَلَغْتُمْ سَالِمِينَ فَبَلِّغُوا   تَحِيَّةَ مَنْ قَدْ ظَنَّ أَنْ لَا يَرَى نَجْدَا
وَقُولَا تَرَكْنَا ٱلْحَارِثِيَّ مُكَبَّلَا   بِكَبْلِ ٱلْهَوَى مِنْ حُبِّكُمْ مُضْمِرًا وَجْدَا

وقال عمر بن ابي ربيعة

أَرْسَلَتْ أَسْمَاءُ فِي مَعْتَبَةٍ   عَتَبَتْهَا وَهْيَ أَحْلَى مَنْ عَتَبْ
إِذْ أَتَى مِنْهَا رَسُولٌ مَوْهِنًا   وَجَدَ ٱلْحَيَّ نِيَاماً فَٱنْقَلَبْ
ضَرَبَ ٱلْبَابَ فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ   أَحَدٌ يَفْتَحُ عَنْهُ إِذْ ضَرَبْ

قَالَ أَيقَاظٌ وَلٰكِنْ حَاجَةٌ   عَرَضَتْ تُكْتَمُ مِنَّا فَٱحْتَجَبْ
وَلِهٰذَا رَدَّنِي فَٱجْتَهَدَتْ   بِيَمِينٍ حَلَفَتْ عِنْدَ ٱلْغَضَبْ
أُشْهِدُ ٱلرَّحْمَانَ لَا يَجْمَعُنَا   سَقْفُ بَيْتٍ رَجَباً حَتَّى وَجَبْ
قُلْتُ يَا هِنْدُ ٱعْمِدِي لِي نَحْوَهَا   وَٱحْلِفِي بِٱللّٰهِ كَشَّافِ ٱلْكُرَبْ
فَأَتَتْهَا طَبَّةٌ عَالِمَةٌ   تَخْلِطُ ٱلْجِدَّ مِرَارًا بِٱللَّعِبْ
تَرْفَعُ ٱلصَّوْتَ إِذَا لَانَتْ لَهَا   وَتَرَاخَى عِنْدَ سَوْرَاتِ ٱلْغَضَبْ
لَمْ تَزَلْ تَصْرِفُهَا عَنْ رَأْيِهَا   وَتَأَنَّاهَا بِرِفْقٍ وَأَدَبْ

١١٢ فَبَلَغَنِي أَنَّ ٱبْنَ أَبِي عَتِيقٍ لَمَّا سَمِعَ هٰذَا ٱلشِّعْرَ قَالَ لِعُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ* ٱلنَّاسُ فِي طَلَبِ خَلِيفَةٍ مِثْلَ قَوَّادَتِكَ هٰذِهِ مُنْذُ قُتِلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَمَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ

وقال ابو تمام الطائي

أَغْنَيْتَ عَنِّي غَنَاءَ ٱلْمَاءِ فِي ٱلشَّرَقِ   وَكُنْتَ مُنْشِيءَ وَبْلِ ٱلْعَارِضِ ٱلْغَدِقِ
يَا مِنَّةً لَكَ لَوْلَا مَا أُخَفِّفُهَا   بِهِ مِنَ ٱلشُّكْرِ لَمْ تُحْمَلْ وَلَمْ تُطِقِ

وقال ايضاً في وصفه كتاباً ورد عليه واحسن

فَضَضْتُ خِتَامَهُ فَتَبَلَّجَتْ لِي   غَرَائِبُهُ عَنِ ٱلْخَبَرِ ٱلْجَلِيِّ
وَكَانَ أَجَلَّ فِي عَيْنِي وَأَبْهَى   عَلَى كَبِدِي مِنَ ٱلزَّهَرِ ٱلنَّدِيِّ
وَأَحْسَنَ مَوْقِعاً مِنِّي وَعِنْدِي   مِنَ ٱلْبُشْرَى أَتَتْ بَعْدَ ٱلنَّعِيِّ
وَضُمِّنَ صَدْرُهُ مَا لَمْ تَضَمَّنْ   صُدُورُ ٱلْغَانِيَاتِ مِنَ ٱلْحُلِيِّ

وقال البحتري

تَنَاءَتْ دَارُ عَلْوَةَ بَعْدَ قُرْبٍ   فَهَلْ رَكْبٌ يُبَلِّغُهَا ٱلسَّلَامَا
وَجَدَّدَ طَيْفُهَا عَتْباً عَلَيْنَا   فَمَا يَعْتَادُنَا إِلَّا لِمَامَا
وَرُبَّةَ لَيْلَةٍ قَدْ بِتُّ أُسْقَى   بِكَفَّيْهَا وَعَيْنَيْهَا ٱلْمُدَامَا

قَطَعْنَا ٱللَّيْـلَ لَثْمًا وَٱعْتِنَـاقًا وَأَفْنَيْنَـاهُ ضَمًّا وَٱلْتِزَامَـا

وقال ايضاً

هَلْ رَكْبُ مَكَّةَ حَامِلُونَ تَحِيَّـةً تُهْـدَى إِلَيْنَـا مِنْ مُعَنًّى مُغْرَمِ
رَدَّ ٱلْجُفُونَ عَلَى كَرًى مُتَبَـدِّدٍ وَحَنَى ٱلضُّلُوعَ عَلَى جَوًى مُتَضَرِّمِ
إِنْ لَمْ يُبَلِّغْكَ ٱلْحَجِيجُ فَلَا رَمَوْا بِٱلْجَمْرَتَيْنِ وَلَا سُقُوا مِنْ زَمْزَمِ

وقال زيادة بن زيد

أَلِمَّا بِلَيْـلَى يَا خَلِيلَيَّ فَـٱنْظُرَا وَمَا لَمْ تُلِمَّـا بَابَهَـا كَانَ أَكْثَرَا
وَعُوجَا ٱلْمَطَايَا طَالَمَا قَـدْ هَجَرْتُهَـا عَلَيْهَا وَإِنْ كَانَ ٱلْمُعَرَّجُ أَغْبَرَا* ١١٣
مَتَى يَرَهَا ٱلْعَجْلَانُ لَا يَثْنِ طَرْفَهُ إِلَى عَيْنِـهِ حَتَّى يَحَـارَ وَيَحْسَرَا
وَلَوْ خُلِّيَتْ لَيْلَى عَلَى ٱللَّيْلِ مُظْلِمًا لَجَلَّتْ ظَلَامَ ٱللَّيْلِ لَيْلَى فَأَقْمَرَا
وَلَمْ أَرَ لَيْلَى بَعْـدَ يَوْمِ لَقِيتُهَـا تَكُفُّ دُمُوعَ ٱلْعَيْنِ أَنْ تَتَحَـدَّرَا
فَمَا بَدَّدَ ٱلْهِجْرَانَ يَا لَيْـلُ بَيْنَنَا وَشَحْطَ ٱلنَّوَى إِلَّا ٱلْهَوَى وَٱلتَّذَكُّرَا
وَكَمْ دُونَ لَيْلَى بَلْدَةٌ مُسْبَطِرَّةٌ وَبِيـدٌ مَلَاهَـا ٱلْعَيْنُ حَتَّى تَحَيَّرَا

وقال نصيب

خَلِيلَيَّ زُورَا ٱلْعَامِرِيَّةَ فَٱنْظُرَا أَيَبْقَى لَدَيْهَـا ٱلْوُدُّ أَمْ يَتَقَضَّبُ
وَقُولَا لَهَا إِنْ يَمْتَزِلْـكِ فَـلَا قِلًى وَلٰـكِنَّهُ عَنْ رِقْبَـةٍ يَتَجَنَّبُ
يَرَى دُونَكُمْ مَنْ يَتَّقِي وَهْوَ آلِفٌ لَكُمْ وَلَـهُ مِنْ دُونِكُمْ مُتَرَقِّبُ
فَصَدَّ وَمَا يَسْطِيعُ صَرْمَـكِ إِنَّهُ وَلَوْ صَدَّ رَهْنٌ فِي حِبَالِكِ مُنْشَبُ

وقال الاحوص

إِذَا مَا أَتَى مِنْ نَحْوِ أَرْضِكِ رَاكِبٌ تَعَرَّضْتُ وَٱسْتَخْبَرْتُ وَٱلْقَلْبُ مُوجَعُ
فَأَبْدَا إِذَا ٱسْتَخْبَرْتُ عَمْدًا بِغَيْرِهَـا لِيَخْفَى حَدِيثِي وَٱلْمُخَادِعُ يَخْـدَعُ
وَأُخْفِي إِذَا ٱسْتَخْبَرْتُ أَشْيَاءَ كَارِهًا وَفِي ٱلنَّفْسِ حَـاجَاتٌ إِلَيْهَـا تَطَلَّعُ

فَسِرُّكِ عِنْدِي فِي ٱلْفُؤَادِ مُكَتَّمٌ   تَضَمَّنَهُ مِنِّي ضَمِيرٌ وَأَضْلُعُ
إِلَى ٱللهِ أَشْكُو لَا إِلَى ٱلنَّاسِ حَاجَتِي   وَلَا بُدَّ مِنْ شَكْوَى حَبِيبٍ يُرَوَّعُ
أَلَا فَٱرْحَمِي مَنْ قَدْ ذَهَبْتِ بِعَقْلِهِ   فَأَمْسَى إِلَيْكُمْ خَاشِعًا يَتَضَرَّعُ
إِذَا قُلْتُ هٰذَا حِينَ أَسْلُو ذَكَرْتُهَا   فَظَلَّتْ لَهَا نَفْسِي تَتُوقُ وَتَنْزِعُ

إِنْ كَانَ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُرْسِلِينَ إِلَى أَحْبَابِهِمْ وَٱلسَّائِلِينَ عَنْ أَخْبَارِهِمْ •
مَعْذُورًا فَصَاحِبُ هٰذَا ٱلشِّعْرِ مَعْذُورٌ لِأَنَّهُ قَدِ ٱحْتَاطَ جُهْدَهُ وَكَتَمَ سِرَّهُ
بِحَسَبِ مَا يُمْكِنُهُ وَلَيْسَ هٰذِهِ حَالًا تَامَّةً وَلَا فِي بَابِ ٱلْمُرَاسَلَاتِ
١١٤ حَالٌ تَامَّةٌ غَيْرَ [أَنَّ] كُلَّ مَا قَلَّ مِنَ ٱلْإِظْهَارِ وَٱنْكَتَمَ مِنَ ٱلْأَسْرَارِ *
كَانَ صَاحِبُهُ أَعْذَرَ مِمَّنْ أَفْرَطَ فِي إِظْهَارِ حَالِهِ وَٱئْتَمَنَ ٱلنَّاسَ عَلَى أَسْرَارِهِ

وقال آخر

أَتَتْنَا عُيُونٌ مِنْ بِلَادِكِ لَمْ تَجِئْ   لَنَا بِبَيَانٍ مِنْكِ ثُمَّ عُيُونُ
وَإِنَّ مِنَ ٱلْخُلَّانِ مَنْ تَشْحَطُ ٱلنَّوَى   بِهِ وَهْوَ رَاعٍ لِلْوِدَادِ أَمِينُ
وَمِنْهُمْ كَغَيْبِ ٱلْعَيْنِ أَمَّا لِقَاؤُهُ   فَحُلْوٌ وَأَمَّا غَيْبُهُ فَخَؤُونُ

وقال آخر

أَلَا أَيُّهَا ٱلرَّكْبُ ٱلْيَمَانُونَ عَرِّجُوا   عَلَيْنَا فَقَدْ أَضْحَى هَوَانَا يَمَانِيَا
نُسَائِلْكُمْ هَلْ سَالَ نُعْمَانُ بَعْدَنَا   وَحُبَّ إِلَيْنَا بَطْنُ نُعْمَانَ وَادِيَا
عَهِدْنَا بِهِ صَيْدًا عَزِيزًا وَمَشْرَبًا   بِهِ نُقِعَ ٱلْقَلْبُ ٱلَّذِي كَانَ صَادِيَا

وانشدني اعرابي بالبادية

أَيَا رَبِّ أَنْتَ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَى نَوًى   لِعَزَّةَ قَدْ أَزْرَى بِجِسْمِي حِذَارُهَا
أُسَائِلُ عَنْهُمْ أَهْلَ مَكَّةَ كُلَّهُمْ   بِحَيْثُ ٱلْتَقَى حُجَّاجُهَا وَتِجَارُهَا
عَسَى خَبَرٌ مِنْهَا يُصَادِفُ رِفْقَةً   مُخَلَّفَةً أَوْ حَيْثُ تُرْمَى جِمَارُهَا
وَمُعْتَمِرٍ فِي رَكْبِ عَزَّةَ لَمْ تَكُنْ   لَهُ حَاجَةٌ فِي ٱلْحَجِّ لَوْلَا ٱعْتِمَارُهَا

لَئِنْ عَزَفَتْ يَا عَزَّ نَفْسِي عَنْكُمُ   لِبُعْدٍ أَشَدَّ ٱلْوَجْدِ كَانَ ٱصْطِبَارُهَا

ولبعض اهل هذا العصر

أَتَذْكُرُ ٱلْيَوْمَ مَا لَاقَيْتُ مِنْ كَمَدٍ   أَمْ قَدْ كَفَاكَ رَسُولِي بِٱلَّذِي ذَكَرَا
هٰذَا مَقَامُ فَتًى أَقْصَاهُ مَالِكُهُ   فَحَاوَلَ ٱلصَّبْرَ حِيناً ثُمَّ مَا صَبَرَا
بَيْنَا يُعَدِّدُ أَحْقَادًا وَيُضْمِرُهَا   إِذْ قَادَهُ ٱلشَّوْقُ حَتَّى جَاءَ مُعْتَذِرَا
لَمْ يَجْنِ ذَنْباً فَيَدْرِي مَا يُمَحِّصُهُ   وَلَا يَرَى أَجَلًا لِلصَّفْحِ مُنْتَظَرَا
وَٱللهِ وَٱللهِ لَا تُشْمِتْ أَعَادِيَهُ   فَٱلصَّفْحُ أَجْمَلُ بِٱلْمَوْلَى إِذَا قَدِرَا * ١١٥

وقال سهيل بن عليل

أَلَا أَيُّهَا ٱلرَّكْبُ ٱلْمُخِبُّونَ هَلْ لَكُمْ   بِأُخْتِ بَنِي نَهْدٍ نُهَيَّةَ مِنْ عَهْدِ
أَأَلْقَتْ عَصَاهَا فَٱسْتَقَرَّ بِهَا ٱلنَّوَى   بِأَرْضِ بَنِي قَابُوسَ أَمْ ظَعَنَتْ بَعْدِي

وقال آخر

بَعَثْتُ رَسُولًا فَأَضْحَى خَلِيلَا   عَلَى ٱلرَّغْمِ مِنِّي فَصَبْرًا جَمِيلَا
وَكُنْتُ ٱلْخَلِيلَ وَكَانَ ٱلرَّسُولَ   فَأَضْحَى خَلِيلًا وَصِرْتُ ٱلرَّسُولَا
كَذَا مَنْ يُوَجِّهُ فِي حَاجَةٍ   إِلَى مَنْ يُحِبُّ رَسُولًا نَبِيلَا

وَزَعَمُوا أَنَّ جَارِيَةً أَرْسَلَتْ جَارِيَتَهَا بِرِسَالَةٍ إِلَى خَلِيلٍ كَانَ لَهَا فَٱتَّهَمَتْهُ بِأَنَّهُ خَمَّشَهَا فَكَتَبَ مُعْتَذِرًا مِنْ ذَٰلِكَ

زَعَمَ ٱلرَّسُولُ بِأَنَّنِي خَمَّشْتُهُ   كَذَبَ ٱلرَّسُولُ وَفَالِقِ ٱلْأَصْبَاحِ
إِنْ كُنْتُ خَمَّشْتُ ٱلرَّسُولَ فَعَافَصَتْ   رُوحِي أَنَامِلُ قَابِضِ ٱلْأَرْوَاحِ
شُغْلِي بِحُبِّكَ عَنْ سِوَاكَ وَلَيْسَ لِي   قَلْبَانِ مَشْغُولٌ وَآخَرُ صَاحِ
قَلْبِي ٱلَّذِي لَمْ يُبْقِ فِيهِ هَوَاكُمُ   فَضْلًا لِتَخْمِيشٍ وَلَا لِمُزَاحِ

الباب الخامس عشر

مَنْ أَحبَّهُ أَحبَابُهُ وَشَى بِهِ أَتْرَابُهُ

مَكَايِدُ ٱلْوُشَاةِ كُلُّهَا تَنقَسِمُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ فَسِعَايَةُ ٱلْمُتَحَابَّيْنِ إِلَى غَيْرِهِمَا وَسِعَايَةُ ٱلْمُحِبِّ إِلَى مَحْبُوبِهِ وَسِعَايَةُ ٱلْمَحْبُوبِ إِلَى مُحِبِّهِ فَهٰذِهِ عِندَ كَثِيرٍ مِنَ ٱلْأُدَبَاءِ أَضْعَفُ ٱلْمَكَايِدِ أَثَرًا وَلَيْسَ ٱلْأَمْرُ كَذٰلِكَ وَلَا هُوَ أَيْضاً بِضِدِّ ذٰلِكَ وَلٰكِنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى نُقْصَانٍ أَمَّا ٱلْعُشَّاقُ وَٱلْمُتَيَّمُونَ فَلَا يَقْبَلُونَ قَوْلَ ٱلْوُشَاةِ بَلْ لَا يَسْمَعُونَهُ لِأَنَّ ٱلثِّقَةَ مِنْهُمْ بِأَحْبَابِهِمْ
مَاحِيَةٌ لِقَوْلِ مَنْ وَشَى بِهِمْ * وَأَمَّا أَهْلُ ٱلْوَلَهِ ٱلْمُدَاهُونَ فَيَقْبَلُونَ مَا لَا ١١٦
يَسْمَعُونَ فَضْلًا عَمَّا يَسْمَعُونَ لِمَا قَدَّمْنَا مِنْ وَصْفِهِمْ وَغَلَبَةِ ٱلظَّنِّ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَنَحْنُ نَذْكُرُ إِنْ شَاءَ ٱللهُ مِنْ كُلِّ مَا قِيلَ فِي ذٰلِكَ طَرَفاً

وقال بعض الظرفاء.

وَلَمَّا رَأَيْنَا ٱلْكَاشِحِينَ تَتَبَّعُوا ... هَوَانَا وَأَبْدَوْا دُونَنَا أَعْيُناً خُزْرَا
جَعَلْتُ وَمَا بِي مِنْ جَفَاءٍ وَلَا قِلًى ... أَزُورُكُمُ يَوْماً وَأَهْجُرُكُمْ شَهْرَا
وَلَوْ نَظَرَتْ بَيْنَ ٱلْجَوَانِحِ وَٱلْحَشَا ... رَأَتْ مِنْ كِتَابِ ٱلْحُبِّ فِي كَبِدِي سَطْرَا

وقال الاحوص

يَا بَيْتَ عَاتِكَةَ ٱلَّذِي أَتَعَزَّلُ ... حَذَرَ ٱلْعِدَى وَبِهِ ٱلْفُؤَادُ مُوَكَّلُ
أَصْبَحْتُ أَمْنَحُكَ ٱلصُّدُودَ وَإِنَّنِي ... قَسَماً إِلَيْكَ مَعَ ٱلصُّدُودِ لَأَمْيَلُ
وَتَجَنُّبِي بَيْتَ ٱلْحَبِيبِ وَذِكْرُهُ ... أُرْضِي ٱلْبَغِيضَ بِهِ حَدِيثٌ مُعْضِلُ
هَلْ عَيْشُنَا بِكَ فِي زَمَانِكَ رَاجِعٌ ... فَلَقَدْ تَفَحَّشَ بَعْدَكَ ٱلْمُتَعَلِّلُ

وَلَوَ انَّ مَا عَالَجْتُ لِينَ فُؤَادِهِ فَقَسَا ٱسْتُلِينَ بِهِ لَلَانَ ٱلْجَنْدَلُ

وقال معاذ ليلى

إِذَا جِئْتُهَا وَسْطَ ٱلنِّسَاء مَنَحْتُهَا صُدُودًا كَأَنَّ ٱلنَّفْسَ لَيْسَ تُرِيدُهَا
وَلِي نَظْرَةٌ بَعْدَ ٱلصُّدُودِ مِنَ ٱلْهَوَى كَنَظْرَةِ ثَكْلَى قَدْ أُمِيتَ وَحِيدُهَا

وقال بعض الاعراب

لَعَمْرُ أَبِي ٱلْمُحْصِينَ أَيَّامُ نَلْتَقِي لِمَا لَا نُلَاقِيهَا مِنَ ٱلدَّهْرِ أَكْثَرُ
يَعُدُّونَ يَوْماً وَاحِدًا إِنْ أَتَيْتُهَا وَيَنْسَوْنَ مَا كَانَتْ مِنَ ٱلدَّهْرِ تَهْجُرُ

وقال آخر

أَمُرُّ مُجَنَّباً عَنْ بَيْتِ لَيْلَى وَلَمْ أُلْمِمْ بِهِ وَبِهِ ٱلْقَلِيلُ
أَمُرُّ مُجَنَّباً وَهَوَايَ فِيهِ وَطَرْفِي عَنْهُ مُنْكَسِرٌ كَلِيلُ* ١١٧
وَقَلْبِي فِيهِ مُحْتَبِسٌ فَهَلْ لِي إِلَى قَلْبِي وَمَا لِكِهِ سَبِيلُ
أُؤَمِّلُ أَنْ أُعَلَّ بِشُرْبِ لَيْلَى وَلَمْ أَنْهَلْ فَكَيْفَ لِيَ ٱلْعُلُولُ

وقال جميل

أَتَهْجُرُ هٰذَا ٱلرَّبْعَ أَمْ أَنْتَ زَائِرُهْ وَكَيْفَ يُزَارُ ٱلرَّبْعُ قَدْ بَانَ عَامِرُهْ
رَأَيْتُكَ تَأْتِي ٱلْبَيْتَ تُبْغِضُ أَهْلَهُ وَقَلْبُكَ فِي ٱلْبَيْتِ ٱلَّذِي أَنْتَ هَاجِرُهْ

وقال الحسين بن مطير

بِنَفْسِي مَنْ لَا بُدَّ أَنِّيَ هَاجِرُهْ وَمَنْ أَنَا فِي ٱلْمَيْسُورِ وَٱلْعُسْرِ ذَاكِرُهْ
وَمَنْ قَدْ رَمَاهُ ٱلنَّاسُ حَتَّى ٱتَّقَاهُمُ بِبُغْضِيَ إِلَّا مَا تُجِنُّ ضَمَائِرُهْ
وَمِنْ ضَنَّ بِٱلتَّسْلِيمِ يَوْمَ فِرَاقِهِ عَلَيَّ وَدَمْعُ ٱلْعَيْنِ تَجْرِي بَوَادِرُهْ
وَمَنْ بَانَ مِنَّا يَوْمَ بَانَ وَمَا دَرَى أَكُنْتُ أَنَا ٱلْمَوْتُورَ أَمْ أَنَا وَاتِرُهْ
وَحَالَ بَنُو ٱلْعَمَّاتِ وَٱلْعَمُّ دُونَهُ وَنَذْرُ عَدُوٍّ لَا تُغِبُّ نَذَائِرُهْ
أَتَهْجُرُ بَيْتاً بِٱلْحِجَازِ تَكَنَّفَتْ جَوَانِبَهُ ٱلْأَعْدَاءُ أَمْ أَنْتَ زَائِرُهْ

فَإِنْ آتِهِ لَا أَنْجُ إِلَّا بِظِنَّةٍ   وَإِنْ يَأْتِهِ غَيْرِي تُصِبْنِي جَرَائِرُهْ

وقال آخر

وَلَمْ أَرَ مَحْزُونَيْنِ أَجْمَلَ لَوْعَةً   عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ مِنِّي وَمِنْ جُمْلِ
كِلَانَا يَذُودُ النَّفْسَ وَهِيَ حَزِينَةٌ   وَيُضْمِرُ شَوْقاً كَالنَّوَافِذِ بِالنَّبْلِ

وقال ابو القمقام الاسدي •

[أ]عَفْرَاءُ كَمْ مِنْ مِيتَةٍ قَدْ أَذَقْتِنِي   وَحُزْنٍ أَلَجَّ الْعَيْنَ بِالْهَمَلَانِ
بُلِينَا بِهِجْرَانٍ وَلَمْ يُرَ مِثْلُنَا   مِنَ النَّاسِ إِنْسَانَيْنِ مُهْتَجِرَانِ
أَشَدَّ مُصَافَاةً وَأَبْعَدَ مِنْ قِلًى   وَأَعْصَى لِوَاشٍ حِينَ يُكْتَنَفَانِ

١١٨ وقال معاذ ليلى*

أَهَابُكِ إِجْلَالًا وَمَا بِكِ قُدْرَةٌ   عَلَيَّ وَلَكِنْ مِلْءُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا
وَمَا هَجَرَتْكِ النَّفْسُ يَا لَيْلُ إِنَّهَا   قَلِيلٌ وَلَا أَنْ قَلَّ مِنْكِ نَصِيبُهَا
وَلَكِنَّهُمْ يَا أَمْلَحَ النَّاسِ أَكْثَرُوا   بِقَوْلٍ إِذَا مَا جِئْتُ هٰذَا حَبِيبُهَا
أَتُضْرَبُ لَيْلَى إِنْ مَرَرْتُ بِذِي الْغَضَى   وَمَا ذَنْبُ لَيْلَى إِنْ طَوَى الْأَرْضَ ذِيبُهَا

وقال عروة بن حزام

تَكَنَّفَنِي الْوَاشُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ   وَلَوْ كَانَ وَاشٍ وَاحِدٌ لَكَفَانِي
إِذَا مَا جَلَسْنَا مَجْلِساً نَسْتَلِذُّهُ   تَوَاشَوْا بِنَا حَتَّى أَمَلَّ مَكَانِي
أَلَا لَعَنَ اللّٰهُ الْوُشَاةَ وَقَوْلَهُمْ   فُلَانَةُ أَضْحَتْ خُلَّةً لِفُلَانِ
أَلَا لَيْتَ كُلَّ اثْنَيْنِ بَيْنَهُمَا هَوًى   مِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ يَلْتَقِيَانِ
أَنَاسِيَةٌ عَفْرَاءُ وَصْلِيَ بَعْدَ مَا   جَرَى الدَّمْعُ مِنْ عَيْنَيَّ بِالْهَمَلَانِ
إِذَا رَامَ قَلْبِي هَجْرَهَا حَالَ دُونَهَا   شَفِيعَانِ مِنْ قَلْبِي لَهَا جَدِلَانِ
إِذَا قُلْتُ لَا قَالَا بَلَى ثُمَّ أَصْبَحَا   جَمِيعاً عَلَى الرَّأْيِ الَّذِي يَرَيَانِ

وقال البحتري

خَلِيلَيَّ لَا أَسْمَاءُ إِلَّا ٱدِّكَارُهَا وَلَا دَارَ مِنْ وَهْبِينَ إِلَّا طُلُولُهَا
تَمَادَى بِهَا ٱلْهَجْرُ ٱلْمُبَرِّحُ وَٱلنَّوَى بِمَسْمَعِهَا قَالُ ٱلْوُشَاةِ وَقِيلُهَا
وَقَدْ كَثُرَتْ مِنَّا ٱلْمُعَاصَاةُ لِلصِّبَى وَلَوْ أَنَّهَا قَلَّتْ لَضَرَّ قَلِيلُهَا
هَلِ ٱلْوَجْدُ إِلَّا عَبْرَةٌ أَسْتَرِدُّهَا أَوِ ٱلْحُبُّ إِلَّا عَثْرَةٌ أَسْتَقِيلُهَا

وقال آخر

خَلِيلَيَّ إِنِّي ٱلْيَوْمَ شَاكٍ إِلَيْكُمَا وَهَلْ تَنْفَعُ ٱلشَّكْوَى إِلَى مَنْ يَزِيدُهَا
تَفَرُّقُ أُلَّافٍ وَجَوْلَانُ عَبْرَةٍ أَظَلُّ بِأَطْرَافِ ٱلْبَنَانِ أَذُودُهَا
وَلَا يَلْبَثُ ٱلْوَاشُونَ أَنْ يَصْدَعُوا ٱلْعَصَا إِذَا لَمْ يَكُنْ صُلْبًا عَلَى ٱلْبَرْيِ عُودُهَا* ١١٩

وقال ابو علي البصير

لَقَدْ قَرَعَ ٱلْوَاشِي بِأَهْوَنِ سَعْيِهِ صَفَاةً قَدِيمًا أَخْطَأَتْهَا ٱلْقَوَارِعُ
فَأَقْلَقَنِي فِي ضَعْفِهِ وَهْوَ سَاكِنٌ وَشَرَّدَ عَنْ عَيْنِي ٱلْكَرَى وَهْوَ هَاجِعُ

وانشدنا احمد بن يحيى عن ابن الاعرابي ليزيد الغواني العجلي

سَرَتْ عَرْضَ ذِي قَارٍ إِلَيْنَا وَبَطْنِهِ أَحَادِيثُ لِلْوَاشِي بِهِنَّ دَبِيبُ
أَحَادِيثُ سَدَّاهَا شَبِيبٌ وَنَارَهَا وَإِنْ كَانَ لَمْ يَسْمَعْ بِهِنَّ شَبِيبُ
وَقَدْ يَكْذِبُ ٱلْوَاشِي فَيُسْمَعُ قَوْلُهُ وَيَصْدُقُ بَعْضُ ٱلْقَوْلِ وَهْوَ كَذُوبُ

وقال آخر

فَإِنْ تَكُ لَيْلَى قَدْ جَفَتْنِي وَطَاوَعَتْ عَلَى صَرْمِ حَبْلِي مَنْ وَشَى وَتَكَذَّبَا
لَقَدْ بَاعَدَتْ نَفْسًا عَلَيْهَا شَفِيقَةً وَقَلْبًا عَصَى فِيهَا ٱلْحَبِيبَ ٱلْمُقَرَّبَا
فَلَسْتُ وَإِنْ لَيْلَى تَوَلَّتْ بِوُدِّهَا وَأَصْبَحَ بَاقِي ٱلْوَصْلِ مِنْهَا تَقَضَّبَا
بِمُثْنٍ سِوَى عُرْفٍ عَلَيْهَا وَمُشْمِتٍ وُشَاةً بِهَا كَانُوا شُهُودًا وَغُيَّبَا
وَلٰكِنَّنِي لَا بُدَّ أَنِّي قَائِلٌ وَذُو ٱللُّبِّ قَوَّالٌ إِذَا مَا تَعَتَّبَا
فَلَا مَرْحَبًا بِٱلشَّامِتِينَ بِهَجْرِنَا وَلَا زَمَنٍ أَمْسَى بِنَا قَدْ تَقَلَّبَا

وقال معاذ ليلى

فَلَوْ كَانَ وَاشٍ بِٱلْيَمَامَةِ دَارُهُ ... وَدَارِي بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ ٱهْتَدَى لِيَا
وَمَاذَا لَهُمْ لَا أَكْثَرَ ٱللهُ خَيْرَهُمْ ... مِنَ ٱلْحَظِّ فِي تَصْرِيمِ لَيْلَى حِبَالِيَا

وقال بعض الاعراب

أَمَا وَٱلرَّاقِصَاتِ بِذَاتِ عِرْقٍ ... وَمَنْ صَلَّى بِنُعْمَانِ ٱلْأَرَاكِ
لَقَدْ أَضْمَرْتُ حُبَّكِ فِي فُؤَادِي ... وَمَا أَضْمَرْتُ حُبًّا مِنْ سِوَاكِ
١٢٠ أَطَعْتِ ٱلْآمِرِيكِ بِصَرْمِ حَبْلِي ... مُرِيهِمْ فِي أَحِبَّتِهِمْ بِذَاكِ
فَإِنْ هُمْ طَاوَعُوكِ فَطَاوِعِيهِمْ ... وَإِنْ عَاصَوْكِ فَٱعْصِي مَنْ عَصَاكِ

وقال ابن الدمينة

دِيَارُ ٱلَّتِي هَاجَرْتُ عَصْرًا وَلِلْهَوَى ... بِقَلْبِي إِلَيْهَا قَائِدٌ وَمُهِيبُ
لِتَسْلَمَ مِنْ قَوْلِ ٱلْوُشَاةِ وَإِنَّنِي ... لَهُمْ حِينَ يَغْتَابُونَهَا لَـذَنُوبُ
أُمَيْمُ بِقَلْبِي مِنْ هَوَاكِ زَمَانَةٌ ... وَأَنْتِ لَهَا لَوْ تَبْذُلِينَ طَبِيبُ
أُمَيْمُ لَقَدْ غَيَّبْتِنِي وَأَرَيْتِنِي ... بَدَائِعَ أَخْلَاقٍ لَهُنَّ ضُرُوبُ

ولبعض اهل هذا العصر

لَئِنْ رَقَدَ ٱلْوَاشِي سُرُورًا بِمَا رَأَى ... وَهَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَقَرَّ وَأَنْصَبَا
لَقَدْ أَسْهَرَ ٱلْعَيْنَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً ... وَغَادَرَ قَلْبِي مُسْتَهَامًا مُعَذَّبَا
عَدِمْتُ ٱلْهَوَى إِنْ كُنْتُ عَاشَرْتُ وَافِيًا ... سِوَاكِ وَقَدْ طَوَّفْتُ شَرْقًا وَمَغْرِبَا
فَإِنْ لَمْ تَدَعْ مَا لَا أُحِبُّ تَظَرُّفًا ... وَلَا رَاعِيًا عَهْدِي فَدَعْهُ تَحَوُّبَا

وانشدني احمد بن يحيى

هَجَرْتُ فَلَمَّا أَنْ هَجَرْتُكَ أَصْبَحَتْ ... بِنَا شُمَّتًا تِلْكَ ٱلْعُيُونُ ٱلْكَوَاشِحُ
فَلَا يَفْرَحِ ٱلْوَاشُونَ بِٱلْهَجْرِ رُبَّمَا ... أَطَالَ ٱلْمُحِبُّ ٱلْهَجْرَ وَٱلْجَيْبُ نَاصِحُ
تَغْدُو ٱلنَّوَى بَيْنَ ٱلْمُحِبَّيْنِ وَٱلْهَوَى ... مَعَ ٱلْقَلْبِ مَطْوِيٌّ عَلَيْهِ ٱلْجَوَانِحُ

وانشدتني منيرة العصبية

مَا كَانَ ذَاكَ ٱلْهَجْرُ مِنِّي عَنْ قِلًى ... لَا وَٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَا وَبَنَاهَا
إِنِّي لَيَثْنِينِي ٱلْحَيَاءُ وَأَنْثَنِي ... وَأَصُدُّ بَعْضَ مَوَدَّتِي ٱسْتِبْقَاهَا
وَإِذَا ٱلْمُنَاضِلُ لَمْ يَكُنْ مُتَثَبِّتاً ... يَبْقَى مَوَاقِعَ نَبْلِهِ أَفْنَاهَا

وقال آخر

وَتَحْسَبُ لَيْلَى أَنَّنِي إِنْ هَجَرْتُهَا ... حَذَارَ ٱلْأَعَادِي أَنَّمَا بِي هُونُهَا* ١٢١
وَلٰكِنَّ لَيْلَى لَا تَفِي بِأَمَانَةٍ ... فَتَحْسَبُ لَيْلَى أَنَّنِي سَأَخُونُهَا
وَبِي مِنْ هَوَاهَا [ٱلدَّهْرَ] مَا لَوْ أَبُثُّهُ ... جَمَاعَةَ أَعْدَائِي بَكَتْ لِي عُيُونُهَا

وقال رجل من ازد

فَوَيْحَكُمَا يَا وَاشِيَيْ أُمِّ مَعْمَرٍ ... لِمَنْ وَإِلَى مَنْ جِئْتُمَا تَشِيَانِ
لَعَلَّكُمَا إِنْ تُخْبِرَانِي قَلَيْتُهَا ... وَأَطْمَعْتُهَا عِنْدِي لَهَا بِهَوَانِ
بِنَفْسِي مَنْ لَوْ أَسْتَطِيعُ أَتَيْتُهُ ... سَرِيعاً وَمَنْ لَوْ يَسْتَطِيعُ أَتَانِي
وَمَنْ لَوْ أَرَاهُ عَاتِباً لَفَدَيْتُهُ ... وَمَنْ لَوْ رَآنِي عَاتِباً لَفَدَانِي

وقال الاقرع بن معاذ القشيري

أَلَا أَيُّهَا ٱلْوَاشِي بِلَيْلَى أَلَا تَرَى ... إِلَى مَنْ تَشِي [بِي] أَوْ بِمَنْ جِئْتَ وَاشِيَا
لَعَمْرُ ٱلَّذِي لَمْ يَرْضَ حَتَّى أُطِيعَهُ ... بِلَيْلَى إِذَنْ لَا يُصْبِحُ ٱلدَّهْرَ رَاضِيَا
إِذَا نَحْنُ رُمْنَا هَجْرَهَا ضَمَّ حُبَّهَا ... ضَمِيرُ ٱلْحَشَا ضَمَّ ٱلْجَنَاحِ ٱلْخَوَافِيَا

وقال آخر

كَأَنَّ عَائِبَكُمْ يُبْدِي مَحَاسِنَكُمْ ... يَأْتِي لِيُنْقِصَكُمْ عِنْدِي فَيُغْرِينِي
مَا فَوْقَ حُبِّيكِ حُبٌّ لَسْتُ أَعْلَمُهُ ... فَمَا يَضُرُّكِ أَلَّا تَسْتَرِيبِينِي

وقال البحتري

يَمْلَأُ ٱلْوَاشِي جَنَانِي ذُعْراً ... وَيُعَنِّينِي ٱلْحَدِيثُ ٱلْمُخْتَلَقْ

حُبُّهَا أَوْ فَرَقٌ مِنْ هَجْرِهَا   وَصَرِيحُ ٱلْحُبِّ ذُلٌّ أَوْ فَرَقْ

وقال حباب بن ملك العبشمي

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ مَا زَالَ ٱلْوُشَاةُ بِنَا   مِنْ غَيْرِ مَقْلِيَةٍ حَتَّى هَجَرْنَاهَا
ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ قَدْ كُنَّا وَلَوْ نَزَلَتْ   مِنَّا بِأَبْعَدَ مِنْ هٰذَا لَزُرْنَاهَا

١٢٢ وقال قيس بن ذريح*

تَكَنَّفَنِي ٱلْوُشَاةُ فَأَزْعَجُونِي   فَيَا لِلنَّاسِ لِلْوَاشِي ٱلْمُطَاعِ
فَأَصْبَحْتُ ٱلْغَدَاةَ أَلُومُ نَفْسِي   عَلَى أَمْرٍ وَلَيْسَ بِمُسْتَطَاعِ
كَمَغْبُونٍ يَعَضُّ عَلَى يَدَيْهِ   تَبَيَّنَ غَبْنَهُ بَعْدَ ٱلْبِيَاعِ
وَقَدْ عِشْنَا نَلَذُّ ٱلدَّهْرَ حِيناً   لَوَ ٱنَّ ٱلدَّهْرَ لِلْإِنْسَانِ رَاعِ
وَلٰكِنَّ ٱلْجَمِيعَ إِلَى زَوَالٍ   وَأَسْبَابُ ٱلْفِرَاقِ لَهَا دَوَاعِي

الباب السادس عشر

مَنْ لَمْ يُعَاتِبْ عَلَى ٱلزَّلَّةِ فَلَيْسَ بِحَافِظٍ لِلْخُلَّةِ

ٱلْمُعَاتَبَةُ عَلَى ٱلذُّنُوبِ مِنَ ٱلْمُحِبِّ وَٱلْمَحْبُوبِ قَدْ تَجْرِي عَلَى ضُرُوبٍ فَمِنْهَا مُعَاتَبَةُ ٱسْتِتَابٍ تَقَعُ مِنَ ٱلِٱرْتِيَابِ لِيَزُولَ ٱلشَّكُّ بِمَا يَجْرِي فِيهَا مِنَ ٱلْجَوَابِ وَمُعَاتَبَةٌ تَقَعُ بَعْدَ ٱلْيَقِينِ يَقْصِدُ بِهَا ٱلْعَاتِبُ إِلَى أَنْ يَعْلَمَ هَلْ مِنْ ذٰلِكَ ٱلذَّنْبِ عُذْرٌ أَمْ هُوَ دَاخِلٌ فِي بَابِ ٱلْغَدْرِ وَمِنْهَا مُعَاتَبَةُ تَوْقِيفٍ تَجْرِي عَلَى جِهَةِ ٱلتَّعْنِيفِ وَهٰذِهِ حَالٌ لَا تَكَادُ تَجْرِي بَيْنَ ٱلْمُتَحَابَّيْنِ إِلَّا عِنْدَ ٱنْقِطَاعِ ٱلْحَالِ بَيْنَهُمَا أَوْ عِنْدَ ضَجْرَةٍ شَدِيدَةٍ تَلْحَقُهُمَا أَوْ تَلْحَقُ أَحَدَهُمَا وَأَحْمَدُ أَحْوَالِ ٱلْعِتَابِ صِيَانَةُ ٱلْحَالِ عَنْ أَنْ يَجْرِيَ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ ٱلِٱخْتِلَالِ بُقْيَا عَلَى ٱلْمُذْنِبِ لَا بُقْيَا عَلَى ٱلْمُؤْنِبِ

وتَرْكُ جميعِ ٱلمُعَاتَبةِ يدخلُ فِي بَابِ ٱلإِهمَالِ وَٱلمُوقِفُ على كُلِّ ذَنْبٍ يُوجِبُ قَطْعَ ٱلمُوَاصَلةِ وَٱتِّصالَ ٱلعَتْبِ

قال الحسن بن هانئ

مُنْقَطِعٌ عَنْكَ كَانَ مُتَّصِلَا … أَوْ نَازِلٌ بِٱلفِنَاءِ فَٱرْتَحَلَا
قَدْ كَانَ فِي ٱلحَقِّ أَنْ يُقَالَ لَهُ … مَاذَا دَعَاهُ إِلَى ٱلَّذِي فَعَلَا
مَا عَدَلَ ٱلنَّاسُ عَنْكَ لِي أَمَلَا … إِلَّا ثَنَاهُ ٱلرَّجَاءُ فَٱعْتَدَلَا

وقال آخر* ١٢٣

حَيِّ طَيْفاً مِنَ ٱلأَحِبَّةِ زَارَا … بَعْدَ مَاصَرَّعَ ٱلكَرَى ٱلسُّمَّارَا
قَالَ إِنَّا كَمَا عَهِدْتَ وَلٰكِنْ … شَغَلَ ٱلحَلْيُ أَهْلَهُ أَنْ يُعَارَا

ولبعض اهل هذا العصر

يَا أَخِي كَمْ يَكُونُ هٰذَا ٱلجَفَاءُ … كَمْ تَشَفَّى بِهَجْرِكَ ٱلأَعْدَاءُ
صَارَ ذَا ٱلهَجْرُ لِي غِذَاءً وَلٰكِنْ … رُبَّمَا أَتْلَفَ ٱلسَّقِيمَ ٱلغِذَاءُ
سَيِّدِي أَنْتَ أَيْنَ ذَاكَ ٱلصَّفَاءُ … أَيْنَ ذَاكَ ٱلهَوَى وَذَاكَ ٱلوَفَاءُ
أَنْتَ ذَاكَ ٱلأَخُ ٱلقَدِيمُ وَلٰكِنْ … لَيْسَ هٰذَا ٱلإِخَاءُ ذَاكَ ٱلإِخَاءُ
لِي ذُنُوبٌ وَلَسْتُ أُنْكِرُ فَٱغْفِرْ … فَٱلتَّجَنِّي عَلَى ٱلمُقِرِّ ٱعْتِدَاءُ
لِي حُقُوقٌ أَيْضاً عَلَيْكَ وَلٰكِنْ … ذِكْرُ مِثْلِي لِمِثْلِ هٰذَا جَفَاءُ

وقال البحتري

وَكُنْتُ إِذَا ٱسْتَبْطَأْتُ وُدَّكَ زُرْتُهُ … بِتَفْوِيفِ شِعْرٍ كَٱلرِّدَاءِ ٱلمُحَبَّرِ
عِتَابٌ بِأَطْرَافِ ٱلقَوَافِي كَأَنَّهُ … طِعَانٌ بِأَطْرَافِ ٱلقَنَا ٱلمُتَكَسِّرِ

وقال آخر

فَلَا عَيْشٌ كَوَصْلٍ بَعْدَ هَجْرٍ … وَلَا شَيْءٌ أَلَذُّ مِنَ ٱلعِتَابِ
تَوَاقَفَ عَاشِقَانِ عَلَى ٱرْتِقَابٍ … أَرَادَا ٱلوَصْلَ مِنْ بَعْدِ ٱجْتِنَابِ

فَلَا هٰذَا يَمَلُّ عِتَابَ هٰذَا   وَلَا هٰذَا يَمَلُّ مِنَ ٱلْجَوَابِ

وقال آخر

أَلَهْفَ أَبِي لَمَّا أَدَمْتُ لَكَ ٱلْهَوَى   وَأَصْفَيْتُ حُبِّي فِيكَ وَٱلْوَجْدُ ظَاهِرُ
وَجَاهَرْتُ فِيكَ ٱلنَّاسَ حَتَّى أَضَرَّ بِي   مُجَاهَرَتِي يَا وَيْلَ فِيمَنْ أُجَاهِرُ
١٢٤ وَكُنْتَ كَفَيْءِ ٱلْغُصْنِ بَيْنَا يُظِلُّنِي   وَيُعْجِبُنِي إِذْ زَعْزَعَتْهُ ٱلْأَعَاصِرُ*
فَصَارَ لِغَيْرِي وَٱسْتَدَارَتْ ظِلَالُهُ   سِوَايَ وَخَلَّانِي وَلَفْحَ ٱلْهَوَاجِرِ

ولبعض اهل هذا العصر

إِذَا ٱشْتَدَّ مَا أَلْقَاهُ هَوَّنَ عِلَّتِي   رِضَايَ بِأَنْ تَحْيَى سَلِيماً وَأَسْقَمَا
فَيَا مَنْ يُزِيلُ ٱلْخَوْفَ عَنِّي وَفَاؤُهُ   بِعَهْدِي وَمَنْ لَوْلَاهُ لَمْ أُمْسِ مُغْرَمَا
أَكَانَ جَمِيلًا أَنْ تَرَانِيَ مُهْمَلَا   وَتَسْكُتَ عَنْ أَمْرِي وَنَهْيِي تَبَرُّمَا
سَأَرْعَاكَ إِنْ أَكْرَمْتَنِي أَوْ أَهَنْتَنِي   وَحَسْبُكَ نُبْلًا أَنْ تُهِينَ وَتُكْرَمَا
وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ ٱللّٰهِ أَنْ أُرَى   ظَلُوماً لِإِلْفِي أَوْ أُرَى مُتَظَلِّمَا
سَآخُذُ مِنْ نَفْسِي لِنَفْسِكَ حَقَّهَا   وَأَصْفَحُ إِنْ لَمْ تَرْعَ عَهْدِي تَكَرُّمَا
وَمَا بِيَ نَفْسِي وَحْدَهَا غَيْرَ أَنَّنِي   أَصُونُ خَلِيلِي أَنْ يَجُورَ وَيَظْلِمَا
وَلَوْ قِيلَ لِي ٱخْتَرْ نَيْلَهُ أَوْ صَلَاحَهُ   لَآثَرْتُ أَنْ يُعْصَى هَوَايَ وَيَسْلَمَا
وَقَدْ كُنْتَ أَوْلَى [بِي] مِنَ ٱلشَّوْقِ وَٱلْهَوَى   وَقَدْ كُنْتَ أَمْضَى فِي ٱلضَّمِيرِ مُتَمَّمَا
فَمَا لِيَ قَدْ أُبْعِدْتُ حَتَّى كَأَنَّنِي   عَدُوٌّ وَقَدْ كُنْتُ ٱلْحَبِيبَ ٱلْمُقَدَّمَا

وانشدني احمد بن ابي طاهر لنفسه

يَا سَعْدُ لَمْ أَذْخَرْ عَلَيْكَ مَوَدَّةً   أَنْتَ ٱلْمُقِرُّ بِهَا وَأَنْتَ ٱلْجَاحِدُ
أَشْكَيْتَنِي فَشَكَوْتُ لَا مُتَشَاكِياً   وَزَعَمْتَ أَنِّي إِذْ شَكَوْتُكَ حَاسِدُ
وَلَئِنْ حُسِدْتُ عَلَيْكَ إِنَّكَ لَلَّذِي   حُسِدَتْ عَلَيْهِ أَقَارِبٌ وَأَبَاعِدُ
وَزَعَمْتَ أَنِّي لَائِمٌ لَكَ عَاتِبٌ   وَقَصَائِدِي بِٱلذَّمِّ فِيكَ شَوَاهِدُ

لَوْ مُتَّ إِذَنْ مِنِّي ٱلْخَلَائِقُ وَٱعْتَدَى   بِٱلْحَمْدِ مَنْ هُوَ قَائِمٌ بِيَ قَاعِدُ
أَنِّي أَذُمُّكَ يَا سَعِيدُ وَإِنَّمَا   بِٱلْمَجْدِ مِنْكَ إِذَا فَخَرْتُ أُمَاجِدُ
إِنْ كَانَ قَلْبُكَ فِيَّ مُشْتَرَكَ ٱلْهَوَى   فَٱلْقَلْبُ مِنِّي فِيكَ قَلْبٌ وَاحِدُ
كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنَّنِي بِكَ وَاثِقٌ   وَلَئِنْ ذَمَمْتُكَ إِنَّنِي لَكَ حَامِدُ* ١٢٥

وقال العرجي

أَقُولُ لَهَا وَٱلْعَيْنُ قَدْ جَادَ غَرْبُهَا   وَقَدْ كَانَ فِيهَا دَمْعُهَا قَدْ تَرَدَّدَا
أَرَيْتُكِ إِذْ أَعْرَضْتِ عَنِّي كَأَنَّمَا   تُلَاقِينَ مِنْ حَيَّاتِ بيتان أَسْوَدَا
أَأَسْلَاكِ عَنِّي ٱلنَّأْيُ أَمْ عَاقَكِ ٱلْعِدَى   وَمَا ٱفْتَرَقُوا أَمْ جِئْتِ صَرْمِي تَعَمُّدَا
أَلَمْ أَكُ أَعْصِي فِيكِ أَهْلَ قَرَابَتِي   وَأُرْغِمُ فِيكِ ٱلْكَاشِحَ ٱلْمُتَهَدِّدَا
فَقَالَتْ ضَنَنْتُ ٱلْوَصْلَ مِنْكَ وَلِلَّذِي   جَشِمْتَ إِلَيْنَا كَانَ أَدْنَى وَأَزْهَدَا
لِأَشْيَاءَ قَدْ لَاقَيْتُهَا فِيكَ لَمْ يَكُنْ   لِيُحْصِيَهَا مَنْ مَنَّ وَصْلًا وَعَدَّدَا
وَإِعْرَاضُنَا عَنْكُمْ فَغَيْرِي بِهِ بَدَا   فَلَمَّا أَرَادَتْ عَنْكَ نَفْسِي تَجَلُّدَا
رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي فَعَادَتْ بِحِلْمِهَا   عَلَيْكَ فَلَمْ تَرْضَ بِصَرْمِكَ حُسَّدَا
إِذَا أَمَّلُوا وَشْكَ ٱهْتِجَارٍ فَأَخْفَقُوا   بِهِ ٱلْيَوْمَ فِينَا أَمَّلُوا هَجْرَنَا غَدَا
فَكُنْ لِلَّذِي تَهْوَى وَأَغْلِظْ عَلَى ٱلَّذِي   قَلَاكَ وَعَوِّدْهُ ٱلَّذِي قَدْ تَعَوَّدَا
وَلَا تَحْسِبَنْ صَرْمَ ٱلصَّدِيقِ مُرُوءَةً   وَلَا مُدْرِكًا بِٱلصَّرْمِ مَا عِشْتَ سُؤْدَدَا

وكتب بعض اهل هذا العصر الى اخ له يستأذنه في شكره

أَتَأْذَنُ لِي يَا مُتَّ قَبْلَكَ فِي ٱلشُّكْرِ   فَأَشْكُرَ أَمْ تَنْهَى فَأُغْضِيَ عَلَى صُغْرِ
وَإِنِّي لَمُحْتَاجٌ إِنْ أَنْتَ أَذِنْتَ لِي   إِلَى ٱلْعُذْرِ أَيْضًا مِنْ مُجَاوَزَتِي قَدْرِي
فَمَا حَقُّ مِثْلِي أَنْ يُرَى لَكَ شَاكِرًا   وَلَا مِثْلُ مَا أُولِيتُ يُشْكَرُ بِٱلشِّعْرِ
فَرَأْيُكَ فِيمَنْ لَا يَرَى نَفْسَهُ إِذَا   عَتَبْتَ عَلَيْهَا أَهْلَ شُكْرٍ وَلَا عُذْرِ

فلم يأذن له في ذلك وكتب يعاتبه

أَفِي ٱلْعَدْلِ أَنْ تَنْهَى أَخَاكَ عَنِ ٱلشُّكْرِ   وَيَنْأَى فَلَا يُنْهَى عَنِ ٱلنَّأْيِ وَٱلْهَجْرِ
أَجَلْ أَنْ ذَا عَدْلٌ عَلَى ٱلصَّبِّ فِي ٱلْهَوَى   إِذَا كَانَ لَا يُنْجِيهِ مِنْهُ سِوَى ٱلْعُذْرِ
أَيَجْمُلُ فِي حَقِّ ٱلْجِوَارِ دَعِ ٱلْهَوَى   أَنِ ٱبْقَى عَلَى ظَهْرِ ٱلْعِشَاءِ إِلَى ٱلْفَجْرِ* ١٢٦
أُرَاعِي نُجُوماً لَمْ أُوَكَّلْ بِرَعْيِهَا   وَأُذْكِي هَوًى فِي ٱلْقَلْبِ أَذْكَى مِنَ ٱلْجَمْرِ
وَأَنْتَ أَخٌ لِي قَادِرٌ أَنْ تُزِيلَ مَا   أُقَاسِيهِ لَا تَدْرِي بِمَا بِيَ أَوْ تَدْرِي
تَبِيتُ خَلِيَّ ٱلْقَلْبِ مِمَّا أُجِنُّهُ   كَمَا أَنَا خِلْوٌ فِي هَوَاكَ مِنَ ٱلصَّبْرِ
وَإِنِّيَ أَدْرِي أَنَّ فِي ٱلصَّبْرِ رَاحَةً   وَلَكِنَّ إِنْفَاقِي عَلَى ٱلصَّبْرِ مِنْ عُمْرِي
أَرَانِي إِذَا وَاصَلْتُ سَاءَتْكَ عِشْرَتِي   وَإِنْ غِبْتُ لَمْ أَخْطُرْ بِبَالٍ وَلَا فِكْرِ
أَحِينَ تَنَاهَى ٱلْوُدُّ وَٱتَّصَلَ ٱلْهَوَى   وَصِرْتَ شَرِيكِي فِي ٱلسَّرِيرَةِ وَٱلْجَهْرِ
مَلِلْتَ إِخَائِي وَٱطَّرَحْتَ مَوَدَّتِي   وَأَقْصَيْتَنِي حَتَّى تَحَيَّرْتُ فِي أَمْرِي

وله ايضاً

جُعِلْتُ فِدَاكَ قَدْ طَالَ ٱنْعِطَافِي   إِلَيْكَ وَأَنْتَ قَاسِي ٱلْقَلْبِ جَافِي
وَلَيْسَ أَخَاكَ مَنْ يَرْعَاكَ كُرْهاً   وَلَا ٱلْبَادِي بِوَصْلِكَ كَٱلْمُكَافِي
فَإِنْ تَرْعَ ٱلْأَمَانَةَ لَا أُضِعْهَا   وَإِنْ لَا تَرْعَ يُوحِشْكَ ٱنْصِرَافِي
يَطُولُ عَلَيْكَ أَنْ تَلْقَى خَلِيلاً   تَطُولُ عَلَيْهِ أَيَّامُ ٱلتَّصَافِي
مَخَافَةَ أَنْ يَمَلَّكَ بِٱجْتِمَاعٍ   فَيَرْضَى مِنْ نَوَالِكَ بِٱلْكَفَافِ
فَإِنْ يَكُ ذَا ٱلصُّدُودُ صُدُودَ عَتْبٍ   وَأَنْتَ عَلَى ٱلْمَوَدَّةِ وَٱلتَّوَافِي
إِذَنْ فَتَلَافَنِي مِنْ قَبْلِ يَأْسٍ   يُوَلِّدُ مَا يَجِلُّ عَنِ ٱلتَّلَافِي
وَإِلَّا فَٱطَّرِحْ وُدِّي وَأَجْمِلْ   بِتَعْرِيضٍ مِنَ ٱلتَّصْرِيحِ كَافِي
مَتَى يَصِلُ ٱلسَّقِيمُ إِلَى شِفَاءٍ   إِذَا كَانَ ٱلضَّنَى دَرَكَ ٱلْمُعَافَى

وقال بعض الاعراب

[وَ]أُنْبِئْتُ لَيْلَى أَرْسَلَتْ بِشَفَاعَةٍ   إِلَيَّ فَهَلَّا نَفْسُ لَيْلَى شَفِيعُهَا

أَأُكْرَمُ مِنْ لَيْلَى عَلَيَّ فَتَبْتَغِي   بِهِ ٱلْجَاهَ أَمْ كُنْتُ ٱمْرَءًا لَا أُطِيعُهَا

وقال الحسين بن الضحاك* ١٢٧

أَمَا نَاجَاكَ بِٱلنَّظَرِ ٱلصَّحِيحِ   وَأَنَّ إِلَيْكَ مِنْ قَلْبٍ قَرِيحِ
فَلَيْتَكَ حِينَ تَهْجُرُهُ ضِرَارًا   تَمُنُّ عَلَيْهِ بِٱلْقَتْلِ ٱلْمُرِيحِ
بِحُسْنِكَ كَانَ أَوَّلُ حُسْنِ ظَنِّي   وَمَا يَنْهَاكَ حُسْنُكَ عَنْ قَبِيحِ
وَمَا تَنْفَكُّ مُتَّهِماً لِنُصْحِي   بِنَفْسِيَ نَفْسُ مُتَّهِمِ ٱلنَّصِيحِ

وقال آخر

إِلَى كَمْ يَكُونُ ٱلصَّدُّ فِي كُلِّ سَاعَةٍ   وَكَمْ لَا تَمَلِّينَ ٱلْقَطِيعَةَ وَٱلْهَجْرَا
رُوَيْدَكِ إِنَّ ٱلدَّهْرَ فِيهِ بَلَاغَةٌ   لِتَفْرِيقِ ذَاتِ ٱلْبَيْنِ فَٱنْتَظِرِي ٱلدَّهْرَا

وقال يزيد بن الطثرية

عَلَى حِينِ صَارَمْتُ ٱلْأَخِلَّاءَ كُلَّهُمْ   إِلَيْكِ وَأَصْفَيْتُ ٱلْهَوَى لَكِ أَجْمَعَا
وَزِدْتُكِ أَضْعَافاً وَغَادَرْتُ فِي ٱلْحَشَا   عِظَامَ ٱلْبَلَايَا بَادِيَاتٍ وَرُجَّعَا
جَزَيْتُكِ قَرْضَ ٱلْوُدِّ ثُمَّتَ خِلْتُنِي   كَذِي ٱلشَّكِّ أَدْنَى شَكِّهِ فَتَطَوَّعَا
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا سِقَاطَ حَدِيثِهَا   غِشَاشاً فَلَانَ ٱلطَّرْفُ مِنْهَا فَأَطْمَعَا
عَلَى إِثْرِ هِجْرَانٍ وَسَاعَةِ خَلْوَةٍ   مِنَ ٱلنَّاسِ نَخْشَى غُيَّباً أَنْ تَطَلَّعَا

الباب السابع عشر

مَنْ عَاتَبَ عَلَى كُلِّ ذَنْبٍ أَخَاهُ فَخَلِيقٌ أَنْ يَمَلَّهُ وَيَقْلَاهُ

انشدنا ابو العباس احمد بن يحيى

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَسْتَقْبِلِ ٱلْأَمْرَ لَمْ تَجِدْ   بِكَفَّيْكَ فِي إِدْبَارِهِ مُتَعَلَّقَا

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتْرُكْ أَخَاكَ وَزَلَّـةً إِذَا زَلَّهَا أَوْشَكْتُمَا أَنْ تَفَرَّقَـا

وقال العرجي

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَغْفِرْ ذُنُوباً كَثِيرَةً تُرِيبُكَ لَمْ يَسْلَمْ لَكَ ٱلدَّهْرَ صَاحِبُ
وَمَنْ لَا يُغَمِّضْ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتْ وَهْوَ عَاتِبُ* ١٢٨

وقال آخر

أَرَدْتُ لِكَيْمَا لَا تَرَى لِيَ زَلَّةً وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يُعْطَى ٱلْكَمَالَ فَيَكْمُلُ
وَمَنْ يَسْأَلِ ٱلْأَيَّامَ نَأْيَ صَدِيقِهِ وَصَرْفَ ٱللَّيَالِي يُعْطَ مَا كَانَ يَسْأَلُ

هٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ ذَكَرْنَا أَشْعَارَهُمْ يُخْبِرُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَتْرُكُونَ مُعَاتَبَةَ أَحْبَابِهِمْ إِشْفَاقاً مِنْ تَغَيُّرِهِمْ لَهُمْ وَٱنْحِرَافِهِمْ عَنْهُمْ فَإِنْ كَانَ مَا تَرَكُوا ٱلْمُعَاتَبَةَ عَلَيْهِ فَسَادُهُ يَرْجِعُ عَلَى أَصْحَابِهِمْ فَقَدْ أَسَاؤُوا إِذْ لَمْ يُنَبِّهُوهُمْ عَلَى مَوْضِعِهِ وَآثَرُوا مَنْفَعَةَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى مَصَالِحِ أَحِبَّتِهِمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَنْباً أَلَّا يَتْرُكُوهُ فَقَدْ كَانَ ٱلْأَجْمَلُ بِإِخْوَانِهِمْ أَلَّا يَذْكُرُوهُ بَلْ كَانَ مِنْ حَقِّ أَحْبَابِهِمْ عَلَيْهِمْ أَلَّا يَتَوَهَّمُوهُ فَضْلاً عَنْ أَنْ يَنْطِقُوا بِهِ لِأَوْلِيَائِهِمْ أَوْ يُجْرُونَهُ عَلَى خَوَاطِرِ أَعْدَائِهِمْ وَسَبِيلُ مِثْلِ هٰذَا أَنْ يَعْتَرِفَ بِهِ ٱلْمَحْبُوبُ مُبْتَدِئاً بِذِكْرِهِ وَمُتَنَصِّلاً مِنْ فِعْلِهِ فَلَا يُصْغِي ٱلْمُحِبُّ لِيَفْهَمَهُ وَلَا يُوهِمُ صَاحِبَهُ أَنَّهُ خَطَرَ عَلَى وَهْمِهِ

ولقد احسن غاية الاحسان الذي يقول

وَمُعْتَذِرٍ فَرْطُ إِشْفَاقِهِ أَضَاقَ عَلَيْهِ ٱلَّذِي تَمَّمَا
وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ سَبِيلَ ٱلْإِخَاءِ أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ مَا عَظَّمَا

وبلغني ان الوضاح الكوفي كتب الى علي بن محمد العلوي

خُطَّةٌ فِي ٱلذُّنُوبِ وَٱلْإِعْتِذَارِ لَيْسَ يُعْنَى بِهَا سِوَى ٱلْأَحْرَارِ
ضِقْتُ ذَرْعاً بِهَا وَقَدْ كُنْتُ أَشْفَيْـ ـتُ عَلَى ٱلْمُلْكِ مِنْ شَفِيرٍ هَارِ

فَتَجَالَلْتَ عَنْ جَزَاءٍ بِسُوءٍ وَتَرَافَعْتَ عَنْ طِلَابٍ بِثَارِ
ثُمَّ لَمْ تَرْضَ لِي بِذٰلِكَ حَتَّى صُنْتَنِي عَنْ مَذَلَّةِ ٱلْإِعْتِذَارِ
ثُمَّ أَوْجَبْتَ لِي عَلَى غَيْرِ عَقْدٍ حُرْمَةَ ٱلْمُسْتَجِيرِ بِٱلْمُسْتَجَارِ
لَمْ تَرَ ٱلْعَفْوَ مِنْكَ يَقْدَحُ فِي عِرْ ضِكَ لَمَّا عَفَوْتَ بَعْدَ ٱقْتِدَارِ

فاجابه علي بن محمد* ١٢٩

لَيْسَ جَوْدُ ٱلرَّبِيعِ رَاشِفَ وَجْهِ ٱلْأَ رْضِ عَنْ مَبْسِمٍ مِنَ ٱلْأَنْوَارِ
لَا وَلَا ٱلْعَاشِقَانِ ضَمَّهُمَا ٱلشَّوْ قُ عَلَى غَايَةِ ٱلضَّنَى فِي إِزَارِ
فَهُمَا مُلْصَقَانِ كَٱلسَّاعِدِ ٱلْبَيْـ ضَاءِ عَضَّضْتَهَا بِضِيقِ ٱلسِّوَارِ
كَأَخٍ عَهْدُهُ وَعَهْدِيَ فِي ٱلْوُ دِّ كَعَهْدِ ٱلْأَنْوَاءِ وَٱلْأَمْطَارِ
رَقَّ مَعْنَاهُمَا فَلَمْ يَلْبِسَا ٱلْأَيْ امَ إِلَّا عَلَى ٱقْتِرَابِ ٱلْمَزَارِ
لَجَّ فِي ٱلْإِعْتِذَارِ مِنْ شَفَقِ ٱلْوَجْـ ـدِ وَأَجْلَلْتُهُ عَنِ ٱلْإِعْتِذَارِ

فَأَهْلُ ٱلصَّفَاءِ هٰكَذَا يَجِبُ أَنْ تَجْرِيَ أَحْوَالُهُمْ فِي تَرْكِهِ مَا كَانَ مِنْ حُقُوقِ أَنْفُسِهِمْ وَٱلْإِبْتِدَاءِ بِبَسْطِ ٱلْعُذْرِ لِأَحِبَّتِهِمْ

ولقد احسن الذي يقول

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُدْعَى كَرِيمًا مُكَرَّمًا حَلِيمًا ظَرِيفًا ضَاحِكًا فَطِنًا حُرًّا
إِذَا مَا بَدَتْ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَالًا لِزَلَّتِهِ عُذْرَا

هٰذَا فِيمَا كَانَ مِنَ ٱلْجِنَايَاتِ لَا يُعِيدُ عَلَى ٱلْمَحْبُوبِ فِي نَفْسِهِ ضَرَرًا وَلَا يُبَيِّنُ عَلَى غَيْرِ ٱلْمُحِبِّ أَثَرًا وَأَمَّا مَا كَانَ مُعِيدًا عَلَى ٱلْمَحْبُوبِ عَارًا فَلَا بُدَّ مِنْ تَنْبِيهِهِ عَلَيْهِ ٱضْطِرَارًا وَفِي هٰذَا ٱلْمَعْنَى

لمخيس بن ارطاة التميمي

عَرَضْتُ نَصِيحَةً مِنِّي لِيَحْيَى فَرَدَّ نَصِيحَتِي وَٱلنُّصْحُ مُرُّ
وَمَا بِيَ أَنْ أَكُونَ أَعِيبُ يَحْيَى وَيَحْيَى طَاهِرُ ٱلْأَخْلَاقِ بَرُّ

وَلٰكِنْ قَدْ أَتَانِي أَنَّ يَحْيَى … يُقَالُ عَلَيْهِ فِي نَفْعَاءَ شَرُّ
فَقُلْتُ لَهُ تَجَنَّبْ كُلَّ شَيْءٍ … يُعَابُ عَلَيْكَ إِنَّ ٱلْحُرَّ حُرُّ

ولبعض اهل هذا العصر في هذا النحو

نَصَحْتُ لَكُمْ حَذَارًا أَنْ تُعَابُوا … فَعَادَ عَلَيَّ نُصْحُكُمُ وَبَالَا
فَإِنْ تَكُ قَدْ مَلِلْتَ فَلَا تَخُنِّي … وَقُلْ لِي أَنْ أُجَنِّبَكَ ٱلْوِصَالَا
١٣٠ فَمَنْ يَطْلُبْ لِصَاحِبِهِ ٱخْتِلَالًا … لِيَنْقُضَ عَهْدَهُ يُدْرِكْ مَقَالَا*
وَيَمْنَعُنِي ٱلْوَفَاءُ لَكُمْ بِعَهْدِي … وَحُسْنُ ٱلظَّنِّ أَنْ أَجِدَ ٱخْتِلَالَا
فَتَزْدَادُونَ عِنْدِي كُلَّ وَقْتٍ … وَأَنْقُصُ عِنْدَكُمْ حَالًا فَحَالَا
سَأَصْبِرُ إِنْ أَطَقْتُ ٱلصَّبْرَ حَتَّى … تَمَلَّ ٱلْهَجْرَ أَوْ تَهْوَى ٱلْوِصَالَا

وقال بشّار بن برد

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ ٱلْأُمُورِ مُعَاتِبًا … صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ ٱلَّذِي لَا تُعَاتِبُهْ
فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ صَدِيقَكَ إِنَّهُ … مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهْ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى ٱلْقَذَى … ظَمِئْتَ وَأَيُّ ٱلنَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ

وقال العرجي

ذَهَبَ ٱلنَّهَارُ وَمَا يَبُوحُ بِمَا بِهِ … صَبٌّ فَقُلْ إِذَا ٱلْعِتَابُ عِتَابُهُ
أَللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ عِتَابَهُ … أَلَّا يَكُونَ مَعِي لِذَاكَ جَوَابُهُ
لٰكِنْ مَخَافَةَ أَنْ أُصَاحِبَ صَاحِبًا … وَٱلصَّرْمُ تَنْمِي بِٱلْمِرَا أَسْبَابُهُ

وقال آخر

وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوَطِّنُ نَفْسَهُ … عَلَى نَائِبَاتِ ٱلدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ
وَفِي ٱلشَّكِّ تَفْرِيطٌ وَفِي ٱلْحَزْمِ قُوَّةٌ … وَيُخْطِئُ فِي ٱلْحَدْسِ ٱلْفَتَى وَيُصِيبُ
وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ صَدِيقًا وَلَا أَخًا … إِذَا لَمْ تَعُدَّ ٱلشَّيْءَ وَهْوَ قَرِيبُ

وقال الحسن بن وهب

دَعَوْتُكَ فِي ٱلْجُلَّى وَقَدْ ضَاقَ مَصْدَرِي عَلَيَّ وَرَوَّانِي مِنَ ٱلسُّمِّ مَوْرِدِي
فَأَصْمَمْتَ عَنِّي مِنْكَ أُذْنًا سَمِيعَةً وَقَدْ قَصَدَتْ لِي ٱلنَّائِبَاتُ بِمَرْصَدِ
فَمَا ضَاقَ عَنْكَ ٱلْعُذْرُ عِنْدِي وَلَا نَبَا بِمَهْدِكَ نَابٍ مِنْ مَغِيبٍ وَمَشْهَدِ
وَقُلْتُ زَمَانًا قَدْ نَهَى ٱلنَّاسَ كُلَّهُمْ عَنِ ٱلْبِرِّ نَهْيَ ٱلْمُوعِدِ ٱلْمُتَهَدِّدِ
وَأَمَّلْتُ أَيَّامًا تَنُوبُ وَرَجْعَةً مِنَ ٱلدَّهْرِ يَأْتِينَا بِهَا ٱللّٰهُ فِي غَدِ* ١٣١

وقال عمر بن نجا

مَنَعْتَ عَطَاءَنَا وَلَوَيْتَ دَيْنِي وَأَعْدَدْتَ ٱلْخُصُومَةَ لِلْخَصِيمِ
فَمَا لَكَ إِنْ لَوَيْتَ ٱلدَّيْنَ عَنِّي مُعَاقَبَةٌ فَيَا لَكَ مِنْ غَرِيمِ

وقال مسلم بن الوليد

إِذَا ٱلْتَقَيْنَا مَنَعْنَا ٱلنَّوْمَ أَعْيُنَنَا وَلَا نُلَائِمُ نَوْمًا حِينَ نَفْتَرِقُ
أُقِرُّ بِٱلذَّنْبِ مِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُهُ كَيْمَا أَقُولَ كَمَا قَالَتْ فَنَتَّفِقُ

وقال آخر

أَإِنْ سُمْتَنِي ذُلًّا فَعِفْتُ ٱحْتِمَالَهُ غَضِبْتَ وَمَنْ يَأْتِ ٱلْمَذَلَّةَ يُعْذَرِ
فَهَا أَنَا مُسْتَرْضِيكَ لَا مِنْ جِنَايَةٍ عَلَيْكَ وَلٰكِنْ مِنْ تَجَنِّيكَ فَٱعْذُرِ

ولبعض اهل هذا العصر

زَعَمْتَ بِنَفْسِي [أَنْتَ] أَنَّكَ مُغْرَمٌ بِذِكْرِي وَأَنِّي عَنْ وِصَالِكَ مُضْرِبُ
أَعِدْ نَظَرًا فِيمَا ٱدَّعَيْتَ وَلَا تَحِدْ لِتَعْلَمَ مَنْ مِنَّا ٱلشَّقِيُّ ٱلْمُعَذَّبُ
أَمَنْ يَتَجَنَّى ثُمَّ يُنْكِرُ مَا جَنَى عَلَى إِلْفِهِ أَمْ مَنْ يُقِرُّ وَيُعْتِبُ
وَلَوْ كُنْتَ تُجْزَى بِٱلَّذِي تَسْتَحِقُّهُ غَضِبْتَ وَلٰكِنِّي مِنَ ٱلْهَجْرِ أَهْرُبُ
فَأُغْضِي عَلَى جَمْرِ ٱلْغَضَا خَشْيَةَ ٱلْقِلَى وَلَوْلَا ٱلْهَوَى مَا ضَاقَ عَنِّي مَهْرَبُ
فَحَتَّامَ لَا أَنْفَكُّ شَوْقًا إِلَى ٱلرِّضَا أُصَدِّقُ مَنْ صِدْقِي لَدَيْهِ مُكَذَّبُ
وَمَا لِيَ مِنْ ذَنْبٍ إِلَيْكَ تَعُدُّهُ عَلَيَّ سِوَى أَنْ لَيْسَ لِي عَنْكَ مَذْهَبُ

وَمَا غَرَضِي فِي أَنْ أُثَبِّتَ حُجَّةً عَلَيْكَ وَمَا لِي غَيْرُ عَفْوِكَ مَطْلَبُ
إِلَيْكَ مَفَرِّي مِنْكَ لَا عَنْ وَسِيلَةٍ إِلَيْكَ سِوَى أَنِّي بِحُبِّكَ مُتْعَبُ
فَإِنْ تَأْتِ مَا أَهْوَى فَعَبْدٌ نَعَشْتَهُ وَإِنْ تَكُنِ ٱلْأُخْرَى فَعَبْدُكَ مُذْنِبُ
١٣٢ فَرَأْيُكَ فِيمَنْ أَنْتَ مَالِكُ رِقِّهِ فَقَدْ حَلَّتِ ٱلْبَلْوَى وَطَابَ ٱلتَّجَنُّبُ*

وقال المؤمل

شَفَّ ٱلْمُؤَمَّلَ يَوْمَ ٱلْحِيرَةِ ٱلنَّظَرُ لَيْتَ ٱلْمُؤَمَّلَ لَمْ يُخْلَقْ لَهُ بَصَرُ
حَسْبُ ٱلْمُحِبِّينَ فِي ٱلدُّنْيَا عَذَابُهُمُ وَٱللّٰهِ لَا عَذَّبَتْهُمْ بَعْدَهَا سَقَرُ
صِفِ ٱلْأَحِبَّةَ مَا لَاقَيْتَ مِنْ سَهَرٍ إِنَّ ٱلْأَحِبَّةَ لَا يَدْرُونَ مَا ٱلسَّهَرُ
لَمَّا رَمَتْ مَقْتَلِي قَالَتْ لِجَارَتِهَا إِنِّي قَتَلْتُ قَتِيلًا مَا لَهُ خَطَرُ
قَتَلْتُ شَاعِرَ هٰذَا ٱلْحَيِّ مِنْ مُضَرٍ أَللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تَرْضَى بِذَا مُضَرُ
وَإِنَّمَا أَقْصَدَتْ قَلْبِي بِمُقْلَتِهَا مَا كَانَ قَوْسٌ وَلَا سَهْمٌ وَلَا وَتَرُ
أَحْبَبْتُ مِنْ حُبِّهَا قَوْمًا ذَوِي إِحَنٍ بَيْنِي وَبَيْنَهُمُ ٱلنِّيرَانُ تَسْتَعِرُ
إِنِّي لَأَصْفَحُ عَنْهَا حِينَ تَظْلِمُنِي وَكَيْفَ مِنْ نَفْسِهِ ٱلْإِنْسَانُ يَنْتَصِرُ

وقال آخر

مَسَّنِي مِنْ صُدُودِ إِلْفِيَ ضُرٌّ فَبَنَاتُ ٱلْفُؤَادِ مَا تَسْتَقِرُّ
مَسَّنِي ضُرُّهُ فَأَوْجَعَ قَلْبِي غَيْرَ أَنِّي بِذَاكَ مِنْهُ أُسَرُّ

وقال آخر

أَيَا سُلْمَى دَفَعْتُ إِلَيْكِ نَفْسِي بَرِئْتُ إِلَيْكِ مِنْ نَفْسِي بَرِيتُ
وَقَالُوا عَذَّبَتْكَ فَقُلْتُ كَلَّا رَضِيتُ بِمَنْ يُعَذِّبُنِي رَضِيتُ

وقال ابو تمام حبيب

أَسْرَفْتَ فِي مَنْعِي وَعَادَتُكَ ٱلَّتِي مَلَكَتْ عِنَانَكَ أَنْ تَجُودَ فَتُسْرِفَا
لَمْ آلُ فِيكَ تَلَطُّفًا وَتَعَسُّفًا وَتَأَلُّفًا وَتَحَيُّفًا وَتَعَطُّفَا

وَأَرَاكَ تَدْفَعُ حُرْمَتِي فَأَظُنُّنِي   ثَقُلْتُ غَيْرَ مُؤَنَّبٍ فَأُخَفِّفَا

وقال ايضاً

وَجَدْتُ صَرِيحَ الْحَزْمِ وَالرَّأْيِ لِامْرِىءٍ   إِذَا مَلَكَتْهُ الشَّمْسُ أَنْ يَتَحَوَّلَا *١٣٣
فَثَقَّلْتُ بِالتَّخْفِيفِ عَنْكَ وَبَعْضُهُمْ   يُخَفِّفُ فِي الْحَاجَاتِ حَتَّى يُثَقِّلَا

• وقال عمر بن ابي ربيعة

بِاللّٰهِ قُولِي لَهُ فِي غَيْرِ مَعْتَبَةٍ   مَاذَا أَرَدْتَ بِطُولِ الْمُكْثِ بِالْيَمَنِ
إِنْ كُنْتَ حَاوَلْتَ دُنْيَا أَوْ قَنِعْتَ بِهَا   فَمَا أَصَبْتَ بِتَرْكِ الْحَجِّ مِنْ ثَمَنِ

وقال الراعي

وَكَمْ جَشِمْنَا إِلَيْكُمْ سَيْرَ مُودِيَةٍ   كَأَنَّ أَعْلَامَهَا فِي [أُفْقِهَا] الْقُزَعُ
حَمَّاءَ غَبْرَاءَ يَخْشَى الْمُدْلُونَ بِهَا   رَيْعَ الْهُدَاةِ بِأَرْضٍ أَهْلُهَا شِيَعُ
فَإِنْ تَجُودُوا فَقَدْ حَاوَلْتُ جُودَكُمُ   وَإِنْ تَضِنُّوا فَلَا لَوْمٌ وَلَا فَزَعُ

وَهٰذِهِ أَحْوَالٌ كُلُّهَا لَطِيفَةٌ وَمُطَالَبَاتٌ جَمِيلَةٌ وَأَشْنَعُ مِنْهَا لَفْظًا وَأَنْقَصُ مِنْ هٰذَا مَعْنًى

قول البحتري

لَا تَهْتَبِلْ إِغْضَاءَتِي إِذْ كُنْتُ قَدْ   أَغْضَيْتُ مُشْتَمِلًا عَلَى جَمْرِ الْغَضَا
أَغْبَبْتُ سَيْبَكَ كَيْ يَجُمَّ وَإِنَّمَا   غُمِدَ الْحُسَامُ الْمَشْرَفِيُّ لِيُنْتَضَى
وَسَكَتُّ إِلَّا أَنْ أُعَرِّضَ قَائِلًا   قَوْلًا وَصَرَّحَ جُهْدُهُ مَنْ عَرَّضَا

وفي هذا النحو لبعض اهل هذا الزمان

يَا عَالِمًا بِالَّذِي أَلْقَى مِنَ الْكُرَبِ   إِرْفِقْ بِعَيْنِكَ لَا تُعْطِبْ فِدَاكَ أَبِي
لَا تَغْتَنِمْ صَفْحَ مَطْوِيٍّ عَلَى كَبِدٍ   حَرَّى وَقَلْبٍ بِنَارِ الشَّوْقِ مُلْتَهِبِ
لَوْ كُنْتَ مِثْلِي لَمْ تَصْبِرْ عَلَى كَمَدِي   أَوْ كُنْتُ مِثْلَكَ لَمْ أَفْعَلْ كَفِعْلِكَ بِي
إِنْ كَانَ ذَا الْهَجْرُ تَأْدِيبًا فَحَسْبُكَ مَا   قَدَّمْتَ مِنْهُ فَقَدْ بَالَغْتَ فِي أَدَبِي

وَقَدْ قَالَ ٱلْمُتَلَمِّسُ مَا يَخْرُجُ قُبْحاً وَجَفَاءً عَنْ هٰذَا ٱلْبَابِ وَلَا يَصْلُحُ أَنْ يَجْرِيَ فِي ٱلْمُخَاطَبَةِ بَيْنَ ٱلْأَحْبَابِ وَذٰلِكَ قَوْلُهُ

١٣٤ وَمَا كُنْتَ إِلَّا مِثْلَ قَاطِعِ كَفِّهِ بِكَفٍّ لَهُ أُخْرَى فَأَصْبَحَ أَجْذَمَا*
يَدَاهُ أَصَابَتْ هٰذِهِ حَتْفَ هٰذِهِ فَلَمْ تَجِدِ ٱلْأُخْرَى عَلَيْهَا مُقَدَّمَا
فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ ٱلشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى مَسَاغًا لِنَابَيْهِ ٱلشُّجَاعُ لَصَمَّمَا

وَذٰلِكَ أَنَّهُ يُخْبِرُ أَنَّ ٱلْجِنَايَةَ قَدْ أَثَّرَتْ فِي قَلْبِهِ وَوَلَّدَتْ حِقْدًا فِي نَفْسِهِ وَأَنَّ ٱلَّذِي يَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يَنْتَقِمَ خَوْفُهُ مِنْ تَزَايُدِ ٱلْأَلَمِ وَأَنَّهُ عَلَى أَنْ يُعَاقِبَ إِذَا أَمِنَ ٱلْعَوَاقِبَ وَٱلْمُعَاتَبَةُ بَلِ ٱلْمُعَاقَبَةُ أَحْسَنُ مِنَ ٱلْإِغْضَاءِ عَلَى مِثْلِ هٰذِهِ ٱلْحَالِ

وفي نحو هذا المعنى يقول الوليد بن عبيد الطائي

وَإِذَا رَجَوْتُ ثَنَتْ رَجَايَ شَكِيَّةٌ مِنْ عَاتِبٍ فِي ٱلْحُبِّ غَيْرِ مُعَاتَبِ
لَوْ كَانَ ذَنْبِي غَيْرَ حُبِّكَ أَنَّهُ ذَنْبِي إِلَيْكَ لَكُنْتُ أَوَّلَ تَائِبِ

أَفَلَا تَرَى أَنَّهُ يُخْبِرُ أَنَّ ٱلْإِغْضَاءَ عَلَى ٱلْمُعَاتَبَةِ عَلَى ٱلذَّنْبِ مَعَ مَقَامِ ٱلضَّمِيرِ عَلَى ٱلْعَتْبِ يَقْطَعُ ٱلرَّجَاءَ وَيُؤْيِسُ مِنَ ٱلْوَفَاءِ

الباب الثامن عشر

بُعْدُ ٱلْقُلُوبِ عَلَى قُرْبِ ٱلْمَزَارِ أَشَدُّ مِنْ بُعْدِ ٱلدِّيَارِ مِنَ ٱلدِّيَارِ

ٱلْهَجْرُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَضْرُبٍ هَجْرُ مَلَالٍ وَهَجْرُ دَلَالٍ وَهَجْرُ مُكَافَاةٍ عَلَى ٱلذُّنُوبِ وَهَجْرٌ يُوجِبُهُ ٱلْبُغْضُ ٱلْمُتَمَكِّنُ فِي ٱلْقُلُوبِ فَأَمَّا هَجْرُ ٱلدَّلَالِ فَهُوَ أَلَذُّ مِنْ كَثِيرِ ٱلْوِصَالِ وَأَمَّا هَجْرُ ٱلْمَلَالِ فَيُبْطِلُهُ مِنَ ٱلْأَيَّامِ وَٱللَّيَالِي

إمَّا بِنَأْيِ ٱلدَّارِ وَإمَّا بِطُولِ ٱلاهْتِجَارِ

وفي مثل ذلك يقول الشاعر

لَا تَجْزَعَنْ مِنْ هَجْرِ ذِي مَلَّةٍ   أَظْهَرَ بَعْدَ ٱلْوَصْلِ هِجْرَانَا
يَمَلُّ هٰذَا مِثْلَ مَـا مَلَّ ذَا   فَيَرْجِعُ ٱلْوَصْلُ كَمَا كَانَا

وَأَمَّا ٱلْهَجْرُ ٱلَّذِي يَتَوَلَّدُ عَنِ ٱلذَّنْبِ فَٱلتَّوْبَةُ تُخْرِجُهُ عَنِ ٱلْقَلْبِ وَأَمَّا ٱلْهَجْرُ ٱلَّذِي يُوجِبُهُ ٱلْبُغْضُ ٱلطَّبِيعِيُّ فَهُوَ ٱلَّذِي لَا دَوَاءَ لَهُ وَقَدْ قَالَ ٱلْجَاحِظُ لِكُلِّ شَيْءٍ رَفِيقٌ وَرَفِيقُ ٱلْمَوْتِ ٱلْهَجْرُ وَلَيْسَ ٱلْأَمْرُ كَمَا قَالَ بَلْ لِكُلِّ شَيْءٍ رَفِيقٌ وَرَفِيقُ* ٱلْهَجْرِ ٱلْمَوْتُ ١٣٥

الم تسمع قول ذي الرمة

سَأَلْتُ ذَوِي ٱلْأَهْوَاءِ وَٱلنَّاسَ كُلَّهُمْ   وَكُلَّ فَتًى دَانٍ وَآخَرَ يَنْزَحُ
أَتُقْرَحُ أَكْبَادُ ٱلْمُحِبِّينَ كَٱلَّذِي   أَرَى كَبِدِي مِنْ حُبِّ مَيَّةَ تُقْرَحُ
لَئِنْ كَانَتِ ٱلدُّنْيَا عَلَيَّ كَمَا أَرَى   تَبَارِيحَ مِنْ مَيٍّ فَلَلْمَوْتُ أَرْوَحُ

وفي مثله يقول بعض اهل هذا العصر

مَا لِي أُلَقِّتُ وَجْهاً غَـيْرَ مُلْتَفِتٍ   نَحْوِي وَأَعْطِفُ قَلْباً غَيْرَ مُنْعَطِفِ
يُغْرَى بِهَجْرِي كَمَا أُغْرَى بِأُلْفَتِهِ   هٰـذَا لَعَمْرِي وِدَادٌ جِدُّ مُخْتَلِفِ
حَجَبْتُ عَيْنِي عَنِ ٱلدُّنْيَا وَنَضْرَتِهَا   شَوْقاً وَأَبْرَزْتُهَا لِلْحُزْنِ وَٱلْأَسَفِ
إِلَّا تَكُنْ تَلِفَتْ نَفْسِي عَلَيْكَ فَقَدْ   أَصْبَحْتُ وَٱللهِ مُشْتَاقاً إِلَى ٱلتَّلَفِ

وفي نحو ذلك يقول قيس بن الملوح

فَوَٱللهِ ثُمَّ ٱللهِ إِنِّي لَـدَائِبٌ   أُفَكِّرُ مَا ذَنْبِي إِلَيْهَا فَأَعْجَبُ
وَوَٱللهِ مَـا أَدْرِي عَلَامَ صَرَمْتِنِي   وَأَيَّ أُمُورِي فِيكِ يَا لَيْلُ أَرْكَبُ
أَأَقْطَعُ حَبْلَ ٱلْوَصْلِ فَٱلْمَوْتُ دُونَهُ   أَمَ ٱشْرَبُ كَأْساً مِنْكُمُ لَيْسَ تُشْرَبُ
أَمَ ٱهْرُبُ حَتَّى لَا أَرَى لِي مُجَاوِرًا   أَمَ ٱفْعَلُ مَاذَا أَمْ أَبُوحُ فَأُغْلَبُ

وَإِنَّهُمَا يَا لَيْلُ إِنْ تَفْعَلِي بِنَا   فَآخِرُ مَهْجُورٌ وَأَوَّلُ مُعْتَبُ

وَمَا قِيلَ فِي هٰذَا ٱلْمَعْنَى مِنَ ٱلْأَشْعَارِ ٱلْقَدِيمَةِ وَٱلْمُحْدَثَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحِيطَ بِهِ كِتَابٌ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَتَضَمَّنَهُ بَابٌ

وقال خالد الكاتب

أَرَانِي ذَلِيلَ ٱلنَّفْسِ مُذْ أَنْتَ عَاتِبٌ   وَأَيَّةَ نَفْسٍ لَا تَذِلُّ عَلَى ٱلْهَجْرِ
يُعَاتِبُ بَعْضِي فِيكَ بَعْضاً وَكُلُّهُ   إِلَيْكَ وَحُبُّ ٱلْعَفْوِ يَسْمَحُ بِٱلْعُذْرِ

وقال بعض الاعراب

١٣٦ خَلِيلَيَّ هَلْ يُسْتَخْبَرُ ٱلْأَثْلُ وَٱلْغَضَا   وَمَيْثُ ٱلرُّبَى مِنْ بَطْنِ نُعْمَانَ وَٱلسِّدْرُ*
وَهَلْ يَتَقَالَى بَعْدَ مَا كَانَ صَافِياً   خَلِيلَانِ بَانَا لَيْسَ بَيْنَهُمَا وِتْرُ
نَأَتْ بِهِمَا دَارُ ٱلنَّوَى وَتَرَاقَبَا   عَلَى ٱلضِّغْنِ حَتَّى لَجَّ بَيْنَهُمَا هَجْرُ
إِذَا رُمْتَ إِلَّا مَا عَدَا ٱلدَّهْرُ بَيْنَنَا   وَبَيْنَكَ لَمْ نُلْزِمْكَ مَا صَنَعَ ٱلدَّهْرُ

وقال ذو الرمة

أَلَا لَا أَرَى مِثْلِي يَحِنُّ مِنَ ٱلْهَوَى   وَلَا مِثْلَ هٰذَا ٱلشَّوْقِ لَا يَتَصَرَّمُ
وَلَا مِثْلَ مَا أَلْقَى إِذَا ٱلْحَيُّ فَارَقُوا   عَلَى أَثَرِ ٱلْأَظْعَانِ يَلْقَاهُ مُسْلِمُ
نَفَى حَسْرَةً فِي ٱلنَّفْسِ يَا مَيُّ أَنَّنِي   وَإِيَّاكِ فِي ٱلْأَحْيَاءِ لَا نَتَكَلَّمُ
أَدُورُ حَوَالَيْكِ ٱلْبُيُوتَ كَأَنَّنِي   إِذَا جِئْتُ عَنْ إِتْيَانِ بَيْتِكِ مُحْرِمُ

وقال ايضاً

هَوًى لَكَ لَا يَنْفَكُّ يَدْعُو كَمَا دَعَا   حَمَاماً بِأَجْزَاعِ ٱلْعَقِيقِ حَمَامُ
إِذَا هَمَلَتْ عَيْنِي لَهُ قَالَ صَاحِبِي   بِمِثْلِكَ هٰذَا فِتْنَةٌ وَغَرَامُ
عَلَامَ وَقَدْ فَارَقْتَ مَيّاً وَفَارَقَتْ   فَمِيٌّ عَلَى طُولِ ٱلْبُكَاءِ تُلَامُ
أَطَاعَتْ بِكَ ٱلْوَاشِينَ حَتَّى كَأَنَّمَا   كَلَامُكَ إِيَّاهَا عَلَيْكَ حَرَامُ

وانشدنا احمد بن ابي طاهر قال انشدني ابو سعيد المخزومي

ثِقِي بِجَمِيلِ ٱلصَّبْرِ مِنِّي عَلَى ٱلدَّهْرِ   وَلَا تَثِقِي بِٱلصَّبْرِ مِنِّي عَلَى ٱلْهَجْرِ
فَإِنِّي لَصَبَّارٌ عَلَى مَا يَنُوبُنِي   وَحَسْبُكِ أَنَّ ٱللهَ أَثْنَى عَلَى ٱلصَّبْرِ
وَلَسْتُ بِنَظَّارٍ إِلَى جَانِبِ ٱلْغِنَى   إِذَا كَانَتِ ٱلْعَلْيَاءُ فِي جَانِبِ ٱلْفَقْرِ

وقال الوليد بن عبيد الطائي

عَذِيرِي مِنَ ٱلْأَيَّامِ رَنَّقْنَ مَشْرَبِي   وَلَقَّيْنَنِي نَحْساً مِنَ ٱلطَّيْرِ أَشْأَمَا
وَأَلْبَسْنَنِي سُخْطَ ٱمْرِئٍ بِتُّ مَوْهِناً   أَرَى سُخْطَهُ لَيْلًا مَعَ ٱللَّيْلِ مُظْلِمَا
تَبَلَّجَ عَنْ بَعْضِ ٱلرِّضَا وَٱنْطَوَى عَلَى   بَقِيَّةِ عَتْبٍ شَارَفَتْ أَنْ تَصَرَّمَا* ١٣٧
إِذَا قُلْتُ يَوْماً قَدْ تَجَاوَزَ حَدَّهُ   تَلَبَّثَ فِي أَعْقَابِهَا وَتَلَوَّمَا
وَأَصْيَدَ إِنْ نَازَعْتَهُ ٱلطَّرْفَ رَدَّهُ   كَلِيلًا وَإِنْ رَاجَعْتَهُ ٱلْقَوْلَ أَجْحَمَا
ثَنَاهُ ٱلْعِدَى عَنِّي فَأَصْبَحَ مُعْرِضاً   وَوَهَّمَهُ ٱلْوَاشُونَ حَتَّى تَوَهَّمَا
وَلَوْ أَنَّنِي وَقَّرْتُ شَيْبِي وَقَارَهُ   وَأَجْلَلْتُ شِعْرِي فِيكَ أَنْ يَتَهَضَّمَا
لَأَكْبَرْتُ أَنْ أُومِي إِلَيْكَ بِإِصْبَعٍ   تَضَرُّعُ أَوْ أُدْنِي لِمَعْذِرَةٍ فَمَا
وَكَانَ ٱلَّذِي يَأْتِي بِهِ ٱلدَّهْرُ هَيِّناً   عَلَيَّ وَلَوْ كَانَ ٱلْحِمَامَ ٱلْمُقَدَّمَا
وَلٰكِنَّنِي أُعْلِي مَحَلَّكَ أَنْ أُرَى   مُدِلًّا وَأَسْتَحْيِيكَ أَنْ أَتَعَظَّمَا
وَلَمْ أَدْرِ مَا ٱلذَّنْبُ ٱلَّذِي سُؤْتَنِي بِهِ   فَأَقْتُلَ نَفْسِي حَسْرَةً وَتَنَدُّمَا

وانشدني احمد بن يحيى عن ابي عبدالله بن الاعرابي

أَلَا أَبْلِغْ أَبَا قَيْسٍ رَسُولًا   بِأَنِّي لَمْ أَخُنْكَ فَلَا تَخُنِّي
وَلٰكِنِّي طَوَيْتُ ٱلْكَشْحَ لَمَّا   رَأَيْتُكَ قَدْ طَوَيْتَ ٱلْكَشْحَ عَنِّي
فَلَسْتَ بِمُدْرِكٍ مَا فَاتَ مِنِّي   بِلَهْفَ وَلَا بِلَيْتَ وَلَا لَوَانِّي
وَلَسْتُ بِآمِنٍ أَبَداً خَلِيلًا   عَلَى شَيْءٍ إِذَا لَمْ يَأْتَمِنِّي
وَصَلْتُكَ ثُمَّ عَادَ ٱلْوَصْلُ أَنِّي   قَرَعْتُ نَدَامَةً مِنْ ذَاكَ سِنِّي
فَإِنْ أَعْطِفْ عَلَيْكَ بِفَضْلِ حِلْمٍ   فَمَا قَلْبِي إِلَيْكَ بِمُطْمَئِنِّ

وقال العباس بن الاحنف

لَوْ كُنْتِ عَاتِبَةً لَسَكَّنَ عَبْرَتِي ... أَمَلِي رِضَاكِ وَزُرْتُ غَيْرَ مُرَاقَبِ
لٰكِنْ مَلِلْتِ فَلَمْ تَكُنْ لِيَ حِيلَةٌ ... صَدُّ ٱلْمَلُولِ خِلَافُ صَدِّ ٱلْعَاتِبِ

وقال آخر

وَمُسْتَوْحِشٍ لَمْ يَمْشِ فِي أَرْضِ غُرْبَةٍ ... وَلٰكِنَّهُ مِمَّنْ يَوَدُّ غَرِيبُ
١٣٨ إِذَا رَامَ كِتْمَانَ ٱلْهَوَى نَمَّ دَمْعُهُ ... فَآهٍ لِمَحْزُونٍ جَنَاهُ طَبِيبُ*
أَلَا أَيُّهَا ٱلْبَيْتُ ٱلَّذِي لَا أَزُورُهُ ... وَهِجْرَانُهُ مِنِّي إِلَيْكَ ذُنُوبُ
هَجَرْتُكَ مُشْتَاقًا وَزُرْتُكَ خَائِفًا ... وَمِنِّي عَلَيَّ ٱلدَّهْرَ فِيكَ رَقِيبُ
سَلَامٌ عَلَى ٱلدَّارِ ٱلَّتِي لَا أَزُورُهَا ... وَإِنْ حَلَّهَا شَخْصٌ إِلَيَّ حَبِيبُ

وقال ابو نواس

غَصَصْتُ مِنْكِ بِمَا لَا يَدْفَعُ ٱلْمَاءُ ... وَصَحَّ هَجْرُكِ حَتَّى مَا بِهِ دَاءُ
قَدْ كَانَ يُقْنِعُكُمْ إِذْ كَانَ رَأْيُكُمُ ... أَنْ تَهْجُرُونِي مِنَ ٱلتَّصْرِيحِ إِيمَاءُ
وَمَا جَهِلْتُ مَكَانَ ٱلْآمِرِيكِ بِذَا ... مِنَ ٱلْوُشَاةِ وَلٰكِنْ فِي فَمِي مَاءُ
مَا زِلْتُ أَسْمَعُ حَتَّى صِرْتُ ذَاكَ بِمَنْ ... قَامَتْ قِيَامَتُهُ وَٱلنَّاسُ أَحْيَاءُ

وقال ايضاً

صَلِيتُ مِنْ حُبِّهَا نَارَيْنِ وَاحِدَةً ... جَوْفَ ٱلْفُؤَادِ وَأُخْرَى بَيْنَ أَحْشَائِي
وَقَدْ مَنَعْتُ لِسَانِي أَنْ يَبُوحَ بِهِ ... فَمَا يُعَبِّرُ عَنِّي غَيْرُ إِيمَائِي
يَا وَيْحَ أَهْلِي أُبَلَّى بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ ... عَلَى ٱلْفِرَاشِ وَلَا يَدْرُونَ مَا دَائِي
لَوْ كَانَ زُهْدُكِ فِي ٱلدُّنْيَا كَزُهْدِكِ فِي ... وَصْلِي مَشَيْتِ بِلَا شَكٍّ عَلَى ٱلْمَاءِ

وَبَلَغَنِي عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ أَنَّهُ قَالَ بَيْنَا أَنَا بِٱلْكَعْبَةِ إِذْ رَأَيْتُ أَبَا ٱلسَّائِبِ ٱلْمَخْزُومِيَّ مُتَعَلِّقًا بِأَسْتَارِ ٱلْكَعْبَةِ وَهُوَ يَقُولُ

يَا هَجْرُ كُفَّ عَنِ ٱلْهَوَى وَدَعِ ٱلْهَوَى ... لِلْعَاشِقِينَ يَطِيبُ يَا هَجْرُ

مَـاذَا تُرِيدُ مِنَ ٱلَّذِينَ جُفُونُهُمْ قَرْحَى وَحَشْوُ صُـدُورِهِمْ جَمْرُ
وَسَوَابِقُ ٱلْعَبَرَاتِ بَيْنَ خُدُودِهِمْ دُرَرٌ تَفِيضُ كَأَنَّهَـا ٱلْقَطْرُ
مُتَحَيِّرِينَ مِنَ ٱلْهَوَى أَلْوَانُهُمْ مِمَّا تَـكِنُّ صُـدُورُهُمْ صُفْرُ

قَالَ فَقُلْتُ يَا أَبَا ٱلسَّائِبِ فِي مِثْلِ هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ تُنْشِدُ مِثْـلَ هٰذَا فَقَالَ إِلَيْكَ عَنِّي يَا أَبَا مُحَمَّدٍ فَوَٱللّٰهِ لَلدُّعَاءُ لَهُمْ فِي مِثْلِ هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ أَفْضَلُ مِنْ حِجَّةٍ وَعُمْرَةٍ* ١٣٩

ولقد احسن الفرزدق حيث يقول

عَزَفْتَ بِأَعْشَاشٍ وَمَا كِدْتَ تَعْزِفُ   وَأَنْكَرْتَ مِنْ حَدْرَاءَ مَا كُنْتَ تَعْرِفُ
وَلَجَّ بِكَ ٱلْهِجْرَانُ حَتَّى كَأَنَّمَا   تَرَى ٱلْمَوْتَ فِي ٱلْبَيْتِ ٱلَّذِي كُنْتَ تَأْلَفُ

وقال

لَئِنْ كَانَ فِي ٱلْهِجْرَانِ أَجْرٌ لَقَدْ مَضَى   لِيَ ٱلْأَجْرُ فِي ٱلْهِجْرَانِ مُذْ سَنَتَانِ
فَوَٱللّٰهِ مَا أَدْرِي أَكُلُّ ذَوِي هَوًى   عَلَى مَـا بِنَـا أَمْ نَحْنُ مُبْتَلَيَانِ

وقال الحارث بن خالد المخزومي

إِنْ يُمْسِ حَبْلُكِ بَعْدَ طُولِ تَوَاصُلٍ   خَلِقاً وَأَصْبَحَ بَيْتُكُمْ مَهْجُورَا
فَلَقَدْ أَرَانِي وَٱلْجَدِيـدُ إِلَى بِلًى   زَمَناً بِوَصْلِـكِ رَاضِياً مَسْرُورَا
كُنْتِ ٱلْهَوَى وَأَعَزَّ مَنْ وَطِئَ ٱلْحَصَى   عِنْدِي وَكُنْتُ بِذَاكِ مِنْكِ جَدِيرَا

وقال آخر

وَقَـالَ نِسَاءٌ لَسْنَ لِي بِنَوَاصِحٍ   لِيَعْلَمْنَ مَا أُخْفِي وَيَعْلَمْنَ مَا أُبْدِي
[أَ]أَحْبَبْتَ لَيْلَى جَهْدَ حُبِّكَ كُلِّهِ   لَعَمْرُ أَبِي لَيْلَى وَزِدْتُ عَلَى ٱلْجَهْدِ
عَلَى ذَاكَ مَا يَمْحُو لِيَ ٱلذَّنْبَ عِنْدَهَا   وَتَمْحُو دَوَاعِي حُبِّهَا ذَنْبَهَا عِنْدِي
أَلَا إِنَّ قُرْبَ ٱلدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ   وَقَلْبُ ٱلَّذِي تَهْوَاهُ مِنْكَ عَلَى ٱلْبُعْدِ

ولبعض اهل هذا العصر

لَعَمْرُكَ مَا قُرْبُ ٱلدِّيَارِ بِنَافِعٍ إِذَا لَمْ يَصِلْ حَبْلَ ٱلْحَبِيبِ حَبِيبُ
وَلَيْسَ غَرِيباً مَنْ تَنَاءَتْ دِيَارُهُ وَلٰكِنَّ مَنْ يُجْفَى فَذَاكَ غَرِيبُ
وَمَنْ يَغْتَرِبْ وَٱلْإِلْفُ رَاعٍ لِعَهْدِهِ وَإِنْ جَاوَزَ ٱلسَّدَّيْنِ فَهْوَ قَرِيبُ

وقال آخر

١٤٠ لَوْ كُنْتَ فِي بَلَدٍ وَنَحْنُ بِغَيْرِهِ مَا كَانَ عِنْدَكَ فِي ٱلْجَفَاءِ مَزِيدُ*
قُرْبُ ٱلْمَزَارِ وَأَنْتَ نَاءٍ لَا يُرَى وَإِذَا ٱلْقَرِيبُ جَفَاكَ فَهْوَ بَعِيدُ

وقال ابو تمام

وَنَأَى ٱلْهَجْرُ بِٱلَّذِي لَا أُسَمِّي فَأَنَا مِنْهُ فِي ٱلْقَرِيبِ ٱلْبَعِيدِ
فَفِرَاقٌ أَصَابَنِي مِنْ فِرَاقٍ وَفِرَاقٌ أَصَابَنِي مِنْ صُدُودِ
لَيْسَ مَنْ كَانَ غَائِباً فَقَدَتْهُ ٱلْـ ـعَيْنُ غَيْباً كَٱلشَّاهِدِ ٱلْمَفْقُودِ

وقال البحتري

يَسُوءُكَ أَلَّا عَطْفَ عِنْدَ ٱنْعِطَافِهِ وَيُشْجِيكَ أَلَّا عَدْلَ عِنْدَ ٱعْتِدَالِهِ
فَمَا حِيلَةُ ٱلْمُشْتَاقِ فِيمَنْ يَشُوقُهُ إِذَا حَالَ هٰذَا ٱلْهَجْرُ دُونَ ٱحْتِيَالِهِ

ولقد احسن علي بن محمد العلوي في قوله

هَوَاكَ هُوَ ٱلدُّنْيَا وَنَيْلُكَ مُلْكُهَا وَهَجْرُكَ مَقْرُونٌ بِكُلِّ هَوَانِ
كَذَبْتُكَ مَا قُلْتُ ٱلَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ بَلَى لَمْ يَجِدْ مَا فَوْقَ ذَاكَ لِسَانِي

الباب التاسع عشر

مَا عَتَبَ مَنِ ٱغْتَفَرَ وَلَا أَذْنَبَ مَنِ ٱعْتَذَرَ

أَلْمُعْتَذِرُ لَا يَنْفَكُّ مِنْ إِحْدَى حَالَيْنِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ صَادِقاً أَوْ كَاذِباً فَإِنْ

كَانَ صَادِقاً فَعُذْرُهُ مَقْبُولٌ وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَإِنَّهُ لَمْ يَتَجَشَّمْ مَضَاضَةَ ٱلْكَذِبِ فِي نَفْسِهِ إِلَّا لِنَفَاسَةِ صَاحِبِهِ فِي صَدْرِهِ وَمَنْ كَانَ بِهٰذِهِ ٱلْحَالِ قُبِلَ عُذْرُهُ بَلْ وَجَبَ شُكْرُهُ

وقد قال البحتري

إِقْبَلْ مَعَاذِيرَ مَنْ يَأْتِيكَ مُعْتَذِرًا إِنْ بَرَّ عِنْدَكَ فِيمَا قَالَ أَوْ فَجَرَا
فَقَدْ أَطَاعَكَ مَنْ يُرْضِيكَ ظَاهِرُهُ وَقَدْ أَجَلَّكَ مَنْ يَعْصِيكَ مُسْتَتِرَا

ولبعض اهل هذا العصر

أَنْتَ ٱبْتَدَأْتَ بِمِيعَادِي فَأَوْفِ بِهِ وَلَا تَرَبَّصْ بِهِ صَرْفَ ٱلْمَقَادِيرِ * ١٤١
وَلَا تَكِلْنِي إِلَى عُذْرٍ تُزَخْرِفُهُ فَٱلذَّنْبُ أَحْسَنُ مِنْ بَعْضِ ٱلْمَعَاذِيرِ

وله ايضاً

إِلَى ٱللهِ أَشْكُو مَنْ بَدَانِي بِوَصْلِهِ فَلَمَّا حَوَى قَلْبِي بَرَاهُ بِبُخْلِهِ
سَأَجْرُ نَفْسِي عَنْ تَقَاضِيهِ رَاضِياً إِلَى أَنْ أَرَاهُ سَاخِطاً بَعْدَ فِعْلِهِ
وَآخُذُ مِنْهُ ٱلْعَفْوَ مَا دَامَ بَاخِلًا وَأَنْهَى لِسَانِي أَنْ يَعُودَ لِبَذْلِهِ
فَرُبَّ ٱعْتِذَارٍ قَدْ تَمَنَّيْتُ أَنَّنِي خَرِسْتُ وَأَنِّي لَمْ أُخَاطِبْ بِمِثْلِهِ

وقال آخر

لَمْ أَجْنِ ذَنْباً فَإِنْ زَعَمْتَ بِأَنْ أَتَيْتُ ذَنْباً فَغَيْرُ مُعْتَمَدِ
قَدْ تَطْرِفُ ٱلْكَفُّ عَيْنَ صَاحِبِهَا فَلَا يَرَى قَطْعَهَا مِنَ ٱلرَّشَدِ

وقال آخر

مَا أَحْسَنَ ٱلْعَفْوَ مِنَ ٱلْقَادِرِ لَاسِيَّمَا عَنْ غَيْرِ ذِي نَاصِرِ
إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ وَلَا ذَنْبَ لِي فَمَا لَهُ غَيْرُكَ مِنْ غَافِرِ
أَعُوذُ بِٱلْوُدِّ ٱلَّذِي بَيْنَنَا أَنْ تُفْسِدَ ٱلْأَوَّلَ بِٱلْآخِرِ

وقال اخر

هَبْنِي أَسَأْتُ وَقَدْ أَتَيْـ تُ بِمِثْلِ ذَنْبِ أَبِي لَهَبْ
فَأَنَا أَتُوبُ وَمَا أَسَأْ تُ وَكَمْ أَسَأْتَ فَلَمْ تَتُبْ

وقال آخر

هَبِينِي يَا مُعَذِّبَتِي أَسَأْتُ وَبِالْهِجْرَانِ قَبْلَكُمُ بَدَأْتُ
فَأَيْنَ الْفَضْلُ مِنْكِ فَدَتْكِ نَفْسِي عَلَيَّ إِذَا أَسَأْتِ كَمَا أَسَأْتُ

ولبعض اهل هذا العصر

١٤٢ لِجُرْمِي عِقَابٌ وَالتَّجَاوُزُ مُمْكِنٌ وَأَوْلَاهُمَا إِسْعَافُ مَنْ صَحَّ صِدْقُهُ*
فَإِنْ لَمْ تُجَاوِزْ حَسْبَ مَا تَسْتَحِقُّهُ فَلَا تَتَجَاوَزْ حَسْبَ مَا أَسْتَحِقُّهُ

وله ايضاً

أَلْعُذْرُ يَلْحَقُهُ التَّحْرِيفُ وَالْكَذِبُ وَلَيْسَ فِي غَيْرِ مَا يُرْضِيكَ لِي أَرَبُ
وَقَدْ أَسَأْتُ فَبِالنُّعْمَى الَّتِي سَلَفَتْ لَمَّا مَنَنْتَ بِعَفْوٍ مَا لَهُ سَبَبُ

وقال آخر

لَا وَالَّذِي إِنْ كَذَبْتُ الْيَوْمَ عَذَّبَنِي وَإِنْ صَدَقْتُكُمُ فَاللّٰهُ نَجَّانِي
مَا قَرَّتِ الْعَيْنُ بِالْأَبْدَالِ بَعْدَكُمُ وَلَا وَجَدْتُ لَذِيذَ الْعَيْشِ يَغْشَانِي
إِنِّي وَجَدْتُ بِكُمْ مَا لَمْ يَجِدْ أَحَدٌ جِنٌّ بِجِنٍّ وَلَا إِنْسٌ بِإِنْسَانِ

وقال البحتري

أَأَنْسَى مَنْ يُذَكِّرُ فِيهِ أَلَّا شَبِيهَ لَهُ يُعَدُّ وَلَا ضَرِيبُ
وَقَدْ أَكْدَى الصَّوَابُ عَلَيَّ حَتَّى وَدِدْتُ بِأَنَّ شَانِيَّ الْمُصِيبُ
فَإِنْ لَا تُحْسَبِ الْحَسَنَاتُ مِنْهَا لِصَاحِبِهَا فَلَا تُحْصَى الذُّنُوبُ
أَتُوبُ مِنَ الْإِسَاءَةِ إِنْ أَلَمَّتْ وَأَعْرِفُ مَنْ يُسِيءُ وَلَا يَتُوبُ

وقال ايضاً

أَللّٰهُ يَعْلَمُ وَالدُّنْيَا مُنَغَّصَةٌ وَالْعَيْشُ مُنْتَقِلٌ وَالدَّهْرُ ذُو دُوَلِ

لَأَنتَ عِندِي وَإِن سَاءَت ظُنُونُكَ بِي   أَحظَى مِنَ ٱلأَمنِ عِندَ ٱلخَائِفِ ٱلوَجِلِ

ولعبيد الله بن طاهر

إِغتَفِرْ زَلَّتِي لِتُحرِزَ فَضلَ ٱلشُّكـ   ـرِ مِنِّي وَلَا يَفُوتَـكَ أَجرِي
لَا تَكِلنِي إِلَى ٱلتَّوَسُّلِ بِٱلعُـذْ   رِ لَعَلِّي أَلَّا أَقُومَ بِعُـذْرِي

وقال آخر

فَإِنْ لَا أَكُنْ لِلفَضلِ أَهلًا فَإِنَّكُمْ   بِفَضلِكُمُ لِلعَفوِ عَن مُذنِبٍ أَهلُ* ١٤٣
فَفَضلَـكَ أَرجُو لَا ٱلبَرَاءَةَ إِنَّـهُ   أَبَى ٱللهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَكَ ٱلفَضلُ

وقال محمد بن عبد الملك الزيات

رَفَعَ ٱللهُ عَنـكَ نَائِبَةَ ٱلـدَّهْـ   ـرِ وَحَاشَاكَ أَنْ تَكُونَ عَلِيـلَا
أُشهِـدُ ٱللهَ مَـا عَلِمتُ وَمَـا ذَا   كَ مِنَ ٱلعُـذرِ جَائِزًا مَقبُولَا
فَٱجعَلَنْ لِي إِلَى ٱلتَّوَسُّلِ بِٱلعُـذْ   رِ سَبِيلًا إِذْ لَمْ أَجِـدْ لِي سَبِيلَا
فَقَدِيمًا مَا جَادَ ذُو ٱلفَضلِ بِٱلصَّفحِ   وَمَـا سَامَحَ ٱلخَلِيـلُ ٱلخَلِيلَا

وقال الحسين الخليع

بِنَفسِي حَبِيبٌ لَا يَمَـلُّ ٱلتَّعَتُّبَا   إِذَا زِدتُهُ فِي ٱلعُـذرِ زَادَ تَعَصُّبَا
يُطِيلُ ضِرَارِي بِٱمتِحَانِ صَبَابَتِي   وَقَدْ عَلِمَ ٱلمَكنُونَ مِنهَا ٱلمُغَيَّبَا
فَلَستُ أُنَاجِي غَيرَهُ مُذْ عَرَفتُـهُ   فَـأَنظُرَ إِلَّا خَائِفًا مُتَرَقِّبَـا
أَيَا مَنْ تَجَنَّى ٱلذَّنبَ أَعلَمُ أَنَّـهُ   عَلَى ثِقَةٍ أَنْ لَستُ بِٱلغَيبِ مُذنِبَا
أَمَا لِخُضُوعِي مِنْ ضَمِيرِكَ شَافِعٌ   مِنَ ٱلسُّقْمِ [قَدْ يَشفِي] ٱلمُلِحَّ ٱلمُعَذَّبَا

أَمَّا ٱعتِذَارُهُ بِأَنَّهُ لَا يُنَاجِي غَيرَ صَاحِبِهِ إِلَّا خَائِفًا مُتَرَقِّبًا فَقَبِيحٌ جِدًّا وَلَعَمرِي إِنَّ ٱلإِصرَارَ عَلَى ٱلغَدرِ أَصلَحُ مِنَ ٱلتَّنَصُّلِ بِهَذَا ٱلعُذرِ [إِذْ] مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَيهِ رَقِيبٌ مِنْ نَفسِهِ يَصُونُهَا عَنْ مَكَارِهِ إِلفِهِ فَلَا دَرْكَ فِي مَوَدَّتِهِ

وقد قال بعض اهل هذا العصر في هذا النحو

كَأَنَّ رَقِيباً مِنْكَ يَرْعَى خَوَاطِرِي ... وَآخَرَ يَرْعَى نَاظِرِي وَلِسَانِي
فَمَا عَايَنَتْ عَيْنَايَ بَعْدَكَ مَنْظَراً ... يَسُوءُكَ إِلَّا قُلْتُ قَدْ رَمَقَانِي
وَلَا بَدَرَتْ مِنْ فِيَّ بَعْدَكَ مَزْحَةٌ ... لِغَيْرِكَ إِلَّا قُلْتُ قَدْ سَمِعَانِي
وَلَا خَطَرَتْ مِنْ ذِكْرِ غَيْرِكَ خَطْرَةٌ ... عَلَى ٱلْقَلْبِ إِلَّا عَرَّجَا بِعِنَانِ
١٤٤ إِذَا مَا تَسَلَّى ٱلْعَاذِرُونَ عَنِ ٱلْهَوَى ... بِشُرْبِ مُدَامٍ أَوْ سَمَاعِ قِيَانِ*
وَجَدْتُ ٱلَّذِي يُسْلِي سِوَايَ يَشُوقُنِي ... إِلَى قُرْبِكُمْ حَتَّى أَمَلَّ مَكَانِي
وَفِتْيَانِ صِدْقٍ قَدْ سَئِمْتُ لِقَاءَهُمْ ... وَعَفَّفْتُ طَرْفِي عَنْهُمُ وَلِسَانِي
وَمَا ٱلزُّهْدُ أَسْلَى عَنْهُمُ غَيْرَ أَنَّنِي ... أَرَاكَ عَلَى كُلِّ ٱلْجِهَاتِ تَرَانِي

واتم من هذا قول مسلم بن الوليد

رَحَلْتُ مُذْ يَوْمِ نَادَوْا بِٱلرَّحِيلِ عَلَى ... آثَارِهِمْ ثُمَّ لَمْ أَنْظُرْ إِلَى أَحَدِ
أَغَضَّتْ عَنِ ٱلْخَلْقِ عَيْنِي مَا تَرَى حَسَناً ... فِي ٱلنَّاسِ حَتَّى تَرَاهُمْ آخِرَ ٱلْأَبَدِ

وقال آخر

لِأَيِّ شَيْءٍ صَدَدْتَ عَنِّي ... يَا بَائِناً بِٱلْعَزَاءِ مِنِّي
أَكَانَ مِنِّي فَعَالُ سُوءٍ ... يَحْسُنُ فِي مِثْلِهِ ٱلتَّجَنِّي
إِنَّ شَفِيعِي إِلَيْكَ مِنِّي ... دُمُوعُ عَيْنِي وَحُسْنُ ظَنِّي
فَبِٱلَّذِي سَاقَنِي ذَلِيلاً ... إِلَيْكَ أَلَّا عَفَوْتَ عَنِّي

وقال آخر

كُلَّ يَوْمٍ يَقُولُ لِي لَكَ ذَنْبٌ ... يَتَجَنَّى وَلَا يَرَى ذَاكَ مِنِّي
فَأَنَا ٱلدَّهْرَ فِي ٱعْتِذَارٍ إِلَيْهِ ... فَإِذَا مَا رَضِي فَلَيْسَ يَهِنِّي
رُبَّمَا جِئْتُهُ أُسَلِّفُهُ ٱلْعُذْ ... رَ لِبَعْضِ ٱلذُّنُوبِ خَوْفَ ٱلتَّجَنِّي

وقال علي بن الجهم

عَفَا ٱللّٰهُ عَنْـكَ مَـا حُرْمَةٌ أُعُوذُ بِعَفْوِكَ أَنْ أُبْعَـدَا
أَلَمْ تَرَ عَبْـدًا عَدَا طَوْرَهُ وَمَوْلًى عَفَا وَرَشِيدًا هَـدَى
وَمُفْسِدَ أَمْرٍ تَـلَافَيْتَهُ فَعَـادَ فَأَصْلَحَ مَـا أَفْسَدَا
أَقِلْنِي أَقَالَـكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ يَقِيكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ ٱلرَّدَى
لَئِنْ جَلَّ ذَنْبٌ وَلَمْ أَعْتَمِدْهُ لَأَنْتَ أَجَـلُّ وَأَعْلَى يَدَا* ١٤٥

وقال البحتري

يُخَوِّفُنِي مِنْ سُوءِ رَأْيِكَ مَعْشَرٌ وَلَا خَوْفَ إِلَّا أَنْ تَجُورَ وَتَظْلِمَا
أُعِيذُكَ أَنْ أَخْشَاكَ مِنْ غَيْرِ حَادِثٍ أَتَيْتُ وَلَا جُرْمٍ إِلَيْـكَ تَقَدَّمَـا
أَقِرُّ بِمَا لَمْ أَجْنِـهِ مُتَنَصِّـلًا إِلَيْكَ عَلَى أَنِّي إِخَالُكَ أَلْوَمَـا

وقال ايضاً

وَعِتَابِ خِلٍّ قَدْ سَمِعْتُ فَلَمْ أَكُنْ جَلْدَ ٱلضَّمِيرِ عَلَى ٱسْتِمَاعِ مُمِضِّهِ
طَافَ ٱلْوُشَاةُ بِهِ فَأَحْدَثَ ظُلْمَةً فِي جَوِّهِ وَوُعُورَةً فِي أَرْضِـهِ
غَضْبَانُ حُمِّلَ إِحْنَةً لَوْ حُمِّلَتْ ثَبَجَ ٱلصَّبَاحِ لَثُقِّلَتْ مِنْ نَهْضِهِ
مَهْلًا فِدَاكَ أَخُوكَ قَدْ أَلْهَيْتَهُ عَنْ لَهْوِهِ وَشَغَلْتَـهُ عَنْ غُمْضِهِ
خَزْيَانُ أَكْبَرَ أَنْ تَظُنَّ جِنَايَـةً فِي بَسْطِهِ لِصَـدِيقِهِ أَوْ قَبْضِـهِ
مَـاذَا تَوَهَّمُ أَنْ يَقُولَ وَقَوْلُـهُ فِي نَفْسِهِ وَلِسَانُـهُ فِي عِرْضِـهِ
أَنَبَوْتُ عَنْكَ بِزَعْمِهِمْ وَمَتَى نَبَا فِي حَالَةٍ بَعْضُ ٱمْرِئٍ عَنْ بَعْضِهِ

وقال بعض اهل هذا العصر

أَخُوكَ ٱلَّذِي أَمْسَى بِذِكْرِكَ مُغْرَمَا يَتُوبُ إِلَيْـكَ ٱلْيَوْمَ مِمَّا تَقَدَّمَـا
فَإِنْ لَمْ تَصِلْهُ رَغْبَةً فِي وِصَالِـهِ وَلَمْ تَكُ مُشْتَاقًا فَصِلْهُ تَـكَرُّمَـا
فَقَدْ وَٱلَّذِي عَافَاكَ مِمَّا ٱبْتَلَى بِهِ تَنَـدَّمَ لَوْ أَرْضَـاكَ أَنْ يَتَنَدَّمَا
وَبِٱللّٰهِ مَا كَانَ ٱلصُّدُودُ ٱلَّذِي مَضَى مَلَالًا وَلَا كَانَ ٱلْجَفَـاءُ تَبَرُّمَـا

فَلا تَحْرِبَنَّ بِالنَّدْرِمَن صَدَّ مُكْرَهاً   وَأَظْهَرَ إِعْرَاضاً وَأَبْـدَى تَجَهُّمـا
فَلَمْ يُلْهِـهِ عَنْـكَ السُّلُوُّ وَإِنَّمَا   تَـأَخَّرَ لَمَّا لَمْ يَجِـدْ مُتَقَدَّمـا

وقال آخر

كُحِلَتْ مُقْـلَتِي بِشَوْكِ الْقَتَـادِ   لَمْ أَذُقْ مُذْ حُمِمْتَ طَعْمَ الرُّقَـادِ
يَا أَخِي الْبَـاذِلُ الْمَوَدَّةِ وَالنَّـا   زِلُ مِنْ مُقْلَتِي مَكَانَ السَّوَادِ
مَنَعَتْنِي عَلَيْـكَ رِقَّـةُ قَلْبِي   مِنْ دُخُولِي عَلَيْكَ فِي الْعُوَّادِ
لَوْ بِأُذْنِي سَمِعْتُ مِنْـكَ أَنِيناً   لَتَفَتَّـا مَعَ الْأَنِينِ فُؤَادِي

وقال علي بن الجهم

إِنَّ دُونَ السُّؤَالِ وَالْإِعْتِذَارِ   خُطَّةً صَعْبَـةً عَلَى الْأَحْرَارِ
لَيْسَ جَهْلاً بِهَا تَوَرَّدَهَـا الْحُـ   رُّ وَلٰكِنْ سَوَابِقُ الْأَقْدَارِ
إِرْضَ لِلسَّائِلِ الْخُضُوعَ وَلِلْقَا   رِفِ ذَنْباً مَضَاضَةَ الْإِعْتِذَارِ

وقال آخر

هَاجَرْتَنِي ثُمَّ لَا كَلَّمْتَنِي أَبَدَا   إِنْ كُنْتُ خُنْتُكَ فِي حَالٍ مِنَ الْحَالِ
أَوِ انْتَجَيْتُ نَجِيّاً فِي خِيَانَتِكُمْ   وَخِفْتُ خَطْرَتَهَـا مِنِّي عَلَى بَالِ
فَسَوَّغِينِي الْمُنَى كَيْمَا أَعِيشَ بِهَـا   ثُمَّ اطْلِقِي الْبُخْلَ مَا أَطْلَقْتِ آمَالِي

ولبعض اهل هذا العصر

أَتُوبُ إِلَيْكَ مِنْ نَقْضِ الْعُهُودِ   لِتُؤْمِنَ مُقْلَتَيَّ مِنَ السُّهُودِ
أَسَأْتُ فَـلَا تُعَنِّ بِالدَّعَـاوَى   فَهَا أَنَذَا أُقِرُّ بِـلَا شُهُودِ
وَقَدْ كَانَ الْجُحُودُ عَلَيَّ سَهْـلاً   وَلٰكِنِّي أَنِفْتُ مِنَ الْجُحُودِ
فَقُلْ لِي لَا عَدِمْتُكَ مِنْ مُسِيءٍ   بِمَا اسْتَحْلَلْتَ نَقْضَ عُرَى الْعُهُودِ
أَلَا يَا نَفْسُ قَدْ أَخْطَأْتِ فِيمَا   أَتَيْتِ فَإِنْ نَجَوْتِ فَلَا تَعُودِي
فَكَمْ جَانٍ تَجَافَى غَيْرَ جَهْـلٍ   فَعَـادَ فَلَمْ يَـذُقْ طَعْمَ الْهُجُودِ

وقال منصور النمري

لَعَلَّ لَـهُ عُـذْرًا وَأَنتَ تَلُومُ وَكَمْ لَائِمٍ قَدْ لَامَ وَهُوَ مُلِيمُ
أَخٌ لَـكَ مُشْتَاقٌ تَذَكَّرَ خُلَّـةً لَهَا عِنْـدَهُ وُدٌّ فَبَـاتَ يَهِيمُ* ١٤٧
سَلَامٌ عَلَى أُمِّ ٱلْوَلِيدِ وَذِكْرِهَا وَعَهْـدٍ لَهَا لَمْ يُنْسَ وَهُوَ قَـدِيمُ

الباب العشرون

إِذَا ظَهَرَ ٱلْغَدْرُ سَهُلَ ٱلْهَجْرُ

أَلْعِلَّةُ فِي سُهُولَةِ ٱلْهَجْرِ عِنْدَ ظُهُورِ ٱلْغَدْرِ ضَرْبٌ مِنَ ٱلْمَكْرُوهِ وَكُلُّ مَكْرُوهٍ فَبُعْدُ ٱلنَّفْسِ عَنْهُ خَيْرٌ لَهَا مِنَ ٱلْقُرْبِ مِنْهُ وَعَلَى أَنَّ نَفْسَ ٱلْمُحِبِّ إِذَا ٱسْتَيْقَنَتْ بِٱلْغَدْرِ لَمْ تَرْضَ بِمُقَاوَمَةِ ٱلْهَجْرِ لِأَنَّ فِي ٱلْهَجْرِ ضَرْبٌ مِنَ ٱلتَّأْدِيبِ وَضَرْبٌ مِنَ ٱلِانْتِقَامِ وَٱلنَّفْسُ ٱلْمُرَّةُ لَا تَعْبَأُ بِمَنْ غَـدَرَ بِهَا وَلَا تَسْتَصْلِحُهُ بِمُعَاتَبَةٍ وَلَا تَرْصُدُهُ بِمُعَاقَبَةٍ بَلْ تُخَلِّي فِكْرَهَا عَنْ ذِكْرِهِ وَتَصُونُ خَوَاطِرَهَا عَنِ ٱلْخَوْضِ فِي أَمْرِهِ

وفي هذا النحو يقول بعض اهل هذا العصر

يَا قَلْبُ قَدْ خَانَ مَنْ كَلِفْتَ بِـهِ فَخَلِّ عَنْـكَ ٱلْبُكَاءَ فِي أَثَرِهْ
شُغْلُـكَ بِـٱلْفِكْرِ فِي تَغَيُّرِهِ أَعْظَمُ مِمَّـا لَقِيتَ مِنْ غِيَرِهْ
فَٱرْحَـلْ فَمَنْ لَا يُحِـلُّ مَوْرِدَهُ يُفَضْ بِـهِ صَفْوُهُ إِلَى كَـدَرِهْ
وَٱرْجِعْ إِلَى ٱللهِ فِي ٱلْأُمُورِ فَلَنْ تَقْـدِرَ أَنْ تَسْتَجِيرَ مِنْ قَـدَرِهْ

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ تَضْعُفُ قُوَاهُ عَنْ هٰذِهِ ٱلْحَالِ فَلَا يَسْأَلُ عَمَّا يَصِيرُ إِلَيْهِ مِنَ ٱلنَّكَالِ وَكُلُّ ذٰلِكَ عَلَى حَسَبِ ٱلتَّوْفِيقِ وَٱلْخِذْلَانِ نَسْأَلُ ٱللهَ خَيْرَ

عَوَاقِبِ ٱلْأُمُورِ وَنَسْتَكْفِيهِ كُلَّ مُهِمٍّ وَمَحْذُورٍ

قال امرؤ القيس بن حجر

إِذَا قُلْتُ هٰذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيتُهُ وَقَرَّتْ بِهِ ٱلْعَيْنَانِ بُدِّلْتُ آخَرَا
وَذٰلِكَ أَنِّي لَمْ أَثِقْ بِمُصَاحِبٍ مِنَ ٱلنَّاسِ إِلَّا خَانَنِي وَتَغَيَّرَا

وقال الاحوص

أَقُولُ لَمَّا ٱلْتَقَيْنَا وَهْيَ صَادِفَةٌ عَنِّي لِيُهْنِكَ مَنْ تُدْنِينَهُ دُونِي
١٤٨ إِنِّي سَأَمْنَحُكِ ٱلْهِجْرَانَ مُعْتَزِمًا مِنْ غَيْرِ بُغْضٍ لَعَلَّ ٱلْهَجْرَ يُسْلِينِي*
[وَ]مُثْنِيًا رَجْعَ أَيَّامٍ لَنَا سَلَفَتْ سَقْيًا وَرَعْيًا لِذَاكَ ٱلدِّينِ مِنْ دِينِ

وَبَلَغَنِي أَنَّ نُصَيْبًا أَتَى إِلَى صَاحِبَتِهِ فَدَفَعَ ٱلْبَابَ لِيَدْخُلَ إِلَيْهَا فَرَأَى عِنْدَهَا فَتًى تُحَدِّثُهُ فَقَالَتْ لَهُ ٱدْخُلْ يَا أَبَا مِحْجَنٍ فَأَنْشَأَ يَقُولُ

أَرَاكِ طَمُوحَ ٱلْعَيْنِ مَذَّاقَةَ ٱلْهَوَى لِكُلِّ خَلِيلٍ مِنْكِ وَصْلٌ مُطَرَّفُ
مَتَى تَجْمَعِي رِدْفَيْنِ لَا أَكُ مِنْهُمَا فَهَبِي بِفَرْدٍ لَسْتُ مِمَّنْ يُرَدَّفُ

ثُمَّ تَرَكَ ٱلْبَابَ وَلَمْ يَسُدَّهُ وَٱنْصَرَفَ

وقال ابو نواس

وَمُظْهِرَةٍ لِخَلْقِ ٱللهِ عِشْقًا وَتُلْقَى بِٱلْمَحَبَّةِ وَٱلسَّلَامِ
أَتَيْتُ فُؤَادَهَا أَشْكُو إِلَيْهِ فَلَمْ أَخْلُصْ إِلَيْهِ مِنَ ٱلزِّحَامِ
فَيَا مَنْ لَيْسَ يُقْنِعُهُ خَلِيلٌ وَلَا أُلْفَا خَلِيلٍ كُلَّ عَامِ
أَرَاكِ بَقِيَّةً مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَهُمْ لَا يَصْبِرُونَ عَلَى طَعَامِ

وقال العباس بن الاحنف

كَتَبَتْ تَلُومُ وَتَسْتَرِيبُ زِيَارَتِي وَتَقُولُ لَسْتَ لَنَا كَعَهْدِ ٱلْعَاهِدِ
فَأَجَبْتُهَا وَمَدَامِعِي مُنْهَلَّةٌ تَجْرِي عَلَى ٱلْخَدَّيْنِ غَيْرَ جَوَامِدُ
يَا عُتْبُ لَمْ أَهْجُرْكُمُ لِمَلَالَةٍ حَدَثَتْ وَلَا لِمَقَالِ وَاشٍ حَاسِدِ

لٰكِنَّنِي جَرَّبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ لَا تَصْبِرُونَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدِ

وقال القعقاع الاسدي

أَصَارِمَةٌ أَمْ لَا حِبَالُكَ زَيْنَبُ وَمَا بَيْنَ صَرْمِ ٱلْحَبْلِ وَٱلْوَصْلِ مَذْهَبُ
بَلَى إِنَّ أَرْمَاقاً ضِعَافاً هِيَ ٱلَّتِي يُغَرُّ بِهَا ٱلنِّكْسُ ٱلدَّنِيءُ وَيُكْذَبُ
وَمَا أَنَا بِٱلنِّكْسِ ٱلدَّنِيءِ وَلَا أُرَى إِذَا رَامَ صَرْمِي ذُو ٱلْمَوَدَّةِ أَغْضَبُ
وَلٰكِنَّهُ مَا دَامَ دُمْتُ وَإِنْ يَكُنْ لَهُ مَذْهَبٌ عَنِّي يَكُنْ لِيَ مَذْهَبُ
سِوَاهُ وَخَيْرُ ٱلْوُدِّ وُدٌّ تَطَوَّعَتْ بِهِ ٱلنَّفْسُ لَا وُدٌّ أَتَى وَهُوَ مُتْعَبُ * ١٤٩

وقال بعض الاعراب

أَبِينِي أَفِي يُمْنَى يَدَيْكِ جَعَلْتِنِي فَأَفْرَحَ أَمْ صَيَّرْتِنِي فِي شِمَالِكِ
فَإِنْ كُنْتُ فِي ٱلْيُمْنَى فَيَا لَيْتَ عِيشَتِي وَإِنْ كُنْتُ فِي ٱلْيُسْرَى فَضَلَّ ضَلَالُكِ
إِذَا لَمْ تَنَالِينَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ وَلَمْ تَرْفَعِي رَأْساً بِنَا لَمْ نُبَالِكِ

وقال عمر بن ابي ربيعة المخزومي

أَنَا لَا أَبْدَا بِغَدْرٍ [أَبَدًا] فَإِذَا مَا غَدَرَتْ لَمْ أَتْرُكْ
أَتَرَانِي أَقْعُدُ ٱللَّيْلَ لَهَا سَاهِرًا أَطْلُبُ وَصْلًا قَدْ هَلَكْ
وَهْيَ فِيمَا تَشْتَهِي لَاهِيَةٌ مُتُّ إِنْ دَارَ بِهٰذَيْنِ ٱلْفَلَكْ

وقال آخر

وَمِنْ شِيَمِي أَنِّي إِذَا ٱلْمَرْءُ مَلَّنِي وَأَظْهَرَ إِعْرَاضاً وَمَالَ إِلَى ٱلْهَجْرِ
أَطَلْتُ لَهُ فِيمَا يُحِبُّ عِنَانَهُ وَتَارَكْتُهُ فِي حُسْنِ يُسْرٍ وَفِي سَتْرِ
فَإِنْ عَادَ فِي وَصْلِي رَجَعْتُ لِوَصْلِهِ وَإِنْ لَمْ يُرِدْ أَهْمَلْتُ ذَاكَ إِلَى ٱلْحَشْرِ

وقال بعض اهل هذا العصر

تَخَيَّرْ مِنَ ٱلْإِخْوَانِ مَنْ شِئْتَ وَٱتَّخِذْ خَلِيلًا فَإِنِّي مَا أُرِيدُ خَلِيلَا
أَتُوبُ إِلَيْكَ ٱلْيَوْمَ مِنْ كُلِّ تَوْبَةٍ فَقَدْ هُنْتَ فِي عَيْنِي وَكُنْتَ جَلِيلَا

إِذَا لَمْ يَجِدْ إِلْفِي عَنِ ٱلْغَدْرِ مَذْهَباً وَجَدْتُ إِلَى حُسْنِ ٱلْعَزَاءِ سَبِيـلَا
فَوَٱللهِ لَا أَرْضَيْتُ دَاعِيَةَ ٱلْهَوَى إِلَيْكَ وَلَا أَغْضَبْتُ فِيكَ عَذُولَا

وقال محمد بن عبد الملك الزيات

رَأَيْتُكَ سَمْحَ ٱلْبَيْعِ سَهْـلًا وَإِنَّمَا يُغَالِي إِذَا مَا ضَنَّ بِٱلشَّيْءِ بَائِعُهْ
فَأَمَّا ٱلَّذِي هَانَتْ بَضَائِعُ بَيْعِهِ فَيُوشِكُ أَنْ تَبْقَى عَلَيْهِ بَضَائِعُهْ •
١٥٠ هُوَ ٱلْمَاءُ إِنْ أَجْمَمْتَ طَابَ وُرُودُهُ وَيَفْسُدُ مِنْهُ مَـا تُبَاحُ شَرَائِعُهْ*

وقال آخر

أَمِيطِي ٱلْهَوَى عَمَّنْ قَلَاكِ وَعَرِّضِي لِغَيْرِي بِـهِ وَٱسْتَرْزِقِي ٱللهَ فِي سِتْرِ
فَلَوْ كُنْتِ لِي كَفًّا إِذَنْ لَقَطَعْتُهَـا وَلَوْ كُنْتِ لِي أُذْنًا رَمَيْتُكِ بِٱلْوَقْرِ
وَلَوْ كُنْتِ لِي عَيْناً إِذًا لَفَقَأْتُهَـا وَلَوْ كُنْتِ لِي قَلْباً نَزَعْتُكِ مِنْ صَدْرِي
وَإِنِّي وَإِنْ حَنَّتْ إِلَيْكِ ضَمَائِرِي فَمَا قَدْرُ حُبِّي أَنْ أُذِلَّ لَهُ قَدْرِي

وقال عبد قيس بن خفاف البرجمي

دَارَ ٱلْهَوَى [وَ]لِمَنْ رَآهَـا دَارَهُ أَفَرَاحِـلٌ عَنْهَـا كَمَنْ لَمْ يَرْحَلِ
فَصِلِ ٱلْمُوَاصِلَ مَا صَفَا لَـكَ وُدُّهُ وَٱصْرِمْ حِبَالَ ٱلْخَائِنِ ٱلْمُتَبَـدِّلِ
وَٱحْذَرْ مَحَلَّ ٱلسُّوءِ لَا تَحْلُـلْ بِهِ وَإِذَا نَبَـا بِكَ مَنْزِلٌ فَتَحَوَّلِ

وقال بعض الاعراب

وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ ٱللهِ أَنْ أُرَى رَدِيفاً لِوَصْـلٍ أَوْ عَـلَيَّ رَدِيفُ
وَأَنْ أَرِدَ ٱلْمَـاءَ ٱلْمُوَطَّأَ طِينُـهُ وَأَتْبَعَ وُدًّا مِنْـكِ وَهْوَ ضَعِيفُ

وقال البحتري لنفسه

تَرَكْتُكَ لِلْقَوْمِ ٱلَّـذِينَ تَرَكْتَنِي لَهُمْ وَسَلَا ٱلْإِلْفُ ٱلْمَشُوقُ عَنِ ٱلْإِلْفِ
وَقَالَ لِيَ ٱلْأَعْدَاءُ مَا أَنْتَ صَانِعٌ وَلَيْسَ يَرَانِي ٱللهُ أَنْحَتُ مِنْ جُرْفِ
وَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلْقُرْبَ يُدْوِي ٱتِّصَالُهُ بَعُدْتُ لَعَلَّ ٱلْبُعْدَ مِنْ ظَالِمِي يَشْفِي

وَإِنِّي لَأَسْتَبْقِي وِدَادَكَ لِلَّتِي ... تُلِمُّ وَأَرْضَى مِنْكَ دُونَ ٱلَّذِي يَكْفِي
وَأَسْأَلُكَ ٱلنِّصْفَ ٱحْتِجَازًا وَرُبَّمَا ... أَبَيْتُ فَلَمْ أَسْمَحْ لِغَيْرِكَ بِٱلنِّصْفِ
وَإِنِّي لَمَحْسُودٌ عَلَيْكَ مُنَافَسٌ ... وَإِنْ كُنْتُ أَسْتَبْطِي كَثِيرًا وَأَسْتَجْفِي

وانشدني بعض اهل الادب

أَنْقَذَنِي سُوءُ مَا صَنَعْتَ مِنَ ٱلرِّ ... قِّ فَيَا بَرْدَهَا عَلَى كَبِدِي * ١٥١
فَصِرْتُ عَبْدًا لِلسُّوءِ فِيكَ وَمَا ... أَحْسَنَ سُوءٌ قَبْلِي إِلَى أَحَدِ

وانشدني احمد بن ابي طاهر لعبيدالله بن عبدالله بن طاهر

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْمَرْءَ تَدْوِي يَمِينُهُ ... فَيَقْطَعُهَا عَمْدًا لِيَسْلَمَ سَائِرُهْ
فَكَيْفَ تَرَاهُ بَعْدَ يُمْنَاهُ صَانِعًا ... بِمَنْ لَيْسَ مِنْهُ حِينَ تَبْدُو سَرَائِرُهْ

وقال ابو القمقام الاسدي

وَلَمَّا بَدَا لِي مِنْكِ مَيْلٌ مَعَ ٱلْعِدَى ... عَلَيَّ وَلَمْ يَحْدُثْ سِوَاكِ بَدِيلُ
صَدَدْتُ كَمَا صَدَّ ٱلرَّمِيُّ تَطَاوَلَتْ ... بِهِ مُدَّةُ ٱلْآجَالِ فَهْوَ قَتِيلُ

[وقال آخر]

وَعَزَّيْتُ نَفْسًا عَنْ هَوَاكِ كَرِيمَةً ... عَلَى مَا بِهَا مِنْ لَوْعَةٍ وَغَلِيلِ
بَكَتْ مَا بَكَتْ مِنْ شَجْوِهَا ثُمَّ أَعْقَبَتْ ... بِعِرْفَانِ هَجْرٍ مِنْ نَوَارَ طَوِيلِ
فَأَصْبَحْتُ مِنْ مِيعَادِهَا مِثْلَ قَابِضٍ ... عَلَى ٱلْمَاءِ لَمْ يُرْجِعْ يَدًا بِقَلِيلِ

وقال بعض الاعراب

فَإِنْ تَشْبَعِي مِنَّا وَتَرْوَى مَلَالَةً ... فَنَحْنُ وَبَيْتِ ٱللهِ أَرْوَى وَأَشْبَعُ
وَإِنْ تَجِدِي مَا خَلْفَ ظَهْرِكِ وَاسِعًا ... فَمَا خَلْفَنَا مِنْ سَائِرِ ٱلْأَرْضِ أَوْسَعُ
وَإِنْ تَنْقُضِي ٱلْعَهْدَ ٱلَّذِي كَانَ بَيْنَنَا ... فَنَحْنُ لِمَا ضَيَّعْتِ أَنْسَى وَأَضْيَعُ

وقال المتلمس

قَلَيْتُكِ فَٱقْلَيْنِي فَلَا وَصْلَ بَيْنَنَا ... كَذَٰلِكَ مَنْ يَسْتَغْنِ يَسْتَغْنِ صَاحِبُهْ

خَلِيلٌ بَدَا لِي ٱلنُّصْحُ مِنْهُ فَلَمْ أَكُنْ ... لِأَصْرِمَهُ مَـا سَوَّغَ ٱلْمَاءَ شَارِبُهْ
عَصَـانِي فَمَا لَاقَى ٱلرَّشَادَ وَإِنَّمَا ... تَبَيَّنُ عَنْ أَمْرِ ٱلْغَوِيِّ عَوَاقِبُـهْ

وقال الحسين بن الضحاك

أَلَا فِي سَبِيـلِ ٱللهِ وُدٌّ بَذَلْتُـهُ ... لِمَنْ خَانَنِي وُدِّي وَلَمْ يَرْعَ لِي عَهْدَا
١٥٢ أَبَاحَ حِمَى ٱلْمِيثَاقِ وَٱللهُ بَيْنَنَـا ... فَلَمْ يُبْقِ لِلْمِيثَاقِ قَبْلًا وَلَا بَعْدَا*
فَلَيْتَـكَ لَا تُجْزَى بِمَا أَنتَ أَهْلُـهُ ... وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَشْرَقْتَنِي بِدَمِي حِقْدَا
عَدِمْتُكَ مِنْ قَلْبٍ أَقَامَ لِغَادِرٍ ... عَلَى ٱلْعَهْدِ حَتَّى كَادَ يَقْتُلُنِي وَجْـدَا

وقال ايضاً

تَعَزَّوْا بِيَأْسٍ عَنْ هَوَايَ فَـإِنَّنِي ... إِذَا ٱنْصَرَفَتْ نَفْسِي فَهَيْهَاتَ مِنْ رَدِّي
أَبَى ٱلْقَلْبُ إِلَّا نَبْوَةً عَنْ جَمِيعِكُمْ ... كَنَبْوَتِكُمْ عَنِّي فَفِي ٱلسُّحْقِ وَٱلْبُعْدِ
إِذَا خُنْتُكُمْ بِٱلْغَيْبِ عَهْدِي فَمَا لَكُمْ ... تُدِلُّونَ إِدْلَالَ ٱلْمُقِيمِ عَلَى ٱلْعَهْـدِ
فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ كَانَ لِي قَبْلُ فِيكُمْ ... فَهَاءَ نَدًا فِيكُمْ نَذِيرٌ لِمَنْ بَعْـدِي
فَوَا أَسَفَا مِنْ صَبْوَةٍ ضَاعَ شُكْرُهَا ... مَضَتْ سَلَفاً فِي غَيْرِ أَجْرٍ وَلَا حَمْدِ

ولبعض اهل هذا العصر

قَصَرْتُ عَلَيْكَ ٱلنَّفْسَ حَتَّى تَوَهَّمَتْ ... بَلِ ٱسْتَيْقَنَتْ أَنْ لَيْسَ غَيْرُكَ مَطْلَبَا
فَرَامَتْ بَدِيلًا مِنْكَ لَمَّا جَفَوْتَهَـا ... فَحَارَتْ كَأَنْ لَمْ يَخْلُقِ ٱللهُ مُنْجِبَا
فَإِنْ تَتَفَكَّرْ فِي ٱنْصِرَافِيَ خَائِبًا ... وَغَدْرِكَ تَعْلَمْ أَيُّنَـا عَـادَ أَخْيَبَا
كَسَبْتَ مَلَامًا وَٱكْتَسَبْتُ بَصِيرَةً ... بِأَمْرِكَ فَٱنْظُرْ أَيُّنَـا عَادَ مُكْسِبَا
سَأَشْكُرُ ذَنْبَ ٱلدَّهْرِ فِيكَ وَلَمْ أَكُنْ ... عَلَى غَيْـرِ ٱلْأَيَّامِ أَشْكُرُ مُـذْنِبَا

وله ايضاً

مَا زِلْتُ أُكْذِبُ فِيكَ إِرْجَافَ ٱلْعِدَى ... وَٱلْغَدْرُ فِي عِطْفَيْكَ لَيْسَ بِخَافِ
حَتَّى حَسَرْتَ لِنَاظِرِي عَنْ سَوْءَةٍ ... أَغْنَتْ أَعَـادِيكُمْ عَنِ ٱلْإِرْجَافِ

فظللتُ حين خبرتكم متعرّضاً عنكم بأوسط سورة الأعراف
فامضوا عليكم لعنة الله ارتعوا في صحبة الأوغاد والأجلاف

أمّا سلوّ المحب عمّن غدر به فغير معيب عليه إذ ليس ذلك مفوّضاً إليه وإنّما يوجبه نفور النفس عمّن خالف شكلها كما توجب المحبّة
١٥٣ • سكون النفس إلى شيء* شاكل طبيعتها وأمّا تشنيعه بالغدر على محبوبه فإنّ ذلك لعمري قبيح وما على من سلا عن إلفه أن يضمر ذلك في نفسه ولا يقصّ على غيره ما ظهر له من سوء فعله فإن ظهر منه على ترك المواصلة عارض في ذلك بضرب من المجاملة

كما فعل الذي يقول

وقائلٍ كيف تهاجرتما فقلتُ قولاً فيه إنصافُ
لم يكُ من شكلي فناكرته والناس أشكالٌ وآلافُ

وكما قال الآخر

أرى عرض الدنيا وكلّ مصيبةٍ تهون إذا عنك الحوادث زلّت
فإن سأل الواشون كيف هجرتها فقل نفس حرٍّ سلّيت فتسلّت

الباب الحادي والعشرون

من راعه الفراق ملكه الاشتياق

التوديع بالفراق هو السهم الذي لا يعدل عن مقاتل العشّاق من رمى به من المحبوبين أصاب ومن دعي به من المحبّين أجاب وربّما ولعت نفوس العشّاق محاذرة وقوع الفراق عن غير سبب

يُوجِبُهُ إِظْهَارُ ٱلْإِشْفَاقِ وَتِلْكَ حَالٌ لَا يَتَهَيَّأُ مَعَهَا وِصَالٌ

وفي نحو ذلك يقول الحسين بن الضحاك

أَبَاحَنِي قُرْبَهُ وَوَسَّدَنِي يُمْنَى يَدَيْهِ وَبَاتَ مُلْتَزِمِي
فَقُلْتُ لَمَّا ٱسْتَخَفَّنِي فَرَحِي أَشُوبُ عَيْنَ ٱلْيَقِينِ بِٱلتُّهَمِ
أَصْبَحَ مُسْتَثْبِتًا نَظَرِي إِخَالُنِي نَائِمًا وَلَمْ أَنَمِ

وللبحتري في مثله

حَبِيبٌ سَرَى فِي خِيفَةٍ وَعَلَى ذُعْرٍ يَجُوبُ ٱلدُّجَى حَتَّى ٱلْتَقَيْنَا عَلَى قَدْرِ
[وَ]شَكَّكْتُ فِيهِ مِنْ سُرُورٍ وَخِلْتُهُ خَيَالًا أَتَى فِي ٱلنَّوْمِ مِنْ طَيْفِهِ يَسْرِي* ١٥٤

وَعَلَى أَنَّ مِنَ ٱلْعُشَّاقِ مَنْ يَتَحَاقَرُ رَوْعَاتِ ٱلْفِرَاقِ وَذٰلِكَ إِمَّا لِمَا نَالَهُ مِنْ مَضَاضَةِ هَجْرٍ أَوْ مُوَاقَعَةِ غِرَرٍ وَإِمَّا لِطُغْيَانِ ٱلنَّفْسِ وَنَشَاطِهَا وَٱنْبِسَاطِهَا فِي مَحَابِّهَا وَٱسْتِظْهَارِهَا بِغِرَّةِ ٱلْجَهْلِ عَلَى أَحْبَابِهَا وَلِمَنْ كَانَ بِهٰذِهِ ٱلْخِلَلِ بَابٌ مُفْرَدٌ وَوَصْفٌ مُجَرَّدٌ

وقال جميل بن معمر

كَفَى حَزَنًا لِلْمَرْءِ مَا عَاشَ أَنَّهُ بِبَيْنِ حَبِيبٍ لَا يَزَالُ يُرَوَّعُ
فَوَا حَزَنًا لَوْ يَنْفَعُ ٱلْحُزْنُ أَهْلَهُ وَوَاجَزَعَا لَوْ كَانَ لِلنَّفْسِ مَجْزَعُ
فَأَيُّ فُؤَادٍ لَا يَذُوبُ بِمَا أَرَى وَأَيُّ عُيُونٍ لَا تَجُودُ فَتَدْمَعُ

وانشد لاحمد بن ابي طاهر

أَذَاهِبَةٌ نَفْسِي شَعَاعًا فَمَيِّتٌ وَمُنْصَدِعٌ قَبْلَ ٱنْصِدَاعِ ٱلنَّوَى قَلْبِي
مَخَافَةَ بَيْنٍ لَا تَلَاقِيَ بَعْدَهُ وَشَحْطِ ٱلنَّوَى بَعْدَ ٱلزِّيَارَةِ وَٱلْقُرْبِ

وقال آخر

ظَلِلْتُ كَأَنِّي خِشْيَةَ ٱلْبَيْنِ إِذْ جَرَى أَخُو جِنَّةٍ لَا يَسْتَبِلُّ صَرِيعُهَا
إِذَا ٱلْعَيْنُ أَفْنَتْ عَبْرَةً مِنْ سِجَامِهَا بَكَتْهَا بِأُخْرَى تَسْتَهِلُّ دُمُوعُهَا

وقال آخر

خليليَّ من عُلْيا هوازنَ لم أجد ... لنفسي من شحط النوى من يُجيرُها
غدًا تُمطِرُ العينانِ من لوعةِ الهوى ... ويَبدو من النفسِ الكتومِ ضميرُها
أيصبرُ عند البينِ قلبُك أم لهُ ... غدًا طيرةٌ لا بُدَّ أن سيطيرُها

وقال الطائي

يا بُعدَ غايةِ دمعِ العينِ إن بَعُدوا ... هي الصبابةُ طولَ الدهرِ والسَّهَدُ
قالوا الرحيلُ غدًا لا شكَّ قلتُ لهم ... اليومَ أيقنتُ أنَّ اسمَ الحِمامِ غدُ

وقال ابو نواس* ١٥٥

طرحتم من الترحالِ أمرًا فغمَّنا ... فلو قد فعلتم صبَّحَ الموتُ بعضَنا
زعمتم بأنَّ النأيَ يُحزِنُكم نعم ... سيُحزِنُكم علمي ولا مثلَ حُزنِنا
تعالوا نُقارِعْكم ليثبُتَ عندنا ... مَن أشجى قلوبًا أو مَن اسخنَ أعينا
أطالَ قصيرَ الليلِ يا رحمُ عندكم ... فإنَّ قصيرَ الليلِ قد طالَ عندنا
ولا يعرفُ الليلَ الطويلَ وكَربَهُ ... من الناسِ إلا من يُنجِّمُ أو أنا

وقال المرجي

ما زلتُ من روعةِ البينِ الذي ذكروا ... أذري الدموعَ ومني يُخفَزُ النَّفَسُ
كأنني حازمٌ بالليلِ مرتهنٌ ... ساهي الفؤادِ عليهِ الأمرُ ملتبسُ

وله ايضاً

غدًا فاعلمي أني أشدُّ صبابةً ... وأحسنُ عند البينِ من غيرِنا عهدا
نُقطَّعُ إلا بالكتابِ عتابَنا ... سوى ذكرةٍ لا أستطيعُ لها ردّا
فقالت وأذرت دمعَها لا بَعُدتُمُ ... يعزُّ علينا أن نرى لكمُ فقدا
غدًا يكثرُ الباكونَ منّا ومنكمُ ... وتزدادُ داري من ديارِكمُ بُعدا

وله ايضاً

بَلِّغْ قُرَيْبَةَ أَنَّ ٱلْبَيْنَ قَدْ أَفِدَا   وَأَنَّنَا إِنْ سَلِمْنَا رَائِحُونَ غَدَا
كَمْ بِٱلْحِجَازِ وَإِنْ كُنَّا نُكَاثِرُهُمْ   مِنَ ٱلدُّمُوعِ وَدِدْنَا لَا نَرَى أَبَدَا
وَمَاتَ وَجْدًا عَلَيْنَا مَا يَبُوحُ بِهِ   يُحْصِي ٱللَّيَالِي إِذَا غِبْنَا لَنَا عَدَدَا
يَا لَيْلَةَ ٱلسَّبْتِ قَدْ زَوَّدْتِنِي سَقَمًا   حَتَّى ٱلْمَمَاتِ وَحُزْنًا صَدَّعَ ٱلْكَبِدَا

وقال غيره

فِرَاقُكَ فِي غَدٍ وَغَدًا قَرِيبُ   فَوَا كَبِدَا مِنَ ٱلْبَيْنِ ٱلْقَرِيبِ
فَيَا صَدْرَ ٱلنَّهَارِ إِلَيْكَ عَنِّي   وَيَا شَمْسَ ٱلْأَصَائِلِ لَا تَغِيبِي* ١٥٦

وقال آخر

خَلِيلِي غَدًا لَا شَكَّ فِيهِ مُوَدِّعُ   فَوَٱللهِ مَا أَدْرِي بِهِ كَيْفَ أَصْنَعُ
فَإِنْ لَمْ أُشَيِّعْهُ تَقَطَّعْتُ حَسْرَةً   وَوَا كَبِدَا إِنْ كُنْتُ فِيمَنْ أُشَيِّعُ
فَيَا يَوْمُ لَا أَدْبَرْتَ هَلْ لَكَ مَحْبَسٌ   وَيَا غَدُ لَا أَقْبَلْتَ هَلْ لَكَ مَدْفَعُ

وقال آخر

يَا صَاحِبَيَّ مِنَ ٱلْمَلَامِ دَعَانِي   إِنَّ ٱلْبَلِيَّةَ فَوْقَ مَا تَصِفَانِ
زَعَمَتْ بُثَيْنَةُ أَنَّ رِحْلَتَهَا غَدًا   لَا مَرْحَبًا بِغَدٍ فَقَدْ أَبْكَانِي

وقال اشجع السلمى

غَدًا يَتَفَرَّقُ أَهْلُ ٱلْهَوَى   وَيَكْثُرُ بَاكٍ وَمُسْتَرْجِعُ
وَتَخْتَلِفُ ٱلدَّارُ بِٱلظَّاعِنِينَ   فُنُونًا تَشِتُّ فَلَا تُجْمَعُ
وَتَبْقَى ٱلطُّلُولُ وَيَفْنَى ٱلْهَوَى   وَيَصْنَعُ ذُو ٱلشَّوْقِ مَا يَصْنَعُ
فَأَنْتَ تُبَكِّي وَهُمْ جِيرَةٌ   فَكَيْفَ تَكُونُ إِذَا وَدَّعُوا

وقال ذو الرمة

وَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي وَٱلنَّوَى مُطْمَئِنَّةٌ   مُحَاذَرَةً مِنْ عِلْمِ مَا ٱلْبَيْنُ صَانِعُ
وَأُشْفِقُ مِنْ هِجْرَانِكُمْ وَتَشُفُّنِي   مَخَافَةُ وَشْكِ ٱلْبَيْنِ وَٱلشَّمْلُ جَامِعُ

وَأَهجُرُكُمْ هَجْرَ ٱلْبَغِيضِ وَحُبُّكُمْ عَلَى كَبِدِي مِنْهُ شُؤُونٌ صَوَادِعُ

وقال آخر

أَخَافُ ٱلْفِرَاقَ فَأَشْتَاقُكُمْ كَأَنَّا ٱفْتَرَقْنَا وَلَمْ نَفْتَرِقْ
فَلَا نَبْرَحُ ٱلدَّهْرَ أَوْ نَشْتَفِي وَهَلْ يَشْتَفِي أَبَدًا مَنْ عَشِقْ

وقال العرجي

فَمَا أَنْسَ مِ ٱلْأَشْيَاءِ لَا أَنْسَ مَوْقِفًا لَنَا وَلَهَا بِٱلسَّفْحِ دُونَ ثَبِيرِ *١٥٧
وَلَا قَوْلَهَا وَهْنًا وَقَدْ بَلَّ جَيْبَهَا سَوَابِقُ دَمْعٍ مَا يَجِفُّ غَزِيرِ
أَأَنْتَ ٱلَّذِي خُبِّرْتَ أَنَّكَ بَاكِرٌ غَدَاةَ غَدٍ أَوْ رَائِحٌ فَمُهَجِّرُ
فَقُلْتُ يَسِيرٌ بَعْضُ شَهْرٍ أَغِيبُهُ وَمَا بَعْضُ يَوْمٍ غِبْتُهُ بِيَسِيرِ
أَحِينَ عَصَيْتُ ٱلْعَاذِلِينَ إِلَيْكُمُ وَنَازَعْتُ حَبْلِي فِي هَوَاكِ أَمِيرِي
وَبَاعَدَنِي فِيكِ ٱلْأَقَارِبُ كُلُّهُمْ وَبَاحَ بِمَا يُخْفِي ٱللِّسَانُ ضَمِيرِي
فَقُلْتُ لَهَا قَوْلَ ٱمْرِئٍ شَفَّهُ ٱلْهَوَى إِلَيْهَا وَلَوْ طَالَ ٱلزَّمَانُ فَقِيرِ
فَمَا أَنَا إِنْ شَطَّتْ بِيَ ٱلدَّارُ أَوْ دَنَتْ بِيَ ٱلدَّارُ عَنْكُمْ فَٱعْلَمِي بِصَبُورِ

وقال آخر

إِذَا رِيعَ قَلْبِي بِٱلْفِرَاقِ تَحَدَّرَتْ دُمُوعِي مِنْ وَجْدٍ عَلَيْكِ دَخِيلِ
لَعَمْرِي لَمَوْتٌ يَعْتَرِينِي فُجَاءَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فِرَاقِ خَلِيلِ

وقال ايضاً

أَيَا كَبِدِي حُمَّ ٱلْفِرَاقُ وَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي مِمَّا حَاذَرَتْ مَنْ يُجِيرُهَا
كَأَنَّ فُؤَادِي عَظْمُ سَاقٍ مَهِيضَةٍ عَنِيفٌ مُدَاوِيهَا بَطِيءٌ جُبُورُهَا
فَإِنْ عَصَبُوهَا بِٱلْجِبَارِ تَوَجَّعَتْ وَإِنْ تَرَكُوهَا زَادَ صَدْعًا نُفُورُهَا
غَدًا تُصْبِحُ ٱلْخَوْدُ ٱلْمَلِيحَةُ غُرْبَةً تُزَارُ وَتُغْشَى لَسْتُ مِمَّنْ يَزُورُهَا

وقال توبة بن الحمير

كَأَنَّ ٱلقَلبَ لَيلَةَ قِيلَ يُغدَى ... بِلَيلَى ٱلعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ
قَطَاةٌ غَرَّهَا شَرَكٌ فَبَاتَتْ ... تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ ٱلْجَنَاحُ
فَلَا فِي ٱللَّيلِ نَامَتْ فَاطْمَأَنَّتْ ... وَلَا فِي ٱلصُّبحِ كَانَ لَهَا بَرَاحُ

وقال آخر

١٥٨ أَبِيتُ وَٱلْهَمُّ تَغشَانِي طَوَارِقُهُ ... مِنْ خَوفِ رَوْعَةِ بَيْنِ ٱلظَّاعِنِينَ غَدَا*
قَدْ صَدَّعَ ٱلقَلبَ حُزنٌ لَا ٱرْتِجَاعَ لَهُ ... إِذْ الانصداع اليـة ٱلعَمَدَا

وقال آخر

قَالُوا يَسِيرُونَ لَا سَارُوا بَلَى وَقَفُوا ... وَلَا ٱستَقَلَّتْ بِهِمْ لِلبَيْنِ أَكْوَارُ
إِذَا تَحَمَّلَ مَنْ هَامَ ٱلفُؤَادُ بِهِ ... فَلَا أُبَالِي أَقَامَ ٱلْحَيُّ أَمْ سَارُوا

وقال آخر

مَا زِلتُ مِنْ حَذَرِ ٱلتَّفَرُّقِ مُشْفِقاً ... لَوْ كَانَ أَغنَى ذَلِكَ ٱلإِشفَاقُ
[وَ]تَرَى ٱلْمُحِبَّ قَرِيرَ عَيْنٍ بِٱلْهَوَى ... حَتَّى يُنَغِّصَهُ عَلَيْهِ فِرَاقُ

وقال آخر

رُوِّعتُ بِٱلبَيْنِ حَتَّى مَا أُرَاعُ بِهِ ... وَبِٱلتَّفَرُّقِ فِي أَهْلِي وَجِيرَانِي
لَمْ يَترُكِ ٱلدَّهرُ لِي خِدْناً أُسَرُّ بِهِ ... إِلَّا ٱصْطَفَاهُ بِبَيْنٍ أَوْ بِهِجْرَانِ

وقال آخر

يَحِنُّ إِذَا خَافَ ٱلفِرَاقَ مِنَ ٱجْلِهَا ... حَنِينَ ٱلْمُرَجِّي وُجْهَةً لَا يُرِيدُهَا
وَكَائِنْ تَرَى مِنْ صَاحِبٍ حِيلَ دُونَهُ ... وَمُتْبِعِ إِلْفٍ نَظْرَةً لَا يُعِيدُهَا

ولبعض اهل هذا العصر

عَلَى كَبِدِي مِنْ خِيفَةِ ٱلبَيْنِ لَوْعَةٌ ... يَكَادُ لَهَا قَلبِي أَسًى يَتَصَدَّعُ
يَخَافُ وُقُوعَ ٱلبَيْنِ وَٱلشَّمْلُ جَامِعٌ ... فَيَبْكِي بِعَيْنٍ دَمْعُهَا مُتَسَرِّعُ
فَلَوْ كَانَ مَسْرُوراً بِمَا هُوَ وَاقِعٌ ... كَمَا هُوَ مَسْرُورٌ بِمَا يَتَوَقَّعُ

لَكَانَ سَوَاءٌ بُرْؤُهُ وَسَقَامُهُ   وَلٰكِنَّ وَشْكَ ٱلْبَيْنِ أَدْهَى وَأَوْجَعُ

وَأَكْثَرُ ٱسْتِظْهَارِ خَوْفِ ٱلْفِرَاقِ إِنَّمَا هُوَ عَلَى ٱلْمُتَيَّمِينَ وَٱلْعُشَّاقِ ٱلَّذِينَ ٱسْتَغْرَقَهُمُ ٱلضَّعْفُ بِأَحْبَابِهِمْ وَجَرَتْ خَلَائِقُ أَحِبَّتِهِمْ عَلَى نِهَايَةِ مَحَلِّهِمْ فَآمَالُهُمْ مَقْصُورَةٌ إِلَى ٱلْحَذَرِ مِنْ زَوَالِهِمْ فَأَمَّا مَنْ قَدْ خَرَجَ عَنْ حُدُودِ
• ٱلْعُشَّاقِ وَٱلْمُتَيَّمِينَ إِلَى مَرْتَبَةِ *ٱلْمُوَلَّهِينَ فَإِنَّ حِذَارَهُ مِنَ ٱلْخِيَانَةِ وَٱلْغَدْرِ ١٥٩
يَشْغَلُهُ عَنْ مُحَاذَرَةِ ٱلْفِرَاقِ وَٱلْهَجْرِ

وقال توبة بن الحمير

قَالَتْ مَخَافَةَ بَيْنِنَا وَبَكَتْ لَهُ   وَٱلْبَيْنُ مَبْعُوثٌ عَلَى ٱلْمُتَخَوِّفِ

لَوْ مَاتَ شَيْءٌ مِنْ مَخَافَةِ فُرْقَةٍ   لَأَمَاتَنِي لِلْبَيْنِ طُولُ تَخَوُّفِي

مَلَأَ ٱلْهَوَى قَلْبِي فَضِقْتُ بِحَمْلِهِ   حَتَّى نَطَقْتُ بِهِ بِغَيْرِ تَكَلُّفِ

فَلَيْلَى ٱلْأَخْيَلِيَّةُ عَفَا ٱللّٰهُ عَنَّا وَعَنْهَا إِنْ كَانَ مَا حَكَاهُ لَنَا تَوْبَةُ عَنْهَا فِي ٱلْبَيْتِ ٱلثَّانِي حَقًّا فَإِنَّهَا كَانَتْ جَاهِلَةً بِأَحْوَالِ ٱلْعُشَّاقِ غَافِلَةً عَمَّا تُوَلِّدُهُ رَوْعَاتُ ٱلْفِرَاقِ وَلَعَمْرِي إِنَّ مِنْ مَرَاثِيهَا فِي تَوْبَةَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَدَالَّةً عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَتَعَلَّقْ مِنَ ٱلْهَوَى إِلَّا بِأَطْرَافِهِ إِذْ لَوْ كَانَ ٱلْهَوَى قَدْ بَلَغَ بِهَا أَقْصَى ٱلْحَالِ كَانَتْ حَيَاتُهَا بَعْدَ وَفَاةِ تَوْبَةَ ضَرْبًا مِنَ ٱلْمُحَالِ وَمَا أُحْصِي مَا ٱتَّصَلَ بِي مِنْ أَخْبَارِ مَنْ تَخَوَّفَ بِمُفَارَقَةِ حَبِيبِهِ فَتَلِفَ مِنْ سَاعَتِهِ وَلَقَدِ ٱتَّصَلَ بِي خَبَرٌ لَمْ أَسْمَعْ بِأَعْجَبَ مِنْهُ وَإِنَّ صَاحِبَتَهُ وَلَيْلَى ٱلْأَخْيَلِيَّةَ لَفِي ٱلطَّرَفَيْنِ هٰذِهِ عِنْدَهَا أَنَّهُ لَا يَمُوتُ أَحَدٌ مِنْ مَخَافَةِ فُرْقَةٍ وَتِلْكَ تَلِفَتْ مِنْ جَرَيَانِ خَاطِرٍ بِٱلْفِرَاقِ عَلَى قَلْبِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤَدِّيَ ذٰلِكَ إِلَيْهِ نَاظِرُهَا وَلَا سَمْعُهَا ذَكَرَ أَبُو مَالِكٍ ٱلرَّاوِيَةُ أَنَّهُ سَمِعَ ٱلْفَرَزْدَقَ يَقُولُ أَبَقَ غُلَامَانِ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي نَهْشَلٍ يُقَالُ لَهُ ٱلْخُضْرُ قَالَ فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِمَا وَأَنَا عَلَى نَاقَةٍ لِي عَنْسَاءَ أُرِيدُ ٱلْيَمَامَةَ فَلَمَّا صِرْتُ فِي

مَاءٍ لِبَنِي حَنِيفَةَ ٱرْتَفَعَتْ لِي سَحَابَةٌ فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ وَأَرْخَتْ عَزَالِيَهَا فَعَدَلْتُ إِلَى بَعْضِ دِيَارِهِمْ وَسَأَلْتُهُمُ ٱلْقِرَى فَأَجَابُوا فَدَخَلْتُ ٱلدَّارَ وَأَنَخْتُ ٱلنَّاقَةَ وَجَلَسْتُ تَحْتَ ظِلَالِهِمْ مِنْ جَرِيدِ ٱلنَّخْلِ وَفِي ٱلدَّارِ جُوَيْرِيَةٌ سَوْدَاءُ إِذْ دَخَلَتِ ٱلدَّارَ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا فِلْقَةُ قَمَرٍ وَكَأَنَّ عَيْنَيْهَا كَوْكَبَانِ دُرِّيَّانِ فَسَأَلَتِ ٱلسَّوْدَاءَ لِمَنْ هٰذِهِ ٱلْعَنْسَاءُ فَقَالَتْ لِضَيْفِكُمْ هٰذَا فَعَدَلَتْ إِلَيَّ فَقَالَتْ أَلسَّلَامُ* عَلَيْكَ فَقُلْتُ وَعَلَيْكِ ٱلسَّلَامُ فَقَالَتْ ١٦٠
لِي مَنِ ٱلرَّجُلُ فَقُلْتُ مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ فَقَالَتْ مِنْ أَيِّ بَنِي حَنْظَلَةَ قُلْتُ مِنْ بَنِي نَهْشَلٍ قَالَتْ فَأَنْتَ ٱلَّذِي يَقُولُ فِيكَ ٱلْفَرَزْدَقُ

إِنَّ ٱلَّذِي سَمَكَ ٱلسَّمَاءَ بَنَى لَنَا ... بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ
بَيْتًا زُرَارَةُ مُحْتَبٍ بِفِنَائِهِ ... وَمُجَاشِعٌ وَأَبُو ٱلْفَوَارِسِ نَهْشَلُ

قَالَ قُلْتُ نَعَمْ فَتَبَسَّمَتْ وَقَالَتْ فَإِنَّ ٱبْنَ ٱلْخَطَفَى جَرِيرٌ هَدَمَ عَلَيْهِ بَيْتَهُ هُوَ ٱلَّذِي يَقُولُ

أَخْزَى ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَاءَ مُجَاشِعًا ... وَبَنَى بِنَاءَكَ بِٱلْحَضِيضِ ٱلْأَسْفَلِ
بَيْتًا يُحَمِّمُ قَيْنُكُمْ بِفِنَائِهِ ... دَنِسًا مَقَاعِدُهُ خَبِيثَ ٱلْمَدْخَلِ

قَالَ فَأَعْجَبَتْنِي فَلَمَّا رَأَتْ ذٰلِكَ فِي وَجْهِي قَالَتْ إِلَى أَيْنَ تَؤُمُّ قُلْتُ ٱلْيَمَامَةَ قَالَ فَتَنَفَّسَتِ ٱلصُّعَدَاءَ ثُمَّ قَالَتْ هَا هِيَ تِلْكَ أَمَامَكَ ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ

تُذَكِّرُنِي بِلَادًا خَيْرُ أَهْلِي ... بِهَا أَهْلُ ٱلْمُرُوءَةِ وَٱلْكَرَامَةْ
أَلَا فَسَقَى ٱلْمَلِيكُ أَجَشَّ صَوْبٍ ... يُدِرُّ بِسَحِّهِ تِلْكَ ٱلْيَمَامَةْ
وَحَيِّ بِٱلسَّلَامِ أَبَا نُجَيْدٍ ... فَأَهْلٌ لِلتَّحِيَّةِ وَٱلسَّلَامَةْ

قَالَ فَأَنِسْتُ بِهَا فَقُلْتُ أَذَاتُ خِدْنٍ أَمْ ذَاتُ بَعْلٍ فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ

إِذَا رَقَدَ ٱلْخَلِيُّ فَإِنَّ عَمْرًا ... تُؤَرِّقُهُ ٱلْهُمُومُ إِلَى ٱلصَّبَاحِ
تُقَطِّعُ قَلْبَهُ ٱلذِّكْرَى وَقَلْبِي ... فَلَا هُوَ بِٱلْخَلِيِّ وَلَا بِصَاحِ

سَقَى ٱللّٰهُ ٱلْيَمَامَةَ دَارَ قَوْمٍ   بِهَا عَمْرٌو يَحِنُّ إِلَى ٱلرَّوَاحِ

قَالَ فَقُلْتُ لَهَا مَنْ عَمْرٌو فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ

فَإِنْ تَكُ ذَا قَبُولٍ إِنَّ عَمْرًا   هُوَ ٱلْقَمَرُ ٱلْمُضِيءُ لِمُسْتَنِيرِ
وَمَا لِي بِٱلتَّبَعُّلِ مُسْتَرَاحٌ   وَلَوْ رَدَّ ٱلتَّبَعُّلُ لِي أَسِيرِي

قَالَ ثُمَّ سَكَتَتْ سَكْتَةً كَأَنَّهَا تَسْتَمِعُ إِلَى كَلَامِي ثُمَّ تَهَافَتَتْ وَأَنْشَأَتْ* ١٦١ تَقُولُ

يُخَيَّلُ لِي أَبَا عَمْرِو بْنَ كَعْبٍ   كَأَنَّكَ قَدْ حُمِلْتَ عَلَى سَرِيرِ
فَإِنْ يَكُ هٰكَذَا يَا عَمْرُو إِنِّي   مُبَكِّرَةٌ عَلَيْكَ إِلَى ٱلْقُبُورِ

قَالَ ثُمَّ شَهَقَتْ فَمَاتَتْ فَقُلْتُ لَهُمْ مَنْ هٰذِهِ قَالُوا هٰذِهِ عَقِيلَةُ بِنْتُ ٱلضَّحَّاكِ بْنِ ٱلنُّعْمَانِ بْنِ ٱلْمُنْذِرِ بْنِ مَاءِ ٱلسَّمَاءِ قُلْتُ وَمَنْ عَمْرٌو هٰذَا قَالُوا ٱبْنُ عَمِّهَا قَالَ فَٱرْتَحَلْتُ مِنْ عِنْدِهِمْ فَدَخَلْتُ ٱلْيَمَامَةَ فَسَأَلْتُ عَنْ عَمْرٍو فَإِذَا بِهِ قَدْ دُفِنَ فِي ذٰلِكَ ٱلْوَقْتِ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ

الباب الثاني والعشرون

قَوْلُ مَنْ سَلَا إِلَّا غَلَبَهُ ٱلْهَوَى

مَنْ كَانَ سُلُوُّهُ تَابِعًا لِظَفَرِهِ بِمَا مِنْ أَجْلِهِ كَانَ ٱبْتِدَاءُ مَحَبَّتِهِ فَإِنَّ ٱلْهَجْرَ وَٱلْفِرَاقَ لَا يُعِيدَانِ لَهُ هَوًى وَلَا يُنْبِعَانِ عَلَى ضَمِيرِهِ أَسًى وَمَنْ كَانَتْ طَبِيعَتُهُ بِمُشَاكَلَةِ طَبِيعَتِهِ فَسَلَا لِضَجْرَةٍ [illegible] تْهُ مِنْ مُخَالَفَةِ مَحْبُوبِهِ أَوْ مِنْ تَعَذُّرِ بَعْضِ مَطْلُوبِهِ أَوْ لِتَأَذٍّ بِحَاجِبٍ أَوْ رَقِيبٍ أَوْ لِمَلَالٍ مِنْ سِعَايَةِ وَاشٍ أَوْ عَذُولٍ فَإِنَّ أَدْنَى عَارِضٍ يُطِيفُ بِهِ مِنْ فِرَاقٍ أَوْ هَجْرٍ

أَوْ مِنْ مَخَافَةِ خِيَانَةٍ أَوْ غَدْرٍ يُعِيدُ عَلَيْهِ قَلَقَ ٱلْإِشْفَاقِ وَيَرُدُّهُ بَعْدَ ٱلسُّلُوِّ إِلَى مَوَاقِفِ ٱلْعُشَّاقِ وَرُبَّمَا أَلَمَّ بِمَنْ هٰذِهِ صِفَتُهُ فِي ٱلْمَنَامِ طَائِفٌ مِنْ خَيَالٍ فَرَدَّهُ إِلَى أَتَمِّ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَالِ

وقال البحتري

لِي خَلِيلٌ قَدْ لَجَّ فِي ٱلصَّرْمِ جِدًّا ... وَأَعَادَ ٱلصُّدُودَ مِنْهُ وَأَبْدَى
ذُو فُنُونٍ يُرِيكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ ... خُلُقاً مِنْ جَفَائِهِ مُسْتَجِدَّا
يَتَأَبَّى مَنْعاً وَيُنْعِمُ إِسْعَا ... فاً وَيَدْنُو وَصْلاً وَيَبْعُدُ صَدَّا
١٦٢ أَغْتَدِي رَاضِياً وَقَدْ بِتُّ غَضْبَا ... نَ وَأُمْسِي مَوْلًى وَأُصْبِحُ عَبْدَا*
أَتَرَانِي مُسْتَبْدِلًا بِكَ مَا عِشْـ ... تُ بَدِيلًا أَوْ وَاجِدًا مِنْكَ نِدَّا
حَاشَ لِلّٰهِ أَنْتَ أَفْتَنُ أَلْحَا ... ظاً وَأَحْلَى شَكْلًا وَأَمْلَحُ قَدَّا

أَمَّا هٰذَا ٱلشِّعْرُ فَمِنْ أَضْعَفِ شَيْءٍ أَعْرِفُ وَذٰلِكَ أَنَّ صَاحِبَهُ إِنَّمَا ٱسْتَحْسَنَ صُورَةً وَقَدًّا فَمَتَى تَغَيَّرَ حُسْنُهَا أَوْ رَأَى مَا هُوَ أَحْسَنُ فِي عَيْنِهِ مِنْهَا ٱتَّبَعَهُ وَتَرَكَهَا عَلَى أَنَّهُ مَعَ ٱفْتِقَارِهِ إِلَى خَلِيلِهِ وَعَدَمِهِ لِشَكْلِهِ وَنَظِيرِهِ مُتَنَقِّلًا فِي هَوَاهُ فَمَرَّةً يَتَسَخَّطُ وَمَرَّةً يَتَرَضَّاهُ حَتَّى يُمْسِيَ مَوْلًى وَيُصْبِحَ عَبْدًا وَهٰذِهِ حَالٌ خَسِيسَةٌ فَإِنْ كَانَ [لَا بُدَّ] لِلْمُحِبِّ مِنَ ٱلتَّبَاعُدِ عَنِ ٱلْمَحْبُوبِ فَلْيَكُنْ ذٰلِكَ ظَاهِرًا فِي ٱلْأَفْعَالِ غَيْرَ مُعْتَقَدٍ فِي ٱلْقُلُوبِ

كما قال عبدالله بن ابي الشيص

إِنْ لَمْ أُرَى بِفِنَاءِ بَيْتِكَ وَاقِفاً ... فَٱلْقَلْبُ مُحْتَبَسٌ عَلَيْهِ وَوَاقِفُ
هٰذِي ٱلْجُفُونُ فَضَنِّيهِنَّ ٱلْهَوَى ... وَثِقِي بِهِنَّ فَإِنَّهُنَّ عَفَائِفُ
لَا يَكْتَحِلْنَ مِنَ ٱلْخُدُودِ بِزَهْرَةٍ ... حَتَّى تَعَطَّفَ بِي إِلَيْكِ عَوَاطِفُ
أَنْتِ ٱلَّتِي غَمَرَ ٱلضَّمَائِرَ حُبُّهَا ... فَلَهَا ٱلتَّلِيدُ مِنَ ٱلْهَوَى وَٱلطَّارِفُ
وَكَأَنَّ لِي قَلْبَيْنِ عِنْدَكِ وَاحِدٌ ... دَانٍ وَآخَرُ عَنْ دِيَارِكِ عَازِفُ

وكما قال البحتري

أَلدَّارُ تَعْلَمُ أَنَّ دَمْعِي لَمْ يَغِضْ   فَـأَرُوحَ حَامِـلَ مِنَّةٍ مِنْ مُسْعِدِ
مَـا كَانَ لِي جَلَـدٌ فَيُودِي إِنَّمَا   أَودَى غَدَاةَ ٱلظَّاعِنِينَ تَجَلُّـدِي

وكما قال بعض اهل هذا العصر

لَقَدْ بَاعَـدْتَ عَنْـكَ أَخاً شَفِيقًا   عَلَيْكَ فَـلَا يَغُرُّكَ حُسْنُ صَبْرِي
فَلَوْ جُمِعَ ٱلْأَنَامُ لَكُنْتَ فَرْدًا   أَحَبَّهُمُ إِلَيَّ بِـكُلِّ سِعْرِ
فَـلَا تَحْسِبْ رَعَـاكَ ٱللهُ أَنِّي   غَـدَرْتُ وَلَا هَمَمْتُ لَـكُمْ بِغَدْرِ
فَوَٱللهِ ٱلْعَظِيمِ لَوَ انَّ قَـلْبِي   أَحَبَّ سِوَاكَ لَمْ أُسْكِنْهُ صَدْرِي* ١٦٣
وَأَعْظَمُ مَـا أُلَاقِي مِنْـكَ أَنِّي   أَدُومُ عَلَى ٱلْوَفَاءِ وَلَسْتَ تَـدْرِي

وهذا اتم من قول بشار

أَهِمُّ بِـأَنْ أَقُولَ وَدِدْتُ أَنِّي   سَلَوْتُ فَمَا يُطَـاوِعُنِي لِسَانِي

لِأَنَّ بَشَّارًا خَبَّرَ أَنَّهُ قَدْ هَمَّ ثُمَّ ٱمْتَنَعَ وَ[مَنْ] لَمْ يُرِدْ أَنْ يَقْدِرَ أَتَمُّ مِمَّنْ أَرَادَ ذٰلِكَ فَلَمْ يَقْدِرْ وَأَنْقَصُ مِنْ بَشَّارٍ فِي هٰذِهِ ٱلْحَالِ

ابو المنيع الحضرمي حيث يقول

أَلَمْ تَرَنِي أَزْمَعْتُ صَرْماً وَهِجْرَةً   لِلَيْلَى فَلَمْ أَسْطِعْ صُدُودًا وَلَا هَجْرَا
وَمَا مَرَّ يَوْمٌ [دُونَهَا] إِنْ هَجَرْتُهَا   وَلَا سَاعَـةٌ إِلَّا أَجِـدُّ لَهَا ذِكْرَا
فَيَا عَجَبًا مِنْ وَصْلِيَ ٱلْحَبْلَ كَيْ يُرَى   جَدِيدًا وَقَدْ أَمْسَتْ عَلَائِقُهُ بُتْرَا
فَإِنْ تُصْبِحِي بَعْدَ ٱلتَّجَاوُزِ وَٱلْهَوَى   صَدَدْتِ فَقَدْ غَادَرْتِ فِي كَبِدِي عَقْرَا

والاحوص بن محمد حيث يقول

أَدْعُو إِلَى هَجْرِهَـا قَلْبِي فَيَتْبَعُنِي   حَتَّى لَقَدْ قُلْتُ هٰذَا صَادِقٌ نَزَعَا
قَـدْ زَادَهُ كَلَفاً بِٱلْحُبِّ أَنْ مُنِعَتْ   أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى ٱلْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا
وَكَمْ دَنِيٍّ لَهَا قَـدْ صِرْتُ أَتْبَعُهُ   وَلَوْ صَحَا ٱلْقَلْبُ عَنْهَا كَانَ لِي تَبَعَا

ومحمد بن بشير حيث يقول

وَلَقَدْ أَرَدْتُ ٱلصَّبْرَ عَنْكِ فَعَاقَنِي   عَلَقٌ بِقَلْبِي مِنْ هَوَاكِ قَـدِيمُ
يَبْقَى عَلَى حَدَثِ ٱلزَّمَـانِ وَرَيْبِهِ   وَعَـلَى جَفَـائِكِ إِنَّـهُ لَـكَرِيمُ

وذو الرمة حيث يقول

إِذَا قُلْتُ أَسْلُو عَنْكِ يَا مَيُّ لَمْ يَزَلْ   مَحَلٌّ لِدَارِي مِنْ دِيَارِكِ نَاكِسُ
فَكَيْفَ بِمَيٍّ لَا تُوَآتِيكَ دَارُهَـا   وَلَا أَنْتَ طَاوِي ٱلْكَشْحِ عَنْهَا فَيَائِسُ

وللبحتري

١٦٤ وَإِذَا هَمَمْتُ بِوَصْـلِ غَيْرِكِ رَدَّنِي   وَلَـهٌ عَلَيْكِ وَشَافِعٌ لَـكِ أَوَّلُ*
وَأَعِزُّ ثُمَّ أَذِلُّ ذِلَّـةَ عَـاشِقٍ   وَٱلْحُبُّ فِيـهِ تَعَزُّزٌ وَتَذَلُّـلُ

ولبعض أهل هذا العصر في هذا النحو وان لم يكن على ذلك التمام في باب النقصان

أَيَا حَالِفاً أَنِّي عَلَى ٱلْعَهْـدِ نَاكِثٌ   تَأَكَّدْ رَعَاكَ ٱللهُ أَنَّـكَ حَانِثُ
تَجَنَّيْتَ مُذْ عَامَيْنِ ذَنْباً لَمَ ٱجْنِهِ   عَلَيْكَ وَهٰذَا ٱلْعَامَ قَدْ تَمَّ ثَالِثُ
إِذَا عَرَضَتْ نَفْسِي فَقُمْتُ بِسَلْوَةٍ   أَمَا ذَاكَ إِشْفَاقٌ قَـدِيمٌ وَحَادِثُ
تَسحبُ عَلَى صَرْفِ ٱللَّيَالِي وَلَا تُرَعْ   فَجُرْمُكَ مَنْسِيٌّ وَحُبُّكَ لَابِثُ
وَكُلُّ أَذًى تَـأْتِيهِ كَيْمَـا تُمِلَّنِي   فَـذَاكَ عَلَى أَلَّا أَمَلَّـكَ بَاعِثُ

وقال الحسين بن الضحاك

كَأَنِّي إِذَا فَارَقْتُ شَخْصَكِ سَاعَةً   لِفَقْـدِكِ بَيْنَ ٱلْعَـالَمِينَ غَرِيبُ
وَقَدْ رُمْتُ أَسْبَابَ ٱلسُّلُوِّ فَخَانَنِي   ضَمِيرٌ عَلَيْـهِ مِنْ هَوَاكِ رَقِيبُ
فَمَا لِي إِلَى مَـا تَشْتَهِينَ مُسَارِعٌ   وَفِعْلُـكِ بِمَـا لَا أُحِبُّ قَرِيبُ
أَغَرَّكِ صَفْحِي عَنْ ذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ   وَغَضِّي عَلَى أَشْيَاءَ مِنْـكِ تُرِيبُ
كَأَنْ لَمْ يَكُنْ فِي ٱلنَّاسِ قَبْلِي مُتَيَّمٌ   وَلَمْ يَـكُ فِي ٱلدُّنْيَا سِوَاكِ حَبِيبُ
إِلَى ٱللهِ أَشْكُو إِذْ ذُكِرْتِ فَلَمْ يَكُنْ   بِشَكْوَايَ مِنْ عَطْفِ ٱلْحَبِيبِ نَصِيبُ

وقال محرز العكلي

يَظَلُّ فُؤَادِي شَاخِصاً مِنْ مَكَانِهِ [وَرَاءَ] ٱلْغَوَانِي مُسْتَهَاماً مُتَيَّمَا
إِذَا قُلْتُ مَاتَ ٱلشَّوْقُ مِنْهُ تَنَسَّمَتْ لَهُ أَرْيَحِيَّاتُ ٱلصِّبَى فَتَنَسَّمَا

وقال آخر

لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِي غُنَيُّ بْنُ مَالِكٍ لَعَلَّ ٱلْهَوَى بَعْدَ ٱلتَّجَلُّدِ قَاتِلُهْ
وَمَا تُحْدِثُ ٱلْأَيَّامُ وَٱلدَّهْرُ لَمْ تَزَلْ لِلَيْلَى كَثِيرَاتُ ٱلْهَوَى وَقَلَائِلُهْ

وقال قيس بن ذريح

وَإِنِّي وَإِنْ أَزْمَعْتُ عَنْهَا تَجَلُّدًا عَلَى ٱلْعَهْدِ فِيمَا بَيْنَنَا لَمُقِيمُ *١٦٥
إِلَى ٱللهِ أَشْكُو فَقْدَ لُبْنَى كَمَا شَكَا إِلَى ٱللهِ فَقْدَ ٱلْوَالِدَيْنِ يَتِيمُ

ولبعض اهل هذا العصر

أَبَى لِي ٱلْوَفَاءُ دَوَامَ ٱلْجَفَا وَحَلَّ ٱلْحَنِينُ عَدِيمَ ٱلْعَزَا
قَعَدْتُ إِلَى ٱلْوَصْلِ مُسْتَعْطِفاً وَقَدْ كُنْتُ قَبْلُ شَدِيدَ ٱلْإِبَا
وَإِنِّي لَفِي طُولِ كَتْمِ ٱلْهَوَى وَسَتْرِيهِ عَنْكَ بِفَرْطِ ٱلْجَفَا
كَمَنْ يَنْفُخُ ٱلْبُوقَ مُسْتَخْفِياً وَيَضْرِبُ بِٱلطَّبْلِ تَحْتَ ٱلْكِسَا
فَيَا قَلْبُ وَيْحَكَ كُنْ حَازِماً إِذَا تَاهَ رَامَ سَبِيلَ ٱلنَّجَا
وَلَا تَكُ ذَا عَزْمَةٍ جَاهِلًا إِذَا مَا ٱعْتَدَى لَجَّ فِي ٱلْاعْتِدَا
فَسَلِّ ٱلْحُقُودَ بِرَعْيِ ٱلْعُهُودِ وَدَاوِ ٱلْجَفَاءَ بِرَعْيِ ٱلْوَفَا
فَأَوْجَعُ مِنْ حَمْلِ عَتْبِ ٱلصَّفَا زَوَالُ ٱلصَّفَاءِ وَقَطْعُ ٱلْإِخَا
فَسَامِحْ هَوَاكَ وَكُنْ مُدْنَفًا أَحَبَّ ٱلدَّوَاءِ لِحُبِّ ٱلشِّفَا

وانشدني احمد بن يحيى لمجنون بني عامر

وَدَاعٍ دَعَا إِذْ نَحْنُ بِٱلْخَيْفِ مِنْ مِنًى فَهَيَّجَ أَطْرَابَ ٱلْفُؤَادِ وَمَا يَدْرِي
دَعَا بِٱسْمِ لَيْلَى غَيْرَهَا فَكَأَنَّمَا أَطَارَ بِلَيْلَى طَائِرًا كَانَ فِي صَدْرِي

وزادني غيره

عَرَضْتُ عَلى قَلْبِي ٱلْعزَاءَ فقَالَ لِي ٱ مِنَ ٱلْآنَ فَٱجْزَعْ لَا أَغُرُّكَ بِٱلصَّبْرِ

فَهٰذَا عَلَى كُلِّ حَالٍ أَقْرَبُ إِلَى دَرَجَةِ ٱلْكَمَالِ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُخْبِرُ أَنَّ ٱشْتِيَاقَهُ ظَهَرَ بَعْدَ أَنْ كَانَ كَامِناً وَأَنَّهُ عَرَضَ عَلَى قَلْبِهِ ٱلْعَزَاءَ فَأَبَى عَلَيْهِ إِلَّا ٱلْوَفَاءَ وَظُهُورُ ٱلشَّوْقِ بَعْدَ كُمُونِهِ أَحْسَنُ مِنْ رُجُوعِ ٱلْعِشْقِ بَعْدَ سُكُونِهِ وَفِي هٰذَا ٱلْمَعْنَى ٱلَّذِي ٱخْتَرْنَاهُ

يقول امرؤ القيس

١٦٦ سَمَا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كَانَ أَقْصَرَا ٱ وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ خَبْتٍ فَعَرْعَرَا*

كِنَانِيَّةٌ بَاتَتْ وَفِي ٱلصَّدْرِ وُدُّهَا ٱ مُجَاوِرَةَ ٱلنُّعْمَانِ وَٱلْحَيِّ يَعْمُرَا

وفي ضده وهو المعنى الذي ذممناه بقول المتلمس

صَبَا مِنْ بَعْدِ سَلْوَتِهِ فُؤَادِي ٱ وَأَسْمَحَ لِلْقَرِينَةِ بِٱلْقِيَادِ

كَأَنِّي شَارِبٌ يَوْمَ ٱسْتَقَلُّوا ٱ وَحَثَّ بِهِمْ إِلَى ٱلْمَوْمَاةِ حَادِي

عُقَاراً عُتِّقَتْ فِي ٱلدَّنِّ حَتَّى ٱ كَأَنَّ حُبَابَهَا حَدَقُ ٱلْجَرَادِ

وقال البحتري

عَنَانِي مِنْ صُدُودِكِ مَا عَنَانِي ٱ وَعَاوَدَنِي هَوَاكِ كَمَا بَدَانِي

وَذَكَّرَنِي ٱلتَّبَاعُدُ ظِلَّ عَيْشٍ ٱ لَهَوْنَا فِيهِ أَيَّامَ ٱلتَّدَانِي

أُلَامُ عَلَى هَوَى ٱلْحَسْنَاءِ ظُلْماً ٱ وَقَلْبِي فِي يَدِ ٱلْحَسْنَاءِ عَانِي

وانشدني ابو العباس احمد بن يحيى النحوي لزياد بن منقذ

لَا حَبَّذَا أَنْتِ يَا صَنْعَاءُ مِنْ بَلَدٍ ٱ وَلَا شُعُوبُ هَوًى مِنَّا وَلَا نُقُمُ

وَحَبَّذَا حَيْثُ تُمْسِي ٱلرِّيحُ بَارِدَةً ٱ وَادِي أُشَيٍّ وَفِتْيَانٌ بِهِ هُضُمُ

أَلْمُوسِعُونَ إِذَا مَا جَرَّ غَيْرُهُمُ ٱ عَلَى ٱلْعَشِيرَةِ وَٱلْكَافُونَ مَا جَرَمُوا

لَمْ أَلْقَ بَعْدَهُمُ قَوْماً فَأَخْبُرَهُمْ ٱ إِلَّا يَزِيدُهُمُ حُبّاً إِلَيَّ هُمُ

مُخَدَّمُونَ ثِقَالٌ فِي مَجَالِسِهِمْ ۝ وَفِي ٱلرِّجَالِ إِذَا صَاحَبْتَهُمْ خَدَمُ

وقال امرؤ القيس

تَأَوَّبَنِي دَائِي ٱلْقَدِيمُ فَغَلَّسَا ۝ أُحَاذِرُ أَنْ يَزْدَادَنِي فَأُنْكَسَا
وَلَمْ يَرِمِ ٱلدَّارَ ٱلْكَئِيبُ فَشَعْشَعَا ۝ كَأَنِّي أُنَادِي أَوْ أُكَلِّمُ أَخْرَسَا
فَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلدَّارِ فِيهَا كَعَهْدِهِمْ ۝ وَجَدْتُ مَقِيلًا فِيهِمِ وَمُعَرَّسَا
فَلَا تُنْكِرِينِي إِنَّنِي أَنَا جَارُكُمْ ۝ لَيَالِيَ حَلَّ ٱلْحَيُّ غَوْلًا فَأَلْعَسَا

وقال آخر* ١٧٦

وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ أَحْسِبُ أَنَّنِي ۝ ذَلُولٌ لِأَيَّامِ ٱلْفِرَاقِ أَرِيبُ
فَأَشْرَفْتُ يَوْمًا لِلْوَدَاعِ فَشَاقَنِي ۝ وَذُو ٱلشَّوْقِ فِي أَعْلَى ٱلْيَفَاعِ طَرُوبُ
فَمَا بَرِحَتْ نَفْسِي تُسَاقِطُ أَنْفُسًا ۝ وَتَجْمُدُ رُوحِي مَرَّةً وَتَذُوبُ

وقال بشار

إِرْجِعْ إِلَى سَكَنٍ تَعِزُّ بِهِ ۝ أَفِدَ ٱلزَّمَانُ وَأَنْتَ مُنْفَرِدُ
تَرْجُو غَدًا وَغَدٌ كَحَامِلَةٍ ۝ فِي ٱلْحَيِّ لَا يَدْرُونَ مَا تَلِدُ

وقال ابو تمام

أَلْبَيْنُ جَرَّعَنِي نَقِيعَ ٱلْحَنْظَلِ ۝ [وَ]ٱلْبَيْنُ أَثْكَلَنِي وَإِنْ لَمْ أُثْكَلِ
مَا حَسْرَتِي أَنْ كِدْتُ أَتْلَفُ إِنَّمَا ۝ حَسَرَاتُ نَفْسِي أَنَّنِي لَمْ أَفْعَلِ
كَمْ مَنْزِلٍ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْلَفُهُ ٱلْفَتَى ۝ وَحَنِينُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ
نَقِّلْ فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ ٱلْهَوَى ۝ مَا ٱلْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ ٱلْأَوَّلِ

وقال زرعة الجعدي

إِذَا مَا ٱلْتَقَيْنَا بَعْدَ شَحْطٍ مِنَ ٱلنَّوَى ۝ تَعَرَّضَ بُخْلٌ بَيْنَنَا مُتَتَابِعُ
أَهَابُ وَأَسْتَحْيِي فَلَسْتُ بِقَائِلٍ ۝ صِلِينِي وَلَا مَعْرُوفُهَا لِيَ نَافِعُ
رَمَتْ عَيْنَ مَنْ يَهْوَى بِعَيْنٍ خَلِيَّةٍ ۝ وَأُخْرَى إِلَيْنَا بِالْمَوَدَّةِ طَالِعُ

إِذَا ٱلْمَوْتُ نَسَّى حُبَّ لَيْلَى فَإِنَّهُ   إِذَا رَاجَعَتْ نَفْسِي ٱلْحَيَاةُ لَرَاجِعُ

وقال الوليد بن عبيد الطائي

أَحْبِبْ إِلَيَّ بِطَيْفِ سُعْدَى ٱلْآتِي   وَطُرُوقِهِ فِي أَعْجَبِ ٱلْأَوْقَاتِ
أَنَّى ٱهْتَدَيْتَ لِمُحْرِمِينَ تَصَوَّبُوا   لِسُفُوحِ مَكَّةَ مِنْ رُبَى عَرَفَاتِ
ذَكَّرْتَنَا عَهْدَ ٱلشَّآمِ وَعَيْشَنَا   بَيْنَ ٱلْقِنَانِ ٱلسُّودِ فَٱلْهَضَبَاتِ
١٦٨ إِذْ أَنْتَ شَكْلُ مُوَافِقٍ وَمُخَالِفٍ   وَٱلدَّهْرُ فِيكَ مُمَانِعٌ وَمُوَآتِ*
أَبَنِي عُبَيْدٍ شَدَّ مَا ٱحْتَرَقَتْ لَكُمْ   كَبِدِي وَفَاضَتْ فِيكُمْ عَبَرَاتِي
أَلْقَى مَكَارِمَكُمْ شَجًى لِي بَعْدَكُمْ   وَأَرَى سَوَابِقَ دَمْعِكُمْ حَسَرَاتِي
لَمْ تُحْدِثِ ٱلْأَيَّامُ لِي بَدَلًا بِكُمْ   أَيْهَاتِ مِنْ بَدَلٍ بِكُمْ أَيْهَاتِ

وقال آخر

إِذَا قِيلَ إِنَّ ٱلنَّأْيَ يُسْلِيكَ ذِكْرَهَا   أَلَمَّ خَيَالٌ مِنْ أُمَيْمَةَ يُسْعِفُ
فَمَنْ لَامَنِي فِي أَنْ أَهِيمَ بِذِكْرِهَا   تَكَلَّفَ مِنْ وَجْدٍ بِهَا مَا أُكَلَّفُ

فَإِذَا كَانَ طَيْفُ ٱلْخَيَالِ يَرُدُّ ٱلْهَوَى عَلَى مَنْ قَدْ سَلَاهُ وَيُذَكِّرُ عَهْدَ ٱلصِّبَا مَنْ قَدْ تَنَاسَاهُ فَمَا ظَنُّكَ بِحُضُورِ ٱلْفِرَاقِ وَٱلْهِجْرَانِ وَمُقَاسَاةِ ٱلِاسْتِبْدَالِ بِٱلْإِخْوَانِ هٰذِهِ أَحْوَالٌ لَا يُقَاوِمُهَا ٱلْجَفَاءُ وَلَا يُعَارِضُهَا ٱلْعَزَاءُ غَيْرَ أَنَّ مَنْ كَانَ سُلُوُّهُ سُلُوَّ ٱسْتِغْنَاءٍ لَمْ يَكْتَرِثْ لِوُرُودِ شَيْءٍ مِنْ هٰذِهِ ٱلْأَشْيَاءِ

الباب الثالث والعشرون

مَنْ غَلَبَهُ هَوَاهُ عَلَى ٱلصَّبْرِ صَبَرَ لِمَنْ يَهْوَاهُ عَلَى ٱلْغَدْرِ

هٰذِهِ ٱلْحَالُ لَيْسَتْ جَارِيَةً عَلَى ٱلتَّرْتِيبِ فَيَقَعُ لِصَاحِبِهَا عُذْرٌ أَوْ تَأْنِيبٌ

لِأَنَّهَا حَالٌ قَدْ تَجَاوَزَتْ حَدَّ ٱلْعِشْقِ بِرِضَى ٱلْمُحِبِّ بِكُلِّ فِعْلِ ٱلْمَحْبُوبِ وَهُوَ صَاحٍ عَنْهَا فَأَوْقَعَ لَهُ ٱخْتِيَارُهُ ٱلرِّضَى بِهَا وَٱلْمَحَبَّةَ مَعَهَا ثُمَّ تَبِعَتْهَا أَشْيَاءُ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهَا إِلَّا أَنَّهَا لَيْسَتْ هَتْكاً لِحِجَابِ ٱلْمَوَدَّةِ فَٱجْتَمَعَتْ مَعَهَا وَهٰذِهِ حَالٌ وَقَعَتْ بِٱلْمَحْبُوبِ بَعْدَ أَنْ وَقَعَ ٱلرِّضَى مِنْ مُحِبِّهِ بِخِلَافِهَا ثُمَّ وَقَعَ ٱلسُّخْطُ مِنْهُ بِحُدُوثِهَا وَٱلتَّبَاعُدُ مِنْ صَاحِبِهَا ثُمَّ عَرَضَتِ ٱلْحَيْرَةُ ٱلَّتِي لَا تَمْيِيزَ مَعَهَا فَرَدَّتْهُ بِٱلصُّغْرِ إِلَى مَا لَا يَرْضَاهُ وَصَيَّرَتْهُ عَلَى مَا كَانَ قَبْلَ وُقُوعِهِ يَخْشَاهُ وَبَيْنَ ٱلرِّضَى ٱلْاِخْتِيَارِيِّ وَبَيْنَ ٱلرِّضَى ٱلْاِضْطِرَارِيِّ بَوْنٌ بَعِيدٌ

١٦٩ قال ذو الرمة*

أَجِدَّكَ قَدْ وَدَّعْتَ مَيَّةَ إِذْ نَأَتْ ... فَوَلَّى بَقَايَا ٱلْحُبِّ إِلَّا أَمِينُهَا
وَإِنِّي لَطَاوٍ سِرَّهَا مَوْضِعَ ٱلْحَشَا ... كُمُونَ ٱلثَّرَى فِي عَهْدَةٍ يَسْتَبِينُهَا
لَئِنْ زُوِّجَتْ مَيٌّ خُنَيْساً لَطَالَ مَا ... بَغَى مُنْذِرٌ مَيّاً خَلِيلاً يُهِينُهَا
تَزِينُكَ إِنْ جَرَّدْتَهَا مِنْ ثِيَابِهَا ... وَأَنْتَ إِذَا جُرِّدْتَ يَوْماً تَشِينُهَا
وَلَمَّا أَتَانِي أَنَّ مَيّاً تَزَوَّجَتْ ... خُنَيْساً بَكَى سَهْلُ ٱلْمِعَى وَحُزُونُهَا
فَيَا نَفْسُ ذِلِّي بَعْدَ مَيٍّ وَسَامِحِي ... فَقَدْ سَامَحَتْ مَيٌّ وَذَلَّ قَرِينُهَا

وقال عمر بن نجا

أَتَى ٱلْبُخْلُ دُونَ ٱلْجُودِ مِنْ أُمِّ وَاصِلٍ ... وَضَنَّ عَلَيْنَا بِٱلْعَطَاءِ ضَنِينُهَا
فَلِلَّهِ دَرِّي يَوْمَ مَالَتْ مَوَدَّتِي ... إِلَيْهَا وَلَمْ تَرْجِعْ إِلَيَّ يَمِينُهَا
وَمَا خُنْتُهَا إِنَّ ٱلْخِيَانَةَ كَٱسْمِهَا ... وَلَا نَصَحَتْ نَفْسِي لِنَفْسٍ تَخُونُهَا
مَدَدْتُ حِبَالاً مِنْكِ حَتَّى تَقَطَّعَتْ ... إِلَيَّ وَمَا خَانَ ٱلْحِبَالَ مَتِينُهَا
فَكَيْفَ أَشَعْتِ ٱلسِّرَّ يَا أُمَّ وَاصِلٍ ... وَمَا أَخْلَصَ ٱلْأَسْرَارَ إِلَّا أَمِينُهَا

وقال آخر

أَكُرُّ إِلَى لَيْلَى وَأَحْسِبُ أَنَّنِي ... كَرِيمٌ عَلَى لَيْلَى وَغَيْرِي كَرِيمُهَا

فَأَصْبَحْتُ قَدْ أَجْمَعْتُ هَجْرًا لِبَيْتِهَا   وَفِي ٱلْعَيْنِ مِنْ لَيْلَى قَذًى مَا يَرِيمُهَا
لَئِنْ آثَرَتْ بِٱلْوُدِّ أَهْلَ بِلَادِهَا   عَلَى نَازِحٍ مِنْ أَرْضِهَا لَا يَرِيمُهَا
وَمَا يَسْتَوِي مَنْ لَا يَرَى غَيْرَ لِمَّةٍ   وَمَنْ هُوَ ثَاوٍ عِنْدَهَا لَا يَرِيمُهَا

وقال بعض الاعراب

شَكَوْتُ إِلَى رَفِيقَيَّ ٱلَّذِي بِي   فَجَاءَانِي وَقَدْ جَمَعَا دَوَاءَ
وَجَاءَا بِٱلطَّبِيبِ لِيَكْوِيَانِي   وَمَا أَبْغِي عَدِمْتُهُمَا ٱكْتِوَاءَ
١٧٠ فَلَوْ ذَهَبَا إِلَى لَيْلَى فَشَاءَتْ   لَأَهْدَتْ لِي مِنَ ٱلسُّقْمِ ٱلشِّفَاءَ
تَقُولُ نَعَمْ سَأَقْضِي ثُمَّ تَلْوِي   وَلَا تَنْوِي وَإِنْ قَدَرَتْ قَضَاءَ
أَصَارِمَةٌ حِبَالَ ٱلْوَصْلِ لَيْلَى   لِأَخْضَعَ يَدَّعِي دُونِي وَلَاءَ
وَمُؤْثِرَةٌ ٱلرِّجَالِ عَلَيَّ لَيْلَى   وَلَمْ أُوثِرْ عَلَى لَيْلَى ٱلنِّسَاءَ
وَلَوْ كَانَتْ تَسُوسُ ٱلْبَحْرَ لَيْلَى   صَدَرْنَا عَنْ شَرَائِعِهِ ظِمَاءَ
فَمُرَّا صَاحِبَيَّ بِدَارِ لَيْلَى   جُعِلْتُ لَهَا وَإِنْ بَخِلَتْ فِدَاءَ
أَرَيْتُكَ إِنْ مَنَعْتَ كَلَامَ لَيْلَى   أَتَمْنَعُنِي عَلَى لَيْلَى ٱلْبُكَاءَ

ولبعض اهل هذا العصر

وَتَزْعُمُ لِلْوَاشِينَ أَنِّيَ فَاسِدٌ   عَلَيْكَ وَأَنِّي لَسْتُ مِمَّا عَهِدْتِنِي
وَمَا فَسَدَتْ لِي يَشْهَدُ ٱللهُ نِيَّةٌ   وَلٰكِنَّمَا ٱسْتَفْسَدْتِنِي فَٱتَّهَمْتِنِي
غَدَرْتَ بِعَهْدِي عَامِدًا وَأَخَفْتَنِي   فَخِفْتُ وَلَوْ آمَنْتَنِي لَأْتَمَنْتَنِي
إِلَى ٱللهِ أَشْكُو لَا إِلَيْكَ فَطَالَمَا   شَكَوْتُ ٱلَّذِي أَلْقَى إِلَيْكَ فَزِدْتَنِي

وله ايضاً

أُفَوِّضُ أَسْبَابِي إِلَى ٱللهِ كُلَّهَا   وَأَقْنَعُ بِٱلْمَقْدُورِ فِيهَا وَأَرْتَضِي
وَأَسْمَحُ بِٱلتَّفْوِيضِ حَتَّى إِذَا ٱنْتَهَى   ضَمِيرِي إِلَى مَا بَيْنَنَا لَمْ أُفَوِّضِ
وَبِٱللهِ لَوْ خُيِّرْتُ بَيْنَكَ غَادِرًا   وَبَيْنَ كِلَا ٱلْمُلْكَيْنِ تَخْيِيرَ مُقْتَضٍ

رَضِيتُـكَ حَظًّا مِنْهُمَا غَـيْرَ أَنَّنِي   بِهٰذَا ٱلَّذِي تَرْضَاهُ لِي غَيْرُ مُرْتَضِ

وله ايضاً

أَبَتْ غَلَبَـاتُ ٱلشَّوْقِ إِلَّا تَقَرُّبَا   إِلَيْـكَ وَنَأْيُ ٱلْعَـذْلِ إِلَّا تَجَنُّبَا
عَلَيَّ رَقِيبٌ مِنْكَ خَالٍ بِمُهْجَتِي   إِذَا أَنَا سَهَّلْتُ ٱطِّرَاحَـكَ صَعَّبَـا
فَهَاءَنَـذَا وَقْفٌ عَلَيْـكَ مُجَرَّبٌ   إِذَا مَا نَبَا بِي مَرْكَبٌ رُمْتُ مَرْكَبَا
وَمَا كَانَ صَدِّي عَنْكَ صَدَّ مَلَالَةٍ   وَلَا كَانَ إِقْبَالِي عَلَيْـكَ تَطَرُّبَا* ١٧١
وَلَا كَانَ ذَاكَ ٱلْعَذْلُ إِلَّا نَصِيحَةً   وَلَا ذَلِـكَ ٱلْإِغْضَاءُ إِلَّا تَهَيُّبَا
وَلَا ٱلْهَجْرُ إِلَّا فَرْطُ مَنٍّ وَلَا ٱلرِّضَى   بِـلَا سَبَبٍ إِلَّا ٱشْتِيَـاقًا مُعَذِّبَا
وَمَنْ يُمْنَعِ ٱلْعَذْبَ ٱلزُّلَالَ وَيَمْتَنِعْ   مِنَ ٱلشُّرْبِ مِنْ سُؤْرِ ٱلْكِلَابِ تَغَضُّبَا
خَلِيقٌ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ شُرْبَ غَيْرِهِ   وَخَافَ ٱلْمَنَـايَا أَنْ يَـذِلَّ فَيَشْرَبَا
إِذَا ٱلْمَرْءُ لَمْ يُقْدَرْ لَهُ مَـا يُرِيـدُهُ   أَرَادَ ٱلَّذِي يُقْضَى لَـهُ شَاءَ أَمْ أَبَى

وانشد اعرابي ببلاد نجد

فَيَا عَجَبًا مِنْ صَوْنِيَ ٱلْوُدَّ فِي ٱلْحَشَا   لِمَنْ هُوَ فِيمَا قَـدْ بَـدَا لِيَ وَاتِرُ
وَمِنْ طَلَبِي بِٱلْوُدِّ ثَأْرِي وَلَمْ يَكُنْ   لِيُـدْرِكَ تَبْـلًا بِٱلْمَوَدَّةِ ثَائِرُ
فَيَا عَجَبَـا مِنِّي وَمِنْهَـا تُضِيعُنِي   وَأَحْفَظُهَا هٰذَا ٱخْتِـلَافُ ٱلسَّرَائِرِ
وَيَا عَجَبًا كَيْفَ ٱتَّفَقْنَـا فَنَـاصِحٌ   مُصِرٌّ وَمَطْوِيٌّ عَلَى ٱلْغِشِّ غَـادِرُ

وقال البحتري

مُغْتَرِبُ ٱلدَّارِ إِنْ أَرُضْهُ أَجِدْ   مَسَافَةَ ٱلنَّجْمِ دُونَ مُغْتَرِبِهْ
رَاجَعْتُهُ ٱلْقَوْلَ فِي مُلَاطَفَـةٍ   أَهْرُبُ مِنْ صِدْقِهِ إِلَى كَذِبِهْ

وقال آخر

سَأُعْرِضُ بِٱلشَّكِّ دُونَ ٱلْيَقِينِ   حَتَّى أُحَسِّنَ غَـيْرَ ٱلْحَسَنْ
وَأَقْنَعُ إِذْ خُنْتَنِي مُعْلِنًا   بِقَوْلِكَ فِي ٱلسِّرِّ لِي لَمْ أَخُنْ

وقال مسلم بن الوليد

سَلَوْتُ وَإِنْ قَالَ ٱلْعَوَاذِلُ لَا يَسْلُو وَأَقْسَمْتُ لَا يَرْقَى إِلَى سَمْعِيَ ٱلْعَذْلُ
أَجَارَتَنَا مَا فِي فِرَاقِكِ رَاحَةٌ وَلٰكِنْ جَرَى قَوْلٌ فَأَنْتِ بِهِ بَسْلُ
أَمَا وَٱغْتِيَالِ ٱلدَّهْرِ خُلَّةَ بَيْنِنَا لَقَدْ غَالَ إِلْفاً سَاكِناً بِهِمُ ٱلشَّمْلُ
فَمَا بِي إِلَى مُسْتَطْرَفِ ٱلْعَيْشِ وَحْشَةٌ وَإِنْ كُنْتُ لَا مَالٌ لَدَيَّ وَلَا أَهْلُ * ١٧٢
تَنَاهَى بِكِ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي تَكْرَهِينَهُ إِلَى ٱلْحِلْمِ بِٱلْعُتْبَى وَقَدْ سَبَقَ ٱلْجَهْلُ
عَلَيْكِ سَلَامٌ مِنْ أَخٍ كَانَ صَاحِباً بِهِ تَنْزِلُ ٱلشَّكْوَى وَيُحْتَمَلُ ٱلثِّقْلُ
إِذَا تَمَّ حَالٌ وَهْوَ غَايَةُ مَنْ بَكَى حَلَا بَعْدَكِ ٱلْعَيْشُ ٱلَّذِي قُلْتُ لَا يَحْلُو

وَهٰذَا كَلَامٌ يَسْتَغْنِي قَارِئُهُ بِقِرَاءَتِهِ عَنِ ٱلتَّنْبِيهِ عَلَى تَنَاقُضِهِ وَٱسْتِحَالَتِهِ وَلَا عُذْرَ فِي ذٰلِكَ إِلَّا غَلَبَةُ ٱلْحَيْرَةِ عَلَى قَائِلِهِ وَفِي دُونِ هٰذِهِ ٱلْحَالِ مَا يُذْهِلُ ٱلْعُقُولَ وَيُطِيشُ ٱلْأَلْبَابَ وَلَيْسَ ٱلْعَجَبُ مِمَّنْ أَخْطَأَ فِي هٰذَا وَإِنَّمَا ٱلْعَجَبُ مِمَّنْ أَصَابَ

وقال علي بن محمد العلوي

لَيَالِيَ يَأْلَفُكَ ٱلْغَانِيَاتُ وَكُنَّ وَكُنْتَ صَغِيراً صِغَارَا
وَقَدْ كُنْتَ تَمْلِكُ أَلْحَاظَهُنَّ فَصِرْنَ يُعِرْنَكَ لَحْظاً مُعَارَا
فَأَصْبَحْنَ أَعْقَبْنَ بَعْدَ ٱلْوِدَادِ بِعَاداً وَبَعْدَ ٱلسُّكُونِ ٱلنِّفَارَا
فَلَا غَرَّنِي غَرَرُ ٱلْحَادِثَاتِ وَقَدْ كُنْتُ أَوْسِعُهُنَّ ٱغْتِرَارَا

وقال البحتري

أُخْفِي هَوًى لَكِ فِي ٱلضُّلُوعِ وَأُظْهِرُ وَأُلَامُ فِي كَمَدٍ عَلَيْكِ وَأُعْذَرُ
وَأَرَاكِ خُنْتِ عَلَى ٱلنَّوَى مَنْ لَمْ يَخُنْ عَهْدَ ٱلْهَوَى وَهَجَرْتِ مَنْ لَا يَهْجُرُ
وَطَلَبْتُ مِنْكِ مَوَدَّةً لَمْ أُعْطَهَا إِنَّ ٱلْمُعَنَّى طَالِبٌ لَا يَظْفَرُ
هَلْ دَيْنُ عَلْوَةَ يُسْتَطَاعُ فَيُقْتَضَى أَوْ ظُلْمُ عَلْوَةَ يَسْتَفِيقُ فَيُقْصِرُ

وقال ايضاً

تَمَادَى بِهَا وَجْدِي وَمُلِّكَ وَصْلَهَا   خَلِيُّ ٱلْحَشَا فِي وَصْلِهَا جِدُّ زَاهِدِ
وَمَا ٱلنَّاسُ إِلَّا وَاجِدٌ غَيْرُ مَالِكٍ   لِمَا يَبْتَغِي أَوْ مَالِكٌ غَيْرُ وَاجِدِ
سَقَى ٱلْغَيْثُ أَكْنَافَ ٱلْحِمَى مِنْ مَحَلَّةٍ   إِلَى ٱلْحِقْفِ مِنْ رَمْلِ ٱللِّوَى ٱلْمُتَقَاوِدِ

وقال آخر* ١٧٣

طَلَبْتُ أَخاً مَحْضاً صَحِيحاً مُسَلَّماً   نَقِيّاً مِنَ ٱلْآفَاتِ فِي كُلِّ مَوْسِمِ
لِأَمْنَحَهُ وُدِّي فَلَمْ أُدْرِكِ ٱلَّذِي   طَلَبْتُ وَمَنْ لِي بِٱلصَّحِيحِ ٱلْمُسَلِّمِ

وقال الاحوص

قَدْ وَدَّعَتْكَ وَدَاعَ ٱلصَّارِمِ ٱلْقَالِي   نَعَمْ وَدَاعُ بِنَاءٍ غَيْرَ إِذْلَالِ
وَعَادَ مَا وَدَّعَتْنِي مِنْ مَوَدَّتِهَا   بَعْدَ ٱلْمَوَاثِيقِ كَٱلْجَارِي مِنَ ٱلْآلِ
فَقُلْتُ لَمَّا أَتَانِي أَنَّهَا خَتَرَتْ   وَطَاوَعَتْ قَوْلَ أَعْدَائِي وَعُذَّالِي
إِنْ تَصْرِمِ ٱلْحَبْلَ أَوْ تَرْضِ ٱلْوُشَاةَ بِنَا   أَوْ تُمْسِ قَدْ رَضِيَتْ مِنَّا بِأَبْدَالِ
فَقَدْ أَرَاهَا وَمَا تَبْغِي بِنَا بَدَلًا   وَلَا تُطِيعُ بِنَا فِي سَالِفِ ٱلْحَالِ
أَبْقَى لَهَا ٱلدَّهْرُ مِنْ وُدِّي ٱلَّذِي عَهِدَتْ   أَمْرَيْنِ لَمْ يَبْرَحَا مِنِّي عَلَى بَالِ
شَوْقاً إِلَيْهَا إِذَا بَتَّتْ مَنَاسِبَهَا   يَوْماً وَأَبْصَرْتُ مِنْهَا رَسْمَ أَطْلَالِ
وَحِفْظَ مَا ٱسْتَوْدَعَتْ عِنْدِي وَقَدْ زَعَمَتْ   أَنْ لَيْسَ يُحْسِنُ حِفْظَ ٱلسِّرِّ أَمْثَالِي
إِنْ كَانَ يُسْلِي فُؤَادِي مَا أَتَيْتِ بِهِ   فَلَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي وَلَا مَالِي
جُهْداً لَأُعْلِمَهَا ٱلْوُدَّ ٱلَّذِي [عَهِدَتْ]   عِنْدِي وَأَكَّدْتُ أَقْوَالًا بِأَقْوَالِ

وقال ايضاً

مَتَى مَا تَحُلِّي مِنْ [ذُرَى] ٱلْأَرْضِ تَلْعَةً   أَزُرْكِ وَيَكْثُرْ حَيْثُ كُنْتِ تَرَدُّدِي
وَإِنْ كُنْتُ شَوْقاً مَوْهِناً وَذَكَرْتُهَا   لَأَرْجِعُ بِٱلرَّوْحَاءِ عَوْدِي عَلَى بَدِي
وَقُلْتُ لِعَيْنِي قَدْ شَقِيتُ بِذِكْرِهَا   فَجُودِي بِمَاءِ ٱلْمُقْلَتَيْنِ أَوِ ٱجْمُدِي

أَجِدَّكَ تَنْسَى أُمَّ عَمْرٍو وَذِكْرُهَا   شِعَارُكَ دُونَ ٱلثَّوْبِ فِي كُلِّ مَرْقَدِ
فَإِنْ تَتَّبِعْهَا تُغْضِ عَيْنًا عَلَى ٱلْقَذَى   وَإِنْ تَجْتَنِبْهَا بَعْدَ مَا نِلْتَ تَكْمَدِ

أَمَّا مَنْ دَعَتْهُ ٱلضَّرُورَةُ إِلَى ٱلصَّبْرِ عَلَى مَنْ غَدَرَ بِهِ فَلَا مَدْخَلَ لَنَا فِي أَمْرِهِ وَأَمَّا مَنْ يَتَمَنَّى لِإِلْفِهِ أَنْ يَمِيلَ إِلَى حُبِّ غَيْرِهِ لِيَكُونَ ذٰلِكَ
١٧٤ عَاطِفاً لَهُ عَلَيْهِ*وَدَاعِياً لَهُ إِلَى وَصْلِهِ فَهُوَ مِنَ ٱلْحُمْقِ فِي مَحَلٍّ قَلَّ مَا يَتَهَيَّأُ مِثْلُهُ وَمَا أَحْسِبُ مَنْ هٰذِهِ صِفَتُهُ يَكُونُ إِلَّا دَاخِلًا فِي جُمْلَةِ مَنْ وَقَعَتْ لَهُمُ ٱلْمَحَابُّ لِتَنْفِيذِ ضَرْبٍ مِنَ ٱلشَّهَوَاتِ

وقال بعض المحدثين

وَلَمَّا بَدَا لِي أَنَّهَا مَا تُحِبُّنِي   وَأَنَّ فُؤَادِي لَيْسَ عَنْهَا بِمُنْسَلِي
تَمَنَّيْتُ أَنْ تَهْوَى سِوَايَ لَعَلَّهَا   تَذُوقُ حَرَارَاتِ ٱلْهَوَى فَتَرِقُّ لِي

واحسن من هذا ومن كل ما تقدمه قول الآخر

وَٱللهِ لَا نَظَرَتْ عَيْنِي إِلَيْكَ [وَلَا]   سَالَتْ مَسَارِبُهَا شَوْقاً إِلَيْكَ دَمَا
إِلَّا رِيَاءً لِدَفْعِ ٱلْقَوْلِ عَنْكَ وَلَا   نَازَعْتُكَ ٱلدَّهْرَ إِلَّا مُكْرَهاً كَلِمَا
إِنْ كُنْتَ خُنْتَ فَلَمْ أُضْمِرْ خِيَانَتَكُمْ   وَٱللهُ يَأْخُذُ مِمَّنْ خَانَ أَوْ ظَلَمَا
سَمَاحَةً لِمُحِبٍّ خَانَ صَاحِبُهُ   مَا خَانَ قَطُّ مُحِبٌّ يَعْرِفُ ٱلْكَرَمَا

هٰذَا ٱلْبَائِسُ قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ قَطِيعَةَ مَنْ غَدَرَ بِهِ وَصَبَّرَهَا عَلَى ٱلْمَكْرُوهِ كُلِّهِ إِلَّا أَنَّهُ مَعَ ذٰلِكَ غَيْرُ مُضِيعٍ لِمَا فِي ذِمَّتِهِ مِنْ رِعَايَةِ صَاحِبِهِ بِنَفْيِ ٱلظُّنُونِ عَنْهُ وَهٰذَا أَكْثَرُ مَا يُمْكِنُ مِنَ ٱلرِّعَايَةِ أَوْ أَتَمُّ مَا يَتَهَيَّأُ مِنَ ٱلصِّيَانَةِ لِمَنْ بَادَرَ بِٱلْخِيَانَةِ وَلِمَنْ ضَيَّعَ حُقُوقَ ٱلْأَمَانَةِ وَمَنْ مَنَعَ نَفْسَهُ مِنْ طَاعَةِ ٱلْاِشْتِيَاقِ وَهُوَ بَعْدُ مُقِيمٌ تَحْتَ رَايَةِ ٱلْإِشْفَاقِ فَقَدْ قَدَرَ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ وَظَفِرَ بِحَظٍّ جَسِيمٍ

وقال جميل

أَتَوْنِي فَقَالُوا يَا جَمِيلُ تَبَدَّلَتْ بُثَيْنَةُ أَبْدَالًا فَقُلْتُ لَعَلَّهَا
وَعَلَّ حِبَالًا كُنْتُ أَحْكَمْتُ عَقْدَهَا أُتِيحَ لَهَا وَاشٍ رَفِيقٌ فَحَلَّهَا

وَحَدَّثَنِي أَبُو ٱلْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ٱلنَّحْوِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنِ شَيْبٍ قَالَ حَدَّثَنَا مَشْيَخَتُنَا قَالَ بَيْنَمَا ٱلْحَكَمُ بْنُ عَمْرٍ ٱلْغِفَارِيُّ صَاحِبُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ بِخُرَاسَانَ فِي بَعْضِ ٱلْبِلَادِ وَهُوَ وَالِيهَا إِذْ سَمِعَ فِي بَعْضِ غِيَاطِلِهَا رَجُلًا يُغَنِّي بِهٰذَيْنِ ٱلْبَيْتَيْنِ*

١٧٥

تَعَزَّ بِصَبْرٍ لَا وَجَدِّكَ لَا تَرَى [بِوَادِي] ٱلْحَصَى أُخْرَى ٱللَّيَالِي ٱلْغَوَابِرِ
كَأَنَّ فُؤَادِي مِنْ تَذَكُّرِهِ ٱلْحِمَى وَأَهْلَ ٱلْحِمَى يَهْفُو بِهِ رِيشُ طَائِرِ

فَوَقَفَ وَقَالَ عَلَيَّ بِٱلرَّجُلِ فَأُتِيَ بِهِ فَقَالَ وَيْحَكَ مَا أَنْتَ قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ مِنْ بَنِي عَامِرٍ كُنْتُ فِي ٱلدَّهْرِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ فَقَالَ هَلْ لَكَ فِي ٱلْحِمَى فَقَالَ مَا لِي إِلَى ذٰلِكَ سَبِيلٌ وَلِي بِٱلْبِلَادِ أَهْلٌ وَوَلَدٌ قَالَ فَإِنِّي أَحْمِلُ مَعَكَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ قَالَ فَكَيْفَ بِٱلْمَعَاشِ لَا حَاجَةَ لِي فِي هٰذَا قَالَ مَا مِنْ ذٰلِكَ بُدٌّ وَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُحْمَلَ قَالَ فَٱضْطَرَبَ فِي أَيْدِيهِمْ حَتَّى مَاتَ وَهٰذَا مِنْ أَعْجَبِ مَا سَمِعْتُ فِي مَعْنَاهُ وَلَا أَعْرِفُ لِهٰذَا ٱلرَّجُلِ عُذْرًا فِي ٱلْفِرَارِ مِنَ ٱلْمَوْضِعِ ٱلَّذِي يَهْوَاهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدِ ٱتَّصَلَ بِهِ عَنْ مَحْبُوبِهِ مِنَ ٱلْغَدْرِ مَا لَا تَنْبَسِطُ عَلَى مِثْلِهِ يَدُ ٱلصَّبْرِ فَكَانَ ٱلْمُقَامُ عَلَى ٱلْفِرَاقِ وَٱلتَّجَلُّدُ عَلَى دَوَاعِي ٱلِاشْتِيَاقِ أَهْوَنَ عَلَيْهِ مِنْ مُشَاهَدَةِ مَا لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ عِنْدَ ٱلتَّلَاقِ

الباب الرابع والعشرون

مَنْ تَجَلَّدَ عَلَى ٱلنَّوَى فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْبَلَا

إِجتِراءُ ٱلْعُشَّاقِ عَلَى ٱلْمُبَادَرَةِ إِلَى ٱلْفِرَاقِ يَكُونُ إِمَّا لِنَفْيِ أَقْوَالِ ٱلْوُشَاةِ عَنْهُمْ وَعَنْ أَنْفُسِهِمْ وَإِمَّا لِضَجْرَةٍ تَلْحَقُهُمْ مِنْ مَكْرُوهٍ يَقَعُ بِهِمْ وَإِمَّا لِنَشَاطٍ فِي ٱلنَّفْسِ وَزُهْدٍ يَلْحَقُهَا لِقُوَّةِ ٱلظَّفَرِ بِمَا قَدْ حَصَلَ لَهَا فَتَرَى نَفْسَهَا أَجَلَّ مِنْ مَحْبُوبِهَا لِأَنَّهَا مَالِكَةٌ وَلَا شَيْءَ فِي ٱلْعَالَمِ يَعْدِلُهُ وَهُوَ وَإِنْ كَانَ مَالِكًا لَهَا فَإِنَّهَا لَا تَرَى نَفْسَهَا فِي حَدِّ مَا يُفْتَخَرُ بِمُلْكِهِ فَهِيَ لِهٰذِهِ ٱلْعِلَّةِ تَتَكَبَّرُ عَلَيْهِ

ولبعض اهل هذا العصر

أَصُولُ بِهِ تِيهاً عَلَيْهِ فَمَنْ رَأَى ... مِنَ ٱلنَّاسِ قَبْلِي عَاشِقاً يَتَصَلَّفُ
إِذَا خِفْتُ مِنْهُ ٱلْغَدْرَ أَبْدَى تَوَافِياً ... يَزُولُ بِهِ خَوْفِي وَيَبْقَى ٱلتَّخَوُّفُ

وَرُبَّمَا أَعْرَضَ ٱلْعَاشِقُ عَنِ ٱلْمَعْشُوقِ إِمَّا مِنْ جِهَةِ ٱلِامْتِحَانِ لِلصَّبْرِ وَإِمَّا لِتَجْدِيدِ حَالِهِ عِنْدَ مَحْبُوبِهِ وَكَثِيرًا مَا يَجْرِي ٱلْأَمْرُ فِي ذٰلِكَ عَلَى ضِدِّ
١٧٦ تَقْدِيرِهِ *

وفي هذا النحو يقول بعض اهل هذا العصر

أَلَا يَا لَقَوْمِي لِلْهَوَى ٱلْمُتَزَايِدِ ... وَطُولِ ٱشْتِيَاقِ ٱلرَّاحِلِ ٱلْمُتَبَاعِدِ
رَحَلْتُ لِكَيْ أَحْظَى إِذَا أُبْتُ قَادِماً ... فَأَوْرَدَنِي ٱلتَّرْحَالُ سُوءَ ٱلْمَوَارِدِ
كَأَنِّي لَدِيغٌ حَارَ عَنْ كُنْهِ دَائِهِ ... طَبِيبٌ فَدَاوَاهُ بِسُمِّ ٱلْأَسَاوِدِ
فَآلَ مَعَ ٱلدَّاءِ ٱلْقَدِيمِ دَوَاؤُهُ ... فَيَا لَكَ مِنْ دَاءٍ طَرِيفٍ وَتَالِدِ

وقال ابو تمام

هِيَ ٱلْبَدْرُ يُغْنِيهَا تَوَدُّدُ وَجْهِهَا   إِلَى كُلِّ مَنْ لَاقَتْ وَإِنْ لَمْ تُوَدَّدِ
عَلَى أَنَّنِي لَمْ أَحْوِ وَفْرًا مُجَمَّعًا   فَفُزْتُ بِهِ إِلَّا بِشَمْلٍ مُبَدَّدِ
وَلَمْ تُعْطِنِي ٱلْأَيَّامُ نَوْمًا مُسَكَّنًا   أَلَذُّ بِهِ إِلَّا بِنَوْمٍ مُشَرَّدِ
وَطُولُ مُقَامِ ٱلْمَرْءِ فِي ٱلْحَيِّ مُخْلِقٌ   لِدِيبَاجَتَيْهِ فَٱغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ
فَإِنِّي رَأَيْتُ ٱلشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً   إِلَى ٱلنَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدِ

وله ايضاً

أَقَلْبِي قَدْ أَضَاقَ بُكَاكَ ذَرْعِي   وَمَا ضَاقَتْ بِنَازِلَةٍ ذِرَاعِي
أَآلِفَةَ ٱلنَّحِيبِ كَمِ ٱفْتِرَاقٍ   أَلَمَّ فَكَانَ دَاعِيَةَ ٱجْتِمَاعِ
وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ ٱلْأَوْبَاتِ إِلَّا   لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحِ ٱلْوَدَاعِ

وقال زهير بن ابي سلمى

لَعَمْرُكَ وَٱلْخُطُوبُ مُغَيِّرَاتٌ   وَفِي طُولِ ٱلْمُعَاشَرَةِ ٱلتَّقَالِي
لَقَدْ بَالَيْتُ مَظْعَنَ أُمِّ أَوْفَى   وَلٰكِنْ أُمُّ أَوْفَى لَا تُبَالِي

وقال آخر

وَأُعْرِضُ حَتَّى يَحْسِبَ ٱلنَّاسُ إِنَّمَا   بِيَ ٱلْهَجْرُ لَا وَٱللّٰهِ مَا بِي لَكِ ٱلْهَجْرُ
وَلٰكِنْ أَرُوضُ ٱلنَّفْسَ أَنْظُرُ هَلْ لَهَا   إِذَا فَارَقَتْ يَوْمًا أَحِبَّتَهَا صَبْرُ* ١٧٧

وقال آخر

سَأَرْفُضُ مَا يُخَافُ عَلَيَّ مِنْهُ   وَأَتْرُكُ مَا هَوِيتُ لِمَا خَشِيتُ
لِسَانُ ٱلْمَرْءِ يُنْبِي عَنْ نَجَاهُ   وَعِيُّ ٱلْمَرْءِ يَسْتُرُهُ ٱلسُّكُوتُ

وقال آخر

وَكُنْتُ كَذِي دَاءٍ وَأَنْتَ دَوَاؤُهُ   فَهَبْنِي لِدَائِي إِذْ مَنَعْتَ شِفَائِيَا
شِفَائِيَ أَنْ تَخْتَصَّنِي بِكَرَاهَةٍ   وَتَدْرَأَ عَنِّي ٱلْكَاشِحِينَ ٱلْأَعَادِيَا

فَإِلَّا تَنَلْنِي مِنْ يَــدَيْكَ كَرَامَةٌ أُوَلِّ وَأُصْبِحْ مِنْ قُرَى ٱلشَّأْمِ خَالِيَا
وَأَرْضَى بِأُخْرَى قَدْ تَبَدَّلْتُ إِنَّنِي إِذَا سَاءَنِي وَادٍ تَبَــدَّلْتُ وَادِيَا
وَإِلْفٍ صَبَرْتُ ٱلنَّفْسَ عَنْهُ وَقَدْ أَرَى غَــدَاةَ فِرَاقِ ٱلْحَيِّ أَلَّا تَــلَاقِيَا
وَقَدْ قَادَنِي ٱلْجِيرَانُ حُبًّا وَقُدْتُهُمْ وَفَــارَقْتُ حَتَّى مَــا تَحِنُّ جِمَالِيَا

وقال آخر

وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا أُبَالِي مِنَ ٱلنَّوَى وَإِنْ بَانَ جِيرَانٌ عَــلَيَّ كِرَامُ
فَقَدْ جَعَلَتْ نَفْسِي عَلَى ٱلنَّأْيِ تَنْطَوِي وَعَيْنِي عَلَى فَقْــدِ ٱلْحَبِيبِ تَنَــامُ

وقال عمر بن ابي ربيعة

وَكَمْ مِنْ خُلَّــةٍ أَعْرَضْتُ عَنْهَا لِغَــيْرِ قِلًى وَكُنْتُ بِهَا ضَنِينَــا
أَرَدْتُ فِرَاقَهَــا فَصَــدَدْتُ عَنْهَــا وَلَوْ جُنَّ ٱلْفُؤَادُ بِهَــا جُنُونَا

وقال عمر بن لجا

تَقَطَّعَ مِنْهَــا ٱلْوُدُّ إِلَّا بَقِيَّــةً وَحَالَ ٱلْهَوَى مِمَّــا تُرِيــدُ فَأَبْعَدَا
فَأَصْبَحَ هٰذَا ٱلنَّأْيُ شَيْئًا كَرِهْتُــهُ عَسَى أَنْ تَرَى مَا تَكْرَهُ ٱلنَّفْسُ أَرْشَدَا
وَلَمْ أَرَ مِنْهَــا غَيْرَ مَقْعَــدِ سَاعَــةٍ بِهِ ٱخْتَبَلَتْ عَقْلِي فَيَا لَــكَ مَقْعَدَا

١٧٨ وقال ابو تمام*

تَصَدَّتْ وَحَبْلُ ٱلْبَيْنِ مُسْتَحْصِدٌ شَزْرُ وَقَدْ سَهَّلَ ٱلتَّوْدِيعُ مَا وَعَّرَ ٱلْهَجْرُ
بِكَفَّــهُ بِمَا أَبْكَتْــهُ أَيَّامَ صَدْرُهَــا خَلِيٌّ وَمَا يَخْلُو لَهُ مِنْ هَوًى صَدْرُ
[وَ]قَالَتْ أَتَنْسَى ٱلْبَدْرَ قُلْتُ تَجَلُّدًا إِذَا ٱلشَّمْسُ لَمْ تَغْرُبْ فَلَا طَلَعَ ٱلْبَدْرُ
فَأَبْدَتْ جُمَانًا مِنْ دُمُوعٍ نِظَامُهَــا عَلَى ٱلْخَــدِّ إِلَّا أَنَّ صَانِعَهَــا ٱلشَّفْرُ
وَمَا ٱلدَّمْعُ ثَانٍ عَزْمَتِي وَلَوْ أَنَّهَــا سَقَى خَدَّهَا مِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَهَا شَفْرُ

وقال آخر

إِذَا مَــا أَرَادَ ٱلْغَزْوَ لَمْ يَثْنِ هَمَّــهُ حَصَانٌ عَلَيْهَــا نَظْمُ دُرٍّ يَزِينُهَــا

نَهَتْــهُ فَلَمَّا لَمْ تَرَ ٱلنَّهْيَ عَاقَــهُ بَكَتْ فَبَكَى مِمَّا عَنَاهَــا قَطِينُهَــا

وانشدني احمد بن يحيى النحوي

لَمْ أَنْسَ يَوْمَ ٱلرَّحِيــلِ عَبْرَتَهَــا وَطَرْفُهَــا فِي دُمُوعِهَــا غَرِقُ
وَقَوْلَهَا وَٱلرِّكَــابُ وَاقِفَــةٌ تَتْرُكُنِي هٰــكَذَا وَتَنْطَلِــقُ

• وَقَلَّ مَنِ ٱجْتَرَأَ هٰــذَا ٱلضَّرْبَ مِنَ ٱلْاِجْتِرَاءِ وَحَمَلَ نَفْسَهُ عَلَى هٰــذِهِ ٱلْفَظَاظَةِ وَٱلْجَفَاءِ إِلَّا كَانَ سَرِيعَ ٱلنَّدَمِ عَلَى صَنِيعِهِ شَدِيدَ ٱلْأَسَفِ عَلَى تَضْيِيعِهِ فَكَانَ كَٱلَّذِي يَقُولُ مُعَنِّفاً لِنَفْسِهِ وَمُوَبِّخاً لَهَا عِنْدَ مَا نَزَلَ بِهِ

بَكَيْتَ دَماً حَتَّى ٱلْقِيَامَــةِ وَٱلْحَشْرِ وَلَا زِلْتَ مَغْلُوبَ ٱلْعَزِيمَةِ وَٱلصَّبْرِ
أَتَظْعَنُ طَوْعَ ٱلنَّفْسِ عَمَّنْ تُحِبُّــهُ وَتَبْكِي كَمَا يَبْكِي ٱلْمُفَارِقُ عَنْ صُغْرِ
أَقَمْ لَا تَسِرْ وَٱلْهَمُّ عَنْــكَ بِمَعْزِلٍ وَدَمْعُكَ بَاقٍ فِي جُفُونِكَ لَا يَجْرِي

وكالذي يقول

أَتَظْعَنُ عَنْ حَبِيبِكَ ثُمَّ تَبْكِي عَلَيْهِ فَمَنْ دَعَاكَ إِلَى ٱلْفِرَاقِ
كَأَنَّكَ لَمْ تَذُقْ لِلْبَيْنِ طَعْماً فَتَعْلَمَ أَنَّــهُ مُرُّ ٱلْمَــذَاقِ
أَقِمْ وَٱنْعَمْ بِطُولِ ٱلْقُرْبِ مِنْهُ وَلَا تَظْعَنْ وَتَكْتُبْ بِٱشْتِيَاقِ* ١٧٩
فَمَا ٱعْتَاضَ ٱلْمُفَارِقُ مِنْ حَبِيبٍ وَلَوْ يُعْطَى ٱلشَّآمَ مَعَ ٱلْعِرَاقِ

وقال يزيد بن الطثرية

أَتَبْكِي عَلَى لَيْلَى وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارَكَ مِنْ لَيْلَى وَشَعْبَاكُمَا مَعَا
وَمَا حَسَناً أَنْ تَأْتِيَ ٱلصَّرْمَ طَائِعاً وَتَجْزَعَ أَنْ دَاعِي ٱلصَّبَابَةِ أَسْمَعَــا
قِفَا وَدِّعَا نَجْداً وَمَنْ حَلَّ بِٱلْحِمَى وَقَلَّ لِنَجْــدٍ عِنْــدَنَا أَنْ يُوَدَّعَــا
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ ٱلْحِمَى ثُمَّ أَنْثَوِي عَلَى كَبِدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا
وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ ٱلْحِمَى بِرَوَاجِعٍ عَلَيْكَ وَلٰكِنْ خَلِّ عَيْنَيْكَ تَدْمَعَا

وقال ابو تمام

أَصغَى إِلَى ٱلْبَيْنِ مُغْتَرًّا فَلَا جَرَمَا   إِنَّ ٱلنَّوَى أَسْأَرَتْ فِي عَقْلِهِ لَمَمَا
أَصَمَّنِي سِرُّهُمْ أَيَّامَ فُرْقَتِهِمْ   هَلْ كُنْتَ تَعْرِفُ شَيْئًا يُورِثُ ٱلصَّمَمَا
نَأَى فَظَلَّتْ لِوَشْكِ ٱلْبَيْنِ مُقْلَتُهُ   تُبْدِي نَجِيعًا وَيُبْدِي جِسْمُهُ سَقَمَا
أَظَلَّهُ ٱلْبَيْنُ حَتَّى أَنَّهُ رَجُلٌ   لَوْ مَاتَ مِنْ شُغْلِهِ بِٱلْبَيْنِ مَا عَلِمَا

وقال علي بن الجهم

يَا رَحْمَتَا لِلْغَرِيبِ فِي ٱلْبَلَدِ ٱلنَّا   زِحِ مَاذَا بِنَفْسِهِ صَنَعَا
فَارَقَ أَحْبَابَهُ فَمَا ٱنْتَفَعُوا   بِٱلْعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا ٱنْتَفَعَا

وقال المجنون

فَإِنْ تُرْجِعِ ٱلْأَيَّامُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا   بِذِي ٱلْأَثْلِ صَيْفًا مِثْلَ صَيْفِي وَمَرْبَعِي
أَشُدُّ بِأَعْنَاقِ ٱلنَّوَى بَعْدَ هٰذِهِ   مَرَائِرَ إِنْ جَاذَبْتَهَا لَمْ تَقَطَّعِ

وقال زياد بن ابي زياد

أَطَعْتَ بِهَا قَوْلَ ٱلْوُشَاةِ فَلَا أَرَى ٱلْ   وُشَاةَ ٱنْتَهَوْا عَنَّا وَلَا ٱلدَّهْرَ أَعْتَبَا
فَلَا تَكُ كَٱلنَّاسِي ٱلْخَلِيلِ إِذَا دَنَتْ   بِهِ ٱلدَّارُ وَٱلْبَاكِي إِذَا مَا تَغَيَّبَا* ١٨٠

وقال هدبة بن خشرم

أَلَا يَا لَقَوْمِي لِلنَّوَائِبِ وَٱلدَّهْرِ   وَلِلْمَرْءِ يُرْدِي نَفْسَهُ وَهْوَ لَا يَدْرِي
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ إِلَى أُمِّ مَعْمَرٍ   عَلَى مَا لَقِينَا مِنْ ثَنَاءٍ وَمِنْ هَجْرِ
تَبَارِيحُ يَلْقَاهَا ٱلْفُؤَادُ صَبَابَةً   إِلَيْهَا وَذِكْرَاهَا عَلَى حِينِ لَا ذِكْرِ
فَيَا قَلْبُ لَمْ يَأْلَفْ كَإِلْفِكَ آلِفٌ   وَيَا حُبَّهَا لَمْ يُغْرِ شَيْءٌ كَمَا تُغْرِي
وَمَا عِنْدَهَا لِلْمُسْتَهَامِ فُؤَادُهُ   بِهَا [إِنْ] أَلَمَّتْ مِنْ جَزَاءٍ وَمِنْ شُكْرِ

وقال آخر

بَكَرَتْ عَلَيْكَ فَهَيَّجَتْ وَجْدَا   بِسُرَى ٱلرِّيَاحِ وَأَذْكَرَتْ نَجْدَا
أَتَحِنُّ مِنْ شَوْقٍ إِذَا ذُكِرَتْ   نَجْدٌ وَأَنْتَ تَرَكْتَهَا عَمْدَا

وقال آخر

أَلَا هَلْ إِلَى لَيْلَى قُبَيْلَ مَنِيَّتِي ... سَبِيلٌ وَهَلْ لِلنَّاجِينَ رُجُوعُ
إِلَى ٱللهِ أَشْكُو نِيَّةً شَقَّتِ ٱلْعَصَا ... هِيَ ٱلْيَوْمَ شَتَّى وَهْيَ أَمْسِ جَمِيعُ
لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ جَرْعَاءِ مَالِكٍ ... لَعَاصٍ لِأَمْرِ ٱلْعَاذِلِينَ مُضِيعُ
مَضَى زَمَنٌ وَٱلنَّاسُ يَسْتَشْفِعُونَ بِي ... فَهَلْ لِي إِلَى لَيْلَى ٱلْغَدَاةَ شَفِيعُ
نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنِّي نَدَامَةً ... كَمَا نَدِمَ ٱلْمَغْبُونُ حِينَ يَبِيعُ
فَقَدْتُكَ مِنْ قَلْبٍ شُجَاعٍ فَإِنَّنِي ... نَهَيْتُكَ عَنْ هٰذَا وَأَنْتَ جَمِيعُ
وَقَرَّبْتَ لِي غَيْرَ ٱلْقَرِيبِ وَأَشْرَفَتْ ... هُنَاكَ ثَنَايَا مَا لَهُنَّ طُلُوعُ

وقال الوليد بن عبيد الطائي

قُلْ لِلرِّيَاحِ إِذَا جَرَيْتِ فَبَلِّغِي ... كَبِدِي نَسِيماً مِنْ جَنَابِ نَسِيمِ
أَخَدَعْتُ عَنْكَ وَأَنْتَ بَدْرٌ خَادِعٌ ... لِلَّيْلِ عَنْ ظُلَمٍ بِهِ وَغُيُومِ
وَظَلَمْتُ نَفْسِي جَاهِدًا فِي ظُلْمِهَا ... فَٱسْمَعْ مَقَالَةَ ظَالِمٍ مَظْلُومِ *١٨١
كَرُمَ ٱلزَّمَانُ وَلُمْتُ فِيكَ وَلَا أَرَى ... عَجَباً سِوَى كَرَمِ ٱلزَّمَانِ وَلُومِي
لَا كَانَ حُبِّي أَيْنَ كَانَ وَأَنْتَ لِي ... مِلْكٌ وَعَهْدِي مِنْكَ غَيْرُ ذَمِيمِ
أَلْآنَ أَطْمَعُ فِي ٱلْوِصَالِ وَدُونَنَا ... عَيْنُ ٱلرَّقِيبِ وَبَابُ إِبْرَاهِيمِ

وقال الاحوص

فَوَانَدَمِي إِذْ لَمْ أُعِجْ إِذْ تَقُولُ لِي ... تَقَدَّمْ فَشَيِّعْنَا إِلَى ضَحْوَةِ ٱلْغَدِ
فَأَصْبَحْتُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ... سِوَى ذِكْرِهَا كَٱلْقَابِضِ ٱلْمَاءَ بِٱلْيَدِ

وقال الحسين بن مطير الاسدي

لَقَدْ كُنْتُ جَلْدًا قَبْلَ أَنْ تُوقِدَ ٱلنَّوَى ... عَلَى كَبِدِي نَارًا بَطِيئًا خُمُودُهَا
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَمُوتَ صَبَابَتِي ... إِذَا قَدُمَتْ أَيَّامُهَا وَعُهُودُهَا
فَقَدْ جَعَلَتْ فِي حَبَّةِ ٱلْقَلْبِ وَٱلْحَشَا ... عُهُودَ ٱلْهَوَى تُولَى بِشَوْقٍ يُعِيدُهَا

وقال آخر

هَمَمْتَ بِفُرْقَةٍ وَٱلْمَوْتُ فِيهَا كَأَنَّكَ حَتْفَ نَفْسِكَ تَسْتَثِيرُ
فَلَا تَجْسُرْ عَلَى أَمْرٍ قَوِيٍّ عَلَيْكَ فَرُبَّمَا هَلَكَ ٱلْجَسُورُ

وقال قيس بن ذريح

وَخَبَّرْتَنِي يَا قَلْبُ أَنَّكَ صَابِرٌ عَلَى ٱلْهَجْرِ مِنْ لُبْنَى فَسَوْفَ تَذُوقُ
فَمُتْ كَمَدًا أَوْ عِشْ سَقِيماً فَإِنَّمَا تُكَلِّفُنِي مَا لَا أَرَاكَ تُطِيقُ

وقال عبدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود

فَيَا مَنْ لِنَفْسٍ لَا تَمُوتُ فَيَنْقَضِي عَنَاهَا وَلَا تَحْيَى حَيَاةً لَهَا طَعْمُ
فَذُقْ هَجْرَهَا قَدْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّهُ رَشَادٌ أَلَا يَا رُبَّمَا كَذَبَ ٱلزَّعْمُ

وقال ابن الدمينة

١٨٢ وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ ٱلْمُحِبَّ إِذَا دَنَا يَمَلُّ وَأَنَّ ٱلنَّأْيَ يَشْفِي مِنَ ٱلْوَجْدِ*
بِكُلٍّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يُشْفَ مَا بِنَا عَلَى ذَاكَ قُرْبُ ٱلدَّارِ خَيْرٌ مِنَ ٱلْبُعْدِ

وقال آخر

وَأَكْثَرُ مَا فِي ٱلنَّفْسِ أَنِّي صَرَمْتُهَا وَلَمْ يَتَحَوَّلْ حُبُّهَا عَنْ فُؤَادِيَا
طَلَبْنَا دَوَاءَ ٱلْحُبِّ عَصْرًا فَلَمْ نَجِدْ مِنَ ٱلْحُبِّ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ مُدَاوِيَا

الباب الخامس والعشرون

فِي ٱلْوَدَاعِ قَبْلَ ٱلْفِرَاقِ بَلَاغٌ إِلَى وَقْتِ ٱلتَّلَاقِ

فِعْلُ ٱلْوَدَاعِ وَتَرْكُهُ نَقْصٌ كُلُّهُ مِمَّنْ قَدَرَ أَنْ يَرُدَّ ٱلْفِرَاقَ عَنْ نَفْسِهِ وَذٰلِكَ إِنَّ ٱلْحَزْمَ لِأَهْلِ ٱلْهَوَى أَلَّا يَبْسُطُوا عَلَى أَرْوَاحِهِمْ يَدَ ٱلنَّوَى فَإِنَّ عَذَابَ

الْهَوَى مَعَ حُضُورِ الْمَحْبُوبِ يُنَغِّصُ الْعَيْشَ وَيُبَرِّحُ الْقُلُوبَ فَكَيْفَ إِذَا تَحَكَّمَ فِيهِ سُلْطَانُ الْفِرَاقِ وَأَمَدَّتْ صَاحِبَهُ الْفِكَرُ بِخَوَاطِرِ الْإِشْفَاقِ وَالْتَهَبَتْ فِي الضَّمِيرِ لَوْعَاتُ الْاِشْتِيَاقِ حِينَئِذٍ تُسْكَبُ الْعَبَرَاتُ وَتَتَمَكَّنُ الْحَسَرَاتُ

وقال حبيب بن اوس الطائي

أَمَّا الْهَوَى فَهُوَ الْعَذَابُ فَإِنْ جَرَتْ ... فِيهِ النَّوَى فَأَلِيمُ كُلِّ أَلِيمِ

فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ فِرَاقٍ فَلَا يَكُنْ إِلَّا بَعْدَ تَشْيِيعٍ وَوَدَاعٍ بَلَغَنِي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ أَنَّهُ قَالَ إِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ قَيْدٍ فَلْيَكُنْ مَجْلِيًّا

وفي هذا المعنى يقول بعض اهل هذا العصر

تَمَتَّعْ مِنْ حَبِيبِكَ بِالْوَدَاعِ ... فَمَا بَعْدَ الْفِرَاقِ مِنِ اجْتِمَاعِ

فَكَمْ جُرِّعْتَ مِنْ هَجْرٍ وَغَدْرٍ ... وَمِنْ حَالِ ارْتِفَاعٍ وَاتِّضَاعِ

وَكَمْ كَأْسٍ أَمَرَّ مِنَ الْمَنَايَا ... شَرِبْتُ فَلَمْ يَضِقْ عَنْهَا ذِرَاعِي

فَلَمْ أَرَ فِي الَّذِي قَاسَيْتُ شَيْئًا ... أَشَدَّ مِنَ الْفِرَاقِ بِلَا وَدَاعِ

تَعَالَى اللهُ كُلُّ مُوَاصَلَاتٍ ... وَإِنْ طَالَتْ تَؤُولُ إِلَى انْقِطَاعِ * ١٨٣

وَاخْتِيَارَاتُ الْعُشَّاقِ تَفَاوَتُ فِي أَمْرِ الْوَدَاعِ تَفَاوُتًا شَدِيدًا فَبَعْضُهُمْ مُسَارِعٌ إِلَى الْفِرَاقِ تَغَنُّمًا لِلْوَدَاعِ فَمِنْهُمُ الَّذِي يَقُولُ

مَنْ يَكُنْ يَكْرَهُ الْفِرَاقَ فَإِنِّي ... أَشْتَهِيهِ لِمَوْضِعِ التَّسْلِيمِ

إِنَّ فِيهِ عِنَاقَةً لِوَدَاعٍ ... وَانْتِظَارِي عِنَاقَةً لِلْقُدُومِ

ومنهم الذي يقول

لَسْتُ مِمَّنْ يَذُمُّ يَوْمَ الْفِرَاقِ ... وَلَهُ مِنَّةٌ عَلَى الْعُشَّاقِ

إِنَّ فِيهِ اعْتِنَاقَةً لِوَدَاعٍ ... وَانْتِظَارَ اعْتِنَاقِ يَوْمِ التَّلَاقِ

وقال البحتري في هذا المعنى وله في ضده وما منهما الا مختار في بابه

فَأَحْسِنْ بِنَا وَالدَّمْعُ بِالدَّمْعِ وَاشِجٌ ... يُمَازِجُهُ وَالْخَدُّ بِالْخَدِّ مُلْصَقُ

وَقَدْ ضَمَّنَا وَشْكُ ٱلتَّلَاقِي وَلَفَّنَا   عِنَاقٌ عَلَى أَعْنَاقِنَا ثُمَّ ضَيِّقُ
فَلَمْ تَرَ إِلَّا مُخْبِرًا عَنْ صَبَابَةٍ   بِشَكْوَى وَإِلَّا عَبْرَةً تَتَرَقْرَقُ
وَمِنْ قَبْلِ قَبْلَ ٱلتَّشَاكِي وَبَعْدَهُ   نَكَادُ بِهَا مِنْ شِدَّةِ ٱللَّثْمِ نَشْرَقُ
فَلَوْ فَهِمَ ٱلنَّاسُ ٱلتَّلَاقِي وَحُسْنَهُ   لَحُبِّبَ مِنْ أَجْلِ ٱلتَّلَاقِي ٱلتَّفَرُّقُ

وَمِنْهُمْ مَنْ يَصْبِرُ عَلَى ٱلْفِرَاقِ وَيَتَعَمَّدُ ٱلتَّخَلُّفَ عَنِ ٱلْوَدَاعِ إِشْفَاقًا مِنْ • مَضَاضَةٍ وَعَجْزًا عَنْ مُعَاتَبَةِ سَاعَتِهِ

فنهم البحتري حيث يقول

أَللهُ جَارُكَ فِي ٱنْطِلَاقِكْ   تِلْقَاءَ شَآمِكَ أَوْ عِرَاقِكْ
لَا تَعْذُلَنِّي فِي خُرُوجِي   يَوْمَ سِرْتَ وَلَمْ أُلَاقِكْ
إِنِّي عَرَفْتُ مُوَافِقًا   لِلْبَيْنِ تَسْفَحُ غَرْبَ مَاقِكْ
وَعَرَفْتُ مَا يَلْقَى ٱلْمُوَدِّ   عُ عِنْدَ ضَمِّكَ وَٱعْتِنَاقِكْ
وَعَلِمْتُ أَنَّ لِقَاءَنَا   سَبَبُ ٱشْتِيَاقِي وَٱشْتِيَاقِكْ
وَتَرَكْتُ ذَاكَ تَعَمُّدًا   وَخَرَجْتُ أَهْرُبُ مِنْ فِرَاقِكْ* ١٨٤

وَحَكَى أَبُو سُلَيْمَانَ عَنِ ٱبْنِ ٱلْأَعْرَابِيِّ أَنَّهُ قَالَ قُلْتُ لِعَمَّارِ بْنِ عَقِيلِ بْنِ بِلَالِ بْنِ جَرِيرٍ مَا كَانَ أَبُوكَ صَانِعاً حَيْثُ يَقُولُ

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ   يَوْمُ ٱلْفِرَاقِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلِ

قَالَ فَمَا يَهُمُّنِي إِنْ قَالَ كَانَ يَقْلَعُ عَيْنَيْهِ وَلَا يَرَى أَحْبَابَهُ ٱلظَّاعِنِينَ فَمَنْ يَقَعُ بِهِ ٱلْفِرَاقُ ٱضْطِرَارًا وَيَتْرُكُ هُوَ ٱلْوَدَاعَ ٱخْتِيَارًا فَهُوَ أَحْسَنُ حَالًا مِمَّنْ يُضْطَرُّ إِلَى ٱلْأَمْرَيْنِ جَمِيعاً فَإِنَّ ٱجْتِمَاعَ ٱلْهَجْرِ وَٱلْفِرَاقِ يُتْلِفُ مُهْجَةَ ٱلْمُشْتَاقِ

وفي مثل ذلك يقول البحتري

عَدَتْنَا عَوَادِي ٱلْحُبِّ عَنْهَا وَزَادَنَا   بِهَا كَلَفاً أَنَّ ٱلْوَدَاعَ عَلَى عَتْبِ

وَلِي ظَمأٌ لَا يَمْلِـكُ ٱلْمَاءُ دَفْعَـهُ   إِلَى نَهْلَةٍ مِنْ رِيقِهَا ٱلْخَصِرِ ٱلْعَذْبِ

وفي نحوه يقول ابو تمام

أَنَـأْيًا وَٱجْتِنَـابًا أَيُّ صَبْرٍ   مَعَ ٱلْبَلْوَى يُعَرِّسُ بَـيْنَ ذَيْنِ
أَلَمْ يُقْنِعْـكَ فِيـهِ ٱلْهَجْرُ حَتَّى   جَمَعْتَ لِقَلْبِـهِ هَجْرًا بِبَيْنِ

وَعَلَى أَنَّ مِنَ ٱلْمَحْبُوبِينَ مَنْ يَدْعُوهُ حُضُورُ ٱلْفِرَاقِ إِلَى ٱلْحِرْصِ عَلَى ٱلتَّوْدِيعِ وَٱلتَّلَاقِ فَيَكُونُ وُقُوعُ ٱلنَّوَى سَبَبًا لِٱسْتِخْرَاجِ مَا فِي نَفْسِهِ مِنَ ٱلضِّغْنِ

فمن ذلك قول ابي تمام

أَعْرَضَتْ بُرْهَـةً فَلَمَّـا أَحَسَّتْ   بِٱلنَّوَى أَعْرَضَتْ عَنِ ٱلْإِعْرَاضِ
نَظَرَتْ فَـٱلْتَفَتُّ مِنْهَـا إِلَى أَحْـ   ـلَى سَوَادٍ رَأَيْتُـهُ فِي بَيَـاضِ

ومنه قول الآخر

أَلَمْ تَرَ قَيْسٌ كُلُّهَـا أَنَّ عِزَّهَـا   غَدَاةَ غَدٍ عَنْ دَارِهِ ٱلدَّهْرَ ظَاعِنُ
هُنَالِكَ جَادَتْ بِٱلدُّمُوعِ مَوَانِعُ ٱلْـ   ـعُيُونِ وَسُلَّتْ بِٱلْفِرَاقِ ٱلضَّغَـائِنُ

وقال آخر

عَشِيَّةَ أَدْعُو مُسْعِدِيَّ فَلَمْ أَجِـدْ   إِلَى حَرِّ مَا أَلْقَى مِنَ ٱلشَّوْقِ مُسْعِدَا *١٨٥
عَشِيَّـةَ زَمُّوا لِلْفِرَاقِ جِمَـالَهُمْ   فَلَمْ تَرَ إِلَّا وَاضِعاً فِي يَـدٍ يَدَا

وقال آخر

فَلَا أَنْسَ مِ ٱلْأَشْيَاءِ لَا أَنْسَ قَوْلَهَا   وَأَدْمُعُهَا يُذْرِينَ حَشْوَ ٱلْمَكَاحِلِ
تَمَتَّعْ بِذَا ٱلْيَوْمِ ٱلْقَصِيرِ فَإِنَّـهُ   رَهِيـنٌ بِأَيَّامِ ٱلشُّهُورِ ٱلْأَطَاوِلِ

وقال آخر

أَقُولُ لِمُقْلَتِي لَمَّا ٱلْتَقَيْنَـا   وَقَـدْ شَرِقَتْ مَـآقِيهَا بِمَاءِ
خُذِي لِي ٱلْيَوْمَ مِنْ نَظَرٍ بِحَظٍّ   فَسَوْفَ تُوَكَّلِينَ إِلَى ٱلْبُكَاءِ

وقال آخر

أَقُولُ لَهُ يَوْمَ وَدَّعْتُهُ ‏ وَكُلٌّ بِعَبْرَتِهِ مُبْلِسُ
لَئِنْ رَجَعَتْ عَنْكَ أَجْسَامُنَا ‏ لَقَدْ سَافَرَتْ مَعَكَ ٱلْأَنْفُسُ

وانشدنا احمد بن يحيى

إِنَّ ٱلظَّعَائِنَ يَوْمَ جَوِّ سُوَيْقَةٍ ‏ أَبْكَيْنَ عِنْدَ فِرَاقِهِنَّ عُيُونَا
غَيَّضْنَ مِنْ عَبَرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي ‏ مَاذَا لَقِيتَ مِنَ ٱلْهَوَى وَلَقِينَا

وقال جرير

وَدِّعْ أُمَامَةَ حَانَ مِنْكَ رَحِيلُ ‏ إِنَّ ٱلْوَدَاعَ لِمَنْ تُحِبُّ قَلِيلُ
تِلْكَ ٱلْقُلُوبُ صَوَادِيًا تَيَّمْتَهَا ‏ وَأَرَى ٱلشِّفَاءَ وَمَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
أَعَذَرْتُ فِي طَلَبِ ٱلنَّوَالِ إِلَيْكُمُ ‏ لَوْ كَانَ مَنْ مَلَكَ ٱلنَّوَالَ يُنِيلُ

وقال ذو الرمة

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ جَرْعَاءِ مَالِكٍ ‏ لِشَوْقِي مُنْقَادُ ٱلْجَنِيبَةِ تَابِعُ
فَأَخْذُ ٱلْهَوَى فَوْقَ ٱلْحَلَاقِيمِ مُخْرِسٌ ‏ لَنَا إِذْ نُحَيَّا أَنْ نُسَلِّمَ مَانِعُ
١٨٦ فَلَمَّا عَرَفْنَا آيَةَ ٱلْبَيْنِ بَغْتَةً ‏ وَهٰذَا ٱلنَّوَى بَيْنَ ٱلْخَلِيطَيْنِ قَاطِعُ*
لَحِقْنَا وَرَاجَعْنَا ٱلْحُمُولَ وَإِنَّمَا ‏ تُقَضِّي دِيَانَاتِ ٱلْوَدَاعِ ٱلْمَرَاجِعُ
فَلَمَّا تَلَاحَقْنَا وَلَا مِثْلَ مَا بِنَا ‏ مِنَ ٱلْوَجْدِ لَا تَنْقَضُّ مِنْهُ ٱلْأَضَالِعُ
غَدَوْنَ فَأَحْسَنَّ ٱلْوَدَاعَ فَلَمْ نَقُلْ ‏ كَمَا قُلْنَ إِلَّا أَنْ تُشِيرَ ٱلْأَصَابِعُ
وَخَالَسْنَ تَبْسَامًا إِلَيْنَا كَأَنَّمَا ‏ تُصِيبُ بِهِ حَبَّ ٱلْقُلُوبِ ٱلْقَوَارِعُ

وقال الحسين بن الضحاك

هَلَّا رَحِمْتِ تَلَدُّدَ ٱلْمُشْتَاقِ ‏ وَمَنَنْتِ قَبْلَ فِرَاقِهِ بِتَلَاقِ
نَفْسِي ٱلْفِدَاءُ لِخَائِفٍ مُتَرَقِّبٍ ‏ جَعَلَ ٱلْوَدَاعَ إِشَارَةً بِعِنَاقِ
إِذْ لَا جَوَابَ لِمُفْحَمٍ مُتَحَيِّرٍ ‏ إِلَّا ٱلدُّمُوعُ تُصَانُ بِٱلْإِطْلَاقِ

وقال عبيدالله بن الصمة

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ ٱلْعَامِرِيَّةِ قَبْلَهَا   وَلَا بَعْدَهَا يَوْمَ ٱلْتَقَيْنَا مُوَدِّعَا
شَكَوْتُ إِلَيْهَا فَيْضَةَ ٱلْحُبِّ بِٱلْحَشَا   وَخَشْيَةَ شَمْلِ ٱلْحَيِّ أَنْ يَتَصَدَّعَا
فَمَا رَاجَعَتْنَا غَيْرَ صَمْتٍ وَإِنَّهُ   تَكَادُ لَهُ ٱلْأَحْشَاءُ أَنْ تَتَقَطَّعَا
لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا تَقْنَعَ ٱلنَّفْسُ دُونَهَا   بِشَيْءٍ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ مُقْنِعَا
وَأَعْذُلُ فِيهَا ٱلنَّفْسَ إِذْ حِيلَ دُونَهَا   وَتَأْبَى إِلَيْهَا ٱلنَّفْسُ إِلَّا تَطَلُّعَا

وقال الطرماح

كَأَنْ لَمْ يَرُعْكَ ٱلظَّاعِنُونَ بِبَيْنِهِمْ   بَلَى مِثْلُ فَقْدِ ٱلظَّاعِنِينَ يَرُوعُ
يُرَاقِبْنَ أَبْصَارَ ٱلْغَيَارَى بِأَعْيُنٍ   عَوَاذِرَ مَا تَجْرِي لَهُنَّ دُمُوعُ

وقال البحتري

وَقَفْنَا وَٱلْعُيُونُ مُثَقَّلَاتٌ   يُغَالِبُ طَرْفَهَا نَظَرٌ كَلِيلُ
نَهَتْهُ رِقْبَةُ ٱلْوَاشِينَ حَتَّى   تَعَلَّقَ لَا يَفِيضُ وَلَا يَسِيلُ

١٨٧ وقال قيس بن الحدادية الخزاعي*

أَجِدَّكَ إِنْ نُعْمٌ نَأَتْ أَنْتَ جَازِعُ   وَقَدْ قَرُبَتْ أَوْ أَنَّ ذَلِكَ نَافِعُ
وَحَسْبِي مِنْ نَأْيٍ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ   وَمِنْ جَزَعٍ إِنْ زَادَ شَوْقُكَ رَابِعُ
وَقَالَتْ وَعَيْنَاهَا تَفِيضَانِ بِٱلْبُكَا   بِأَهْلِي خَبِّرْنِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ
فَقُلْتُ لَهَا تَٱللّٰهِ يَدْرِي مُسَافِرٌ   إِذَا أَضْمَرَتْهُ ٱلْأَرْضُ مَا ٱللّٰهُ صَانِعُ

وقال آخر

رَاعَكَ ٱلْبَيْنُ وَٱلْمُحِبُّ يُرَاعُ   حِينَ قَالُوا تَشَتُّتٌ وَٱنْصِدَاعُ
لَسْتُ أَنْسَى مَقَالَهَا يَوْمَ وَلَّتْ   وَقُصَارَى ٱلْمُشَيِّعِينَ ٱلْوَدَاعُ

وقال آخر

لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ ٱلْفِرَاقِ إِذَا كَا   نَ أَخُو ٱلْحُبِّ وَٱلْهَوَى كَلِفَا

أَحْرَقَ مِنْ وَقْفَةِ ٱلْمُشَيِّعِ لِلْقَلْ   بِ يُرِيدُ ٱلْوَدَاعَ مُنْصَرِفَا

وقال طريح

يَا لَيْتَ شِعْرِي عَنِ ٱلْحَيِّ ٱلَّذِينَ غَدَوْا   هَلْ بَعْدَ فُرْقَتِهِمْ لِلشَّمْلِ مُجْتَمَعُ
أَتْبَعْتُهُمْ مُقْلَةً جَادَتْ بِأَدْمُعِهَا   وَٱلْقَلْبُ مِنِّي عَلَى آثَارِهِمْ قِطَعُ
فَكُلُّ مَا كُنْتُ أَخْشَى قَدْ فُجِعْتُ بِهِ   فَلَيْسَ لِي مِنْ فِرَاقٍ مَرَّةً جَزَعُ

وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلي

تَقَضَّتْ لُبَانَاتٌ وَجَدَّ رَحِيلُ   وَلَمْ يُشْفَ مِنْ أَهْلِ ٱلصَّفَاءِ غَلِيلُ
وَمُدَّتْ كُفُوفٌ لِلْوَدَاعِ فَصَافَحَتْ   وَكَادَتْ عُيُونٌ لِلْفِرَاقِ تَسِيلُ
وَلَا بُدَّ لِلْإِلْفَيْنِ مِنْ يَوْمِ لَوْعَةٍ   إِذَا مَا خَلِيلٌ بَانَ عَنْهُ خَلِيلُ
وَكَمْ مِنْ دَمٍ قَدْ طُلَّ يَوْمَ تَحَمَّلَتْ   أَوَانِسُ لَا يُودَى لَهُنَّ قَتِيلُ
غَدَاةَ جَعَلْتُ ٱلصَّبْرَ شَيْئًا نَسِيتُهُ   وَأَعْوَلْتُ لَوْ أَجْدَى عَلَيَّ عَوِيلُ

وقال آخر* ١٨٨

تَفَرَّقَ أَهْلِي مِنْ مُقِيمٍ وَظَاعِنٍ   فَلِلَّهِ دَرِّي أَيُّ أَهْلَيَّ أَتْبَعُ
أَقَامَ ٱلْأُلَى لَا أَسْتَطِيعُ فِرَاقَهُمْ   وَبَانَ ٱلْأُلَى قَلْبِي بِهِمْ يَتَقَطَّعُ
بِعَيْنَيَّ تِلْكَ ٱلْعِيرُ حَتَّى تَجَاوَزَتْ   وَحَتَّى أَتَى مِنْ دُونِهَا ٱلْخَبْتُ أَجْمَعُ
وَأَعْرَضَ مِنْ رَضْوَى مَعَ ٱللَّيْلِ دَامِسٌ   هِضَابٌ تَرُدُّ ٱلطَّرْفَ عَمَّنْ تُشَيِّعُ

وقال البحتري

قَدْ أَرَتْكَ ٱلدُّمُوعُ يَوْمَ تَوَلَّتْ   ظُعُنُ ٱلْحَيِّ مَا وَرَاءَ ٱلدُّمُوعِ
عَبَرَاتٌ مِلْءَ ٱلْجُفُونِ مَرَتْهَا   حُرَقٌ لِلْفِرَاقِ مِلْءَ ٱلضُّلُوعِ
إِنْ يَشِبْ وَادِعُ ٱلضَّمِيرِ فَعِنْدِي   نَصَبٌ مِنْ عَشِيَّةِ ٱلتَّوْدِيعِ
فُرْقَةٌ لَمْ تَدَعْ لِعَيْنَيْ مُحِبٍّ   نَظَرًا بِٱلْعَقِيقِ غَيْرَ ٱلرُّبُوعِ

وقال ايضاً

رَحَلُوا فَأَيَّةُ عَبْرَةٍ لَمْ تُسْكَبِ   أَسَفًا وَأَيُّ عَزِيمَةٍ لَمْ تُغْلَبِ
لَوْ كُنْتَ شَاهِدَنَا وَمَا صَنَعَ ٱلْهَوَى   بِقُلُوبِنَا لَحَسَدْتَ مَنْ لَمْ يُحْبِبِ

وقال ايضاً

مَنْزِلٌ هَاجَ لِي ٱلصَّبَابَةَ وَٱلشَّوْ   قَ قَرِينِي وَسَاءَ ذَاكَ قَرِينَا
وَتَوَدُّ ٱلْقُلُوبُ يَوْمَ ٱسْتَقَلَّتْ   ظُعُنُ ٱلْحَيِّ أَنْ تَكُونَ عُيُونَا
فَٱتْرُكَانِي فَمَا أُطِيعُ عَذُولًا   وَٱخْذُلَانِي فَمَا أُرِيدُ مُعِينَا

وقال ابو تمام

لَا أَظْلَمَ ٱلنَّأْيُ قَدْ كَانَتْ خَلَائِقُهَا   مِنْ قَبْلِ وَشْكِ ٱلنَّوَى عِنْدِي نَوًى قُذُفَا
وَدِّعْ فُؤَادَكَ تَوْدِيعَ ٱلْفِرَاقِ فَمَا   أَرَاهُ مِنْ سَفَرِ ٱلتَّوْدِيعِ مُنْصَرِفَا

وقال آخر

لَمْ أَنْسَ إِذْ قَالَتْ غَدَاةَ ٱلنَّوَى   وَدَمْعُهَا مُنْحَدِرٌ وَاكِفُ * ١٨٩
لَأَنْتَ أَحْلَى مِنْ لَذِيذِ ٱلْكَرَى   وَمِنْ أَمَانٍ نَالَهُ خَائِفُ

وقال البحتري

وَٱنْثَنَتْ وُجْهَةَ ٱلْفِرَاقِ فَأَرْسَلْ   تُ إِلَيْهَا عَيْنًا عَلَيْهَا تَجُودُ
نَظْرَةٌ خَلْفَهَا ٱلدُّمُوعُ عِجَالًا   تَتَمَارَى وَدُونَهَا ٱلتَّسْهِيدُ
أَتُرَى فَائِتًا يُرَجَّى وَيَوْمًا   مِثْلَ يَوْمِي بِرَامَتَيْنِ يَعُودُ

وقال بعض الظاهريّين

قِفِي وَدِّعِينَا قَبْلَ أَنْ تَصْدَعَ ٱلنَّوَى   بِوَصْلِكِ شَمْلًا لَمْ يَكُنْ مُتَصَدِّعَا
وَلَا تَجْمَعِي هَجْرًا عَلَيَّ وَفُرْقَةً   فَمَا جُمِعَا قَبْلِي عَلَى عَاشِقٍ مَعَا

الباب السادس والعشرون

مَا خُلِقَ ٱلفِرَاقُ إِلَّا لِتَعْذِيبِ ٱلعُشَّاقِ

أَمَّا ٱلْفِرَاقُ فَمُسْتَغْنٍ بِبَشَاعَةِ ٱسْمِهِ عَنِ ٱلْإِغْرَاقِ فِي وَصْفِهِ

ولقد احسن حبيب بن اوس الطائي في قوله

أَخُ لِي لَوُ ٱعْطِيتُ ٱلْمُنَى بِٱسْمِ فَقْدِهِ　　بِلَا فَقْدِهِ كَانَتْ بِـهِ ثَمَناً بَخْسَا
فَلَوْ أَنَّ نَفْسِي أَلْفُ نَفْسٍ لَمَا ٱنْثَنَتْ　　يَدُ ٱلْبَيْنِ أَوْ تُودِي بِآخِرِهَا نَفْسَا

وَقَدِ ٱخْتَلَفَ ٱلْعُشَّاقُ فِي ٱلتَّفْصِيلِ بَيْنَ ٱلْهَجْرِ وَٱلْفِرَاقِ فَمِنْ أَهْلِ ٱلْهَوَى مَنْ يُعَظِّمُ شَأْنَ ٱلْهَجْرِ عَلَى شَأْنِ ٱلنَّوَى وَيُنْشِدُ مُحْتَجًّا لِذٰلِكَ

وَأَنْقَذَهَا مِنْ غَمْرَةِ ٱلْمَوْتِ أَنَّـهُ　　صُدُودُ فِرَاقٍ لَا صُـدُودُ تَعَمُّدِ
فَأَجْرَى لَهَا ٱلْإِشْفَاقُ دَمْعاً مُوَرَّدَا　　مِنَ ٱلدَّمِ يَجْرِي فَوْقَ خَدٍّ مُوَرَّدِ

وَأَكْثَرُ أَهْـلِ هٰـذَا ٱلشَّأْنِ يُغَلِّبُونَ شَأْنَ ٱلنَّوَى عَلَى شَأْنِ ٱلْهَجْرِ بَلْ يُغَلِّبُونَهُ عَلَى كُلِّ مَـكْرُوهٍ مِنَ ٱلْأَمْرِ غَيْرَ ٱلْخِيَانَةِ وَٱلْغَدْرِ

ولقد احسن ابو تمام حبيب بن اوس الطائي حيث يقول* ١٩٠

وَكَانَ عَزِيزًا أَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَـكُمْ　　حِجَاباً فَقَدْ أَصْبَحْتُ مِنْكُمْ عَلَى شَهْرِ
وَأَبْـكَاهُمَـا لِـلْعَيْنِ وَٱللهِ إِنَّنِي　　أُحَاذِرُ أَنْ لَا نَلْتَقِي آخِرَ ٱلدَّهْرِ
وَكَمْ دُونَنَا مِنْ مَهْمَهٍ مُتَنَازِحٍ　　وَمِنْ جَبَلٍ وَعْرٍ وَمِنْ بَلَـدٍ قَفْرِ
وَمَا زِلْتُ أَرْضَى مِنْ خَلِيلِي بِهَجْرِهِ　　فَأَحْسِبُ أَنْ لَا دَاءَ أَدْوَى مِنَ ٱلْهَجْرِ
إِلَى أَنْ رَمَـانَا دَهْرُنَا بِتَفَرُّقٍ　　فَأَيْقَنْتُ أَنَّ ٱلْبَيْنَ قَـاصِمَةُ ٱلظَّهْرِ

وَنَحْنُ نَقُولُ ٱلْآنَ ٱلْفُرْقَانُ بَيْنَ ٱلْفِرَاقِ وَٱلْهِجْرَانِ ٱلَّذِي يُعَظِّمُ عِنْدِي

أَمْرَ ٱلْهَجْرِ إِنَّمَا هُوَ مُنَاسَبَةُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْغَدْرِ لِأَنَّ ٱلْهَجْرَ إِذَا خَرَجَ عَنْ أَنْ يَكُونَ عِقَابًا عَلَى ذَنْبٍ أَوْ تَذَلُّلًا بِإِظْهَارِ تَجَنٍّ أَوْ عَتْبٍ أَوْ مُرَاقَبَةً لِوَاشٍ أَوْ مَلَلًا مِنَ ٱلْعَذْلِ فَلَا مَعْذِرَ لَهُ غَيْرُ ٱلْغَدْرِ وَٱلْخِيَانَةِ وَتَرْكِ ٱلْمَقَامِ لِلْهَوَى بِحَقِّ ٱلرِّعَايَةِ فَهَـٰذَا أَصْعَبُ أَسْبَابِ ٱلْهَجْرِ وَمِمَّا يُنْقِصُ مِنْ صُعُوبَتِهِ وَيَكُفُّ مِنْ عَادِيَتِهِ أَنَّهُ إِذَا جَرَى هَـٰذَا ٱلْمَجْرَى لَحِقَ ٱلْمَقْصُودَ بِهِ ضَرْبٌ مِنَ ٱلْغَيْظِ لِقُبْحِ مَا صَنَعَ بِهِ عَنْ غَيْرِ سَبَبٍ مُوجِبٍ لَهُ وَلَيْسَ شَخْصُ ٱلْمَحْبُوبِ بِنَاءٍ عَنْ نَظَرِهِ فَيَتَمَالَكَ عَنْهُ مِنْ إِزْعَاجِ ٱلشَّوْقِ بِفِكْرِهِ مَا يَذْهَبُ بِغَيْظِهِ وَيُلِينُ مِنْ قَلْبِهِ وَمَعَ ٱلْفِرَاقِ زَوَالُ ذٰلِكَ كُلِّهِ لِأَنَّ غَيْبَةَ ٱلشَّخْصِ عَنِ ٱلنَّاظِرِ مُزِيلَةٌ لِكُلِّ غَيْظٍ وَغَافِرَةٌ لِكُلِّ ذَنْبٍ وَذَاهِبَةٌ بِكُلِّ عُجْبٍ يَتَدَاخَلُ ٱلْمَحْبُوبَ وَٱلْمُحِبَّ فَٱلنُّفُوسُ تَذِلُّ لِلْفِرَاقِ وَتَنْقَادُ مَعَهُ لِدَوَاعِي ٱلْإِشْفَاقِ وَٱلِاشْتِيَاقِ فَهَـٰذَا مِقْدَارُ مَا يَتَسَهَّلُ لَنَا مِنْ وَصْفِهِمَا وَيَجُوزُ أَنْ نَقْطَعَ بِهِ مِنَ ٱلْحُكْمِ بَيْنَهُمَا

قال ابن ميادة

سَلِ ٱللهَ صَبْرًا وَٱعْتَرِفْ بِفِرَاقِ عَسَى بَعْدَ بَيْنٍ أَنْ يَكُونَ تَلَاقِي
أَلَا لَيْتَنِي قَبْلَ ٱلْفِرَاقِ وَبَعْدَهُ سَقَانِي بِكَأْسٍ لِلْمَنِيَّةِ سَاقِي

وقال آخر

فَوَا حَسْرَتَا لَمْ أَقْضِ مِنْكُمْ لُبَانَةً وَلَمْ أَتَمَتَّعْ بِٱلْجِوَارِ وَبِٱلْقُرْبِ
وَفُرِّقَ بَيْنِي فِي ٱلْمَسِيرِ وَبَيْنَكُمْ فَهَا أَنَذَا قَاضٍ عَلَى إِثْرِكُمْ نَحْبِي * ١٩١

[وقال آخر]

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ مُعْرَضٍ لِلنَّوَائِبِ رَمَتْهُ خُطُوبُ ٱلدَّهْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
تَبَيَّنَ يَوْمَ ٱلْبَيْنِ أَنَّ ٱعْتِزَامَهُ عَلَى ٱلصَّبْرِ مِنْ إِحْدَى ٱلظُّنُونِ ٱلْكَوَاذِبِ

وقال آخر

مَنْ كَانَ لَمْ يَذُقِ ٱلْهوَى أَوْ ذَاقَهُ   فَلَقَدْ أَخَذْتُ مِنَ ٱلْهوَى بِنَصِيبِ
فَرَأَيْتُ أَنَّ أَشَدَّ كُلِّ بَلِيَّـةٍ   قُضِيَتْ عَـلَى أَحَـدٍ فِرَاقُ حَبِيبِ

وقال ابو تمام

لَوْ كَانَ فِي ٱلْبَيْنِ إِذْ بَانُوا لَهُمْ دَعَةٌ   لَـكَانَ بَيْنُهُمُ مِنْ أَعْظَمِ ٱلْخَطَرِ
فَكَيْفَ وَٱلْبَيْنُ مَوْصُولٌ بِهِ تَعَبٌ   يُكَلِّفُ ٱلْبِيدَ فِي ٱلْإِدْلَاجِ وَٱلْبُكَرِ
لَوْ أَنَّ مَا تَبْتَلِينِي ٱلْحَـادِثَاتُ بِهِ   يَكُونُ بِٱلْمَاءِ لَمْ يُشْرَبْ مِنَ ٱلْـكَدَرِ
لَوْ كَانَ بِٱلْعِيسِ مَا بِي يَوْمَ رِحْلَتِهِمْ   أَعْيَتْ عَلَى ٱلسَّائِقِ ٱلْحَادِي فَلَمْ تَسِرِ
كَأَنَّ أَيْدِي مَطَايَاهُمْ إِذَا وَخَدَتْ   يَقَعْنَ فِي حُرِّ وَجْهِي أَوْ عَلَى بَصَرِي

وقال ابن الدمينة

إِلَى ٱللهِ أَشْكُو مُضْمَرَاتٍ مِنَ ٱلْهوَى   طَوَاهُنَّ طُولُ ٱلنَّأْيِ طَيَّ ٱلصَّحَائِفِ
أَقَامَ بِنَحْوِ ٱلْمَـاءِ قَلْبِي وَبَاعَـدَتْ   بِسَائِرِ جُثْمَانِي قِلَاصُ ٱلْعَـلَائِفِ

وقال معاذ ليلى العقيلي

أَقَـامَ فَرِيقٌ مِنْ أُنَاسٍ تَوَدُّهُمْ   بِذَاتِ ٱلثَّرَى عِنْدِي وَبَانَ فَرِيقُ
بِحَاجَـةِ مَحْزُونٍ ثَبَـاتُ فُؤَادِهِ   رَهِينٌ بِبَيْضَاتِ ٱلْحِجَالِ صَـدِيقُ
تَحَمَّلْنَ أَنْ هَبَّتْ لَهُنَّ عَشِيَّـةً   جَنُوبٌ وَأَنْ لَاحَتْ لَهُنَّ بُرُوقُ
فَوَاكَبِدِي أَكْوَى عَلَيْهَـا وَإِنَّهَـا   مَخَافَةَ هَيْضَـاتِ ٱلنَّوَى لَخَفُوقُ

وقال المعلوط

١٩٢ دَعَوْتُ رَبِّي دُعَائِي فَٱسْتَجَابَ لَـهُ   كَمَا دَعَـا رَبَّـهُ نُوحٌ وَأَيُّوبُ*
أَنْ يَنْزِعَ ٱلدَّاءَ مِنْ قَلْبِي وَيَجْعَلَـهُ   فِي قَلْبِ سُلْمَى وَحَمْلُ ٱلدَّاءِ تَعْطِيبُ
لِيُبْرِئَ ٱللهُ قَلْباً مِنْ صَبَـابَتِهِ   فَـلَا أَحِنُّ إِذَا حَنَّ ٱلْمَطَـارِيبُ
قَلْبِي بِنَجْدٍ وَأَجْلَادِي تَهَامِيَـةٌ   مَا بَعْدَ هٰذَا مِنَ ٱلتَّعْذِيبِ تَعْذِيبُ

وقال جران العود ومن الناس من يرويه لذي الرمة

أَيَا كَبِدِي كَادَتْ عَشِيَّــةَ غُرَّبٍ   مِنَ ٱلْوَجْدِ إِثْرَ ٱلظَّاعِنِينَ تَصَدَّعُ
عَشِيَّةَ مَـا فِيمَنْ أَقَـامَ بِغُرَّبٍ   مُقَـامٌ وَلَا فِيمَنْ مَضَى مُتَسَرَّعُ
عَشِيَّةَ مَـا لِي حِيلَـةٌ غَيْرَ أَنَّنِي   بِلَقْطِ ٱلْحَصَى وَٱلْخَطِّ فِي ٱلدَّارِ مُولَعُ
أَخُطُّ وَأَمْحُو كُلَّ خَطٍّ خَطَطْتُـهُ   بِكَفِّي وَٱلْغِرْبَانُ فِي ٱلدَّارِ وُقَّعُ
كَأَنَّ سِنَانًا فَـارِسِيًّا أَصَـابَنِي   عَلَى كَبِدِي بَلْ لَوْعَةُ ٱلْحُبِّ أَوْجَعُ
وَمَا يُرْجِعُ ٱلشَّوْقُ ٱلزَّمَانَ ٱلَّذِي مَضَى   وَلَا لِلْفَتَى فِي دِمْنَةِ ٱلـدَّارِ مَجْزَعُ
فَمَا كَانَ مَشْؤُومًا لَنَا طَائِرُ ٱلْهَوَى   وَلَا ذَلَّ لِـلْبَيْنِ ٱلْفُؤَادُ ٱلْمُرَوَّعُ

وانشدنا احمد بن ابي طاهر لطفيل الغنوي

وَمَـا أَنَا بِٱلْمُسْتَنْكِرِ ٱلْبَيْنَ إِنَّنِي   بِذِي لَطَفِ ٱلْجِيرَانِ قِدْمًا مُفَجَّعُ
جَدِيرٌ بِـهِ مِنْ كُلِّ حَيٍّ لَقِيتُهُمْ   إِذَا أَنَسٌ عَزُّوا عَـلَيَّ تَصَدَّعُوا

وقال آخر

أَمَّا ٱلرَّحِيلُ فَحِينَ جَـدَّ تَرَحَّلَتْ   مُهَجُ ٱلنُّفُوسِ لَـهُ عَنِ ٱلْأَجْسَادِ
مَنْ لَمْ يَمُتْ وَٱلْبَيْنُ يَصْدَعُ شَمْلَهُ   لَمْ يَـدْرِ كَيْفَ تَفَتُّتُ ٱلْأَكْبَادِ

وقال اسحاق الموصلي

إِقْرَ ٱلسَّلَامَ عَلَى ٱلذَّلْفَاءِ إِذْ شَحَطَتْ   وَقُلْ لَهَا قَدْ أَذَقْتِ ٱلْقَلْبَ مَا خَافَا
فَمَا وَجَدْتُ عَلَى إِلْفٍ فُجِعْتُ بِهِ   وَجْدِي عَلَيْكِ وَقَدْ فَارَقْتُ أُلَّافَا

وانشدني احمد بن ابي طاهر* ١٩٣

خَلِيلَيَّ إِنِّي لَمْ أَجِـدْ بَرْدَ مَشْرَبٍ   وَلَا طَعْمَ نَوْمٍ مُذْ نَأَتْ أُمُّ حَاجِبِ
وَمَا زَالَ مُذْ لَمْ يَلْقَهَا ٱلْقَلْبُ صَادِيًا   وَإِنْ كَانَ يُسْقَى مِنْ لَذِيذِ ٱلْمَشَارِبِ

وقال آخر

أَحُجَّاجَ بَيْتِ ٱللهِ فِي أَيِّ هَوْدَجٍ   وَفِي أَيِّ خِدْرٍ مِنْ خُدُورِكُمْ قَلْبِي
أَأُبْقَى أَسِيرَ ٱلْحُبِّ فِي أَرْضِ غُرْبَةٍ   وَحَادِيكُمُ يَحْدُو بِقَلْبِي مَعَ ٱلرَّكْبِ

وقال الحسين الخليع

بِنَفْسِي حَبِيبٌ أَمَّ مَكَّةَ مُكْرَهاً ... يُعَالِجُ مَسْتُورًا مِنَ الْحُزْنِ وَالْأَلَمْ
كِلَانَا وَحِيدٌ لَا يُسَرُّ بِمُؤْنِسٍ ... مِنَ النَّاسِ حَتَّى تَنْقَضِي الْأَشْهُرُ الْحُرُمْ
أَحِنُّ إِلَى شَهْرِ الْمُحَرَّمِ لَيْتَهُ ... غَدَاةَ غَدٍ قَدْ كَانَ أَوْ بَانَ فَانْصَرَمْ
أَلَامُ عَلَى شُغْلِي بِمَنْ أَنَا شُغْلُهُ ... إِذَا طَافَ أَوْ أَصْغَى إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمْ
سَتَرْنَا بِظَهْرِ الْغَيْبِ مَا كَانَ بَيْنَنَا ... وَنَحْفَظُ عَهْدَيْنَا عَلَى رَغْمِ مَنْ رَغِمْ

وقال ذو الرمة

أَرَاحَ فَرِيقُ جِيرَتِكَ الْجِمَالَا ... كَأَنَّهُمُ يُرِيدُونَ احْتِمَالَا
فَكِدْتُ أَمُوتُ مِنْ حُزْنٍ عَلَيْهِمْ ... وَلَمْ أَرَ صَاحِبَ الْأَظْعَانِ آلَا
وَمَيَّةُ فِي الظَّعَائِنِ وَهْيَ شَكَّتْ ... سَوَادَ الْقَلْبِ فَاقْتَتَلَ اقْتِتَالَا
وَلَمْ أَرَ مِثْلَهَا نَظَرًا وَعَيْناً ... وَلَا أُمَّ الْغَزَالِ وَلَا الْغَزَالَا
هِيَ السُّقْمُ الَّذِي لَا بُرْءَ مِنْهُ ... وَبُرْءُ السُّقْمِ لَوْ بَذَلَتْ نَوَالَا

وقال معقل بن عيسى اخو ابي الدلف

لَعَمْرِي لَئِنْ قَرَّتْ بِقُرْبِكَ أَعْيُنٌ ... لَقَدْ سَخِنَتْ بِالْقُرْبِ مِنْكَ عُيُونُ
فَسِرْ أَوْ أَقِمْ وَقْفٌ عَلَيْكَ مَوَدَّتِي ... مَكَانُكَ مِنْ قَلْبِي عَلَيْكَ مَصُونُ

١٩٤ وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلي*

رَاحُوا وَرُحْنَا عَلَى آثَارِهِمْ أُصُلًا ... مُحَمَّلِينَ مِنَ الْأَثْقَالِ أَوْقَارَا
كَأَنَّ أَنْفُسَنَا لَمْ تَرْتَحِلْ مَعَنَا ... أَوْ سِرْنَ فِي أَوَّلِ الْحَيِّ الَّذِي سَارَا

وقال آخر

عَجِلَ الْفِرَاقُ بِمَا كَرِهْتُ وَطَالَمَا ... كَانَ الْفِرَاقُ بِمَا كَرِهْتُ عَجُولَا
وَأَرَى الَّتِي هَامَ الْفُؤَادُ بِذِكْرِهَا ... أَصْبَحْتُ مِنْهَا فَارِغاً مَشْغُولَا

وقال آخر

بِنَفْسِي مَنْ أُمْسِي وَأُضْحِي لِنَأْيِهِ   وَشَوْقِي إِلَيْهِ فِي عَنَاءٍ وَفِي كَرْبِ
فَإِنْ يَرْتَحِلْ جِسْمِي مَعَ ٱلرَّكْبِ مُكْرَهاً   يُقِمْ عِنْدَهَا قَلْبِي وَأَمْضِي بِلَا قَلْبِ

ولبعض اهل هذا العصر

وَكُنْتُ أَرَى أَنْ قَدْ تَنَاهَى بِيَ ٱلْهَوَى   إِلَى غَايَةٍ مَا بَعْدَهَا لِيَ مَذْهَبُ
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا تَذَكَّرْتُ مَا مَضَى   فَأَيْقَنْتُ أَنِّي إِنَّمَا كُنْتُ أَلْعَبُ
فَقَدْ وَٱلَّذِي لَوْ شَاءَ لَمْ يَخْلُقِ ٱلنَّوَى   عُرِضْتُ فَمَا أَدْرِي إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ

وقال آخر

وَأَخْلَتْ فَشَطَّتْ عَنْ مُقَامِي وَخَانَنِي   وَمَا ... مِنْ ضَنَى ٱلْمَوْتِ لَا تُخْلِي
لَقَدْ غَادَرَتْنِي لَا صَحِيحاً لِصِحَّتِي   وَلَا رَاجِياً بُرْءًا وَلَا مُدْرِكاً تَبْلِي

وقال آخر

أَغَارَ عَلَيْنَا ٱلدَّهْرُ حَتَّى كَأَنَّمَا   يُطَالِبُنَا ٱلدَّهْرُ ٱلْمُغِيرُ بِأَوْتَارِ
بِتَشْتِيتِ أُلَّافٍ وَتَغْرِيبِ مَنْزِلٍ   وَتَفْرِيقِ إِخْوَانٍ وَتَقْلِيبِ أَوْطَارِ
وَقَدْ عَلِمَ ٱلدَّهْرُ ٱلْخَؤُونُ بِأَنَّنِي   أَصُولُ عَلَيْهِ صَوْلَةَ ٱلْأَسَدِ ٱلضَّارِي

وقال علي بن محمد العلوي الكوفي

وَلَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى ٱلْفِرَاقِ وَلَمْ أَجِدْ   لِلْمَوْتِ لَوْ فُقِدَ ٱلْفِرَاقُ سَبِيلَا * ١٩٥
يَا سَاعَةَ ٱلْبَيْنِ ٱنْبَرِي فَكَأَنَّمَا   وَاصَلْتِ سَاعَاتِ ٱلْقِيَامَةِ طُولَا

وقال الطائي

يَوْمَ ٱلْفِرَاقِ لَقَدْ خُلِقْتَ طَوِيلَا   لَمْ تُبْقِ لِي صَبْرًا وَلَا مَعْقُولَا
لَوْ حَارَ مَنْ قَادَ ٱلْمَنِيَّةَ لَمْ يُرِدْ   إِلَّا ٱلْفِرَاقَ عَلَى ٱلنُّفُوسِ دَلِيلَا
قَالُوا ٱلرَّحِيلُ فَمَا شَكَكْتُ بِأَنَّهَا   نَفْسِي عَنِ ٱلدُّنْيَا تُرِيدُ رَحِيلَا
أَلصَّبْرُ أَجْمَلُ غَيْرَ أَنَّ تَلَذُّذًا   فِي ٱلْحُبِّ أَحْرَى أَنْ يَكُونَ جَمِيلَا
أَتَظُنُّنِي أَجِدُ ٱلسَّبِيلَ إِلَى ٱلْعَزَا   وَجَدَ ٱلْحِمَامُ إِذًا إِلَيَّ سَبِيلَا

رَدُّ ٱلْجَمُوحِ ٱلصَّعْبِ أَسْهَلُ مَطْلَباً   مِنْ رَدِّ دَمْعٍ قَـدْ أَرَادَ مَسِيـلَا

وقال ابو تمام

نَوًى كَٱنْقِضَاضِ ٱلنَّجْمِ كَانَتْ نَتِيجَةً   مِنَ ٱلْهَزْلِ يَوْماً إِنَّ هَزْلَ ٱلْهَوَى جِدُّ
فَلَا تَحْسَبَا هِنْدًا لَهَا ٱلْغَدْرُ وَحْدَهَا   سَجِيَّـةُ نَفْسٍ كُلُّ غَانِيَةٍ هِنْـدُ
وَكَمْ تَحْتَ أَرْوَاقِ ٱلصَّبَابَةِ مِنْ فَتًى   مِنَ ٱلْقَوْمِ حُرٍّ دَمْعُهُ لِلْهَوَى عَبْدُ
مُحَمَّـدُ يَا ٱبْنَ ٱلْهَيْثَمِ ٱنْقَلَبَتْ بِنَـا   نَوًى خَطَأٌ فِي عَقْبِهَـا لَوْعَـةٌ عَمْدُ
وَحِقْدٌ مِنَ ٱلْأَيَّامِ وَهْيَ قَـدِيرَةٌ   وَشَرُّ ٱلسَّجَايَا قُدْرَةٌ حَازَهَا حِقْـدُ

وقال علي بن محمد العلوي

أَتْبَعْتُهُمْ نَفَساً تَـدْمَى مَسَالِكُهُ   كَأَنَّهُ مِنْ حِمَى ٱلْأَحْشَاءِ مَقْدُودُ
مَا زِلْتُ أَعْرِفُ أَيَّامِي وَأُنْـكِرُهَا   حَتَّى ٱنْبَرَتْ وَهْيَ لَا بِيضٌ وَلَا سُودُ
خَاضَتْ بِيَ ٱلشَّكَّ حَتَّى قَالَ قَائِلُهَا   لَا ٱلْقُرْبُ قُرْبٌ وَلَا ٱلتَّبْعِيدُ تَبْعِيدُ

وقال آخر

لَعَمْرِي لَئِنْ شَطَّتْ بِعُثْمَةَ دَارُهَـا   لَقَدْ كُنْتُ مِنْ وَشْكِ ٱلْفِرَاقِ أُلِيحُ
١٩٦ أَرُوحُ بِهَمٍّ ثُمَّ أَغْـدُو بِمِثْلِـهِ   وَتَحْسِبُ أَنِّي فِي ٱلثِّيَابِ صَحِيحُ*

وقال آخر

سَنَحَ ٱلْهَوَى فَكَتَمْتُ نَفْسِي حَاجَةً   بَلَغَ ٱلتَّجَلُّـدَ ذُو ٱلْعَزَاءِ ٱلصَّـابِرِ
نَهْوَى ٱلْخَلِيطَ وَإِنْ أَقَمْنَـا بَعْـدَهُ   إِنَّ ٱلْمُقِيمَ مُـكَلَّفٌ بِـٱلسَّائِرِ

وقال آخر

وَفِي ٱلْجِيرَةِ ٱلْغَادِينَ مِنْ بَطْنِ وَجْرَةٍ   غَزَالٌ أَحَمُّ ٱلْمُقْلَتَيْنِ رَبِيبُ
فَلَا تَحْسَبِي أَنَّ ٱلْغَرِيبَ ٱلَّذِي نَأَى   وَلٰـكِنَّ مَنْ تَنْـأَيْنَ عَنْـهُ غَرِيبُ

وقال آخر

تَرَكْتِ بِقَلْبِي مِنْ فِرَاقِكِ لَوْعَةً   سَتُتْلِفُ مَا أَبْقَى وَدَاعُكِ مِنْ نَفْسِي

أَرُوحُ وَأَغْدُو مُسْتَكِيناً كَأَنَّنِي   أُرَاقِبُ حَتْفِي حِينَ أُصْبِحُ أَوْ أُمْسِي

الباب السابع والعشرون

مَنْ غَابَ قَرِينُهُ كَثُرَ حَنِينُهُ

مِنْ شَأْنِ مَنْ غَابَ عَنْ خَلِيلِهِ أَنْ تَنَالَهُ حَيْرَةٌ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ يَصْحُو عَنْهَا وَيَرْجِعُ إِلَيْهِ تَمْيِيزُهُ فَمَنْ كَانَ ٱلْمُتَنَاوِلُ لَهُ مِنْ تِلْكَ ٱلْحَيْرَةِ وَٱلْآخِذُ بِعِنَانِهِ مِنْ تِلْكَ ٱلْغَمْرَةِ دَاعٍ مِنْ غَايَاتِ ٱلْاشْتِيَاقِ وَنَاهٍ عَنِ ٱلْمُقَامِ فِي قَبْضَةِ ٱلْفِرَاقِ لَمْ يَتَمَالَكْ عَنْ أَحْبَابِهِ وَقْتاً مِنَ ٱلْأَوْقَاتِ وَلَمْ يَتَشَاغَلْ عَنْهُمْ بِضَرْبٍ مِنَ ٱللَّذَّاتِ وَمَنْ كَانَ ٱلْآخِذُ بِيَدِهِ مِنْ تِلْكَ ٱلْغَمَرَاتِ وَٱلْمُتَخَلِّصُ بِخَوَاطِرِهِ مِنْ تِلْكَ ٱلسَّكَرَاتِ ضَرْباً مِنَ ٱلْاشْتِغَالِ بِغَيْرِ تِلْكَ ٱلْحَالِ سَلَا عَلَى مَرِّ ٱلْأَيَّامِ وَٱللَّيَالِي وَمَا دَامَ فِي تِلْكَ ٱلْحَيْرَةِ فَهُوَ مُتَشَاغِلٌ بِتَذَكُّرِ مَنْ فَارَقَهُ وَٱلشَّوْقِ وَٱلْحَنِينِ إِلَى مَنْ خَلَّفَهُ أَلَمْ تَسْمَعْ الذي يقول

وَإِنَّ ٱمْرَءًا فِي بَلْدَةٍ نِصْفُ قَلْبِهِ   وَنِصْفٌ بِأُخْرَى غَيْرِهَا لَصَبُورُ
وَدِدْتُ مِنَ ٱلشَّوْقِ ٱلْمُبَرِّحِ أَنَّنِي   أُعَارُ جَنَاحَيْ طَائِرٍ فَأَطِيرُ
فَمَا فِي نَعِيمِ ٱلْعَيْشِ بَعْدَكِ لَذَّةٌ   وَلَا لِسُرُورٍ لَسْتِ فِيهِ سُرُورُ *١٩٧

والذي يقول

بِأَكْنَافِ ٱلْحِجَازِ هَوًى دَفِينُ   يُؤَرِّقُنِي إِذَا هَدَتِ ٱلْعُيُونُ
أَحِنُّ إِلَى ٱلْحِجَازِ وَسَاكِنِيهِ   حَنِينَ ٱلْإِلْفِ فَارَقَهُ ٱلْقَرِينُ
وَأَبْكِي حِينَ تَرْقُدُ كُلُّ عَيْنٍ   بُكَاءً بَيْنَ زَفْرَتِهِ أَنِينُ

وقال آخر

ذَكَرْتُكِ ذِكْرَى هَائِمٍ بِكِ تَنْتَهِي   إِلَيْكِ أَمَانِيهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ وَصْلُ
وَلَيْسَتْ بِذِكْرَى سَاعَةٍ بَعْدَ سَاعَةٍ   وَلٰكِنَّهَا مَوْصُولَةٌ مَا [لَهَا] فَصْلُ

وقال ابو عطاء السندي

ذَكَرْتُكِ وَالْخَطِّيُّ يَخْطُرُ بَيْنَنَا   وَقَدْ نَهِكَتْ مِنَّا الْمُثَقَّفَةُ السُّمْرُ
فَوَاللّٰهِ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَصَادِقٌ   أَدَاءٌ عَنَانِي مِنْ وِدَادِكِ أَمْ سِحْرُ
فَإِنْ يَكُ سِحْرًا فَاعْذِرِينِي عَلَى الْهَوَى   وَإِنْ يَكُ دَاءٌ غَيْرَهُ فَلَكِ الْعُذْرُ

وقال آخر

أَلَا يَا لَقَوْمِي لِلصَّبَابَةِ وَالذِّكْرِ   وَلِلْقَدَرِ السَّارِي إِلَيْكَ وَلَا تَدْرِي
وَلِلشَّيْءِ تَنْسَاهُ وَتَذْكُرُ غَيْرَهُ   وَلِلشَّيْءِ لَا تَنْسَاهُ إِلَّا عَلَى ذِكْرِ

وقال آخر

دَعَاكِ ضَمَانُ اللّٰهِ يَا أُمَّ مَالِكٍ   وَلَلّٰهُ أَنْ يَشْفِينِ أَغْنَى وَأَوْسَعُ
يُذَكِّرُنِيكِ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ وَالَّذِي   أَخَافُ وَأَرْجُو وَالَّذِي أَتَوَقَّعُ

وقال مسلم بن الوليد

يُذَكِّرُنِيكَ الْبُخْلُ وَالْجُودُ وَالْعُلَى   وَقِيلُ الْخَنَا وَالْحِلْمُ وَالْعِلْمُ وَالْجَهْلُ
فَأَلْقَاكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا مُتَنَزِّهًا   وَأَلْقَاكَ فِي مَحْمُودِهَا وَلَكَ الْفَضْلُ

١٩٨ وقال آخر*

ذَكَرْتُ بِهِ مَنْ لَنْ أُبَالِيَ بِذِكْرِهِ   تَفَرُّقَ شَعْبٍ فِي النَّوَى مُتَزَايِلِ
وَإِنَّ امْرَءًا بِالشَّامِ أَكْثَرُ أَهْلِهِ   وَبُطْنَانَ لَيْسَ الشَّوْقُ عَنْهُ بِغَافِلِ

وقال آخر

وَذَكَرْتُ هِنْدًا وَالْمَطَايَا تَعْتَلِي   بِالْقَوْمِ قَدْ قَطَعُوا الْعَقِيقَ وَأَنْجَدُوا
بَعْدَ الطَّرِيقِ فَبَاتَ يَقْسِمُ أَمْرَهُ   أَيَجُودُ بِالْعَبَرَاتِ أَمْ يَتَجَلَّدُ

وَلَقَدْ حُبِسْتُ عَلَى ٱلْبِعَادِ فَزَادَنِي   طُولُ ٱلْبِعَادِ حَرَارَةً لَا تَبْرُدُ

وقال معاذ ليلى

ذَكَرْتُكِ حَيْثُ ٱسْتَأْمَنَ ٱلْوَحْشُ وَٱلْتَقَتْ   رِفَاقٌ مِنَ ٱلْآفَاقِ شَتَّى شُعُوبُهَا
وَعِنْدَ ٱلْحَطِيمِ قَدْ ذَكَرْتُكِ ذِكْرَةً   أَرَى أَنَّ نَفْسِي سَوْفَ يَأْتِيكِ حُوبُهَا
دَعَا ٱلْمُحْرِمُونَ ٱللّٰهَ يَسْتَغْفِرُونَهُ   بِمَكَّةَ يَوْماً أَنْ تُمَحَّى ذُنُوبُهَا
فَنَادَيْتُ أَنْ يَا رَبِّ أَوَّلُ سُؤْلَتِي   لِنَفْسِيَ لَيْلَى ثُمَّ أَنْتَ حَسِيبُهَا
فَإِنْ أُعْطَ لَيْلَى فِي حَيَاتِيَ لَا يَتُبْ   إِلَى ٱللّٰهِ عَبْدٌ تَوْبَةً لَا أَتُوبُهَا

وقال آخر

لَقَدْ زَادَنِي ٱلْحُجَّاجُ شَوْقًا إِلَيْكُمُ   وَمَا كُنْتُ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ لِلْحَجِّ قَالِيَا
وَمَا نَظَرَتْ عَيْنِي إِلَى شَخْصِ قَادِمٍ   مِنَ ٱلْحَجِّ إِلَّا بَلَّ دَمْعِي رِدَائِيَا

وقال آخر

فَمَا وَجَدَتْ كَوَجْدِي أُمُّ سَقْبٍ   أَضَاعَتْهُ فَرَجَّعَتِ ٱلْحَنِينَا
وَلَا شَمْطَاءُ لَمْ تَتْرُكْ شَفَاهَا   لَهَا مِنْ تِسْعَةٍ إِلَّا حَنِينَا

وقال بعض الاعراب

[وَ]مَا وَجْدُ أَعْرَابِيَّةٍ قَذَفَتْ بِهَا   نَوَى غُرْبَةٍ مِنْ حَيْثُ لَمْ تَكُ ظَلَّتِ
تَمَنَّتْ أَحَالِيبَ ٱلرِّعَاءِ وَخَيْمَةً   بِنَجْدٍ فَلَمْ يُقْدَرْ لَهَا مَا تَمَنَّتِ* ١٩٩
إِذَا ذَكَرَتْ مَاءَ ٱلْعِضَاهِ وَطِيبَهُ   وَبَرْدَ ٱلْحَصَى مِنْ نَحْوِ نَجْدٍ أَرَنَّتِ
بِأَعْظَمَ مِنْ وَجْدٍ بِرَيَّا وَجَدْتُهُ   غَدَاةَ غَدَوْنَا غُرْبَةً وَٱطْمَأَنَّتِ
فَإِنْ يَكُ هٰذَا آخِرَ ٱلْعَهْدِ مِنْهُمُ   فَهٰذَا ٱلَّذِي كُنَّا ظَنَنَّا وَظَنَّتِ

وقال الحسين الخليع

يَا مَنْ شَغَلْتُ بِهَجْرِهِ وَوِصَالِهِ   هَمَّ ٱلْمُنَى وَنَسِيتُ يَوْمَ مَعَادِي
وَٱللّٰهِ مَا ٱلْتَقَتِ ٱلْجُفُونُ بِطَرْفَةٍ   إِلَّا وَذِكْرُكَ خَاطِرٌ بِفُؤَادِي

وقال ذو الرمة

إِذَا خَطَرَتْ مِنْ ذِكْرِ مَيَّــةَ خَطْرَةٌ … عَلَى ٱلْقَلْبِ كَادَتْ فِي فُؤَادِكَ تَجْرَحُ
عَلَى حِينِ رَاهَقْتُ ٱلثَّلَاثِينَ وَٱرْعَوَتْ … لِدَاتِي وَكَادَ ٱلْحِلْمُ بِٱلْجَهْلِ يَرْجَحُ
ذَكَرْتُكِ أَنْ مَرَّتْ بِنَــا أُمُّ شَادِنٍ … أَمَــامَ ٱلْمَطَــايَا تَشْرَئِبُّ وَتَسْنَحُ
رَأَتْنَا كَأَنَّا عَامِــدُونَ لِقَصْدِهَــا … بِــهِ فَهْيَ تَــدْنُو تَارَةً وَتَزَحْزَحُ
هِيَ ٱلشِّبْهُ أَعْطَافاً وَجِيــدًا وَمُقْلَةً … وَمَيَّةُ أَبْهَى بَعْــدُ مِنْهَــا وَأَمْلَحُ

وانشدتني اعرابية بالبادية

هَلِ ٱلشَّوْقُ إِلَّا مِثْلُ مَا أَتَكَلَّفُ … أَبِينُ وَعَيْنِي مَا تَنِي ٱلدَّهْرَ تَذْرِفُ
تَذَكَّرْتُ بَيْتاً مِنْ نُعَيْمَةَ وَٱلنَّوَى … قَرِيبٌ وَقَدْ كَانَ ٱلَّــذِي أَتَخَوَّفُ
فَقَدْ ظَنَّ هٰذَا ٱلْقَلْبُ أَنْ لَيْسَ نَاظِرًا … إِلَى وَجْهِهَا مَا كَذَّبَ ٱللهُ خِنْــدِفُ
فَيَا قَلْبُ صَبْرًا وَٱعْتِرَافاً بِمَا قَضَى … [لَكَ] ٱللهُ إِنَّ ٱلْحُرَّ بِٱلصَّبْرِ يُعْرَفُ
تَجَلَّدْ وَأَجْمِلْ وَٱصْطَبِرْ وَٱزْجُرِ ٱلْأَسَى … لَعَــلَّ ٱلنَّوَى يَوْماً بِنُعْمَةَ تُسْعِفُ
عَسَى دَارُهَا أَنْ تَرْعَوِي بَعْدَ بُعْدِهَا … عَلَيْكَ وَتَلْقَاهَا كَمَا كُنْتَ تَعْرِفُ

وقال آخر

٢٠٠ هَلِ ٱلشَّوْقُ إِلَّا أَنْ يَحِنَّ غَرِيبُ … وَأَنْ يَسْتَطِيلَ ٱلْعَهْدَ وَهْوَ قَرِيبُ*
لَيَــالِيَ يَدْعُونِي ٱلصِّبَى فَــأُجِيبُهُ … وَلِلشَّوْقِ دَاعٍ مُسْمِعٌ وَمُجِيبُ
وَقَائِلَةٍ مَــا بَالُ لَوْنِــكَ شَاحِباً … وَأَهْوَنُ مَا بِي أَنْ يَكُونَ شُحُوبُ
فَقُلْتُ لَهَا فِي ٱلصَّــدْرِ مِنِّي بَلَابِلُ … تَقَطَّعُ أَنْفَــاسِي لَهَا وَتَنُوبُ

وقال بعض الاعراب

وَلَوْ أَنَّ مَا أَلْقَى وَمَا بِي مِنَ ٱلْهَوَى … بِأَرْعَنَ رُكْنَــاهُ صَفاً وَحَــدِيدُ
تَقَطَّرَ مِنْ وَجْــدٍ وَذَابَ حَدِيدُهُ … وَأَمْسَى تَرَاهُ ٱلْعَيْنُ وَهْوَ عَمِيــدُ
ثَــلَاثُونَ يَوْماً كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَــةٍ … أَمُوتُ وَأَحْيَــا إِنَّ ذَا لَشَدِيــدُ

وقال آخر

أَصَابَنِي بَعْدَكِ ضُرُّ ٱلْهوَى   وَمَسَّنِي كَرْبٌ وَإِقْلَاقُ
وَيَعْلَمُ ٱللهُ بِحَسْبِي بِهِ   أَنِّي إِلَى وَجْهِكِ مُشْتَاقُ

وقال آخر

أَحِنُّ إِلَى لَيْلَى وَقَدْ شَطَّتِ ٱلنَّوَى   بِلَيْلَى كَمَا حَنَّ ٱلْيَرَاعُ ٱلْمُثَقَّبُ
يَقُولُونَ لَيْلَى عَذَّبَتْكَ بِحُبِّهَا   أَلَا حَبَّذَا ذَاكَ ٱلْحَبِيبُ ٱلْمُعَذِّبُ

وقال آخر

أَحِنُّ إِلَى أَرْضِ ٱلْحِجَازِ وَحَاجَتِي   خِيَامٌ بِنَجْدٍ دُونَهَا ٱلطَّرْفُ يَقْصُرُ
وَمَا نَظَرِي مِنْ نَحْوِ نَجْدٍ بِنَافِعِي   أَجَلْ لَا وَلٰكِنِّي عَلَى ذَاكَ أَنْظُرُ
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ نَظْرَةٌ ثُمَّ عَبْرَةٌ   بِعَيْنَيْكَ يَجْرِي مَاؤُهَا يَتَحَدَّرُ
مَتَى يَسْتَرِيحُ ٱلْقَلْبُ إِمَّا مُجَاوِرٌ   حَزِينٌ وَإِمَّا نَازِحٌ يَتَذَكَّرُ

ولبعض اهل هذا العصر

كَفَى حَزَنًا أَلَّا أُعَايِنَ بُقْعَةً   مِنَ ٱلْأَرْضِ إِلَّا زِدْتُ شَوْقًا إِلَيْكُمُ
وَإِنِّي مَتَى مَا طَابَ لِي خَفْضُ عِيشَةٍ   تَذَكَّرْتُ أَيَّامًا مَضَتْ لِي لَدَيْكُمُ * ٢٠١
فَتَنْغِصَ تَذْكَارِي لَهَا طِيبَ عِيشَتِي   فَقُلْتُ سَيَفْنَى ذَا فَيَأْسَى عَلَيْكُمُ

وقال آخر

لَئِنْ دَرَسَتْ أَسْبَابُ مَا كَانَ بَيْنَنَا   مِنَ ٱلْوَصْلِ مَا شَوْقِي إِلَيْكِ بِدَارِسِ
وَلَا أَنَا مِنْ أَنْ يَجْمَعَ ٱللهُ بَيْنَنَا   عَلَى جُمْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ بِيَائِسِ

وقال آخر

خَلِيلَيَّ لَا تَسْتَسْلِمَا وَٱدْعُوَا [ٱلَّذِي]   لَهُ كُلُّ أَمْرٍ أَنْ يَصُوبَ رَبِيعُ
حَيًا لِبِلَادٍ طَيَّرَ ٱلْمَحْلُ أَهْلَهَا   وَجَبْرًا لِعَظْمٍ فِي شَظَاهُ صُدُوعُ
عَسَى أَنْ يَحِلَّ ٱلْحَيُّ جَرْعَاءَ وَابِلٍ   وَعَلَّ ٱلنَّوَى بِٱلظَّاعِنِينَ تَرِيعُ

أَفِي كُلِّ عَامٍ زَفْرَةٌ مُسْتَجِدَّةٌ   تَضَمَّنُهَا مِنِّي حَشًى وَضُلُوعُ

وقال ابو تمام

إِذَا بِنْتَ لَمْ أَحْزَنْ لِفَقْدِ مُفَارِقٍ   سِوَاكَ وَلَمْ أَفْرَحْ بِقُرْبِ مُقِيمِ
فَيَا لَيْتَنِي أَفْدِيكَ مِنْ غُرْبَةِ ٱلنَّوَى   بِكُلِّ خَلِيلٍ وَاصِلٍ وَحَمِيمِ

وقال آخر

إِذَا كُنْتَ لَا يُسْلِيكَ عَمَّنْ تُحِبُّهُ   فِرَاقٌ وَلَا يَشْفِيكَ طُولُ تَلَاقِ
فَهَلْ أَنْتَ إِلَّا مُسْتَعِيرٌ حُشَاشَةً   بِمُهْجَةِ نَفْسٍ آذَنَتْ بِفِرَاقِ

وقال يزيد بن الطثرية

وَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلْبِشْرَ قَدْ حَالَ دُونَهُمْ   وَوَافَتْ بَنَاتُ ٱلصَّدْرِ يَهْوِينَ نُزَّعَا
تَلَفَّتُّ نَحْوَ ٱلْحَيِّ حَتَّى رَأَيْتُنِي   وَجِعْتُ مِنَ ٱلْإِصْغَاءِ لِيتاً وَأَخْدَعَا

وقال ابن الدمينة

حَنَنْتُ لِذِكْرَى مِنْ أُمَيْمَةَ وَٱرْعَوَى   لَهَا مِنْ قَدِيمَاتِ ٱلْهَوَى كُلُّ سَالِفِ
حَنِيناً وَلَوْعَاتٍ يَفِضْنَ لَهَا سِوَى   بَوَادِرِ غَرْبَاتِ ٱلدُّمُوعِ ٱلذَّوَارِفِ* ٢٠٢

وقال بعض الاعراب

فَلَا تُشْرِفَنْ رَأْسَ ٱلْيَفَاعِ فَإِنَّنِي   لَدَى ٱلشَّوْقِ مِنْ رَأْسِ ٱلْيَفَاعِ قَدِيرُ
إِذَا شَرِفَ ٱلْمَحْزُونُ بِشْرًا رَأَيْتَهُ   يُسَكِّنُ أَحْشَاءً تَكَادُ تَطِيرُ

وقال الحسين بن مطير

إِذَا ٱرْتَحَلَتْ مِنْ سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ رِفْقَةٌ   مُشَرِّقَةٌ هَاجَ ٱلْفُؤَادَ ٱرْتِحَالُهَا
فَإِنْ لَا يُصَاحِبْهَا يُتَبِّعْ بِأَعْيُنٍ   سَرِيعٍ بِرِقْرَاقِ ٱلدُّمُوعِ ٱكْتِحَالُهَا

وقال ايضاً

أَحِنُّ وَيُثْنِينِي ٱلْهَوَى نَحْوَ يَثْرِبٍ   وَيَزْدَادُ شَوْقِي كُلَّ مُمْسًى وَشَارِقِ
كَذَاكَ ٱلْهَوَى يُزْرِي بِمَنْ كَانَ عَاشِقاً   وَنَوْلُ ٱلْهَوَى يَحْنُو عَلَى كُلِّ عَاشِقِ

وقال آخر

فَمَا سِرْتُ مِنْ مِيلٍ وَلَا بِتُّ لَيْلَةً ... مِنَ ٱلدَّهْرِ إِلَّا ٱعْتَادَنِي لَكِ طَائِفُ
وَكَمْ مِنْ بَدِيلٍ قَدْ وَجَدْنَا وَطَوْفَةٍ ... فَتَأْبَى عَلَيَّ ٱلنَّفْسُ تِلْكَ ٱلطَّوَائِفُ

وقال زيادة بن زيد

تَذَكَّرَ عَنْ شَحْطٍ أُمَيْمَةَ فَٱرْعَوَى ... لَهَا بَعْدَ إِقْصَارٍ وَطُولِ نُكُوبِ
وَإِنَّ ٱمْرَءاً قَدْ جَرَّبَ ٱلدَّهْرَ لَمْ يَخَفْ ... تَقَلُّبَ عَصْرَيْهِ لَغَيْرُ لَبِيبِ
هَلِ ٱلدَّهْرُ وَٱلْأَيَّامُ إِلَّا كَمَا أَرَى ... رَزِيَّةُ مَالٍ أَوْ فِرَاقُ حَبِيبِ

ولبعض اهل هذا العصر

إِلَى ٱللّٰهِ أَشْكُو عَبْرَةً قَدْ أَظَلَّتِ ... وَنَفْساً إِذَا مَا عَزَّهَا ٱلشَّوْقُ ذَلَّتِ
تَحِنُّ إِلَى أَرْضِ ٱلْحِجَازِ وَدُونَهَا ... تَنَائِفُ لَوْ تَسْرِي بِهَا ٱلرِّيحُ ضَلَّتِ
وَإِنِّي بِهَا لَوْ لَا أَمَانِي تَغُرُّهَا ... وَقَدْ أَرْجَفَتْ هُوجُ ٱلْمَطَايَا وَكَلَّتِ
أَأُمْنَعُ مِنْ وَادِي زُبَالَةَ شَرْبَةً ... وَقَدْ نَهِلَتْ مِنْهُ ٱلْكِلَابُ وَعَلَّتِ* ٢٠٣
سَقَى ٱللّٰهُ رَمْلَ ٱلْقَاعِ [وَٱلْقَاعَ] فَٱللِّوَى ... فَقَدْ عَطَفَتْ نَفْسِي إِلَيْهِ وَحَنَّتِ
وَأَسْقَى لِوَى جَبْلَيْ زَرُودَ وَمُرْبِخاً ... سَحَائِبُ لَا يَلْقَى ٱلظَّمَا مَا أَظَلَّتِ
هَمَمْتُ فَلَمْ أَرْبَعْ عَلَى ٱلْفِكْرِ لَحْظَةً ... وَقَدْ كَانَ حَظُّ ٱلنَّفْسِ أَنْ لَوْ تَأَنَّتِ
وَأَصْبَحْتُ لَهْفَاناً عَلَى مَا أَضَعْتُهُ ... كَذَاكَ يَكُونُ ٱلرَّأْيُ مَا لَمْ يُثَبَّتِ

الباب الثامن والعشرون

مَنْ لَمْ يَلْحَقْ بِٱلْحُمُولِ بَكَى عَلَى ٱلطُّلُولِ

إِذَا كَانَ صَحْوُ ٱلْمُفَارِقِ لِأَحْبَابِهِ مِنَ ٱلتَّحَنُّنِ ٱلَّذِي ذَكَرْنَاهُ بِقَلْبِهِ دَاعِياً

لَهُ قَبْلَ هَوَاهُ نَدمَ عَلَى مُقَامِهِ بَعْدَ مُضِيِّ أَحبَابِهِ أَوْ عَلَى أَجترَائِهِ عَلَى ٱلسَّفَرِ وَأَحِبَّتُهُ مُقِيمُونَ فِي ٱلْحَضَرِ فَٱسْتَقْبَحَ صَنِيعَهُ وَتَلَافَى تَضْيِيعَهُ فَإِنْ كَانَ ٱلْمُحِبُّ هُوَ ٱلْمُسَافِرُ عَنْ حَبِيبِهِ

كان كالذي يقول

بَيْنَمَا هُنَّ مِنْ بَلَاكِثَ فَٱلْقَا ... عِ سِرَاعاً وَٱلْعِيسُ تَهْوِي هَوِيًّا
خَطَرَتْ خَطْرَةٌ عَلَى ٱلْقَلْبِ وَهْناً ... مِنْ هَوَاهَا فَمَا ٱسْتَطَعْتُ مُضِيًّا
قُلْتُ لَبَّيْكِ إِذْ دَعَانِي لَكِ ٱلشَّوْ ... قُ وَلِلْحَادِيَيْنِ كُرَّا ٱلْمَطِيَّا

وكما قال عبيد الراعي

دَعَانِي ٱلْهَوَى مِنْ أُمِّ وَبْرٍ وَدُونَهَا ... ثَلَاثَةُ أَخْمَاسٍ فَدَيْتُكَ دَاعِيَا
فَعُجْنَا لِذِكْرَاهَا وَتَشْبِيهِ صَوْتِهَا ... قِلَاصاً بِمَجْهُولِ ٱلْفَلَاةِ صَوَادِيَا
بِغَبْرَاءَ مِحْرَافٍ يَبِيتُ دَلِيلُهَا ... مُشِيحاً عَلَيْهَا لِلْفَرَاقِدِ رَاعِيَا

وَإِنْ كَانَ ٱلْمَحْبُوبُ ٱلْمُسَافِرَ وَٱلْمُحِبُّ هُوَ ٱلْمُتَخَلِّفُ عَنْ إِلْفِهِ تَعَسَّفَ رُكُوبَ ٱلْمَهَالِكِ فِي ٱللَّحَاقِ

كما قال العرجي

كَمْ قَدْ عَصَيْتُ إِلَيْكِ مِنْ مُتَنَصِّحٍ ... دَانِي ٱلْقَرَابَةِ أَوْ بَعِيدٍ أَعَادِي
٢٠٤ وَتَنُوفَةٍ [غَبْرَاءَ] أَرْمِي عَرْضَهَا ... شَوْقاً إِلَيْكِ بِلَا هِدَايَةِ هَادِي*

وقال

قُلْ لِهَادِي ٱلْمَطِيِّ يَرْفُقْ قَلِيلَا ... يَجْعَلِ ٱلْعِيسَ سَيْرُهُنَّ ذَمِيلَا
لَا تَقِفْهَا عَلَى ٱلسَّبِيلِ وَدَعْهَا ... يَهْدِهَا شَوْقُ مَنْ عَلَيْهَا ٱلسَّبِيلَا

وقال

أَمَّا ٱلدِّيَارُ فَقَلَّمَا لَبِثُوا بِهَا ... بَعْدَ ٱشْتِيَاقِ ٱلْعِيسِ وَٱلرُّكْبَانِ
وَضَعُوا سِيَاطَ ٱلشَّوْقِ فِي أَعْنَاقِهَا ... حَتَّى وَرَدْنَ بِهِمْ عَلَى ٱلْأَوْطَانِ

وقال

وَيَوْمٍ كَتَنُّورِ ٱلطَّوَاهِي سَجَرْنَهُ   وَأَلْقَيْنَ فِيهِ ٱلْجَزْلَ حَتَّى تَضَرَّمَا
قَذَفْتُ بِنَفْسِي فِي أَجِيجِ سَمُومِهِ   وَبِٱلْعِيسِ حَتَّى بَلَّ مِشْفَرُهَا دَمَا
أُؤَمِّلُ أَنْ أَلْقَى مِنَ ٱلنَّاسِ عَالِمًا   بِأَخْبَارِكُمْ أَوْ أَنْ أُلِمَّ مُسَلِّمَا

وانشدني بعض اعراب البادية

بَانَتْ أُنَيْسُ فَمَا بِٱلْقَلْبِ مَعْقُولُ   وَلَا عَلَى ٱلْجِيرَةِ ٱلْغَادِينَ تَعْوِيلُ
حَتَّى شَدَدْتُ بِرَحْلِي قَبْلَ بَرْذَعَتِي   وَٱلْقَلْبُ مُخْتَبَلٌ وَٱللُّبُّ مَتْبُولُ
ثُمَّ ٱعْتَوَرْتُ عَلَى نِضْوِي لِيُلْحِقَنِي   أُخْرَى ٱلْحُمُولِ ٱلْغَوَادِي وَهُوَ مَعْقُولُ

وقال الراعي

بَانَ ٱلْأَحِبَّةُ بِٱلْعَهْدِ ٱلَّذِي عَهِدُوا   فَلَا تَمَالَكَ عَنْ أَرْضٍ لَهَا عَمَدُوا
حَتَّى إِذَا حَالَتِ ٱلْأَرْجَاءُ دُونَهُمُ   أَرْجَاءُ تَرْمُدُ كُلُّ ٱلطَّرْفُ أَوْ بَعُدُوا
لَوْلَا ٱلْمَخَاوِفُ وَٱلْأَوْصَابُ قَدْ قَطَعَتْ   عَرْضَ ٱلْفَلَاةِ بِنَا ٱلْمَهْرِيَّةُ ٱلْأُجُدُ

وَلَئِنْ كَانَ أَفْرَطَ فِي ٱلْإِحْسَانِ فِي ٱلْبَيْتِ ٱلْأَوَّلِ لَقَدْ أَفْرَطَ فِي ٱلْإِسَاءَةِ فِي ٱلْبَيْتِ ٱلْآخِرِ وَلَوْلَا أَنَّ قَوْلَهُ فَلَا تَمَالَكَ عَنْ أَرْضٍ لَهَا عَمَدُوا مِنْ أَحْسَنِ ٱلْكَلَامِ لَفْظًا وَأَصَحِّهِ مَعْنًى وَأَلْيَقِهِ بِمَا قَصَدْنَاهُ لَأَضْرَبْنَا عَنْ ذِكْرِهِ لِقَبَاحَةِ مَا عُقِّبَ بِهِ وَمَا ٱلْمَخَاوِفُ* وَٱلْأَوْصَابُ حَتَّى يَعْتَذِرَ بِهَا فِي ٢٠٥
ٱلتَّخَلُّفِ عَنِ ٱلْأَحْبَابِ لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ بِشْرَ بْنَ مَرْوَانَ كَانَ فِي مُعَسْكَرٍ لَهُ بِظَهْرِ ٱلْبَصْرَةِ فَنَادَى بِكَثْرَةِ ٱنْصِرَافِ ٱلْجُنْدِ مِنَ ٱلْعَسْكَرِ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَنَادَى مُنَادِيهِ مَنْ وُجِدَ بِٱلْبَصْرَةِ مِنَ ٱلْجُنْدِ سُمِّرَتْ كَفُّهُ بِمِسْمَارٍ وَكَانَ فِي ٱلْعَسْكَرِ فَتًى يَأْلَفُ خُلَّةً لَهُ بِٱلْبَصْرَةِ فَكَتَبَ إِلَيْهَا

لَوْلَا مَخَافَةُ بِشْرٍ أَوْ عُقُوبَتُهُ   وَأَنْ يُسَمَّرَ فِي كَفِّي بِمِسْمَارِ
إِذَنْ لَعَطَّلْتُ ثَغْرِي ثُمَّ زُرْتُكُمُ   إِنَّ ٱلْمُحِبَّ إِذَا مَا ٱشْتَاقَ زَوَّارُ

فكتبت اليه

لَيسَ ٱلْمُحبُّ ٱلَّذي يَخشَى ٱلعِقَابَ وَلَوْ   كَانَتْ عُقُوبَتُهُ فِي كَبَّةِ ٱلنَّارِ
إِنَّ ٱلْمُحِبَّ ٱلَّذِي لا عَيْش يَنفَعُهُ   أَوْ يَسْتَقِرَّ وَمَنْ يَهْوَاهُ فِي ٱلدَّارِ

فَلَمَّا قَرَأَ ٱلأَبيَاتَ دَخَلَ ٱلبَصرَةَ فَاَخَذَهُ صَاحِبُ ٱلْحَرَسِ فَجَاءَ بِهِ إِلَى بِشر بنِ مَروَانَ فَقَالَ لَهُ بِشرٌ أَلَمْ تَسمَعِ ٱلنِّدَاءَ قَالَ بَلَى قَالَ فَمَا حَمَاكَ عَلَى مُخَالَفَتِهِ قَالَ هٰذِهِ ٱلأَبيَاتُ وَدَفَعهَا إِلَى بِشرٍ فَلَمَّا قَرَأَهَا أَمَرَ مُنَادِيَهُ فَنَادَى مَنْ أَحَبَّ ٱلمُقَامَ فِي ٱلعَسكَرِ فَلْيُقِمْ وَمَنْ أَحَبَّ دُخُولَ ٱلبَصرَةِ فَلْيَدْخُلْ.

وقال آخر

فَلَوْ حَشَدُوا بِٱلإِنسِ وَٱلْجِنِّ دُونَهَا   لِأَنْ يَمْنَعُونِي أَنْ أَجِيءَ لَجِيتُ
وَلَوْ خُلِطَ ٱلسُّمُّ ٱلذُّعَافُ بِرِيقِهِ   لَسُقِّيتُ مِنهُ نَهْلَةً فَرَوِيتُ

ولبعض اهل هذا العصر

سَقَى ٱللهُ رَمْلَ ٱلقَاعِ وَبْلًا وَدِيمَةً   لِتَحيَى بِهِ تِلْكَ ٱلرُّسُومُ ٱلدَّوَارِسُ
أَشَوقًا إِلَى نَجْدٍ وَدُونَ لِقَائِهَا   أَهَاوِيلُ يُخشَى قَطْعُهَا وَبَسَابِسُ
عَلَى أَنَّ عَبْدَ ٱلشَّوقِ لَيسَتْ تَهُولُهُ   حُزُونُ ٱلفَيَافِي وَٱللَّيَالِي ٱلدَّوَامِسُ
بِمَا حَبِلَتْ فَلْتَأْتِنِي مِنْ بَلَائِهَا   فَلَيسَ لِمَا يَقْضِي بِهِ ٱللهُ حَابِسُ

٢٠٦ وله ايضاً*

دَعَانِي ٱلشَّوقُ وَٱلرُّكْبَانُ قَدْ هَجَدُوا   وَٱلشَّمْسُ فِي آخِرِ ٱلْجَوْزَاءِ تَتَّقِدُ
وَٱلقَيظُ مُحْتَدِمٌ وَٱلرُّوحُ مُنْصَرِمٌ   وَٱلرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ وَٱلْحَتْفُ مُطَّرِدُ
وَٱلبِيدُ مُغْبَرَّةُ ٱلأَرْجَاءِ مُقْفِرَةٌ   كَأَنَّ أَعلَامَهَا فِي ٱلآلِ تَرْتَعِدُ
فَظَلْتُ طَوعًا لِدَاعِي ٱلشَّوقِ أُوقِظُهُمْ   وَجُلُّ أَكْثَرِهِمْ سَاهُونَ مَا رَقَدُوا
حَتَّى إِذَا قُلْتُ شُدُّوا قَالَ بَعْضُهُمُ   قَدْ جُنَّ هٰذَا فَخَلُّوا عَنْهُ وَٱبْتَعِدُوا

يَدْرُونَ مَا وَجَدُوا مِنْ حَرِّ يَوْمِهِمِ ... وَقْتَ ٱلنُّزُولِ وَلَا يَدْرُونَ مَا أَجِدُ
حَرُّ ٱلْفِرَاقِ إِذَا مَا ٱلْهَجْرُ سَاعَدَهُ ... حَرٌّ تَخُصُّ بِهِ ٱلْأَحْشَاءُ وَٱلْكَبِدُ

وقال ابو دهبل

أَأَتْرُكُ لَيْلَى لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ... سِوَى لَيْلَةٍ إِنِّي إِذًا لَصَبُورُ
هَبُونِي ٱمْرَءًا مِنْكُمْ أَضَلَّ بَعِيرَهُ ... لَهُ ذِمَّةٌ إِنَّ ٱلذِّمَامَ كَبِيرُ
وَلَلصَّاحِبُ ٱلْمَتْرُوكُ أَعْظَمُ ذِمَّةً ... عَلَى صَاحِبٍ مِنْ أَنْ يَضِلَّ بَعِيرُ
عَفَا ٱللهُ عَنْ لَيْلَى ٱلْغَدَاةَ فَإِنَّهَا ... إِذَا وَلِيَتْ حُكْمًا عَلَيَّ تَجُورُ

وانشدني اعرابي ببلاد نجد

فَلَوْ أَنَّ شَرْقَ ٱلشَّمْسِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ... وَأَهْلِي وَرَاءَ [ٱلْغَرْبِ حَيْثُ] تَغِيبُ
لَدَاوَرْتُ قَطْعَ ٱلْأَرْضِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ... وَقَالَ ٱلْهَوَى لِي إِنَّهُ لَقَرِيبُ

ولبعض اهل هذا العصر

يَا مَنْ تَجَاوَزَ حَدَّ ٱلسَّمْعِ وَٱلْبَصَرِ ... وَمَنْ يَفُوقُ ضِيَاءَ ٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ
لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا أَلْقَى مِنَ ٱلسَّهَرِ ... وَمَا أُقَاسِي مِنَ ٱلْأَشْجَانِ وَٱلْفِكَرِ
وَمَا تَضَمَّنَ قَلْبِي مِنْ هَوَاكَ إِذًا ... لَمَا رَثَيْتَ لِجِسْمِي مِنْ أَذَى ٱلْمَطَرِ
أَنَّى يَضُرُّ نَدَى ٱلْأَمْطَارِ ذَا كَبِدٍ ... حَرَّى وَقَلْبٍ بِنَارِ ٱلشَّوْقِ مُسْتَعِرِ
لَوْ كَانَ دُونَكَ بَحْرُ ٱلصِّينِ مُعْتَرِضًا ... لَخِلْتُ ذَاكَ سَرَابًا دَارِسَ ٱلْأَثَرِ* ٢٠٧
وَلَوْ أَذِنْتَ وَفِيمَا بَيْنَنَا سَقَرٌ ... لَهَوَّنَ ٱلشَّوْقُ خَوْضَ ٱلنَّارِ فِي سَقَرِ
لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا حَالٌ تَضَمَّنَهَا ... قَلْبُ ٱلْمَشُوقِ تُوَازِي حَالَ مُنْتَظِرِ

وقال بعض الأسديين

فَإِنْ تَدَّعِي نَجْدًا نَدَعْهُ وَمَنْ بِهِ ... وَإِنْ تَسْكُنِي نَجْدًا فَيَا حَبَّذَا نَجْدُ
وَإِنْ كَانَ يَوْمُ ٱلْوَعْدِ يَوْمَ لِقَائِنَا ... فَلَا تَعْذُلَانِي أَنْ أَقُولَ مَتَى ٱلْوَعْدُ

وقال نوال

وَإِنْ تَرْتَبِعْ رَيَّا بِغَوْرِ تِهَامَةٍ   نُقِمْ عِنْدَهَا أَوْ تَتْرُكِ ٱلْبَرَّ نُنْجِدِ
وَإِنْ حَارَبَتْ رَيَّا نُحَارِبْ وَإِنْ تَدِنْ   نَدِنْ دِينَهَا لَا عَيْبَ لِلْمُتَوَدِّدِ

وقال امرؤ القيس بن حجر

[وَ]أَصْبَحْتُ وَدَّعْتُ ٱلصِّبَى غَيْرَ أَنَّنِي   أُرَاقِبُ خَلَّاتٍ مِنَ ٱلْعَيْشِ أَرْبَعَا
فَمِنْهُنَّ نَصُّ ٱلْعِيسِ وَٱللَّيْلُ دَامِسٌ   يُيَمِّمْنَ مَجْهُولًا مِنَ ٱلْأَرْضِ بَلْقَمَا •
خَوَارِجَ مِنْ بَرِّيَّةٍ نَحْوَ قَرْيَةٍ   يُجَدِّدْنَ وَصْلًا أَوْ يُقَرِّبْنَ مَطْمَعَا

وقال ذو الرمة

تَذَكَّرْتُ مَيًّا بَعْدَ مَا حَالَ دُونَهَا   سُهُوبٌ تَرَامَى بِٱلْمَرَاسِيلِ بِيدُهَا
إِذَا لَامِعَاتُ ٱلْبِيدِ أَعْرَضْنَ دُونَهَا   تَقَارَبَ لِي مِنْ حُبِّ مَيٍّ بَعِيدُهَا

وقال ضابي بن الحارث بن ارطاة البرجمي

وَكَمْ دُونَ سَلْمَى مِنْ فَلَاةٍ كَأَنَّمَا   تَجَلَّلَ أَعْلَاهَا مُلَاءٌ مُفَصَّلَا
مُحَقَّقَةٍ لَا يَهْتَدِي لِسَبِيلِهَا   مِنَ ٱلْقَوْمِ إِلَّا مَنْ مَضَى وَتَوَكَّلَا
يُهَالُ بِهَا رَكْبُ ٱلْفَلَاةِ مِنَ ٱلرَّدَى   وَمِنْ خَوْفِ حَادِيهِمْ وَمَا قَدْ تَحَمَّلَا
قَطَعْتُ إِلَى مَعْرُوفِهَا مُنْكَرَاتِهَا   إِذَا ٱلْآلُ بِٱلْبِيدِ ٱلْبَسَابِسِ هَرْوَلَا

٢٠٨ وقال جميل بن معمر*

أَلَا أَيُّهَا ٱلْعُشَّاقُ وَيْحَكُمُ هُبُّوا   أُسَائِلُكُمْ هَلْ يَقْتُلُ ٱلرَّجُلَ ٱلْحُبُّ
أَلَا رُبَّ رَكْبٍ قَدْ رَفَعْتُ وَجِيفَهُمْ   إِلَيْكِ وَلَوْلَا أَنْتِ لَمْ يُوجِفِ ٱلرَّكْبُ
لَهَا ٱلنَّظْرَةُ ٱلْأُولَى عَلَيْهِمْ وَبَسْطَةٌ   وَإِنْ كَرَّتِ ٱلْأَبْصَارُ كَانَ لَهَا ٱلْعَقْبُ

وقال جرير

لَشَتَّانَ يَوْمٌ بَيْنَ سِجْفٍ وَكِلَّةٍ   وَمَرُّ ٱلْمَطَايَا تَغْتَدِي وَتَرَوَّحُ
نَقِيسُ بَقِيَّاتِ ٱلنِّطَافِ عَلَى ٱلْحَصَى   وَهُنَّ عَلَى طَيِّ ٱلْحَيَازِيمِ جُنَّحُ
وَيَوْمٍ مِنَ ٱلْجَوْزَاءِ مُسْتَوْقِدِ ٱلْحَصَى   تَكَادُ صَيَاصِي ٱلْعِينِ فِيهِ تَصَيَّحُ

شَدِيدُ ٱللَّظَى حَامِي ٱلْوَدِيقَةِ رِيحُهُ   أَشَدُّ لَظًى مِنْ شَمْسِهِ حِينَ يَصْمَحُ
نَصَبْتُ لَهُ وَجْهِي وَحَرْفاً كَأَنَّهَا   مِنَ ٱلْجَهْدِ وَٱلْإِسْآدِ قَرْمٌ مُلَوَّحُ

وقال علي بن محمد العلوي

هٰذَا وَحَرْفٍ إِذَا مَاتَتْ [مَفَاصِلُهُ]   عَنْ رَاكِبٍ وَصَلَتْ أَكْفَالَهُ بِيدُ
يَهْمَاءُ لَا يَتَخَطَّاهَا ٱلدَّلِيلُ [سُرًى]   إِلَّا وَنَاظِرُهُ بِٱلنَّجْمِ مَعْقُودُ
جَاوَزْتُهَا وَٱلرَّدَى رَحْبٌ مَعَالِمُهُ   فِيهَا وَمَسْلَكُهَا بِٱلْخَوْفِ مَسْدُودُ

ولبعض اهل هذا العصر

كَمْ دُونَ أَرْضِكَ مِنْ وَادٍ وَمِنْ عَلَمٍ   كَأَنَّ أَعْلَاهُ بِٱلْأَفْلَاكِ مُنْتَسِجُ
وَمِنْ مُرُوجٍ كَظَهْرِ ٱلتُّرْسِ مُظْلِمَةٍ   كَأَنَّ حَصْبَاءَهَا تَحْتَ ٱلدُّجَى سُبَجُ
حَتَّى إِذَا ٱلشَّمْسُ لَاحَتْ فِي سَبَاسِبِهَا   حَسِبْتَ أَعْلَامَهَا فِي ٱلْآلِ تَخْتَلِجُ
وَكَمْ فَلَاةٍ يَفُوتُ ٱلطَّرْفَ آخِرُهَا   لِلْجِنِّ بِٱللَّيْلِ فِي أَقْطَارِهَا وَهَجُ
يَهْمَاءُ غَبْرَاءُ لَا يَدْرِي ٱلدَّلِيلُ بِهَا   فِي أَيِّ أَرْجَائِهَا يُرْجَى لَهُ ٱلْفَرَجُ
قَطَعْتُهَا بِٱبْنِ حَرْفٍ ضَامِرٍ قَطِمٍ   صُلْبِ ٱلْمَنَاسِمِ فِي إِرْقَالِهِ هَوَجُ
شَوْقاً إِلَيْكَ وَلَوْلَا مَا أُكَابِدُهُ   لَكَانَ لِي فِي بِلَادِ ٱللّٰهِ مُنْفَرَجُ* ٢٠٩
فَإِنْ تَجُدْ لِي فَمَحْقُوقٌ بِذَاكَ وَإِنْ   تَبْخَلْ عَلَيَّ فَلَا لَوْمٌ وَلَا حَرَجُ

قَوْلُهُ فَمَحْقُوقٌ بِذَاكَ يَعْنِي أَنْتَ مَحْقُوقٌ بِٱلْفَضْلِ لَيْسَ تَجَشُّمِي مَا وَصَفْتُهُ لَكَ أَوْجَبَ ذٰلِكَ لِي عَلَيْكَ بِذٰلِكَ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ بِذٰلِكَ قَوْلَهُ وَإِنْ تَبْخَلْ عَلَيَّ فَلَا لَوْمٌ وَلَا حَرَجُ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ حَقًّا لَهُ كَانَ ظَالِمُهُ حَرَجاً فَعَلَى هٰذَا ٱلتَّفْسِيرِ يَصِيرُ مَعْنَى ٱلْكَلَامِ صَحِيحاً وَلَوْ قَصَدَ ذٰلِكَ ٱلْمَعْنَى ٱلْآخَرَ كَانَ خَطَأً قَبِيحاً

وقال آخر

أَقُولُ لِصَاحِبَيَّ بِأَرْضِ نَجْدٍ   وَجَدَّ مَسِيرُنَا وَدَنَا ٱلطُّرُوقُ

أَرَى قَلْبِي سَيَنْقَطِعُ ٱشْتِيَـاقًا   وَأَحزَانًا وَمَا ٱنْقَطَعَ ٱلطَّرِيقُ

وقال آخر

لَمَّـا   وَرَدْتُ   ٱلتَّغْلِـ   بِيَّةَ عِنْدَ مُنْصَرَفِ ٱلرِّفَاقِ
وَشَمَمْتُ مِنْ أَرْضِ ٱلْحِجَا   زِ نَسِيمَ أَرْوَاحِ ٱلعِرَاقِ
أَيْقَنْتُ لِي وَلِمَنْ أُحِـ   بُّ بِجَمْعِ شَمْلٍ وَٱتِّفَاقِ

وقال القعقاع الذهلي

خَلِيلَيَّ مَـا مِنْ لَيْلَـةٍ تَسْرِيَانِهَا   مِنَ ٱلدَّهْرِ إِلَّا نَفَّسَتْ عَنْكُمَا كَرْبَا
أَلَيْسَ يَزِيدُ ٱلسَّيْرُ عَنْ كُلِّ لَيْلَـةٍ   [وَيَزْدَادُ] يَوْمٌ مِنْ أَحِبَّتِنَـا قُرْبَا
إِذَا ٱلْجَبَلُ ٱلثَّانِي حَوَالِكِ مَقِيلُـهُ   جَعَلْنَـا عَلَيْنَا أَنْ نُجَـاوِرَهُ نَحْبَا
فَمَا ذُكِرَتْ عِنْدِي لَهَا مِنْ سَمِيَّـةٍ   فَتَمْلِكَ عَيْنِي مِنْ مَدَامِعِهَـا غَرْبَا

مِنْ شَأْنِ مَنْ قَصَدَ لِقَاءَ أَحْبَابِهِ أَنْ تَتَطَاوَلَ عَلَيْهِ ٱلطَّرِيقُ عِنْدَ ٱقْتِرَابِهِ وَيَلْحَقُـهُ حِينَئِذٍ مِنَ ٱلضَّجَرِ مَعَ قُرْبِهِ مِنْـهُ أَضْعَافُ مَا نَالَهُ إِذْ كَانَ مُتَبَاعِدًا عَنْهُ

وفي ذلك يقول الموصلي

طَرِبْتَ إِلَى ٱلْأُصَيْبِيَـةِ ٱلصِّغَـارِ   وَهَاجَـكَ مِنْهُمُ قُرْبُ ٱلْمَزَارِ
وَأَبْرَحُ مَا يَكُونُ ٱلشَّوْقُ يَوْمًا   إِذَا دَنَتِ ٱلدِّيَارُ مِنَ ٱلدِّيَارِ* ٢١٠

فَهٰذَا لَعَمْرِي قَوْلٌ حَقٌّ غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يُخْبِرْ بِعِلَّتِهِ

ولقد احسن الذي يقول في نحوه

هَلِ ٱلْحُبُّ إِلَّا زَفْرَةٌ بَعْـدَ عَـبْرَةٍ   وَحَرٌّ عَلَى ٱلْأَحْشَاءِ لَيْسَ لَـهُ بَرْدُ
وَفَيْضُ دُمُوعِ ٱلْعَيْنِ يَا مَيُّ كُلَّمَا   بَدَا عَلَمٌ مِنْ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو

وقد ذكر عمر بن ابي ربيعة هذا المعنى فجوّده انشدني له ابو العباس احمد بن يحيي

خَلِيلَيَّ مَـا بَالُ ٱلْمَطَـايَا كَأَنَّمَا   نَرَاهَا عَلَى ٱلْأَدْبَارِ بِٱلْقَوْمِ تَنْكِصُ

وَقَدْ أَتْعَبَ ٱلْحَادِي سُرَاهُنَّ وَٱنْتَحَى بِهِنَّ فَمَا بِٱلرَّاجِعَاتِ مُقَلِّصُ
وَقَدْ قَطَعَتْ أَعْنَاقَهُنَّ صَبَابَةً فَأَنْفُسُهَا مِمَّا يُلَاقِينَ شُخَّصُ
يَزِدْنَ بِنَا قُرْبًا فَيَزْدَادُ شَوْقُنَا إِذَا ٱزْدَادَ طُولُ ٱلْعَهْدِ وَٱلْبُعْدُ يَنْقُصُ

أَفَلَا تَرَى إِلَى إِيضَاحِهِ أَنَّ ٱلْعِلَّةَ فِي تَزَايُدِ شَوْقِهِ إِنَّمَا هِيَ تَطَاوُلُ مُدَّةٍ وَأَنَّهُ كُلَّمَا قُطِعَ جُزْءٌ مِنَ ٱلطَّرِيقِ فَقَرُبَ ٱلْمَقْصُودُ زَادَ فِي مُدَّةِ ٱلْمُفَارَقَةِ وَقْتٌ فَزَادَ ٱلْإِشْتِيَاقُ عَلَى حَسَبِ تَزَايُدِ مُدَّةِ ٱلْفِرَاقِ عَلَى أَنَّ عُمَرَ قَدْ أَوْضَحَ أَشْيَاءَ وَأَغْفَلَ شَيْئًا مِنْ أَنَّ تَطَاوُلَ ٱلْمُدَّةِ يَزِيدُ فِي ٱلشَّوْقِ مَعَ تَقَارُبِ ٱلشُّقَّةِ وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّ قُوَّةَ ٱلرَّجَاءِ لِسُرْعَةِ ٱللِّقَاءِ مِنْ أَقْوَى ٱلْأَسْبَابِ فِي تَقْوِيَةِ ٱلشَّوْقِ عِنْدَ ٱلْاِقْتِرَابِ

الباب التاسع والعشرون

مَنْ قَصَرَ عَنْ مُصَاحَبَةِ ٱلْجَارِ لَمْ تَنْفَعْهُ مُسَائَلَةُ ٱلدَّارِ

حَدَّثَنِي أَبُو ٱلْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ٱلنَّحْوِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا ٱلْمَرْوَزِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ جَعْفَرِ بْنِ كُثَيِّرٍ قَالَ كَانَ ٱلْمَجْنُونُ لَمَّا أَصَابَهُ مَا أَصَابَهُ يَخْرُجُ فَإِذَا أَتَى ٱلشَّامَ قَالَ لَهُمْ أَيْنَ أَرْضُ بَنِي عَامِرٍ فَقَالُوا لَهُ وَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ أَرْضِ بَنِي عَامِرٍ وَقَفَ عِنْدَ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ ٱلتَّوْبَادُ ثُمَّ أَنْشَدَ

وَأَجْهَشْتُ لِلتَّوْبَادِ لَمَّا رَأَيْتُهُ وَهَلَّلَ لِلرَّحْمَانِ حِينَ رَآنِي *٢١١
وَأَذْرَيْتُ دَمْعَ ٱلْعَيْنِ لَمَّا رَأَيْتُهُ وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ فَدَعَانِي
وَقُلْتُ لَهُ أَيْنَ ٱلَّذِينَ عَهِدْتُهُمْ حَوَالَيْكَ فِي عَيْشٍ وَخَيْرِ زَمَانِ

فَقَالَ مَضَوْا وَٱسْتَوْدَعُونِي بِلَادَهُمْ وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يَبْقَى عَلَى ٱلْحَدَثَانِ
وَإِنِّي لَأَبْكِي ٱلْيَوْمَ مِنْ حَذَرِي غَدًا فِرَاقَكَ وَٱلْحَيَّانِ مُؤْتَلِفَانِ
سِجَالًا وَتَهْتَانًا وَوَبْلًا وَدِيمَةً وَسَحًّا وَتَسْجَامًا وَيَنْهَمِلَانِ

قَالَ ثُمَّ يَمْضِي حَتَّى يَأْتِيَ ٱلْعِرَاقَ فَيَقُولُ مِثْلَ ذٰلِكَ ثُمَّ يَأْتِي ٱلْيَمَنَ فَيَقُولُ مِثْلَ ذٰلِكَ •

وقال الوليد بن عبيد الطائي

ذَاكَ وَادِي ٱلْأَرَاكِ فَٱحْبِسْ قَلِيلًا مُقْصِرًا مِنْ صَبَابَةٍ أَوْ مُطِيلَا
قِفْ مَشُوقًا أَوْ مُسْعِدًا أَوْ حَزِينًا أَوْ مُعِينًا أَوْ عَاذِرًا أَوْ عَذُولَا
إِنَّ بَيْنَ ٱلْكَثِيبِ فَٱلْجِزْعِ فَٱلْآ رَامِ رَبْعًا لِآلِ هِنْدٍ مَحِيلَا
أَبْلَتِ ٱلرِّيحُ وَٱلرَّوَائِحُ وَٱلْأَ يَامُ مِنْهُ مَعَالِمًا وَطُلُولَا
وَخِلَافُ ٱلْجَمِيلِ قَوْلُكَ لِلذَّا كِرِ عَهْدَ ٱلْأَحْبَابِ صَبْرًا جَمِيلَا
لَا تَلُمْهُ عَلَى مُوَاصَلَةِ ٱلدَّمْـ ـعِ وَلُؤْمٌ لَوْمُ ٱلْخَلِيلِ ٱلْخَلِيلَا
لَمْ يَكُنْ يَوْمُنَا طَوِيلًا بِنُعْمَا نِ وَلٰكِنْ كَانَ ٱلْبُكَاءُ طَوِيلَا

وقال يحيى بن منصور

أَمَا يَسْتَفِيقُ ٱلْقَلْبُ إِلَّا ٱنْبَرَى لَهُ تَوَهُّمُ دَارٍ مِنْ سُعَادَ وَمَرْبَعِ
أُخَادِعُ عَنْ عِرْفَانِهَا ٱلْعَيْنَ إِنَّهَا مَتَى تُثْبِتِ ٱلْأَطْلَالَ عَيْنِي تَدْمَعِ
عَهِدْنَا بِهَا وَحْشًا عَلَيْهَا بَرَاقِعٌ وَهٰذِي وُحُوشٌ حُسَّرٌ لَمْ تُبَرْقَعِ

وقال ذو الرمة

أَإِنْ تَرَسَّمْتَ مِنْ خَرْقَاءَ مَنْزِلَةً مَاءُ ٱلصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنَيْكَ مَسْجُومُ
مَنَازِلُ ٱلْحَيِّ إِذْ لَا ٱلدَّارُ نَازِحَةٌ بِٱلْأَصْفِيَاءِ وَإِذْ لَا ٱلْعَيْشُ مَذْمُومُ* ٢١٨
تَعْتَادُنِي زَفَرَاتٌ حِينَ أَذْكُرُهَا تَكَادُ تَنْقَدُّ مِنْهُنَّ ٱلْحَيَازِيمُ

وقال ايضاً

كَأَنَّ دِيَارَ ٱلْحَيِّ بِٱلزُّرْقِ حَلْقَةٌ   مِنَ ٱلْأَرْضِ أَوْ مَكْتُوبَةٌ بِمِدَادِ
إِذَا قُلْتُ تَعْفُو لَاحَ مِنْهَا مُهَيِّجٌ   عَلَيَّ ٱلْهَوَى مِنْ طَارِفٍ وَتِلَادِ
وَمَا أَنَا فِي دَارٍ لِمَيٍّ عَرَفْتُهَا   بِجَلْدٍ وَلَا عَيْنِي بِهَا بِجَمَادِ
إِذَا قُلْتُ بَعْدَ ٱلْجَهْدِ يَا مَيُّ نَلْتَقِي   عَدَتْنِي بِكُرْهٍ أَنْ أَرَاكِ عَوَادِي
وَدَوِّيَّةٍ مِثْلِ ٱلسَّمَاءِ ٱعْتَسَفْتُهَا   وَقَدْ صَبَغَ ٱللَّيْلُ ٱلْحَصَى بِسَوَادِ

أَمَّا تَشْبِيهُهُ رُسُومَ ٱلدَّارِ بِٱلْحَلْقَةِ مِنَ ٱلْأَرْضِ فَهٰذَا إِحْسَانٌ فِي مَعْنَاهُ وَإِعْرَابٌ فِي لَفْظِهِ وَمَا أَسَاءَ فِي تَشْبِيهِهَا بِٱلْكِتَابَةِ بِٱلْمِدَادِ غَيْرَ أَنَّ هٰذَا مَسْبُوقٌ إِلَيْهِ فَٱلْمُعِيدُ لِذِكْرِهِ غَيْرُ مَلُومٍ فِيهِ وَلَا مَحْمُودٍ عَلَيْهِ وَأَمَّا إِخْبَارُهُ بِأَنَّهَا تَهِيجُ هَوَاهُ وَٱدِّكَارَهُ فَهُوَ أَيْضاً مَعْنًى غَيْرُ مُبْتَدَعٍ إِلَّا أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى ضَعْفٍ فِي ٱلْحَالِ وَنَقْصٍ فِي ٱلْجَزَعِ وَيَشْهَدُ بِمَا قُلْنَاهُ ٱعْتِذَارُهُ إِلَى مَنْ يَهْوَاهُ وَمِنْ تَرْكِهِ ٱلْقَصْدَ إِلَى لِقَائِهِ بِأَنَّهُ إِذَا عَزَمَ عَلَى ذٰلِكَ عَدَاهُ عَنْهُ مُكْرِهٌ مِنْ أَشْغَالِهِ وَكُلُّ هٰذِهِ ٱلْأَوْصَافِ تَدُلُّ عَلَى قُصُورِ حَالِهِ

ولقد قال البحتري في اكثر هذه الاحوال فاحسن فيما قال فمن ذلك قوله

دِمَنٌ كَمِثْلِ طَرَائِقِ ٱلْوَشْيِ ٱنْجَلَتْ   لَمَعَاتُهُنَّ مِنَ ٱلرِّدَاءِ ٱلْمُنْهَجِ
يَضْعُفْنَ عَنْ إِذْكَارِنَا عَهْدَ ٱلصِّبَى   أَوْ أَنْ يَهِجْنَ صَبَابَةً لَمْ تَهْتَجِ
وَلَرُبَّ دَهْرٍ قَدْ تَبَسَّمَ ضَاحِكاً   عَنْ طُرَّتَيْ زَمَنٍ بِهِنَّ مُدَبَّجِ
مِنْ قَبْلِ دَاعِيَةِ ٱلْفِرَاقِ وَرِحْلَةٌ   مَنَعَتْ مُغَازَلَةَ ٱلْغَزَالِ ٱلْأَدْعَجِ
لَأُكَلِّفَنَّ ٱلْعِيسَ أَبْعَدَ غَايَةٍ   يَجْرِي إِلَيْهَا خَائِفٌ أَوْ مُرْتَجِ

وله ايضاً

لَا تَقِفْ بِي عَلَى ٱلدِّيَارِ فَإِنِّي   لَسْتُ مِنْ أَرْبُعٍ وَرَسْمٍ مُحِيلِ * ٢١٣
فِي بُكَاءٍ عَلَى ٱلْأَحِبَّةِ شُغْلٌ   لِأَخِي ٱلْحُبِّ عَنْ بُكَاءِ ٱلطُّلُولِ

على انه قد نقض ايضاً على نفسه هذا المعنى الذي استحسناه بقوله

أَيْنَ أَهلُ ٱلقِبَابِ بِٱلأَجْرَعِ ٱلفَرْ دِ تَوَلَّوْا [لَا] أَيْنَ أَهْـلُ ٱلقِبَابِ
سَقَمٌ دُونَ أَعْـيُنٍ ذَاتِ سُقْمٍ وَعَـذَابٌ دُونَ ٱلثَّـنَايَا ٱلعِذَابِ
وَكَمِثْلِ ٱلأَحْبَابِ لَوْ يَعْلَمُ ٱلعَا ذِلُ عِنْدِي مَنَـازِلُ ٱلأَحْبَـابِ

فَهُوَ يُوهِمُنَا فِي ٱلأَبْيَاتِ ٱلأُوَلِ أَنَّ ٱلصَّبَابَةَ قَدْ مَلَكَتْ هِمَمَهُ وَأَفْكَارَهُ وَتَنَاوَلَتْ خَوَاطِرَهُ وَادِّكَارَهُ حَتَّى لَمْ تَدَعْ فِيهِ فَضْلًا لِعَارِضٍ يَهِيجُهُ • وَلَا لِمَنْزِلٍ يُذَكِّرُهُ وَأَنَّ شُغْلَهُ بِٱلتَّفَرُّدِ بِٱلبُكَاءِ عَلَى إِلْفِهِ يَمْنَعُهُ مِنَ ٱلتَّشَاغُلِ بِٱلوُقُوفِ عَلَى مَنْزِلِهِ وَهُوَ فِي هٰذِهِ ٱلأَبْيَاتِ لَا يَرْضَى أَنْ يَجْعَلَ ٱلبُكَاءَ عَلَى ٱلدَّارِ لِضُرُوبٍ مِنْ ضُرُوبِ ٱلادِّكَارِ بِرَغْمِ أَنَّ مَوْقِعَهَا فِي فُؤَادِهِ كَمَوْقِعِ مَنْ كَانَ فِيهَا مِنْ أَحْبَابِهِ وَهٰذَا أَفْرَطُ فِي ٱلتَّفَاوُتِ وَٱلمُنَاقَضَاتِ غَيْرَ أَنَّ مَنْ تَكَلَّمَ عَلَى قَدَرِ ٱلأَوْقَاتِ وَجَرَى مَعَ أَحْكَامِ ٱلهَوَى عَلَى حَسَبِ ٱلغَايَاتِ غَدَرَ بَلْ تَحَيَّلَ فِي قَوْلِهِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يُخَالِفَ مَذْهَبًا إِلَى غَيْرِهِ

ولقد انصف الذي يقول

لَعَمْرُكَ مَا أَبْـكِي عَلَى ٱلدَّارِ إِذْ خَلَتْ وَلٰـكِنْ لِأَهْلِ ٱلدَّارِ إِذْ وَدَّعُوا ٱلدَّارَا
تَوَلَّوْا فَوَلَّى ٱلعَيْشُ مِنْ بَعْدِ غِبْطَةٍ وَأَبْقَوْا بِقَلْبِي مِنْ تَـذَكُّرِهِمْ نَارَا

وقال ذو الرمة

بِجَرْعَائِهَا مِنْ سَاكِنِ ٱلحَيِّ مَلْعَبٌ وَآرِيُّ أَفْرَاسٍ كَجُرْثُومَـةِ ٱلنَّمْلِ
كَأَنْ لَمْ يَكُنْهَا ٱلحَيُّ إِذْ أَنْتَ مَرَّةً بِهَا مَيِّتُ ٱلأَهْوَاءِ مُجْتَمِعُ ٱلشَّمْلِ
بَكَيْتُ عَلَى مَيٍّ بِهَـا إِذْ عَرَفْتُهَـا وَهِجْتُ ٱلهَوَى حَتَّى بَكَى ٱلقَوْمُ مِنْ أَجْلِي
فَظَلُّوا وَمِنْهُمْ دَمْعُهُ غَالِبٌ لَـهُ وَآخَرُ يَثْنِي عَبْرَةَ ٱلعَيْنِ بِٱلهَمْـلِ
٢١٤ وَهَلْ هَمَلَانُ ٱلعَيْنِ رَاجِعُ مَا مَضَى مِنَ ٱلوَجْدِ أَوْ مُدْنِيكِ يَامَيُّ مِنْ أَهْلِي*
أَلَا لَا أُبَالِي ٱلمَوْتَ إِنْ كَانَ قَبْلَهُ [لِقَاءٌ] لِمَيٍّ وَٱرْتِجَاعٌ مِنَ ٱلوَصْلِ

وقال ايضاً

قِفِ ٱلْعِيسَ فِي أَطْلَالِ مَيَّةَ فَٱسْأَلِ   رُسُومًا كَأَخْلَاقِ ٱلرِّدَاءِ ٱلْمُسَلْسَلِ
أَظُنُّ ٱلَّذِي يُجْدِي عَلَيْكَ سُؤَالُهَا   دُمُوعًا كَتَبْذِيرِ ٱلْجُمَانِ ٱلْمُفَصَّلِ
وَكَائِنْ تَخَطَّتْ نَاقَتِي مِنْ مَفَازَةٍ   وَمِنْ نَائِمٍ عَنْ لَيْلَةٍ مُتَزَمِّلِ

وقال ذو الرمة

وَقَفْتُ عَلَى رَبْعٍ لِمَيَّةَ نَاقَتِي   فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأُخَاطِبُهْ
وَأُسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أُبِثُّهُ   تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهْ
أَلَا لَا أَرَى مِثْلَ ٱلْهَوَى دَاءَ مُسْلِمٍ   كَرِيمٍ وَلَا مِثْلَ ٱلْهَوَى لِيمَ صَاحِبُهْ

وقال ايضاً

أَمَنْزِلَتَيْ مَيٍّ سَلَامٌ عَلَيْكُمَا   هَلِ ٱلْأَزْمُنُ ٱللَّاتِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ
وَهَلْ يَرْجِعُ ٱلتَّسْلِيمَ أَوْ يَكْشِفُ ٱلْعَمَى   ثَلَاثُ ٱلْأَثَافِي وَٱلدِّيَارُ ٱلْبَلَاقِعُ
تَوَهَّمْتُهَا يَوْمًا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي   وَلَيْسَ بِهَا إِلَّا ٱلظِّبَاءُ ٱلْخَوَاضِعُ
قِفِ ٱلْعِيسَ نَنْظُرْ نَظْرَةً فِي دِيَارِهَا   وَهَلْ ذَاكَ مِنْ دَاءِ ٱلصَّبَابَةِ نَافِعُ
فَقَالَ أَمَا تَغْشَى لِمَيَّةَ مَنْزِلًا   مِنَ ٱلدَّهْرِ إِلَّا قُلْتَ هَلْ أَنْتَ رَابِعُ

وقال ابو تمام

أَوَ مَا رَأَيْتَ مَنَازِلَ ٱبْنَةِ مَالِكٍ   رَسَمَتْ لَهُ كَيْفَ ٱلزَّفِيرُ رُسُومُهَا
وَكَأَنَّمَا أَلْقَى عَصَاهُ بِهَا ٱلْبِلَى   مِنْ شُقَّةٍ قُذُفٍ فَلَيْسَ يَرِيمُهَا
وَٱلْحَادِثَاتُ وَإِنْ أَصَابَكَ بُؤْسُهَا   فَهُوَ ٱلَّذِي أَنْبَاكَ كَيْفَ نَعِيمُهَا
فَلَقَبْلُ أَظْهَرَ صَقْلُ سَيْفٍ إِثْرَهُ   فَبَدَا وَهَذَّبَتِ ٱلْقُلُوبَ هُمُومُهَا

وقال البحتري* ٢١٥

أَمَحَلَّتَيْ سَلْمَى بِكَاظِمَةَ ٱسْلَمَا   وَتَعَلَّمَا أَنَّ ٱلْجَوَى مَا هِجْتُمَا
أَبْكِيكُمَا دَمْعًا وَلَوْ أَنِّي عَلَى   قَدْرِ ٱلْجَوَى أَبْكِي بَكَيْتُكُمَا دَمَا

طَلَلاً أُكَفْكِفُ فِيهِ دَمْعاً مُعْرِبًا بِجَوًى وَأَقْرَأُ مِنْهُ خَطًّا أَعْجَمَا
تَأْبَى رُبَاهُ أَنْ تُجِيبَ وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَخْبِرًا لِيُجِيبَ حَتَّى يَفْهَمَا

وقال ايضاً

يَا يَوْمُ عَرِّجْ بَلْ وَرَاءَكَ يَا غَدُ قَدْ أَجْمَعُوا بَيْناً وَأَنْتَ ٱلْمَوْعِدُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ دِمْنَةٌ مِنْ حُبِّهِمْ تُقْوِي وَرَبْعٌ بَعْدَهُمْ يَتَأَبَّدُ
دِمَنٌ تَقَاضَاهُنَّ أَعْلَامَ ٱلْبِلَى هُوجُ ٱلرِّيَاحِ ٱلْبَادِيَاتُ ٱلْعُوَّدُ
حَتَّى فَنِينَ وَمَا ٱلْبَقَاءُ لِوَاحِدٍ وَٱلدَّهْرُ فِي أَطْرَافِهِ يَتَرَدَّدُ

وقال ابو تمام

دِيَارٌ هَرَاقَتْ كُلَّ عَيْنٍ شَحِيحَةٍ وَأَوْطَأَتِ ٱلْأَحْزَانَ كُلَّ حَشًى جَلْدِ
فَعُوجَا صُدُورَ ٱلْأَرْحَبِيِّ وَأَسْهِلَا بِذَاكَ ٱلْكَثِيبِ ٱلسَّهْلِ وَٱلْعَلَمِ ٱلْفَرْدِ
فَلَا تَسْأَلَانِي عَنْ هَوِيٍّ طُعِمْتُمَا جَوَاهُ فَلَيْسَ ٱلْوَجْدُ إِلَّا مِنَ ٱلْوَجْدِ

وقال البحتري لنفسه

لَا دِمْنَةٌ بِلِوَى خَبْتٍ وَلَا طَلَلُ يَرُدُّ قَوْلًا عَلَى ذِي لَوْعَةٍ يَسَلُ
إِنْ عَنَّ دَمْعُكَ فِي إِثْرِ ٱلرُّسُومِ فَلَمْ يَصُبَّ عَلَيْهَا فَعِنْدِي مَدْمَعٌ ذَلَلُ
هَلْ أَنْتَ يَوْماً مُعِيرِي نَظْرَةً فَتَرَى فِي رَمْلِ يَبْرِينَ عِيرًا سَيْرُهَا رَمَلُ
شَبُّوا ٱلنَّوَى بِحُدَاةٍ مَا لَهَا وَطَنٌ إِلَّا ٱلنَّوَى وَجِمَالٍ مَا لَهَا عُقُلُ

وقال ذو الرمة

يَقُولُ بِٱلزُّرْقِ صَحْبِي إِذْ وَقَفْتُ بِهِمْ فِي دَارِ مَيَّةَ ٱسْتَسْقِي لَهَا ٱلْمَطَرَا
٢١٦ لَوْ كَانَ قَلْبُكَ مِنْ صَخْرٍ لَصَدَّعَهُ هَيْجُ ٱلدِّيَارِ لَكَ ٱلْأَحْزَانَ وَٱلذِّكَرَا*
وَزَفْرَةٌ تَعْتَرِينِي كُلَّمَا ذُكِرَتْ مَيٌّ لَهُ أَوْ نَحَا مِنْ نَحْوِهَا ٱلْبَصَرَا
مَا زِلْتُ أَطْرُدُ فِي آثَارِهِمْ نَظَرِي وَٱلشَّوْقُ يَقْتَادُ فِي ذِي ٱلْحَاجَةِ ٱلنَّظَرَا

وقال ايضاً

عَرَفْتُ لَهَا دَارًا فَأَبْصَرَ صَاحِبِي ... صَحِيفَةَ وَجْهِي قَدْ تَغَيَّرَ حَالُهَا
فَقُلْتُ لِنَفْسِي مِنْ حَيَاءٍ رَدَدْتُهُ ... إِلَيْهَا وَقَدْ بَلَّ ٱلْجُفُونَ بَلَالُهَا
أَمِنْ أَجْلِ دَارٍ طَيَّرَ ٱلْبَيْنُ أَهْلَهَا ... أَيَادِي سَبَا بَعْدِي وَطَالَ ٱحْتِيَالُهَا
فُؤَادُكَ مَبْثُوثٌ عَلَيْكَ شُجُونُهُ ... وَعَيْنُكَ يَعْصِي عَاذِلِيكَ ٱنْهِمَالُهَا

وقال الراعي

أَلَا أَيُّهَا ٱلرَّبْعُ ٱلْخَلَاءُ مَشَارِبُهْ ... أَشِرْ لِلْفَتَى مِنْ أَيْنَ صَارَ حَبَائِبُهْ
فَلَمَّا رَأَيْنَا أَنَّمَا هُوَ مَنْزِلٌ ... وَمَوْقِدُ نَارٍ قَلَّمَا عَادَ حَاطِبُهْ
مَضَيْتُ عَلَى شَأْنِي بِمِرَّةِ مُخْرَجٍ ... عَنِ ٱلشَّأْوِ ذِي شَغْبٍ عَلَى مَنْ يُحَارِبُهْ

ولبعض اهل هذا العصر

أَتَهْجُرُ مَنْ تُحِبُّ وَأَنْتَ جَارٌ ... وَتَطْلُبُهُمْ وَقَدْ بَعُدَ ٱلْمَزَارُ
وَتَسْكُنُ بَعْدَ نَأْيِهِمِ ٱشْتِيَاقًا ... وَتَسْأَلُ فِي ٱلْمَنَازِلِ أَيْنَ سَارُوا
تَرَكْتَ سُؤَالَهُمْ وَهُمُ جَمِيعٌ ... وَتَرْجُو أَنْ تُخَبِّرَكَ ٱلدِّيَارُ
فَأَنْتَ كَمُشْتَرِي أَثَرٍ بِعَيْنٍ ... فَقَلْبُكَ بِٱلصَّبَابَةِ مُسْتَطَارُ
فَنَفْسَكَ لُمْ وَلَا تَلُمِ ٱلْمَطَايَا ... وَمُتْ أَسَفًا فَقَدْ حَقَّ ٱلْحِذَارُ
سَمِعْتَ بِنَأْيِهِمْ وَظَلَلْتَ حَيًّا ... فَقَدْتُكَ كَيْفَ يُهْنِيكَ ٱلْقَرَارُ
إِذَا مَا ٱلصَّبُّ أَسْلَمَهُ صُدُودٌ ... إِلَى بَيْنٍ فَمُهْجَتُهُ جُبَارُ
تَبَاعَدَ مَنْ هَوِيتَ وَأَنْتَ دَانٍ ... فَلَا تَتْعَبْ فَلَيْسَ لَكَ ٱعْتِذَارُ
إِذَا مَا بَانَ مَنْ تَهْوَى فَوَلَّى ... وَلَجَّ بِكَ ٱلْهَوَى فَٱلصَّبْرُ عَارُ* ٢١٧

وله ايضاً

أَمُرُّ عَلَى ٱلْمَنَازِلِ كَٱلْغَرِيبِ ... أُسَائِلُ مَنْ لَقِيتُ عَنِ ٱلْحَبِيبِ
وَمَا يُغْنِي ٱلْوُقُوفُ عَلَى ٱلْأَثَافِي ... وَنُؤْيِ ٱلدَّارِ عَنْ دَنِفٍ كَئِيبِ
حَبَسْتُ بِهَا ٱلْمَطِيَّ فَلَمْ تُجِبْنِي ... وَلَمْ تَرْحَمْ بِلَا شَكٍّ نَحِيبِي

فَقُلْتُ لَمَا سُكُوتُكِ ذَا عَجِيبٌ   وَأَعْجَبُ مِنْ سُكُوتِكِ أَنْ تُجِيبِي
شَكَوْتُ إِلَى ٱلدِّيَارِ فَمَا شَفَتْنِي   بَلَى شَاقَتْ إِلَى وَجْهِ ٱلْحَبِيبِ
فَمَنْ يُنْجِي ٱلْعَلِيلَ مِنَ ٱلْمَنَايَا   إِذَا كَانَ ٱلْبَلَاءُ مِنَ ٱلطَّبِيبِ

الباب الثلاثون

مَنْ مُنِعَ مِنَ ٱلْبَرَاحِ تَشَوَّقَ بِالرِّيَاحِ

كُلُّ مُتَشَوِّقٍ مِنَ ٱلْعُشَّاقِ بِنَسِيمِ رِيحٍ أَوْ لَمَعَانِ بَرْقٍ أَوْ سَجْعِ حَمَامٍ فَهُوَ نَاقِصٌ عَنْ حَالِ ٱلتَّمَامِ مِنْ جِهَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا [قِلَّةُ صَبْرِهِ] عَلَى فَقْدِ صَاحِبِهِ حَتَّى يَحْتَاجَ أَنْ يَرَى مَا يَشُوقُهُ بِذِكْرِهِ وَٱلْأُخْرَى أَنَّ مَنْ كَانَتْ هٰذِهِ صِفَتُهُ فَإِنَّ ٱلصَّبَابَةَ لَمْ تَتَمَالَكْ عَلَى قَلْبِهِ فَتُشْغِلُهُ عَنْ أَنْ يَتَشَوَّقَ بِشَيْءٍ يُلِمُّ بِهِ غَيْرَ أَنَّ ٱلشَّوْقَ بِمَا ذَكَرْنَاهُ إِنَّمَا يُقَصِّرُ بِأَهْلِهِ عَنْ دَرَجَةِ ٱلْكَمَالِ وَلَيْسَ بِمُدْخِلٍ لَهُمْ فِي جُمْلَةِ ٱلْمَوْصُوفِينَ بِٱلنَّقْصِ وَٱلْإِخْلَالِ وَمِنْ مُخْتَارِ مَا قِيلَ فِي ٱلشَّوْقِ بِٱلرِّيَاحِ

قول ذي الرمة

إِذَا هَبَّتِ ٱلْأَرْيَاحُ مِنْ نَحْوِ جَانِبٍ   بِهِ أَهْلُ مَيٍّ هَاجَ شَوْقِي هُبُوبُهَا
هَوًى تَذْرِفُ ٱلْعَيْنَانِ مِنْهُ وَإِنَّمَا   هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ حَلَّ حَبِيبُهَا

وقال آخر

وَقَدْ عَاوَدَتْنَا ٱلرِّيحُ مِنْهَا بِنَفْحَةٍ   عَلَى كَبِدٍ مِنْ [طِيبِ] أَرْوَاحِهَا بَرْدُ
عِدِينِي بِنَفْسِي أَنْتِ وَعْدًا فَرُبَّمَا   جَلَا كُرْبَةَ ٱلْمَكْرُوبِ عَنْ قَلْبِهِ ٱلْوَعْدُ
٢١٨ فَقَدْ بِتُّ لَا قَوْمٌ وَلَا كَلَيْلَتِي   وَلَا مِثْلُ وَجْدِي فِي ٱلشِّفَا بِكُمْ وَجْدُ*

وقال مجنون بني عامر

أَيَا جَبَلَيْ نُعْمَانَ بِٱللهِ خَلِّيَا   طَرِيقَ ٱلصَّبَا يَخْلُصْ إِلَيَّ نَسِيمُهَا
أَجِدْ بَرْدَهَا أَوْ تَشْفِ مِنِّي حَرَارَةً   عَلَى كَبِدٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا صَمِيمُهَا
فَإِنَّ ٱلصَّبَا رِيحٌ إِذَا مَا تَنَسَّمَتْ   عَلَى نَفْسِ مَغْمُومٍ تَجَلَّتْ غُمُومُهَا

وقال ابن الدمينة

وَقَدْ جَعَلَتْ رَيَّا ٱلْجَنُوبِ إِذَا جَرَتْ   عَلَى ضُعْفِهَا تَبْدَا لَنَا وَتَطِيبُ
جَنُوبٌ بِرَيَّا مِنْ أُمَيْمَةَ تَغْتَدِي   حِجَازِيَّةٌ عُلْوِيَّةٌ وَتَؤُوبُ

وقالت وجيهة بنت اوس الضبية

فَلَوْ أَنَّ رِيحاً بَلَّغَتْ وَحْيَ مُرْسِلٍ   حَفِيٍّ لَنَاجَيْتُ ٱلْجَنُوبَ عَلَى ٱلنَّقْبِ
فَقُلْتُ لَهَا أَدِّي إِلَيْهِمْ تَحِيَّتِي   وَلَا تَخْلِطِيهَا طَالَ سَعْدُكِ بِٱلتُّرْبِ
فَإِنِّي إِذَا هَبَّتْ شَمَالٌ سَأَلْتُهَا   هَلِ ٱزْدَادَ صُدَّاحُ ٱلنُّمَيْرَةِ مِنْ قُرْبِ

وقال يزيد بن الطثرية

إِذَا مَا ٱلرِّيحُ نَحْوَ ٱلْأَثْلِ هَبَّتْ   وَجَدْتُ ٱلرِّيحَ طَيِّبَةً جَنُوبَا
فَمَاذَا يَمْنَعُ ٱلْأَرْوَاحَ تَسْرِي   بِرَيَّا أُمِّ عَمْرٍو أَنْ تَطِيبَا
أَلَيْسَتْ أُعْطِيَتْ فِي حُسْنِ خُلْقٍ   كَمَا شَاءَتْ وَجُنِّبَتِ ٱلْعُيُوبَا

وقال آخر

خَلِيلَيَّ مِنْ سُكَّانِ مُرَّانَ هَاجَنِي   سُكُونُ ٱلْجَنُوبِ مَرَّةً وَٱبْتِسَامُهَا
فَإِنْ تَسْأَلَانِي مَا دَوَائِي فَإِنَّنِي   بِمَنْزِلَةٍ أَعْيَى ٱلطَّبِيبَ سَقَامُهَا

وقال صخر الحرمازي

لَعَمْرُكَ مَا مِيعَادُ عَيْنَيْكَ بِٱلْبُكَا   بِدَارَاءَ إِلَّا أَنْ تَهُبَّ جَنُوبُ
أُعَاشِرُ فِي دَارَاءَ مَنْ لَا أُحِبُّهُ   وَبِٱلرَّمْلِ مَهْجُورٌ إِلَيَّ حَبِيبُ* ٢١٩

وقال آخر

عَلَيْـكِ سَلَامُ ٱللهِ أَمَّا قُلُوبُنَـا   فَمَرْضَى وَأَمَّا وُدُّنَا فَصَحِيحُ
وَإِنِّي لَأَسْتَسْقِي بِكُلِّ سَحَـابَةٍ   تَمُرُّ بِهَا مِنْ نَحْوِ أَرْضِـكِ رِيحُ

قال آخر

هَوَى صَاحِبِي رِيحُ ٱلشَّمَالِ إِذَا جَرَتْ   وَأَهْوَى لِنَفْسِي أَنْ تَهُبَّ جَنُوبُ
وَمَـا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهَـا حِينَ تَنْتَهِي   تَنَـاهَى وَفِيهَـا مِنْ أُمَيْمَةَ طِيبُ
فَوَيْلِي مِنَ ٱلْعُذَّالِ مَا يَتْرُكُونَنِي   بِغَمِّي أَمَـا فِي ٱلْعَـاذِلِينَ لَبِيبُ
يَقُولُونَ لَوْ عَزَّيْتَ قَلْبَكَ لَٱرْعَوَى   فَقُلْتُ وَهَـلْ لِلْعَـاشِقِينَ قُلُوبُ

وقال مهدي بن الملوح

إِذَا ٱلرِّيحُ مِنْ نَحْوِ ٱلْحَبِيبِ تَنَسَّمَتْ   وَجَدْتُ لِرَيَّاهَـا عَلَى كَبِـدِي بَرْدَا
عَلَى كَبِدٍ قَدْ كَادَ يُبْدِي بِهَا ٱلْجَوَى   صُدُوعًا وَبَعْضُ ٱلْقَوْمِ يَحْسَبُنِي جَلْدَا

وقال آخر

تَمُرُّ ٱلصَّبَا صَفْحًا بِسَاكِنِ ذِي ٱلْغَضَا   فَيَصْدَعُ قَلْبِي أَنْ يَهُبَّ هُبُوبُهَـا
قَرِيبَـةُ عَهْـدٍ بِٱلْحَبِيبِ وَإِنَّمَا   هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ حَبِيبُهَا

وقال الجويرية

يُصَحِّحُ أَوْصَابِي عَلَى ٱلنَّأْيِ وَٱلْهَوَى   مُهِيجُ ٱلصَّبَا مِنْ نَحْوِهَا حِينَ تَنْفَحُ
وَمَا ٱعْتَرَضَتْ لِلرَّكْبِ أَدْمَاءُ حُرَّةٌ   مِنَ ٱلْعِينِ إِلَّا ظَـلَّتِ ٱلْعَيْنُ تَسْفَحُ
وَعَاتِبَةٍ عِنْـدِي لَهَا قُلْتُ أَقْصِرِي   فَغَيْرُكِ خَيْرٌ مِنْـكِ قَوْلًا وَأَنْصَحُ

وقال الورد بن الورد العجلي

أَمُغْتَرِبًا أَصْبَحْتَ فِي دَارِ مَهْرَةٍ   أَلَا كُلُّ نَجْـدِيٍّ هُنَاكَ غَرِيبُ
إِذَا هَبَّ عُلْوِيُّ ٱلرِّيَاحِ وَجَـدْتَنِي   كَـأَنِّي لِعُلْوِيِّ ٱلرِّيَاحِ نَسِيبُ
أَلَا حَبَّذَا ٱلْإِصْعَادُ لَوْ تَسْتَطِيعُـهُ   وَلٰكِنْ أَجَلْ لَا مَا أَقَامَ عَسِيبُ
٢٢٠ فَـإِنْ مَرَّ رَكْبٌ مُصْعِدُونَ فَقَلْبُـهُ   مَعَ ٱلْمُصْعِـدِينَ ٱلرَّائِحِينَ جَنِيبُ*

سَلِ ٱلرِّيحَ إِنْ هَبَّتْ جَنُوبًا ضَعِيفَةً ... مَتَى عَهْدُهَا بِٱلدَّيْرِ زَيْرُ حَبِيبُ
مَتَى عَهْدُهَا بِٱلْمُوقِلَاتِ [وَ]حَبَّذَا ... شَوَاكِلُ [ذَاكَ] ٱلْعَيْشِ حِينَ يَطِيبُ
وَلَا خَيْرَ فِي ٱلدُّنْيَا إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزُرْ ... حَبِيبًا وَلَمْ يَطْرَبْ إِلَيْكَ حَبِيبُ

وقال آخر

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَعُودَنَّ مَا مَضَى ... لَيَالِيَ عَيْشُ ٱلْأَصْفِيَاءِ رَطِيبُ
وَهَلْ عَائِدٌ قَبْلَ ٱلْمَمَاتِ فَرَاجِعٌ ... عَلَى عَهْدِهِ دَهْرٌ إِلَيَّ حَبِيبُ
وَإِنِّي لَتُحْيِينِي ٱلصَّبَا وَتُمِيتُنِي ... إِذَا مَا جَرَتْ بَعْدَ ٱلشَّمَالِ جَنُوبُ
وَتَبْرُدُ نَفْسِي بَلْ تَعِيشُ حُشَاشَتِي ... شَمَالٌ بِهَا بَعْدَ ٱلْهُدُوِّ هُبُوبُ
وَأَرْتَاحُ لِلْبَرْقِ ٱلْيَمَانِي كَأَنَّنِي ... لَهُ حِينَ يَجْرِي فِي ٱلسَّمَاءِ نَسِيبُ

وقال ابن الدمينة

أَلَا لَا أُحِبُّ ٱلسَّيْرَ إِلَّا مُصَعِّدًا ... وَلَا ٱلرِّيحَ إِلَّا أَنْ تَهُبَّ جَنُوبُ
إِذَا هَبَّ عُلْوِيُّ ٱلرِّيَاحِ وَجَدْتَنِي ... كَأَنِّي لِعُلْوِيِّ ٱلرِّيَاحِ نَسِيبُ

وقال آخر

إِذَا هَبَّتِ ٱلْأَرْوَاحُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهِمْ ... وَجَدْتُ لِرَيَّاهَا إِذَا مَا جَرَتْ بَرْدَا
وَمَنْ يَلْبَسِ ٱلدُّنْيَا وَنُعْمَى وَيَخْتَلِفْ ... عَلَيْهِ جَدِيدَاهَا يَجِدْ لَهُ فَقْدَا

وقال ابن الدمينة

فَيَا حَسَرَاتِ ٱلنَّفْسِ مِنْ غُرْبَةِ ٱلنَّوَى ... إِذَا قَسَمَتْهَا نِيَّةٌ وَشَعُوبُ
وَمِنْ خَطَرَاتٍ تَعْتَرِينِي وَزَفْرَةٍ ... لَهَا بَيْنَ جِلْدِي وَٱلْعِظَامِ دَبِيبُ
وَقَدْ جَعَلَتْ رَيَّا ٱلْجَنُوبِ إِذَا جَرَتْ ... عَلَى طِيبِهَا تَبْدَا لَنَا وَتَطِيبُ
جَنُوبٌ بِرَيَّا مِنْ أُمَيْمَةَ تَغْتَدِي ... حِجَازِيَّةً عُلْوِيَّةً وَتَؤُوبُ

٢٢٩ وقال هدبة بن خشرم*

أَلَا لَيْتَ ٱلرِّيَاحَ مُسَخَّرَاتٌ ... لِحَاجَتِنَا تُرَاوِحُ أَوْ تَؤُوبُ

فَتُبلِغُنَا ٱلشَّمَالُ إِذَا أَتتْنَا ... وَتُبلِغُ أَهلَنَا عَنَّا ٱلْجَنُوبُ

ولبعض اهل هذا العصر في هذا المعنى

مُبَاشَرَةُ ٱلنَّسِيمِ لِشَخْصِ إِلْفِي ... أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ فَقْدِ ٱلْحَبِيبِ
نَأَى عَنِّي ٱلْحَبِيبُ فَصَارَ قَلْبِي ... يَغَارُ عَلَى ٱلصَّبَا وَعَلَى ٱلْجَنُوبِ
وَلَوْ يَسْطِيعُ مَا دَرَجَتْ دَبُورٌ ... إِذَنْ وَنَهَى ٱلشَّمَالَ عَنِ ٱلْجَنُوبِ
خَلِيلِي مِنْ نَوَالِكَ أَخَذْتُ حَظِّي ... فَهَلْ لِي فِي نَوَالِكَ مِنْ نَصِيبِ
نُفِيتُ مِنَ ٱلْهَوَى إِنْ كَانَ قَلْبِي ... دَعَى وُدًّا كَوُدِّكَ فِي ٱلْمَغِيبِ

وقال حميد بن ثور

يَهَشُّ لِنَجْدِيِّ ٱلرِّيَاحِ كَأَنَّهُ ... أَخُو كُرْبَةٍ دَانِي ٱلْإِسَارِ طَلِيقُ
فَيَا طِيبَ رَيَّاهَا وَبَرْدَ نَسِيمِهَا ... إِذَا حَانَ مِنْ حَامِي ٱلنَّهَارِ طُرُوقُ

وقال جرير

يَا حَبَّذَا جَبَلُ ٱلرَّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ ... وَحَبَّذَا سَاكِنُ ٱلرَّيَّانِ مَنْ كَانَا
وَحَبَّذَا نَفَحَاتٌ مِنْ يَمَانِيَةٍ ... تَأْتِيكَ مِنْ قِبَلِ ٱلرَّيَّانِ أَحْيَانَا

وقال آخر

إِذَا هَبَّ عُلْوِيُّ ٱلرِّيَاحِ وَجَدْتَنِي ... يَهَشُّ لِعُلْوِيِّ ٱلرِّيَاحِ فُؤَادِيَا
فَإِنْ هَبَّتِ ٱلرِّيحُ ٱلصَّبَا هَيَّجَتْ لَنَا ... دَوَاعِيَ حُزْنٍ لَمْ يَجِدْنَ مُدَاوِيَا
وَمَا هَبَّتِ ٱلرِّيحُ ٱلصَّحِيحَةُ مَوْهِنًا ... مِنَ ٱللَّيْلِ إِلَّا بِتُّ لِلرِّيحِ ضَاوِيَا
وَإِلَّا عَلَتْنِي عَبْرَةٌ ثُمَّ زَفْرَةٌ ... وَإِلَّا تَدَاعَى ٱلْقَلْبُ مِنِّي تَدَاعِيَا

وقالت امرأة من مرة

٢٢٢ أَلَا خَلِّيَا بَرْدَ ٱلْجَنُوبِ فَإِنَّهُ ... يُدَاوِي فُؤَادِي مِنْ هَوَاهُ نَسِيمُهَا*
وَكَيْفَ تُدَاوِي ٱلرِّيحُ شَوْقًا مُمَاطِلًا ... وَعَيْنًا طَوِيلًا لِلدُّمُوعِ سُجُومُهَا

وقال آخر

حسِبْتُ ٱلْغَضَا يشفِي هُيَامِي فَلَمْ أَجِدْ ... شَمِيمَ ٱلْغَضَا يَشْفِي هُيَامَ فُؤَادِيَا
بَلَى لَوْ أَتَتْنَا ٱلرِّيحُ تُدْلِجُ مَوْهِنًا ... بِرِيحِ ٱلْخُزَامَى كَانَ أَشْفَى لِمَا بِيَا

وقال الوقاف وهو الورد بن الورد الجعدي

إِذَا تَرَكَتْ وَحْشِيَّةُ نَجْدَ لَمْ يَكُنْ ... لِعَيْنَيْكَ مِمَّا يَشْكُوَانِ طَبِيبُ
إِذَا رَاحَ رَكْبٌ مُصْعِدُونَ فَقَلْبُهُ ... مَعَ ٱلْمُصْعِدِينَ ٱلرَّائِحِينَ جَنِيبُ
وَكَانَتْ رِيَاحُ ٱلشَّامِ تُبْغَضُ مَرَّةً ... فَقَدْ جعلَتْ تِلْكَ ٱلرِّيَاحُ تَطِيبُ
وَقَدْ كَانَ عُلْوِيُّ ٱلرِّيَاحِ أَحَبَّهَا ... إِلَيْنَا فَقَدْ دَارَتْ هُنَاكَ جَنُوبُ

وقال آخر

أَلَا حَبَّذَا يَوْمٌ تَهُبُّ بِهِ ٱلصَّبَا ... لَنَا وَعَشِيَّاتٌ تَدَانَتْ غُيُومُهَا
بِنُعْمَانَ إِذْ أَهْلِي بِنُعْمَانَ جِيرَةٌ ... لَيَالِيَ إِذْ يُرْضَى بِدَارٍ مُقِيمُهَا

وقال كلاب بن عقبة

بِأَهْلِي وَنَفْسِي مَنْ تَجَنَّبْتُ دَارَهُ ... وَمَنْ لَا أَرَى لِي مِنْ زِيَارَتِهِ بُدَّا
وَمَنْ رَدَّنِي إِذْ جِئْتُ زَائِرَ بَيْتِهِ ... وَلَوْ زَارَ بَيْتِي مَا أُهِينَ وَلَا رُدَّا
وَمَنْ لَا تَهُبُّ ٱلرِّيحُ مِنْ شَقِّ أَرْضِهِ ... فَتَبْلُغَنِي إِلَّا وَجَدْتُ لَهَا بَرْدَا

وقال آخر

مَا هَبَّتِ ٱلرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ أَرْضِكُمُ ... إِلَّا وَجَدْتُ لَهَا بَرْدًا عَلَى كَبِدِي
وَلَا تَنَسَّمْتُ أُخْرَى أَسْتَفِيقُ لَهَا ... إِلَّا وَجَدْتُ خَيَالًا مِنْكَ بِٱلرَّصَدِ

٢٢٣

وقال ابن الدمينة

يَمَانِيَةٌ هَبَّتْ بِلَيْلٍ فَأَرَّقَتْ ... حُشَاشَةَ نَفْسٍ قَدْ تَعَنَّى طَبِيبُهَا*
أَبِينِي إِذَا ٱسْتُخْبِرْتِ هَلْ تَحْفَظُ ٱلْهَوَى ... أُمَيْمَةُ أَمْ هَلْ عَادَ بَعْدِي رَقِيبُهَا

وقال الورد بن الورد العبسي

أَلَا لَيْتَ أَنَّ ٱلرِّيحَ فِي ذَاتِ بَيْنِنَا ... رَسُولٌ فَتَطْوِي بَيْنَنَا بَلَدًا قَفْرَا

فَتُخْبِرَهَا مَاذَا لَقِينَا مِنَ ٱلْهَوَى   وَتُخْبِرَنَا عَنْهَا عَلَانِيَةً جَهْرَا

وقال آخر

أَلَا يَا جِبَالَ ٱلْغَوْرِ خَلِّينَ بَيْنَنَا   وَبَيْنَ ٱلصَّبَا يَخْرُجْ عَلَيْنَا سَنِينُهَا
فَقَدْ طَالَ مَا حَالَتْ ذُرَاكُنَّ بَيْنَنَا   وَبَيْنَ ذُرَى نَجْدٍ فَمَا نَسْتَبِينُهَا

وقال طريح بن اسمعيل

هَلِ ٱلرِّيحُ مِنْ صَبٍّ مُقِيمٍ مُرِيحَةٌ   عَلَى ٱلظَّاعِنِ ٱلنَّائِي سَلَامَ ٱلْمُسَلِّمِ
وَكَيْفَ تَنَاسَى مَنْ تُجَدِّدُ ذِكْرَهُ   نَسِيمُ ٱلرِّيَاحِ لِلصَّبَا ٱلْمُتَنَسِّمِ

وقالت العيوق بنت مسعود

إِذَا هَبَّتِ ٱلْأَرْوَاحُ زَادَتْ صَبَابَةً   عَلَيَّ وَبَرْحاً فِي فُؤَادِي هُبُوبُهَا
أَلَا لَيْتَ أَنَّ ٱلرِّيحَ مَا حَلَّ أَهْلُنَا   بِصَحْرَاءِ نَجْدٍ لَا تَهُبُّ جَنُوبُهَا
وَآلَتْ يَمِيناً لَا تَهُبُّ شَمَالُهَا   وَلَا نَكْبَاً إِلَّا صَباً نَسْتَطِيبُهَا

وقال آخر

أَلَا حَبَّذَا رِيحُ ٱلْأَلَا إِذَا جَرَتْ   بِرَيَّاهُ هَبَّاتُ ٱلرِّيَاحِ ٱلْجَنَائِبُ
وَإِنِّي لَمَعْذُورٌ إِلَى ٱلشَّوْقِ كُلَّمَا   بَدَا لِي مِنْ نَخْلِ ٱلصَّبَاحِ ٱلنَّصَائِبُ

وقال آخر

هَلِ ٱلرِّيحُ أَوْ بَرْقُ ٱلْيَمَامَةِ مُخْبِرٌ   ضَمَائِرَ حَاجٍ لَا أُطِيقُ لَهَا ذِكْرَا
سُلَيْمَى سَقَاهَا ٱللهُ حَيْثُ تَصَرَّفَتْ   بِهَا غُرُبَاتُ ٱلدَّارِ عَنْ دَارِنَا ٱلْقَطْرَا ٢٢٤
إِذَا دَرَجَتْ رِيحُ ٱلصَّبَا وَتَنَسَّمَتْ   تَعَرَّفْتُ مِنْ نَجْدٍ وَسَاكِنِهِ نَشْرَا*
تَقَرَّفَ قَرْحُ ٱلْقَلْبِ بَعْدَ ٱنْدِمَالِهِ   فَهَيَّجَ دَمْعاً لَا جُمُودًا وَلَا نَزْرَا

الباب الحادي والثلاثون

فِي لَوَامِعِ ٱلْبُرُوقِ أُنسٌ لِلْمُسْتَوْحِشِ ٱلْمَشُوقِ

حَدَّثَنِي أَبُو ٱلْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ٱلنَّحْوِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ ٱللهِ بْنُ شَبِيبٍ قَالَ حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ٱللَّيْثِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَعْنٍ ٱلْغِفَارِيُّ قَالَ ٱقْتَحَمَتِ ٱلسَّنَةُ [وَدَخَلَ]ٱلْمَدِينَةَ نَاسٌ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ مِنْهُمْ صِرْمَةٌ مِنْ كِلَابٍ وَكَانُوا يَدْعُونَ عَامَهُمْ ذٰلِكَ ٱلْجِرَافَ قَالَ فَأَبْرَقُوا لَيْلَةً فِي ٱلنَّجْدِ وَغَدَوْتُ عَلَيْهِمْ فَإِذَا غُلَامٌ مِنْهُمْ قَدْ عَادَ جِلْدًا وَعَظْمًا ضَيْعَةً وَمَرَضاً وَضَمَانَةَ حُبٍّ وَإِذَا هُوَ قَدْ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ بِأَبْيَاتٍ وَالِهاً مِنَ ٱللَّيْلِ

أَلَا يَا سَنَا بَرْقٍ عَلَى قُلَلِ ٱلْحِمَى   لِيَهْنِكَ مِنْ بَرْقٍ عَلَيَّ كَرِيمُ
لَمَعْتَ ٱقْتِدَاءَ ٱلطَّيْرِ وَٱلْقَوْمُ هُجَّعٌ   فَهَيَّجْتَ أَسْقَاماً وَأَنْتَ سَلِيمُ
فَبِتُّ بِحَدِّ ٱلْمِرْفَقَيْنِ أَشِيمُهُ   كَأَنِّي لِبَرْقٍ بِٱلسِّتَارِ حَمِيمُ
فَهَلْ مِنْ مُعِيرٍ طَرْفَ عَيْنٍ جَلِيَّةٍ   فَإِنْسَانُ عَيْنِ ٱلْعَامِرِيِّ كَلِيمُ
وَفِي قَلْبِهِ ٱلْبَرْقُ ٱلْمُلَالِي رَمِيَّةٌ   بِذِكْرِ ٱلْحِمَى وَهْنًا تَكَادُ تَهِيمُ

قَالَ فَقُلْتُ لَهُ فَفِي دُونِ مَا بِكَ يُفْحَمُ عَنِ ٱلشِّعْرِ فَقَالَ صَدَقْتَ وَلٰكِنَّ ٱلْبَرْقَ أَنْطَقَنِي ثُمَّ مَا لَبِثَ يَوْمَهُ ذٰلِكَ حَتَّى مَاتَ

وقال آخر

أَقُولُ لِبَوَّابَيْنِ وَٱلسِّجْنُ مُغْلَقٌ   وَطَالَ عَلَيَّ ٱللَّيْلُ مَا تَرَيَانِ
فَقَالَا نَرَى بَرْقاً يَلُوحُ وَمَا ٱلَّذِي   يَشُوقُكَ مِنْ بَرْقٍ يَلُوحُ يَمَانِ

فقُلْتُ ٱفْتَحَالِي ٱلْبَابَ أَجْلِسْ إِلَيْكُمَا   لَعَلِّي أَرَى ٱلْبَرْقَ ٱلَّذِي تَرَيَانِ
٢٢٥ فَقَالُوا أُمِرْنَا بِٱلْوَثَاقِ وَمَا أَنَا   بِمَعْصِيَةِ ٱلسُّلْطَانِ فِيكَ يَدَانِ*
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي وَهْوَ مِمَّا يَهُمُّنِي   مَتَى أَنَا وَٱلصَّهَّالُ مُلْتَقِيَانِ

وانشدني احمد بن يحيى

أَكُلَّمَا لَمَعَتْ بِٱلْغَوْرِ بَارِقَةٌ   هَفَا إِلَيْهَا جَنَاحَا قَلْبِكَ ٱلْخَفِقِ
إِنْ كُنْتَ مَثَّلْتَهَا مِنْ كُلِّ رَابِعَةٍ   لِلشَّمْسِ وَٱلْبَدْرِ أَوْ لِلْمَنْظَرِ ٱلْأَنِقِ
لَتُصْبِحَنَّ قَتِيلًا طُلَّ مَصْرَعُهُ   مِنْ طَعْنَةٍ فِي ٱلْحَشَا مَكْتُومَةِ ٱلْعَلَقِ

وقال الاحوص

أَصَاحِ أَلَمْ تُحْزِنْكَ رِيحٌ مَرِيضَةٌ   وَبَرْقٌ تَلَالَا بِٱلْعَقِيقَيْنِ لَامِعُ
فَإِنَّ غَرِيبَ ٱلدَّارِ مِمَّا يَشُوقُهُ   نَسِيمُ ٱلرِّيَاحِ وَٱلْبُرُوقُ ٱللَّوَامِعُ
وَمِنْ دُونِ مَا أَسْمُو بِطَرْفِي لِأَرْضِهِمْ   مَفَاوِزُ مُغْبَرٌّ مِنَ ٱلتِّيهِ وَاسِعُ
فَأَبْدَتْ كَثِيرًا نَظْرَتِي مِنْ صَبَابَتِي   وَأَكْثَرُ مِنْهُ مَا تُجِنُّ ٱلْأَضَالِعُ
أَهِيمُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا وَيَشُوقُنِي   رِفَاقٌ إِلَى أَهْلِ ٱلْحِجَازِ نَوَازِعُ

وقالت رامة بنت الشاخ

أَلَامُ عَلَى نَجْدٍ وَمَنْ تَكُ دَارُهُ   بِنَجْدٍ يُهِجْهُ ٱلشَّوْقَ شَيْءٌ يُرَايِعُهْ
تُهِجْهُ جَنُوبٌ حِينَ تَبْدُو بِنَشْرِهَا   يَمَانِيَةٌ وَٱلْبَرْقُ إِذْ لَاحَ لَامِعُهْ

وقالت امرأة من طي

إِذَا مَا صَبِيرُ ٱلْمُزْنِ أَوْمَضَ بَرْقُهُ   بِبَغْدَادَ لَمْ تَبْلُجْ بِعَيْنِي بَوَارِقُهْ
وَلَكِنْ مَتَى مَا تَبْدُ مِنْهُ مَخِيلَةٌ   بِنَجْدٍ فَذَاكَ ٱلْبَرْقُ لَا بُدَّ شَائِقُهْ

وقالت الخنساء

أَمُبْتَدِرٌ قَلْبِي إِنِ ٱلْعَيْنُ آنَسَتْ   سَنَا بَارِقٍ بِٱلنَّجْدِ غَيْرَ تَهَامِي
فَلَيْتَ سِمَاكِيًّا يَطِيرُ رَبَابُهُ   يُقَادُ إِلَى أَهْلِ ٱلْغَضَا بِزِمَامِ

٢٢٦* فَيَشْرَبَ مِنْـهُ جَحْوَشٌ وَيَشِيمُهُ بِعَيْنَيْ قَطَـامِيٍّ أَغَرَّ شَآمِي
فَأُقْسِمُ أَنِّي قَدْ وَجِـدْتُ لِجَحْوَشٍ إِذَا جَاءَ وَٱلْمُسْتَـأْذِنُونَ نِيَـامُ
فَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ ٱلْحِجَازِ فَلَا تَلِحْ وَإِنْ كُنْتَ نَجْـدِيًّا فَلِحْ بِسَلَامِ
فَأَهْلُ ٱلْحِجَازِ مَعْشَرٌ مَـا أُحِبُّهُمْ وَأَهْـلُ ٱلْغَضَـا قَوْمٌ عَلَيَّ كِرَامُ

وقال عبد الرحمان بن دارة

نَظَرْتُ وَدُورٌ مِنْ نَصِيبِينَ دُونَنَا كَأَنَّ غَرِيبَاتِ ٱلْعُيُونِ بِهَا رُمْـدُ
لِكَيْمَا أَرَى ٱلْبَرْقَ ٱلَّذِي أَوْمَضَتْ بِهِ ذُرَى ٱلْمُزْنِ عُلْوِيًّا وَكَيْفَ لَنَا يَبْدُو
وَإِنِّي وَنَجْـدًا كَٱلْقَرِينَيْنِ قَطَّعَـا قِوَى مِنْ حِبَالٍ لَمْ يُشَدَّ لَهَا عَقْـدُ

وقال ابو القمقام الاسدي

خَلِيلَيَّ طَالَ ٱللَّيْلُ وَٱشْتَغَلَ ٱلْقَذَى بِعَيْنَيَّ وَٱسْتَـأْنَسْتُ بَرْقًا يَمَانِيَـا
خَلِيـلَيَّ إِلَّا تَبْكِيَا لِأَخِيكُمَا . . . مَا بِي أَقَلُّ . . . .

وقال آخر

أَرِقْتُ وَهَاجَنِي ٱلْبَرْقُ ٱلْبَعِيدُ أُرِيدُ لِكَيْ يَعُودَ فَـلَا يَعُودُ
أُرِيدُ لِكَيْ أَزُورَ بِلَادَ لَيْلَى فَأَمَّا غَيْرُ ذَاكَ فَـلَا أُرِيـدُ
عَلَيَّ أَلِيَّـةٌ إِنْ كُنْتُ أَدْرِي أَيَنْقُصُ حُبُّ لَيْلَى أَمْ يَزِيـدُ

ولبعض اهل هذا العصر

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ مِنْ تِهَـامَـةَ خَافِقٍ كَأَنَّ سَنَا إِيمَاضِـهِ قَلْبُ عَـاشِقِ
يَلُوحُ فَأَزْدَادُ ٱشْتِيَاقًا وَمَـا أَرَى يُشَوِّقُنِي لَوْلَاكَ مِنْ ضَوْءِ بَارِقِ
مَتَى تَدْنُ لَا يَمْلِكْ لِيَ ٱلشَّوْقُ لَوْعَةً وَإِنْ تَنْـأَ عَنِّي فَـٱلتَّوَهُّمُ شَائِقِي
فَرَأْيَكَ فِي عَبْـدٍ إِلَيْـكَ مَفَرُّهُ لِتُنْعِشَهُ بِٱلْوَصْلِ قَبْلَ ٱلْعَوَائِقِ

وانشدني ابو طاهر الدمشقي

أَعِنِّي عَـلَى بَارِقٍ نَاصِبٍ خَفِيٍّ كَلَمْحِكَ بِٱلْحَـاجِبِ

٢٢٧ كَأَنَّ تَأَلُّقَهُ فِي ٱلسَّمَاءِ   يَدَا كَاتِبٍ أَوْ يَدَا حَاسِبِ*

وقال علي بن محمد العلوي

شَجَاكَ ٱلْوَمِيضُ وَلَذْعُ ٱلْمَضِيضِ   بِنَارِ ٱلْهَوَى وَبِبَرْقٍ يَمَانِي
كَأَنَّ تَأَلُّقَهُ فِي ٱلسَّمَاءِ   رَجْعُ حِسَابٍ خَفِيفِ ٱلْبَنَانِ
كَأَنِّي لَمْ أَدْرِ أَنَّ ٱلرَّدَى   لِهَتْكِ سُتُورِ ٱلضَّنَى قَدْ رَآنِي
أَخِلَّايَ أُحْفِيكُمُ طَائِعاً   وَأَنْتُمْ مُنَى ٱلنَّفْسِ دُونَ ٱلْأَمَانِي
وَلٰكِنْ يَدُ ٱلدَّهْرِ رَهْنٌ بِمَا   سَيَرْمِي بِأَسْهُمِهِ ٱلْفَرْقَدَانِ
عَسَى ٱلدَّهْرُ أَنْ يَثْنِ لِي عِطْفَهُ   بِعَطْفِ ٱلْهَوَى وَبِعَيْشٍ لِيَانِ

وقال البحتري

خَيَالٌ مُلِمٌّ أَوْ حَبِيبٌ مُسَلِّمُ   وَبَرْقٌ تَجَلَّى أَوْ حَرِيقٌ مُضَرَّمُ
تَقَيَّضَ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ ٱلنَّوَى   وَيَسْرِي إِلَيَّ ٱلشَّوْقُ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ

وقال النابغة

أَرِقْتُ وَأَصْحَابِي هُجُوعٌ بِرَبْوَةٍ   لِبَرْقٍ تَلَالَا فِي تِهَامَةَ لَامِعُ
فَأَبْدَى هُمُوماً مِنْ هُمُومٍ أَجَلُّهَا   وَأَكْثَرُ مِنْهَا مَا تَجِنُّ ٱلْأَضَالِعُ

وقال آخر

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ آخِرَ ٱللَّيْلِ يَلْمَعُ   سَرَى دَائِباً فِيمَا نَهُبُّ وَنَهْجَعُ
سَرَى كَٱحْتِسَاءِ ٱلطَّيْرِ وَٱللَّيْلُ ضَارِبٌ   بِأَرْوَاقِهِ وَٱلصُّبْحُ قَدْ كَادَ يَسْطَعُ

وقال آخر

بَدَا ٱلْبَرْقُ مِنْ نَحْوِ ٱلْحِجَازِ فَشَاقَنِي   وَكُلُّ حِجَازِيٍّ لَهُ ٱلْبَرْقُ شَائِقُ
سَرَى مِثْلَ نَبْضِ ٱلْعِرْقِ وَٱللَّيْلُ دُونَهُ   وَأَعْلَامُ نَجْدٍ كُلُّهَا وَٱلْأَسَالِقُ

وقال دعبل

٢٢٨ مَا زِلْتُ أَكْلَأُ بَرْقاً فِي جَوَانِبِهِ   كَطَرْفَةِ ٱلْعَيْنِ تَخْبُو ثُمَّ تَخْتَطِفُ*

بَرْقٌ تَجَاسَرَ مِنْ خَفَّــانَ لَامِعُهُ   يَقْضِي ٱلصَّبَابَةَ مِنْ قَلْبِي وَيَنْصَرِفُ

وقال آخر

شَبَّهْتُ فِي أُخْرَيَاتِ ٱللَّيْلِ مِنْ رَجَبٍ   بَرْقاً أَتَتْنَــا بِــهِ ٱلْجَوْزَاءُ شُؤْبُوبَا
صَنْجاً بِصَنْعَائِهِ ٱلأَوْتَارُ قَدْ نُصِبَتْ   بَيْنَ ٱلسَّمَاءِ وَبَيْنَ ٱلأَرْضِ مَضْرُوبَا

وقال آخر

أَضَاءَ ٱلْبَرْقُ لَيْلَةَ أَذْرِعَاتٍ   هَوًى لَا يَسْتَطِيعُ لَــهُ طِــلَابَا
هَوًى بِتِهَــامَةٍ وَهَوًى بِنَجْــدٍ   فَــأَيُّ هَوَاكَ تَــتْرُكُ حِينَ آبَا

وقال كثيّر

أَهَاجَكَ بَرْقٌ آخِرَ ٱللَّيْلِ وَاصِبُ   تَضَمَّنَــهُ فَرْشُ ٱلْجَبَــا فَٱلْمَسَارِبُ
تَأَلَّقَ وَٱحْمَوْمَى وَخَيَّمَ فِي ٱلرُّبَى   أَحَمُّ ٱلذُّرَى ذُو هَيْدَبٍ مُتَرَاكِبُ
إِذَا حَرَّكَتْهُ ٱلرِّيحُ أَرْزَمَ جَانِبٌ   بِلَا هَرَقٍ مِنْــهُ وَأَوْمَضَ جَانِبُ
كَمَا أَوْمَضَتْ بِٱلْعَيْنِ ثُمَّ تَبَسَّمَتْ   جَرِيعٌ بَــدَا مِنْهَــا جَبِينٌ وَحَاجِبُ
يَصِحُّ ٱلنَّدَى لَا يَذْكُرُ ٱلسَّيْرَ أَهْلُهُ   وَلَا يَرْجِعُ ٱلْمَاشِي بِهِ وَهْوَ جَادِبُ

وقال آخر

وَأَرْتَاحُ لِلْبَرْقِ ٱلْيَمَــانِي كَأَنَّنِي   لَهُ حِينَ يَجْرِي فِي ٱلسَّمَاءِ نَسِيبُ
وَلِي كَبِدٌ حَرَّى بِمَا قَــدْ تَضَمَّنَتْ   عَلَيْهِ وَعَيْنٌ بِٱلــدُّمُوعِ سَكُوبُ
أُصَعِّــدُ أَنْفَــاساً حَنِيناً وَلَوْعَــةً   كَمَا حَنَّ مَقْصُورُ ٱلْيَــدَيْنِ قَضِيبُ

وقال ابو هلال الاسدي

أَشَاقَتْكَ ٱلْبَوَارِقُ وَٱلْجَنُوبُ   وَمِنْ عَالِي ٱلرِّيَاحِ لَهَا هُبُوبُ
أَتَتْكَ بِنَفْحَةٍ مِنْ رِيحِ نَجْدٍ   تَضَوَّعُ وَٱلْعَرَارُ بِهَا مَشُوبُ
وَشِمْتَ ٱلْبَارِقَاتِ فَقُلْتُ جَادَتْ   حِيَالَ ٱلْقَاعِ أَوْمَطِرَ ٱلْقُلُوبُ* ٢٢٩

وقال محمد بن عبدالله القفعسي

أَقُولُ لِقَمْقَامِ بْنِ زَيْدٍ أَمَا تَرَى سَنَا ٱلْبَرْقِ يَبْدُو لِلْعُيُونِ ٱلنَّوَاظِرِ
فَإِنْ تَبْكِ لِلْبَرْقِ ٱلَّذِي هَيَّجَ ٱلْهَوَى أُعِنْكَ وَإِنْ تَصْبِرْ فَلَسْتُ بِصَابِرِ
سَقَى ٱللّٰهُ حَيّاً بَيْنَ صَارَةَ وَٱلْحِمَى حِمَى فَيْدَ صَوْبَ ٱلْعَاجِنَاتِ ٱلْمَوَاطِرِ
أَمِينٌ وادٍ ٱللّٰهِ مَنْ كَانَ مِنْهُمُ إِلَيْهِمْ وَوَقَّاهُ حِمَامَ ٱلْمَقَادِرِ

وقال بعض العامريين

عَدِمْتُ جِدَارًا يَمْنَعُ ٱلْبَرْقَ أَنْ يُرَى مَعَ ٱللَّيْلِ عُلْوِيًّا تَطِيرُ شَقَائِقُهْ
وَسَقْياً لِذَاكَ ٱلْبَرْقِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ وَلٰكِنْ عَدِمْنَا نِيَّةً مَا تُوَافِقُهْ

وقال آخر

أَعِنِّي عَلَى بَرْقٍ أُرِيكَ وَمِيضَهُ تُضِيءُ دُجُنَّاتِ ٱلظَّلَامِ لَوَامِعُهْ
إِذَا ٱكْتَحَلَتْ عَيْنَا مُحِبٍّ بِضَوْئِهِ تَجَافَتْ بِهِ حَتَّى ٱلصَّبَاحِ مَضَاجِعُهْ
فَبَاتَ وِسَادِي سَاعِدٌ قَلَّ لَحْمُهُ عَنِ ٱلْعَظْمِ حَتَّى كَادَ تَبْدُو أَشَاجِعُهْ

وقال آخر

نَفَى ٱلنَّوْمَ عَنِّي فَٱلْفُؤَادُ كَئِيبُ نَوَائِبُ هَمٍّ مَا تَزَالُ تَنُوبُ
وَمَا جَزَعاً مِنْ خَشْيَةِ ٱلْمَوْتِ أَخْضَلَتْ دُمُوعِي وَلٰكِنَّ ٱلْغَرِيبَ غَرِيبُ
وَإِنِّي لَأَرْعَى ٱلنَّجْمَ حَتَّى كَأَنَّنِي عَلَى كُلِّ نَجْمٍ فِي ٱلسَّمَاءِ رَقِيبُ

ولبعض اهل هذا العصر

أَرَاعَكَ بَرْقٌ فِي دُجَى ٱللَّيْلِ لَامِعُ أَجَلْ كُلُّ مَا يَلْقَاهُ ذُو ٱلشَّوْقِ رَائِعُ
أَٱلْآنَ تَخْشَى ٱلْبَرْقَ وَٱلْإِلْفُ حَاضِرٌ فَكَيْفَ إِذَا مَا لَاحَ وَٱلْإِلْفُ شَاسِعُ
وَهَاجَتْ رِيَاحٌ زِدْنَ ذَا ٱلشَّوْقِ صَبْوَةً وَبَاكَرَتِ ٱلْأَيْكَ ٱلْحَمَامُ ٱلسَّوَاجِعُ
٢٣٠ وَعَاشَرْتَ أَقْوَاماً فَلَمْ تَلْقَ فِيهِمِ خَلِيلَكَ فَٱسْتَعْصَتْ عَلَيْكَ ٱلْمَدَامِعُ*
وَأَصْبَحْتَ لَا تَرْوِي مِنَ ٱلشِّعْرِ إِذْ نَأَى هَوَاكَ وَبَاتَ ٱلشِّعْرُ لِلنَّاسِ وَاسِعُ
سِوَى قَوْلِ غَيْلَانَ بْنِ عُقْبَةَ نَادِماً هَلِ ٱلْأَزْمُنُ ٱللَّاتِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ

هُنَاكَ تَمَنَّى أَنَّ عَيْنَكَ لَمْ تَكُنْ   وَأَنَّكَ لَمْ تَرْحَلْ وَإِلْفُكَ رَابِعُ
فَكُلُّ ٱلَّذِي تَلْقَى يَسُوؤُكَ إِنْ دَنَا   وَكُلُّ ٱلَّذِي تَلْقَى إِذَا بَانَ فَاجِعُ
فَيَا وَيْكَ لَا تُسْرِعْ إِلَى ٱلْبَيْنِ إِنَّهُ   هُوَ ٱلْمَوْتُ فَٱحْذَرْ غِبَّ مَا أَنْتَ صَانِعُ

وله ايضاً

• أَمِنْ أَجْلِ سَارٍ فِي دُجَى ٱللَّيْلِ لَامِعٍ   جَفَوْتَ حِذَارَ ٱلْبَيْنِ لِينَ ٱلْمَضَاجِعِ
عَلَامَ تَخَافُ ٱلْبَيْنَ وَٱلْبَيْنُ رَاحَةٌ   إِذَا كَانَ قُرْبُ ٱلدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعِ
إِذَا لَمْ تَزَلْ مِمَّنْ تُحِبُّ مُرَوَّعًا   بِغَدْرٍ فَإِنَّ ٱلْهَجْرَ لَيْسَ بِرَائِعِ

الباب الثاني والثلاثون

فِي تَلَهُّبِ ٱلنِّيرَانِ أُنْسٌ لِلْمُدْنَفِ ٱلْحَيْرَانِ

انشدني ابو طاهر الدمشقي قال انشدني محمد بن الوليد الحيدري من اهل فلسطين

رَأَيْتُ بِحَزْمِ عُذْرَةَ ضَوْءَ نَارٍ   تَلَأْلَأُ وَهِيَ نَازِحَةُ ٱلْمَكَانِ
فَشَبَّهَ صَاحِبَايَ بِهَا سُهَيْلًا   فَقُلْتُ تَبَيَّنَا مَا تُبْصِرَانِ
أَنَارٌ أُوقِدَتْ فَتَنَوَّرَاهَا   بَدَتْ لَكُمَا أَمِ ٱلْبَرْقُ ٱلْيَمَانِي
وَكَيْفَ وَدُونَهَا ٱلْفَلَجَاتُ تَبْدُو   وَكَيْفَ وَأَنْتُمَا لَا تَرْفَعَانِ
كَأَنَّ ٱلرِّيحَ تَصْدَعُ مِنْ سَنَاهَا   بَنَائِقَ جَنَّةٍ مِنْ أُرْجُوَانِ

وقال جامع الكلابي

وَإِنِّي لِنَارٍ أُوقِدَتْ بَيْنَ ذِي ٱلْغَضَا   عَلَى مَا بِعَيْنِي مِنْ قَذًى لَبَصِيرُ
أَضَاءَتْ لَنَا وَحْشِيَّةً غَيْرَ أَنَّهَا   مَعَ ٱلْإِنْسِ تَرْعَى مَا رَعَوْا وَتَسِيرُ

وقال جميل بن معمر*

أَكَذَّبْتُ طَرْفِي أَمْ رَأَيْتُ بِذِي ٱلْغَضَا لِبُثْنَةَ نَارًا فَٱرْفَعُوا أَيُّهَا ٱلرَّكْبُ
إِلَى ضَوْءِ نَارٍ مَا تَبُوخُ كَأَنَّهَا مِنَ ٱلْبُعْدِ وَٱلْإِقْوَاءِ جَيْبٌ لَهَا نَقْبُ

وقال كثيّر

رَأَيْتُ وَأَصْحَابِي بِأَيْلَةَ مَوْهِنًا وَقَدْ عَادَ نَجْمُ ٱلْفَرْقَدِ ٱلْمُتَصَوِّبُ
لِعَزَّةَ نَارًا مَا تَبُوخُ كَأَنَّهَا إِذَا مَا رَمَقْنَاهَا مِنَ ٱلْبُعْدِ كَوْكَبُ

وقال آخر

يَا مُوقِدَ ٱلنَّارِ يُذْكِيهَا وَيُخْمِدُهَا قُرُّ ٱلشِّتَاءِ بِأَرْوَاحٍ وَأَمْطَارِ
قُمْ فَٱصْطَلِ ٱلنَّارَ مِنْ قَلْبِي مُضَرَّمَةً بِٱلشَّوْقِ تَغْنَ بِهَا يَا مُوقِدَ ٱلنَّارِ
وَيَا أَخَا ٱلذَّوْدِ قَدْ طَالَ ٱلظَّمَاءُ بِهَا لَمْ تَدْرِ مَا ٱلرِّيُّ مِنْ جَدْبٍ وَإِقْفَارِ
رِدْ بِٱلْعِطَاشِ عَلَى عَيْنِي وَمِحْجَرِهَا تُرْوِي ٱلْعِطَاشَ بِدَمْعٍ وَاكِفٍ جَارِي

وقال آخر

يَا مُوقِدَ ٱلنَّارِ بِٱلزِّنَادِ وَطَالِبَ ٱلْجَمْرِ فِي ٱلرَّمَادِ
دَعْ عَنْكَ شَكًّا وَخُذْ يَقِينًا وَٱقْتَبِسِ ٱلنَّارَ مِنْ فُؤَادِي

وقال الشماخ

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ لَيْلَى تَبَرْقَعَتْ لَقَدْ رَابَنِي مِنْهَا ٱلْغَدَاةَ سُفُورُهَا
وَأُشْرِفُ بِٱلْقَوْزِ ٱلْيَفَاعَ لَعَلَّنِي أَرَى نَارَ لَيْلَى أَوْ يَرَانِي بَصِيرُهَا
حَمَامَةَ بَطْنِ ٱلْوَادِيَيْنِ تَرَنَّمِي سَقَاكِ مِنَ ٱلْغُرِّ ٱلْعِذَابِ مَطِيرُهَا
أَبِينِي لَنَا لَا زَالَ رِيشُكِ نَاعِمًا وَلَا زِلْتِ فِي خَضْرَاءَ دَانٍ بَرِيرُهَا

وقال الاحوص بن محمد

ضَوْءُ نَارٍ بَدَا لِعَيْنَيْكَ أَمْ شُبَّتْ بِذِي ٱلْأَثْلِ مِنْ سُلَامَةَ نَارُ
٢٣٢ تِلْكَ دَارُ ٱلْغَضَا وَحِسًّا وَقَدْ يَأْلَفُهَا ٱلْمُجْتَدُونَ وَٱلزُّوَّارُ*
أَصْبَحَتْ دِمْنَةً تَلُوحُ بِدَتْنٍ تَعْتَفِيهَا ٱلرِّيَاحُ وَٱلْأَمْطَارُ

وَكَذَاكَ ٱلزَّمَانُ يَذْهَبُ بِٱلنَّاسِ   وَتَبْقَى ٱلدِّيَارُ وَٱلْآثَارُ

وقال آخر

يَا مُوقِدَ ٱلنَّارِ بِٱلصَّحْرَاءِ مِنْ عُمَقٍ   قُمْ فَٱصْطَلِي مِنْ فُؤَادٍ هَائِمٍ قَلِقِ
أَلنَّارُ تُطْفَى وَبَرْدُ ٱلْقَرِّ يُخْمِدُهَا   وَنَارُ قَلْبِيَ لَا تُطْفَى مِنَ ٱلْحَرَقِ

وقال بعض الاعراب

أَنَارٌ بَدَتْ يَا عَبْدُ مِنْ سَاكِنِ ٱلْغَضَا   مَعَ ٱللَّيْلِ أَمْ بَرْقٌ تَلَأْلَأَ نَاصِبُ
فَأَحْبِبْ بِتِلْكَ ٱلنَّارِ وَٱلْمُوقِدِ ٱلَّذِي   لَهُ عِنْدَ جَرْعَاءِ ٱلنُّمَيْرَةِ حَاطِبُ
لِمَنْ ضَوْءُ نَارٍ بِٱلْبِطَاحِ كَأَنَّهَا   مِنَ ٱلْوَحْشِ بَيْضَاءُ ٱللَّبَانِ سَلُوبُ
إِذَا صَدَّعَتْهَا ٱلرِّيحُ بَانَ بِضَوْءِهَا   مِنَ ٱلْأَثْلِ فَرْعٌ يَابِسٌ وَرَطِيبُ
يَرَاهَا فَيَرْجُوهَا وَلَيْسَ بِآيِسٍ   وَفِيهَا عَنِ ٱلْقَصْدِ ٱلْمُبِينِ نُكُوبُ
فَأَمَّا عَلَى طَلَّابِ بَانٍ فَسَاعَةٌ   وَأَمَّا عَلَى ذِي حَاجَةٍ فَقَرِيبُ

وقال آخر

وَنَارٍ كَسِحْرِ ٱلْعَوْدِ تَرْفَعُ ضَوْءَهَا   مَعَ ٱللَّيْلِ هَبَّاتُ ٱلرِّيَاحِ ٱلصَّوَارِدُ
أَحِيدُ بِأَيْدِي ٱلْعِيسِ عَنْ قَصْدِ دَارِهَا   وَقَلْبِي إِلَيْهَا بِٱلْمَوَدَّةِ قَاصِدُ

وقال آخر

وَطَيْبَةُ قَالَتْ أَوْقِدِ ٱلنَّارَ عَلَّهُ   يَرَاهَا مُضِلٌّ قَدْ سَرَى فَيَئُوبُ
لَهَا مُوقِدٌ مِنْ أَهْلِهَا وَكَأَنَّهُ   إِذَا أُوقِدَتْ [لَيْلًا] أَغَنُّ غَضُوبُ

وقال ربيعة بن ثابت

لِمَنْ ضَوْءُ نَارٍ قَابَلَتْ أَعْيُنَ ٱلرَّكْبِ   تُشَبُّ بِلَدْنِ ٱلْعُودِ وَٱلْمَنْدَلِ ٱلرَّطْبِ
فَقُلْتُ لَقَدْ آنَسْتُ نَارًا كَأَنَّهَا   صَفَا كَوْكَبٍ لَاحَتْ فَحَنَّ لَهَا قَلْبِي * ٢٣٣

وقال ابن الدمينة

بَدَتْ نَارُ أُمِّ ٱلْعَمْرِو بَيْنَ حَوَائِلٍ   وَبَيْنَ ٱللِّوَى كَٱلْبَرْقِ دَانِي ٱلْمَعَانِ

فَيَا حَبَّذَا مِنْ ضَوْءِ بَرْقٍ بَدَا لَنَا   وَيَا حَبَّذَا مِنْ مَوْقِدٍ وَدُخَانِ
بَدَتْ نَارُهَا يَا مَلْحَ مَنْ هِيَ نَارُهُ   وَيَا حَبَّذَا مِنْ مُصْطَلًى وَمَكَانِ

وقال آخر

أَلَا لَيْتَ أَنَّ ٱلطَّلَّ يُطْفِئُ نَارَنَا   فَيَقْبِسَنِي مِنْ نَارِ وَجْنَاءَ قَابِسُ
وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ تَصَلَّى بِضَوْءِهَا   عَلَى ٱلنَّأْيِ مَشْبُوحُ ٱلذِّرَاعَيْنِ بَائِسُ

وقال ابن مقيل

إِذَا ٱلنَّاسُ قَالُوا كَيْفَ أَنْتَ وَقَدْ بَدَا   ضَمِيرُ ٱلَّذِي بِي قُلْتُ لِلنَّاسِ صَالِحُ
إِذَا قِيلَ مِنْ دَهْمَاءَ حُيِّيتَ أَنَّهَا   مِنَ ٱلْجِنِّ لَمْ يُوقَدْ لَنَا ٱلنَّارَ قَادِحُ
وَكَيْفَ وَلَا نَارٌ لِدَهْمَاءَ أُوقِدَتْ   قَرِيباً وَلَا كَلْبٌ مِنَ ٱللَّيْلِ نَابِحُ
وَإِنِّي أَلْحَانِي عَلَى أَنْ أُحِبَّهَا   رِجَالٌ تُقَوِّيهِمْ قُلُوبٌ صَحَانِحُ
وَلَوْ أَنَّ مَا أَلْقَى مِنَ ٱلشَّوْقِ وَٱلْهَوَى   لِأَهْلِكَ مَالٌ لَمْ تَسَعْهُ ٱلْمَسَارِحُ

وقال امرؤ القيس

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتٍ وَأَهْلُهَا   بِيَثْرِبَ أَدْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالِ
نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَٱلنُّجُومُ كَأَنَّهَا   مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ تُشَبُّ لِقُفَّالِ
فَقَالَتْ سَبَاكَ ٱللهُ إِنَّكَ فَاضِحِي   أَلَسْتَ تَرَى ٱلسُّمَّارَ وَٱلنَّاسَ أَحْوَالِي
فَقُلْتُ يَمِينَ ٱللهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا   وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكِ وَأَوْصَالِي
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا ٱلْحَدِيثَ وَأَسْمَحَتْ   هَصَرْتُ بِغُصْنٍ ذِي شَمَارِيخَ مَيَّالِ
فَصِرْنَا إِلَى ٱلْحُسْنَى وَرَقَّ كَلَامُنَا   وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيَّ إِذْلَالِ
٢٣٤ حَلَفْتُ لَهَا بِٱللهِ حِلْفَةَ فَاجِرٍ   لَنَامُوا فَمَا إِنْ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالِ*
سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَمَا نَامَ أَهْلُهَا   سُمُوَّ حَبَابِ ٱلْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالِ
فَأَصْبَحْتُ مَعْشُوقاً وَأَصْبَحَ بَعْلُهَا   عَلَيْهِ ٱلْقَتَامُ سَيِّئَ ٱلظَّنِّ وَٱلْبَالِ

أَمَّا ٱلْبَيْتُ ٱلْأَوَّلُ فَهُوَ نِهَايَةٌ لَا يَتَهَيَّأُ مُجَاوَزَتُهَا بَلْ لَا تَتَمَكَّنُ

مُقَارَبَتُهَا لِأَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ تَخَيَّلَ نَارَهَا مِنَ ٱلْمَدِينَةِ وَهُوَ بِٱلشَّامِ فَسَاقَهُ ٱلشَّوْقُ إِلَيْهَا مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ أَعْرَابِيًّا ذَكَرَ صَاحِبَةً لَهُ فَقَالَ إِنِّي لَأَذْكُرُهَا وَبَيْنِي وَبَيْنَهَا عُقْبَةُ طَائِرٍ وَأَجِدُ مِنْ ذِكْرِهَا رِيحَ ٱلْمِسْكِ وَيُقَالُ أَنَّ عُقْبَةَ ٱلطَّائِرِ مِئَةُ فَرْسَخٍ فَهٰذَا لَعَمْرِي مُقَارِبٌ لِبَيْتِ ٱمْرِىءِ ٱلْقَيْسِ وَلِذٰلِكَ عَلَيْهِ فَضْلُ ٱلسَّابِقِ عَلَى ٱلْمَسْبُوقِ وَفَضْلُ ٱلنَّظْمِ عَلَى ٱلْمَنْثُورِ وَفَضْلُ ٱلطَّاعَةِ لِأَشْتِيَاقِهِ وَٱنْقِيَادِهِ مَعَهُ إِلَى إِلْفِهِ ٱلَّذِي شَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ عَقَّبَ ذٰلِكَ بِمَا عَفَّى عَلَى حُسْنِهِ وَمَحَا مَوْضِعَ ٱلْفَخْرِ لَهُ بِهِ

وقال الاحوص

صَاحِ هَلْ أَبْصَرْتَ بِٱلْخَبْـ ... ـتَيْنِ مِنْ أَسْمَاءَ نَارَا
مَوْهِنًا شُبَّتْ لِعَيْنَيْـ ... ـكَ فَلَمْ تُوقَدْ نَهَارَا
كَتَلَالِي ٱلْبَرْقِ فِي ٱلْعَا ... رِضِ ذِي ٱلْمُزْنِ ٱسْتَطَارَا
أَذْكَرَتْنِي ٱلْوَصْلَ مِنْ سَلْـ ... ـمَى وَأَيَّامًا قِصَارَا
لَمْ تُشَبْ بِٱلْوَصْلِ سَلْمَى ... جَارَهَا إِذْ كَانَ جَارَا
عَاشِقًا أَفْنَى طِوَالَ ٱلدَّ ... هْرِ خَوْفًا وَٱسْتِتَارَا

وقال ايضاً

رَأَيْتُ لَهَا نَارًا تُشَبُّ وَدُونَهَا ... بَوَاطِنُ مِنْ ذِي رَجْرَجٍ وَظَوَاهِرُ
فَخَفَّضْتُ قَلْبِي بَعْدَمَا قُلْتُ إِنَّهُ ... إِلَى نَارِهَا مِنْ عَاصِفِ ٱلشَّوْقِ طَائِرُ
فَقُلْتُ لِعَمْرٍو تِلْكَ يَا عَمْرُو دَارُهَا ... تُشَبُّ بِهَا نَارٌ فَهَلْ أَنْتَ نَاظِرُ
تَقَادَمَ مِنِّي ٱلْعَهْدُ حَتَّى كَأَنَّنِي ... تَذَكَّرْتُهَا مِنْ طُولِ مَا مَرَّ هَاجِرُ
وَفِي مِثْلِ مَا جَرَّبْتُ مُنْذُ صَحِبْتَنِي ... عَذَرْتَ أَبَا يَحْيَى لَوَ ٱنَّكَ عَاذِرُ* ٢٣٥
كَرِيمٌ يُمِيتُ ٱلسِّرَّ حَتَّى كَأَنَّهُ ... عَمٍ بِنَوَاحِي أَمْرِهَا وَهُوَ خَابِرُ
إِذَا قُلْتُ أَنْسَاهَا وَأَخْلَقَ ذِكْرُهَا ... تَنَشَّتْ بِذِكْرَاهَا هُمُومٌ نَوَافِرُ

وقال ايضاً

أَمِنْ خُلَيْـدَةَ وَهْناً شُبَّتِ ٱلنَّـارُ   وَدُونَهَا مِنْ ظَلَامِ ٱللَّيْـلِ أَسْتَـارُ
بَاتَتْ تُشَبُّ وَبِتْنَا ٱللَّيْلَ نَرْقُبُهَـا   تُعْنَى قُلُوبٌ بِهَا مَرْضَى وَأَبْصَـارُ
يَا حَبَّذَا تِلْكَ مِنْ نَارٍ وَمُوقِدُهَـا   وَأَهْلُنَـا بِٱللِّوَى إِذْ نَحْنُ أَجْوَارُ
خُلَيْدُ لَا تَبْعُدِي مَا عَنْـكِ إِقْصَارُ   وَإِنْ بَخِلْتِ وَإِنْ شَطَّتْ بِكِ ٱلدَّارُ
فَمَا أُبَالِي إِذَا أَمْسَيْتِ جَارَتَنَـا   مُقِيمَةً هَلْ أَقَـامَ ٱلنَّاسُ أَمْ سَارُوا
لَوْ دَبَّ حَوْلِيٌّ ذَرٍّ تَحْتَ مِدْرَعِهَا   أَضْحَى بِهَـا مِنْ دَبِيبِ ٱلذَّرِّ آثَارُ

وقال ايضاً

يَا مُوقِدَ ٱلنَّارِ بِٱلْعَلْيَاءِ مِنْ إِضَمٍ   أَوْقِدْ فَقَدْ هِجْتَ شَوْقاً غَيْرَ مُنْصَرِمِ
يَا مُوقِدَ ٱلنَّارِ أَوْقِدْهَـا فَإِنَّ لَهَا   سَناً يَهِيجُ فُؤَادَ ٱلْعَاشِقِ ٱلسَّدِمِ
نَارٌ أَضَاءَ سَنَاهَـا إِذْ تُشَبُّ لَنَـا   سَعْدِيَّـةٌ دَلُّهَا يَشْفِي مِنَ ٱلسَّقَمِ
وَلَائِمٍ لَامَنِي فِيهَـا فَقُلْتُ لَـهُ   قَدْ شَفَّ جِسْمِي ٱلَّذِي أَلْقَى بِهَا وَدَمِي
فَمَا طَرِبْتَ لِشَجْوٍ كُنْتَ تَأْمُلُـهُ   وَلَا تَأَمَّلْتَ تِلْكَ ٱلدَّارَ مِنْ أَمَمِ

وقال آخر

كَأَنَّ فُؤَادِي فِي يَدٍ عَلِقَتْ [بِهِ]   مُحَاذَرَةً أَنْ يَقْضَبَ ٱلْحَبْلَ قَاضِبُـهْ
وَأُشْفِقُ مِنْ وَشْكِ ٱلْفِرَاقِ وَإِنَّنِي   أَظُنُّ لَمَحْمُولٌ عَلَيْـهِ فَرَاكِبُـهْ
نَظَرْتُ وَدُونِي ٱلسُّحْقُ مِنْ نَخْلِ بَارِقٍ   بِنَظْرَةِ سَامِي ٱلطَّرْفِ حُجْنٍ مَخَالِبُهْ
لِأُبْصِرَ نَارًا بِٱلْجِوَاءِ وَدُونَهَـا   مَسِيرَةُ شَهْرٍ لَا يُعَرِّسُ رَاكِبُـهْ
٢٣٦ فَوَٱللّٰهِ مَا أَدْرِي أَغَـالَنِي ٱلْهَوَى   إِلَى أَهْلِ تِلْكَ ٱلْأَرْضِ أَمْ أَنَا غَالِبُهْ*
فَإِنْ أَسْتَطِعْ أَغْلِبْ وَإِنْ يَغْلِبِ ٱلْهَوَى   فَمِثْلُ ٱلَّذِي لَاقَيْتُ يُغْلَبُ صَاحِبُهْ

وقال آخر

أَحَقًّا عِبَـادَ ٱللّٰهِ أَنْ لَسْتُ رَائِياً   أُمَيْمَةَ إِنْ حَاضَرْتُ أَوْ كُنْتُ بَادِيَا

وَلَا مُبْصِرًا بِٱلْأَجْرَعِ ٱلْفَرْدِ نَارَهَا   وَلَا نَاْزِياً يُمْنَى يَدَيْهَـا وِسَادِيَا
وَلَا قَـائِلًا تَقْضِي ٱلدُّيُونَ فَإِنَّهَـا   دُيُونُ غَرِيمٍ مَـا أَسَاءَ ٱلتَّقَاضِيَـا

ولبعض اهل هذا العصر

أَرِقْتُ لِنَارٍ بِٱلطُّلَيْحَـةِ أُوقِـدَتْ   تَرَاءَتْ لِلَحْظِ ٱلْعَيْنِ ثُمَّ تَسَتَّرَتْ
عَلَتْ وَخَبَتْ ثُمَّ ٱنْجَلَتْ وَتَطَاوَلَتْ   عَلَى هَضَبَاتِ ٱلرَّمْلِ ثُمَّ تَخَفَّضَتْ
فَلَمْ يَخْبُ شَوْقِي إِذْ خَبَتْ بَلْ تَلَهَّبَتْ   صَبَابَةُ قَلْبِي بِٱلْهَوَى إِذْ تَلَهَّبَتْ
وَمَا رَدَّ عَنْهَا ٱلطَّرْفَ بُعْدُ مَكَانِهَا   وَلٰكِنْ دُمُوعُ ٱلْعَيْنِ لَمَّا تَهَلَّلَتْ
ذَكَرْتُ بِهَا ٱلدَّهْرَ ٱلَّذِي لَيْسَ عَائِدًا   وَمَـا نُسِيَتْ أَيَّامُـهُ بَلْ تُنُسِّيَتْ
فَمَا أَنْصَفَتْ أَذْكَتْ هَوًى حِينَ أُذْكِيَتْ   وَلَمْ تُطْفِ نِيرَانُ ٱلْهَوَى حِينَ أُطْفِئَتْ

الباب الثالث والثلاثون

فِي نَوْحِ ٱلْحَمَامِ أُنْسٌ لِلْمُنْفَرِدِ ٱلْمُسْتَهَامِ

ذَكَرُوا أَنَّ مَجْنُونَ بَنِي عَامِرٍ رَقَدَ لَيْلَةً تَحْتَ شَجَرَةٍ فَٱنْتَبَهَ بِتَغْرِيدِ طَائِرٍ فَأَنْشَأَ

لَقَدْ هَتَفَتْ فِي جُنْحِ لَيْلٍ حَمَامَةٌ   عَلَى فَنَنٍ تَـدْعُو وَإِنِّي لَنَـائِمُ
فَقُلْتُ ٱعْتِذَارًا عِنْـدَ ذَاكَ وَإِنَّنِي   لِنَفْسِي فِيمَا قَـدْ رَأَيْتُ لَـلَائِمُ
أَأَزْعُمُ أَنِّي عَاشِقٌ ذُو صَبَـابَةٍ   بِلَيْلَى وَلَا أَبْكِي وَتَبْكِي ٱلْحَمَـائِمُ
كَذَبْتُ وَبَيْتِ ٱللهِ لَوْ كُنْتُ عَاشِقاً   لَمَا سَبَقَتْنِي بِـٱلْبُكَاءِ ٱلْحَمَائِمُ

٢٣٧ وقال شقيق بن سليك الاسدي*

وَلَمْ أَبْـكِ حَتَّى هَيَّجَتْنِي حَمَامَـةٌ   بِعَبْنِ ٱلْحَمَامِ ٱلْوُرْقِ فَٱسْتَخْرَجَتْ وَجْدِي

فَقَدْ هَيَّجَتْ مِنِّي حَمَامَـةُ أَيْكَةٍ   مِنَ ٱلْوَجْدِ شَوْقاً كُنْتُ أَكْتُمُهُ جُهْدِي
تُنَادِي هُدَيْلاً فَوْقَ أَخْضَرَ نَاعِمٍ   غَـذَاهُ رَبِيعٌ بَاكِرٌ فِي ثَرَى جَعْـدِ
فَقُلْتُ تَعَالَيْ نَبْكِ مِنْ ذِكْرِ مَا خَلَا   وَنَذْكُرُ مِنْهُ مَـا نُسِرُّ وَمَا نُبْـدِي
فَإِنْ تُسْعِدِينِي نَبْكِ عَبْرَتَنَا [مَعًا]   وَإِلَّا فَإِنِّي سَوْفَ أَسْفَحُهَا وَحْـدِي

وَهٰذِهِ حَالٌ نَاقِصَةٌ مِنْهَا فِي ٱلْمَحَبَّةِ مَنْ لَيْسَتْ لَهُ حَالُ

تبة جحدر القفعسي حيث يقول

وَكُنْتُ قَدِ ٱنْدَمَلْتُ فَهَاجَ شَوْقِي   بُكَاءُ حَمَـامَتَيْنِ تَجَـاوَبَانِ
تَجَـاوَبَتَا بِـلَحْنٍ أَعْجَمِيٍّ   عَلَى غُصْنَيْنِ مِنْ غَرَبٍ وَبَانِ

أَفَتَرَاهُ إِنْ سَلَا عَمَّنْ يَهْوَاهُ لَمْ يَبْقَ لَهُ فِي قَلْبِـهِ أَثَرٌ مِنْ حُبِّهِ وَلَا خَاطِرٌ شَارِدٌ مِنْ ذِكْرِهِ يُعِيدُ هَوَاهُ عَلَى فِكْرِهِ فَيَعْطِفَ قَلْبَهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ وَجْدَهُ إِلَيْهِ حَتَّى يَكُونَ نَوْحُ ٱلْحَمَامِ أَقْوَى شَيْئاً فِي رَدِّ قَلْبِـهِ إِلَى أَحْبَابِهِ مَنْ كَانَ ٱلسَّبَبُ فِي تَعْذِيبِـهِ نَوْحُ ٱلْحَمَـامِ كَانَ ٱلسَّبَبُ فِي تَبْعِيدِهِ أَضْعَفَ نَوَائِبِ ٱلْأَيَّامِ وَلٰـكِنَّ أَبَا صَخْرٍ ٱلْهُذَلِيَّ قَـالَ قَوْلًا لَا يُهَجَّنُ مَنِ ٱبْتَدَعَهُ وَلَا يُقَالُ عَلَى مَنِ ٱنْتَخَبَهُ وَهُوَ

وَلَيْسَ ٱلْمُعَنَّى بِٱلَّذِي لَا يَهِيجُـهُ   إِلَى ٱلشَّوْقِ إِلَّا ٱلْهَاتِفَاتُ ٱلسَّوَاجِعُ
وَلَا بِٱلَّذِي إِنْ صَدَّ يَوْماً خَلِيلُـهُ   يَقُولُ وَيُبْدِي ٱلصَّبْرَ إِنِّي لَجَـازِعُ
وَلٰكِنَّهُ سُقْمُ ٱلْجَوَى وَمِطَـالُهُ   وَمَوْتُ ٱلْجَفَا ثُمَّ ٱلشُّؤُونُ ٱلدَّوَامِعُ
رَشَاشاً وَتَهْتَـانًا وَوَبْـلًا وَدِيمَةً   كَذٰلِكَ تُبْدِي مَا تُجِنُّ ٱلْأَضَالِعُ

وقال آخر

أَلَا يَا حَمَامَاتِ ٱللِّوَى عُدْنَ عَوْدَةً   فَـإِنِّي إِلَى أَصْوَاتِـكُنَّ حَزِينُ
٢٣٨ فَعُدْنَ فَلَمَّا عُـدْنَ كِدْنَ يُمِتْنَنِي   وَكِدْتُ بِأَسْرَارِي لَهُنَّ أُبِـينُ*
وَلَمْ تَرَ عَيْنِي قَبْـلَهُنَّ حَمَـائِمًا   بَكَيْنَ وَلَمْ تَـدْمَعْ لَهُنَّ عُيُونُ

وقال آخر

يَا طَائِرَيْنِ عَلَى غُصْنٍ أَنَا لَكُمَا ... مِنْ أَنْصَحِ ٱلنَّاسِ لَا أَبْغِي بِهِ ثَمَنَا
كُونَا إِذَا طِرْتُمَا زَوْجاً إِخَالُكُمَا ... لَا تَأْمَنَانِ إِذَا أُفْرِدْتُمَا حَزَنَا
هٰذَا أَنَا لَا عَلَى غَيْرِي أَدُلُّكُمَا ... لَاقَيْتُ جُهْداً بِتَرْكِي ٱلْإِلْفَ وَٱلْوَطَنَا

وقال آخر

أَلَا يَا حَمَامَ ٱلْأَيْكِ إِلْفُكَ حَاضِرٌ ... وَعُودُكَ مَيَّادٌ فَفِيمَ تَنُوحُ
أَفِقْ لَا تَنُحْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ فَإِنَّنِي ... بَكَيْتُ زَمَانًا وَٱلْفُؤَادُ صَحِيحُ

وقال آخر

دَعَانِي ٱلْهَوَى وَٱلشَّوْقُ لَمَّا تَرَنَّمَتْ ... عَلَى ٱلْأَيْكِ مِنْ بَيْنِ ٱلْغُصُونِ طَرُوبُ
تُجَاوِبُهَا وُرْقٌ يُرَعْنَ لِصَوْتِهَا ... وَكُلٌّ لِكُلٍّ مُسْعِدٌ وَمُجِيبُ
أَلَا يَا حَمَامَ ٱلْأَيْكِ مَا لَكَ بَاكِياً ... أَفَارَقْتَ إِلْفاً أَمْ جَفَاكَ حَبِيبُ

وقال آخر

أَلَامُ عَلَى فَيْضِ ٱلدُّمُوعِ وَإِنَّنِي ... بِفَيْضِ ٱلدُّمُوعِ ٱلْجَارِيَاتِ جَدِيرُ
أَيَبْكِي حَمَامُ ٱلْأَيْكِ مِنْ فَقْدِ إِلْفِهِ ... وَأَحْبِسُ دَمْعِي إِنَّنِي لَصَبُورُ

وقال بعض الاعراب

أَلَا قَاتَلَ ٱللّٰهُ ٱلْحَمَامَاتِ غُدْوَةً ... عَلَى ٱلْفَرْعِ مَاذَا هَيَّجَتْ حِينَ غَنَّتِ
تَغَنَّتْ غِنَاءً أَعْجَمِيًّا فَهَيَّجَتْ ... هَوَايَ ٱلَّذِي كَانَتْ ضُلُوعِي أَجَنَّتِ
نَظَرْتُ بِصَحْرَاءِ ٱلْبَرِيدَيْنِ نَظْرَةً ... حِجَازِيَّةً لَوْ جُنَّ طَرْفٌ لَجُنَّتِ
وَلَوْ هَمَلَتْ عَيْنٌ دَماً مِنْ صَبَابَةٍ ... إِذَا هَمَلَتْ عَيْنِي دَماً وَأَهَمَّتِ

وقال ابن الدمينة* ٢٣٩

أَلَا يَا صَبَا نَجْدٍ مَتَى هِجْتَ مِنْ نَجْدِ ... لَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكِ وَجْداً عَلَى وَجْدِ
أَإِنْ هَتَفَتْ وَرْقَاءُ فِي رَوْنَقِ ٱلضُّحَى ... عَلَى غُصْنٍ غَضِّ ٱلنَّبَاتِ مِنَ ٱلرَّنْدِ

بَكَيْتَ كَمَا يَبْكِي ٱلْوَلِيدُ وَلَمْ يَكُنْ جَلِيدًا وَأَبْدَيْتَ ٱلَّذِي كُنْتَ لَا تُبْدِي

وقال ناقد بن عطارد العبشمي

وَيَثْنِي ٱلشَّوْقَ حِينَ أَقُولُ يَخْبُو بُكَاءُ حَمَامَةٍ فَيَلِجُّ حِينَا
مُطَوَّقَةُ ٱلْجَنَاحِ إِذَا ٱسْتَقَلَّتْ عَلَى فَنَنٍ سَمِعْتَ لَهَا رَنِينَا
يَمِيلُ بِهَا وَيَرْفَعُهَا مِرَارًا وَيُسْعِفُ صَوْتُهَا قَلْبًا حَزِينَا
كَأَنَّ بِنَحْرِهَا وَٱلْجِيدِ مِنْهَا إِذَا مَا أَمْكَنَتْ لِلنَّاظِرِينَا
مَخَطًّا كَانَ مِنْ قَلَمٍ لَطِيفٍ فَخَطَّ بِجِيدِهَا وَٱلنَّحْرِ نُونَا

وقال نبهان العبشمي

أَحَقًّا يَا حَمَامَةَ بَطْنِ قَوٍّ بِهٰذَا ٱلْوَجْدِ أَنَّكِ تَصْدُقِينَا
غَلَبْتُكِ يَا حَمَامَةَ بَطْنِ قَوٍّ وَقَبْلَكِ مَا غَلَبْتُ ٱلْهَائِمِينَا
غَلَبْتُكِ فِي ٱلْبُكَاءِ بِأَنَّ لَيْلِي أُوَاصِلُهُ وَأَنَّكِ تَهْجَعِينَا
وَأَنِّي أَشْتَكِي فَأَقُولُ حَقًّا وَأَنَّكِ تَشْتَكِينَ فَتَكْذِبِينَا
وَأَنَّكِ أَجْرَأُ ٱلْأَحْيَاءِ طُرًّا عَلَى سَفْكِ ٱلدِّمَاءِ وَتَسْلَمِينَا

وقال ابو تمام الطائي

أَتَضَعْضَعَتْ عَبَرَاتُ عَيْنِكَ إِذْ دَعَتْ وَرْقَاءُ حِينَ تَضَعْضَعَ ٱلْإِظْلَامُ
لَا تَنْشِجَنَّ لَهَا فَإِنَّ بُكَاءَهَا ضَحِكٌ وَإِنَّ بُكَاءَكَ ٱسْتِغْرَامُ
هُنَّ ٱلْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَافَةً مِنْ حَائِهِنَّ فَإِنَّهُنَّ حِمَامُ

وقال البحتري

٢٤٠ مَا لِخُضْرٍ يَنُحْنَ فِي ٱلْقُضُبِ ٱلْخُضْـ ـرِ عَلَى كُلِّ صَاحِبٍ مَفْقُودِ*
عَاطِلَاتٌ بَلْ حَالِيَاتٌ يُرَدِّدْ نَ ٱلشَّجَى فِي قَلَائِدٍ وَعُقُودِ
زِدْنَنِي صَبْوَةً وَذَكَّرْنَنِي عَهْـ ـدًا قَدِيمًا مِنْ نَاقِضٍ لِلْعُهُودِ
مَا يُرِيدُ ٱلْحَمَامُ فِي كُلِّ وَادٍ مِنْ عَمِيدٍ صَبٍّ بِغَيْرِ عَمِيدِ

كُلَّمَا أُخْمِدَتْ لَهُ نَارُ شَوْقٍ هِجْنَهَا بِٱلْبُكَاءِ وَٱلتَّغْرِيدِ

وقال بعض الاعراب

إِلَى ٱللهِ أَشْكُو مُقْلَةً أَزْيَحِيَّةً   وَقَلْباً مَتَى يَعْرِضْ لَهُ ٱلشَّوْقُ يَرْجُفُ
وَنَفْساً تَمَنَّى مَخْرَجاً مِنْ وِعَاءِهَا   إِذَا سَمِعَتْ صَوْتَ ٱلْحَمَامَةِ تَهْتِفُ

وقال يزيد بن الطثرية

وَأَسْلَمَنِي ٱلْبَاكُونَ إِلَّا حَمَامَةً   مُطَوَّقَةً قَدْ صَانَعَتْ مَا أُصَانِعُ
إِذَا نَحْنُ أَنْفَدْنَا ٱلدُّمُوعَ عَشِيَّةً   فَمَوْعِدُنَا قَرْنٌ مِنَ ٱلشَّمْسِ طَالِعُ

وقال بعض الادباء

نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ بِبَابِ ٱلطَّاقِ   فَجَرَتْ سَوَابِقُ دَمْعِكَ ٱلْمُهْرَاقِ
حَنَّتْ إِلَى أَرْضِ ٱلْحِجَازِ بِحُرْقَةٍ   تُشْجِي فُؤَادَ ٱلْهَائِمِ ٱلْمُشْتَاقِ
إِنَّ ٱلْحَمَائِمَ لَمْ تَزَلْ بِحَنِينِهَا   قِدْماً تُبَكِّي أَعْيُنَ ٱلْعُشَّاقِ
كَانَتْ تُفَرِّخُ بِٱلْأَرَاكِ وَرُبَّمَا   سَكَنَتْ بِنَجْدٍ فِي فُرُوعِ ٱلسَّاقِ
فَأَتَى ٱلْفِرَاقُ بِهَا ٱلْعِرَاقَ فَأَصْبَحَتْ   بَعْدَ ٱلْأَرَاكِ تَنُوحُ فِي ٱلْأَسْوَاقِ
فَتَبِعْتُهَا لَمَّا سَمِعْتُ حَنِينَهَا   وَعَلَى ٱلْحَمَامَةِ جُدْتُ بِٱلْإِطْلَاقِ
بِي مِثْلُ مَا بِكِ يَا حَمَامَةُ فَٱسْأَلِي   مَنْ فَكَّ أَسْرَكِ أَنْ يَفُكَّ وَثَاقِي

وقال بعض الاعراب

صَدُوحُ ٱلضُّحَى هَيَّاجَةُ ٱللَّحْنِ لَمْ تَزَلْ   قُيُودُ ٱلْهَوَى تُهْدَى لَهَا وَتَقُودُهَا
جَزُوعٌ جَمُودُ ٱلْعَيْنِ دَائِمَةُ ٱلْبُكَا   وَكَيْفَ بُكَا ذِي مُقْلَةٍ وَجُمُودُهَا* ٢٤١
مُطَوَّقَةٌ لَمْ تُطْرِبِ ٱلْعَيْنَ فِضَّةٌ   عَلَيْهَا وَلَمْ يَعْطَلْ مِنَ ٱلْحَلْيِ جِيدُهَا

وقال آخر

مُطَوَّقَةٌ لَا تَفْتَحُ ٱلْفَمَ بِٱلَّذِي   تَقُولُ وَقَدْ هَاجَتْ لِيَ ٱلشَّوْقَ أَجْمَعَا
تُؤَلِّفُ أَحْزَانًا تَفَرَّقْنَ بِٱلْهَوَى   إِذَا وَافَقَتْ شِعْبَ ٱلْفُؤَادِ تَصَدَّعَا

دَعَتْ سَاقَ حُرٍّ بِالْمَرَاوِيحِ وَٱنْتَحَتْ لَهَا ٱلرِّيحَ فِي وَادٍ فِرَاخٌ فَأَسْرَعَا
وَحَقٌّ لِمَصْبُوبِ ٱلْحَشَا بِيَدِ ٱلْهَوَى إِذَا حَنَّ بَاكٍ أَنْ يَحِنَّ وَيَجْزَعَا

وقال آخر

أَلَا هَلْ إِلَى قُمْرِيَّةٍ فِي حَمَائِمٍ بِنَخْلَةَ أَوْ بِالْمَرْجَتَيْنِ سَبِيلُ
فَتُلْبِسَنِي قُمْرِيَّةٌ مِنْ جَنَاحِهَا وَذَلِكَ نَيْلٌ لِلْمُحِبِّ قَلِيلُ
مُطَوَّقَةٌ طَوْقًا تَرَى لِفُصُوصِهِ رَوَائِعَ يَاقُوتٍ لَهُنَّ فُصُولُ

وقال آخر

رُوَيْدَكَ يَا قُمْرِيُّ لَسْتَ بِمُضْمِرٍ مِنَ ٱلشَّوْقِ إِلَّا دُونَ مَا أَنَا مُضْمِرُ
لِيَكْفِكَ أَنَّ ٱلْقَلْبَ مُنْذُ تَنَكَّرَتْ أُمَامَةُ مِنْ مَعْرُوفِهَا مُتَنَكِّرُ
سَقَى ٱللّٰهُ أَيَّامًا خَلَتْ وَلَيَالِيًا فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عَهْدُهَا وَٱلتَّذَكُّرُ
لَئِنْ كَانَتِ ٱلدُّنْيَا عَنَتْنَا إِسَاءَةً لَمَا أَحْسَنَتْ فِي سَالِفِ ٱلدَّهْرِ أَكْثَرُ

وقال بعض العقيليين

لَقَدْ هَاجَ لِي شَوْقًا وَمَا كُنْتُ سَالِيًا وَلَا كُنْتُ لَوْ رُمْتُ ٱصْطِبَارًا لِأَصْبِرَا
حَمَامَةُ وَادٍ هَيَّجَتْ بَعْدَ هَجْعَةٍ حَمَائِمَ وُرْقًا مُسْعِدًا أَوْ مُعَذِّرَا
كَأَنَّ حَمَامَ ٱلْوَادِيَيْنِ وَدَوْمَةٍ نَوَائِحُ قَامَتْ إِذْ دَجَى ٱللَّيْلُ حُسَّرَا
مُحَلَّاةُ طَوْقٍ لَيْسَ تَخْشَى ٱنْقِضَابَهُ إِذَا هَمَّ أَنْ يَهْوِي تَبَدَّلُ آخَرَا
٢٤٢ دَعَتْ فَوْقَ سَاقٍ دَعْوَةً وَتَنَاوَلَتْ بِهَا صحرا على بديل لِتَحْذَرَا

وَإِنَّ هٰذَا لَمِنْ نَفِيسِ ٱلْكَلَامِ قَدِ ٱشْتَمَلَ عَلَى لَفْظٍ فَصِيحٍ وَمَعْنًى صَحِيحٍ أَلَا تَرَى إِلَى ٱحْتِرَازِهِ مِنْ أَنْ يَتَوَهَّمَ سَامِعُ كَلَامِهِ أَنَّ ٱلْحَمَامَ أَعَادَ لَهُ ٱلشَّوْقَ بَعْدَ سَلْوَتِهِ أَوْ رَدَّ عَلَيْهِ مَا كَانَ ذَهَبَ مِنْ صَبْوَتِهِ ثُمَّ مَا عَقَّبَ بِهِ بَعْدَ ذٰلِكَ مِنَ ٱلْجَزَالَةِ ٱلسَّهْلَةِ وَٱلرِّقَّةِ ٱلْمُسْتَحْسَنَةِ

ولقد احسن الذي يقول

وَقَبْلِيَ أَبْكَى كُلَّ مَنْ كَانَ ذَا هَوًى … هَتُوفُ ٱلْبَوَاكِي وَٱلدِّيَارُ ٱلْبَلَاقِعُ
وَهُنَّ عَلَى ٱلْأَطْلَالِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ … نَوَائِحُ مَا تَخْضَلُّ مِنْهَا ٱلْمَدَامِعُ
مُزَبْرَجَةُ ٱلْأَعْنَاقِ نُمْرٌ ظُهُورُهَا … مُخَطَّمَةٌ بِٱلدُّرِّ خُضْرٌ رَوَائِعُ
وَمِنْ قِطَعِ ٱلْيَاقُوتِ صِيغَتْ عُقُودُهَا … خَوَاضِبُ بِٱلْحِنَّاءِ مِنْهَا ٱلْأَصَابِعُ

واحسن ايضاً الذي يقول

وَقَدْ كِدْتُ يَوْمَ ٱلْحَزْنِ لَمَّا تَرَنَّمَتْ … هَتُوفُ ٱلضُّحَى مَحْزُونَةً بِٱلتَّرَنُّمِ
أَمُوتُ لِمَبْكَاهَا أَسًى إِنَّ لَوْعَتِي … وَوَجْدِي بِسُعْدَى قَاتِلٌ لِي فَأَعْلَمِ
فَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً … بِسُعْدَى شَفَيْتُ ٱلنَّفْسَ قَبْلَ ٱلتَّنَدُّمِ
وَلٰكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَيَّجَ لِيَ ٱلْبُكَا … هَوَاهَا فَقُلْتُ ٱلْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ

وقال حميد بن ثور

وَمَا هَاجَ هٰذَا ٱلشَّوْقَ إِلَّا حَمَامَةٌ … دَعَتْ سَاقَ حُرٍّ نَوْحَةً وَتَرَنُّمَا
بَكَتْ شَجْوَ ثَكْلَى قَدْ أُصِيبَ حَمِيمُهَا … مَخَافَةَ بَيْنٍ يَتْرُكُ ٱلْحَبْلَ أَجْذَمَا
فَلَمْ أَرَ مِثْلِي شَاقَهُ صَوْتُ مِثْلِهَا … وَلَا عَرَبِيًّا شَاقَهُ صَوْتُ أَعْجَمَا

وقال آخر

يَهِيجُ عَلَيَّ ٱلشَّوْقَ نَوْحُ حَمَامَةٍ … دَعَتْ شَجْوَهَا فِي إِثْرِ إِلْفٍ تَشَوُّقَا
دَعَتْ فَبَكَتْ عَيْنَا مُحِبٍّ لِصَوْتِهَا … وَفَاضَ لَهَا مَاءُ ٱلْهَوَى فَتَرَقْرَقَا
يَلَذُّ بِهَا ٱلرَّائِي جَنَاحًا مُوَجَّلًا … وَمَتْنًا سَمَاوِيًّا مِنَ ٱللَّوْنِ أَزْرَقَا* ٢٤٣
خَفَضْتُ إِلَيْهَا ٱلْقَلْبَ حَتَّى تَشَرَّبَتْ … حَلَاوَتَهَا أَحْشَاؤُهُ فَتَشَوَّقَا
أَقُولُ لَهَا نُوحِي أُعِنْكِ وَلَمْ أَكُنْ … لِأُسْعِدَ بِٱلْأَمْسِ ٱلْحَمَامَ ٱلْمُطَوَّقَا

ولبعض اهل هذا العصر

أَرَى نَوْحَ ٱلْحَمَامِ يَشُوقُ قَوْمًا … وَفِي نَوْحِ ٱلْحَمَائِمِ لِي عَزَاءُ
إِذَا بَكَتِ ٱلْحَمَائِمُ وَهْيَ وَحْشٌ … وَأَزْعَجَهَا ٱلتَّفَرُّقُ وَٱلْجَفَاءُ

فَمَا جَزَعَ ٱلْأَنِيسِ مِنَ ٱلتَّصَابِي ... إِذَا ٱمْتَنَعَ ٱلتَّزَاوُرُ وَٱللِّقَاءُ

الباب الرابع والثلاثون

مَنِ ٱمْتُحِنَ بِٱلْمُفَارَقَةِ وَٱلْهَجْرِ ٱشْتَغَلَ فِكْرُهُ بِٱلْعِيَافَةِ وَٱلزَّجْرِ

سَبِيلُ كُلِّ مَشْغُوفٍ بِشَيْءٍ مَا كَانَ أَنْ يَحْذَرَ عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي قَبْضَتِهِ وَيَرْجُو رُجُوعَهُ إِذَا خَرَجَ عَنْ يَدِهِ فَٱلْمُحِبُّ مَا دَامَ مُقِيماً مَعَ مَحْبُوبِهِ فَخَوَاطِرُهُ مَوْقُوفَةٌ عَلَى ٱلْحَذَرِ عَلَيْهِ مِنَ ٱلزَّوَالِ وَفِكْرُهُ مُرْتَهَنَةٌ بِٱلْخَوْفِ مِنْ تَغَيُّرِ ٱلْحَالِ فَإِذَا فَارَقَ مَحْبُوبَهُ وَٱفْتَقَدَ مَطْلُوبَهُ ٱشْتَغَلَتْ خَوَاطِرُهُ بِتَأْمِيلِ أَوْبَتِهِ كَٱشْتِغَالِهَا بِمُحَاذَرَةِ فُرْقَتِهِ إِذْ هُوَ غَيْرُ خَالٍ مِنَ ٱلْأَحْوَالِ فَتَرَاهُ حِينَئِذٍ يَتَيَامَنُ بِٱلسَّوَانِحِ حَسْبَ تَشَاؤُمِهِ بِٱلْبَوَارِحِ وَقَدْ قَالَتِ ٱلشُّعَرَاءُ فِي كُلِّ ذٰلِكَ وَنَحْنُ إِنْ شَاءَ ٱللهُ نَذْكُرُ مِنْ أَقَاوِيلِهِمْ حَسْبَ مَا يَحْتَمِلُهُ ٱلْبَابُ إِذْ كُنَّا غَيْرَ مُتَجَاوِزِينَ لِمَا شَرَطْنَاهُ فِي صَدْرِ ٱلْكِتَابِ

قال عبد الله بن قيس الرقيات

بَشَّرَ ٱلظَّبْيُ وَٱلْغُرَابُ بِسُعْدَى ... مَرْحَباً بِٱلَّذِي يَقُولُ ٱلْغُرَابُ
قَالَ لِي إِنَّ خَيْرَ سُعْدَى قَرِيبٌ ... قَدْ أَنَى أَنْ يَكُونَ مِنْهُ ٱقْتِرَابُ
قُلْتُ أَنَّى تَكُونُ سُعْدَى قَرِيباً ... وَعَلَيْهَا ٱلْحُصُونُ وَٱلْأَبْوَابُ
حَبَّذَا ٱلرِّيمُ وَٱلْوِشَاحَانِ وَٱلْقَصْـ ... ـرُ ٱلَّذِي لَا تَنَالُهُ ٱلْأَسْبَابُ
٢٤٤ فَعَسَى أَنْ يُؤَتِّيَ ٱللهُ أَمْرًا ... لَيْسَ فِي غِبِّهِ عَلَيْنَا ٱرْتِقَابُ*

قال آخر

نَعَبَ ٱلْغُرَابُ بِرُؤْيَةِ ٱلْأَحْبَابِ ... فَلِذَاكَ صِرْتُ أَلِيفَ كُلِّ غُرَابِ

لَا شُكَّ رِيشُكَ إِذْ نَعَبْتَ بِقُرْبِهِمْ   وَسُقِيتَ مُزْنَ صَبِيبِ كُلِّ سَحَابِ
وَسَكَنْتَ بَيْنَ حَدَائِقٍ فِي جَنَّةٍ   مَحْفُوفَةٍ بِٱلنَّخْلِ وَٱلْأَعْنَابِ

وقال الراعي

جَرَى يَوْمَ رُحْنَا عَامِدِينَ لِأَهْلِهَا   عُقَابٌ فَقَالَ ٱلْقَوْمُ مَرَّ سَنِيحُ
وَكَرَّ رِجَالٌ مِنْهُمُ وَتَرَاجَعُوا   فَقُلْتُ لَهُمْ طَيْرٌ إِلَيَّ بَرِيحُ
عُقَابٌ بِأَعْقَابٍ مِنَ ٱلدَّارِ بَعْدَمَا   مَضَتْ نِيَّةٌ[تُقْصِي] ٱلْمُحِبَّ طَرُوحُ
وَقَالُوا نَرَاهُ هُدْهُدًا فَوْقَ بَانَةٍ   هُدًى وَبَيَانٌ وَٱلطَّرِيقُ تَلُوحُ
وَقَالُوا دَمٌ دَامَتْ مَوَدَّةُ بَيْنِنَا   وَدَامَ لَنَا صَفْوٌ صَفَاهُ صَرِيحُ

وقال جران العود

جَرَى يَوْمَ جِئْنَا بِٱلْجِمَالِ نَزُفُّهَا   عُقَابٌ وَشَحَّاجٌ مِنَ ٱلْبَيْنِ يَبْرَحُ
فَأَمَّا ٱلْعُقَابُ فَهْوَ مِنْهَا عُقُوبَةٌ   وَأَمَّا ٱلْغُرَابُ فَٱلْغَرِيبُ ٱلْمُطَرَّحُ

أَفَلَا تَرَى إِلَى تَقَارُبِ مَا بَيْنَ هٰذَيْنِ ٱلتَّأْوِيلَيْنِ ٱلرَّاعِي لِأَنَّهُ كَانَ مُفَارِقاً لِأَحْبَابِهِ وَجَرَى ٱلْعُقَابُ بِٱلْأَعْقَابِ مِنَ ٱلدَّارِ وَرُجُوعِ ٱلْحَالِ إِلَى مَا يَهْوَى لِضُعْفِ ٱلْمَخَاوِفِ مِنَ ٱلْمُفَارِقِ وَقُوَّةِ ٱلْآمَالِ وَهٰذَا لِأَنَّهُ كَانَ مُقِيماً مَعَ أَحِبَّتِهِ وَجَرَى ٱلْعُقَابُ بِٱلْعُقُوبَةِ مِنْ صَاحِبَتِهِ فَهٰذَا كُلُّهُ شَاهِدٌ لِمَا قَدْ ذَكَرْنَاهُ

وقال جحدر العقيلي

تَغَنَّى ٱلطَّائِرَانِ بِبَيْنِ سُعْدَى   عَلَى غُصْنَيْنِ مِنْ غَرَبٍ وَبَانِ
فَقُلْتُ لِصَاحِبَيَّ وَكُنْتُ أَحْرَى   بِزَجْرِ ٱلطَّيْرِ مَاذَا تُخْبِرَانِ
فَقَالَا ٱلدَّارُ جَامِعَةٌ بِسُعْدَى   فَقُلْتُ بَلَ ٱنْتُمَا مُتَمَنِّيَانِ
وَكَانَ ٱلْبَانُ أَنْ بَانَتْ سُلَيْمَى   وَفِي ٱلْغَرَبِ ٱغْتِرَابٌ غَيْرُ دَانِي * ٢٤٥
إِذَا جَاوَزْتُمَا سُعُفَاتِ حِجْرٍ   وَأَكْنَافَ ٱلْيَمَامَةِ فَٱنْعِيَانِي

وقال آخر

رَأَيتُ غُرَابًا وَاقِعًا فَوقَ بَانَـةٍ   يُشَرْشِرُ أَعلَى رِيشِهِ وَيُطَـايِرُهْ
فَقُلْتُ لَوَ انِّي لَوْ أَشَارَ زَجرتُـهُ   بِنَفْسِيَ لِلنَّهْدِيِّ هَلْ أَنتَ زَاجِرُهْ
فَقَالَ غُرَابٌ بِٱغتِرَابٍ مِنَ ٱلنَّوَى   وَفِي ٱلْبَانِ بَيْنٌ مِن حَبِيبٍ تُجَاوِرُهْ
فَمَا أَعيَفَ ٱلنَّهْـدِيَّ لَا دَرَّ دَرُّهُ   وَأَزْجَرَهُ لِـلطَّيْرِ لَا عَزَّ نَاصِرُهْ

وقال عروة بن حزام

أَلَا يَا غُرَابَيْ دِمْنَـةِ ٱلدَّارِ بَيِّنَـا   أَبِـٱلصَّرْمِ مِنْ عَفرَاءَ تَنْتَحِبَـانِ
فَإِنْ كَانَ حَقًّا مَا تَقُولَانِ فَٱنْهَضَا   بِلَحْمِي إِلَى وَكْرَيْـكُمَا فَـكُلَانِي
وَلَا يَدْرِيَنَّ ٱلنَّاسُ مَـا كَانَ مِيتَتِي   وَلَا يَأْكُلَنَّ ٱلطَّيْرُ مَـا تَذَرَانِ
فَعَفْرَاءُ أَصفَى ٱلنَّاسِ عِندِي مَوَدَّةً   وَعَفرَاءُ عَنِّي ٱلْمُعْرِضُ ٱلْمُتَوَانِي

وقال قيس بن ذريح

أَلَا يَا غُرَابَ ٱلْبَيْنِ قَدْ طِرْتَ بِٱلَّذِي   أُحَاذِرُ مِنْ لُبْنَى فَهَـلْ أَنتَ وَاقِعُ
أَتَبْـكِي عَـلَى لُبْنَى وَأَنتَ تَرَكْتَهَا   فَقَدْ ذَهَبَتْ لُبْنَى فَمَا أَنتَ صَـانِعُ
وَطَارَ غُرَابُ ٱلْبَيْنِ وَٱنْشَقَّتِ ٱلْعَصَا   بِلُبْنَى كَمَـا شَقَّ ٱلْأَدِيمَ ٱلصَّوَانِعُ

وقال آخر

أَلَا يَا غُرَابَيْ دَارِ أَسمَاءَ بَشِّرَا   بِخَيْرٍ وَطِيرَا بَعْدَنَا ٱلْيَومَ أَوْ قَعَـا
فَقَـدْ كُنتُمَا وَٱللهِ حِينَ نَعَبْتُمَـا   كَدَاعٍ دَعَا بِٱلْبَيْنِ عُدْوَى فَأَسْمَعَا
وَلَا وَجْدَ إِلَّا دُونَ وَجْدٍ وَجَدْتُـهُ   غَدَا إِذْ وَجَدْنَا عَرْصَةَ ٱلدَّارِ بَلْقَعَا

وقال آخر

٢٤٦ جَرَى نَازِحٌ مِنْ آلِ زَيْنَبَ غُدْوَةً   أَمَامَ ٱلْمَطَايَا أَعْوَرُ ٱلْعَيْنِ أَعْصَبُ*
وَأَسْحَمُ شَحَّـاجٌ عَلَى غُصْنِ بَانَةٍ   مُقَـدَّدُ أَطْرَافِ ٱلْجَنَاحَيْنِ يَنْعَبُ
فَلَا طَارَ إِلَّا فِي ٱلنَّوَاهِضِ بَعْـدَهَا   غُرَابٌ وَبَاتَ ٱلطَّيْرُ فِي ٱلْحَبْلِ يَضْرِبُ

وقال الضحاك الخفاجي

أَلَا يَزْجُرُ ٱلْأُلَّافُ وَٱلنَّاشِطُ ٱلْفَرْدَا   بَلَى بِٱللِّوَى بُعْدًا [لَهُ] إِذْ جَرَى بُعْدَا

جَرَى بِٱنْحِلَالِ ٱلشَّوْقِ فِي دَاخِلِ ٱلْحَشَا   وَمُسْتَعْجِمٍ لَا يَسْتَطِيعُ لَهُ رَدَّا

وقال ثوابة بن زيات الاسدي

أَلَا يَا غُرَابَيْ بَيْنِ ظَلْمَاءَ طَالَمَا   تَعَرَّضْتُمَا لِي تَنْزِعَانِ شَجَاكُمَا

فَيَا لَكُمَا مِنْ طَائِرَيْنِ شَجِيتُمَا   بِشَحْطِ ٱلنَّوَى حَتَّى يَطُولَ جَوَاكُمَا

وقال عدي بن زيد

دَعَا صُرَدٌ يَوْمًا عَلَى عُودِ شَوْحَطٍ   وَصَاحَ بِذَاتِ ٱلْبَيْنِ مِنْهَا غُرَابُهَا

فَقُلْتُ أَتَصْرِيدًا وَشَحْطًا وَغُرْبَةً   وَبَيْنًا فَهَذَا بَيْنُهَا وَٱغْتِرَابُهَا

وقال قيس بن ذريح

أَلَا يَا غُرَابَ ٱلْبَيْنِ لَوْنُكَ شَاحِبٌ   وَأَنْتَ بِلَوْعَاتِ ٱلْفِرَاقِ جَدِيرُ

فَإِنْ كَانَ حَقًّا مَا تَقُولُ فَأَصْبَحَتْ   هُمُومُكَ شَتَّى بَثُّهُنَّ كَثِيرُ

وَدُرْتَ بِأَعْدَاءٍ حَبِيبُكَ فِيهِمِ   كَمَا قَدْ تَرَانِي بِٱلْعَدُوِّ أَدُورُ

وقال جميل بن معمر

أَلَا يَا غُرَابَ ٱلْبَيْنِ فِيمَ تَصِيحُ   فَصَوْتُكَ مَشْنِيٌّ إِلَيَّ قَبِيحُ

وَكُلَّ غَدَاةٍ لَا أَبَا لَكَ تَنْتَحِي   إِلَيَّ فَتَلْقَانِي وَأَنْتَ مُشِيحُ

تُحَدِّثُنِي أَنْ لَسْتُ لَاقِيَ نِعْمَةٍ   بُعِثْتَ وَلَا أَمْسَى لَدَيْكَ نَصِيحُ

فَإِنْ لَمْ تَهِجْنِي ذَاتَ يَوْمٍ فَإِنَّهُ   سَيَكْفِيكَ وَرْقَاءُ ٱلسَّرَاةِ صَدُوحُ

٢٤٧ وقال ابو ذؤيب الهذلي*

أَبِٱلصَّرْمِ مِنْ أَسْمَاءَ خَبَّرَكَ ٱلَّذِي   جَرَى بَيْنَنَا يَوْمَ ٱسْتَقَلَّتْ رِكَابُهَا

زَجَرْتُ لَهَا طَيْرَ ٱلشِّمَالِ فَإِنْ تُصِبْ   هَوَاكَ ٱلَّذِي تَهْوَى يُصِبْكَ ٱجْتِنَابُهَا

عَصَانِي إِلَيْهَا ٱلْقَلْبُ إِنِّي لِأَمْرِهِ   سَمِيعٌ فَمَا أَدْرِي أَرُشْدٌ طِلَابُهَا

فَقُلْتُ لِقَلْبِي يَا لَـكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّمَا   يُدَلِّيكَ لِلْمَوْتِ ٱلصَّرِيحِ ٱجْتِنَابُهَا

وقال جرير

بَانَ ٱلْخَلِيطُ بِرَامَتَيْنِ فَوَدَّعُوا   أَوَ كُلَّمَا رَفَعُوا لِبَيْنٍ تَجْزَعُ
أَنَّ ٱلشَّوَاحِجَ بِٱلضُّحَى هَيَّجْنَنِي   فِي دَارِ زَيْنَبَ وَٱلْحَمَامُ ٱلْوُقَّعُ
نَعَبَ ٱلْغُرَابُ فَقُلْتُ بَيْنٌ عَاجِلٌ   وَجَرَى بِهِ ٱلصُّرَدُ ٱلْغَدَاةَ ٱلْأَلْمَعُ ٥

وقال آخر

أَلَا يَا غُرَابَ ٱلْبَيْنِ مَا لَكَ كُلَّمَا   ذَكَرْتُ لُبَيْنَى طِرْتَ لِي عَنْ شِمَالِيَا
أَعِنْدَكَ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ أَمْ أَنْتَ مُخْبِرِي   بِحَقٍّ عَنِ ٱلْأَمْرِ ٱلَّذِي قَدْ بَدَا لِيَا
فَلَا حَمَلَتْ رِجْلَاكَ عُشًّا لِبَيْضَـةٍ   وَلَا زَالَ رِيشٌ مِنْ جَنَاحِكَ بَالِيَـا

وقال بعض الاعراب

أَلَا يَا غُرَابَ ٱلْبَيْنِ هَلْ أَنْتَ بَائِعِي   جَنَاحَيْكَ أَمْ مُسْتَبْدِلًا بِهِمَا بُرْدِي
فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْـدَهُ وَأَبُثُّـهُ   مِنَ ٱلشَّوْقِ حَتَّى جَاءَنِي فَبَكَا عِنْدِي

وقال آخر

كَذَبْتَ غُرَابَ ٱلْبَيْنِ مَا أَنْتَ وَاجِدٌ   بِإِلْفٍ وَمَا شَوْقِي وَشَوْقُكَ وَاحِدُ
زَعَمْتَ لَحَاكَ ٱللهُ أَنَّكَ مُـذْنِفٌ   فَهَلْ لَكَ فِي دَعْوَاكَ وَيْحَكَ شَاهِدُ
يُتَرْجِمُ مَا يُخْفِي ٱلْمُحِبُّ دُمُوعُهُ   وَدَمْعِي مُنْصَبٌّ وَدَمْعُكَ جَامِـدُ
فَكَيْفَ هَوَانَا وَاحِدًا وَفَصَاحَتِي   تُصَرِّحُ عَنْ وَجْدِي وَلَفْظُكَ جَاحِدُ

٢٤٨ وقال آخر*

فَـأَوَّلُ طَيْرٍ حِينَ رُحْنَا عَشِيَّـةً   جَنُوبُ أُصَيْلَانًا وَقَدْ جَنَحَ ٱلْعَصْرُ
فَقُلْتُ جَنُوبٌ بِٱجْتِنَابِكَ أَهْلَهَـا   وَنَفْحُ ٱلصَّبَا تِلْكَ ٱلصَّبَابَةُ وَٱلْهَجْرُ
وَقَالَ غُرَابٌ بِٱغْتِرَابٍ مِنَ ٱلنَّوَى   وَقَطْعِ ٱلْهَوَى تِلْكَ ٱلْعِيَافَةُ وَٱلزَّجْرُ

وقال المرقش السدوسي

وَلَقَدْ غَدَوْتُ وَكُنْتُ لَا أَغْدُو عَلَى وَاقٍ وَحَاتِمْ
فَإِذَا ٱلْأَشَائِمُ كَٱلْأَيَا مِنِ وَٱلْأَيَامِنُ كَٱلْأَشَائِمْ
وَكَذَاكَ لَا خَيْرٌ وَلَا شَرٌّ عَلَى أَحَدٍ بِدَائِمْ

وقال الحارث بن سمر الحنفي

وَلَسْتُ بِمُشْفِقٍ مِنْ ضُرِّ نَجْمٍ وَلَا أَرْجُو ٱلْمَنَافِعَ فِي ٱلنُّجُومِ
وَمَا نَعَبَ ٱلْغُرَابُ لَنَا بِيُمْنٍ وَمَا نَعَبَ ٱلْغُرَابُ لَنَا بِشُومِ
وَلٰكِنْ مَا أَرَادَ ٱللّٰهُ أَمْضَى كَذٰلِكَ قُدْرَةُ ٱلرَّؤُفِ ٱلرَّحِيمِ

ولبعض اهل هذا العصر

أَيَا قَلْبُ لَا تَجْزَعْ مِنَ ٱلْبَيْنِ وَٱصْطَبِرْ فَلَسْتَ لِمَا يُقْضَى عَلَيْكَ بِدَافِعِ
تَوَكَّلْ عَلَى ٱلرَّحْمَانِ إِنْ كُنْتَ مُؤْمِناً يُجِرْكَ وَدَعْنِي مِنْ نُحُوسِ ٱلطَّوَالِعِ
فَكُلُّ ٱلَّذِي قَدْ قَدَّرَ ٱللّٰهُ وَاقِعٌ وَمَا لَمْ يُقَدِّرْهُ فَلَيْسَ بِوَاقِعِ

وقال جهم بن عبد الرحمان الاسدي

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْعَائِفَيْنِ وَلَوْ حَوَتْ لَكَ ٱلطَّيْرُ عَمَّا فِي غَدٍ عَمِيَانِ
يَظُنَّانِ ظَنّاً مَرَّةً يُخْطِئَانِهِ وَأُخْرَى عَلَى بَعْضِ ٱلَّذِي يَصِفَانِ
قَضَى ٱللّٰهُ أَلَّا يَعْلَمَ ٱلْغَيْبَ غَيْرُهُ فَفِي أَيِّ أَمْرِ ٱللّٰهِ تَمْتَرِيَانِ

وقال عروة بن الورد

٢٤٩ تَقُولُ سُلَيْمَى لَوْ أَقَمْتَ بِسِرِّنَا وَلَمْ تَدْرِ أَنِّي لِلْمُقَامِ أُطَوِّفُ*
أَرَى أُمَّ حَسَّانَ ٱلْغَدَاةَ تَلُومُنِي تُخَوِّفُنِي ٱلْأَقْدَارُ وَٱللّٰهُ أَخْوَفُ
لَعَلَّ ٱلَّذِي خَوَّفْتِنَا مِنْ أَمَامِنَا يُصَادِفُهُ مِنْ أَهْلِنَا ٱلْمُتَخَوِّفُ

وقال الكميت

وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَزْجُرُ ٱلطَّيْرَ هَمُّهُ أَصَاحَ غُرَابٌ أَمْ تَعَرَّضَ ثَعْلَبُ
وَلَا ٱلسَّانِحَاتُ ٱلْبَارِحَاتُ عَشِيَّةً أَمَرَّ سَلِيمُ ٱلْقَلْبِ أَمْ مَرَّ أَعْضَبُ

وقال مجنون بني عامر

أَلَا يَا غُرَابًا صَاحَ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهَا   أَفِقْ لَا أَفَقْتَ ٱلدَّهْرَ مِنْ صَيَحَانِ
وَلَا كُنْتَ مِنْ رَيْبِ ٱلْحَوَادِثِ سَالِمًا   جَنَاحَكَ إِنْ أَزْمَعْتَ بِٱلطَّيَرَانِ

وقال آخر

أَمِنْ أَجْلِ غِرْبَانٍ تَصَايَحْنَ غُدْوَةً   بِبَيْنِ حَبِيبٍ مَاءُ عَيْنَيْكَ يَسْفَحُ
أَلَا يَا غُرَابَ ٱلْبَيْنِ لَا صِحْتَ بَعْدَهَا   وَأَمْكَنَ مِنْ أَوْدَاجِ حَلْقِكَ مَذْبَحُ

وقال آخر

كَأَنِّي غَدَاةَ ٱلْبَيْنِ إِذْ صَاحَ شَاحِجٌ   مِنَ ٱلطَّيْرِ مَشْنِيُّ ٱلصِّيَاحِ لَعِينُ
سَلِيمٌ رَمَاهُ ٱلْحُزْنُ أَمَّا نَهَارُهُ   فَغَشْيٌ وَأَمَّا لَيْلُهُ فَأَنِينُ

وقال آخر

يَا طَائِرَيْ بَيْنِ سُعْدَى لَوْ أَبُثُّكُمَا   نَجِيَّ نَفْسِي وَحَاجَاتِي وَأَسْرَارِي
لَمْ تَفْجَعَانِي بِبَيْنٍ تَنْعَبَانِ بِهِ   وَلَمْ تُحِثَّا بِهِ وَجْدِي وَأَحْذَارِي

وقال آخر

وَكَادَ غَدَاةَ سَارَ ٱلْحَيُّ يُبْدِي   ضَمِيرَ ٱلْقَلْبِ تَشْحَاجُ ٱلْغُرَابِ
غَدَا بِي شَامِتًا وَغَدَوْتُ صَبًّا   يُرِينِي مَا بِهِ وَأُرِيهِ مَا بِي
يُضَاحِكُنِي فَيَضْحَكُ حِينَ أَبْكِي   كَذَلِكَ دَأْبُهُ أَبَدًا وَدَأْبِي* ٢٥٠
فَلَوْ أَنَّ ٱلْغُرَابَ يَرِقُّ يَوْمًا   لَرَقَّ لِطُولِ وَجْدِي وَٱكْتِئَابِي
لَعَلَّ ٱلدَّهْرَ يَقْلِبُ حَالَتَيْهِ   فَإِنَّ ٱلدَّهْرَ حَوْلٌ ذُو ٱنْقِلَابِ
فَيُقْلِقَهُ ٱشْتِيَاقٌ وَٱرْتِيَاحٌ   وَوَحْشَةُ ٱغْتِرَابٍ كَٱغْتِرَابِي

الباب الخامس والثلاثون

فِي حَنِينِ ٱلْبَعِيرِ ٱلْمُفَارِقِ أُنسٌ لِكُلِّ صَبٍّ وَامِقٍ

قال مرة بن عقيل

لَعَمْرِي لَقَدْ هَاجَتْ عَلَيَّ حَمَامَةٌ   قُلُوصَ ٱلْعَبَادِيِّينَ لَيْلَةَ حَلَّتِ
تَعَدَّتْ لَهَا وَٱللَّيْلُ مُلْقٍ رِوَاقَهُ   فَجَاوَبْنَهَا حَتَّى مَلَلْنَ وَمَلَّتِ

وقال تميم بن كميل الاسدي

يَحِنُّ قَعُودِي بَعْدَمَا كَمُلَ ٱلسُّرَى   بِنَخْلَةَ وَٱلضُّمْرُ ٱلْحَرَاجِيجُ ضُمَّرُ
يَحِنُّ إِلَى وِرْدِ ٱلْحُشَاشَةِ بَعْدَمَا   تَرَامَى بِهِ خَرْقٌ مِنَ ٱلْبِيدِ أَغْبَرُ
وَبَاتَ يَجُوبُ ٱلْبِيدَ وَٱللَّيْلُ مَائِلٌ   يُثَنِّي لِتَعْرِيسٍ يَحِنُّ وَأَزْفَرُ
وَبِي مِثْلُ مَا يَلْقَى مِنَ ٱلشَّوْقِ وَٱلْهَوَى   عَلَى أَنَّنِي أُخْفِي ٱلَّذِي بِي وَأُظْهِرُ
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا رَأَيْتُ ٱلَّذِي بِهِ   كِلَانَا إِلَى وِرْدِ ٱلْحُشَاشَةِ أَصْوَرُ
فَلَيْتَ ٱلَّذِي يَنْسَى تَذَكُّرَ إِلْفِهِ   وَسِرْبًا بِأَحْوَاضِ ٱلْحُشَاشَةِ يُنْحَرُ

وقال ايضاً

يَحِنُّ قَعُودِي ذُو ٱلْحِيَاطِ صَبَابَةً   بِمَكَّةَ وَهْنًا مِنْ تَذَكُّرِهِ نَجْدَا
تَذَكَّرَ نَجْدًا مَوْهِنًا بَعْدَ مَا ٱنْطَوَتْ   ثَمِيلَتُهُ وَٱزْدَادَ عَنْ إِلْفِهِ بُعْدَا
تَذَكَّرَ نَجْدًا حَادِيًا بَعْدَ قَادِمٍ   وَلَا يَلْبَثُ ٱلشَّوْقَانِ أَنْ يَصْدَعَا ٱلْكَبْدَا
فَقُلْتُ لَهُ قَدْ هِجْتَ بِي شَاعِفَ ٱلْهَوَى   أَصَابَ حِمَامُ ٱلْمَوْتِ أَضْعَفَنَا وَجْدَا

٢٥١ وقال آخر*

أَيُضْرَبُ جَوْنٌ أَنْ تَحِنَّ غَرِيبَةٌ   وَمَا ذَنْبُ جَوْنٍ أَنْ تَحِنَّ ٱلْأَبَاعِرُ

يَقُولُونَ لَا تَنظُرْ وَتِلْكَ بَلِيَّةٌ   بَلَى كُلُّ ذِي عَيْنَيْنِ لَا بُدَّ نَاظِرُ

وقال آخر

بَاتَتْ تُشَوِّقُنِي بِرَجْعِ حَنِينِهَا   وَأَزِيدُهَا شَوْقاً بِرَجْعِ حَنِينِي
نِضْوَيْنِ مُقْتَرِنَيْنِ بَيْنَ تِهَامَةٍ   طَوَيَا ٱلضُّلُوعَ عَلَى جَوًى مَكْنُونِ
لَوْ خَبَّرَتْ عَنِّي ٱلْقَلُوصُ لَخَبَّرَتْ   عَنْ مُسْتَقَرِّ صَبَابَةِ ٱلْمَحْزُونِ

وقال عروة بن حزام

هَوَى نَاقَتِي خَلْفِي وَقُدَّامِيَ ٱلْهَوَى   وَإِنِّي وَإِيَّاهَا لَمُخْتَلِفَانِ
فَلَوْ تَرَكَتْنِي نَاقَتِي مِنْ حَنِينِهَا   وَمَا بِيَ مِنْ وَجْدٍ إِذَنْ لَكَفَانِي
فَإِنْ تَحْمِلِي شَوْقِي وَشَوْقَكِ تُثْقَلِي   وَمَا لَكِ بِٱلْحِمْلِ ٱلثَّقِيلِ يَدَانِ

وقال آخر

تَحِنُّ قَلُوصِي نَحْوَ نَجْدٍ وَقَدْ أَرَى   بِعَيْنَيَّ أَنِّي لَسْتُ مُورِدَهَا نَجْدَا
وَلَا وَارِدًا أَمْوَاهَ أَجْبِلَةِ ٱلْحِمَى   وَإِنْ زَهِقَتْ نَفْسِي عَلَى وِرْدِهَا جُهْدَا

وقال النجاشي

رَأَتْ نَاقَتِي مَاءَ ٱلْفُرَاتِ وَذَوْقُهُ   أَمَرُّ مِنَ ٱلسُّمِّ ٱلذُّعَافِ وَأَمْقَرَا
وَرِيعَتْ مِنَ ٱلْعَاقُولِ لَمَّا رَأَتْ بِهِ   صِيَاحَ ٱلنَّبِيطِ وَٱلسَّفِينَ ٱلْمُقَيَّرَا
وَحَنَّتْ حَنِيناً مُوجِعاً هَيَّجَتْ بِهِ   فُؤَادًا إِلَى أَنْ يُدْرِكَ ٱلرَّبْوَ أَصْوَرَا
فَقُلْتُ لَهَا بَعْضَ ٱلْحَنِينِ فَإِنَّ بِي   كَوَجْدِكِ إِلَّا إِنَّنِي كُنْتُ أَصْبَرَا

وقال آخر

حَنَّتْ وَمَا عَقَلَتْ فَكَيْفَ إِذَا بَكَى   شَوْقاً يُلَامُ عَلَى ٱلْبُكَا مَنْ يَعْقِلُ
٢٥٢ ذَكَرَتْ قُرَى نَجْدٍ فَأَقْلَقَهَا ٱلْهَوَى   وَقُرَى ٱلْعِرَاقِ وَلَيْلُهُنَّ ٱلْأَطْوَلُ*
وَكَأَنَّمَا يُجْنَى لَهَا وَلِرَكْبِهَا   بِنِطَافِ دِجْلَةَ وَٱلْفُرَاتِ ٱلْحَنْظَلُ
وَتَمُرُّ مِنْ لُجَجِ ٱلسَّرَابِ مَوَارِقاً   وَٱلْخَرْقُ أَغْبَرُ وَٱلْقَتَامُ مُجَلِّلُ

فَعَدَتْ وَأَيْدِي ٱلصُّبْحِ تَلمَعُ فِي ٱلدُّجَى كَٱلْبِيضِ تُغْمَدُ تَارَةً وَتُسَلُّ

وقال جرير

أَرَى نَاقَتِي [تَشْكُو] طُرُوقاً وَشَاقَهَا   وَمِيضٌ إِلَى ذَاتِ ٱلسَّلَاسِلِ لَامِعُ
فَقُلْتُ لهَا حِنِّي رُوَيْدًا فَإِنَّنِي   إِلَى أَهْلِ نَجْدٍ مِنْ تِهَامَةَ نَازِعُ
فَلَمَّا رَأَتْ أَنْ لَا تَقُولَ وَإِنَّمَا   لَهَا مِنْ هَوَاهَا مَا تَجِنُّ ٱلْأَضَالِعُ
تَمَطَّتْ لِمَجْدُولٍ طَوِيلٍ فَطَالَعَتْ   وَمَاذَا مِنَ ٱلْبَرْقِ ٱلْيَمَانِي تُطَالِعُ

وقال آخر

وَحَنَّتْ قَلُوصِي آخِرَ ٱللَّيْلِ حَنَّةً   فَيَا رَوْعَةً مَا رَاعَ قَلْبِي حَنِينُهَا
سَمَتْ فِي عِقَالَيْهَا وَلَاحَ لِعَيْنِهَا   سَنَا بَارِقٍ وَهْناً فَجُنَّ جُنُونُهَا
فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى ٱرْعَوَيْنَا لِصَوْتِهَا   وَحَتَّى ٱنْبَرَى مِنَّا ٱلْمُعِينُ يُعِينُهَا
تَحِنُّ إِلَى أَهْلِ ٱلْحِجَازِ صَبَابَةً   وَقَدْ بُتَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْحِجَازِ قَرِينُهَا
فَيَا رَبِّ أَطْلِقْ قَيْدَهَا وَجَرِيرَهَا   فَقَدْ رَاعَنِي بِٱلْمَسْجِدَيْنِ حَنِينُهَا

وقال آخر

أَزَادَ ٱللّٰهُ نِقْيَكِ فِي ٱلسُّلَامَى   عَلَى مَنْ بِٱلْحَنِينِ تُعَوِّلِينَا
فَلَسْتِ وَإِنْ حَنَنْتِ أَشَدَّ وَجْدًا   وَلٰكِنِّي أُسِرُّ وَتُعْلِنِينَا
وَبِي مِثْلُ ٱلَّذِي بِكِ غَيْرَ أَنِّي   أُجِلُّ عَنِ ٱلْعِقَالِ وَتُعْقَلِينَا

وقالت امرأة من دارم

أَلَا أَيُّهَا ٱلْبَكْرُ ٱلْأَنَانِيُّ إِنَّنِي   وَإِيَّاكَ فِي كَلْبٍ لَمُغْتَرِبَانِ
تَحِنُّ وَأَبْكِي إِنَّ ذَا لَبَلِيَّةٌ   وَإِنَّا عَلَى ٱلْبَلْوَى لَمُصْطَلِحَانِ* ٢٥٣
فَمَنْ يَكُ لَمْ يَغْرَضْ فَإِنِّي وَنَاقَتِي   جَمِيعاً إِلَى أَهْلِ ٱلْحِمَى غَرِضَانِ
تَحِنُّ فَتُبْدِي مَا بِهَا مِنْ صَبَابَةٍ   وَأُخْفِي ٱلَّذِي لَوْلَا ٱلْمُنَى لَعَصَانِي

وقال آخر

كَتَمُوا غَدَاةَ ٱلْبَيْنِ رِحْلَتَهُمْ   فَعَرَفْتُهَا بِخَوَاطِرِ ٱلْقَلْبِ
فَتَبِعْتُهُمْ وَظَنَنْتُ أَنْ بَعُدُوا   وَإِذَا هُمُ مِنَّا عَلَى قُرْبِ
مَا زَالَ هَادِي ٱلشَّوْقِ يُرْشِدُنِي   حَتَّى لَحِقْتُ بِأَوَّلِ ٱلرَّكْبِ
ظَلَّتْ مَطَايَاهُمْ تُلَاحِظُنَا   وَدُمُوعُهَا سَكْباً عَلَى سَكْبِ
أَتَخَالُهَا عَشِقَتْ فَهُنَّ إِذَا   شُرَكَاؤُنَا وَأَبِيكَ فِي ٱلْحُبِّ

وقال الاحوص

تَذَكَّرَ سُلْمَى بَعْدَمَا حَالَ دُونَهَا   مِنَ ٱلنَّأْيِ مَا يُسْلِي فَهَلْ أَنْتَ صَابِرُ
فَأَنْتَ إِلَى سُلْمَى تَحِنُّ صَبَابَةً   كَمَا حَنَّ أُلَّافُ ٱلْمَطِيِّ ٱلسَّوَاجِرُ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَهَا أَنَّ ذَا ٱلْهَوَى   يَزِيدُ ٱشْتِيَاقاً أَنْ تَحِنَّ ٱلْأَبَاعِرُ
أَلَا حَبَّذَا سُلْمَى ٱلْفُؤَادُ وَحَبَّذَا   زِيَارَتُهَا لَوْ يُسْتَطَاعُ ٱلتَّزَاوُرُ
لَقَدْ بَخِلَتْ بِٱلْوُدِّ حَتَّى كَأَنَّهَا   خَلِيلُ صَفَاءٍ غَيَّبَتْهُ ٱلْمَقَابِرُ
فَإِنْ أَكُ قَدْ وَدَّعْتُهَا وَهَجَرْتُهَا   فَمَا عَنْ تَقَالٍ كَانَ ذَاكَ ٱلتَّهَاجُرُ
أَلَا لَيْتَ أَنَّا لَمْ نَكُنْ قَبْلُ جِيرَةً   جَمِيعاً أَلَا يَا لَيْتَ دَامَ ٱلتَّجَاوُرُ
سَيَلْقَى لَهَا فِي ٱلصَّدْرِ مِنْ مُضْمَرِ ٱلْحَشَا   سَرِيرَةُ وُدٍّ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَائِرُ

وَقَدْ قَالَتِ ٱلشُّعَرَاءُ أَيْضاً فِي تَفْضِيلِ مَا بَيْنَ حَنِينِهِمْ وَحَنِينِ ٱلْإِبِلِ فِي تَشَاؤُمِهِمْ بِهَا وَتَطَيُّرِهِمْ مِنْهَا أَشْعَارًا كَثِيرَةً فَمِمَّا ذَكَرُوهُ فِي وَصْفِ حَنِينِهِمْ وَحَنِينِهَا

قول ثعلبة بن اوس الكلابي

٢٥٤ وَمَا عَوْدٌ يَحِنُّ بِبَطْنِ نَجْدٍ   مُغَالَى ٱلشَّوْقِ مُضْطَمِرٌ قَلِيلَا*
إِلَى وَادٍ تَذَكَّرَ عُذْوَتَيْهِ   أَسَنَّ بِهِ وَكَانَ بِهِ فَصِيلَا
فَبُدِّلَ مَشْرَبًا مِنْ ذَاكَ مِلْحاً   وَظِمْأً بَعْدَ قِصْرَتِهِ طَوِيلَا
يَحِنُّ إِلَى ٱلْجَنَائِبِ هَيَّجَتْهُ   ضُحَيًّا أَوْ هَبَبْنَ لَهُ أَصِيلَا

بِأَكْثَرَ غُلَّــةً مِنِّي وَجُهْـدًا   عَلَى إِضْمَارِيَ ٱلْهَجْرَ ٱلطَّوِيلَا

وقال ايضاً

وَمَا ذُو شُقَّــةٍ يَقْضِي [حَنِيناً]   بِنَجْـدٍ كَانَ مُغْتَرِبًا مَرِيعَــا

يُمَــارِسُ دَاعِياً لَا لِينَ فِيــهِ   وَقَيْدًا قَدْ أَضَرَّ بِــهِ وَجِيعَا

إِذَا مَا ٱلْبَرْقُ لَاحَ لَــهُ سَنَاهُ   حِجَازِيًّا سَمِعْتَ لَهُ سَجِيعَــا

وانشدني اعرابي بالبادية

خَلِيلَيَّ جَنْجَنْتُ ٱلْهَوَى وَكَتَمْتُهُ   زَمَانًا فَقَــدْ أَضْحَى بِجِسْمِي بَادِيَا

كَمَا جَمْجَمَتْ [وَجْنَاءُ] قَدْطَالَ حَبْسُهَا   وَأَكْثَرَ فِيهَا ٱلنَّاظِرُونَ ٱلتَّمَــادِيَا

فَلَمَّا ٱسْتَبَانُوا مَــا بِهَا جَعَلُوا لَهَا   سِوَى مَرْبَعِ ٱلْأُلَّافِ قَيْدًا وَدَاعِيَا

وقال آخر

لَعَمْرُكَ مَا خُوصُ ٱلْعُيُونِ شَوَارِقٌ   رَوَائِمُ أَظْــآرٌ عَطَفْنَ عَلَى سَقْبِ

يُغَذِّينَــهُ لَوْ يَسْتَطِعْنَ ٱرْتَشَفْنَــهُ   إِذَا ٱسْتَفَّهُ يَزْدَدْنَ نَكْبًا عَلَى نَكْبِ

بِأَوْجَــدَ مِنِّي يَوْمَ وَلَّتْ حُمُولُهُمْ   وَقَدْ طَلَعَتْ أُولَى ٱلرِّكَابِ مِنَ ٱلنَّقْبِ

وانشدني اعرابي ببلاد نجد

مَتَى تَظْعَنِي يَا مَيُّ مِنْ دَارِ جِيرَتِي   أَمُتْ وَٱلْهَوَى بَرْحٌ عَلَى مَنْ يُطَالِبُهْ

أَكُنْ مِثْلَ ذِي ٱلْأُلَّافِ شُدَّ وَظِيفُهُ   إِلَى يَدِهِ ٱلْأُخْرَى وَوَلَّى صَوَاحِبُهْ

تَبَــارَيْنَ أَظْــلَافاً وَقَارَبَ خَطْوَهُ   عَنِ ٱلذَّوْدِ تَقْيِيدًا وَهُنَّ حَبَــائِبُهْ

إِذَا حَنَّ لَمْ يُسْمَعْ رَجِيعُ حَنِينِــهِ   فَلَا ٱلْقَيْدُ مُنْحَلٌّ وَلَا هُوَ قَاضِبُهْ* ٢٥٥

وقال عروة بن اذينة

وَتَفَرَّقُوا بَعْــدَ ٱلْجَمِيعِ لِنِيَّــةٍ   لَا بُــدَّ أَنْ يَتَفَرَّقَ ٱلْجِيرَانُ

لَا تَصْبِرُ ٱلْإِبِلُ ٱلْجِــلَادُ تَفَرَّقَتْ   حَتَّى تَحِنَّ وَيَصْبِرُ ٱلْإِنْسَانُ

ومما ذكروا في التطيّر منها والكراهية لها قول عوف الراهب

غَلِطَ الَّذِينَ رَأَيْتُهُمْ بِجَهَالَةٍ   يَلْحَوْنَ كُلُّهُمُ غُرَابًا يَنْعَقُ
مَا الذَّنْبُ إِلَّا لِلْأَبَاعِرِ أَنَّهَا   مِمَّا يُشَتُّ جَمِيعُهُمْ وَيُفَرِّقُ
إِنَّ الْغُرَابَ بِيُمْنِهِ تُدْنِي النَّوَى   وَتُشَتِّتُ بِالشَّمْلِ الشَّتِيتِ الْأَيْنُقُ

وقال ابو الشيص في مثل ذلك

مَا فَرَّقَ الْأَحْبَابَ بَعْـ   ـدَ اللهِ إِلَّا الْإِبِلُ
وَالنَّاسُ يَلْحَوْنَ غُرَا   بَ الْبَيْنِ لَمَّا جَهِلُوا
وَمَا عَلَى ظَهْرِ غُرَا   بِ الْبَيْنِ تُمْطَى الرُّحُلُ
وَلَا إِذَا صَاحَ فِي الْـ   ـدِّيَارِ احْتَمَلُوا
وَمَا غُرَابُ الْبَيْنِ إِلَّا   نَاقَةٌ أَوْ جَمَلُ

قال آخر

مَا الْمَنَايَا إِلَّا الْمَطَايَا وَمَا فَرَّ   قَ شَيْءٌ تَفْرِيقَهَا الْأَحْبَابَا
ظَلَّ حَادِيهِمُ يَسُوقُ بِقَلْبِي   وَيَرَى أَنَّهُ يَسُوقُ الرِّكَابَا

ولبعض اهل هذا العصر

وَلَمَّا أَتَوْنَا بِالْمَطَايَا وَقَرَّبُوا   مَحَامِلَ لَمْ تُشْدَدْ عَلَيْهَا قُيُودُهَا
تَيَمَّمْتُكُمْ عَمْدًا لِأَحْظَى بِلَحْظَةٍ   لَعَلِّيَ إِنْ فَارَقْتُكُمْ لَا أُعِيدُهَا
فَلَمْ أَنْسَ إِذْ قَيَّدْتُ رَحْلَ مَطِيَّتِي   وَقُلْتُ لِحَادِي الذَّوْدِ لِمْ لَا تَقُودُهَا
كَأَنَّكَ لَمْ تَعْلَمْ بِأَنْ رُبَّ لَحْظَةٍ   تَفُوتُكَ لَا تَدْرِي مَتَى تَسْتَفِيدُهَا* ٢٥٦
فَلَوْ لَمْ تَكُنْ تَهْوَى الْفِرَاقَ نَحَرْتَهَا   وَلَمْ تَلْتَمِسْ عَمْدًا لَهَا مَنْ يَقُودُهَا
فَيَا عَجَبًا مِنِّي وَمِنْ صَبْرِ مُهْجَتِي   عَلَيَّ وَقَدْ أَعْيَتْ عَلَى مَنْ يَكِيدُهَا
أَضِنُّ بِهَا عَمَّنْ يَرَى الْمُلْكَ دُونَهَا   وَأَبْذِلُهَا طَوْعًا لِمَنْ لَا يُرِيدُهَا

الباب السادس والثلاثون

مَنْ فَاتَهُ ٱلْوِصَالُ نَعَشَهُ ٱلْخَيَالُ

قَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُنَا فِي عَيْبِ مَنْ خَلَّفَ خَلِيلَهُ أَوْ تَخَلَّفَ عَنْهُ فِي وَقْتِهِ أَوْ عَنِ ٱللُّحُوقِ بِهِ عَلَى حَسَبِ طَاقَتِهِ ثُمَّ وَكَذَا عَيْبَ مَنْ لَمْ يَرْضَ حَتَّى أَقَرَّ بِأَنَّ ٱلْمُشَوِّقَ لَهُ إِلَى إِلْفِهِ عَارِضٌ غَيْرُ مُتَمَكِّنٍ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَأَصْحَابُ هٰذَا ٱلْبَابِ ٱلَّذِي نَحْنُ فِي أَوَّلِهِ يَلْحَقُهُمْ ذٰلِكَ ٱلْعَيْبُ كُلُّهُ وَيَزْدَادُونَ مَعَهُ لَوْمًا عَلَى مُسَامَحَتِهِمْ أَنْفُسَهُمْ فِي ٱلتَّلَذُّذِ بِرُقَادِهِمْ وَأَخِلَّاؤُهُمْ ظَاعِنُونَ عَنْ بِلَادِهِمْ وَمِنَ ٱلصُّوفِيَّةِ مَنْ لَا يَقْنَعُ لَهُمْ بِمَا أَلْحَقْنَاهُ مِنَ ٱلْعَيْبِ بِهِمْ حَتَّى يَقُولُوا إِنَّ ٱلنَّوْمَ لَوْ كَانَ مَانِعًا لَهُمْ لَكَانَ تَخْصِيصُهُمْ إِيَّاهُ بِأَنَّهُ يُرِيهِمْ أَحِبَّتَهُمْ نَقْصًا بَيِّنًا فِي مَوَدَّتِهِمْ فَإِنَّ ٱلْحَالَ إِذَا تَمَكَّنَتْ لَمْ تَفْتَرِقِ ٱلرُّوحَانِ وَإِنِ ٱفْتَرَقَ ٱلشَّخْصَانِ فَٱلْمُحِبُّ ٱلْمُشَاهِدُ لِصَاحِبِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ مُسْتَغْنٍ عَنِ ٱلِٱسْتِعَانَةِ عَلَى إِحْضَارِهِ بِرُؤْيَةِ ٱلْخَيَالِ وَمِنْ طَرَائِفِ مَا قِيلَ فِي ٱلْخَيَالِ وَأَدَلِّهِ عَلَى ضُعْفِ قَائِلِهِ فِي ٱلْحَالِ

قول ذي الرمة

فَيَا مَيُّ هَلْ يُجْزَى بُكَائِي بِمِثْلِهِ   مِرَارًا وَأَنْفَاسِي عَلَيْكِ ٱلزَّوَافِرُ
وَإِنْ لَا مَنِي يَا مَيُّ مَنْ دُونَ صُحْبَتِي   لَكِ ٱلدَّهْرَ مِنْ أُحْدُوثَةِ ٱلنَّفْسِ ذَاكِرُ
وَأَنْ لَا يَنَالَ ٱلرَّكْبُ يَا مَيُّ وَقْفَةً   مِنَ ٱللَّيْلِ إِلَّا ٱعْتَادَنِي لَكِ زَائِرُ

فَهٰذَا أَحْسَنَ ٱللّٰهُ جَزَاءَهُ لَمْ يَرْضَ بِٱلْعَيْبِ ٱلَّذِي ذَكَرْنَاهُ حَتَّى طَالَبَ مَحْبُوبَهُ بِأَنْ يُجَازِيَهُ عَلَى تَخَيُّلِهِ إِيَّاهُ فِي مَنَامِهِ ثُمَّ لَمْ يُقْنِعْهُ أَنْ يُجَازَى

بِمِثْلِ بُكَائِهِ مِرَارًا فَأَمَّا ٱعْتِذَارُهُ بِأَنَّهُ لَا يَرْقُدُ إِلَّا ٱعْتَادَهُ مِنْهَا زَائِرٌ فَقَدْ يَتَهَيَّأُ أَنْ يُخَفِّفَ جُرْمُهُ فِيهِ فَضَرْبٌ مِنَ ٱلْمَعَاذِرِ فَيُقَالُ إِنَّهُ إِنَّمَا عَنَى
٢٥٧ أَنَّهُ لَا يَنْفَكُّ خَاطِرُهُ مِنْ ذِكْرِهَا فَإِذَا رَقَدَ رَأَى* خَيَالَهَا بِقَلْبِهِ لِشِدَّةِ غَلَبَتِهِ فِي حَالِ ٱلْيَقْظَةِ عَلَى فِكْرِهِ وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ سِوَى ذٰلِكَ مِنَ ٱلْحَالَاتِ فَإِنَّهُ يَنْبُو عَنْ مَرَاتِبِ ٱلِاعْتِذَارَاتِ وَقَدْ قَالَ قَيْسُ بْنُ ٱلْمُلَوَّحِ مَا إِنْ لَمْ يَكُنْ مُوفِيًا عَلَى حَدِّ ٱلْكَمَالِ فَإِنَّهُ إِلَى ٱلْجَلِيلَةِ مِنَ ٱلْأَحْوَالِ وَهُوَ

وَإِنِّي لَأَسْتَسْقِي وَمَا بِيَ عَطْشَةٌ لَعَلَّ خَيَالًا مِنْكِ يَلْقَى خَيَالِيَا
وَأَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ٱلْجُلُوسِ لَعَلَّنِي أُحَدِّثُ نَفْسِي عَنْكِ فِي ٱلسِّرِّ خَالِيَا

فَهٰذَا ٱلْبَائِسُ إِذَا تَنَاعَسَ وَلَيْسَ بِنَاعِسٍ لِيَتَعَلَّلَ بِخَيَالِهَا إِذَا فَاتَهُ مَا يُؤَمِّلُهُ مِنْ وِصَالِهَا فَنَحْنُ نَشْهَدُ لَهُ بِٱلتَّمَامِ فِي هٰذِهِ ٱلْحَالِ وَلَا نَدْرِي مَا ٱلَّذِي يُوجِبُ لَهُ ٱلْغَيْبَةَ عَنْ إِلْفِهِ حَتَّى ٱضْطَرَّهُ إِلَى ٱلتَّعَلُّلِ بِطَيْفِهِ فَنَعْلَمَ أَيْنَ مِنْهُ ذٰلِكَ تَمَامًا أَمْ يُوجِبُ عَلَيْهِ مَلَامًا

وما قصر ايضاً الحسين بن وهب حيث يقول

أَرِقْتُ وَكَيْفَ لِي بِٱلنَّوْمِ كَيْفَا فَأَلْقَى مِنْ حَبِيبِ ٱلنَّفْسِ طَيْفَا
أَقُولُ لَهَا مَتَى وَتَقُولُ حَتَّى وَتَمْطُلُنِي ٱلْهَوَى بِنَعَمْ وَسَوْفَا
وَلَوْلَا فَرْطُ إِشْفَاقِي عَلَيْهَا غَدَوْتُ مُحَكِّمًا وَشَهَرْتُ سَيْفَا
وَلٰكِنِّي إِذَا فَكَّرْتُ فِيهَا نَهَتْنِي ٱلنَّفْسُ إِشْفَاقًا وَخَوْفَا

وَمِنْ مَلِيحِ مَا يَدْخُلُ فِي هٰذَا ٱلْبَابِ وَإِنْ كَانَ مَشْهُورًا فِي ٱلنَّاسِ

فَقُلْتُ لَهَا بَخِلْتِ عَلَيَّ يَقْظَى فَجُودِي فِي ٱلْمَنَامِ لِمُسْتَهَامِ
فَقَالَتْ لِي وَصِرْتَ تَنَامُ أَيْضًا وَتَطْمَعُ أَنْ تُوَاصَلَ فِي ٱلْمَنَامِ

ولبعض اهل هذا العصر

جُعِلْتُ فِدَاكِ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِي حُضُورُ ٱلْبَيْنِ إِلَّا مُذْ لَيَالِي

فَقَدْ وَهَوَاكَ زَادَنِيَ ٱشْتِيَاقًا   عَلَى شَوْقِي نَوَاكَ وَأَنْتَ قَالِي
وَأَكَّدَ ذَاكَ أَنِّي مُذْ لَيَالٍ   سَهِرْتُ فَلَمْ يَزُرْ طَيْفُ ٱلْخَيَالِ
فَبِتُّ عَلَى ٱلْفِرَاشِ كَأَنَّ قَلْبِي   يُقَلِّبُهُ هَوَاكَ عَلَى ٱلْمَقَالِي* ٢٥٨
وَكَانَ ٱلطَّيْفُ يَكْشِفُ بَعْضَ مَا بِي   وَلَسْتَ تَرَاهُ يَطْرُقُنِي بِحَالِ
فَقُلْ لِي بِٱلَّذِي أَصْفَاكَ وُدِّي   أَأَنْتَ نَهَيْتَ طَيْفَكَ عَنْ وِصَالِي
أَمِ ٱلسَّهَرُ ٱلَّذِي أَلْزَمْتَنِيهِ   نَفَى عَنِّي ٱلْخَيَالَ فَلَا أُبَالِي

ولبعض اهل الادب

أَعَادَ عَلَيَّ ٱللهُ يَوْمَ وِصَالِكَ   وَأَخْطَرَنِي قَبْلَ ٱلْمَمَاتِ بِبَالِكَ
يُضَاعِفُ مَا بِي أَنَّنِي لَكَ وَامِقٌ   أَمِيرٌ بِمَا تَهْوَى وَلَسْتَ كَذَلِكَ
مَنَعْتَ جُفُونِي أَنْ تَنَامَ قَرِيرَةً   وَلَوْ نِمْتُ أَرْضَانِي طُرُوقُ خَيَالِكَ
وَحَلَّلْتَ عَهْدِي فِي ٱلْهَوَى وَتَرَكْتَنِي   أُعَقِّدُ مَا حَلَّلْتَهُ مِنْ حِبَالِكَ

وَمِنْ مُخْتَارِ مَا قَالَتِ ٱلشُّعَرَاءُ فِي ٱلْخَيَالِ عَلَى تَقْصِيرِ قَائِلِهِ عَنْ بُلُوغِ دَرَجِ ٱلْكَمَالِ

أَسَرَتْ لِعَيْنِكَ لَيْلَى بَعْدَ مَغْفَاهَا   يَا حَبَّذَا بَعْدَ نَوْمِ ٱلْعَيْنِ مَسْرَاهَا
فَقُلْتُ حُيِّيتَ مِنْ طَيْفٍ أَلَمَّ بِنَا   إِنْ كُنْتَ تِمْثَالَهَا أَوْ كُنْتَ إِيَّاهَا

وقال العرجي

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنَّ نَأْيَكِ رَاحَةٌ   وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ ٱلطَّيْفَ إِنْ نِمْتُ طَالِبِي
فَوَٱللهِ لَا يُنْكَى مُحِبٌّ بِمِثْلِهَا   وَإِنْ كَانَ مَكْرُوهًا فِرَاقُ ٱلْحَبَائِبِ

وانشدني اعرابي بالبادية

حَلَمْتُ أَقَرَّ ٱللهُ عَيْنِيَ أَنَّنِي   أَرَى أُمَّ لَهْوِ ٱلْقَلْبِ فِيمَنْ أُجَاوِرُ
فَلَمَّا ٱنْتَبَهْنَا بِٱلْخَيَالِ ٱلَّذِي سَرَى   إِذَا صَوْتُ جِنٍّ وَٱلنُّجُومُ ٱلزَّوَاهِرُ
فَعُدْتُ لِكَيْمَا أَنْ تَعُودَ فَلَمْ تَعُدْ   وَعَاوَدَنِي مِنْهَا ٱلَّذِي قَدْ أُحَاذِرُ

وقال بعض الاعراب وكان محبوساً في سجن الطائف

فَأَنَّى ٱهْتَدَتْ تَسْرِي وَأَنَّى تَخَلَّصَتْ   إِلَيَّ وَبَابُ ٱلسِّجْنِ بِٱلْقُفْلِ مُوثَقُ
عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَسِرْبٍ سَرَتْ بِهِ بُعَيْدَ ٱلْكَرَى كَادَتْ لَهُ ٱلْأَرْضُ تُشْرِقُ* ٢٥٩
فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَخَشَّعْتُ بَعْدَكُمْ   لِشَيْءٍ وَلَا أَنِّي مِنَ ٱلْمَوْتِ أَفْرَقُ
وَلٰكِنَّ مَا بِي مِنْ هَوَاكِ ضَمَانَةٌ   كَمَا كُنْتُ أَلْقَى مِنْكِ إِذْ أَنَا مُطْلَقُ
فَأَمَّا ٱلْهَوَى مِنِّي إِلَيْكِ فَطَائِحٌ   يَمَانٍ وَلٰكِنِّي بِمَكَّةَ مُوثَقُ
أَلَمَّتْ فَحَيَّتْ ثُمَّ قَامَتْ فَوَدَّعَتْ   فَكَادَتْ عَلَيْهَا مُهْجَةُ ٱلنَّفْسِ تَزْهَقُ
فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى وَدِدْتُ بِأَنَّنِي   بِمَا فِي فُؤَادِي مِنْ دَمِ ٱلْجَوْفِ أَشْرَقُ

وقال الاقرع القشيري

أَلَمَّتْ فَحَيَّاهَا فَهَبَّ فَحَلَّقَتْ   مَعَ ٱلنَّجْمِ رُؤْيَا فِي ٱلْمَنَامِ كَذُوبُ
لَقَدْ شَغَفَتْنِي أُمُّ عَمْرٍو وَبَغَّضَتْ   إِلَيَّ نِسَاءً مَا لَهُنَّ ذُنُوبُ

وانشدتني ستيرة العصيبية

أَلَمَّ خَيَالُ طَيْبَةَ أَجْنَبِيَّا   فَحَيَّا ٱلرَّكْبَ دُونِي وَٱلْمَطِيَّا
لِمَا حَيَّيْتَهُمْ يَا طَيْفُ دُونِي   وَأَنْتَ أَحَبُّهُمْ شَخْصاً إِلَيَّا
أَلَمَّ بِنَا فَسَلَّمَ ثُمَّ وَلَّى   عَلَى ٱلْهَجَّادِ تَسْلِيماً خَفِيَّا
فَلَمَّا أَنْ كَشَفْتُ غِطَاءَ رَأْسِي   إِذَا أَنَا لَا أَرَى إِلَّا ٱلنَّضِيَّا
وَأَيْنُقَنَا ٱلثَّلَاثَ مُلَقَّيَاتٍ   عَلَى مَتْنِ ٱلطَّرِيقِ وَصَاحِبَيَّا
وَزُرْقاً بِٱلْجَفِيرِ مُنَشَّبَاتٍ   وَشَوْحَطَةً تَرِنُّ وَمَشْرَفِيَّا
فَكَلَّفَنَا سُرَاهَا أَنْ رَحَلْنَا   وَأَحْثَثْنَا ٱلْأَمِيرَ ٱلْعَامِرِيَّا

وانشدني اعرابي ببلاد نجد

أَلَا طَرَقَتْ جُمْلٌ وَبَيْنِي وَبَيْنَهَا   مَهَامِهُ أَمْرَاتٌ وَدَاوِيَةٌ قَفْرُ
فَقُلْتُ لَهَا كَيْفَ ٱهْتَدَيْتِ لِصَاحِبٍ   وَنِضْوٍ طَوَاهُ ٱلسَّيْرُ مَمْسَاهُمَا وَعْرُ

فَقَالَتْ أَمِنْتَ ٱلدَّهْرَ أَلَا تُحِبَّنِي   فَقُلْتُ عَدَانِي ٱلنَّأْيُ وَٱلْأَعْيُنُ ٱلْخُزْرُ
عَلَى أَنَّنِي أَهْوَاكِ مَا هَبَّتِ ٱلصَّبَا   وَمَا سَكَنَتْ سَلْمَى وَأَكْنَافَهَا ٱلْعُفْرُ* ٢٦٠
وَمَا هَتَفَتْ يَوْماً لِإِلْفٍ حَمَامَةٌ   عَلَى بَانَةٍ أَفْنَانُهَا عُطَّفٌ خُضْرُ
فَدُومِي عَلَى ٱلْعَهْدِ ٱلَّذِي كَانَ بَيْنَنَا   فَمَا يُبْتَغَى مِنِّي وَلَا مِنْكِ لِي عُذْرُ

وقال الحسين بن الضحاك

سَقْياً لِزَوْرٍ مِنْ طَيْفٍ مُحْتَجِبٍ   عَاتَبْتُهُ فِي ٱلْمَنَامِ فَٱعْتَذَرَا
فَزَالَ حِقْدُ ٱلضَّمِيرِ عَنْ سَكَنٍ   يُسْخِطُنِي رَائِحاً وَمُبْتَكِرَا
رَضِيتُ مِنْ عُذْرِ مَنْ أَقَامَ عَلَى ٱلذَّنْـ   ـبِ بِطَيْفٍ أَلَمَّ مُعْتَذِرَا

وقال الرقاد بن المنذر الضبي

أَلَا طَرَقَتْ أَسْمَاءُ وَٱللَّيْلُ دَامِسٌ   فَأَحْبِبْ بِهَا مِنْ طَارِقٍ حِينَ يَطْرُقُ
وَمَا طَرَقَتْ إِلَّا لِتُحْدِثَ ذِكْرَةً   وَتُحْكِمَ وَصْلاً بَيْنَنَا كَادَ يَخْلَقُ

وقال ابو تمام الطائي

عَادَكَ ٱلزَّوْرُ لَيْلَةَ ٱلرَّمْلِ مِنْ رَمْـ   ـلَةَ بَيْنَ ٱلْحِمَى وَبَيْنَ ٱلْمَطَالِي
قُمْ فَمَا زَارَكَ ٱلْخَيَالُ وَلٰكِـ   ـنَّكَ بِٱلْفِكْرِ زُرْتَ طَيْفَ ٱلْخَيَالِ

وقال البحتري

وَلَيْلَةَ هَوَّمْنَا عَلَى ٱلْعِيسِ أَرْسَلَتْ   بِطَيْفِ خَيَالٍ يُشْبِهُ ٱلْحَقَّ بَاطِلُهْ
فَلَوْلَا بَيَاضُ ٱلصُّبْحِ طَالَ تَشَبُّثِي   بِعِطْفَيْ غَزَالٍ بِتُّ وَهْناً أُغَازِلُهْ
وَكَمْ مِنْ يَدٍ لِلَّيْلِ عِنْدِي حَمِيدَةٍ   وَلِلصُّبْحِ مِنْ خَطْبٍ تُذَمُّ غَوَائِلُهْ

وقال ايضاً

مِثَالُكِ مِنْ طَيْفِ ٱلْخَيَالِ ٱلْمُعَاوِدِ   أَلَمَّ بِنَا مِنْ أُفْقِهِ ٱلْمُتَبَاعِدِ
يُحَيِّي هُجُوداً مَيِّتِينَ مِنَ ٱلْكَرَى   وَمَا نَفْعُ إِهْدَاءِ ٱلسَّلَامِ لِهَاجِدِ

وقال ايضاً

٢٦١ إذَا نَسِيتُ هَوَى لَيْلَى أَشَادَ بِهِ   طَيفٌ سَرَى فِي سَوَادِ ٱللَّيْلِ إِدْلَجَا*
دَنَا إِلَيَّ عَلَى بُعْدٍ فَأَرَّقَنِي   حَتَّى تَبَلَّجَ وَجْهُ ٱلصُّبْحِ فَٱتَّضَحَا
عَجِبْتُ مِنْهُ تَخَطَّى ٱلقَاعَ مِنْ إِضَمٍ   وَجَاوَزَ ٱلرَّمْلَ مِنْ خَبْتٍ وَمَا بَرِحَا

وقال ابو تمام

إِسْتَزَارَتْهُ فِكْرَتِي فِي ٱلْمَنَامِ   فَأَتَانِي فِي خِفْيَةٍ وَٱكْتِتَامِ
فَٱللَّيَالِي أَحْفَى بِقَلْبِي إِذَا مَا   جَرَحَتْهُ ٱلنَّوَى مِنَ ٱلْأَيَّامِ
يَا لَهَا لَيْلَةً تَنَزَّهَتِ ٱلْأَرْ   وَاحُ فِيهَا سِرًّا مِنَ ٱلْأَجْسَامِ
مَجْلِسٌ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهِ عَيْبٌ   غَيْرَ أَنَّا فِي دَعْوَةِ ٱلْأَحْلَامِ

وقال عمر بن ربيعة المرقش

أَمِنْ بِنْتِ عَجْلَانَ ٱلْخَيَالُ ٱلْمُبَرِّحُ   أَلَمَّ وَرَحْلِي سَاقِطٌ مُتَزَحْزِحُ
فَلَمَّا ٱنْتَبَهْنَا بِٱلْخَيَالِ وَرَاعَنِي   إِذَا هُوَ رَحْلِي وَٱلْبِلَادُ تَوَضَّحُ
وَلٰكِنَّهُ زَوْرٌ يُوَقِّظُ نَائِمًا   وَيُحْدِثُ أَشْجَانًا بِقَلْبِكَ تَجْرَحُ
بِكُلِّ مَبِيتٍ يَعْتَرِينَا وَمَنْزِلٍ   فَلَوْ أَنَّهَا إِذْ تَدْلِجُ ٱللَّيْلَ تُصْبِحُ
فَوَلَّتْ وَقَدْ بَثَّتْ تَبَارِيحَ مَا تَرَى   وَوَجْدِي بِهَا مِنْ قَبْلِ ذٰلِكَ أَبْرَحُ

وقال عبادة الطائي

أَمَا وَهَوَاكِ حِلْفَةَ ذِي ٱجْتِهَادِ   يَعُدُّ ٱلْغَيَّ فِيكِ مِنَ ٱلرَّشَادِ
لَقَدْ أَذْكَى فِرَاقُكِ نَارَ وَجْدِي   وَعَرَّفَ بَيْنَ عَيْنِي وَٱلسُّهَادِ
وَمَا نَادَيْتِنِي لِلشَّوْقِ إِلَّا   عَجِلْتُ بِهِ فَلَبَّيْتُ ٱلْمُنَادِي
وَهَجْرُ ٱلْقُرْبِ مِنْهَا كَانَ أَشْهَى   إِلَى ٱلْمُشْتَاقِ مِنْ وَصْلِ ٱلْبِعَادِ

وقال ايضاً

وَإِنِّي وَإِنْ ضَنَّتْ عَلَيَّ بِوُدِّهَا   لَأَرْتَاحُ مِنْهَا لِلْخَيَالِ ٱلْمُؤَرِّقِ
٢٦٢ يَعِزُّ عَلَى ٱلْوَاشِينَ لَوْ يَعْلَمُونَهَا   لَيَالٍ لَنَا نَزْدَادُ فِيهَا وَنَلْتَقِي*

فَكَمْ غُلَّةٍ لِلشَّوْقِ أَطْفَأْتُ حَرَّهَا   بِطَيْفٍ مَتَى يَطْرُقْ دُجَى ٱللَّيْلِ يَطْرُقِ
أَضُمُّ عَلَيْهِ جَفْنَ عَيْنِي تَعَلُّقًا   بِهِ عِنْدَ إِجْلاءِ ٱلنُّعَاسِ ٱلْمُرَفَّقِ

وقال ايضاً

دَعَا عَبْرَتِي تَجْرِي عَلَى ٱلْجَوْرِ وَٱلْقَصْدِ   أَظُنُّ نَسِيماً قَارَفَ ٱلْهَجْرَ مِنْ بَعْدِي
خَلَا نَاظِرِي مِنْ طَيْفِهِ بَعْدَ شَخْصِهِ   فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ فَقْدًا عَلَى فَقْدِ
خَلِيلَيَّ هَلْ مِنْ نَظْرَةٍ تُوصِلَانِهَا   إِلَى وَجَنَاتٍ يَنْتَسِبْنَ إِلَى ٱلْوَرْدِ
وَقَدْ كَادَ هٰذَا ٱلْقَلْبُ يَنْقَدُّ دُونَهُ   إِذَا ٱهْتَزَّ فِي قُرْبٍ مِنَ ٱلْعَيْنِ أَوْ بُعْدِ
فَلَوْ تُمْكِنُ ٱلشَّكْوَى لَخَبَّرَكَ ٱلْبُكَا   حَقِيقَةَ مَا عِنْدِي وَإِنْ جَلَّ مَا عِنْدِي

وقال ايضاً

أَنَسِيمُ هَلْ لِلدَّهْرِ وَعْدٌ صَادِقُ   فِيمَا يُؤَمِّلُهُ ٱلْمُحِبُّ ٱلْوَامِقُ
مَالِي فَقَدْتُكَ فِي ٱلْمَنَامِ وَلَمْ يَزَلْ   عَوْنَ ٱلْمَشُوقِ إِذَا جَفَاهُ ٱلشَّائِقُ
أَمُنِعْتَ أَنْتَ مِنَ ٱلزِّيَارَةِ رِقْبَةً   مِنْهُمْ فَهَلْ مُنِعَ ٱلْخَيَالُ ٱلطَّارِقُ
أَلْآنَ جَازَ بِنَا ٱلْهَوَى مِقْدَارَهُ   فِي أَهْلِهِ وَعَلِمْتُ أَنِّي عَاشِقُ

ولبعض اهل هذا العصر

وَقَدْ كُنْتُ لَا أَرْضَى مِنَ ٱلنَّيْلِ بِٱلرِّضَا   وَأَقْبَلُ مَا فَوْقَ ٱلرِّضَى مُتَلَوِّمَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا وَشَطَّتْ بِنَا ٱلنَّوَى   قَنِعْتُ بِطَيْفٍ مِنْكَ يَأْتِي مُسَلِّمَا
فَسَاعَفَنِي وَهْناً خَيَالُكَ فِي ٱلْكَرَى   فَزَارَ وَحَيَّا ثُمَّ قَامَ فَسَلَّمَا
بِنَفْسِي وَأَهْلِي مِنْ خَيَالٍ أَلَمَّ بِي   فَدَاوَى سَقَامِي ثُمَّ بَانَ فَأَسْقَمَا
فَوَاحَسْرَتَا لَمْ أَدْرِ أَنَّى ٱهْتَدَى لَنَا   وَلَمْ أَدْرِ إِذْ وَلَّى إِلَى أَيْنَ يَمَّمَا
رَعَاهُ ضَمَانُ ٱللهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ   وَإِنْ ذَرَفَتْ عَيْنِي لِفُرْقَتِهِ دَمَا

الباب السابع والثلاثون* ٢٦٣

مَنْ مُنِعَ مِنَ ٱلنَّظَرِ ٱسْتَأْنَسَ بِٱلأَثَرِ

قال بعض الاعراب

أَيَا شَجَرَاتِ ٱلْوَابِشِيَّاتِ إِنَّنِي   لَكُنَّ عَلَى مَرِّ ٱلزَّمَانِ صَدِيقُ
وَلَوْ لَمْ تُجَاوِزْكُنَّ أَسْمَاءُ لَمْ يَصِلْ   إِلَيْكُنَّ مِنْ قَلْبِي ٱلْغَدَاةَ فَرِيقُ
يَمِيلُ ٱلْهَوَى [بِي] نَحْوَكُنَّ وَقَدْ أَرَى   بِعَيْنَيَّ مَا لِي نَحْوَكُنَّ طَرِيقُ
فَلَوْ كُنْتُ أُهْدِي ٱلْغَيْثَ أَوْ كُنْتُ وَالِياً   عَلَى ٱلْمَاءِ لَمْ تَعْطَشْ لَكُنَّ عُرُوقُ

وقال آخر

يَا سَرْحَةَ ٱلدَّوْحِ أَيْنَ ٱلْحَيُّ وَا كَبِدِي   لَهْفًا تَذُوبُ وَبَيْتِ ٱللهِ مِنْ حَسَرِ
هَا أَنْتِ عَجْمَاءُ عَمَّا قَدْ سُئِلْتِ فَمَا   بَالُ ٱلْمَنَازِلِ لَمْ تَنْطِقْ وَلَمْ تُحِرِ
يَا قَاتَلَ ٱللهُ غَادَاتٍ فَرَعْنَ لَنَا   حَبَّ ٱلْقُلُوبِ بِمَا ٱسْتَوْدِعْنَ مِنْ حَوَرِ
عَنَّتْ لَنَا وَعُيُونٌ مِنْ بَرَاقِعِهَا   مَكْنُونَةٌ مُقَلُ ٱلْغِزْلَانِ وَٱلْبَقَرِ
بِٱللهِ يَا ظَبَيَاتِ ٱلْقَاعِ قُلْنَ لَنَا   لَيْلَايَ مِنْكُنَّ أَمْ لَيْلَى مِنَ ٱلْبَشَرِ
يَا مَا أُمَيْلِحَ غِزْلَانًا شَدَنَّ لَنَا   هُوَ لِيَاي بَيْنَ ٱلضَّالِ وَٱلسَّمُرِ

وقال بعض الاعراب

أَلَا هَلْ إِلَى شَمِّ ٱلْخُزَامَى وَنَظْرَةٍ   إِلَى قَرْقَرَى قَبْلَ ٱلْمَمَاتِ سَبِيلُ
أَيَا أَثَلَاتِ ٱلْقَاعِ مِنْ بَطْنِ تُوضِحٍ   حَنِينِي إِلَى أَفْيَائِكُنَّ طَوِيلُ
وَيَا أَثَلَاتِ ٱلْقَاعِ قَدْ مَلَّ صُحْبَتِي   سُرَايَ فَهَلْ فِي ظِلِّكُنَّ مَقِيلُ
وَيَا أَثَلَاتِ ٱلْقَاعِ قَلْبِي مُعَلَّقٌ   بِكُنَّ وَجَدْوَى خَيْرِكُنَّ قَلِيلُ

وَيَا أَثَلَاتِ ٱلْقَاعِ ظَاهِرُ مَا بَدَا   بِجِسْمِي عَلَى مَا فِي ٱلْفُؤَادِ دَلِيلُ

وقال بشر بن هذيل العبسي

فَيَا طَلْحَتَيْ لَوْذَانَ لَا زَالَ فِيكُمَا   لِمَنْ يَبْتَغِي ظِلَّيْكُمَا فَنَنَانِ
وَإِنْ كُنْتُمَا قَدْ هِجْتُمَا لَوْعَةَ ٱلْهَوَى   وَدَانَيْتُمَا مَا لَيْسَ بِٱلْمُتَدَانِ* ٢٦٤

وقال آخر

تَجَرَّمَ أَهْلُوهَا لَئِنْ كُنْتُ مُشْعِرًا   جَنُوبًا بِهَا يَا طُولَ هٰذَا ٱلتَّجَرُّمِ
وَمَا لِيَ مِنْ ذَنْبٍ إِلَيْهِمْ عَلِمْتُهُ   سِوَى أَنَّنِي قَدْ قُلْتُ يَا سَرْحَةُ ٱسْلَمِي
بَلَى فَٱسْلَمِي ثُمَّ ٱسْلَمِي ثُمَّتَ ٱسْلَمِي   ثَلَاثَ تَحِيَّاتٍ وَإِنْ لَمْ تَكَلَّمِي

وقال حميد بن ثور

أَبَى ٱللهُ إِلَّا أَنَّ سَرْحَةَ مَالِكٍ   عَلَى كُلِّ آفَاقِ ٱلْعِضَاهِ تَرُوقُ
نَمَى ٱلنَّبْتُ حَتَّى نَالَ أَفْنَانُهَا ٱلْعُلَى   وَفِي ٱلْمَاءِ أَصْلٌ ثَابِتٌ وَعُرُوقُ
فَيَا طِيبَ رَيَّاهَا وَيَا بَرْدَ ظِلِّهَا   إِذَا حَانَ مِنْ شَمْسِ ٱلنَّهَارِ زُرُوقُ
وَهَلْ أَنَا إِنْ عَلَّلْتُ نَفْسِي بِسَرْحَةٍ   مِنَ ٱلسَّرْحِ مَوْجُودٌ عَلَيَّ طَرِيقُ
حَمَى ظِلَّهَا شَكْسُ ٱلْخَلِيقَةِ خَائِفٌ   عَلَيْهَا غَرَامَ ٱلطَّائِفِينَ شَفِيقُ
فَلَا ٱلظِّلُّ مِنْهَا بِٱلضُّحَى تَسْتَطِيعُهُ   وَلَا ٱلْفَيْءُ مِنْهَا فِي ٱلْعَشِيِّ تَذُوقُ

وقال آخر

أَيَا نَخْلَتَيْ أَوْلٍ سَقَى ٱلْأَصْلَ مِنْكُمَا   مُهِيجُ ٱلرُّبَى وَٱلْمُدْجِنَاتُ رَوَاكُمَا
وَيَا نَخْلَتَيْ أَوْلٍ إِذَا هَبَّتِ ٱلصَّبَا   وَأَمْسَيْتُ مَقْرُورًا ذَكَرْتُ ذُرَاكُمَا
وَيَا نَخْلَتَيْ أَوْلٍ بَلِيتُ وَأَنْتُمَا   جَدِيدَانِ كَٱلْبُرْدَيْنِ طَابَ شَذَاكُمَا

وقال خلف بن روح الاسدي

أَيَا نَخْلَتَيْ بَطْنِ ٱلْعَقِيقِ أَمَانِعِي   جَنَى ٱلنَّخْلِ وَٱلْبَيْنُ ٱنْتِظَارِي جَنَاكُمَا
لَقَدْ خِفْتُ أَلَّا تَنْفَعَانِي بِطَائِلٍ   وَيُكْتَبَ فِي ٱلدُّنْيَا لِغَيْرِي جَدَاكُمَا

وقال بعض الاعراب

أَيَا مَنْ لِعَيْنٍ لَا تَرَى قُلَلَ ٱلْحِمَى وَلَا جَبَلَ ٱلْأَوْسَالِ إِلَّا ٱسْتَهَلَّتِ
٢٦٥ لَجُوجٌ إِذَا لَجَّتْ بَكِيٌّ إِذَا بَكَتْ بَكَتْ فَأَدَقَّتْ فِي ٱلْبُكَا وَأَجَلَّتِ*
نَعِمْنَا زَمَانًا بِٱللِّوَى ثُمَّ أَصْبَحَتْ بِرَاقُ ٱللِّوَى مِنْ أَهْلِهَا قَدْ تَخَلَّتِ
أَلَا قَاتَلَ ٱللَّهُ ٱللِّوَى مِنْ مَحَلَّةٍ وَقَاتَلَ دُنْيَانَا بِهَا كَيْفَ وَلَّتِ

وقال آخر

إِقْرَأْ عَلَى ٱلْوَشَلِ ٱلسَّلَامَ وَقُلْ لَهُ كُلُّ ٱلْمَشَارِبِ مُذْ هُجِرْتَ ذَمِيمُ
سَقْيًا لِظِلِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَبِٱلضُّحَى وَلِبَرْدِ مَائِكَ وَٱلْمِيَاهُ حَمِيمُ
لَوْ كُنْتُ أَقْدِرُ مَنْعَ مَائِكَ لَمْ يَذُقْ مَا فِي قِلَاتِكَ مَا حَيِيتُ لَئِيمُ

وقال آخر

أَلَا حَبَّذَا أَعْطَانُ فَلْجَةَ بِٱلضُّحَى وَخَيْمٌ ذُرَى فِي جَانِبَيْهَا ٱلْمُنَصَّبُ
يَقُولُونَ مِلْحٌ مَاءُ فَلْجَةَ آجِنٌ أَجَلْ هُوَ مَمْلُوحٌ إِلَى ٱلنَّفْسِ طَيِّبُ

وقال ابن الدمينة

خَلِيلَيَّ رُوحَا بِٱلْهَجِينِ فَسَلِّمَا عَلَى ٱلْخَيْمِ أَوْ مُرَّا بِذِي ٱلْعُشَرَاتِ
وَقِيلَا بِنَا فِي ظِلِّهِنَّ وَرَمْيِنَا ذُرَاهُنَّ رَمْيَ ٱلْمُحْرِمِ ٱلْجَمَرَاتِ
وَقُولَا لِمَنْ لَاقَيْتُمَا يَا هُدِيتُمَا أَحَقًّا لَنَا فِي ٱلطَّوْفِ مِنْ بَكَرَاتِ
قَلَائِصَ فِيهِنَّ ٱلَّتِي كُبْرُ هَمِّهَا أَنِينٌ وَتُذْرِي ٱلدَّمْعَ بِٱلزَّفَرَاتِ

ولبعض بني كلاب

أَلَا حَبَّذَا ٱلْمَاءُ ٱلَّذِي قَابَلَ ٱلْحِمَى وَيَا حَبَّذَا مِنْ أَجْلِ ظَمْيَاءَ حَاضِرُهْ
وَلَوْ سَأَلَتْ [ظَمْيَاءُ] يَوْمًا بِوَجْهِهَا سَحَابَ ٱلثُّرَيَّا لَٱسْتَهَلَّتْ مَوَاطِرُهْ

وقال آخر

يَقَرُّ بِعَيْنِي أَنْ أَرَى بِمَكَانِهِ سُهَيْلًا كَطَرْفِ ٱلْأَخْدَرِ ٱلْمُتَشَاوِسِ

وَأَنْ أُشْرِفَ ٱلْقَارَاتِ مِنْ أَيْسَرِ ٱلْحِمَى … فَتَبْدُوَ وَٱلْأَنْضَاءُ خُوصٌ خَوَامِسُ
ذَكَرْتُكِ ذِكْرَى مِثْلُهَا صَدَّعَ ٱلْحَشَا … بِتَوٍّ وَأُخْرَى مِثْلُهَا يَوْمَ حَابِسِ * ٢٦٦
وَيَوْمَ تَعَالَتْ بِي ٱلسَّفِينَةُ وَٱرْتَمَى … بِيَ ٱلْبَحْرُ فِي آذِيهِ ٱلْمُتَلَاطِسِ

وقال ورد الهلالي

سَقَى ٱللهُ نَجْدًا مِنْ رَبِيعٍ وَمَصِيفٍ … وَمَاذَا تُرَجِّي مِنْ رَبِيعٍ سَقَى نَجْدَا
بَلَى إِنَّهُ قَدْ كَانَ لِلْبِيضِ مَرَّةً … وَلِلْعَيْشِ وَٱلْفِتْيَانِ مَنْزِلَةً حَمْدَا

وقال آخر

أَلَا حَبَّذَا ٱلدَّهْنَا وَطِيبُ تُرَابِهَا … وَأَرْضٌ خَلَاءٌ يَصْدَعُ ٱللَّيْلَ هَامُهَا
وَنَصُّ ٱلْمَهَارِي بِٱلْعَشِيَّاتِ وَٱلضُّحَى … إِلَى بَقَرٍ وَحْيُ ٱلْعُيُونِ كَلَامُهَا

وقال آخر

خَلِيلَيَّ إِنِّي وَاقِفٌ فَمُسَلِّمٌ … عَلَى...... خَالَطَ ٱللَّحْمَ وَٱلدَّمَا
وَلَوْ زَالَ هَضْبُ ٱلرَّمْلِ عَنْ سَكَنَاتِهِ … لَيَمَّمْتُ مِنْ وَجْدٍ [بِهِ] حَيْثُ يَمَّمَا
وَلَوْ نَطَقَتْ صُمُّ ٱلْجِبَالِ لِعَاشِقٍ … حَزِينٍ لَحَيَّانَا إِذًا وَتَكَلَّمَا

وقال آخر

سَلِّمْ عَلَى قَطَنٍ إِنْ كُنْتَ لَاقِيَهُ … سَلَامَ مَنْ كَانَ يَهْوَى مَرَّةً قَطَنَا
أُحِبُّهُ وَٱلَّذِي أَرْسَى قَوَاعِدَهُ … حُبًّا إِذَا ظَهَرَتْ آيَاتُهُ بَطَنَا
يَا لَيْتَنَا لَا نَرِيمُ ٱلدَّهْرَ سَاحَتَهُ … أَوْ كَانَ إِنْ نَحْنُ سِرْنَا غُرْبَةً مَعَنَا

وقال جرير

أَلَا حَيِّ رَهْبَى ثُمَّ حَيِّ ٱلْمَطَالِيَا … فَقَدْ كَانَ مَأْنُوسًا فَأَصْبَحَ خَالِيَا
أَلَا أَيُّهَا ٱلْوَادِي ٱلَّذِي ضَمَّ سَيْلُهُ … إِلَيْنَا نَوَى ظَمْيَاءَ حُيِّيتَ وَادِيَا
نَظَرْتُ بِرَهْبَى وَٱلظَّعَائِنُ بِٱللِّوَى … فَطَارَتْ بِرَهْبَى شُعْبَةٌ مِنْ فُؤَادِيَا

وقال آخر

٢٦٧ أَيَا نَخْلَتَيْ شَرْقِ ٱلْعِذَابِ هَلَ ٱنْتُمَا   إِذَا ٱحْتَمَلَ ٱلْجِيرَانُ مُحْتَمِلَانِ*
تَفَرَّقَ أُلَّافٌ كَثِيرٌ وَأَنْتُمَا   مُقِيمَانِ يَنْبُو عَنْكُمَا ٱلْحَدَثَانِ
[كَأَنَّكُمَا] قُدَّامَ جَيْشٍ طَلِيعَةٌ   عَلَى حَاضِرِ ٱلرَّوْحَاءِ مُرْتَبِيَانِ

وقال آخر

أَلَا حَبَّذَا نَجْدٌ وَطِيبُ تُرَابِهَا   وَغِلْظَةُ دُنْيَا أَهْلِ نَجْدٍ وَلِينُهَا
نَظَرْتُ بِأَعْلَى ٱلْجَلْهَتَيْنِ فَلَمْ أَجِدْ   سِوَى مِنْ سُهَيْلٍ لَمْحَةً أَسْتَبِينُهَا
فَكَذَّبْتُ طَرْفَ ٱلْعَيْنِ ثُمَّ رَدَدْتُهُ   فَرَاجَعَ نَفْسِي بَعْدَ شَكٍّ يَقِينُهَا

وقال آخر

بَلِيتُ بِلَى ٱلْبُرْدِ ٱلْيَمَانِي وَلَا أَرَى   جَنَانًا وَلَا أَكْنَافَ ذِرْوَةَ تَخْلَقُ
أَلْوِي حَيَازِيمِي بِهِنَّ صَبَابَةً   كَمَا تَتَلَوَّى ٱلْحَيَّةُ ٱلْمُتَسَرِّقُ

وقال آخر

أَيَا سَرْوَتَيْ وَادِي ٱلْعَقِيقِ سُقِيتُمَا   حَيًا غَضَّةَ ٱلْأَنْفَاسِ طَيِّبَةَ ٱلْوَرْدِ
تَرَوَّيْتُمَا مَجَّ ٱلنَّدَى وَتَغَلْغَلَتْ   عُرُوقُكُمَا تَحْتَ ٱلنَّدَى فِي ثَرًى جَعْدِ
وَلَا يَهْنَأَنْ ظِلَّاكُمَا إِنْ تَبَاعَدَتْ   بِيَ ٱلدَّارُ مَنْ يَرْجُو ظِلَالَكُمَا بَعْدِي

وقال آخر

تُذَكِّرُنِي خُزَامًا كُلُّ أَرْضٍ   مِنَ ٱلْأَرَضِينَ حَلَّ بِهَا خُزَامُ
بِهَذَا ٱلزَّادِ يَحْيَى كُلُّ صَبٍّ   فَلَيْتَ ٱلزَّادَ كَانَ هُوَ ٱلْحِمَامُ

وقال آخر

تَحِنُّ إِلَى ٱلرَّمْلِ ٱلْيَمَانِي صَبَابَةً   وَهٰذَا لَعَمْرِي لَوْ قَنِعْتَ كَثِيبُ
فَأَيْنَ ٱلْأَرَاكُ ٱلدَّوْحُ وَٱلسِّدْرُ وَٱلْغَضَا   وَمُسْتَخْبَرٌ عَمَّنْ تُحِبُّ قَرِيبُ
هُنَاكَ يُغَنِّينَا ٱلْحَمَامُ وَنَجْتَنِي   جَنَى ٱلنَّخْلِ يَحْلَوْلِي لَنَا وَيَطِيبُ

٢٦٨ وقال آخر*

أَقَمْنَا مُكْرَهِينَ بِهَا فَلَمَّا ... أَلِفْنَاهَا خَرَجْنَا كَارِهِينَا
وَمَا حُبُّ ٱلْبِلَادِ بِنَا وَلٰكِنْ ... أَمَرُّ ٱلْعَيْشِ فُرْقَةُ مَنْ هَوِينَا

وقال ورد بن عبد الرحمن الاسدي

أَيَا كَبِدِي مَاذَا أُلَاقِي مِنَ ٱلْهَوَى ... إِذَا ٱلرَّسُّ فِي آلِ ٱلسَّرَابِ بَدَا لِيَا
ضَمِنْتُ ٱلْهَوَى لِلرَّسِّ فِي مُضْمَرِ ٱلْحَشَا ... وَلَمْ يُضْمِرِ ٱلرَّسُّ ٱلْغَدَاةَ ٱلْهَوَى لِيَا
أُعِدُّ ٱللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ ... لِلُقْيَانِ لَاهٍ لَا يُعِدُّ ٱللَّيَالِيَا

وقال آخر

أَرَى كُلَّ أَرْضٍ دَمَّنَتْهَا وَإِنْ مَضَتْ ... لَهَا حُجَجٌ يَزْدَادُ طِيباً تُرَابُهَا
أَلَمْ تَعْلَمَنْ يَا رَبِّ أَنْ رُبَّ دَعْوَةٍ ... دَعَوْتُكَ فِيهَا مُخْلِصاً لَوْ أَجَابَهَا
لَعَمْرُ أَبِي لَيْلَى لَئِنْ هِيَ أَصْبَحَتْ ... بِوَادِي ٱلْقُرَى مَا ضَرَّ غَيْرِي ٱغْتِرَابُهَا

وقال آخر

أَمَا وَٱلَّذِي حَجَّ ٱلْمُلَبُّونَ بَيْتَهُ ... سَلَا[مَا] وَمَوْلَى كُلِّ بَاقٍ وَهَالِكِ
وَرَبِّ ٱلْقِلَاصِ ٱلْخُوصِ تَدْمَى أُنُوفُهَا ... بِنَخْلَةَ وَٱلسَّاعُونَ حَوْلَ ٱلْمَنَاسِكِ
لَقَدْ صِرْتُ آتِي ٱلْأَرْضَ مَا يَسْتَفِزُّنِي ... لَهَا ٱلشَّوْقُ لَوْلَا أَنَّهَا مِنْ دِيَارِكِ
لَئِنْ قَطَعَ ٱلْيَأْسُ ٱلْحَنِينَ فَإِنَّهُ ... رُقُوءٌ لِإِذْرَافِ ٱلدُّمُوعِ ٱلسَّوَافِكِ

ولبعض اهل هذا العصر

سَقَى ٱللّٰهُ رَمْلَ ٱلْقَاعِ فِي ٱلنَّخَلَاتِ ... فَذَاكَ ٱلْكَثِيبَ ٱلْفَرْدَ فِي ٱلسَّمُرَاتِ
فَقَبْرَ ٱلْعِبَادِيِّ ٱلَّذِي دُونَ مُرْبِخٍ ... فَمُرْبِخَ وَٱلْغُدْرَانَ فَٱلْهَضَبَاتِ
فَجَنْبَيْ زَرُودٍ فَٱلطُّلَيْحَةَ فَٱللِّوَى ... فَإِنَّ لَهَا عِنْدِي يَدًا وَهَنَاتِ
وَلَمْ يَبْقَ مِنْ لَذَّاتِهَا غَيْرُ ذِكْرَةٍ ... تَقَطَّعُ نَفْسِي عِنْدَهَا حَسَرَاتِ
لَقَصْرٌ عَلَى وَادِي زُبَالَةَ مُشْرِفٌ ... أُكَفْكِفُ فِي أَكْنَافِهِ عَبَرَاتِي
أَحَبُّ إِلَى نَفْسِي وَأَشْفَى لِشَجْوِهَا ... وَأَوْلَى بِهَا مِنْ هٰذِهِ ٱلْقُرَيَاتِ * ٢٦٩

عَسى ٱللهُ لا تَيْأَسْ سَيأْذَنُ عَاجِلًا بِنَصْرَةِ مَظْلُومٍ وَفَكِّ عُنَاةِ
وَتَرْضَى قُلُوبٌ قَدْ تَوَاتَرَ سُخْطُهَا عَلَيَّ فَعَادَتْنِي بِغَيْرِ تِرَاتِ

الباب الثامن والثلاثون

مَنْ حُجِبَ عَنِ ٱلأَثَرِ تَعَلَّلَ بِٱلذِّكْرِ

قال القمقام الاسدي

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَرَى تَذْكُرِينَنِي فَذِكْرُكِ فِي ٱلدُّنْيَا إِلَيَّ حَبِيبُ
وَهَلْ لِي نَصِيبٌ مِنْ فُؤَادِكِ ثَابِتٌ كَمَا لَكِ عِنْدِي فِي ٱلْفُؤَادِ نَصِيبُ
رَأَيْنَا نُفُوساً هُيَّماً طَالَ حَبْسُهَا عَلَى غَيْرِ جُرْمٍ مَا لَهُنَّ ذُنُوبُ
يَحُمْنَ حِيَامَ ٱلْهِيمِ لَمْ تَلْقَ سَاقِياً أَثَابَ ٱلنُّفُوسَ ٱلْحَيَّمَاتِ مُثِيبُ
فَلَسْتُ بِمَتْرُوكٍ فَأَشْرَبَ شُرْبَةً وَلَا ٱلنَّفْسُ عَمَّا لَا تَنَالُ تَطِيبُ

وقال حميد بن ثور

فَلَا يُبْعِدِ ٱللهُ ٱلشَّبَابَ وَقَوْلَنَا إِذَا مَا صَبَوْنَا صَبْوَةً سَنَتُوبُ
لَيَالِيَ سَمْعُ ٱلْغَانِيَاتِ وَطَرْفُهَا إِلَيَّ وَإِذْ رِيحِي لَهُنَّ جَنُوبُ
وَأَرْضَى بِقَوْلِ ٱلنَّاسِ [أَنتَ] مُهَوَّنٌ عَلَيْنَا وَإِذْ غُصْنُ ٱلشَّبَابِ رَطِيبُ

وقال النابغة الجعدي

تَذَكَّرْتُ وَٱلذِّكْرَى تَضُرُّ بِذِي ٱلْهَوَى وَمِنْ حَاجَةِ ٱلْمَحْزُونِ أَنْ يَتَذَكَّرَا
نَدَامَايَ عِنْدَ ٱلْمُنْذِرِ بْنِ مُحَرِّقٍ أَرَى ٱلْيَوْمَ مِنْهُمْ ظَاهِرَ ٱلْأَرْضِ مُقْفِرَا

وقال متمم بن نويرة

وَكُنَّا كَنَدْمَانَيْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً مِنَ ٱلدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكاً ... لِطُولِ ٱجْتِمَاعٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَعَا
فَإِنْ تَكُنِ ٱلْأَيَّامُ فَرَّقْنَ بَيْنَنَا ... فَقَدْ بَانَ مَحْمُوداً أَخِي يَوْمَ وَدَّعَا* ٢٧٠

وقال عدي بن زيد

فَإِنْ أَمْسَيْتُ مُكْتَئِباً حَزِيناً ... كَثِيرَ ٱلْهَمِّ يَشْهَدُنِي ٱلْحِذَارُ
فَقَدْ بُدِّلْتُ ذَاكَ بِنُعْمِ بَالٍ ... وَأَيَّامٍ لَيَالِيهَا قِصَارُ

وانشدني احمد بن ابي طاهر قال انشدنا ابو تمام لنفسه

أَلَا إِنَّ صَدْرِي مِنْ غَرَامِي بَلَاقِعُ ... عَشِيَّةَ شَاقَتْنِي ٱلدِّيَارُ ٱلْبَلَاقِعُ
لَئِنْ كَانَ أَمْسَى شَمْلُ وَحْشِكَ جَامِعاً ... لَقَدْ كَانَ لِي شَمْلٌ بِأُنْسِكَ جَامِعُ
أَبِيءُ عَلَى ٱلدَّهْرِ ٱلثَّنَاءَ فَقَدْ قَضَى ... عَلَيَّ بِجَوْرٍ صَرْفُهُ ٱلْمُتَتَابِعُ

وقال حميد بن ثور

قَضَى ٱللهُ فِي بَعْضِ ٱلْمَكَارِهِ لِلْفَتَى ... رَشَاداً وَفِي بَعْضِ ٱلْهَوَى مَا يُحَاذِرُ
شَرِبْنَا بِشُعْبَانٍ مِنَ ٱلطَّوْدِ بَرْدَهَا ... شِفَاءٌ لِغَمٍّ وَهْيَ دَاءٌ مُخَامِرُ
لَيَالِيَ دُنْيَانَا عَلَيْنَا رَحِيبَةٌ ... وَإِذْ عَامِرٌ فِي أَوَّلِ ٱلدَّهْرِ عَامِرُ
وَقَدْ كُنْتُ فِي بَعْضِ ٱلصَّبَابَةِ أَتَّقِي ... وَأَخْشَى عَلَيْنَا أَنْ تَدُورَ ٱلدَّوَائِرُ
وَأَعْلَمُ أَنِّي إِنْ تَغَطَّيْتُ مَرَّةً ... مِنَ ٱلدَّهْرِ مَكْشُوفٌ غِطَائِي فَنَاظِرُ

وقال ايضاً

خَلِيلَيَّ إِنْ دَامَ هَمُّ ٱلنُّفُوسِ ... عَلَيْهَا ثَلَاثَ لَيَالٍ قَتَلْ
عَلَى أَنَّ شَيْئاً سَمِعْنَا بِهِ ... يُسَمَّى ٱلسُّرُورُ مَضَى مَا فَعَلْ

وقال البحتري

عَيْشٌ لَنَا بِٱلْأَبْرَقَيْنِ تَأَبَّدَتْ ... أَيَّامُهُ وَتَجَدَّدَتْ ذِكْرَاهُ
وَٱلْعَيْشُ مَا فَارَقْتَهُ فَذَكَرْتَهُ ... لَهَفاً وَلَيْسَ ٱلْعَيْشُ مَا تَنْسَاهُ

وقال محمد بن عبيد الازدي

٢٧١ فَلَمَّا قَضَيْنَا عِصْمَةً مِنْ حَدِيثِنَا   وَقَدْ فَاضَ مِنْ بَعْدِ ٱلْحَدِيثِ ٱلْمَدَامِعُ*
جَرَى بَيْنَنَا مِنَّا رَسِيسٌ يَزِيدُنَا   سَقَاماً إِذَا مَا ٱسْتَيْقَنَتْهُ ٱلْمَسَامِعُ
كَأَنْ لَمْ تُجَاوِرْنَا أُمَيْمُ وَلَمْ تُقِمْ   بِفَيْضِ ٱلْحِمَى إِذْ أَنْتَ بِٱلْعَيْشِ قَانِعُ
فَهَلْ مِثْلَ أَيَّامٍ تَسَلَّفْنَ بِٱلْحِمَى   عَوَائِدُ أَوْ عَيْشُ ٱلسِّتَارَيْنِ وَاقِعُ

وقال قيس بن ذريح

فَإِنْ تَكُنِ ٱلدُّنْيَا بِلُبْنَى تَقَلَّبَتْ   عَلَيَّ وَلِلدُّنْيَا بُطُونٌ وَأَظْهُرُ
فَقَدْ كَانَ فِيهَا لِلْأَمَانَةِ مَوْضِعٌ   وَلِلْكَفِّ مُرْتَادٌ وَلِلْعَيْنِ مَنْظَرُ
وَلِلْهَائِمِ ٱلظَّمْآنِ رِيٌّ بِرِيقِهَا   وَلِلدَّنِفِ ٱلْمُشْتَاقِ خَمْرٌ مُسَكِّرُ

قَالَ أَبُو ٱلْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ ٱلنَّحْوِيُّ فَقُلْنَا لَهُ فَمَا ٱلَّذِي بَقِيَ بَعْدَمَا وَصَفْتَ قَالَ بَقِيَتِ ٱلْمُوَافَقَةُ

وقال البحتري

كَانَ ٱلْوِصَالُ بُعَيْدَ هَجْرٍ مُنْقَضٍ   زَمَنَ ٱللِّوَى وَقُبَيْلَ بَيْنٍ آفِدِ
مَا كَانَ إِلَّا لَفْتَةً مِنْ نَاظِرٍ   عَجِلٍ بِهَا أَوْ نَهْلَةً مِنْ وَارِدِ

ولبعض اهل هذا العصر

رَعَى ٱللَّهُ دَهْرًا فَاتَ لَمْ أَقْضِ حَقَّهُ   وَقَدْ كُنْتُ طَبًّا بِٱلْأُمُورِ مُجَرِّبَا
لَيَالِيَ مَا كَانَتْ رِيَاحُكَ شَمْأَلًا   عَلَيَّ وَلَا كَانَتْ بُرُوقُكَ خُلَّبَا
لَيَالِيَ وَفَّيْتُ ٱلْهَوَى فَوْقَ حَقِّهِ   وَفَاءً وَظَرْفاً صَادِقاً وَتَأَدُّبَا
فَلَمْ أَرَ وُدًّا عَادَ ذَنْباً وَقَدْ مَضَتْ   لَهُ حِقَبٌ يَشْجَى بِذِكْرَاهُ مَنْ صَبَا
وَلَمْ أَرَ سَهْماً هَتَّكَ ٱلدِّرْعَ وَٱنْتَهَى   إِلَى ٱلْقَلْبِ قِدْماً ثُمَّ قَصَّرَ أَوْ نَبَا
وَلَا عُذْرَ لِلصَّمْصَامِ إِنْ بَلَغَ ٱلْحَشَا   وَكَلَّ وَلَمْ يَثْلِمْ لَهُ ٱلْعَظْمُ مَضْرِبَا
وَلَا لِجَوَادٍ سَابَقَ ٱلرِّيحَ سَالِماً   وَقَامَ فَأَعْيَا بَلْ تَقَطَّرَ أَوْ كَبَا
فَأَنَّى بِعُذْرٍ فِي ٱطِّرَاحِي وَجَفْوَتِي   وَنَقْضِ عُهُودٍ أُكِّدَتْ زَمَنَ ٱلصِّبَا

إِذَا عُوقِبَ ٱلْجَانِي عَلَى قَدْرِ جُرْمِهِ   فَتَعْنِيفُهُ بَعْدَ ٱلْعِقَابِ مِنَ ٱلرِّبَا* ٢٧٢

وقال ابن ميادة

أَلَا يَا لَقَوْمِي لِلْهَوَى وَٱلتَّذَكُّرِ   وَعَيْنٍ قَذَى إِنْسَانِهَا أُمُّ جَحْدَرِ
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ قَلْبِيَ لَمْ يَطِرْ   وَلَا كَضُلُوعِي فَوْقَهُ لَمْ تَكَسَّرِ

وقال الطرماح

عَرَفْتُ لِسَلْمَى رَسْمَ دَارٍ تَخَالُهَا   مَلَاعِبَ جِنٍّ أَوْ كِتَابًا مُنَمْنَمَا
وَعَهْدِي بِسَلْمَى وَٱلشَّبَابُ كَأَنَّهُ   عَسِيبٌ نَمَى فِي رَيِّهِ فَتَقَوَّمَا
يَعَضُّ سِوَارَاهَا جَلَانَا لَوَانَّهَا   إِذَا بَلَغَا ٱلْكَفَّيْنِ أَنْ يَتَقَدَّمَا

وقال الحسن بن وهب

أَلدَّمْعُ مِنْ عَيْنَيْ أَخِيكَ غَزِيرُ   فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ مَحْدُورُ
ذِكَرٌ يَجُولُ بِهَا ٱلضَّمِيرُ كَأَنَّمَا   يُذْكَى بِهَا تَحْتَ ٱلْفُؤَادِ سَعِيرُ

وقال علي بن محمد العلوي

شَآكَ ٱلزَّمَانُ بِكَرِّ ٱلزَّمَانِ   وَأَفْنَاكَ مِنْ كَرِّهِ كُلُّ فَانِ
إِسَاءَةُ دَهْرِكَ مَحْفُوفَةٌ   بِمَا لَمْ يَكُنْ لِلصِّبَى فِي ضَمَانِ
لَيَالِيَ لَا يَشْبَعُ ٱلنَّاظِرَا   نِ مَا قَابَلَاكَ وَلَا يُرْوَيَانِ
لَيَالِيَ لَمْ يَكْتَسِي ٱلْعَارِضَا   نِ شَيْبًا وَلَمْ يُقْصَصِ ٱلشَّارِبَانِ
فَإِنْ يَكُ هٰذَا ٱلزَّمَانُ [ٱنْقَضَى]   وَبُدِّلَتَ أَخْبَارَهُ بِٱلْعِيَانِ
فَلَا بِٱلْقِلَى تَتَنَاسَى ٱلصِّبَى   وَلَا بِٱلرِّضَا رَضِيَ ٱلْعَاذِلَانِ
وَنَازِلَةٍ كُنْتُ مِنْ حَدِّهَا   عَلَى غَرَرٍ مِثْلَ حَدِّ ٱلسِّنَانِ
وَمِنْ نَكَبَاتِ خُطُوبِ ٱلزَّمَانِ   أُلَاحِظُهَا بِجَنَانِ ٱلْجَبَانِ
أَلَا هَلْ سَبِيلٌ إِلَى نَظْرَةٍ   بِكُوفَانَ يَحْيَى بِهَا ٱلنَّاظِرَانِ
وَهَلْ أَدْنُوَنْ مِنْ وُجُوهٍ نَأَتْ   وَهُنَّ مِنَ ٱلنَّفْسِ دُونَ ٱلدَّوَانِي* ٢٧٣

أُنَاسٌ هُمُ ٱلْأُنْسُ دُونَ ٱلْأَنِيسِ   وَجَنَّاتُ عَيْشِكَ دُونَ ٱلْجِنَانِ

وله ايضاً

وَاهَا لِأَيَّامِ ٱلشَّبَا   بِ وَمَا لَبِسْنَ مِنَ ٱلزَّخَارِفْ
وَزَوَالِهِنَّ بِمَا عَرَفْـ   تُ مِنَ ٱلْمَنَاكِرِ وَٱلْمَعَارِفْ
أَيَّامَ ذِكْرُكَ فِي دَوَا   وِينِ ٱلصِّبَى صَدْرَ ٱلصَّحَائِفْ
وَقَفَ ٱلنَّعِيمُ عَنِ ٱلصِّبَا   وَزَلَلْتُ عَنْ تِلْكَ ٱلْمَوَاقِفْ

وقال البحتري

أَرُسُومُ دَارٍ أَمْ سُطُورُ كِتَابِ   ذَهَبَتْ بَشَاشَتُهَا مَعَ ٱلْأَحْقَابِ
يَجْتَازُ زَائِرُهَا بِغَيْرِ لُبَانَةٍ   وَيُرَدُّ سَائِلُهَا بِغَيْرِ جَوَابِ
وَلَرُبَّمَا كَانَ ٱلزَّمَانُ مُحَبَّباً   فَنَبَا بِمَنْ فِيهَا مِنَ ٱلْأَحْبَابِ
أَيَّامَ عُودُ ٱلدَّهْرِ أَخْضَرُ وَٱلْهَوَى   تِرْبٌ لِبِيضٍ ظِبَائِهَا ٱلْأَتْرَابِ
لَوْ تُسْعِفِينَ وَمَا سَأَلْتُ مَشَقَّةً   لَعَدَلْتِ حَرَّ جَوًى بِبَرْدِ رُضَابِ
وَلَئِنْ شَكَوْتُ ظَمَايَ إِنَّكِ لَلَّتِي   قِدْماً جَعَلْتِ مِنَ ٱلسَّرَابِ شَرَابِي
وَعُتِبْتُ مِنْ حُبِّيكِ حَتَّى إِنَّنِي   أَخْشَى مَلَامَكِ أَنْ أَبُثَّكِ مَا بِي

وقال ايضاً

سَقَى ٱللّٰهُ عَهْداً مِنْ أُنَاسٍ تَصَرَّمَتْ   مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا ٱلتَّوَهُّمُ وَٱلذِّكْرُ
وَفَاءٌ مِنَ ٱلْأَيَّامِ رَجْعُ حُدُوجِهِمْ   كَمَا أَنَّ تَشْرِيدَ ٱلزَّمَانِ بِهِمْ غَدْرُ
هَلِ ٱلْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تُسَاعِفَنَا ٱلنَّوَى   بِوَصْلِ سُعَادٍ أَوْ يُسَاعِدَنَا ٱلدَّهْرُ
عَلَى أَنَّهَا مَا عِنْدَهَا لِمُوَاصِلٍ   وِصَالٌ وَلَا عَنْهَا لِمُصْطَبِرٍ صَبْرُ
إِذَا مَا نَهَى ٱلنَّاهِي فَلَجَّ بِيَ ٱلْهَوَى   أَصَاخَتْ إِلَى ٱلْوَاشِي فَلَجَّ بِهَا ٱلْهَجْرُ
وَيَوْمَ تَثَنَّتْ لِلْوَدَاعِ وَسَلَّمَتْ   بِعَيْنَيْنِ مَوْصُولٌ بِلَحْظِهِمَا ٱلسِّحْرُ* ٢٧٤
تَوَهَّمْتُهَا أَلْوَى بِأَجْفَانِهَا ٱلْكَرَى   كَرَى ٱلنَّوْمِ أَوْ مَالَتْ بِأَعْطَافِهَا ٱلْخَمْرُ

وقال المرار الفقعسي

أَلَا ذَكِّرَانِي يَا خَلِيلَيَّ مَا مَضَى   مِنَ ٱلْعَيْشِ إِذْ لَمْ يَبْقَ إِلَّا تَذَكُّرِي
وَإِذْ لِاَهْتِزَازِ ٱلْعَيْشِ بِالرَّكْبِ لَذَّةٌ   وَإِذْ كُلُّ شُرْبٍ بَارِدٍ لَمْ يُكَدَّرِ
وَإِذْ أَنْتَ لَمْ تَشْعُرْ بِعَيْنٍ سَخِينَةٍ   بَكَتْ مِنْ فِرَاقٍ لٰكِنِ ٱلْآنَ فَٱشْعُرِ

وقال ابو صخر الهذلي

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرَاكِ رَعْشَةٌ   كَمَا ٱنْتَفَضَ ٱلْعُصْفُورُ بَلَّلَهُ ٱلْقَطْرُ
عَجِبْتُ لِسَعْيِ ٱلدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا   فَلَمَّا ٱنْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ ٱلدَّهْرُ
أَمَا وَٱلَّذِي أَبْكَى وَأَضْحَكَ وَٱلَّذِي   أَمَاتَ وَأَحْيَى وَٱلَّذِي أَمْرُهُ ٱلْأَمْرُ
لَقَدْ تَرَكَتْنِي أَحْسُدُ ٱلْوَحْشَ أَنْ أَرَى   أَلِيفَيْنِ مِنْهَا مَا يَرُوعُهُمَا ٱلذُّعْرُ
هَجَرْتُكِ حَتَّى قُلْتِ لَا أَعْرِفُ ٱلْقِلَى   وَزُرْتُكِ حَتَّى قُلْتِ لَيْسَ لَهُ صَبْرُ
فَيَا هَجْرَ لَيْلَى قَدْ بَلَغْتَ بِيَ ٱلْمَدَى   وَزِدْتَ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ يَبْلُغُ ٱلْهَجْرُ

وقال السري بن مغيث النوفلي

أَلَا هَلْ مُقِيمِي ٱللّٰهُ فِي أَنْ ذَكَرْتُهَا   وَهُنَّ بِأَعْلَى ذَاتِ عِرْقٍ خَوَاضِعُ
سُحَيْرًا وَأَصْحَابِي يُلَبُّونَ بَعْدَمَا   بَدَا وَجْهُ مَشْهُورٍ مِنَ ٱلصُّبْحِ سَاطِعُ
تَمَضَّوْا هَدَاكُمْ رَبُّ مُوسَى فَإِنَّنِي   مُنِيخٌ فَبَاكٍ بِكْيَةً ثُمَّ رَافِعُ
وَبَيْنَ ٱلصَّفَا وَٱلرُّكْنِ نَادَمْتُ صُحْبَتِي   بِذِكْرَاكِ وَٱلْعُوَّادُ سَاعٍ وَرَاكِعُ
وَفِي جَوْفِ بَيْتِ ٱللهِ جَمْجَمْتُ زَفْرَةً   عَلَيْهَا وَظَلَّتْ تَسْتَهِلُّ ٱلْمَدَامِعُ
وَمِنْ نَفَرٍ عِنْدَ ٱلتَّنَبُّهِ جِئْتُهُمْ   وَكُلُّهُمُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللهِ خَاشِعُ
فَقُلْتُ لَهُمْ هَلْ تَعْلَمُونَ مِنَ ٱلْجَوَى   دَوَاءً فَقَالُوا أَنْتَ فِي ٱلنَّارِ وَاقِعُ
فَقُلْتُ لَهُمْ هَلْ تَعْلَمُونَ بِمَا ٱلَّذِي   أُرَجِّي وَلَا مَا ٱللهُ بِٱلْعَبْدِ صَانِعُ* ٢٧٥
أَيَجْعَلُنِي فِي ٱلنَّارِ رَبِّي وَحُبُّهَا   عَلَى كَبِدِي مِنْهُ شُؤُونٌ صَوَادِعُ

الباب التاسع والثلاثون

مُسَامَرَةُ ٱلْأَوْهَامِ وَٱلْأَمَانِي سَبَبٌ لِتَمَامِ ٱلْعَجْزِ وَٱلتَّوَانِي

قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو ٱلْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو ٱلْعَالِيَةِ قَالَ حَدَّثَنِي حَبَّابُ ٱلْقُشَيْرِيُّ قَالَ لَمَّا مَلَكَ ٱلْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ بَعَثَ إِلَى ٱبْنِ مَيَّادَةَ وَكَانَ مُعْجَباً بِشِعْرِهِ فَأَلْزَمَهُ بَابَهُ فَٱشْتَاقَ ٱلشَّيْخُ لَمَّا طَالَ مُقَامُهُ فَقَالَ

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِحَرَّةِ لَيْلَى حَيْثُ رَبَّتْنِي أَهْلِي
بِلَادٌ بِهَا نِيطَتْ عَلَيَّ تَمَائِمِي ... وَقُطِّعْنَ عَنِّي حَيْثُ أَدْرَكَنِي عَقْلِي
فَإِنْ كُنْتَ عَنْ تِلْكَ ٱلْمَوَاطِنِ حَابِسِي ... فَأَيْسِرْ عَلَيَّ ٱلرِّزْقَ وَٱجْمَعْ إِذًا شَمْلِي

قَالَ فَلَمَّا سَمِعَ شِعْرَهُ كَتَبَ لَهُ إِلَى مُصَدِّقِ كَلْبٍ أَنْ يُعْطِيَهُ مِئَةَ نَاقَةٍ دَهْمَاءَ جِعَادًا

وقال ابن ميادة

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَحِلَّنَّ أَهْلُهَا ... وَأَهْلُكَ رَوْضَاتٍ بِبَطْنِ ٱللِّوَى خُضْرَا
وَهَلْ تَأْتِيَنَّ ٱلرِّيحُ تَدْرُجُ مَوْهِناً ... [بِرَيَّاكِ] تَعْرُونِي بِهَا بَلَدًا قَفْرَا
بِرِيحِ خُزَامَى ٱلرَّمْلِ بَاتَ مُعَانِقاً ... فُرُوعَ ٱلْأَقَاحِي تَهْضِبُ ٱلطَّلَّ وَٱلْقَطْرَا
أَلَا لَيْتَنِي أَلْقَاكِ يَا أُمَّ جَحْدَرٍ ... قَرِيباً فَأَمَّا ٱلصَّبْرُ عَنْكِ فَلَا صَبْرَا
أَلَا لَا تُلَظِّي ٱلسِّتْرَ يَا أُمَّ جَحْدَرٍ ... كَفَى بِذُرَى ٱلْأَعْلَامِ مِنْ دُونِنَا سِتْرَا

وانشدني احمد بن يحيي

قَالَتْ أُمَيْمَةُ مَا لِجِسْمِكَ شَاحِباً ... وَجْدٌ بِقَلْبِي يَا أُمَيْمُ بَرَانِي

لِلّٰهِ صَاحِبِيَ ٱلَّذِي نَبَّأْتُهُ وَشَكَوْتُ حُبَّكِ عِنْدَهُ فَكَوَانِي
ظَنَّ ٱلْمَكَاوِي مُخْرِجَاتِ حَرَارَةٍ بَيْنَ ٱلضُّلُوعِ وَدُونَهَا هَيَمَانِي
يَا لَلرِّجَالِ أَمَا رَأَى مَا شَفَّنِي أَفَلَا بِذِكْرِكِ وَٱلْمُنَى دَاوَانِي ٢٧٦*

وقال كثيّر

وَدِدْتُ وَمَا تُغْنِي ٱلْوَدَادَةُ أَنَّنِي بِمَا فِي ضَمِيرِ ٱلْحَاجِبِيَّةِ عَالِمُ
فَإِنْ كَانَ خَيْرًا سَرَّنِي وَعَلِمْتُهُ وَإِنْ كَانَ شَرًّا لَمْ تَلُمْنِي ٱللَّوَائِمُ
وَمَا ذَكَرَتْكِ ٱلنَّفْسُ إِلَّا تَفَرَّقَتْ فَرِيقَيْنِ مِنْهَا عَاذِرٌ لِي وَلَائِمُ

وقال البحتري

مُنَى ٱلنَّفْسِ فِي أَسْمَاءَ لَوْ تَسْتَطِيعُهَا بِهَا وَجْدُهَا مِنْ غَادَةٍ وَوُلُوعُهَا
عَجِبْتُ لَهَا تُبْدِي ٱلْقِلَى وَأَوَدُّهَا وَلِلنَّفْسِ تَعْصِينِي هَوًى وَأُطِيعُهَا

وقال آخر

وَدِدْتُ بِأَنَّ ٱلنَّاسَ كُلَّهُمُ أَنَا وَأَنِّي فِدَاءٌ لِلَّذِي أَنَا عَاشِقُهْ
وَأَنِّي إِذَا صَاحَبْتُ لِلْعَرْضِ مِنْ غَدٍ إِلَى ٱللّٰهِ جِيرَانًا هُنَاكَ أُوَافِقُهْ
فَإِمَّا إِلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ نَكُنْ مَعًا وَإِمَّا إِلَى نَارٍ فَفِيهَا أُرَافِقُهْ

وقال كثيّر

يَوَدُّ بِأَنْ يُمْسِي سَقِيمًا لَعَلَّهَا إِذَا سَمِعَتْ عَنْهُ بِشَكْوَى تُرَاسِلُهْ
وَيَرْتَاحُ لِلْمَعْرُوفِ فِي طَلَبِ ٱلْعُلَى لِتُحْمَدَ يَوْمًا عِنْدَ لَيْلَى شَمَائِلُهْ
فَلَوْ كُنْتُ فِي كَبْلٍ وَبُحْتُ بِعَوْلَتِي إِلَيْهِ أَلَانَتْ جَمَّةً لِي سَلَاسِلُهْ
وَيُدْرِكُ غَيْرِي عِنْدَ غَيْرِكِ حَظَّهُ بِشِعْرِي وَيُعْيِينِي بِهِ مَا أُحَاوِلُهْ
فَلَا هَانَتِ ٱلْأَشْعَارُ بَعْدِي وَبَعْدَكُمْ مُحِبًّا وَمَاتَ ٱلشِّعْرُ بَعْدِي وَقَائِلُهْ

وقال آخر

تَمَنَّيْتُ فِي عَرْضِ ٱلْأَمَانِي وَرُبَّمَا تَمَنَّى ٱلْفَتَى أُمْنِيَّةً لَنْ يَنَالَهَا

٢٧٧ لَوَ انِّي وَسُعْدَى جَارُ بَيْتٍ حَبَابُنَا   فَتَعْلَمَ حَالِي ثُمَّ أَعْلَمَ حَالَهَا *

وقال عمر بن ابي ربيعة

يَا لَيْتَنِي قَدْ أَجَزْتُ ٱلْحَبْلَ دُونَكُمُ   حَبْلَ ٱلْمُعَرَّفِ أَوْ جَاوَزْتُ ذَا عُشَرِ
إِنَّ ٱلثَّوَاءَ بِأَرْضٍ لَا أَرَاكِ بِهَا   فَٱسْتَيْقِنِيهِ ثَوَاءٌ حَقٌّ ذِي كَدَرِ
وَمَا مَلِلْتُ وَلٰكِنْ زَادَ حُبُّكُمُ   وَمَا ذَكَرْتُكِ إِلَّا ظَلْتُ كَالسَّدِرِ
أُذْرِي ٱلدُّمُوعَ كَذِي سُقْمٍ يُخَامِرُهُ   وَمَا يُخَامِرُ مِنْ سُقْمٍ سِوَى ٱلذِّكَرِ
كَمْ قَدْ ذَكَرْتُكِ لَوْ أُجْزَى بِذِكْرِكُمُ   يَا أَشْبَهَ ٱلنَّاسِ كُلَّ ٱلنَّاسِ بِٱلْقَمَرِ
إِنِّي لَأَجْذَلُ أَنْ أَمْشِي مُقَابِلَهُ   حُبًّا لِرُؤْيَةِ مَنْ أَحْبَبْتُ فِي ٱلصُّوَرِ

ولبعض اهل هذا العصر

زُبَالَةُ لَاهُمَّ ٱسْقِهَا ثُمَّ رَوِّهَا   وَقُلْتُ لَهَا أَضْعَافُ ذِي ٱلدَّعَوَاتِ
أَلَا هَلْ إِلَى نَجْدٍ وَمَاءٍ بِقَاعِهَا   سَبِيلٌ وَأَرْوَاحٍ بِهَا عَطِرَاتِ
وَهَلْ لِي إِلَى تِلْكَ ٱلطُّلَيْحَةِ عَوْدَةٌ   عَلَى مِثْلِ تِلْكَ ٱلْحَالِ قَبْلَ وَفَاتِي
فَأَشْرَبَ مِنْ مَاءِ ٱلسَّمَاءِ فَأَرْتَوِي   وَأَرْعَى مَعَ ٱلْغِزْلَانِ فِي ٱلْفَلَوَاتِ
وَأُلْصِقَ أَحْشَائِي بِرَمْلِ زُبَالَةٍ   وَآنَسَ بِٱلظُّلْمَانِ وَٱلظَّبَيَاتِ

وقال بعض الاعراب

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتٌ أَصْبَحَتْ حَرَجًا   هَلْ أَهْبِطَنَّ بِلَادًا مَا بِهَا دُورُ
أَلَا سَبِيلَ إِلَى نَجْدٍ وَسَاكِنِهَا   أَمْ لَا بِنَجْدٍ حَبِيبُ ٱلْأَهْلِ مَهْجُورُ
لَقَدْ تَبَدَّلْتُ مِنْ نَجْدٍ وَسَاكِنِهِ   أَرْضًا بِهَا ٱلدِّيكُ يَزْقُو وَٱلسَّنَانِيرُ

وقال آخر

لَيْتَ شِعْرِي وَأَيْنَ مِنِّيَ لَيْتٌ   إِنَّ لَيْتًا وَإِنَّ لَوًّا عَنَاءُ

٢٧٨ أَيُّ سَاعٍ سَعَى لِيَقْطَعَ حَبْلِي   حِينَ لَاحَتْ لِلصَّالِحِ ٱلْجَوْزَاءُ *
وَٱسْتَكَنَّ ٱلْعُصْفُورُ كَرْهًا مَعَ ٱلضَّبِّ   وَأَوْفَى فِي عُودِهِ ٱلْحِرْبَاءُ

وَأَمَّا أَهْلُ قَرْيَةٍ أَنْكَرُونِي   عَرَفَتْنِي ٱلدَّوِيَّةُ ٱلْمَلْسَاءُ
عَرَفَتْ لَيْلَهَا ٱلطَّوِيلَ وَلَيْلِي   إِنَّ لَيْلَ ٱلْمَحْزُونِ فِيهِ عَنَاءُ

وقال آخر

عَسَى ٱللهُ يَا ظَلَّامُ أَنْ يَعقِبَ ٱلْهَوَى   فَتَلْقَى كَمَا قَدْ كُنْتُ فِيكِ لَقِيتُ
وَتُنْهَى فَتَزْدَادِي إِلَيَّ صَبَابَةً   كَمَا ٱزْدَدْتُ فِي حُبِّيكِ حِينَ نُهِيتُ
أَلَمْ تَعْلَمِي يَا رِيقَةَ ٱلْوَصْلِ أَنَّنِي   شَرِبْتُ بِصَابٍ بَعْدَكُمْ فَرَوِيتُ
وَإِنِّي لِخَيْرٍ قَدْ تَدَاوَيْتُ بَعْدَكُمْ   بِهَجْرٍ لَكُمْ مِنْ حُبِّكُمْ فَبَرِيتُ

وقال آخر

أَلَا لَيْتَنِي لَا أَطْلُبُ ٱلدَّهْرَ حَاجَةً   وَلَا بُغْيَةً إِلَّا عَلَيْكِ طَرِيقُهَا
فَيَا حَبَّذَا مِنْ مَنْظَرٍ لَوْ تَنَالُهُ   عِذَابُ ٱلثَّنَايَا أُمِّ عَمْرٍو وَرِيقُهَا

وقال آخر

إِذَا كَلَّمْتِنِي وَكَحَلْتِ عَيْنِي   بِعَيْنِكِ فَٱمْنَعِي مَا شِئْتِ مِنِّي
إِذَا ٱزْدَحَمَتْ هُمُومِي فِي فُؤَادِي   طَلَبْتُ لَهَا ٱلْمَخَارِجَ بِٱلتَّمَنِّي

وقال آخر

أَلَا لَيْتَ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ أُنْشَرُ نَشْرَةً   فَأَنْظُرَ مَا شَمْطَاءُ صَانِعَةٌ بَعْدِي
أَتَرْعَى وِصَالَ ٱلْعَهْدِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا   فَذٰلِكَ ظَنِّي أَمْ تَغَيَّرُ عَنْ عَهْدِي

وقال العباس بن الاحنف

تَمَنَّى رِجَالٌ مَا أَحَبُّوا وَإِنَّمَا   تَمَنَّيْتُ أَنْ أَشْكُو إِلَيْهَا وَتَسْمَعَا
أَرَى كُلَّ مَعْشُوقَيْنِ غَيْرِي وَغَيْرَهَا   قَدِ ٱسْتَعْذَبَا طَعْمَ ٱلْهَوَى وَتَمَتَّعَا
وَإِنِّي وَإِيَّاهَا عَلَى حَدِّ رِقْبَةٍ   وَتَفْرِيقِ شَمْلٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَعَا* ٢٧٩
وَإِنِّي لَأَنْهَى ٱلنَّفْسَ عَنْهَا وَلَمْ تَكُنْ   بِشَيْءٍ مِنَ ٱلدُّنْيَا سِوَاهَا لِتَقْنَعَا

وقال جميل

أَلَا لَيْتَنَا نَحْيَى جَمِيعاً وَإِنْ نَمُتْ   يُجَاوِرُ فِي ٱلْمَوْتَى ضَرِيحِي ضَرِيحُهَا
فَمَا أَنَا فِي طُولِ ٱلْحَيَاةِ بِرَاغِبٍ   إِذَا قِيلَ قَدْ سُوِّيَ عَلَيْهَا صَفِيحُهَا
أَظَلُّ نَهَارِي مُسْتَهَاماً وَنَلْتَقِي   مَعَ ٱللَّيْلِ رُوحِي فِي ٱلْمَنَامِ وَرُوحُهَا

وقال ابو بكر بن عبد الرحمان الزهري

وَلَمَّا نَزَلْنَا مَنْزِلًا طَلَّهُ ٱلنَّدَى   أَنِيقًا وَبُسْتَانًا مِنَ ٱلنَّوْرِ حَالِيَا
أَجَدَّ لَنَا طِيبُ ٱلْمَكَانِ وَحُسْنُهُ   مُنًى فَتَمَنَّيْنَا فَكُنْتِ ٱلْأَمَانِيَا

وقال مزاحم العقيلي

وَدِدْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ شَرَفِ ٱلْفَتَى   وَجَهْلِ ٱلْأَمَانِي أَنَّ مَا شِئْتُ تَفْعَلُ
فَتَرْجِعَ أَيَّامٌ مَضَيْنَ بِنِعْمَةٍ   عَلَيْنَا وَهَلْ يُثْنَى مِنَ ٱلْعَيْشِ أَوَّلُ

وقال جرير

أُؤَمِّلُ أَنْ أُلَاقِيَ آلَ لَيْلَى   كَمَا يَرْجُو أَخُو ٱلسَّنَةِ ٱلرَّبِيعَا
فَلَسْتُ بِنَائِمٍ إِلَّا بِهَمٍّ   وَلَا مُسْتَيْقِظًا إِلَّا مَرُوعَا

وقال آخر

فَمَا مَسَّ جَنْبِي ٱلْأَرْضَ إِلَّا ذَكَرْتُهَا   وَإِلَّا وَجَدْتُ رِيحَهَا فِي ثِيَابِيَا
فَيَا رَبِّ إِنْ كَانَتْ عَرُوضٌ هِيَ ٱلْمُنَى   فَزِنِّي بِعَيْنَيْهَا كَمَا زِنْتَهَا لِيَا

وقال سعد ذلفاء

فَلَيْتَ ٱبْنَ أَوْسٍ حِينَ يَأْتِيهِ أَهْلُهَا   يُخَاصِمُهُمْ أَهْلِي قَضَانِي لَهَا عَبْدَا
فَتَرْبِطَنِي ذَلْفَاءُ فِي شِقِّ بَيْتِهَا   إِلَى ٱلطُّنُبِ ٱلْأَقْصَى فَتُوسِعَنِي جَلْدَا
٢٨٠ فَأُضْحِكَ مِنْهَا إِذَا تَقُولُ نِسَاؤُهَا   لَكِ ٱلْوَيْلُ يَا ذَلْفَاءُ لَا تَقْتُلِي سَعْدَا*

وقال عروة بن حزام

كَأَنَّ قَطَاةً عُلِّقَتْ بِجَنَاحِهَا   عَلَى كَبِدِي مِنْ شِدَّةِ ٱلْخَفَقَانِ
أَلَا لَيْتَنَا نَحْيَى جَمِيعاً وَلَيْتَنَا   إِذَا نَحْنُ مُتْنَا ضَمَّنَا كَفَنَانِ

أَلَا لَيْتَنَا عَفْرَاءُ مِنْ غَيْرِ رِيبَـةٍ   بَعِيرَانِ نَرْعَى ٱلْقَفْرَ مُؤْتَلِفَـانِ
وَإِنِّي لَأَهْوَى ٱلْحَشْرَ إِذْ قِيلَ إِنَّنِي   وَعَفْرَاءَ يَوْمَ ٱلْحَشْرِ مُلْتَقِيَـانِ

وقال آخر

أَلَا مَنْ لِهَمٍّ بِتُّ وَحْدِي أُكَابِدُهْ   وَمَنْ يَكُ ذَا هَمٍّ يَبِتْ وَهْوَ عَامِدُهْ
تَذَكَّرْتُ بَطْنَ ٱلْجَبْرِ يَا لَيْتَنِي بِـهِ   إِذَا ٱعْتَمَّ بَيْتاً مَتْنُـهُ وَأَجَالِدُهْ

وقال الاحوص

إِنِّي لَآمُلُ أَنْ تَدْنُو وَإِنْ بَعُدَتْ   وَٱلشَّيْءُ يُؤْمَلُ أَنْ يَدْنُو وَإِنْ بَعُدَا
أَبْغَضْتُ كُلَّ بِلَادٍ كُنْتُ آلَفُهَـا   فَمَا أُلَائِمُ إِلَّا أَرْضَهَـا بَلَـدَا
يَا لَلرِّجَالِ لِمَقْتُولٍ بِـلَا تِرَةٍ   لَا يَأْخُذُونَ لَـهُ عَقْلًا وَلَا قَوَدَا
إِنْ قَرُبَتْ لَمْ يُفِقْ عَنْهَا وَإِنْ بَعُدَتْ   تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ مِنْ حُبِّهَـا قِـدَدَا
مَا تُذْكَرُ ٱلدَّهْرَ لِي سُعْدَى وَإِنْ نَزَحَتْ   إِلَّا تَرَقْرَقَ مَـاءُ ٱلْعَيْنِ فَـاطَّرَدَا
وَلَا قَرَأْتُ كِتَـابًا مِنْـكِ يَبْلُغُنِي   إِلَّا تَنَفَّسْتُ مِنْ وَجْدٍ بِكُمْ صُعُدَا
وَقَدْ بَدَتْ لِيَ مِنْ سُعْدَى مُعَاتَبَةٌ   أُمْسِي وَأُضْحِي بِهَا جِدِّي وَمَا سَعِدَا
وَلَوْ أُعَاتِبُ ذَا حِقْدٍ قَتَلْتُ لَـهُ   نَفْساً مُعَـاتَبَتِي إِيَّاكِ مَا حَقَـدَا

وقال النميري

أَلَا هَلْ إِلَى نَصِّ ٱلنَّوَاعِجِ بِٱلضُّحَى   وَشَمِّ ٱلْخُزَامَى بِٱلْعَشِيِّ سَبِيـلُ
بِلَادٌ بِهَا أُمْسِي ٱلْهَوَى غَيْرَ أَنَّنِي   أَمِيلُ مَعَ ٱلْمِقْدَارِ حَيْثُ يَمِيـلُ

وقال ابو القمقام الفقعسي* ٢٨١

يَقَرُّ بِعَيْنِي أَنْ أَرَى رَمْلَةَ ٱلْغَضَـا   إِذَا مَا بَدَتْ يَوْماً [لِعَيْنِي] قِـلَالُهَا
وَلَسْتُ وَإِنْ أَحْبَبْتُ مَنْ يَسْكُنُ ٱلْغَضَا   بِـأَوَّلِ رَاجٍ حَاجَـةً لَا يَنَـالُهَا

وقال ايضاً

تَبَدَّلَ هٰـذَا ٱلسِّدْرُ أَهْـلًا وَلَيْتَنِي   أَرَى ٱلسِّدْرَ بَعْدِي كَيْفَ كَانَتْ بَدَائِلُهْ

فَمَهْدِي بِهِ عَذْبَ ٱلْجَنَى نَاعِمَ ٱلذُّرَى تَطِيبُ وَتَنْدَى بِٱلْعَشِيِّ أَصَائِلُهْ
كَمَا لَوْ وَشَى بِٱلسِّدْرِ وَاشٍ رَدَدْتُهُ كَئِيباً وَلَمْ تَمْلَحْ لَدَيَّ شَمَائِلُهْ

وقال آخر

أَلَا هَلْ إِلَى إِلْمَامَةٍ قَبْلَ مَوْتِنَا سَبِيلٌ وَهَلْ لِلنَّازِحِينَ رُجُوعُ
وَهَلْ لِعُيُونٍ قَدْ بَكَيْنَ إِلَى ٱلْفَلَا وَأَبْكَيْنَ حَتَّى مَا لَهُنَّ دُمُوعُ
يُحَاذِرْنَ أَنْ لَا يَرْتَجِعْنَ إِلَى ٱلْفَلَا وَأَنْ لَا يُرَاعَ ٱلشَّمْلُ وَهْوَ جَمِيعُ

الباب الاربعون

مَنْ قَصُرَ نَوْمُهُ طَالَ لَيْلُهُ

أَمَّا هٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ تَرْجَمْنَا هٰذَا ٱلْبَابَ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَلَى كُلِّ ٱلْأَحْوَالِ أَعْذَرُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَهُمْ عَلَى أَنَّ فَرَاغَهُمْ لِوَصْفِ مَا بَدَا لَهُمْ هُجْنَةٌ بِهِمْ وَدَلَالَةٌ عَلَى ضَعْفِ أَحْوَالِهِمْ وَقَالَ ٱلطَّائِيُّ وَمَا أَظُنُّ أَنَّهُ ٱحْتَرَزَ بِهِ مِنْ هٰذَا ٱللَّوْمِ ٱلَّذِي يَلْحَقُ غَيْرَهُ فَأَلْزَمَ نَفْسَهُ أَكْثَرَ مَا حَذِرَهُ وَذٰلِكَ قَوْلُهُ

لَسْتُ أَدْرِي أَطَالَ لَيْلِيَ أَمْ لَا كَيْفَ يَدْرِي بِذَاكَ مَنْ يَتَقَلَّى
لَوْ تَفَرَّغْتُ فِي ٱسْتِطَالَةِ لَيْلِي وَلِرَعْيِ ٱلنُّجُومِ كُنْتُ مُخِلَّا

فَهُوَ وَإِنْ كَانَتْ جَهَالَتُهُ بِحَالِهِ دَالَّةً عَلَى قُوَّةِ ٱشْتِغَالِهِ فَإِنَّ عِلْمَهُ بِٱلْعِلَّةِ ٱلَّتِي أَوْجَبَتْ جَهْلَهُ بِهَا ضَرْبٌ مِنَ ٱلْفَلْسَفَةِ ٱلَّتِي لَا يَصْلُحُ أَنْ يَعْلَمَهَا إِلَّا مُتَخَلٍّ مِنْ هٰذِهِ ٱلْحَالَةِ كُلِّهَا فَقَرَّ مِنْ شَيْءٍ وَوَقَعَ فِي أَعْظَمَ مِنْهُ أَلَا
٢٨٢ تَرَى أَنَّ ٱلْبَهَائِمَ تَجِدُ أَلَمَ مَا يَنَالُهَا وَتُظْهِرُ ٱلتَّأَذِّي بِهِ* وَلَيْسَ يَعْلَمُ أَنَّ

ٱلاِشْتِغَالَ بِٱلأَلَمِ يَمْنَعُ مِنْ وَصْفِهِ إِلَّا أَهْلُ ٱلْفَلْسَفَةِ وَٱلْحِكَمِ وَٱلتَّكَلُّفُ إِذَا دَخَلَ فِي شَيْءٍ نَبَّهَ عَلَى مَوْضِعِهِ وَتَرْجَمَ عَنْ ضَمِيرِ مُتَحَلِّلِهِ وَلَسْنَا قَادِرِينَ عَلَى ذِكْرِ حَالٍ تَامَّةٍ عَنْ أَحَدٍ مِنَ ٱلشُّعَرَاءِ فِي هٰذَا ٱلْبَابِ لِأَنَّ كُلَّ وَاصِفٍ بِوَصْفِهِ أَدَلُّ ٱلأَشْيَاءِ عَلَى ضَعْفِهِ فَأَهْلُ ٱلتَّمَامِ إِذَنْ سُكُوتٌ عَنِ ٱلْوَصْفِ مُسْتَغْرِقُونَ فِي غَمَرَاتِهِ مُشْتَغِلُونَ بِهِ عَنْ صِفَاتِهِ وَلٰكِنَّا نَذْكُرُ عَنْ أَهْلِ ٱلضَّعْفِ ٱلْمُسْتَطِيعِينَ لِتَرْتِيبِ ٱلْوَصْفِ أَحْسَنَ مَا يَحْضُرُنَا مِنْ أَقَاوِيلِهِمْ وَمَا زَادُوا فِيهِ عَلَى أَمْثَالِهِمْ وَنُظَرَائِهِمْ

قال النابغة الذبياني

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةُ نَاصِبِ ... وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ ٱلْكَوَاكِبِ
وَصَدْرٍ أَرَاحَ ٱللَّيْلُ عَازِبَ هَمِّهِ ... يُضَاعِفُ فِيهِ ٱلْحُزْنَ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
تَقَاعَسَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمُنْقَضٍ ... وَلَيْسَ ٱلَّذِي يَرْعَى ٱلنُّجُومَ بِآيِبِ

وقال عبيد الراعي

كَأَنَّ بِلَادَهُنَّ سَمَاءُ لَيْلٍ ... تَكَشَّفُ عَنْ كَوَاكِبِهَا ٱلْغُيُومُ
مَلِلْتُ بِهَا ٱلثَّوَاءَ وَأَرَّقَتْنِي ... هُمُومٌ مَا تَنَامُ وَلَا تُنِيمُ
أَبِيتُ بِهَا أُرَاعِي كُلَّ نَجْمٍ ... وَشَرُّ رِعَايَةِ ٱلْعَيْنِ ٱلنُّجُومُ

وقال سويد بن ابي كاهل

وَأَبِيتُ ٱللَّيْلَ مَا أَرْقُدُهُ ... وَبِعَيْنَيَّ إِذَا ٱلنَّجْمُ طَلَعْ
فَإِذَا مَا قُلْتُ لَيْلِي قَدْ مَضَى ... عَطَفَ ٱلأَوَّلُ مِنْهُ فَرَجَعْ
يَسْحَبُ ٱللَّيْلُ نُجُوماً ظُلَّعاً ... فَتَوَالِيهَا بَطِيئَاتُ ٱلتَّبَعْ

وقال جرير

أَتَى دُونَ هٰذَا ٱلْيَوْمِ هَمٌّ فَأَسْهَرَا ... أُرَاعِي نُجُوماً تَالِيَاتٍ وَغُوَّرَا
أَقُولُ لَهَا مِنْ أَجْلِهِ لَيْسَ طُولُهَا ... كَطُولِ ٱللَّيَالِي لَيْتَ صُبْحَكِ نَوَّرَا* ٢٨٣

وقال ابو تمام

أَفْنَى وَلَيْلِي لَيْسَ يَفْنَى آخِرُهْ هَاتَا مَوَارِدُهْ فَأَيْنَ مَصَادِرُهْ
نَامَتْ عُيُونُ ٱلشَّامِتِينَ تَيَقُّنًا أَنْ لَيْسَ يَهْجَعُ وَٱلْهُمُومُ تُسَامِرُهْ
لَا شَيْءَ ضَائِرُ عَاشِقٍ فَإِذَا نَأَى عَنْهُ ٱلْحَبِيبُ فَكُلُّ شَيْءٍ ضَائِرُهْ

وقال كثير

وَلِي مِنْكِ أَيَّامٌ إِذَا تَشْحَطُ ٱلنَّوَى طِوَالٌ وَلَيْلَاتٌ تَزُولُ نُجُومُهَا
إِذَا سُمْتُ نَفْسِي هَجْرَهَا وَٱجْتِنَابَهَا رَأَتْ غَمَرَاتِ ٱلْمَوْتِ فِيمَا أَسُومُهَا

وَذَكَرُوا أَنَّ عَلِيَّ بْنَ ٱلْجَهْمِ لَمَّا طُعِنَ فِي بَرِّيَّةِ حَلَبَ قَالَ لِغُلَامِهِ فِي أَوَّلِ ٱللَّيْلِ أَطَلَعَ ٱلنَّجْمُ أَمْ لَا فَقَالَ لَهُ غُلَامُهُ هٰذَا بَعْدُ وَقْتُ ٱلْعِشَاءِ فَأَنْشَأَ يَقُولُ

هَلْ زِيدَ فِي ٱللَّيْلِ لَيْلُ أَمْ سَالَ بِٱلصُّبْحِ سَيْلُ
ذَكَرْتُ أَهْلَ دُجَيْلٍ وَأَيْنَ مِنِّي دُجَيْلُ

ثُمَّ مَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ

وقال البحتري

مَغَانِي سُلَيْمَى بِٱلْعَقِيقِ وَدُونَهَا أَجَدَّ ٱلشَّجَى إِخْلَاقُهَا وَدُثُورُهَا
وَأَلْحَقَنِي بِٱلشَّيْبِ فِي عُقْرِ دَارِهِ مَنَاقِلُ فِي عَرْضِ ٱلشَّبَابِ أَسِيرُهَا
مَضَتْ فِي سَوَادِ ٱلرَّأْسِ أُولَى بَطَالَتِي فَدَعْنِي يُصَاحِبْ وَخْطَ رَأْسِي أَخِيرُهَا
وَأَطْرَيْتَ لِي بَغْدَادَ إِطْرَاءَ مَادِحٍ وَهٰذِي لَيَالِيهَا فَكَيْفَ شُهُورُهَا

وقال ايضاً

أُنَبِّيكَ عَنْ عَيْنِي وَطُولِ سُهَادِهَا وَوَحْدَةِ نَفْسِي بِٱلْأَسَى وَٱنْفِرَادِهَا
وَأَنَّ ٱلْهُمُومَ ٱعْتَدْنَ بَعْدَكَ مَضْجَعِي وَأَنْتِ ٱلَّتِي وَكَّلْتِنِي بِٱعْتِيَادِهَا
خَلِيلَيَّ إِنِّي ذَاكِرٌ عَهْدَ خُلَّةٍ تَوَلَّتْ وَلَمْ أَذْمُمْ حَمِيدَ وِدَادِهَا

فَوَاعَجَبَا مَا كَانَ أَقْصَرَ دَهْرَهَا ... لَدَيَّ وَأَدْنَى قُرْبَهَا مِنْ بِعَادِهَا* ٢٨٤
وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ ٱلرَّدَى قَبْلَ بَيْنِهَا ... وَأَنَّ ٱفْتِقَادَ ٱلْعَيْشِ قَبْلَ ٱفْتِقَادِهَا
بِنَفْسِي مَنْ عَادَيْتُ مِنْ أَجْلِ فَقْدِهِ ... بِلَادِي وَلَوْلَا فَقْدُهُ لَمْ أُعَادِهَا

وقال ابو تمام

رَأَيْتُ فِي ٱلنَّوْمِ أَنَّ ٱلصُّلْحَ قَدْ فَسَدَا ... وَأَنَّ مَوْلَايَ بَعْدَ ٱلْقُرْبِ قَدْ بَعُدَا
لِمْ لَمْ أَمُتْ جَزَعاً لِمْ لَمْ أَمُتْ أَسَفاً ... لِمْ لِمْ أَمُتْ حَزَنًا لِمْ لَمْ أَمُتْ كَمَدَا
قَدْ كِدْتُ أَحْلِفُ لَوْلَا أَنَّهُ سَرَفٌ ... أَنْ لَا أَذُوقَ رُقَادًا بَعْدَهُ أَبَدَا

فَهٰذَا قَدْ زَادَنَا رُتْبَةً عَلَى مَا عَنَى لِأَنَّهُ لَمْ يَدَعِ ٱلنَّوْمَ شَوْقاً إِلَى مَنْ يَهْوَاهُ ثُمَّ رَأَى فِي ٱلنَّوْمِ مَا قَدْ وَصَفَ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّ تَرْكَهُ إِيَّاهُ مَعَ ذٰلِكَ سَرَفٌ وَلَوْ جَعَلَ ٱمْتِنَاعَهُ مِنْ تَرْكِ ٱلنَّوْمِ شَوْقاً إِلَى رُؤْيَةِ ٱلطَّيْفِ فَقَالَ قَدْ كِدْتُ أَحْلِفُ لَوْلَا ٱلطَّيْفُ مُجْتَهِدًا أَلَّا أَذُوقَ رُقَادًا بَعْدَهُ أَبَدًا كَانَ أَعْذَرَ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَإِنْ دَخَلَ ذٰلِكَ ضُرُوبٌ مِنَ ٱلْاِخْتِلَالِ مِنْهَا أَنَّهُ نَامَ أَوَّلًا حَتَّى رَأَى مَا رَأَى وَمِنْهَا أَنَّهُ لَمْ يَتَهَيَّأْ لَهُ تَرْكُ ٱلنَّوْمِ إِلَّا بِيَمِينٍ عَلَى نَفْسِهِ وَمِنْهَا أَنَّهُ مَعَ ذٰلِكَ لَمْ يَحْلِفْ أَيْضاً وَإِنَّمَا أَرْجَفَ بِٱلْيَمِينِ

وقال ايضاً

لَا نِمْتَ عَيْناً وَلَا لُقِّيتَ عَافِيَةً ... وَكَانَ حَظُّكَ بَعْدَ ٱللَّيْلَةِ ٱلْأَرَقَا
أَنِمْتَ لَا نِمْتَ فِي خَيْرٍ وَلَا دَعَةٍ ... حَتَّى أَتَى أَجَلُ ٱلْمِيعَادِ فَٱنْطَلَقَا

فَهٰذَا عَافَانَا ٱللّٰهُ وَإِيَّاهُ أَلْوَمُ فِي هٰذَا ٱلنَّوْمِ مِنْ كُلِّ مَا لُمْنَاهُ لِأَنَّ ٱلْإِنْسَانَ يُشْغَلُ قَلْبُهُ بِمَجِيءِ خَادِمِهِ مِنْ حَاجَةٍ لَا قَدْرَ لَهَا فِي قَلْبِهِ فَيُشْغِلُهُ ذٰلِكَ عَنْ نَوْمِهِ فَكَيْفَ لِمَنْ يَعِدُهُ مَنْ يَهْوَاهُ بِزِيَارَةٍ فَيَنَامُ عَنْ مَوْعِدِهِ

وقال البحتري

أَنْظُرْ إِلَى نَاظِرٍ قَدْ شَفَّهُ ٱلسَّهَدُ وَٱعْطِفْ عَلَى مُهْجَةٍ أَوْدَى بِهَا ٱلْكَمَدُ

٢٨٥ لَا ذُقْتَ مَا ذَاقَهُ مَنْ أَنْتَ مَالِكُهُ وَلَا وَجَدْتَ بِهِ مِثْلَ ٱلَّذِي يَجِدُ*

أَخْفَى هَوَاكَ فَنَمَّتْهُ مَدَامِعُهُ وَٱلْعَيْنُ تُعْرِبُ عَمَّا ضَمَّتِ ٱلْكَبِدُ

فَأَنْ جَحَدْتَ ٱلَّذِي قَاسَاهُ بَيْنَهُمَا فَشَاهِدَاهُ عَلَيْكَ ٱلْخَدُّ وَٱلْجَسَدُ

وانشدني محمد بن الخطاب الكلابي لنفسه

أَرِقْتُ وَحَالَفَتْ لِينَ ٱلْوِسَادِ وَلَمْ يَسْعَدْ وَلُذَّتْ بِٱلْمِهَادِ

وَبَاتَتْ وَٱلسُّرُورُ لَهَا ضَجِيعٌ تَجَنَّبُهَا مُجَانَبَةُ ٱلرُّقَادِ

وَبِتُّ وَمُرْهَفَاتُ ٱلشَّوْقِ تَفْرِي بِهَا [عُنُقَ] ٱلْكَرَى يَدُ ٱلسُّهَادِ

فَكَمْ تَزْوِي بِأَدْمُعِنَا خُدُودًا لَنَا جَرْحَى وَأَنْفُسُنَا صَوَادِ

وقال آخر

تَطَاوَلَ أَيَّامِي وَلَلَّيْلُ أَطْوَلُ وَلَامَ عَلَى حُبِّي أُمَيْمَةَ عُذَّلُ

يَلُومُونَ صَبًّا أَضْرَعَ ٱلْحُبُّ جِسْمَهُ وَمَا ضَرَّهُمْ لَوْ لَمْ يَلُومُوا وَأَجْمَلُوا

وقال آخر

قَدْ كَانَ يَكْفِيكَ مَا بِٱلْجِسْمِ مِنْ سَقَمٍ لِمْ زِدْتَنِي سَهَرًا لَا مَسَّكَ ٱلسَّهَرُ

عَيْنٌ مُؤَرَّقَةٌ وَٱلْجِسْمُ مُخْتَبَلٌ وَٱلْقَلْبُ بَيْنَهُمَا تَخْلُو بِهِ ٱلْفِكَرُ

يَا حَارِمِي لَذَّةَ ٱلدُّنْيَا وَبَهْجَتَهَا قَدْ كَانَ يُقْنِعُنِي مِنْ وَجْهِكَ ٱلنَّظَرُ

ولبعض اهل هذا العصر

يَا مَانِعًا مُقْلَتِي مِنْ لَذَّةِ ٱلْوَسَنِ رُوحِي تَقِيكَ مِنَ ٱلْأَسْوَاءِ وَٱلْحَزَنِ

وَٱللهِ لَا سَكَنَتْ رُوحِي إِلَى سَكَنٍ إِلَّا إِلَيْكَ وَلَا حَنَّتْ إِلَى وَطَنِ

وَلَنْ أَقُولَ وَلَوْ أَضْنَى ٱلْهَوَى كَبِدِي رَدًّا لِقَوْلِكَ لِي قَدْ خُنْتَ لَمْ أَخُنِ

هَبْنِي غَرِيبًا [أَلَامَ] ٱلْيَوْمَ فِيكَ [أَ]لَمْ أَكُنْ حَقِيقًا بِأَنْ أُعْدَى عَلَى ٱلزَّمَنِ

فَلَا تَدَعْ رَعْيَ مَا قَدْ كُنْتَ تَعْلَمُهُ مِنِّي يَقِيناً وَتَهْجُرْنِي عَلَى ٱلظَّنِّ
فَلَمْ تَزَلْ مُذْ عَرَفْتُ ٱلْحُبَّ فِي كَبِدِي أَحَبَّ وَٱللهِ مِنْ رُوحِي إِلَى بَدَنِي* ٢٨٦

وَتَوَهَّمَ هٰؤُلَاءِ بِمَنْعِ أَحِبَّتِهِمْ إِيَّاهُمُ ٱلنَّوْمَ وَإِنْ كَانَ مُسْقِطاً عَنْهُمْ لَائِمَةَ ٱلنُّوَّامِ فَإِنَّهُ مُوجِبٌ عَلَيْهِمْ ضَرْباً مِنَ ٱلْمَلَامِ لِأَنَّ فِي ٱلْحَالِ يَرَوْنَ سَهَرَهُمْ بِٱلْفِكْرِ فِي أَحِبَّتِهِمْ نِعْمَةً لَا يُعْرَفُ قَدْرُهَا فَضْلًا عَنْ أَنْ يُؤَدَّى شُكْرُهَا

ولقد احسن الذي يقول

يَا نَسِيمَ ٱلرَّوْضِ فِي ٱلسَّحَرِ وَشَبِيهَ ٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ
إِنَّ مَنْ أَسْهَرْتَ لَيْلَتَهُ لَقَرِيرُ ٱلْعَيْنِ بِٱلسَّهَرِ

عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ عَلَى صَاحِبِ هٰذَا ٱلشِّعْرِ أَنْ يَكُونَ ٱلسَّهَرُ ٱلَّذِي مَدَحَهُ هُوَ ٱلسَّهَرُ مَعَ إِلْفِهِ لَا ٱلسَّهَرُ بِٱلْفِكْرَةِ فِي أَمْرِهِ وَمِنْ أَبْلَغِ مَا قِيلَ فِي طُولِ ٱللَّيْلِ

قول خالد الكاتب

رَقَدْتَ فَلَمْ تَرْثِ لِلسَّاهِرِ وَلَيْلُ ٱلْمُحِبِّ بِلَا آخِرِ
وَلَمْ تَدْرِ بَعْدَ ذَهَابِ ٱلرُّقَادِ مَا صَنَعَ ٱلدَّمْعُ بِٱلنَّاظِرِ

وَلَقَدْ أَكْثَرَ ٱلنَّاسُ فِي ٱسْتِطَالَةِ ٱللَّيْلِ وَأَصَحُّ مَا قِيلَ فِيهِ مَعْنًى

قول بشّار

لَمْ يَطُلْ لَيْلِي وَلٰكِنْ لَمْ أَنَمْ وَنَفَى عَنِّي ٱلْكَرَى طَيْفٌ أَلَمْ
وَإِذَا قُلْتُ لَهَا جُودِي لَنَا خَرَجَتْ بِٱلصَّمْتِ عَنْ لَا وَنَعَمْ

وانشدني ابو الفضل بن ابي طاهر قال انشدني ابو دعامة علي بن زيد للخليل بن هشام

يَقُولُونَ طَالَ ٱللَّيْلُ وَٱللَّيْلُ لَمْ يَطُلْ وَلٰكِنَّ مَنْ يَهْوَى مِنَ ٱلْهَمِّ يَسْهَرُ
وَكَمْ لَيْلَةٍ طَالَتْ عَلَيَّ بِهَجْرِكُمْ وَأُخْرَى تَلِيهَا نَلْتَقِي فَهْيَ تَقْصُرُ

وَلَا أَعْلَمُ أَحَداً ٱسْتَطَالَ ٱللَّيْلَ مِمَّنْ خَبَّرَ بِعِلَّةِ ٱسْتِطَالَتِهِ وَلَا مِمَّنْ لَمْ يُخْبِرْهَا

شَرَحَ ٱلسَّبَبَ ٱلْمُضْجِرَ مِنَ ٱللَّيْلِ مَا هُوَ غَيْرُ

الطرماح حيث يقول

أَلَا أَيُّهَا ٱللَّيْلُ ٱلطَّوِيلُ أَلَا ٱصْبِحِ ... بِصُبْحٍ وَمَا ٱلْإِصْبَاحُ فِيهَا بِأَرْوَحِ
٢٨٧ عَلَى أَنَّ لِلْعَيْنَيْنِ فِي ٱلصُّبْحِ رَاحَةً ... بِطَرْحِهِمَا طَرْفَيْهِمَا كُلَّ مَطْرَحِ*

وهذا قول امرئ القيس

أَلَا أَيُّهَا ٱللَّيْلُ ٱلطَّوِيلُ أَلَا ٱنْجَلِي ... بِصُبْحٍ وَمَا ٱلْإِصْبَاحُ فِيكَ بِأَمْثَلِ

إِلَّا أَنَّ ٱمْرَأَ ٱلْقَيْسِ لَمْ يَقُلْ لِمَ صَارَ ٱلنَّهَارُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَمْثَلَ مِنَ ٱللَّيْلِ وَٱلْقُلُوبُ إِلَيْهِ أَمْيَلُ مِنْهَا إِلَى ٱللَّيْلِ كَمَا بَيَّنَهُ ٱلطِرِمَّاحُ وَمَنْ سَرَقَ مَعْنًى فَزَادَ فِيهِ ٱحْتُمِلَ لَهُ جُرْمُ سَرِقَتِهِ لِمَوْضِعِ زِيَادَتِهِ وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي تَرْكِ ٱلنَّوْمِ

قول مسلم بن الوليد

لَمَّا ٱلْتَقَيْنَا ٱفْتَرَعْنَا فِي تَعَاتُبِنَا ... مِنَ ٱلْحَدِيثِ وَمِنْ لَذَاتِهِ ٱلْعُذَرَا
قَالَتْ أَأَقْرَرْتَ بِٱلْإِجْرَامِ قُلْتُ نَعَمْ ... إِنْ كَانَ جُرْمٌ عَلَى ٱلْإِقْرَارِ مُغْتَفَرَا
لَمْ تُغْمِضِ ٱلْعَيْنُ مُذْ عُلِّقْتُ حُبَّكُمُ ... إِلَّا إِذَا خَالَسَتْهَا عَيْنُكِ ٱلنَّظَرَا

ولقد احسن بشار بن برد حيث يقول

كَأَنَّ جُفُونَهُ سُمِلَتْ بِشَوْكٍ ... فَلَيْسَ لِنَوْمِهِ فِيهَا قَرَارُ
جَفَتْ عَيْنِي عَنِ ٱلتَّغْمِيضِ حَتَّى ... كَأَنَّ جُفُونَهَا عَنْهَا قِصَارُ
أَقُولُ وَلَيْلَتِي تَزْدَادُ طُولًا ... أَمَا لِلَّيْلِ بَعْدَهُمُ نَهَارُ

وقال آخر

وَعَيْنٍ لَنَا مِنْ ذِكْرِ صَعْبَةَ وَاكِفٍ ... إِذَا غَاضَهَا كَانَتْ سَرِيعًا جُمُومُهَا
تَنَامُ قَرِيرَاتُ ٱلْعُيُونِ وَبَيْنَهَا ... وَبَيْنَ حِجَابَيْهَا قَذًى لَا يَرِيمُهَا

وقال آخر

لَعَلَّ جُفُونًا فَوْقَ ٱلْبَيْنُ بَيْنَهَا   [وَبَيْنَ ٱلْكَرَى تَخطَى] بِطَعْمِ رُقَادِ
وَيُحْسَرُ دَمْعٌ مَا يَزَالُ كَأَنَّهُ   عَلَى ٱلْخَدِّ مُنْهَلًّا تَدَافُعُ وَادِ
كَأَنَّ ٱلسَّوَارِي وَٱلْغَوَادِي تَكَلَّفَتْ   لَهُ بِسَوَارِي أَدْمُعٍ وَغَوَادِي

وقال آخر

إِذَا زُيِّنَتْ بِٱلدُّرِّ يَوْمًا فَإِنَّهَا   تُزَيِّنُهُ وَٱلدُّرُّ لَيْسَ يَزِينُهَا* ٢٨٨
أَبِيتُ طِوَالَ ٱلدَّهْرِ أَبْكِي لِذِكْرِهَا   بِعَيْنِ مُحِبٍّ مَا تَلَاقَى جُفُونُهَا
وَأَقْطَعُ أَيَّامِي بِهَمٍّ وَفِكْرَةٍ   أُعَلِّلُ نَفْسًا قَدْ بَرَانِي حَنِينُهَا
وَأَحْفَظُهَا فِي ٱلْغَيْبِ حَتَّى كَأَنَّنِي   حَلَفْتُ لَهَا بِٱللهِ أَنْ لَا أَخُونُهَا

وقال جرير

أَلَا حَيِّ ٱلدِّيَارَ بِسُعْدَ إِنِّي   أُحِبُّ لِحُبِّ فَاطِمَةَ ٱلدِّيَارَا
أَرَادَ ٱلظَّاعِنُونَ لِيُحْزِنُونِي   فَهَاجُوا صَدْعَ قَلْبِيَ فَٱسْتَطَارَا
أَبِيتُ ٱللَّيْلَ أَرْقُبُ كُلَّ نَجْمٍ   تَعَرَّضَ حَيْثُ أَنْجَدَ أَوْ أَغَارَا
يَهِيمُ فُؤَادُهُ وَٱلْعَيْنُ تَلْقَى   مِنَ ٱلْعَبَرَاتِ جَوْلًا وَٱنْحِدَارَا

وقال ايضاً

نَامَ ٱلْخَلِيُّ وَمَا رَقَدْتُ لِحُبِّكُمْ   لَيْلَ ٱلتَّمَامِ تَأَرُّقًا وَسُهُودَا
وَإِذَا رَجَوْتُ بِأَنْ تُقَرِّبَكِ ٱلنَّوَى   كَانَ ٱلْقَرِيبُ لِمَا رَجَوْتُ بَعِيدَا

وقال الراعي

كَفَانِي مُقَاسَاةَ ٱلْكَرَى وَكَفَيْتُهُ   كِلَاءُ ٱلنُّجُومِ وَٱلنُّعَاسُ مُعَانِقُهْ
فَبَاتَ يُرِيهِ عرسهِ وبناتهِ   وَبِتُّ أُرَاعِي ٱلنَّجْمَ أَيْنَ مَخَافِقُهْ

وقال امرؤ القيس

أَعِنِّي عَلَى ٱلْأَشْجَانِ وَٱلذِّكَرَاتِ   يَبِتْنَ عَلَى ذِي ٱلْهَمِّ مُعْتَكِرَاتِ
ظَلَلْتُ رِدَائِي فَوْقَ رَأْسِي قَاعِدًا   أَعُدُّ ٱلْحَصَى مَا تَنْقَضِي عَبَرَاتِي

بِلَيْلِ ٱلتَّمَامِ أَوْ وُصِلْنَ بِمِثْلِهِ مُقَايَسَةً أَيَّامُهَا نَكِرَاتِ

وانشدتني اعرابية بالبادية

أَرِقْتُ وَطَالَتْ لَيْلَتِي بِأَبَانِ لِبَرْقٍ سَرَى بَعْدَ ٱلْهُدُوِّ يَمَانِي
٢٨٩ فَيَا عَمِّ عَمَّ ٱلسُّوءِ فَرَّقْتَ بَيْنَنَا وَنَحْنُ جَمِيعاً شَمْلُنَا مُتَدَانِي*

وقال محمد بن عبد الملك الزيات

كَتَبَتْ عَلَى فَصٍّ لِخَاتَمِهَا مَنْ مَلَّ مِنْ أَحْبَابِهِ رَقَدَا
فَكَتَبْتُ فِي فَصِّي لِيَبْلُغَهَا مَنْ نَامَ لَمْ يَشْعُرْ بِمَنْ سَهِدَا
قَالَتْ يُعَارِضُنِي بِخَاتَمِهِ وَٱللّٰهِ لَا كَلَّمْتُهُ أَبَدَا

وقال آخر

وَلِي مُقْلَةٌ عَهْدُهَا بِٱلْمَنَامِ بَعِيدٌ وَبِٱلدَّمْعِ عَهْدٌ قَرِيبٌ
يَحَارُ إِذَا زَادَ طَرْفِي ٱلْمَنَامُ كَمَا حَارَ فِي ٱلْحَيِّ ضَيْفٌ غَرِيبٌ

الباب الحادي والاربعون

مَنْ غَلَبَ عَزَاهُ كَثُرَ بُكَاهُ

أَمَّا أَهْلُ هٰذَا ٱلْبَابِ فَقَدِ ٱنْفَرَدُوا بِأَمْرٍ يَقُومُ لَهُمْ بِبَعْضِ ٱلْعُذْرِ عَلَى أَنَّ ذٰلِكَ ٱلْأَمْرَ ٱلَّذِي يَعْذُرُهُمْ هُوَ بِعَيْنِهِ يَدُلُّ عَلَى نَقِيصَتِهِمْ فَأَمَّا جِهَتُهُ ٱلْمَحْمُودَةُ فَهِيَ وَصْفُ ٱلْحَالِ بِٱلدَّمْعِ لَا يُمْكِنُ فِيهَا مِنَ ٱلتَّصَنُّعِ مَا يُمْكِنُ فِي ٱلصِّفَاتِ بِٱلْأَلْسُنِ وَأَمَّا جِهَتُهُ ٱلْمَذْمُومَةُ وَهِيَ أَنَّ ٱمْتِنَاعَ ٱلدَّمْعِ مِنَ ٱلْجَرَيَانِ أَوَّلُ عَلَى تَظَاهُرِ أَلَمِ ٱلْأَشْجَانِ لِعِلَّةٍ سَنَذْكُرُهَا فِي ٱلْبَابِ ٱلثَّانِي وَلَا نَأْلُو إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ أَنْ نَذْكُرَ مِنْ هٰذَا ٱلْبَابِ أَحْسَنَ

مَا قِيلَ فِيهِ عَلَى ٱلنَّقْصِ ٱلَّذِي يَلْحَقُ قَائِلِيهِ ثُمَّ نَذْكُرُ ٱلْحَالَ ٱلتَّامَّةَ فِي ٱلْبَابِ ٱلَّذِي يَلِيهِ

انشدني ابو عبادة البحتري لنفسه

لَعَمْرُ ٱلرُّسُومِ ٱلدَّارِسَاتِ لَقَدْ جَرَتْ   بِرَيَّا سُعَادٍ وَهْيَ طَيِّبَةُ ٱلْعَرْفِ
بَكَيْنَا فَمِنْ دَمْعٍ يُمَازِجُهُ دَمٌ   هُنَاكَ وَمِنْ دَمْعٍ نَجُودُ بِهِ صِرْفِ

وقال ابو تمام الطائي

لَا عُذْرَ لِلصَّبِّ أَنْ يُفْنِي ٱلْحَيَاءَ وَلَا   لِلدَّمْعِ بَعْدَ مُضِيِّ ٱلْحَيِّ أَنْ يَقِفَا
حَتَّى يَطِلَّ بِمَاءٍ سَافِحٍ وَدَمٍ   فِي ٱلرَّبْعِ يُحْسَبُ مِنْ عَيْنَيْهِ قَدْ رَعَفَا* ٢٩٠

وقال آخر

وَبِتُّ مِنَ ٱلْأَحْزَانِ قَدْ أَسْفَرَ ٱلضُّحَى   وَفِي كَبِدِي مِنْ جَمْرِهِنَّ حَرِيقُ
مَزَجْتُ دَماً بِٱلدَّمْعِ حَتَّى كَأَنَّمَا   يُذَابُ بِعَيْنِي لُؤْلُؤٌ وَعَقِيقُ

وقال احمد بن ابي طاهر

دُمُوعٌ فَيْضُهُنَّ مَعَ ٱلدِّمَاءِ   كَمَا وَرَّدْتَ حَاشِيَةَ ٱلرِّدَاءِ
أُرِيحُ إِلَى ٱلدُّمُوعِ ٱلْوَجْدَ مِنِّي   إِذَا مَا عَزَّنِي حُسْنُ ٱلْعَزَاءِ
مَلَامَكَ لَيْسَ مِنْ عَيْنَيْكَ دَمْعِي   وَلَا بِحَشَاكَ أَسْقَامِي وَدَائِي

وقال آخر

فَمَا زَالَ يَشْكُو ٱلْحُبَّ حَتَّى كَأَنَّمَا   تَنَفَّسَ مِنْ أَحْشَائِهِ أَوْ تَكَلَّمَا
وَيَبْكِي فَأَبْكِي رَحْمَةً لِبُكَائِهِ   إِذَا مَا بَكَى دَمْعاً بَكَيْتُ لَهُ دَمَا

وقال آخر

وَقَفْنَا وَنَائِلُنَا عَبْرَةٌ   فَيَشْكُو إِلَيَّ وَأَشْكُو إِلَيْهْ
وَوَلَّى يَخُوضُ دُمُوعاً جَرَيْـ   ـنَ مِنْ مُقْلَتَيَّ وَمِنْ مُقْلَتَيْهْ
وَيَسْتَوْدِعُ ٱللّٰهَ مَا فِي يَدَيَّ   وَأَسْتَوْدِعُ ٱللّٰهَ مَا فِي يَدَيْهْ

وقال آخر

يَقُولُ وَقَدْ أَبْكَى ٱلْبُكَاءُ بِمُقْلَتِي ... نُدُوبًا أَلَا دَاوَيْتَ عَيْنَيْكَ بِٱلْكُحْلِ
فَقُلْتُ رَأَيْتُ ٱلْكُحْلَ يَشْغَلُ قَدْرُهُ ... مِنَ ٱلْعَيْنِ قَدْرًا لَمْ يَكُنْ عَنْكَ فِي شُغْلِ

وقال آخر

مُحِبٌّ بَكَتْ عَيْنَاهُ مِنْ حُبِّ قَاتِلٍ ... فَيَا قَاتِلًا يَبْكِي عَلَيْهِ قَتِيلُ
خَلِيلٌ جَفَانِي كَانَ رُوحِي لِرُوحِهِ ... خَلِيلًا وَهَلْ يَجْفُو ٱلْخَلِيلَ خَلِيلُ

٢٩١ وقال آخر*

وَمَا شَنَّتَا خَرْقَاءَ وَاهِيَتَا ٱلْكُلَى ... سَقَى بِهِمَا سَاقٍ وَلَمْ يَتَبَلَّلَا
بِأَضْيَعَ مِنْ عَيْنَيْكَ لِلْمَاءِ كُلَّمَا ... تَوَسَّمْتَ بَرْقًا أَوْ تَوَهَّمْتَ مَنْزِلَا

وقال ابو حية النميري

لِعَيْنَيْكَ يَوْمَ ٱلْبَيْنِ أَسْرَعُ وَاكِفًا ... مِنَ ٱلْفَنَنِ ٱلْمَمْطُورِ وَهْوَ مَرُوحُ
إِذَا قُلْتَ يَفْنَى مَاؤُهَا ٱلْيَوْمَ أَصْبَحَتْ ... غَدًا وَهْيَ رَيَّا ٱلْمَاقِيَيْنِ نَضُوحُ

وقال جران العود

أَبِيتُ كَأَنَّ ٱلْعَيْنَ أَفْنَانُ سِدْرَةٍ ... إِذَا مَا بَدَا مِنْ آخِرِ ٱللَّيْلِ تَنْطِفُ
أُرَاقِبُ لَمْحًا مِنْ سُهَيْلٍ كَأَنَّهُ ... إِذَا مَا بَدَا مِنْ آخِرِ ٱللَّيْلِ يَطْرِفُ

وقال ابن هرمة

إِسْتَبْقِ دَمْعَكَ لَا يُودِي ٱلْبُكَاءُ بِهِ ... وَٱكْفُفْ بَوَادِرَ مِنْ عَيْنَيْكَ تَسْتَبِقُ
لَيْسَ ٱلشُّؤُونُ وَإِنْ جَادَتْ بِبَاقِيَةٍ ... وَلَا ٱلْجُفُونُ عَلَى هٰذَا وَلَا ٱلْحَدَقُ

وقال آخر

وَمِمَّا شَجَانِي أَنَّهَا يَوْمَ وَدَّعَتْ ... تَوَلَّتْ وَمَاءُ ٱلْعَيْنِ فِي ٱلْجَفْنِ حَائِرُ
فَلَمَّا أَعَادَتْ مِنْ بَعِيدٍ بِنَظْرَةٍ ... إِلَيَّ ٱلْتِفَاتًا أَسْلَمَتْهُ ٱلْمَحَاجِرُ

وقال ابن ميادة

أَلَا مَنْ لِعَيْنٍ لَا تَرَى صَابِئاً وَلَا ... [تَرَى] وَادِيَ ٱلطَّرْفَاءِ إِلَّا ٱسْتَهَلَّتِ
بِمَاءٍ لَوَ ٱنَّ ٱلْمُزْنَ جَادَتْ بِمِثْلِهِ ... رَضِينَا بِمَا جَادَتْ بِهِ حِينَ وَلَّتِ
وَلِلْعَيْنِ فَيْضَاتٌ إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا ... وَلِلصَّدْرِ بَلْبَالٌ إِذَا ٱلْعَيْنُ كَلَّتِ

وقال الطائي

• لَوْ قِيلَ سَلْ تُعْطَ ٱلْمُنَى أَنْ لَوْ دَرَى ... مَوْلَاهُ فِي ٱلْخَلَوَاتِ كَيْفَ بُكَاؤُهُ *٢٩٢
مَطَرٌ مِنَ ٱلْعَبَرَاتِ خَدِّي أَرْضُهُ ... حَتَّى ٱلصَّبَاحِ وَمُقْلَتَيَّ سَمَاؤُهُ

وقال ابن قوفا

سَيِّدِي أَنْتَ لَمْ أَقُلْ سَيِّدِي أَنْـ ... ـتَ لِمَخْلُوقٍ سِوَاكَ وَٱلصَّبُّ عَبْدُ
كَبِدٌ رَطْبَةٌ تَذُوبُ مِنَ ٱلْوَجْـ ... ـدِ وَخَدٌّ فِيهِ مِنَ ٱلدَّمْعِ خَدُّ

وقال آخر

نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زُجَاجَةٍ ... إِلَى ٱلدَّارِ مِنْ مَاءِ ٱلصَّبَابَةِ أَنْظُرُ
فَعَيْنَايَ طَوْرًا تَغْرَقَانِ مِنَ ٱلْبُكَا ... فَأَعْشَى وَطَوْرًا تَحْسِرَانِ فَأُبْصِرُ

وهذا مأخوذ من قول ذي الرمة

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ جَرْعَاءِ مَالِكٍ ... لَذُو عَبْرَةٍ كُلًّا تَفِيضُ وَتَخْنُقُ
وَإِنْسَانُ عَيْنِي يَحْسِرُ ٱلْمَاءُ مَرَّةً ... فَيَبْدُو وَأَحْيَانًا يَجِمُّ فَيَغْرَقُ

وقال ابن هرمة

كَأَنَّ عَيْنَيَّ إِذْ وَلَّتْ حُمُولُهُمُ ... عَنَّا جَنَاحَا حَمَامٍ صَادَفَا مَطَرَا
أَوْ لُؤْلُؤٌ سَلِسٌ فِي عِقْدِ جَارِيَةٍ ... خَرْقَاءَ نَازَعَهَا ٱلْوِلْدَانُ فَٱنْتَثَرَا

وقال آخر

تَكَادُ أُخْرَى دُمُوعِي مِنْ تَسَرُّعِهَا ... تَفِيضُ قَبْلَ ٱلْأُلَى أَنْ يَنْحَدِرْنَ مَعَا
وَغَاضَ عَنْهَا كَثِيرًا رَاجِعاً حَذَرًا ... وَلَنْ تَرَى قَاتِلًا كَٱلدَّمْعِ إِنْ رَجَعَا

وقال ابو نواس

يَا قَمَرًا أَبصَرتُ فِي مَـأْتَمٍ يَندُبُ شَجْوًا بَـيْنَ أَتْرَابِ
تَبكِي فَتُذْرِي ٱلدُّرَّ مِنْ عَيْنِهَا وَتَلْطِمُ ٱلوَرْدَ بِعُنَّـابِ

وقال ايضاً

٢٩٣ تَقُولُ غَدَاةَ ٱلْبَيْنِ عِنْدَ وَدَاعِهَـا لِيَ ٱلْكَبِدُ ٱلْحَرَّى فَسِرْ وَلَكَ ٱلصَّبْرُ*
وَقَـدْ سَبَقَتْهَا عَبْرَةٌ فَدُمُوعُهَـا عَلَى خَدِّهَا بِيضٌ وَفِي نَحْرِهَا صُفْرُ

وقال بعض الاعراب

عَشِيٌّ وَدَاعٍ قُبِّحَتْ مِنْ عَشِيَّـةٍ وَلٰـكِنَّهَـا لَا قُبِّحَتْ مِنْ مُوَدِّعِ
كَأَنَّ ٱنْحِدَارَ ٱلدَّمْعِ مِنْهَـا تَعُدُّهُ لَهَا ذَاتُ سِلْكٍ قِيلَ عُدِّي وَأَسْرِعِي

وقال ابن الدمينة

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنتَ رَامٍ بِلَادَهَـا بِعَيْنَـيْنِ إِنْسَانَاهُمَـا غَرِقَـانِ
إِذَا ٱغْرَوْرَقَتْ عَيْنَايَ قَالَ صَحَابَتِي لَقَـدْ أُولِعَتْ عَيْنَـاكَ بِٱلْهَمَلَانِ
أَلَا فَٱحْمِـلَانِي بَارَكَ ٱللهُ فِيكُمَا إِلَى حَاضِرِ ٱلرَّوْحَاءِ ثُمَّ ذَرَانِي

وقال الركاض الزبيري

فَيَا مَنْ لِعَيْنٍ قَدْ أَضَرَّ بِهَا ٱلْبُـكَا فَهَلْ حَاوَلَتْ مِنْ طُولِ مَا سَجَمَتْ تَعْمَى
وَقَلْبٍ كَئِيبٍ لَا يَزَالُ كَأَنَّمَا يُقَلَّبُ فِي أَعْرَاضِهِ مَيْسَمٌ مُحْمَى

وقال البحتري

دَنَتْ فَدَنَا هِجْرَانُهَا فَـإِذَا نَأَتْ غَدَا وَصْلُهَا ٱلْمَطْلُوبُ أَنْأَى وَأَسْحَقَا
وَمَـا رُبَّمَا بَلْ كُلَّمَا عَنَّ ذِكْرُهَـا بَكَيْتَ فَأَبْـكَيْتَ ٱلْحَمَامَ ٱلْمُطَوَّقَـا

وقال آخر

عَرِّجْ بِـذِي سَلَمٍ فَفِيـهِ ٱلْمَنْزِلُ لِيَقُولَ صَبٌّ مَـا أَرَادَ وَيَفْعَـلُ
سَارَتْ مُقَدَّمَةُ ٱلدُّمُوعِ وَخَلَّفَتْ حُرَقاً تَوَقَّـدُ فِي ٱلْحَشَا مَـا تَرْحَلُ
إِنَّ ٱلْفِرَاقَ كَمَـا عَلِمْتَ فَخَلِّنِي وَمَدَامِعاً تَسَعُ ٱلْفِرَاقَ وَتَفْضُـلُ

إِلَّا يَكُنْ صَبْرٌ جَمِيلٌ فَالْهَوَى   نَشْوَانُ يَجْمُلُ فِيهِ مَا لَا يَجْمُلُ

ولبعض اهل هذا العصر

وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ وَبَيْنَنَا   أَحَادِيثُ يُغْبِي الْحَاسِبِينَ عَدِيدُهَا* ٢٩٤
تَبَادَرَ دَمْعِي فَانْصَرَفْتُ تَهُضُّنِي   إِلَى عَبْرَتِي بُقْيَا عَلَيْكَ أَذُودُهَا
فَمَا أَشْبَهَتْ عَيْنَايَ إِلَّا سَحَابَةً   دَنَا صَرْبُهَا وَاسْتَعْجَلَتْهَا رُعُودُهَا
فَمَا زَالَ زَجْرُ الرَّعْدِ يَحْدُو سَحَابَهَا   فَتَبْدُو وَأَرْوَاحُ الشَّمَالِ تُحِيدُهَا
فَمَا أَقْلَعَتْ حَتَّى بَكَتْ فَتَضَاحَكَتْ   رِيَاضُ الرُّبَى فَاخْضَرَّ بِالْعُشْبِ عُودُهَا
وَهَلْ تَتَلَافَى ذَاتُ عِقْدٍ جُمَانَهَا   إِذَا انْسَلَّ مِنْ سِلْكِ النِّظَامِ فَرِيدُهَا
فَقَالَ رَفِيقِي مَا لِلَوْنِكَ حَائِلًا   وَعَيْنَيْكَ مَا يَعْدُو جُفُونَكَ جُودُهَا
فَأَغْضَيْتُ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ تَبَلُّدًا   وَخَيْرُ قُلُوبِ الْعَاشِقِينَ بَلِيدُهَا

وقال البحتري

لَعَمْرُ الْمَغَانِي يَوْمَ صَحْرَاءِ أَرْثَدٍ   لَقَدْ هَيَّجَتْ وَجْدًا عَلَى ذِي تَوَجُّدِ
مَنَازِلُ أَمْسَتْ لِلرِّيَاحِ مَنَازِلًا   تَرَدَّدُ مِنْهَا بَيْنَ نُؤْيٍ وَرِمْدِدِ
شَجَتْ صَاحِبِي أَطْلَالُهَا فَتَهَلَّلَتْ   مَدَامِعُهُ فِيهَا وَمَا قُلْتُ أَسْعِدِ
وَقَلَّتْ لِدَارِ الْمَالِكِيَّةِ عَبْرَةٌ   مِنَ الشَّوْقِ لَمْ تُمْلَكْ بِصَبْرٍ فَتَرْدُدِ
سَقَتْهَا الْغَوَادِي حَيْثُ حَلَّتْ دِيَارُهَا   عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَشْفِ ذَا الْغُلَّةِ الصَّدِي
تَزِيدِينَ هَجْرًا كُلَّمَا ازْدَدْتُ صَبْوَةً   طِلَابًا لِأَنْ أَرْدَى فَمَا أَنْتِ ذَا رَدِ

وقال الحسين بن الضحاك

هَبُونِي أَغُضُّ إِذَا مَا بَدَتْ   وَأَمْلِكُ طَرْفِي فَلَا أَنْظُرُ
فَكَيْفَ انْتِصَارِي إِذَا مَا الدُّمُوعُ   نَطَقْنَ فَبُحْنَ بِمَا أُضْمِرُ

وقال آخر

أَلَا أَيُّهَا الْبَاكُونَ مِنْ أَلَمِ الْهَوَى   أَظُنُّكُمُ أُدْرِكْتُمُ بِذُنُوبِ

٢٩٥ تَعَالَوْا نُدَافِعْ جُهْدَنَا عَنْ قُلُوبِنَا   فَيُوشِكُ أَنْ نَبْقَى بِغَيْرِ قُلُوبِ*

وقال البحتري

أَعْرَضْتِ حَتَّى خِلْتُ أَنِّي ظَالِمٌ   وَعَتَبْتِ حَتَّى قُلْتُ إِنِّي مُذْنِبُ
سَأُعِدُّ مَا أَلْقَى فَإِنْ كَذَّبْتِنِي   فَسَلِي الدُّمُوعَ فَإِنَّهَا لَا تَكْذِبُ

وقال آخر

قَالُوا تَصَنَّعَ بِالْبُكَاءِ فَقُلْتُ هَلْ   يَبْكِي الشَّجِيُّ لِغَيْرِ مَا فِي قَلْبِهِ
وَلَقَدْ أَلِفْتُ الدَّمْعَ حَتَّى رُبَّمَا   جَرَتِ الْجُفُونُ بِهِ وَلَمْ أَعْلَمْ بِهِ

وقال آخر

وَغَائِبِ الرُّوحِ شَاهِدِ الْبَدَنِ   يَبْكِي بِعَيْنٍ قَلِيلَةِ الْوَسَنِ
يَبْكِي عَلَيْهَا بِهَا مَخَافَةَ أَنْ   تَقْرِنَهُ وَالظَّلَامَ فِي قَرَنِ

وقال البحتري

هَلْ أَنْتَ مِنْ حُبِّ لَيْلَى آخِذٌ بِيَدِي   أَوْ نَاصِرٌ لِي عَلَى التَّعْذِيبِ وَالسَّهَدِ
وَهَلْ دُمُوعٌ أَفَاضَ الْحُزْنُ رَيِّقَهَا   تُدْنِي مِنَ الْبُعْدِ أَوْ تَشْفِي مِنَ الْكَمَدِ
قَدْ بَاتَ مُسْتَعْبِرًا مَنْ كَانَ مُصْطَبِرًا   وَعَادَ ذَا جَزَعٍ مَنْ كَانَ ذَا جَلَدِ
إِنْ أَسْخَطَ الْهَجْرُ لَا أَرْجِعْ إِلَى بَدَلٍ   مِنْهُ وَإِنْ أَطْلُبِ السُّلْوَانَ لَا أَجِدِ

وقال الاعشى

وَفَاضَتْ دُمُوعِي فَظَلَّ الشُّؤُونُ   إِمَّا وَكِيفًا وَإِمَّا انْحِدَارَا
كَمَا أَسْلَمَ السِّلْكُ مِنْ نَظْمِهِ   لَآلِئَ مُنْحَدِرَاتٍ صِغَارَا

وقال آخر

وَلَوْ أَنَّ دَمْعِي لَمْ يَفِضْ لَتَقَطَّعَتْ   بَنَاتُ فُؤَادِي حِينَ تَذْكُرُ مِنْ وَجْدِي
وَقَدْ صَرَمَتْنِي إِذْ تَيَقَّنَ قَلْبُهَا   بِأَنْ لَسْتُ عَنْهَا بِالصَّبُورِ وَلَا الْجَلْدِ
٢٩٦ فَيَا لَيْتَنِي وَاللهِ مُتُّ وَلَمْ أَكُنْ   فَتَحْتُ لَهَا بِالدَّمْعِ بَابًا مِنَ الصَّدِّ*

وقال آخر

أَعَيْنَيَّ مَا لِي كُلَّمَا بِتُّ لَيْلَةً ... بِأَرْضٍ فَضَاءٍ كَانَ دَمْعِي قِرَاكُمَا
أَعَيْنَيَّ لَامَ ٱللهُ مَنْ لَامَ فِيكُمَا ... مُحِبًّا وَآذَى مَنْ يُرِيدُ أَذَاكُمَا
أَعَيْنَيَّ صَبْرًا أَعْقِبَانِي حَلَاوَةً ... فَقَدْ خِفْتُ مِنْ طُولِ ٱلْبُكَاءِ عَمَاكُمَا
أَلَا قَدْ أَرَى وَٱللهِ أَنْ قَدْ قَذِيتُمَا ... بِمَنْ لَا يُبَالِي أَنْ يَطُولَ قَذَاكُمَا
أَجِدَّكُمَا لَا تَذْكُرَا زَمَناً مَضَى ... بِصَنْعَاءَ لَا بَلْ جَنِّبَانِي نِدَاكُمَا

وانشدتني مريم الاسدية

أَعَيْنَيَّ مِنْ كُحْلِ ٱلطَّبِيبِ تَدَاوَيَا ... فَلَا كُحْلَ بَعْدَ ٱلْيَوْمِ يَشْفِي قَذَاكُمَا
أَعَيْنَيَّ كُفَّا ٱلدَّمْعَ لَا تُشْمِتَا بِنَا ... عَدُوًّا وَلَا يُحْزِنْ صَدِيقاً بُكَاكُمَا

الباب الثاني والاربعون

نُحُولُ ٱلْجَسَدِ مِنْ دَلَائِلِ ٱلْكَمَدِ

أَمَّا ٱلدَّلَالَةُ عَلَى صِحَّةِ هٰذَا ٱلْقَوْلِ مِنْ جِهَةِ ٱلطِّبِّ فَهِيَ إِنَّ ٱلْحَرَارَةَ ٱلْمُتَوَلِّدَةَ مِنَ ٱلْحُزْنِ تَنْحَازُ إِلَى ٱلْقَلْبِ مِنْ سَائِرِ أَعْضَاءِ ٱلْبَدَنِ ثُمَّ تَتَصَاعَدُ إِلَى ٱلدِّمَاغِ فَتَتَوَلَّدُ بُخَارَاتٍ رَدِيَّةً فَإِنْ طَاقَتْهَا ٱلطَّبِيعَةُ بِٱلْقُوَّةِ ٱلْغَرِيزِيَّةِ أَذَابَتْ تِلْكَ ٱلْبُخَارَاتِ ٱلرَّدِيَّةَ فَأَجْرَتْهَا دُمُوعًا وَرُبَّمَا أَضَرَّ كَثْرَةُ جَرَيَانِهَا بِٱلْمَجَارِي فَأَدْمَاهَا فَجَرَى ٱلدَّمُ مَجْرَى ٱلدَّمْعِ وَهٰكَذَا تُذِيبُ تِلْكَ ٱلْقُوَى ٱلْبُخَارَاتِ ٱلْمُتَوَلِّدَةَ فِي ٱلدِّمَاغِ فِي كُمُونِ ٱلْحَرَارَةِ لِمَا يَعْرِضُ لِلرَّأْسِ مِنْ حَرٍّ وَبَرْدٍ فَتُجْرِيهِ مِنَ ٱلْأَنْفِ زُكَامًا فَتَذْهَبُ غَائِلَتُهُ وَلَوْ لَمْ تُذِبْهُ وَتُجْرِهِ مِنَ ٱلْأَنْفِ صَارَ كَيْمُوساً غَلِيظاً وَمَادَّةً مُنْصَبَّةً إِلَى بَعْضِ

ٱلْأَعْضَاءِ ٱلرَّئِيسِيَّةِ فَحِينَئِذٍ تُتْلِفُ أَوْ تُوَلِّدُ عِلَّةً غَلِيظَةً فَكَذٰلِكَ ٱلدُّمُوعُ إِنْ لَمْ تُطِقْ تَذْوِيبَهَا ٱلْقُوَى ٱلطَّبِيعِيَّةُ وَٱشْتَغَلَتْ عَنْهَا بِمُدَافَعَةِ مَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَى ٱلنَّفْسِ مِنْهَا صَارَتْ تِلْكَ ٱلْبُخَارَاتُ كَيْمُوساً غَلِيظاً فَوَلَّدَ

٢٩٧ أَمْرًا عَظِيماً* وَإِمَّا أَنْ يَسْتَقِرَّ فِي ٱلدِّمَاغِ فَيُفْسِدَ مَا جَمَعَ فَيُبْطِلَ ٱلذِّكْرَ وَيُفْسِدَ ٱلْفِكْرَ وَيَهِيجَ ٱلتَّخْيِيلَاتِ ٱلْمُسْتَحِيلَاتِ وَذٰلِكَ هُوَ ٱلْجُنُونُ بِعَيْنِهِ وَرُبَّمَا فَسَدَتْ مِنْهُ كَرَّةً أَوْ كَرَّتَيْنِ فَيَفْسُدُ بِفَسَادِهَا مَا كَانَ مُسْتَقِيماً بِصَلَاحِهَا وَشَرْحُ ذٰلِكَ يَطُولُ وَلَيْسَ مِنْ جِنْسِ مَا ٱبْتَدَأْنَاهُ فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَشْرَحَ مِنْهُ مَا أَجْمَلْنَاهُ وَرُبَّمَا ٱنْحَدَرَ ذٰلِكَ ٱلْكَيْمُوسُ عَنِ ٱلدِّمَاغِ إِلَى ٱلْقَلْبِ فَهَتَكَ بَعْضَ ٱلْحُجُبِ أَوْ جَمِيعَهَا وَكَانَ مِنْهُ حِينَئِذٍ ٱلتَّلَفُ لَا مَحَالَةَ وَٱللّٰهُ أَعْلَمُ وَرُبَّمَا ٱنْحَدَرَ إِلَى ٱلْكَبِدِ فَمَنَعَ شَهْوَةَ ٱلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ فَحِينَئِذٍ يَكُونُ نُحُولُ ٱلْجِسْمِ وَضَعْفُ ٱلْقُوَّةِ وَلَقَدْ أَصَابَ كُلَّ ٱلْإِصَابَةِ عَلَى ٱلْإِصَابَةِ حَيْثُ يَقُولُ

عَجَائِبُ ٱلْحُبِّ لَا تَفْنَى وَأَوَّلُهَا ... مِمَّنْ تُحِبُّ بِتَكْذِيبٍ وَإِنْكَارِ
مَاءُ ٱلْمَدَامِعِ نَارُ ٱلشَّوْقِ تُحْدِرُهُ ... فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَاءٍ فَاضَ مِنْ نَارِ

لِأَنَّ هٰذَا هُوَ ٱلَّذِي قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ مِنْ أَنَّ ٱلْحَرَارَاتِ هِيَ ٱلْمُوَلِّدَةُ لِتِلْكَ ٱلْبُخَارَاتِ ٱلَّتِي يَحْدُثُ ٱلدَّمْعُ مِنْهَا بِإِذَابَةِ ٱلْحَرَارَةِ ٱلْغَرِيزِيَّةِ لَهَا وَقَدْ ذَكَرَتِ ٱلشُّعَرَاءُ جُمَلًا مِنْ أَنَّ فَيْضَ ٱلدَّمْعِ أَرْوَحُ مِنْ كُمُونِهِ وَلَمْ يَدُلُّوا عَلَى سَبَبِ ذٰلِكَ وَلَا أَحْسِبُهُمْ وَقَفُوا عَلَيْهِ وَمِنْ أَقْرَبِهِمْ وَصْفًا لَهُ ٱلَّذِي يَقُولُ

كَتَمْتُ ٱلْهَوَى حَتَّى بَدَا كِتْمَانُهُ ... وَفَاضَ فَنَمَّتْهُ عَلَيَّ ٱلْمَدَامِعُ
وَلَوْ لَمْ يَفِضْ دَمْعِي لَعَادَ إِلَى ٱلْحَشَا ... فَقَطَّعَ مَا تَحْنَى عَلَيْهِ ٱلْأَضَالِعُ

وقال بعض الاعراب

يَقُولُونَ لَا تُنْزِفْ دُمُوعَكَ بِٱلْبُكَا   فَقُلْتُ وَهَلْ لِلْعَاشِقِينَ دُمُوعُ
لَئِنْ كَانَ أَبْقَى لِي ٱلتَّشَوُّقُ قَطْرَةً   لَهُنَّ إِذَنْ مِنْ عَاشِقٍ لَمُضِيعُ
أَظُنُّ دُمُوعَ ٱلْعَيْنِ تَذْهَبُ بَاطِنًا   إِلَى ٱلْقَلْبِ حَتَّى ٱنْصَاعَ وَهْوَ صَدِيعُ

وقال عمرو بن متبعة الرقاشي* ٢٩٨

تَضِيقُ جُفُونُ ٱلْعَيْنِ عَنْ عَبَرَاتِهَا   فَتَفْسَحُهَا بَعْدَ ٱلتَّجَلُّدِ وَٱلصَّبْرِ
وَغُصَّةِ صَدْرٍ أَظْهَرَتْهَا فَرَفَّهَتْ   حَرَارَةَ حُزْنٍ فِي ٱلْجَوَانِحِ وَٱلصَّدْرِ

وقال آخر

سَأَبْكِي وَمَا لِي عَبْرَةٌ مِنْ مُعَوَّلٍ   لَدَيْكِ وَمَا لِي غَيْرُ حُبِّكِ مِنْ جُرْمِ
لَعَلَّ ٱنْسِكَابَ ٱلدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً   مِنَ ٱلْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي ٱلْفُؤَادَ مِنَ ٱلسُّقْمِ
وَظَنِّي أَنْ لَا يَذْهَبَ ٱلْحُزْنُ بِٱلْبُكَا   عَلَيْكِ وَأَنْ أَزْدَادَ كَلْمًا عَلَى كَلْمِ

وقال ذو الرمة

فَوَٱللهِ مَا أَدْرِي أَجَوْلَانُ عَبْرَةٍ   تَجُودُ بِهَا ٱلْعَيْنَانِ أَحْرَى أَمِ ٱلصَّبْرُ
وَفِي هَمَلَانِ ٱلْعَيْنِ مِنْ غُصَّةِ ٱلْهَوَى   رَوَاحٌ وَفِي ٱلصَّبْرِ ٱلْجَلَادَةُ وَٱلْأَجْرُ

وقال الفرزدق

أَلَمْ تَرَ أَنِّي يَوْمَ حَرِّ سُوَيْقَةٍ   بَكَيْتُ فَنَادَتْنِي هُنَيْدَةُ مَا لِيَا
خَلِيلٌ دَعَا وَٱلرَّمْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ   فَأَسْمَعَنِي سَقْيًا لِذَلِكَ دَاعِيَا
وَكَانَ جَوَابِي أَنْ بَكَيْتُ صَبَابَةً   وَفَدَّيْتُ مَنْ لَوْ يَسْتَطِيعُ فَدَانِيَا
وَقُلْتُ لَهَا إِنَّ ٱلْبُكَاءَ لَرَاحَةٌ   بِهِ يَشْتَفِي مَنْ ظَنَّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا

وقال ذو الرمة

أَمِنْ حَذَرِ ٱلْهِجْرَانِ قَلْبُكَ يَجْمَحُ   كَأَنَّ فُلُوًّا بَيْنَ حِضْنَيْكَ يَرْمَحُ
أَمَنْزِلَتَيْ مَيٍّ سَلَامٌ عَلَيْكُمَا   عَلَى ٱلنَّأْيِ وَٱلنَّائِي يَوَدُّ وَيَنْصَحُ
وَإِنْ كُنْتُمَا قَدْ هِجْتُمَا رَاجِعَ ٱلْهَوَى   لِذِي ٱلشَّوْقِ حَتَّى ظَلَّتِ ٱلْعَيْنُ تَسْفَحُ

أَجَلْ عَبْرَةٌ كَادَتْ لِفُرْقَـانِ مَنْزِلٍ   لِمَيَّةَ لَوْ لَمْ تُسْهِلِ ٱلْعَيْنَ تَذْبَحُ

وقال ايضاً

٢٩٩ خَلِيلَيَّ عُوجَا مِنْ صُدُورِ ٱلرَّوَاحِلِ   بِجُمْهُورِ حَزْوَى فَٱبْـكِيَا فِي ٱلْمَنَازِلِ *
لَعَلَّ ٱنْحِدَارَ ٱلدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً   مِنَ ٱلْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجِيَّ ٱلْبَلَابِلِ
دَعَانِي وَمَا دَاعِي ٱلْهَوَى مِنْ بِلَادِهَا   إِذَا مَا نَأَتْ خَرْقَـاءُ عَنِّي بِغَافِلِ •
وَمَا يَوْمُ خَرْقَـاءَ ٱلَّذِي فِيهِ نَلْتَقِي   بِنَحْسٍ عَلَى عَيْنِي وَلَا مُتَطَـاوِلِ
وَإِنِّي لَأُنْحِي ٱلطَّرْفَ مِنْ نَحْوِ غَيْرِهَا   حَيَـاءً وَلَو طَاوَعْتُـهُ لَمْ يُعَـادِلِ
إِذَا قُلْتُ وَدِّعْ وَصْلَ خَرْقَاءَ وَٱجْتَنِبْ   زِيَارَتَهَـا تَخْلَقْ حِبَـالُ ٱلْوَسَائِلِ
أَبَتْ ذِكَرٌ عَوَّدْنَ أَحْشَاءَ قَلْبِـهِ   خُفُوقاً وَرَفَضَاتُ ٱلْهَوَى فِي ٱلْمَفَاصِلِ

ولقد احسن سابق البَرْبَريّ في قوله

وَقَدْ رَابَنِي مِنْ فِعْلِ عَيْنِيَ أَنَّهَـا   إِذَا ذُكِرَتْ سُعْدَى ٱعْتَرَانِي جُمُودُهَا
وَفِي ٱلدَّمْعِ لَوْ جَادَتْ بِهِ ٱلْعَيْنُ شَاهِدٌ   عَلَيْهَا فَلَمْ يَشْهَدْ لِنَفْسِي شُهُودُهَـا

ولبعض اهل هذا العصر

يَا مَنْ إِذَا صَدَّ لَمْ أُظْهِرْ لَهُ جَزَعاً   لَا تَحْسَبَنِّي عَلَى ٱلْهِجْرَانِ ذَا جَلَدِ
مَا يَمْنَعُ ٱلدَّمْعَ أَنْ تَجْرِي غَوَارِبُهُ   إِلَّا شَمَاتَةُ مَنْ قَدْ كَانَ ذَا حَسَدِ
فَيْضُ ٱلدُّمُوعِ وَإِنْ نَمَّتْ بَوَادِرُهَا   أَشْفَى لِمَنْ عَالَجَ ٱلْبَلْوَى مِنَ ٱلْكَمَدِ

وقال آخر

نَزَفَتْ دَمْعِي وَأَزْمَعْتُ ٱلرَّحِيلَ غَدًا   فَكَيْفَ أَبْـكِي وَدَمْعُ ٱلْعَيْنِ مَنْزُوفُ
وَاسَوْأَتِي مِنْ عُيُونِ ٱلْعَاشِقِينَ غَدًا   إِذَا رَحَلْتُ وَدَمْعُ ٱلْعَيْنِ مَكْفُوفُ

هٰذَا ٱلْبَائِسُ يَعْتَذِرُ مِنْ ذَهَابِ دُمُوعِهِ وَلَوْ عَرَفَ عِلَّةَ ذَهَابِهَـا لَكَانَ مُحْتَاجاً إِلَى ٱلِاعْتِذَارِ لَوْ دَامَتْ مِنْ دَوَامِهَا واحسن من هذا قول قيس بن ذريح

تُشَوِّقُنِي ذِكْرَى إِذَا مَـا ذَكَرْتُهَا   وَكَمْ عَرْضُ أَرْضٍ دُونَهَـا وَسَمَاءُ

وَمِنْ عَـبَرَاتٍ تَعْتَرِينِي أَكُفُّهَـا   وَمِنْ زَفَرَاتٍ مَـا لَهُنَّ فَنَـاءُ* ٣٠٠
وَمِنْ قَوْلِهَا إِنَّ ٱلْقُوَى قَدْ تَقَطَّعَتْ   وَهَلْ لِقُوَى لَا تَسْتَجِـدُّ بَقَـاءُ
وَمِنْ أَنَّهَا بَاتَتْ وَلَمْ تَدْرِمَا ٱلَّذِي   لَهَا عِنْـدَنَا مِنْ خُلَّـةٍ وَصَفَـاءُ
وَمِنْ أَرْيَحِيَّاتِ ٱلصِّبَى عِنْدَ ذِكْرِهَا   وَلَمَّـاتِ شَوْقٍ مَـا بِهِنَّ خَفَـاءُ
فَلَا حُبَّ حَتَّى يَلْصَقَ ٱلْعَظْمُ بِٱلْحَشَا   وَلَا وَجْـدَ حَتَّى لَا يَكُونَ بُكَاءُ

وقد لطف ابو تمام في هذا المعنى [حيث] يقول

وَإِذَا فَقَدْتَ أَخاً وَلَمْ تَفْقِـدْ لَـهُ   دَمْعاً وَلَا صَـبْرًا فَلَسْتَ بِفَاقِـدِ

أَفَلَا تَرَى إِلَى إِزْرَائِهِ عَلَى ٱلدَّمْعِ وَتَقْصِيرِهِ بِأَهْلِهِ وَإِخْبَارِهِ أَنَّ مَنْ قَوِيَتْ حَالُهُ ٱنْقَطَعَ دَمْعُهُ وَنَحَلَ جِسْمُهُ

ولقد احسن الذي يقول

قَـدْكَ فَـلَا دَمْعٌ وَلَا صَبْرُ   رَبْعُ ٱلْهَوَى مِنْ أَهْلِـهِ قَفْرُ
عُمْرُ ٱلْفَتَى فِي كُـلِّ لَذَّاتِـهِ   فَـإِنْ نَـأَتْ عَنْهُ فَـلَا عُمْرُ

وقال محمد العلوي

أَبْقَى ٱلْهَوَى مِنْهُ جِسْماً كَٱلْهَوَاءِ ضَنًى   [لَقَـدْ] تَنَسَّمَ مِنْـهُ وَهُوَ مَفْقُودُ
أَنِسْتُ بِٱلذِّكْرِ مِنْهَـا وَٱلسُّهَادِ لَهُ   أَعْجِبْ بِهِ [مِنْ] مُسِيءٍ وَهُوَ مَوْدُودُ

وقال قيس بن الملوح

فَأَنْتِ ٱلَّتِي إِنْ شِئْتِ أَشْقَيْتِ عِيشَتِي   وَإِنْ شِئْتِ بَعْدَ ٱللهِ أَنْعَمْتِ بَالِيَـا
وَأَنْتِ ٱلَّتِي مَا مِنْ صَدِيقٍ وَلَا عِدًى   رَأَى نِضْوَ مَا أَبْقَيْتِ إِلَّا رَثَى لِيَا

وقال البحتري

أَلَا هَلْ أَتَاهَـا بِٱلْمَغِيبِ سَلَامِي   وَهَلْ خُبِّرَتْ وَجْدِي بِهَا وَغَرَامِي
وَهَلْ عَلِمَتْ أَنِّي ضَنِيتُ وَأَنَّهَـا   شِفَـائِي مِنْ دَاءِ ٱلضَّنَى وَسَقَـامِي
فِدَاؤُكِ مَـا أَبْقَيْتِ مِنِّي فَإِنَّـهُ   حُشَاشَةُ جِسْمٍ فِي نُحُولِ عِظَـامِي

٣٠١ وقال ماني*

هَا أَنَا ذَا يُسقِطُنِي لِلبِلَى عَنْ فَرشَتِي أَنفَاسُ عُوَّادِي
لَوْ يَحْسُدُ السِّلْكُ عَلَى دِقَّةٍ حَقًّا لَأَمسَى بَعضَ حُسَّادِي

وقال ايضاً

وَمُدنَفٍ زَادَ فِي النُّحُولِ مِنَ الْ وَجْدِ إِلَى مِثْلِ دِقَّةِ الأَلِفِ
يُشَارِكُ الطَّيرَ فِي النَّحِيبِ وَلَا يُشْرِكُهُ فِي النُّحُولِ وَالقَصَفِ

وقال ايضاً

أَمَا تَرَيْنِي نَاحِلَ الْجِسْمِ أَصِيرُ مِنْ هَمٍّ إِلَى هَمِّ
أُنقَلُ مِنْ ثَوْبٍ إِلَى دُونِهِ حَتَّى كَأَنِّي بَدَنُ الْكُمِّ

ولقد احسن الذي يقول

غَابُوا فَأَضحَى بَدَنِي بَعدَهُمْ لَا تُبصِرُ العَيْنُ لَهُ فَيَّا
بادى وجهِ إِتْلَافِهِمْ إِذَا رَأَوْنِي بَعدَهُمْ حَيَّا
وَاخجلَتَا مِنْهُمْ وَمِنْ قَوْلِهِمْ مَا ضَرَّكَ الفَقْدُ لَنَا شَيَّا

وقال آخر

شِعرُ مَيْتٍ أَتَاكَ عَنْ لَفظِ حَيٍّ صَارَ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ وَقْفَا
قَدْ بَرَتْهُ حَوَادِثُ الدَّهْرِ حَتَّى كَادَ عَنْ أَعيُنِ الْحَوَادِثِ يَخفَى

وقال عمر بن ابي ربيعة

إِرْحَمِي مُغْرَماً بِحُبِّكِ لَاقَى مِنْ جَوَى الْحُبِّ وَالصَّبَابَةِ جَهْدَا
قَدْ بَرَاهُ وَشَفَّهُ الْحُبُّ حَتَّى صَارَ مِمَّا بِهِ عِظَاماً وَجِلْدَا

وانشدني بعض الادباء

لَمْ يَبْقَ إِلَّا نَفَسٌ خَافِتُ وَمُقْلَةٌ إِنسَانُهَا بَاهِتُ
٣٠٢ وَمُغْرَمٌ تُوقَدُ أَحْشَاؤُهُ بِالنَّارِ إِلَّا أَنَّهُ سَاكِتُ*

لَمْ يَبْقَ فِي أَعْضَائِهِ مَفْصِلٌ   إِلَّا وَفِيهِ سَقَمٌ ثَابِتُ

ولبعض اهل هذا العصر

يُعَيِّرُنِي ٱلْوَاشِي بِأَنْ لَسْتُ مُذْنِفاً   كَمَا هُوَ مِنْ فَرْطِ ٱلصَّبَابَةِ مُذْنِفُ
فَيَا كَاشِحاً قَدْ جَاءَ فِي زِيِّ نَاصِحٍ   تَشَاغَلْ بِغَيْرِي لَسْتُ مِمَّنْ يُعَرَّفُ
وَلَا تَلْحَنِي فِيمَنْ أُحِبُّ فَإِنَّنِي   أَضِنُّ بِهِ مِمَّا تَظُنُّ وَأَشْغَفُ
سَلُوهُ فَإِنِّي لَا أُكَلِّمُ وَاشِياً   أَيَدْرِي بِمَنْ يَلْحِي وَفِيمَنْ يُعَنِّفُ

وقال مجنون بني عامر

يَا دَارَ لَيْلَى بِسَقْطِ ٱلْحَيِّ قَدْ دَرَسَتْ   إِلَّا ٱلثُّمَامُ وَإِلَّا مَوْقِدُ ٱلنَّارِ
أَبْلَى عِظَامَكَ بَعْدَ ٱللَّحْمِ ذِكْرُهُمَا   كَمَا تَتَبَّعَ قِدْحَ ٱلشَّوْحَطِ ٱلْبَارِي

فَبَيْنَ صَاحِبِ هٰذَا ٱلْكَلَامِ وَصَاحِبِ ٱلْكَلَامِ ٱلَّذِي قَبْلَهُ بَوْنٌ بَعِيدٌ وَتَفَاوُتٌ شَدِيدٌ وَيَزْعُمُ أَنَّ تَزَايُدَ ٱلْحَالِ تُوجِبُ لَهُ نَفْيَ ٱلْهُزَالِ وَهٰذَا لَمْ يَرْضَ لِنَفْسِهِ بِنُحُولِ ٱللَّحْمِ حَتَّى أَضَافَ إِلَيْهِ نُحُولَ ٱلْعَظْمِ

ولبعض اهل هذا العصر

أَهِيمُ بِذِكْرِ ٱلْكَرْخِ مِنِّي صَبَابَةً   وَمَا بِيَ إِلَّا حُبُّ مَنْ حَلَّ بِٱلْكَرْخِ
تَجَرَّعْتُ كَأْساً مِنْ صُدُودِ مُحَمَّدٍ   فَقَدْ أَوْهَنَتْ عَظْمِي وَجَازَتْ عَلَى ٱلْمُخِّ
فَلَسْتُ أُبَالِي بِٱلرَّدَى بَعْدَ فَقْدِهِ   وَهَلْ يَجْزَعُ ٱلْمَذْبُوحُ مِنْ أَلَمِ ٱلسَّلْخِ

وقال آخر

قَالَتْ ظَلُومُ سَمِيَّةُ ٱلظُّلْمِ   إِنِّي رَأَيْتُكَ نَاحِلَ ٱلْجِسْمِ
يَا مَنْ رَمَى قَلْبِي فَأَقْصَدَهُ   أَنْتَ ٱلْخَبِيرُ بِمَوْضِعِ ٱلسَّهْمِ

وقال ابو العتاهية

أَخِلَّايَ بِي شَجْوٌ وَلَيْسَ بِكُمْ شَجْوُ   وَكُلُّ ٱمْرِئٍ مِمَّا بِصَاحِبِهِ خِلْوُ
رَأَيْتُ ٱلْهَوَى جَمْرَ ٱلْغَضَا غَيْرَ أَنَّهُ   عَلَى كُلِّ حَالٍ عِنْدَ صَاحِبِهِ حُلْوُ

وقال جرير

أَتَنسَى يَوْمَ حَوْمَلَ وَٱلدَّخُولِ　　وَمَوْقِفَنَا عَلَى ٱلطَّلَلِ ٱلْمَحِيلِ
وَقَالَتْ قَدْ نَحِلْتَ وَشِبْتَ بَعْدِي　　بِحَقِّ ٱلشَّيْبِ بَعْدَكَ وَٱلنُّحُولِ

وقال آخر

تَقُولُ وَقَدْ كَتَبْتُ دَقِيقَ خَطِّي　　إِلَيْهَا لِمْ تَجَنَّبْتَ ٱلْجَلِيلَا
فَقُلْتُ لَهَا نَحِلْتُ وَصَارَ خَطِّي　　مُسَاعَدَةً لِصَاحِبِهِ نَحِيلَا

وقال آخر

إِنَّا مِنَ ٱلْحَيِّ أَقْبَلْنَا نَؤُمُّكُمُ　　أَنْضَاءُ شَوْقٍ عَلَى أَنْضَاءِ أَسْفَارِ
وَٱلصَّبُّ لَا بُدَّ أَنْ يُبْدِي صَبَابَتَهُ　　إِذَا تَبَدَّلَ غَيْرَ ٱلدَّارِ بِٱلدَّارِ

وهذا مأخوذ من قول امرئ القيس

أَكَلَ ٱلْوَجِيفُ لُحُومَهُمْ وَلُحُومَهَا　　فَأَتَوْكَ أَنْضَاءً عَلَى أَنْضَاءِ

وقال الاحوص

نَفَى نَوْمِي وَأَسْهَرَنِي غَلِيلُ　　وَهَمٌّ هَاجَهُ حُزْنٌ طَوِيلُ
وَقَالُوا قَدْ نَحِلْتَ وَكُنْتَ جَلْدًا　　وَأَيْسَرُ مَا مُنِيتُ بِهِ ٱلنُّحُولُ
فَإِنْ يَكُنِ ٱلْعَوِيلُ يَرُدُّ شَيْئًا　　فَقَدْ أَعْوَلْتُ إِنْ نَفَعَ ٱلْعَوِيلُ
وَكَانَتْ لَا يُلَائِمُهَا مَبِيتٌ　　عَلَيْهَا إِنْ عَتَبْتُ وَلَا مَقِيلُ
وَكُنَّا فِي ٱلصَّفَاءِ كَمَاءِ مُزْنٍ　　تُشَابُ بِهِ مُعَتَّقَةٌ شَمُولُ
وَأَعْجِلُ عَنْ سُؤَالِ ٱلرَّكْبِ صَحْبِي　　وَأَكْرَهُ أَنْ يُقَالَ لَهُمْ أَقِيلُوا
فَقَدْ أَصْبَحْتُ بَعْدَكِ لَا أُبَالِي　　أَسَارَ ٱلرَّكْبُ أَمْ طَالَ ٱلنُّزُولُ
فَمَنْ يَكُ بِٱلْقُفُولِ قَرِيرَ عَيْنٍ　　فَمَا أَمْسَيْتُ يُعْجِبُنِي ٱلْقُفُولُ
كَأَنَّكَ لَمْ تُلَاقِ ٱلدَّهْرَ يَوْمًا　　خَلِيلًا حِينَ يُفْرِدُكَ ٱلْخَلِيلُ* ٣٠٤
فَصَبْرًا لِلْحَوَادِثِ كُلُّ حَيٍّ　　سَبِيلُ ٱلْهَالِكِينَ لَهُ سَبِيلُ

الباب الثالث والاربعون

طَرِيقُ ٱلصَّبْرِ بَعِيدٌ وَكِتْمَانُ ٱلْحُبِّ شَدِيدٌ

كَانَ يُقَالُ سِرُّكَ أَسِيرُكَ فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ أَسِيرَهُ وَأَمَّا إِفْشَاءُ مَنْ يُحِبُّ سِرَّهُ إِلَى مَحْبُوبِهِ فَقَدْ تَقَدَّمَ ٱلْقَوْلُ فِيهِ بِمَا فِي بَعْضِهِ بَلَاغٌ وَأَمَّا ٱطِّلَاعُ سَائِرِ ٱلنَّاسِ عَلَى وَجْدِ ٱلْمُحِبِّ بِٱلْمَحْبُوبِ فَهُوَ خَطَأٌ مِنْ وُجُوهٍ أَوَّلُهَا تَعَرُّضُ ٱلْمَحْبُوبِ لِمَا لَا يُحِبُّ مِنَ ٱلْقَالَاتِ وَٱلتَّشْنِيعَاتِ ثُمَّ تَعَرُّضُ ٱلْمُحِبِّ نَفْسَهُ لِلسِّعَايَةِ وَٱلِارْتِقَابِ لَهُ وَإِنَّمَا يُوصَى بِهَذِهِ ٱلْوَصِيَّةِ مَنْ أَمْرُ سِرِّهِ إِلَيْهِ فَأَمَّا مَنْ قَدْ أَخْرَجَتِ ٱلْحَالُ زِمَامَ ٱلسِّرِّ مِنْ يَدَيْهِ فَلَا ذَنْبَ لَهُ وَلَا لَوْمَ عَلَيْهِ وَأَمَّا أَسْرَارُ ٱلْمَحْبُوبِ عِنْدَ ٱلْمُحِبِّ مِثْلُ مَوَاعِيدِهِ لَهُ وَزِيَارَتِهِ إِيَّاهُ وَمُسَاعَدَتِهِ لَهُ عَلَى مَا يَهْوَاهُ وَمَا يَجْرِي بَيْنَهُمَا مِنَ ٱلْمُعَاتَبَاتِ بَلْ مِنْ سَرَائِرِ ٱلْمُخَاصَمَاتِ فَإِنَّ غَالِبَاتِ ٱلْوَجْدِ لَا تُوجِبُ إِفْشَاءَهُ بَلْ تُوجِبُ صَوْنَهُ وَإِخْفَاءَهُ وَلَنْ يُشِيعَ مِثْلَ مَا وَصَفْنَا إِلَّا ضَعِيفٌ فِي ٱلْحَالِ جِدًّا فَكِتْمَانُ هَذَا أَبْيَنُ وُجُوبًا مِنْ أَنْ نَزِيدَ ٱلْقَوْلَ فِيهِ تَوْكِيدًا وَإِفْشَاءُ ٱلْمَحَبَّةِ وَحْدَهَا إِلَى غَيْرِ ٱلْمَحْبُوبِ فَوَاجِبٌ عَلَى مَنْ أَطَاقَ كَتْمَهَا أَلَّا يُظْهِرَهَا وَمَنْ عَجَزَ فَخَارِجٌ عَنْ بَابِ ٱلْمَنْعِ وَٱلْوُجُوبِ وَمَنْ ضَاقَ صَدْرُهُ عَنْ سِرِّهِ فَلَمْ يَلُمْ غَيْرَهُ عَلَى نَشْرِهِ وَإِنْ كَانَ فِي ٱلْحَقِيقَةِ مَلُومًا لِأَنَّ لِلْمَرْءِ أَنْ يَتَطَوَّعَ بِإِظْهَارِ سِرِّهِ وَعَلَى ٱلْمُسْتَوْدَعِ أَنْ لَا يُظْهِرَ سِرَّ مُسْتَوْدِعِهِ

ولبعض الادباء في ذلك

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ ٱلْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ   فَصَدْرُ ٱلَّذِي يُسْتَوْدَعُ ٱلسِّرَّ أَضْيَقُ
وَرُبَّ فَتًى يَجْفُو كَرَائِمَ مَالِهِ   وَيَرْعَى سَوَامَ ٱلْأَبْعَدِينَ فَيُشْفِقُ

وقال يزيد بن الطثرية

٣٠٥ وَمُسْتَخْبِرٍ عَنْهَا لِيَعْلَمَ مَا ٱلَّذِي   لَهَا فِي فُؤَادِي غَيْرَ أَنِّي أُحَاذِرُهْ*
وَرَدْتُ بِهِ عَمْيَاءَ مِنْهَا وَلَمْ أَكُنْ   إِذَا مَا وَشَى وَاشٍ بِلَيْلَى أُنَاظِرُهْ

وقال آخر

كَرِيمٌ يُمِيتُ ٱلسِّرَّ حَتَّى كَأَنَّهُ   إِذَا ٱسْتَخْبَرُوهُ عَنْ حَدِيثِكَ جَاهِلُهْ
رَعَى سِرَّكُمْ فِي مُضْمَرِ ٱلْقَلْبِ وَٱلْحَشَا   حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ لَا تُخَافُ غَوَائِلُهْ
وَأَكْتُمُ نَفْسِي بَعْضَ سِرِّي تَكَرُّمًا   إِذَا مَا أَضَاعَ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسِّرِّ جَاهِلُهْ
وَمُسْتَسْقِطِي بِٱلْجِدِّ وَٱلْهَزْلِ قَدْ نَبَتْ   عَلَى كُلِّ حَالٍ عَنْ صَفَاتِي مَعَاوِلُهْ
تَسَقَّطَنِي عَنْكُمْ فَأَخْلَفْتُ ظَنَّهُ   وَذُو ٱللُّبِّ قَدْ يُعْيِي ٱلرِّجَالَ تَحَاوُلُهْ
فَمَا رَامَ حَتَّى عَادَ شَكًّا يَقِينُهُ   وَأَخْلَفَهُ مِنِّي ٱلَّذِي كَانَ يَأْمُلُهْ

وقال آخر

قَدْ جَرَّرَ ٱلنَّاسُ أَذْيَالَ ٱلظُّنُونِ بِنَا   وَفَرَّقَ ٱلنَّاسُ فِينَا ظَنَّهُمْ فِرَقَا
فَجَاهِلٌ يَنْتَحِي بِٱلظَّنِّ غَيْرَكُمُ   وَصَادِقٌ لَيْسَ يَدْرِي أَنَّهُ صَدَقَا

وقال بعض الاعراب

وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِيكِ أَنْ أُطْلِقَ ٱلْهَوَى   وَأَنْ لَا تُعَدَّى خِلْسَةَ ٱللَّحَظَاتِ
سَأَطْوِي ٱلْهَوَى تَحْتَ ٱلْحَشَا طِيَّ نَازِحٍ   قَضَى وَطَرًا إِنْ لَمْ تَبُحْ عَبَرَاتِي
وَأَصْبِرُ لِلْهِجْرَانِ حَتَّى يَمَلَّنِي   وَأَدْفَعُ عَنْكِ ٱلسُّوءَ بِٱلشُّبُهَاتِ

وقال آخر

وَمَا وَجْدُ مِلْوَاحٍ مِنَ ٱلْهِيمِ خُلِّيَتْ   عَنِ ٱلْمَاءِ حَتَّى جَوْفُهَا مُتَصَلْصِلُ

تَحُومُ وَتَغْشَاهَا ٱلْعِصِيُّ وَحَوْلَهَا   أَقَاطِيعُ أَنْعَامٍ تَعَلُّ وَتَنْهَلُ
بِأَكْثَرَ مِنِّي غُلَّةً وَتَعَطُّفاً   إِلَى ٱلْوِرْدِ إِلَّا أَنَّنِي أَتَجَمَّلُ

وقال ابن الدمينة

وَكُنَّا كَرِيمَيْ مَعْشَرٍ حُمَّ بَيْنَنَا   تَصَافٍ فَصُنَّاهُ بِحُسْنِ صِوَانِ* ٣٠٦
سَيَبْقَى فَلَا يَفْنَى وَيَخْفَى فَلَا يُرَى   وَمَا عَلِمُوا مِنْ أَمْرِنَا بِبَيَانِ

وقال ذو الرمة

فَمَا زِلْتُ أَطْوِي ٱلنَّفْسَ حَتَّى كَأَنَّهَا   بِذِي ٱلرِّمْثِ لَمْ تَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ ذَاكِرِ
حَيَاءً وَإِشْفَاقاً مِنَ ٱلرَّكْبِ أَنْ يَرَوْا   دَلِيلًا عَلَى مُسْتَوْدَعَاتِ ٱلسَّرَائِرِ

وَلَعَمْرِي إِنَّ هٰذِهِ ٱلْحَالُ لَجَمِيلَةٌ بَيْنَ أَهْلِ ٱلصَّفَاءِ غَيْرَ أَنَّهَا مِنَ ٱلْأَعْدَاءِ أَحْسَنُ مِنْهَا مِنَ ٱلْأَوْلِيَاءِ إِذْ لَيْسَ عَجِيباً أَنْ يَكْتُمَ ٱلْوَلِيُّ سِرَّ وَلِيِّهِ كَمَا يُعْجَبُ مِنْ كِتْمَانِ ٱلْعَدُوِّ سِرَّ عَدُوِّهِ

وقد قال بعض اهل هذا العصر في هذا النحو

وَإِنِّي وَإِنْ شَاعَتْ لَدَيْكَ سَرَائِرِي   فَإِنَّ ٱلَّذِي ٱسْتَوْدَعْتَنِي غَيْرُ شَائِعِ
أَبَى ٱللّٰهُ لِي إِلَّا ٱلْوَفَاءَ لِكُلِّ مَنْ   رَعَى لِيَ عَهْدِي أَوْ أَضَاعَ وَدَائِعِي
فَكُنْ آمِناً مِنْ أَنْ أُذِيعَ بِسِرِّكُمْ   فَمَا سِرُّ أَعْدَائِي لَدَيَّ بِذَائِعِ
وَمَا أَنَا مَمْدُوحاً بِحِفْظِ وَدِيعَةٍ   أَقَلُّ حُقُوقِ ٱلنَّاسِ حِفْظُ ٱلْوَدَائِعِ

وقال آخر

لَعَمْرُكَ مَا ٱسْتَوْدَعْتُ سِرِّي وَسِرَّهَا   سِوَانَا حِذَاراً أَنْ تَضِيعَ ٱلسَّرَائِرُ
وَلَا خَاطَبَتْهَا مُقْلَتَايَ بِلَحْظَةٍ   فَتَعْرِفَ نَجْوَانَا ٱلْعُيُونُ ٱلنَّوَاظِرُ
وَلٰكِنْ جَعَلْتُ ٱلْوَهْمَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا   رَسُولًا فَأَدَّى مَا تُجِنُّ ٱلضَّمَائِرُ
أَصُونُ ٱلْهَوَى بُقْيَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلْعِدَى   مَخَافَةَ أَنْ يُغْرَى بِذِكْرَاهُ ذَاكِرُ

وقال آخر

تَوَاقَفَ مَعْشُوقَانِ مِنْ غَيْرِ مَوْعِدٍ   وَغُيِّبَ عَنْ نَجْوَاهُمَا كُلُّ كَاشِحِ
وَكَلَّتْ جُفُونُ ٱلْعَيْنِ عَنْ حَمْلِ مَائِهَا   فَمَا مَلَكَتْ فَيْضَ ٱلدُّمُوعِ ٱلسَّوَافِحِ
وَإِنِّي لَأَطْوِي ٱلسِّرَّ عَنْ كُلِّ صَاحِبٍ   وَإِنْ كَانَ لِلْأَسْرَارِ عَدْلَ ٱلْجَوَانِحِ

٣٠٧ وانشدني ابو العباس احمد بن يحيي لعمر بن ابي ربيعة*

جَرَى نَاصِحٌ بِٱلْوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا   فَقَرَّبَنِي يَوْمَ ٱلْحِصَابِ إِلَى قَتْلِي
فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا عَرَفْتُ ٱلَّذِي بِهَا   كَمِثْلِ ٱلَّذِي بِي حَذْوَكَ ٱلنَّعْلَ بِٱلنَّعْلِ
فَسَلَّمْتُ فَٱسْتَأْنَسْتُ خِيفَةَ أَنْ يَرَى   عَدُوٌّ مَكَانِي أَوْ يَرَى كَاشِحٌ فِعْلِي
فَقَالَتْ وَأَلْقَتْ جَانِبَ ٱلسِّتْرِ إِنَّمَا   مَعِي فَتَكَلَّمْ غَيْرَ ذِي رِقْبَةٍ أَهْلِي
فَقُلْتُ لَهَا مَا بِي لَكُمْ مِنْ ضَرَاعَةٍ   وَلٰكِنَّ سِرِّي لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي

وانشدني احمد بن ابي طاهر

أَلَا حَبَّذَا حُبِّي وَأَرْضٌ يَحُلُّهَا   وَثَوْبٌ عَلَيْهَا فِي ٱلثِّيَابِ رَقِيقُ
وَفِي ٱلْقَلْبِ مِنْ حُبِّي ٱلَّذِي مَا دَرَى بِهِ   عَدُوٌّ وَلَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ صَدِيقُ

وقال آخر

خَشِيتُ لِسَانِي أَنْ يَكُونَ خَؤُونَا   فَأَوْدَعْتُهُ قَلْبِي فَكَانَ أَمِينَا
وَقُلْتُ لِيَخْفَى دُونَ عَيْنِي وَنَاظِرِي   أَيَا حَرَكَاتِي كُنَّ فِيهِ سُكُونَا
فَمَا إِنْ رَأَتْ عَيْنِي لِعَيْنِيَ قَطْرَةً   وَلَا سَمِعَتْ أُذْنِي لِفِيَّ أَنِينَا
لَقَدْ أَحْسَنَتْ أَحْشَايَ تَرْبِيَةَ ٱلْهَوَى   فَهَا هُوَ ذَا كَهْلًا وَكَانَ جَنِينَا
وَلَمْ أَرَ قَلْبًا خَالِيًا أُودِعَ ٱلْهَوَى   فَدَانَ لَهُ حَتَّى ٱصْطَفَاهُ قَرِينَا

وقال ابن ميادة

وَإِنِّي لِمَا ٱسْتَوْدَعْتُ يَا أُمَّ مَالِكٍ   عَلَى قِدَمٍ مِنْ عَهْدِهِ لَكَتُومُ
وَإِنِّي عَلَى ٱلشَّوْقِ ٱلَّذِي أَنَا دَاخِلٌ   إِذَا بَاحَ أَصْحَابُ ٱلْهَوَى لَضَمُومُ

وقال آخر

وَحُبٍّ كَأَطْبَاقِ ٱلْبِحَارِ كَتَمْتُهُ   مَعَ ٱلْقَلْبِ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ مَنْ أُلَاطِفُ
وَإِنِّي أَكُمُّ ٱلسِّرَّ حَتَّى أَرُدَّهُ   سَلِيمَ ٱلصَّفَا لَمْ تَمْتَهِنْهُ ٱلزَّعَانِفُ
وَأُخْفِي مِنَ ٱلْوَجْدِ ٱلَّذِي مَا لَوَ ٱنَّهُ   يَشِيعُ لَحَرَّ ٱلْمُوطِنَاتِ ٱلْأَلَايِفُ* ٢٠٨

وَإِنَّ ٱلْبَيْتَ ٱلثَّالِثَ مِنْ هٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتِ لَيْسَ مِنَ ٱلْكَلَامِ ٱلَّذِي لَا يَقَعُ مِثْلُهُ فِي ٱلنَّدَرَاتِ وَلَئِنْ كَانَ صَادِقاً فِيمَا قَالَ إِنَّهُ مِنْ صَوْنِ إِلْفِهِ لَعَلَى حَالٍ تُوجِبُ لَهُ غَلَبَةَ ٱلْوَفَاءِ بِعَهْدِهِ وَٱلرِّعَايَةِ لِوُدِّهِ إِنَّ ٱمْرَءًا يَثِقُ مِنْ وَجْدِهِ بِأَنَّ ٱلْإِشَاعَةَ لِذِكْرِهِ تَدْعُو ٱلْمُسْتَوْطِنَ ٱلْآلِفَ إِلَى مُفَارَقَةِ ٱلْوَطَنَيْنِ وَطَنِ رُوحِهِ وَوَطَنِ جِسْمِهِ ثُمَّ يَتْرُكُ ذٰلِكَ وَيَتَجَشَّمُ مَضَاضَةَ ٱلْكِتْمَانِ فِي قَلْبِهِ عَلَى ٱلْإِشَارَةِ بِذِكْرِ إِلْفِهِ بِمَا عَسَاهُ غَيْرُ مُؤَدٍّ إِلَى ضَرَرِهِ لَشَدِيدُ ٱلْإِبْقَاءِ عَلَى إِلْفِهِ وَلَمُتَمَكِّنُ ٱلْقَدْرِ عَلَى نَفْسِهِ لِأَنَّ مَنْ مَلَكَهُ ٱلشَّوْقُ مُلْكاً صَحِيحاً عَجِزَ لِأَنْ لَا يَكُونَ سِرُّهُ تَصْرِيحاً عَلَى أَنَّ صَاحِبَنَا قَدْ عَرَّضَ تَعْرِيضاً مَلِيحاً بِذِكْرِهِ لِمَوْضِعِ إِقَامَةِ قَلْبِهِ إِذْ هُوَ بِلَا شَكٍّ مَوْضِعُ إِلْفِهِ وَإِنِّي لَأَسْتَظْرِفُ

قول نبهان العبشمي

أَمَا وَٱللّٰهِ ثُمَّ ٱللّٰهِ حَقًّا   يَمِيناً ثُمَّ أُتْبِعُهَا يَمِينَا
لَقَدْ نَزَلَتْ أُمَامَةُ مِنْ فُؤَادِي   تِلَاعاً مَا أُبِحْنَ وَلَا رُعِينَا
أَظَلُّ وَمَا أَبُثُّ ٱلنَّاسَ أَمْرِي   وَلَا يَخْفَى ٱلَّذِي بِيَ فَٱعْلَمِينَا
أَذُودُ ٱلنَّفْسَ عَنْ لَيْلَى وَإِنِّي   لَيَعْصِينِي شَوَاجِرُ قَدْ صَدِينَا
يَرَيْنَ مَشَارِباً وَيُذَدْنَ عَنْهَا   وَيُكْثِرْنَ ٱلصُّدُودَ وَمَا رُوِينَا

فَهُوَ أَعَزَّهُ ٱللّٰهُ لَمْ يَرْضَ بِتَسْمِيَةٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى سَمَّى ٱثْنَتَيْنِ سَمَّى ٱلَّتِي هُوَ مُقْبِلٌ عَلَيْهَا وَٱلَّتِي هُوَ يَجِبُ ٱلْاِنْصِرَافُ عَنْهَا ثُمَّ لَا يَسْكُتُ مَعَ مَا جَنَاهُ حَتَّى يَمْتَنَّ بِأَنَّهُ يُكَاتِمُ هَوَاهُ لَيْتَ شِعْرِي مَا ٱلَّذِي بَقِيَ عَلَيْهِ أَنْ

يُخْبِرَ بِهِ بَعْدَ وَصْفِهِ لِمَحَلِّ مَنْ يَهْوَاهُ مِنْ قَلْبِهِ وَإِخْبَارِهِ فِي ٱلشِّعْرِ بِٱسْمِهِ وَلَوْلَا أَنَّ هٰذَا بَابٌ لَا يَحْتَمِلُ لِمَنْ ذُكِرَتْ حَالُهُ فِيهِ مَا يَحْتَمِلُ لِمَنْ ذُكِرَ فِي ٱلْبَابِ ٱلَّذِي يَلِيهِ لَصَفَحْنَا عَنْ هٰذَا وَأَضْعَافِهِ

ولعمري لقد احسن الذي يقول

رَمَانِي بِهَا قَلْبِي فَلَمْ يُخْطِ مَقْتَلِي ... وَلَمْ يَكُ مِنْ يَرْمِي تُصَابُ مَقَاتِلُهْ
فَإِنْ مُتُّ فَٱبْكُونِي قَتِيلًا بِطَرْفِهَا ... قَتِيلَ عَدُوٍّ حَاضِرٍ مَا يُزَايِلُهْ* ٣٠٩
شَكَى وَكَنَى عَمَّنْ أَحَبَّ وَلَمْ يَبُحْ ... بِأَكْثَرَ مِنْ هٰذَا ٱلَّذِي هُوَ قَائِلُهْ
وَإِنَّ أَحَقَّ ٱلنَّاسِ أَنْ يَكْثُرَ ٱلْبُكَا ... عَلَيْهِ قَتِيلٌ لَيْسَ يُعْرَفُ قَاتِلُهْ

واحسن مسلم بن الوليد في قوله

عِنْدِي وَعِنْدَكَ عِلْمُ مَا عِنْدِي ... مِنْ ضُرِّ مَا أُخْفِي وَمَا أُبْدِي
لَا أَشْتَكِي مَا بِي إِلَيْكَ وَلَوْ ... نَطَقَتْ بِهِ ٱلْعَبَرَاتُ فِي خَدِّي
وَجْدِي عَلَيْكَ أَرَاهُ يُقْنِعُنِي ... مِنْ وَصْفِ مَا أَلْقَى مِنَ ٱلْوَجْدِ
فَإِذَا ٱصْطَبَرْتُ عَلَى ٱلسُّكُوتِ فَلَمْ ... أَنْطِقْ فَمِمَّا بِي مِنَ ٱلْوَجْدِ

واحسن الذي يقول

وَإِنِّي لَأُغْضِي ٱلطَّرْفَ عَنْكِ تَجَمُّلًا ... وَقَلْبِي إِلَى أَشْيَاءَ عَطْشَانُ جَائِعُ
فَلَا يَسْمَعَنْ سِرِّي وَسِرَّكِ ثَالِثٌ ... أَلَا كُلُّ سِرٍّ جَاوَزَ ٱثْنَيْنِ شَائِعُ

واحسن سوار بن المضرّب حيث يقول

إِنِّي سَأَسْتُرُ مَا ذُو ٱلْعَقْلِ سَاتِرُهُ ... مِنْ حَاجَةٍ وَأُمِيتُ ٱلسِّرَّ كِتْمَانَا
وَحَاجَةٍ دُونَ أُخْرَى قَدْ بَدَأْتُ بِهَا ... جَعَلْتُهَا لِلَّتِي أَخْفَيْتُ عُنْوَانَا
إِنِّي كَأَنِّي أَرَى مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ ... وَلَا أَمَانَةَ وَسْطَ ٱلنَّاسِ عُرْيَانَا

وقال كثيّر

وَقَدْ زَعَمَتْ أَنِّي تَغَيَّرْتُ بَعْدَهَا ... وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يَا عَزُّ لَا يَتَغَيَّرُ

تَغَيَّرَ جِسْمِي وَٱلْخَلِيقَةُ كَٱلَّذِي   عَهِدْتِ وَلَمْ يُخْبِرْ بِسِرِّكِ مُخْبِرُ

وقال ذو الرحل لقمان بن توبة القشيري

خَلِيلَيَّ سِيرَا فَٱسْأَلَا أُمَّ عَاصِمٍ   لَنَا عَنْ بَقِيَّاتِ ٱلْعُهُودِ ٱلْقَدَائِمِ
أَلَمْ تَعْلَمِي يَا عَمْرَكِ ٱللّٰهُ أَنَّنِي   بِذِكْرِكِ هَدَّاءٌ عَلَى ٱلنَّأْيِ هَائِمُ
وَإِنِّي عَلَى ٱلْهِجْرَانِ يَا أُمَّ عَاصِمٍ   أَدُومُ عَلَى عَهْدِ ٱلْخَلِيلِ ٱلْمَكَارِمِ* ٢١٠
إِذَا ٱلسِّرُّ عِنْدِي مِنْ خَلِيلٍ تَضَمَّنَتْ   بِهِ ٱلنَّفْسُ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ ٱلدَّهْرَ عَالِمُ
تَرَى بَيْنَ أَحْنَاءِ ٱلْفُؤَادِ وَضَمِّهِ   إِلَى ٱلْقَلْبِ أَحْنَاءَ ٱلضُّلُوعِ ٱلْكَوَاتِمِ

وقال الحسين بن الضحاك

أَيَا مَنْ سُرُورِي بِهِ شَقْوَةٌ   وَمَنْ صَفْوُ عَيْشِي بِهِ أَكْدَرُ
تَجَنَّيْتَ تَطْلُبُ لَمَّا مَلِلْتَ   عَلَيَّ ٱلذُّنُوبَ وَلَا تَقْدِرُ
وَمَاذَا يَضُرُّكَ مِنْ شُهْرَتِي   إِذَا كَانَ سِرُّكَ لَا يُشْهَرُ
أَمِنِّي تَخَافُ ٱنْتِشَارَ ٱلْحَدِيثِ   وَحَظِّيَ فِي سَتْرِهِ أَوْفَرُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيَّ بُقْيَا عَلَيْكَ   نَظَرْتُ لِرُوحِي كَمَا تَنْظُرُ

وقال بشار بن برد

كَتَمْتُ عَوَاذِلِي مَا فِي فُؤَادِي   وَقُلْتُ [لَهُمْ] لِيَتَّهَمَ ٱلْبَعِيدُ
فَفَاضَتْ عَبْرَةٌ أَشْفَقْتُ مِنْهَا   تَسِيلُ [كَأَنَّ] وَابِلَهَا ٱلْفَرِيدُ
فَقَالَتْ قَدْ بَكَيْتَ فَقُلْتُ كَلَّا   وَهَلْ يَبْكِي مِنَ ٱلشَّوْقِ ٱلْجَلِيدُ
وَلٰكِنِّي أَصَابَ سَوَادَ عَيْنِي   عُوَيْدُ قَذًى لَهُ طَرَفٌ حَدِيدُ
فَقَالُوا مَا لِدَمْعَتِهَا سَوَاءٌ   أَكِلْتَا مُقْلَتَيْكَ أَصَابَ عُودُ
فَقَبْلَ دُمُوعِ عَيْنِكَ خَبَّرَتْنَا   بِمَا جَمْجَمْتَ زَفْرَتُكَ ٱلصَّعُودُ

وقال آخر

شَيَّعْتُهُمْ فَٱسْتَرَابُونِي فَقُلْتُ لَهُمْ   إِنِّي بُعِثْتُ مَعَ ٱلْأَجْمَالِ أَحْدُوهَا

قَالُوا فَمَا نَفَسٌ يَعْلُو كَذَا صُعُدًا   أَمْ مَا لِعَيْنِكَ مَا تَرْقَا مَآقِيهَا
قُلْتُ ٱلتَّنَفُّسُ لِلْآدَابِ نَحْوَكُمُ   وَمَاءُ عَيْنِيَ جَارٍ مِنْ قَذًى فِيهَا

وانشدتني ستيرة العصيبية

٣١١ وَنَادَى بِٱلتَّرَحُّلِ بَعْضُ صَحْبِي   فَرُحْتُ وَمُقْلَتِي غَرْقَى بِمَاهَا*
فَرَاحُوا وَٱلشَّقِيُّ لَهُ دُيُونٌ   وَأَشْيَا مِنْ حَوَائِجَ مَا قَضَاهَا
فَأَرْخَيْتُ ٱلْعِمَامَةَ دُونَ صَحْبِي   عَلَى عَيْنِي وَقُلْتُ جَرَى قَذَاهَا
وَمَا لِي حَاجَةٌ إِلَّا بِبِكْرٍ   وَمَا ذَنْبِي عَلَى أَحَدٍ سِوَاهَا
فَقَالُوا مِنْ ضِرَارِي كَيْفَ بِكْرٌ   وَكَيْفَ تَرَاكَ تَرْجُو أَنْ تَرَاهَا
فَقُلْتُ ٱللهُ حَمَّ فِرَاقَ بِكْرٍ   فَأَرْجُو أَنْ يَحُمَّ لَنَا لِقَاهَا

ولبعض اهل هذا العصر

وَكَمْ لَيْلَةٍ قَدْ بِتُّ أَرْقُبُ صُبْحَهَا   وَأَنْجُمُهَا فِي ٱلْجَوِّ مَا تَتَزَحْزَحُ
وَيُمْنَايَ فَوْقَ ٱلْقَلْبِ تُبْرِدُ حَرَّةً   وَيُسْرَايَ تَحْتَ ٱلْخَدِّ وَٱلْعَيْنُ تَسْفَحُ
فَأَصْبَحْتُ مَجْهُودًا عَمِيدًا مِنَ ٱلْهَوَى   وَقَدْ كَادَ قَلْبِي بِٱلصَّبَابَةِ يَطْفَحُ
وَمَا عَلِمَ ٱلْوَاشُونَ فَضْلًا عَنِ ٱلْعِدَى   بِسِرٍّ وَمَا مِثْلِي بِسِرِّكَ يُفْصِحُ
فَإِنْ كَانَ هٰذَا ٱلْقَوْلُ عُذْرًا قَبِلْتَهُ   وَإِنْ كَانَ تَعْذِيرًا فَمِثْلُكَ يَصْفَحُ

الباب الرابع والاربعون

مَنْ غَلَبَ صَبْرُهُ ظَهَرَ سِرُّهُ

ذَكَرُوا أَنَّ سُكَيْنَةَ بِنْتَ ٱلْحُسَيْنِ رَكِبَتْ فِي جَوَارِيهَا فَمَرَّتْ بِعُرْوَةَ بْنِ أُذَيْنَةَ ٱللَّيْثِيِّ وَهُوَ يُغَنِّي فَقَالَتْ لِجَوَارِيهَا مَنِ ٱلشَّيْخُ قَالُوا عُرْوَةُ

فَعَدَلَتْ نَحْوَهُ ثُمَّ قَالَتْ يَا أَبَا ٱلتَّمَامِ أَنتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ لَمْ تَعْشَقْ قَطُّ وَأَنتَ تَقُولُ

قَالَتْ وَأَبْثَثْتُهَا وَجْدِي فَبُحْتُ بِهِ   قَدْ كُنْتَ عِنْدِي تَحْتَ ٱلسِّتْرِ فَٱسْتَتِرِ
أَلَسْتَ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلِي فَقُلْتُ لَهَا   غَطَّى هَوَاكِ وَمَا أَلْقَى عَلَى بَصَرِي

كُلُّ مَنْ تَرَى حَوْلِي مِنْ جَوَارِيَّ أَحْرَارٌ إِنْ كَانَ خَرَجَ هٰذَا ٱلْكَلَامُ مِنْ قَلْبٍ سَلِيمٍ قَطُّ

وقال آخر

وَإِنْ أُخْفِ حُبَّ ٱلْحَاجِبِيِّ فَطَالَمَا   وَإِنْ أُبْدِهِ يَوْماً فَقَدْ غَلَبَ ٱلصَّبْرُ *١٢
أَقُولُ وَعَيْنِي تَسْتَهِلُّ بِمَائِهَا   أَمَالِيَ فِي هٰذَا وَأَمْثَالِهِ أَجْرُ

وقال ابو ذؤيب الهذلي

وَعَيَّرَهَا ٱلْوَاشُونَ أَنِّي أُحِبُّهَا   وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا
فَإِنْ أَعْتَذِرْ مِنْهَا فَإِنِّي مُكَذَّبٌ   وَإِنْ تَعْتَذِرْ يُرْدَدْ عَلَيْهَا ٱعْتِذَارُهَا

وقال الضحاك بن عقيل

يَقُولُونَ مَجْنُونٌ بِسَمْرَاءَ مُولَعٌ   أَلَا حَبَّذَا جِنٌّ بِهَا وَوُلُوعُ
وَمَا زِلْتُ أُخْفِي حُبَّ سَمْرَاءَ مِنْهُمُ   وَتَعْلَمُ نَفْسِي أَنَّهُ سَيَشِيعُ
وَلَا خَيْرَ فِي حُبٍّ يَكُونُ كَأَنَّهُ   شِغَافٌ أَجَنَّتْهُ حَشاً وَضُلُوعُ

وقال الحسين بن وهب

قَدْ كَتَمْتُ ٱلْهَوَى بِمَبْلَغِ جُهْدِي   فَبَدَا مِنْهُ غَيْرُ مَا كُنْتُ أُبْدِي
فَخَلَعْتُ ٱلْعِذَارَ فَلْيَعْلَمِ ٱلنَّاسُ   بِأَنِّي إِيَّاكِ أُصْفِي بِوُدِّي

وانشدني احمد بن يحيى

وَلِي كَبِدٌ مَقْرُوحَةٌ مَنْ يَبِيعُنِي   بِهَا كَبِدًا لَيْسَتْ بِذَاتِ قُرُوحِ
أَبَاهَا عَلَيَّ ٱلنَّاسُ لَا يَشْتَرُونَهَا   وَمَنْ يَشْتَرِي ذَا عِلَّةٍ بِصَحِيحِ

وقال معاذ ليلى

وَمَا زِلْتُ أُعْلُو حُبَّ لَيْلَى فَلَمْ يَزَلْ   بِيَ ٱلنَّقْضُ وَٱلْإِبْرَامُ حَتَّى عَلَانِيَا
وَأُشْهِدُ عِنْدَ ٱللهِ أَنِّي أُحِبُّهَا   فَهٰذَا لَهَا عِنْدِي فَمَا عِنْدَهَا لِيَا
قَضَى ٱللهُ بِٱلْمَعْرُوفِ مِنْهَا لِغَيْرِنَا   وَبِٱلشَّوْقِ مِنْهَا وَٱلتَّصَابِي قَضَى لِيَا
فَلَوْ كُنْتُ أَعْمَى أَخْبِطُ ٱلْأَرْضَ بِٱلْعَصَا   أَصَمَّ فَنَادَتْنِي أَجَبْتُ ٱلْمُنَادِيَا
خَلِيلَيَّ إِلَّا تَبْكِيَا لِيَ أَسْتَعِنْ   خَلِيلًا إِذَا أَنْفَدْتُ دَمْعِي بَكَى لِيَا

٣١٣ وانشدني ابو العباس احمد بن يحيى عن ابن الاعرابي لامرأة من خثعم*

[وَ]إِنْ تَسْأَلُونِي مَنْ أُحِبُّ فَإِنَّنِي   أُحِبُّ وَبَيْتِ ٱللهِ كَعْبَ بْنَ طَارِقِ
أُحِبُّ ٱلْفَتَى ٱلْجَعْدَ ٱلسَّلُولِيَّ وَٱلْعَصَا   مِنَ ٱلنَّبْعِ هَيَّاهَا لِضَرْبِ ٱلْمَفَارِقِ

وقال ابو العتاهية

قَالَ لِي أَحْمَدُ وَلَمْ يَدْرِ مَا بِي   أَتُحِبُّ ٱلْغَدَاةَ عُتْبَةَ حَقًّا
فَتَنَفَّسْتُ ثُمَّ قُلْتُ نَعَمْ حُـ   ـبًّا جَرَى فِي ٱلْعِظَامِ عِرْقًا فَعِرْقَا

وقال آخر

وَقَالَ نِسَاءٌ لَسْنَ لِي بِنَوَاصِحٍ   لِيَعْلَمْنَ مَا أُخْفِي وَيَعْلَمْنَ مَا أُبْدِي
أَأَحْبَبْتَ لَيْلَى جُهْدَ حُبِّكَ كُلِّهِ   لَعَمْرُ أَبِي لَيْلَى وَزِدْتُ عَلَى ٱلْجُهْدِ
عَلَى ذَاكَ مَا يَمْحُو لِيَ ٱلذَّنْبَ عِنْدَهَا   وَتَمْحُو دَوَاعِي حُبِّهَا ذَنْبَهَا عِنْدِي

ولبعض اهل هذا العصر

أَرَى كُلَّ مُرْتَابٍ يَخَافُ خَيَالَهُ   كَأَنَّ عُيُونَ ٱلْعَالَمِينَ تُرَاقِبُهْ
يَكَادُ لِفَرْطِ ٱلْخَوْفِ يُبْدِي ضَمِيرَهُ   لِكُلِّ ٱمْرِئٍ تُخْشَى عَلَيْهِ عَوَاقِبُهْ
عَلَيَّ بِوَادٍ مَنْ يُخَافُ ٱغْتِيَابُهُ   تُبَتُّ لَدَيْهَا فِي ٱلْأَنَامِ مَنَاقِبُهْ
فَإِيَّاكُمَا يَا صَاحِبَيَّ وَمَشْهَدًا   تُنَسِّيكُمَا مَا سَرَّ مِنْهُ عَوَاقِبُهْ
وَإِيَّاكُمَا وَٱلذَّنْبَ تَرْتَكِبَانِهِ   وَإِنْ كَانَ فِي ٱلْأَحْيَانِ يُعْذَرُ رَاكِبُهْ

فَمَا كُلُّ مَعْـذُورٍ حَقِيقاً بِعُـذْرِهِ   وَلَا كُلُّ مَعْذُولٍ تَعِيبُ مَعَـايِبُهْ

وقال الحطيئة

أَكُلُّ ٱلنَّاسِ يَكْتُمُ حُبَّ هِنْدٍ   وَمَا يَخْفَى بِذٰلِكَ مِنْ خَفِيِّ
وَمَا لَـكَ غَيْرَ نَظَّارٍ إِلَيْهَـا   كَمَـا نَظَرَ ٱلْفَقِيرُ إِلَى ٱلْغَنِيِّ

وقال الاحوص

لَقَدْ سَلَا كُلُّ صَبٍّ أَوْ قَضَى وَطَرًا   وَمَا سَلَوْتُ وَمَا قَضَّيْتُ أَوْطَارِي * ٤،
أَضْمَرْتُ ذَاكَ زَمَـانًا ثُمَّ بُحْتُ بِهِ   فَزَادَنِي سَقَماً بَوْحِي وَإِضْمَـارِي
أَخْفَيْتُ فِي ٱلْعُرْفِ هٰذَا ٱلنُّكْرَ ذٰلِكُمُ   فَصَرَّحَ ٱلْوَجْدُ عَنْ عُرْفِي وَإِنْكَارِي

وَهٰـذَا لَعَمْرِي مِنْ حَسَنِ ٱلْـكَلَامِ وَنَفِيسِهِ أَلَا تَرَى إِلَى إِخْبَـارِهِ عَنِ ٱجْتِهَادِهِ فِي كَتْمِ مَا فِي قَلْبِهِ حَتَّى صَرَّحَ ٱلْوَجْدُ بِهِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ لَـهُ وَلَا ٱخْتِيَارٍ مِنْهُ وَهٰذِهِ هِيَ ٱلْحَالُ ٱلتَّامَّةُ مِنْ جِهَتَيْنِ إِحْدَاهُمَـا أَنْ يَكُونَ ٱلْمُحِبُّ مُؤْثِرًا ٱلْإِسْرَارَ عَلَى ٱلْإِعْلَانِ وَٱلْأُخْرَى أَنْ يَكُونَ ٱلْوَجْـدُ تَمَلَّـكَهُ مُلْكاً يَزُولُ مَعَـهُ ٱلْـكِتْمَانُ فَيَـكُونُ ضَـابِطاً لِنَفْسِهِ مُؤْثِرًا لِـكِتْمَانِ سِرِّهِ مَا دَامَ ٱلتَّمْيِيزُ مَعَـهُ إِلَى أَنْ يَغْلِبَهُ مِنَ ٱلْوَجْـدِ مَا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْفَعَهُ

ولقد احسن البحتري غاية الاحسان حيث يقول

نَصَرْتُ لَهَا ٱلشَّوْقَ ٱللَّجُوجَ بِأَدْمُعٍ   تَلَاحَقْنَ فِي أَعْقَابِ وَصْلٍ تَصَرَّمَا
وَتَيَّمَنِي أَنَّ ٱلْجَوَى غَـيْرُ مُقْصِرٍ   وَأَنَّ ٱلْحِمَى وَصْفٌ لِمَنْ حَلَّ بِٱلْحِمَى
أُؤَلِّفُ نَفْساً قَدْ أُعِيدَتْ عَلَى ٱلْهَوَى   شَعَـاعاً وَقَلْباً فِي ٱلْغَوَانِي مُقَسَّمَا
لَقَدْ أَخَذَ ٱلرُّكْبَانُ أَمْسِ وَغَادَرُوا   حَدِيثَيْنِ مِنَّا ظَـاهِرًا وَمُـكَتَّمَا
وَمَا كَانَ بَادِي ٱلْحُبِّ مِنَّا وَمِنْـكُمُ   لِيَخْفَى وَلَا سِرُّ ٱلتَّـلَاقِي لِيُعْلَمَا

أَفَلَا تَرَى إِلَى حُسْنِ قِسْمَتِهِ لِمَا خَفِيَ وَمَا ظَهَرَ مِنْ سِرِّهِ فَأَعْلَمَكَ أَنَّ مَـا

بِهِ مِنْ غَلَبَاتِ ٱلْوَجْدِ أَخْرَجَهَا ٱلشَّوْقُ عَنْ يَدِهِ فَظَهَرَتْ لِمَنْ بِحَضْرَتِهِ وَأَنَّ مَا ٱسْتُوْدِعَهُ مِنَ ٱلسَّرَائِرِ ٱلَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِلْفِهِ لَمْ يَكُنْ لِيَطَّلِعَ عَلَيْهَا غَيْرُهُ وَهٰذَا هُوَ ٱلَّذِي أَطْرَيْنَاهُ وَمَدَحْنَا مِنْ فِعْلِهِ فِي ٱلْبَابِ ٱلْمَاضِي مِنْ وُجُوبِ ظُهُورِ ٱلْحَالِ وَحْدَهَا وَٱسْتِخْفَاءِ مَا بَعْدَهَا وَٱلْعِلَّةُ فِي ذٰلِكَ أَنَّ مَكْتُومَ ٱلْحُبِّ يُظْهِرُهُ ٱلدَّمْعُ وَمَكْنُونَ مَا جَرَى مِنَ ٱلْمُحِبِّينَ لَا يُظْهِرُهُ غَيْرُ ٱلنُّطْقِ وَٱلنَّاسُ قَادِرُونَ عَلَى حَبْسِ أَلْسِنَتِهِمْ وَعَاجِزُونَ عَنْ حَبْسِ دَمْعِهِمْ سِيَّمَا إِذَا مَلَكَهُمُ ٱشْتِيَاقٌ أَوْ جَدَّ بِهِمْ فِرَاقٌ

ولقد احسن الذي يقول

٣١٥ يَا حَسْرَتَا قَدْ فُقِدَ ٱلْعُمْرُ ... وَلَيْسَ لِي عَنْ مَالِكِي صَبْرُ*
وَكَمْ أُدَارِي ٱلنَّاسَ عَنْ قِصَّتِي ... وَلَيْسَ لِي عَنْ مَالِكِي سِرُّ
يَا رَبِّ قَدْ عَذَّبْتَنِي بِٱلْهَوَى ... طِفْلًا وَكَهْلًا فَلَكَ ٱلشُّكْرُ

وقال جرير

وَمَا زَالَ عَنِّي قَائِدُ ٱلشَّوْقِ وَٱلْهَوَى ... وَذِكْرُكِ حَتَّى كَادَ يَبْدُو وَيُفْصِحُ
أُصُونُ ٱلْهَوَى مِنْ خِشْيَةٍ أَنْ تَعُرَّهَا ... عُيُونٌ وَأَعْدَاءٌ مِنَ ٱلْقَوْمِ كُشَّحُ
فَمَا بَرِحَ ٱلْوَجْدُ ٱلَّذِي قَدْ تَلَبَّسَتْ ... بِهِ ٱلنَّفْسُ حَتَّى كَادَ لِي ٱلشَّوْقُ يَذْبَحُ

وقال العرجي

إِذَا رُمْتُ كِتْمَانًا لِوَجْدِكِ حَرَّشَتْ ... عَلَيْكِ ٱلْعِدَى عَيْنٌ بِسِرِّكِ تَنْطِقُ
لَمَا شَاهِدٌ مِنْ دَمْعِهَا كُلَّمَا وَفَى ... جَرَى شَاهِدٌ مِنْ دَمْعِهَا يَتَرَقْرَقُ

وقال يزيد بن الطثرية

جَرَى وَاكِفُ ٱلْعَيْنَيْنِ بِٱلدِّيمَةِ ٱلسَّكْبِ ... وَرَاجَعَنِي مِنْ ذِكْرِ مَا قَدْ مَضَى حُبِّي
وَأَبْدَى ٱلْهَوَى مَا كُنْتُ أُخْفِي مِنَ ٱلْعِدَى ... وَجُنَّ لِتَذْكَارِ ٱلصِّبَى مَرَّةً قَلْبِي
مَتَى يُرْسِلِ ٱلْمُشْفِي إِنِ ٱلنَّاسُ مَحَّلُوا ... عُيُونًا لِأَكْنَافِ ٱلْمَدِينَةِ فَٱلْهَضْبِ

أَمُتْ كَمَدًا أَوْ أَضْنَ حَتَّى يُغِيثَنِي ... مُغِيثٌ بِسَيْبٍ مِنْ نَدَاهُنَّ أَوْ قُرْبِ
حَنَا ٱلْحَائِمُ ٱلصَّادِي إِلَيْهَا وَخُلِّيَتْ ... قُلُوبٌ فَمَا يَقْدِرْنَ مِنْهَا عَلَى شُرْبِ
جَعَلْنَ ٱلْهَوَى دَاءً عَلَيْنَا وَمَا لَنَا ... إِلَيْهِنَّ إِذْ أَوْرَدْنَنَا ٱلدَّاءَ مِنْ ذَنْبِ

وقال آخر

وَلَمَّا رَأَى أَلَّا سَبِيلَ وَأَنَّهُ ... هُوَ ٱلْبَيْنُ مَقْصُورًا عَلَيْهِ ٱلْأَضَالِعُ
تَهَتَّكَ عَنْ أَسْرَارِ قَلْبٍ وَأَسْجَمَتْ ... مَدَامِعُ عَيْنٍ بَيْنَهَا ٱلسِّرُّ ضَائِعُ

وقال العباس بن الاحنف

أَمْسَى بُكَاكَ عَلَى هَوَاكَ دَلِيلَا ... فَٱزْجُرْ دُمُوعَكَ أَنْ تَفِيضَ هُمُولَا * ٣١٦
دَارِ ٱلْجَلِيسَ عَنِ ٱلدُّمُوعِ فَإِنْ بَدَتْ ... فَٱنْظُرْ إِلَى أُفُقِ ٱلسَّمَاءِ طَوِيلَا

وقال آخر

بَيْنَ ٱلْجَوَانِحِ مِنْكَ قَلْبٌ خَافِقٌ ... وَلِسَانُ دَمْعِكَ عَنْ ضَمِيرِكَ نَاطِقُ
إِجْهَرْ بِحُبِّكَ طَالَمَا أَسْرَرْتَهُ ... وَإِذَا ٱسْتَسَرَّ ٱلْحُبُّ مَاتَ ٱلْعَاشِقُ

وقال آخر

لَوْلَا تَحَدُّرُ دَمْعِي حِينَ تَذْكُرُ لِي ... لَمْ يَعْلَمِ ٱلنَّاسُ مِنْ سِرِّي بِمَكْتُومِ
فَمَا ٱحْتِيَالِي بِعَيْنٍ غَيْرِ رَاقِيَةٍ ... تَبْكِي بِدَمْعَيْنِ مَذْرُوفٍ وَمَسْجُومِ
نَمَّتْ عَلَيَّ فَأَبْدَتْ مَا ٱسْتَتَرْتُ بِهِ ... وَقَدْ يَكُونُ سَتِيرًا غَيْرَ مَذْمُومِ

وقال ابو حفص الشطرنجي

وَقَالَتْ بُحْتَ بِٱلْأَسْرَارِ عَنِّي ... وَمَا هٰذَا بِفِعْلِ أَخِي ٱلْكَرِيمَةْ
فَقُلْتُ لَهَا فَدَتْكِ ٱلنَّفْسُ نَمَّتْ ... بِمَا لَاقَيْتُ مُقْلَتِيَ ٱلْمَشُومَةْ
فَأَلْقَتْ نَفْسَهَا ضَحِكًا وَقَالَتْ ... قَدِ ٱرْتَفَعَ ٱلْحَدِيثُ عَنِ ٱلنَّمِيمَةْ

ولقد احسن ابن قنبر حيث يقول

خُذِينِي بِمَا يَجْنِي لِسَانِيَ وَٱصْفَحِي ... لَنَا عَنْ جِنَايَاتِ ٱلدُّمُوعِ ٱلْبَوَادِرِ

فَقَدْ شَهَرَتْنِي مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ   فَأَبْدَتْ بِرَغْمِي خَافِيَاتِ سَرَائِرِي
وَلَوْ أَنَّ عَيْنِي طَاوَعَتْنِي لَأُخْتَفَى   عَلَيَّ الْهَوَى أُخْرَى اللَّيَالِي الْغَوَابِرِ
وَلٰكِنَّهَا تُبْدِي إِذَا مَا ذَكَرْتُكُمْ   بِفَيْضِ مَآقِيهَا خَبَايَا الضَّمَائِرِ

وقال احمد بن ابي قين

وَلَمَّا أَبَتْ عَيْنَايَ أَنْ تَسْتُرَا الْهَوَى   وَأَنْ تَقِفَا فَيْضُ الدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ
تَثَاءَبْتُ كَيْلَا يُنْكِرَ الدَّمْعَ مُنْكِرٌ   وَلٰكِنْ قَلِيلٌ مَا بَقَاءُ التَّثَاؤُبِ
أَعَرْضْتُمَانِي لِلنَّدِي وَنَمَتُمَا   عَلَيَّ لَبِئْسَ الصَّاحِبَانِ لِصَاحِبِ* ٣١٧

وقال النابغة

طَوَى كَشْحاً خَلِيلُكَ وَالْجَنَاحَا   لِبَيْنٍ مِنْكَ يَوْمَ غَدَا وَرَاحَا
فَيَا لَكِ حَاجَةً فِي صَدْرِ صَبٍّ   رَأَى الْأَظْعَانَ بَاكِرَةً فَبَاحَا

وقال البحتري

يَا أَخَا الْأَزْدِ مَا حَفِظْتَ الْإِخَاءَ   لِمُحِبٍّ وَمَا ذَكَرْتَ الْوَفَاءَ
عَذَلَا يَتْرُكُ الْحَنِينَ أَنِيناً   فِي هَوًى يَتْرُكُ الدُّمُوعَ دِمَاءَ
كَيْفَ أَغْدُو مِنَ الصَّبَابَةِ خِلْوًا   بَعْدَمَا رَاحَتِ الدِّيَارُ خَلَاءَ
حَجَبُوهَا حَتَّى بَدَتْ لِفِرَاقٍ   كَانَ دَاءً لِعَاشِقٍ وَدَوَاءَ
أَضْحَكَ الْبَيْنُ يَوْمَ ذَاكَ وَأَبْكَى   كُلَّ ذِي صَبْوَةٍ وَسَرَّ وَسَاءَ
فَجَعَلْنَا الْوَدَاعَ فِيهِ سَلَاماً   وَجَعَلْنَا الْفِرَاقَ فِيهِ لِقَاءَ
وَوَشَتْ بِي إِلَى الْوُشَاةِ دُمُوعُ الْ   عَيْنِ حَتَّى حَسِبْتُهَا أَعْدَاءَ

قَدْ كَثَّرَ النَّاسُ فِي شِكَايَةِ الدَّمْعِ وَخَبَّرُوا بِأَنَّهُ مِنْ أَشَدِّ الْأَشْيَاءِ دَلَالَةً عَلَى السُّرُورِ بِمَا امْتَنَعَ بِضُرُوبٍ مِنَ الصَّنَائِعِ إِمَّا لِفَرْطِ جَفَافٍ فِي الدِّمَاغِ يَحْتَمِلُ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ مِنَ الْبُخَارَاتِ فَلَا يَنْحَدِرُ عَنْهُ حَتَّى يَكْثُرَ كَثْرَةً غَالِبَةً وَرُبَّمَا امْتَنَعَ لِشِدَّةِ الْكَمَدِ حَسْبَمَا ذَكَرْنَاهُ بَدِيًّا وَلِلْهَوَى

دَلَالَاتٌ تَتَبَيَّنُ فِي ٱلزَّفَرَاتِ وَٱللَّوْنِ وَٱلنَّظَرِ وَٱلْإِشَارَاتِ لَا تَكَادُ تَفْتَقِدُ وَجْدَهَا [وَ]مُفْتَقِدُهَا أَيْضاً يَرَاهَا وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْ [لها] شَبِيهاً عِنْدَ تَلَاقِي ٱلْمُتَحَابَّيْنِ

انشدنا احمد بن ابي طاهر

تَكَلَّمُ عَمَّا فِي ٱلصُّدُورِ عُيُونُنَا   وَتَنْفُقُهُ عَنَّا أَعْيُنٌ وَحَوَاجِبُ
فَمَنْ قَالَ إِنَّ ٱلْحُبَّ يَخْفَى لِذِي ٱلْهَوَى   إِذَا مَا رَأَى أَحْبَابَهُ فَهْوَ كَاذِبُ

ولبعض اهل هذا العصر

لَا خَيْرَ فِي عَاشِقٍ يُخْفِي صَبَابَتَهُ   بِٱلْقَوْلِ وَٱلشَّوْقُ مِنْ زَفَرَاتِهِ بَادِي * ٣١٨
يُخْفِي هَوَاهُ وَمَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ   حَتَّى عَلَى ٱلْعِيسِ وَٱلرُّكْبَانِ وَٱلْحَادِي

وقال مسلم بن الوليد

أَمَّا ٱلْجَمِيعُ فَزَايَلُوكَ لِنِيَّةٍ   فَمَتَى تَرَاهُمْ رَاجِعِينَ قُفُولَا
تَٱللّٰهِ مَا عَلِمَ ٱلسُّرُورُ وَلَا ٱلْكَرَى   أَنَّ ٱلْفِرَاقَ مِنَ ٱللِّقَاءِ أُدِيلَا
فَإِذَا زَجَرْتُ ٱلْقَلْبَ عَادَ وَجِيبُهُ   وَإِذَا حَبَسْتُ ٱلدَّمْعَ فَاضَ هُمُولَا
وَإِذَا رَجَعْتُ إِلَى ٱلْهَوَى بَعَثَ ٱلْهَوَى   نَفَساً يَكُونُ عَلَى ٱلضَّمِيرِ دَلِيلَا

ولبعض اهل هذا العصر

هَبُونِيَ أَخْفَيْتُ ٱلَّذِي بِي مِنَ ٱلْهَوَى   أَلَمْ يَكُ عَنْ [مَا بِي] ضَمِيرٌ مُتَرْجِمَا
وَمَازِلْتُ أَسْتَحْيِي مِنَ ٱلنَّاسِ أَنْ أُرَى   ظَلُوماً لِإِلْفِي أَوْ أُرَى مُتَظَلِّمَا
وَبِٱللّٰهِ مَا حُلْتُ ٱلْغَدَاةَ عَنِ ٱلَّذِي   عَهِدْتَ وَلٰكِنْ كُنْتُ إِذْ ذَاكَ مُنْعَمَا
وَقَدْ ذَابَ قَلْبِي ٱلْيَوْمَ شَوْقاً وَصَبْوَةً   إِلَيْكَ وَمَا تَرْثِي لِقَلْبِيَ مِنْهُمَا
فَلَا تَتَعَجَّبْ إِنْ تَظَلَّمْتُ مُحْوَجاً   فَقَدْ حَانَ لِلْمَظْلُومِ أَنْ يَتَظَلَّمَا

وقال آخر

لَوْ كُنْتُ أُظْهِرُ مَا أُكَاتِمُكُمْ [بِهِ]   هَلْ كُنْتُ إِلَّا مُخْبِرًا بِوِدَادِي

أَفَلَيْسَ فِي نَظَرِي تَأَمُّلٌ بَائِنٌ يُنْبِيكَ عَمَّا فِي ضَمِيرِ فُؤَادِي

فَهٰذِهِ ٱلْجِهَاتُ كُلُّهَا تَنِمُّ ٱلْهَوَى عَلَى أَهْلِهِ وَتَدُلُّ مُشَاهَدَتُهَا عَلَى مَوْضِعِهِ وَرُبَّمَا كَانَ إِفْرَاطُ ٱلتَّحَفُّظِ دَالًّا عَلَى هَوَى ٱلتَّحَفُّظِ لِأَنَّ ٱلتَّصَنُّعَ ٱلشَّدِيدَ يُخْرِجُ عِنْدَ ٱلْعَادَةِ فَيُوقِعُ ٱلتُّهْمَةَ بِمَنِ ٱسْتَعْمَلَهُ لَقَدْ سَمِعْتُ فَتًى مِنْ أَهْلِ ٱلْأَدَبِ يَقُولُ لِآخَرَ مِنْ أَهْلِ ٱلْهَوَى وَقَدْ أَفْرَطَ فِي ٱحْتِشَامِهِ وَحَاذَرَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ حَالِهِ قَدْ وَٱللهِ بَلَغَ مِنِّي مَا أَرَاهُ بِكَ عَلَى أَنَّهُ مَا يَظْهَرُ لِي مِنْ حَالِكَ إِلَّا كِتْمَانُكَ لِأَمْرِكَ

٣١٩ ولبعض اهل هذا العصر في نحو ذلك*

أَرَيْتَنِي ٱلنَّجْمَ يَجْرِي بِٱلنَّهَارِ فَلَا فَرْقًا أَرَى بَيْنَ إِصْبَاحِي وَإِمْسَائِي
أَخْفَيْتُ حُبَّكَ حَتَّى قَدْ ضَنِيتُ بِهِ فَصَارَ يُظْهِرُ مَا أُخْفِيهِ إِخْفَائِي

الباب الخامس والاربعون

مَنْ لَمْ يَقَعْ لَهُ ٱلْهَوَى بِٱكْتِسَابٍ لَمْ يَنْزَجِرْ بِٱلْعِتَابِ

ٱلْعِلَّةُ فِي ذٰلِكَ أَنَّ ٱلْمُعَاتَبَةَ إِنَّمَا هِيَ تَوْقِيفٌ عَلَى مَوَاضِعِ ٱلْمَصْلَحَةِ وَتَبْيِينٌ لِمَا فِي ٱلْحَالِ ٱلَّتِي بَقِيَ عَلَيْهَا ٱلْمُعَاتَبُ مِنَ ٱلْمَنْقَصَةِ فَمَنْ كَانَ أَصْلُ هَوَاهُ ٱخْتِيَارًا لِنَفْسِهِ فَتَبَيَّنَ مَوْضِعُ ٱلنَّقْصِ فِي ٱخْتِيَارِهِ رَجَعَ إِلَى قَوْلِ عُذَّالِهِ وَمَنْ وَقَعَ هَوَاهُ مُضْطَرًّا بِغَلَبَةٍ إِلَى ٱلِانْقِيَادِ لِإِلْفِهِ لَمْ يَعْلَقِ ٱلْعَذْلُ بِسَمْعِهِ لِأَنَّ ٱلْعَذْلَ يَأْتِيهِ مِنْ غَيْرِ جِهَتِهِ وَٱلشَّيْءُ لَا يُوجِبُ زَوَالَهُ إِلَّا ضِدُّ مَا أَوْجَبَ ثَبَاتَهُ فَكَمَا أَنَّ ٱلْهَوَى ٱلِاخْتِيَارِيَّ يُضَادُّهُ ٱلتَّوْقِيفُ عَلَى مَوَاضِعِ ٱلْخَالِ فَيُوجِبُ عَلَى صَاحِبِهِ أَنْ يَخْتَارَ إِزَالَتَهُ فَكَذٰلِكَ ٱلْهَوَى

ٱلِاضْطِرَارِيُّ لَا يُزَايِلُهُ إِلَّا ٱضْطِرَارٌ يُضَادُّهُ وَٱلْهَوَى ٱلِاخْتِيَارِيُّ أَيْضاً عَلَى ضَعْفِهِ لَا تَمْحُوهُ ضَرُورِيَّتُهُ وَلَا تُعَارِضُ فِي تَرْكِهِ لِأَنَّهَا تَجِيءُ مِنْ غَيْرِ جِهَتِهِ وَهُوَ لَا يَزُولُ إِلَّا بِزَوَالِ ٱلْجِهَةِ ٱلَّتِي أَوْجَبَتْهُ إِذْ مُحَالٌ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ عِلَّةً لِشَيْءٍ فَيَزُولَ ٱلْمَعْلُولُ وَٱلْعِلَّةُ قَائِمَةٌ

ولقد احسن عمر بن ضبيعة الرقاشي حيث يقول

قَضَى ٱللّٰهُ حُبَّ ٱلْمَالِكِيَّةِ فَٱصْطَبِرْ   عَلَيْهِ فَقَدْ تَجْرِي ٱلْأُمُورُ عَلَى قَدَرِ
أَلَا فَلْيَقُلْ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ إِنَّمَا   يُلَامُ ٱلْفَتَى فِيمَا ٱسْتَطَاعَ مِنَ ٱلْأَمْرِ

وللبحتري في نحو ذلك

لِلْحُبِّ عَهْدٌ فِي فُؤَادِي لَمْ يَخُنْ   مِنْهُ ٱلسُّلُوُّ وَذِمَّةٌ لَمْ تُخْفَرِ
لَا أَبْتَغِي بَدَلًا بِسُلْمَى خُلَّةً   فَلْتَقْتَرِبْ بِٱلْوَصْلِ أَوْ فَلْتَهْجُرِ

٣٢٠

وقال يحيى بن منصور*

يَلُومُكَ فِيهَا ٱللَّائِمُونَ كَأَنَّنِي   لِأَمْرِ ٱلْوُشَاةِ مُسْتَقِيدٌ مُسَلِّمُ
[وَ]إِنِّي أَرَى ٱلْعَيْنَ ٱلَّتِي [لَا] تُنِيمُهَا   إِذَا جَعَلَتْ عَيْنُ ٱلْوُشَاةِ تَنَوَّمُ
فَمَا أَنَا مَتْرُوكٌ وَبَثِّي فَإِنَّهُ   شَتِيتٌ بِهِ أَهْوَاؤُهُ مُتَقَسِّمُ

ولقد احسن ابو تمام حيث يقول

أَلَمْ تَرَنِي خَلَّيْتُ عَيْنِي وَشَانَهَا   وَلَمْ أَحْفِلِ ٱلدُّنْيَا وَلَا حَدَثَانَهَا
لَقَدْ خَوَّفَتْنِي ٱلنَّائِبَاتُ صُرُوفَهَا   وَلَوْ آمَنَتْنِي مَا قَبِلْتُ أَمَانَهَا
عِنَانٌ مِنَ ٱللَّذَّاتِ قَدْ كَانَ فِي يَدِي   فَلَمَّا مَضَى ٱلْإِلْفُ ٱسْتَرَدَّتْ عِنَانَهَا
يَقُولُونَ هَلْ يَبْكِي ٱلْفَتَى لِخَرِيدَةٍ   مَتَى مَا أَرَادَ ٱعْتَاضَ عَشْرًا مَكَانَهَا
وَهَلْ يَسْتَعِيضُ ٱلْمَرْءُ مِنْ خَمْسِ كَفِّهِ   وَلَوْ صَاغَ مِنْ حُرِّ ٱللُّجَيْنِ بَنَانَهَا

وانشدني احمد بن يحيى

لَا تَلْحَيَا فِي حُبِّ ظَبْيَةَ هَائِمًا   أَمْسَى بِظَبْيَةَ هَائِمًا مَشْغُولَا

هَيْمَانُ يَعْطَشُ بِٱلْفُرَاتِ لِحُبِّهَا   وَيَزِيدُهُ بَرْدُ ٱلشَّبَابِ غَلِيلَا

وقال آخر

فَكَادَ يَعْتِبُنِي فِي غَيْرِ فَاحِشَةٍ   بَعْضَ ٱتِّبَاعِ ٱلْهَوَى وَٱلْمَشْرَبَ ٱلْأَلِفُ
يَا أَيُّهَا ٱلْعَاذِلُ ٱلرَّاجِي لِأُعْتِبَهُ   مَاذَا تَرَاكَ مِنَ ٱللُّوَّامِ تَعْتَرِفُ
أَفِي ٱلصِّبَى لُمْتَنِي أَنْتَ ٱلْفِدَاءُ لَهُ   وَهَلْ عَصَى لَكَ مِنْ لَذَّاتِهِ خَلَفُ
إِذَا ذَمَمْتَ ٱلصِّبَى يَوْماً فَلَا تَرَنِي   مِمَّنْ يُطِيعُكَ أَوْ يَرْضَى بِمَا تَصِفُ
إِنَّ ٱلْقُلُوبَ إِذَا نِيَّاتُهَا ٱخْتَلَفَتْ   فَلَا تَكَادُ عَلَى ٱلْأَضْغَانِ تَأْتَلِفُ

وانشدني احمد بن يحيى

وَقَدْ عَلِمَتْ سَمْرَاءُ أَنَّ حَدِيثَهَا   فَجِيعٌ كَمَا مَاءُ ٱلسَّمَاءِ فَجِيعُ
٣٢١ إِذَا أَمَرَتْكَ ٱلْعَاذِلَاتُ بِصَرْمِهَا   هَفَتْ كَبِدٌ مِمَّا يَقُلْنَ صَدِيعُ *

وزادني غيره

وَكَيْفَ أُطِيعُ ٱلْعَاذِلَاتِ وَحُبُّهَا   يُؤَرِّقُنِي وَٱلْعَاذِلَاتُ هُجُوعُ

وقال ابو صخر الهذلي

أَرِقْتُ وَنَامَ عَنِّي مَنْ يَلُومُ   وَلٰكِنْ لَمْ تَنَمْ عَنِّي ٱلْهُمُومُ
كَأَنِّي مِنْ تَذَكُّرِهَا أَلَاقِي   أَذَى مَا أَظْلَمَ ٱللَّيْلُ ٱلْبَهِيمُ
سَلِيمٌ مَلَّ مِنْهُ أَقْرَبُوهُ   وَعَطَّلَهُ ٱلْمُدَاوِي وَٱلْحَمِيمُ
يَلُومُكَ فِي مَوَدَّتِهَا رِجَالٌ   لَوَ ٱنَّهُمُ بِدَائِكَ لَمْ يَلُومُوا
قُلُوبُهُمُ وَأَنْفُسُهُمْ صِحَاحٌ   وَقَلْبُكَ مِنْ تَذَكُّرِهَا سَقِيمُ
فَأَنْتَ وَإِنْ لَحَاكَ ٱلنَّاسُ فِيهَا   جَمِيعَ ٱلنَّاسِ تَعْصِي أَوْ تَلُومُ

وقال الضحاك بن عقيل الخفاجي

لَقَدْ لَامَنِي فِيهَا رِجَالٌ وَقَدْ أَرَى   مَكَانَ نِسَاءٍ قَدْ مُلِئْنَ لَهَا حِقْدَا
يُخَبِّرْنَنِي أَنِّي سَفِيهٌ فَزَادَنِي   مَقَالَةُ مَنْ قَدْ قَالَ لِي وَلَهَا وَجْدَا

عَلَى حُبِّهَا فَٱزْدَدْتُ ضِعفاً وَلَمْ أَكُنْ أَرَى [قَبْلُ] عِنْدِي غَيْرَ مَا ٱسْتَسْلَفَتْ وُدَّا

وَهٰذَا لَعَمْرِي مِنْ أَحْسَنِ ٱلْكَلَامِ وَجَيِّدِهِ وَإِنْ كَانَ فِي ٱلْبَيْتِ ٱلْأَخِيرِ غَلَطٌ يَسِيرٌ لِأَنَّهُ زَعَمَ أَنَّ مِنْ مَلَامِهِمْ فِيهَا زَادَهُ ضِعفًا مِنْ مَحَبَّتِهَا وَٱلْعَذْلُ لَا يَزِيدُ ٱلْمَحَبَّةَ وَلَا يُنقِصُهَا وَلٰكِنَّ ٱلنَّفْسَ إِذَا ٱشْتَدَّ ضَنُّهَا فَغُرِيَ ٱلْعَذْلُ بِمَسَامِعِهَا عَارَضَهَا ضَرْبٌ مِنَ ٱلْإِشْفَاقِ عَلَى حَالِ مَنْ عُوتِبَتْ فِي مَحَبَّتِهِ وَخَشِيَتْ أَنْ يَكُونَ ٱلْعَذْلُ مُزِيلًا لَهُ عَنْ مَرْتَبَتِهِ وَكَانَ تَحْرِيكُ خَاطِرَةِ ٱلضَّنِّ بِذٰلِكَ زَايِدَةً فِي ٱلْقَلَقِ وَمُهَيِّجَةً لِلْفِكْرِ فَيَتَوَهَّمُ صَاحِبُهَا أَنَّ مَحَبَّتَهُ قَدْ تَزَايَدَتْ وَمَا تَزَايَدَتْ وَلَا تَنَاقَصَتْ وَهٰذَا ٱلْغَلَطُ لَمْ يَجْرِ عَلَى صَاحِبِ هٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتِ وَحْدَهُ بَلْ قَدْ جَرَى عَلَى مَنْ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ

وقال معاذ ليلى في نحو ذلك

يَقَرُّ بِعَيْنِي قُرْبُهَا وَيَزِيدُنِي   بِهَا عَجَباً مَنْ كَانَ عِنْدِي يَعِيبُهَا * ٣٢٢
وَكَمْ قَائِلٍ قَدْ قَالَ تُبْ فَعَصَيْتُهُ   وَتِلْكَ لَعَمْرِي تَوْبَةٌ لَا أَتُوبُهَا
فَيَا نَفْسُ صَبْرًا لَسْتِ وَٱللهِ فَٱعْلَمِي   بِأَوَّلِ نَفْسٍ غَابَ عَنْهَا حَبِيبُهَا

وقال عمر بن يحيى الطائي

قَالَ ٱلْعَوَاذِلُ لِي أَيَنْقُصُ حُبُّهَا   لَا بَلْ عَلَى رَغْمِ ٱلْوُشَاةِ يَزِيدُ
تَأْبَى قَرَابَةُ بَيْنِنَا وَمَوَدَّةٌ   وَلَهَا عَلَيَّ مَوَاثِقٌ وَعُهُودُ
طُوِّ[يْنَ] فِي حُجَجٍ مَضَيْنَ سَوَالِفٍ   حَذَرَ ٱلْوُشَاةِ فَنَقْضُهُنَّ شَدِيدُ
وَإِذَا تَعَرَّضَ زَاجِرٌ عَنْ حُبِّهَا   قُلْنَا عَلَيْكَ صَفَائِحٌ وَلُحُودُ

وقالت وجيهة بنت اوس

وَعَاذِلَةٍ تَغْدُو عَلَيَّ تَلُومُنِي   عَلَى ٱلشَّوْقِ لَمْ تَمْحُ ٱلصَّبَابَةَ مِنْ قَلْبِي
فَمَا لِيَ إِنْ أَحْبَبْتُ أَرْضَ عَشِيرَتِي   وَأَحْبَبْتُ طَرْفَاءَ ٱلْقُصَيْبَةِ مِنْ ذَنْبِ

وقال مالك بن الحارث الهذلي

يَقُولُ ٱلْعَاذِلَاتُ أَكُلَّ يَوْمٍ ... لِسُرْبَةِ مَالِكٍ عَنَقٌ شَنَاحُ
وَقَدْ خَرَجَتْ نُفُوسُهُمُ فَمَاتُوا ... عَلَى إِخْوَانِهِمْ وَهُمُ صِحَاحُ
وَلَسْتُ مُقَصِّرًا مَا سَافَ مَالِي ... وَلَوْ عُرِضَتْ لِلَبَّتِيَ ٱلرِّمَاحُ
فَلُومُوا مَا بَدَا لَكُمُ فَإِنِّي ... سَأُعْتِبُكُمْ إِذَا ٱنْفَسَحَ ٱلْمُرَاحُ

وقال جرير

إِذَا مَا نِمْتِ هَانَ عَلَيْكِ لَيْلِي ... وَلَيْلُ ٱلطَّارِقَاتِ مِنَ ٱلْهُمُومِ
إِذَا مَا لُمْتِنِي وَعَذَرْتُ نَفْسِي ... فَلُومِي مَا بَدَا لَكِ أَنْ تَلُومِي

وقال القعقاع

خَلِيلَيَّ مُرَّا بِي قَلِيلًا لِتُوجَرَا ... وَأَنْ تَكْسِبَا خَيْرًا مِنَ ٱلْحَمْدِ وَٱلْأَجْرِ
٣٢٣ فَقَالَا ٱتَّقِ ٱللهَ ٱلْعَلِيَّ فَإِنَّمَا ... تُصَلِّيكَ أَسْبَابُ ٱلْهَوَى لَهَبَ ٱلْجَمْرِ*
فَقُلْتُ أَطِيعَانِي فَلَيْسَ عَلَيْكُمَا ... حِسَابِي إِذَا لَاقَيْتُ رَبِّي وَلَا وِزْرِي
عَلَيَّ ٱلَّذِي أَجْنِي وَلَيْسَ عَلَيْكُمَا ... وَرَبِّيَ أَوْلَى بِٱلتَّجَوُّزِ وَٱلْغَفْرِ
أَتُحْرِقُنِي يَا رَبِّ إِنْ عُجْتُ عَوْجَةً ... عَلَى رَخْصَةِ ٱلْأَطْرَافِ طَيِّبَةِ ٱلنَّشْرِ

أَمَّا ٱلْعَذْلُ ٱلَّذِي يَقَعُ ٱبْتِدَاءً فَلَيْسَ عَلَى ٱلنَّفْسِ مِنْهُ مِنَ ٱلْمُؤُونَةِ كَمَا عَلَيْهَا مِنْ عَذْلِ مَنْ أَمَّلَتْ عِنْدَهُ مِنَ ٱلْمَعُونَةِ وَلَقَدْ كَسَبَ هٰذَا ٱلْبَائِسُ عَلَى نَفْسِهِ تَعَبًا كَاسِرًا لِمُنْقَلَبِهِ وَمُسْقِطًا لِهِمَّتِهِ بِٱسْتِدْعَائِهِ ٱلْمُسَاعَدَةَ مِنْ ذِكْرِ قِصَّتِهِ وَمِنْ هٰذَا وَأَشْبَاهِهِ كَرِهْنَا لِلْمُحِبِّ ٱلْإِطِّلَاعَ عَلَى أَسْرَارِهِ وَلٰكِنْ مَتَى غُلِبَ عَلَى أَمْرِهِ لَمْ يُلَمْ عَلَى إِفْشَاءِ سِرِّهِ

ولقد احسن ابو تمام الطائي حيث يقول

فَحْوَاكَ عَيْنٌ عَلَى نَجْوَاكَ يَا مَذِلُ ... حَتَّامَ لَا يَتَقَضَّى قَوْلُكَ ٱلْخَطِلُ
وَإِنَّ أَسْمَجَ مَنْ تَشْكُو إِلَيْهِ هَوًى ... مَنْ كَانَ أَحْسَنَ شَيْءٍ عِنْدَهُ ٱلْعَذَلُ

وقال يزيد بن الطثرية

تَذَكَّرْتُ ذَاتَ ٱلْخَالِ مِنْ فَرْطِ حُبِّهَا ضُحىً وَٱلْقِلَاصُ ٱلْيَعْمَلَاتُ بِنَا تَخْدِي
فَمَا مَلَكَتْ عَيْنَـايَ حِينَ ذَكَرْتُهَـا دُمُوعَهُمَا حَتَّى ٱنْحَدَرْنَ عَلَى خَدِّي
فَأَنْبَنِي صَحْبِي وَقَالُوا أَمِنْ هَوًى بَكَيْتَ وَلَوْ كَانُوا هُمُ وَجَدُوا وَجْدِي
وَقَـالُوا لَقَـدْ كُنَّا نُعِـدُّكَ مَرَّةً جَلِيدًا وَمَا هٰذَا بِفِعْلِ فَتًى جَلْـدِ
أَلَا لَا تَلُومُونِي فَلَسْتُ وَإِنْ نَأَتْ بِمُنْصَرِمٍ عَنْهَا هَوَايَ وَلَا وُدِّي
أَلَمْ تَعْلَمَـا أَنَّ ٱلرَّعَابِيبَ لَمْ تَزَلْ مَفَـاتِينَ قَبْلِي لِلْكُهُولِ وَلِلْمُرْدِ
فَإِنْ أَغْوَ لَا تُـكْتَبْ عَلَيْـكُمْ غَوَايَتِي أَجَلْ لَا وَإِنْ أَرْشُدْ فَلَيْسَ لَكُمْ رُشْدِي
وَإِنَّ لِذَاتِ ٱلْخَالِ يَا صَاحِ زُلْفَـةً وَمَنْزِلَةً مَـا نَالَهَا أَحَـدٌ عِنْدِي

وقال ايضاً

أَلَا يَا خَلِيـلَيَّ ٱلَّذَيْنِ تَوَاصَيَـا بِيَ ٱللَّوْمَ إِلَّا أَنْ أُطِيعَ وَأَسْمَعَـا * ٣٢٤
قِفَا فَٱنْظُرَا لَا بُدَّ مِنْ رَجْعِ نَظْرَةٍ يَمَانِيَةٍ شَتَّى بِهَـا ٱلْقَوْمُ أَوْ مَعَـا
لِمُغْتَصَبٍ قَـدْ عَزَّهُ ٱلْقَوْمُ أَمْرَهُ يَـكُفُّ حَيَـاءً عَبْرَةً أَنْ تَطَلَّعَـا
فَإِنْ كُنْتُمُ تَرْجُونَ أَنْ تَصْرِفُوا ٱلْهَوَى بِيَهْمَا وَيُرْوَى فِي ٱلسَّرَابِ فَيَنْقَعَـا
فَرُدُّوا هُبُوبَ ٱلرِّيحِ أَوْ غَيِّرُوا ٱلْهَوَى إِذَا حَـلَّ أَلْوَاذَ ٱلْحَشَا فَتَمَنَّعَـا

وقال ذو الرمة

أَعَاذِلَ قَدْ أَكْثَرْتِ مِنْ قِيلِ قَائِلٍ وَعَيْبٌ عَلَى ذِي ٱللُّبِّ لَوْمُ ٱلْعَوَاذِلِ
أَعَاذِلَ قَدْ جَرَّبْتُ فِي ٱلدَّهْرِ مَا كَفَى وَنَظَّرْتُ فِي أَعْقَابِ حَقٍّ وَبَاطِـلِ
فَمَا ٱلدَّهْرُ مِنْ خَرْقَاءَ إِلَّا كَمَا أَرَى حَنِينٌ وَتَذْرَافُ ٱلدُّمُوعِ ٱلْهَوَاطِلِ

وقال عدي بن زيد

وَعَاذِلَـةٍ هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُومُنِي فَلَمَّا غَلَتْ فِي ٱللَّوْمِ قُلْتُ لَهَا ٱقْصِرِي
أَعَاذِلَ قَدْ أَطْنَبْتِ غَيْرَ مُصِيبَـةٍ فَإِنْ كُنْتِ فِي غَيٍّ فَنَفْسَكِ فَأَرْشِدِي

أَعَاذِلَ إِنَّ ٱلْجَهْلَ مِنْ لَذَّةِ ٱلْفَتَى   وَإِنَّ ٱلْمَنَايَا لِلرِّجَالِ بِمَرْصَدِ
كَفَى حَزَنًا لِلْمَرْءِ أَيَّامُ دَهْرِهِ   تَرُوحُ لَهُ بِٱلْوَاعِظَاتِ وَتَغْتَدِي

وانشدني احمد بن يحيى لجميل بن معمر

يَقُولُونَ مَهْلًا يَا جَمِيلُ وَإِنَّنِي   لَأُقْسِمُ مَا بِي عَنْ بُثَيْنَةَ مِنْ مَهْلِ
أَحِلْمًا فَقَبْلَ ٱلْيَوْمِ كَانَ أَوَانُهُ   أَمِ ٱخْشَى فَقَبْلَ ٱلْيَوْمِ أُوعِدْتُ بِٱلْقَتْلِ

وقال آخر

تَقُولُ ٱلْعَاذِلَاتُ تَعَزَّ عَنْهَا   وَدَاوِ غَلِيلَ قَلْبِكَ بِٱلسُّلُوِّ
وَكَيْفَ وَنَظْرَةٌ مِنْهَا ٱخْتِلَاسًا   أَلَذُّ مِنَ ٱلشَّمَاتَةِ بِٱلْعَدُوِّ

وقال الطائي

٣٢٥ أَذْكَتْ عَلَيْكَ شِهَابَ نَارٍ فِي ٱلْحَشَا   بِٱلْعَذْلِ وَهْنًا أُخْتُ آلِ شِهَابِ*
عَذْلًا شَبِيهًا بِٱلْجُنُونِ كَأَنَّمَا   قَرَأَتْ بِهِ ٱلْوَرْهَاءُ نِصْفَ كِتَابِ

وقال البحتري

طَفِقَتْ تَلُومُ وَلَاتَ حِينَ مَلَامِهِ   لَا عِنْدَ كَرَّتِهِ وَلَا إِحْجَامِهِ
لَمْ يَرْوَ مِنْ مَاءِ ٱلشَّبَابِ وَلَا ٱنْجَلَتْ   ذَهَبِيَّةُ ٱلصَّبَوَاتِ عَنْ أَيَّامِهِ

وقال آخر

مِنْ أَجْلِكِ ظَلَّ ٱلْعَائِدَاتُ يَلُمْنَنِي   وَيَزْعُمْنَ أَنِّي فِي طِلَابِكِ عَانِي
وَيَرْفِدْنَنِي نُصْحًا زَعَمْنَ وَإِنَّهُ   لَفِي حَرَجٍ مَنْ لَامَنِي وَنَهَانِي

وقال آخر

أَتَرَانِي تَارِكًا بِٱللّٰهِ مَا أَقْوَى لِمَا أَهْوَى
أَنَا أَشْهَدُ أَنَّ ٱلْحُبَّ مِنْ قَلْبِي إِذَنْ دَعْوَى

وَذَكَرُوا أَنَّ ٱلْعُتْبِيَّ حَبَسَ ٱبْنًا لَهُ فِي بَيْتٍ لَمَّا ظَهَرَ عَلَى أَنَّهُ عَاشِقٌ لِيَكُونَ ٱلْحَبْسُ رَادِعًا لَهُ فَفَتَحَ ٱلْبَابَ عَنْهُ بَعْدَ مُدَّةٍ فَوَجَدَهُ قَدْ كَتَبَ

عَلَى ٱلْحَائِطِ

أَتَظُنُّ وَيْحَكَ أَنَّنِي أَبْلَى ... وَأُطِيعُ رَأْيَكَ فِي ٱلْهَوَى عَقْلَا

وَمَدَّ ٱلْحَرْفَ ٱلْأَخِيرَ مَعَ ٱسْتِدَارَةِ حَائِطِ ٱلْبَيْتِ أَجْمَعَ فَلَمَّا نَظَرَ أَبُوهُ إِلَى ذٰلِكَ يَئِسَ مِنْهُ فَخَلَّى سَبِيلَهُ

وقال آخر

يَلُومُكَ فِيهَا ٱللَّائِمُونَ نَصَاحَةً ... فَلَيْتَ ٱلْهَوَى بِٱللَّائِمِينَ مَكَانِيَا

لَوَ ٱنَّ ٱلْهَوَى عَنْ حُبِّ لَيْلَى أَطَاعَنِي ... أَطَعْتُ وَلٰكِنَّ ٱلْهَوَى قَدْ عَصَانِيَا

وَهٰذَا ٱلْكَلَامُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ حَالٍ ضَعِيفَةٍ أَوْ بِعَقِبِ ضَجْرَةٍ شَدِيدَةٍ لِأَنَّ صَاحِبَهُ لَمْ يَرْضَ بِٱلتَّبَرُّمِ مِنْ هَوَاهُ حَتَّى ضَمَّ إِلَى ذٰلِكَ تَمَنِّي ٱنْصِرَافِ ٱلْحَالِ إِلَى سِوَاهُ وَأَحْسَنُ مِنْ هٰذَا قَوْلًا وَأَجْمَلُ مِنْهُ فِعْلًا ٱلَّذِي يَقُولُ

تَشَكَّى ٱلْمُحِبُّونَ ٱلصَّبَابَةَ لَيْتَنِي ... تَحَمَّلْتُ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحْدِي * ٣٢٦

وَكَانَتْ لِنَفْسِي لَذَّةُ ٱلْحُبِّ كُلُّهَا ... فَلَمْ يَلْقَهَا قَبْلِي مُحِبٌّ وَلَا بَعْدِي

واحسن مجنون بني عامر حيث يقول

وَقَالُوا لَوْ تَشَاءُ سَلَوْتَ عَنْهَا ... فَقُلْتُ لَهُمْ فَإِنِّي لَا أَشَاءُ

لَهَا حُبٌّ تَمَكَّنَ مِنْ فُؤَادِي ... فَلَيْسَ لَهُ وَإِنْ زُجِرَ ٱنْتِهَاءُ

وقال آخر

يَقُولُونَ لِي ٱصْبِرْ وَٱتَّجِرْ قُلْتُ طَالَمَا ... صَبَرْتُ وَلٰكِنْ لَا أَرَى ٱلصَّبْرَ يَنْفَعُ

فَيَا لَيْتَ أَجْرِي كَانَ قُسِّمَ بَيْنَهُمْ ... وَمِنْ دُونِيَ ٱلصَّمَّانُ فَٱلْخَبْتُ أَجْمَعُ

ولبعض اهل هذا العصر

يُعَاتِبُنِي أُنَاسٌ فِي ٱلتَّصَابِي ... بِأَلْبَابٍ وَأَفْئِدَةٍ صِحَاحِ

إِذَا ٱخْتَلَطَ ٱلظَّلَامُ وَهُمْ سُكَارَى ... بِكَاسَاتِ ٱلرُّقَادِ إِلَى ٱلصَّبَاحِ

وَلِي سُكْرٌ يُجَنِّبُنِي رُقَادِي ... فَمَا أَدْرِي ٱلْغُدُوَّ مِنَ ٱلرَّوَاحِ
أَمَا لِي فِي بِلَادِ ٱللّٰهِ بَابٌ ... يُؤَدِّينِي إِلَى سُبُلِ ٱلنَّجَاحِ
بَلَى فِي ٱلْأَرْضِ مُتَّسَعٌ عَرِيضٌ ... وَلٰكِنْ قَدْ مُنِعْتُ مِنَ ٱلْبَرَاحِ
وَمَا يُغْنِي ٱلْعُقَابَ عَيَانُ صَيْدٍ ... إِذَا كَانَ ٱلْعُقَابُ بِلَا جَنَاحِ

الباب السادس والاربعون

مَنْ قَدَّمَ هَوَاهُ قَوِيَ أَسَاهُ

مَنْ كَانَ أَوَّلُ مَا وَقَعَ بِهِ مِنْ أَسْبَابِ ٱلْمَحَبَّةِ ٱسْتِحْسَانًا ثُمَّ يَنْبَنِي عَلَى ٱلتَّرْتِيبِ ٱلَّذِي وَصَفْنَاهُ حَالًا فَحَالًا حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى بَعْضِ ٱلْأَحْوَالِ ٱلصِّعَابِ ٱلَّتِي ذَكَرْنَاهَا كَانَ زَوَالُهَا إِنْ زَالَ بَطِيئًا وَمَنْ عَشِقَ بِأَوَّلِ ٱلنَّظَرِ سَلَا مَعَ أَوَّلِ ٱلظَّفَرِ فَإِنْ لَمْ يَظْفَرْ بِمَنْ يَهْوَاهُ سَلَا إِذَا تَعَذَّرَ عَلَيْهِ مَا يَتَمَنَّاهُ فَإِذَا وَقَعَ ٱلْهَوَى بِأَوَّلِ نَظَرٍ ثُمَّ ٱرْتَقَى صَاحِبُهُ إِرْتِقَاءً بِغَيْرِ تَرْتِيبٍ حَتَّى صَارَ مُدِلًّا بِمَنْ يَهْوَاهُ قَبْلَ أَنْ تَطُولَ مُعَاشَرَتُهُ كَانَ* بَقَاءُ ٣٢٧ ذٰلِكَ ٱلْهَوَى يَسِيرًا وَهٰكَذَا كُلُّ شَيْءٍ فِي ٱلْعَالَمِ إِنِ ٱعْتَبَرْتَهُ وَجَدْتَ [مَا] ٱرْتَقَى إِلَى هٰذِهِ ٱلْغَايَةِ ٱلْقُصْوَى بِغَيْرِ تَرْتِيبٍ ٱنْحَطَّ ٱنْحِطَاطًا طَوِيلًا

ولعمري لقد احسن الذي يقول

وَمَا كَانَ حُبِّيهَا لِأَوَّلِ نَظْرَةٍ ... وَلَا غَمْرَةٍ مِنْ صَبْوَةٍ فَتَجَلَّتِ
وَلٰكِنَّهَا ٱلدُّنْيَا تَوَلَّتْ فَمَا ٱلَّذِي ... يُعَزِّي عَنِ ٱلدُّنْيَا إِذَا مَا تَوَلَّتِ

وقال الحسين بن وهب في هذا المعنى فاحسن

أَرَى كُلَّ يَوْمٍ لَوْعَةً أَسْتَجِدُّهَا ... وَنَفْسًا يُعَنِّيهَا هَوَاهَا وَجُهْدُهَا

وَصَبْوَةَ قَلْبٍ كَانَ هَوْلًا بَدِيُّهَا   فَعَادَتْ عَلَى ٱلْأَيَّامِ قَدْ جَدَّ جِدُّهَا

وقال آخر

شَوْقِي إِلَيْكَ عَلَى ٱلْأَيَّامِ يَزْدَادُ   وَٱلْقَلْبُ بَعْدَكَ لِلْأَحْزَانِ مُنْقَادُ
يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى إِلْفٍ فُجِعْتُ بِهِ   كَأَنَّ أَيَّامَهُ فِي ٱلْحُسْنِ أَعْيَادُ

وقال آخر

وَإِنِّي وَإِيَّاهَا لَكَٱلْخَمْرِ وَٱلْفَتَى   مَتَى تَسْتَطِعْ مِنْهَا ٱلزِّيَادَةَ تَزْدَدِ
إِذَا ٱزْدَدْتُ مِنْهَا زِدْتُ وَجْدًا بِقُرْبِهَا   فَكَيْفَ ٱحْتِرَاسِي مِنْ هَوًى مُتَجَدِّدِ

وقال كثير

يَلُومُكَ فِي لَيْلَى وَعَقْلُكَ عِنْدَهَا   رِجَالٌ وَلَمْ تَذْهَبْ لَهُمْ بِعُقُولِ
وَمَا زِلْتُ مِنْ لَيْلَى لَدُنْ طَرَّ شَارِبِي   إِلَى ٱلْيَوْمِ كَٱلْمُلْقَى بِكُلِّ سَبِيلِ

وقال بعض الاعراب

سَقَى ٱللّٰهُ مَنْ حُبِّي لَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ   وَيَوْمٍ عَلَى مَرِّ ٱلسِّنِينَ يَزِيدُ
جَرَى حُبُّهَا وَٱلدَّهْرُ فِي طَلَقَيْهِمَا   فَضُعْضِعَ رُكْنُ ٱلدَّهْرِ وَهْوَ جَلِيدُ

وقال ابو تمام* ٣٢٨

هَوًى كَانَ خَلْسًا إِنَّ مِنْ أَبْرَدِ ٱلْهَوَى   هَوًى جُلْتَ فِي أَفْنَانِهِ وَهْوَ خَامِلُ
وَلَنْ تَنْظِمَ ٱلْعِقْدَ ٱلْكِعَابُ لِزِينَةٍ   كَمَا ٱنْتَظَمَ ٱلشَّمْلَ ٱلشَّتِيتَ ٱلشَّمَائِلُ
وَقَدْ تَأْلَفُ ٱلْعَيْنُ ٱلدُّجَى وَهْوَ قَيْدُهَا   وَيُرْجَى شِفَاءُ ٱلسُّمِّ وَٱلسُّمُّ قَاتِلُ

وقال مجنون بني عامر

فَلَوْ كَانَ حُبِّي آلَ لَيْلَى كَحَادِثٍ   إِلَى وَقْتِ يَوْمٍ قَدْ تَقَضَّتْ هُمُومُهَا
وَلَكِنَّ حُبِّي آلَ لَيْلَى فَدَائِمٌ   وَأَقْتَلُ أَدْوَاءِ ٱلرِّجَالِ قَدِيمُهَا

وقال كثير

تَعَلَّقَ نَاشِئًا مِنْ حُبِّ سَلْمَى   هَوًى سَكَنَ ٱلْفُؤَادَ فَمَا يَزُولُ

فَلَمْ تَذْهَلْ مَوَدَّتُهَا غُلَاماً   وَقَدْ يَنْسَى وَيَطَّرِفُ ٱلْمَلُولُ
وَأَدْرَكَكَ ٱلْمَشِيبُ عَلَى هَوَاهَا   فَلَا شَيْبٌ نَهَاكَ وَلَا ذُهُولُ

وقال جميل

عَلِقْتُ ٱلْهَوَى مِنْهَا وَلِيدًا فَلَمْ يَزَلْ   إِلَى ٱلْيَوْمِ يَنْمِي حُبُّهَا وَيَزِيدُ
وَأَفْنَيْتُ عُمْرِي بِٱنْتِظَارِي نَوَالَهَا   وَأَبْلَيْتُ فِيهَا ٱلدَّهْرَ وَهْوَ جَدِيدُ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً   بِوَادِي ٱلْقُرَى إِنِّي إِذَنْ لَسَعِيدُ
لِكُلِّ حَدِيثٍ عِنْدَهُنَّ بَشَاشَةٌ   وَكُلُّ قَتِيلٍ بَيْنَهُنَّ شَهِيدُ

وقال آخر

لِي حَبِيبٌ يَنْعَى إِلَيَّ رَجَائِي   كُلَّمَا خِلْتُ قَلْبَهُ لِي يَلِينُ
لِلْمُنَى عِنْدَ ذِكْرِهِ فِي ضَمِيرِي   حَرَكَاتٌ كَأَنَّهُنَّ سُكُونُ
إِنْتِظَارِي لَهُ [عَلَى] حَادِثِ ٱلدَّهْـ   ـرِ قَدِيمٌ إِنِ ٱنْظَرَتْنِي ٱلْمَنُونُ
يَا هَوَانَ ٱلدُّنْيَا عَلَيَّ إِذَا مَا   كُنْتُ فِيهَا مِمَّنْ عَلَيْكَ يَهُونُ

٣٢٩ وقال آخر*

وَقَفْتُ لِلَيْلَى بَعْدَ عِشْرِينَ حِجَّةً   بِمَنْزِلَةٍ فَٱنْهَلَّتِ ٱلْعَيْنُ تَدْمَعُ
وَأَمْرَضَ قَلْبِي حُبُّهَا وَطِلَابُهَا   فَيَا لَعَدِيٍّ دَعْوَةً كَيْفَ أَصْنَعُ
وَأَتْبَعُ لَيْلَى حَيْثُ سَارَتْ وَخَيَّمَتْ   وَمَا ٱلنَّاسُ إِلَّا آلِفٌ وَمُوَدِّعُ
كَأَنَّ زِمَاماً فِي ٱلْفُؤَادِ مُعَلَّقٌ   تَقُودُ بِهِ حَيْثُ ٱسْتَمَرَّتْ وَأَتْبَعُ

وقال مجنون بني عامر

تَمُرُّ ٱللَّيَالِي وَٱلشُّهُورُ وَلَا أَرَى   وُلُوعِي بِهَا يَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيَا
قَضَاهَا لِغَيْرِي وَٱبْتَلَانِي بِحُبِّهَا   فَهَلَّا بِشَيْءٍ غَيْرِ لَيْلَى ٱبْتَلَانِيَا

وقال مسلم بن الوليد

أُعَاوِدُ مَا قَدَّمْتُهُ مِنْ رَجَائِهَا   إِذَا عَاوَدَتْ بِٱلنَّاسِ فِيهَا ٱلْمَطَامِعُ

وَمَا زَيَّنَتْهَا ٱلْعَيْنُ لِي عَنْ لَجَاجَـةٍ   [وَلٰكِنْ]جَرَى فِيهَا ٱلْهَوَى وَهُوَ طَائِعُ

وقال البحتري

تَجَنَّبْتَ لَيْلَى أَنْ يَلِجَّ بِكَ ٱلْهَوَى   وَهَيْهَاتَ كَانَ ٱلْحُبُّ قَبْلَ ٱلتَّجَنُّبِ
فَلَوْ تَلْتَقِي أَصْدَاؤُنَا بَعْدَ مَوْتِنَـا   وَمِنْ دُونِ رَمْسَيْنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ مَنْكِبُ
لَظَلَّ صَدَى رَمْسِي وَإِنْ كُنْتُ رِمَّةً   لِصَوْتِ صَدَى لَيْلَى يَهِشُّ وَيَطْرَبُ
أَلَا إِنَّمَا غَـادَرْتِ يَا أُمَّ مَالِـكٍ   صَدًى أَيْنَمَا تَذْهَبْ بِهِ ٱلرِّيحُ يَذْهَبِ
لَقَدْ عِشْتُ مِنْ لَيْلَى زَمَانًا أُحِبُّهَا   أَخَا ٱلْمَوْتِ إِذْ بَعْضُ ٱلْمُحِبِّينَ يَكْذِبُ

وقال آخر

فَلَوْ كُنْتُ أَدْرِي أَنَّمَا كَانَ كَائِنٌ   وَأَنَّ جَدِيدَ ٱلْوَصْلِ قَدْ جَدَّ غَابِرُهْ
تَعَزَّيْتُ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ حَتَّى يَكُونَ لِي   صَرِيمَـةُ أَمْرٍ تَسْتَمِرُّ مَرَائِرُهْ

وقال عروة بن حزام

٣٣٠* إِلْفَنَا ٱلْهَوَى وَٱسْتَحْكَمَ ٱلْحُبُّ بَيْنَنَا   وَلِيـدَيْنِ مَا مَرَّتْ لَنَا سَنَتَانِ
فَذُقْنَا رَخَاءَ ٱلْعَيْشِ عِشْرِينَ حِجَّةً   أَلِيفَيْنِ مَـا نَرْتَاعُ لِلْحَـدَثَانِ
جَعَلْتُ لِعَرَّافِ ٱلْيَمَامَـةِ حُكْمَـهُ   وَعَرَّافِ حَجْرٍ إِنْ هُمَـا شَفَيَـانِي
فَمَـا تَرَكَا مِنْ حِيلَـةٍ يَعْلَمَانِهَـا   وَلَا رُقْيَـةٍ إِلَّا بِهَـا رَقَيَـانِي
فَقَـالَا شَفَاكَ ٱللهُ وَٱللهِ مَـا لَنَـا   بِمَا حُمِّلَتْ مِنْكَ ٱلضُّلُوعُ يَـدَانِ

وقال ايضاً

وَآخِرُ عَهْدٍ لِي بِعَفْرَاءَ أَنَّهَـا   تُرِيكَ بَنَـانًا كَفُّهُنَّ خَضِيبُ
عَشِيَّةَ لَا عَفْرَاءُ مِنْكَ بَعِيدَةٌ   فَتَسْلُ وَلَا عَفْرَاءُ مِنْكَ قَرِيبُ

[وقال آخر]

عَشِيَّـةَ لَا خَلْفِي مَقَرٌّ وَلَا ٱلْهَوَى   أَمَامِي وَلَا وَجْدِي كَوَجْدِ غَرِيبِ
وَكُلُّ مُحِبٍّ قَـدْ سَلَا غَيْرَ أَنَّنِي   غَرِيبُ ٱلْهَوَى يَا وَيْحَ كُلِّ غَرِيبِ

وقال ابن هرمة

أَرَى ٱلدَّهْرَ يُنْسِينِي أَحَادِيثَ جَمَّةً   أَتَتْ مِنْ صَدِيقٍ أَوْ عَدُوٍّ يُشِيعُهَا
وَلَمْ يُنْسِنِيهَا ٱلدَّهْرُ إِلَّا وَذِكْرُهَا   بِحَيْثُ تَحَنَّتْ دُونَ نَفْسِي ضُلُوعُهَا
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا لَنَا غَيْرُ ذِكْرَةٍ   وَقَوْلٍ لَعَلَّ ٱلدَّهْرَ يَوْماً يُرِيعُهَا
فَقَدْ أَحْرَزَتْ مِنِّي فُؤَادًا مُتَيَّماً   وَعَيْناً عَلَيْهَا لَا تَجِفُّ دُمُوعُهَا
أَتَنْسَيْنَ أَيَّامِي وَأَيَّامَكِ ٱلَّتِي   إِذَا ذَكَرَتْهَا ٱلنَّفْسُ كَادَتْ تُذِيعُهَا

وقال آخر

أُحِبُّكِ أَصْنَافاً مِنَ ٱلْحُبِّ لَمْ أَجِدْ   لَهَا مَثَلًا فِي سَائِرِ ٱلنَّاسِ يُعْرَفُ
فَمِنْهُنَّ حُبٌّ لِلْمُحِبِّ وَرَحْمَةٌ   لِمَعْرِفَتِي مِنْهُ بِمَا يَتَكَلَّفُ
وَمِنْهُنَّ أَنْ لَا يَخْطُرَ ٱلدَّهْرَ ذِكْرُكُمْ   عَلَى ٱلْقَلْبِ إِلَّا كَادَتِ ٱلنَّفْسُ تَتْلَفُ
وَحُبٌّ بَدَا بِٱلْجِسْمِ وَٱللَّوْنُ ظَاهِرٌ   وَحُبٌّ ٱلَّذِي نَفْسِي مِنَ ٱلرُّوحِ أَلْطَفُ
وَحُبٌّ هُوَ ٱلدَّاءُ ٱلْعَيَاءُ بِعَيْنِهِ   لَهُ ذِكَرٌ تَعْدُو عَلَيَّ فَأُدْنَفُ
٣٣١ فَلَا أَنَا مِنْهُ مُسْتَرِيحٌ فَمَيِّتٌ   وَلَا هُوَ عَنِّي مَا قَدْ حَيِيتُ مُخَفَّفُ*

وقال هدبة بن خشرم

تَذَكَّرَ حُبًّا كَانَ فِي مَيْعَةِ ٱلصِّبَى   وَوَجْدًا بِهَا بَعْدَ ٱلْمَشِيبِ مُعَقَّبَا
إِذَا كَادَ يَنْسَاهَا ٱلْفُؤَادُ ذَكَرْتَهَا   فَيَا لَكَ قَدْ عَنَّى ٱلْفُؤَادَ وَعَذَّبَا
ضَنًى مِنْ هَوَاهَا مُسْتَكِنًّا كَأَنَّهُ   خَلِيعُ قِدَاحٍ لَمْ يَجِدْ مُتَنَشَّبَا
بِعَيْنَيْكَ زَالَ ٱلْحَيُّ مِنْهَا لِنِيَّةٍ   قَذُوفٍ تَشُوقُ ٱلْآلِفَ ٱلْمُتَطَرِّبَا
وَقَدْ طَالَمَا عُلِّقْتَ لَيْلَى مُعَمَّدًا   وَلِيدًا إِلَى أَنْ صَارَ رَأْسُكَ أَشْيَبَا
رَأَيْتُكَ مِنْ لَيْلَى كَذِي ٱلدَّاءِ لَمْ يَجِدْ   طَبِيباً يُدَاوِي مَا بِهِ فَتَطَبَّبَا
فَلَمَّا ٱشْتَفَى مِمَّا بِهِ عَلَّ طِبُّهُ   عَلَى نَفْسِهِ مِنْ طُولِ مَا كَانَ جَرَّبَا

وانشدنا احمد بن يحيى لذي الرمة

أَيَا مَيُّ إِنَّ ٱلْحُبَّ حُبَّانِ مِنْهُمَا   قَدِيمٌ وَحُبٌّ حِينَ شَبَّتْ شَبَائِبُهْ
إِذَا ٱجْتَمَعَا قَالَ ٱلْقَدِيمُ غَلَبْتُهُ   وَقَالَ ٱلَّذِي مِنْ بَعْدِهِ أَنَا غَالِبُهْ

وَأَخْبَرَنَا أَبُو ٱلْعَبَّاسِ عَلِيٌّ عَنِ ٱبْنِ ٱلْأَعْرَابِيِّ أَنَّ مَيَّةَ قَالَتْ ٱللَّهُمَّ لَا تَقْضِ بَيْنَهُمَا

وقال بشار

بَكَيْتُ مِنَ ٱلدَّاءِ دَاءِ ٱلْهَوَى   إِلَيْهَا وَأَنْ لَيْسَ لِي مُسْعِدُ
وَقَدْ وَعَدَتْ صَفَدًا فِي غَدٍ   وَقَدْ وَعَدَتْ ثُمَّ لَا تَصْفِدُ
وَإِنِّي عَلَى طُولِ إِخْلَافِهَا   لَأَرْجُو ٱلْوَفَاءَ وَلَا أَحْقِدُ
إِذَا أُخْلِفَ ٱلْيَوْمَ ظَنِّي بِهَا   يَكُونُ لَنَا فِي غَدٍ مَوْعِدُ
صَبَرْتُ عَلَى طُولِ أَيَّامِهَا   حِفَاظًا وَصَبْرُ ٱلْفَتَى أَعْوَدُ
وَمَا ضَرَّ يَوْمٌ بِدَاءِ ٱلْهَوَى   مُحِبًّا إِذَا مَا شَفَاهُ ٱلْغَدُ
سِوَى شَوْقِ عَيْنِي إِلَى وَجْهِهَا   وَإِنِّي إِذَا فَارَقَتْ أَكْمَدُ

فَهٰؤُلَاءِ ٱلْبَائِسُونَ قَدْ صَبَرُوا عَلَى أَحِبَّتِهِمْ إِمَّا طَائِعِينَ وَإِمَّا كَارِهِينَ فَإِنْ كَانُوا* طَائِعِينَ فَهُوَ أَحْمَدُ مِمَّنْ يَتَلَاعَبُ وَيَنْتَقِلُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ عَنْ ٣٣٢
إِلْفِهِ إِلَى سِوَاهُ وَإِنْ كَانُوا كَارِهِينَ فَإِنَّ ٱلسَّبَبَ ٱلَّذِي ٱضْطَرَّهُمْ إِلَى ٱلْمُقَامِ عَلَى مَا يُؤْلِمُهُمْ وَيَمْنَعُهُمْ عَنِ ٱلِٱنْتِقَالِ إِلَى مَا يَخْتَارُونَهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ سَبَبًا أَمْلَكَ بِهِمْ مِنْهُمْ مَا عَلَيْهِمْ فَهُمْ عَلَى كُلِّ ٱلْجِهَاتِ أَتَمُّ فِي ٱلْحَالِ مِمَّنْ جَعَلَ هَوَاهُ ضَرْبًا مِنَ ٱلْإِشْغَالِ يَنْفَرِدُ لَهُ إِذَا نَشِطَ وَيَتْرُكُهُ إِذَا كَسِلَ كَٱلَّذِينَ قَدَّمْنَا وَصْفَهُمْ فِي صَدْرِ هٰذَا ٱلْكِتَابِ مِنْ أَنَّهُمْ لَمْ يَرْتَقُوا فِي ٱلْمَحَبَّةِ عَلَى مَنِ ٱنْتَهَى بَلْ صَعِدُوا بِأَوَّلِ نَظْرَةٍ إِلَى ذُرْوَتِهَا فَكَمَا كَانَ ٱرْتِقَاؤُهُمْ فِيهَا سَرِيعًا كَانَ ٱنْحِطَاطُهُمْ قَرِيبًا

فمنهم الوليد بن عبيد الطائي حيث يقول

نَظْرَةٌ رَدَّتِ ٱلْهَوَى ٱلشَّرْقَ غَرْبًا ... وَأَمَالَتْ نَهْجَ ٱلدُّمُوعِ ٱلْجَوَارِي
مَا ظَنَنْتُ ٱلْأَهْوَاءَ قَبْلَكَ تُمْحَى ... مِنْ صُدُورِ ٱلْعُشَّاقِ مَحْوَ ٱلدِّيَارِ
كَانَ يَحْلُو هٰذَا ٱلْهَوَى فَأَرَاهُ ... عَادَ مُرًّا وَٱلسُّكْرُ قَبْلَ ٱلْخُمَارِ
وَإِذَا مَا تَنَكَّرَتْ لِي بِلَادٌ ... أَوْ خَلِيلٌ فَإِنَّنِي بِٱلْخِيَارِ

وله ايضاً

أَتَى دُونَهَا نَأْيُ ٱلْبِلَادِ وَنَصُّنَا ... سَوَاهِمَ خَيْلٍ كَٱلْأَعِنَّةِ ضُمَّرِ
وَلَمَّا خَطَوْنَا دِجْلَةَ ٱنْصَرَمَ ٱلْهَوَى ... فَلَمْ تَبْقَ إِلَّا لَفْتَةُ ٱلْمُتَذَكِّرِ
وَخَاطِرُ شَوْقٍ مَا يَزَالُ يَهِيجُنَا ... لِبَادِينَ مِنْ أَهْلِ ٱلشَّآمِ وَحُضَّرِ

ولابي نواس في نحو ذلك

أَلَا قُلْ لِأَخِلَّانِي ... وَمَنْ هِمْتُ بِهِمْ وَجْدَا
وَمَنْ كَانُوا مَوَالِيَّ ... وَمَنْ كُنْتُ لَهُمْ عَبْدَا
شَرِبْنَا مَاءَ بَغْدَادَ ... فَأَنْسَانَاكُمُ جِدًّا
فَلَا تَرْعَوْا لَنَا عَهْدًا ... فَمَا نَرْعَى لَكُمْ عَهْدَا

وانشدنا احمد بن ابي طاهر لابراهيم بن العباس في نحو ذلك* ٣٣٣

بِقَلْبِي عَنْ هَوَى ٱلْبِيضِ ٱنْصِرَافُ ... وَيُعْجِبُنِي مِنَ ٱلسُّمْرِ ٱنْعِطَافُ
فَإِنْ أَنْصَفْنَ فِي وُدِّي وَإِلَّا ... فَلَيْسَ عَلَيَّ مِنْ قَلْبِي خِلَافُ

وقال جرير

هَوًى بِتِهَامَةٍ وَهَوًى بِنَجْدٍ ... فَقَتَّلَنِي ٱلتَّهَائِمُ وَٱلنُّجُودُ
أَخَالِدُ قَدْ هَوِيتُكِ بَعْدَ هِنْدٍ ... فَشَيَّبَنِي ٱلْخَوَالِدُ وَٱلْهُنُودُ

والاصل البيّن في ذلك قول عمر بن ابي ربيعة

لَقَدْ جَلَبَتْكَ ٱلْعَيْنُ أَوَّلَ نَظْرَةٍ ... وَأُعْطِيتَ مِنِّي يَا ٱبْنَ عَمٍّ قَبُولَا
فَأَصْبَحْتَ هَمًّا لِلْفُؤَادِ وَحَسْرَةً ... وَظِلًّا مِنَ ٱلدُّنْيَا عَلَيَّ ظَلِيلَا

ولغيره في مثله

يَا رَامِياً لَيْسَ يَدْرِي مَا ٱلَّذِي فَعَلَا   إِحْبِسْ عَلَيْكَ فَإِنَّ ٱلسَّهْمَ قَدْ قَتَلَا
أَصَبْتَ أَسْوَدَ قَلْبِي إِذْ رَمَيْتَ فَلَا   شُلَّتْ يَمِينُكَ لِمْ صَيَّرْتَنِي مَثَلَا
فَأَخْلِقْ بِمَنْ يُسْقِمُهُ أَوَّلُ دَاءٍ أَنْ يَشْفِيَهُ أَوَّلُ دَوَاءٍ

الباب السابع والاربعون

مَنْ شَابَتْ ذَوَائِبُهُ جَفَاهُ حَبَائِبُهُ

بَلَغَنِي عَنْ بَعْضِ ٱلْأَكَاسِرَةِ أَنَّهُ قَالَ كُنْتُ أَظُنُّ أَنِّي إِذَا شِبْتُ زَهِدْتُ فِي ٱلنِّسَاءِ فَلَمْ أَزَلْ مَغْمُوماً بِذٰلِكَ وَلَمْ أَدْرِ أَنِّي إِذَا شِبْتُ كُنْتُ أَنَا فِيهِنَّ أَشَدَّ زُهْدًا وَلَعَمْرِي إِنَّ مَنْ قَرُبَ مِنْ آخِرِ عُمْرِهِ لَجَدِيرٌ أَنْ يَصْرِفَ هِمَّتَهُ إِلَى مَا يُعِيدُ عَلَيْهِ نَفْعاً فِي آخِرَتِهِ وَيَتَشَاغَلَ بِأَحْكَامِ ٱلدَّارِ ٱلَّتِي يَصِيرُ إِلَيْهَا عَنْ أَسْبَابِ ٱلدَّارِ ٱلَّتِي يَنْتَقِلُ عَنْهَا فَإِنْ لَمْ يَقَعْ ذٰلِكَ لَهُ ٱخْتِيَارًا وَقَعَ أَكْثَرُهُ بِهِ ٱضْطِرَارًا

انشدنا احمد بن يحيى النحوي

قَعَدَ ٱلشَّيْبُ بِي عَنِ ٱللَّذَّاتِ   وَرَمَانِي بِجَفْوَةِ ٱلْفَتَيَاتِ
فَإِذَا رُمْتُ سَتْرَهُ بِخِضَابٍ   فَضَحَتْهُ طَلَائِعُ ٱلنَّاصِلَاتِ* ٣٣٤
مَا رَأَيْتُ ٱلْخِضَابَ إِلَّا سَرَابًا   غَرَّنِي لَمْعُهُ بِأَرْضٍ فَلَاةِ
فَإِذَا مَا دَعَا إِلَى ٱلْكَأْسِ دَاعٍ   قُلْتُ مَا لِلْكَبِيرِ وَٱلنَّشَوَاتِ
لَسْتُ بَعْدَ ٱلْمَشِيبِ أَلْتَذُّ بِٱلْعَيْـ   ـشِ فَدَعْنِي وَغُصَّةَ ٱلْعَبَرَاتِ
إِنَّ فَقْدَ ٱلشَّبَابِ أَنْزَلَنِي بَعْـ   ـدَكَ دَارَ ٱلْهُمُومِ وَٱلْحَسَرَاتِ

وَرَمَانِي بِحَادِثِ ٱلشَّيْبِ دَهْرٌ   قَارَعَتْنِي أَيَّامُهُ عَنْ حَيَاتِي

وقال آخر

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرَى بَيْضَاءَ قَدْ طَلَعَتْ   كَأَنَّهَا أُنْبِتَتْ فِي نَاظِرِ ٱلْبَصَرِ
لَئِنْ حَجَبْتُكِ بِٱلْمِقْرَاضِ عَنْ بَصَرِي   لَمَا حَجَبْتُكِ عَنْ هَمِّي وَعَنْ فِكَرِي

وانشدني البحتري لنفسه

ثَنَتْ طَرْفَهَا دُونَ ٱلْمَشِيبِ وَمَنْ يَشِبْ   فَكُلُّ ٱلْغَوَانِي عَنْهُ مَثْنِيَّةُ ٱلطَّرْفِ
وَجُنَّ ٱلْهَوَى فِيهَا عَشِيَّةَ أَعْرَضَتْ   بِنَاظِرَتَيْ رِيمٍ وَسَالِفَتَيْ خِشْفِ
وَأَفْلَجَ بَرَّاقٍ يَرُوحُ رُضَابُهُ   حَرَاماً عَلَى ٱلتَّقْبِيلِ بَسْلاً عَلَى ٱلرَّشْفِ

وقال علي بن العباس الرومي

هِيَ ٱلْأَعْيُنُ [ٱلنُّجْلُ] ٱلَّتِي أَنْتَ تَشْتَكِي   مَوَاقِعَهَا فِي ٱلْقَلْبِ وَٱلرَّأْسُ أَسْوَدُ
فَمَا لَكَ تَأْسَى ٱلْآنَ لَمَّا رَأَيْتَهَا   وَقَدْ جَعَلَتْ مَرْمَى سِوَاكَ تَعَمَّدُ
كَذٰلِكَ تِلْكَ ٱلنَّبْلُ مَنْ قَصَدَتْ [لَهُ]   وَمَنْ نُكِّبَتْ عَنْهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ مُقْصَدُ
وَعَزَّاكَ عَنْ لَيْلِ ٱلشَّبَابِ مَعَاشِرٌ   فَقَالُوا نَهَارُ ٱلشَّيْبِ أَهْدَى وَأَرْشَدُ
وَكُلُّ نَهَارِ ٱلْمَرْءِ أَهْدَى لِسَعْيِهِ   وَلٰكِنَّ ظِلَّ ٱللَّيْلِ أَنْدَى وَأَبْرَدُ
وَفَقْدُ ٱلشَّبَابِ ٱلْمَوْتُ يُوجَدُ طَعْمُهُ   صُرَاحاً وَطَعْمُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْمَوْتِ يُفْقَدُ
أَرَى ٱلدَّهْرَ أَجْرَى لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ   بِعَدْلٍ فَلَا هٰذَا وَلَا ذَاكَ سَرْمَدُ
وَجَارَ عَلَى لَيْلِ ٱلشَّبَابِ فَضَامَهُ   نَهَارُ مَشِيبٍ سَرْمَدٍ لَيْسَ يَنْفَدُ* ٣٣٦

وقال ابن حازم

لَا حِينَ صَبْرٍ فَخَلِّ ٱلدَّمْعَ يَنْهَمِلُ   فَقْدُ ٱلشَّبَابِ بِيَوْمِ ٱلْمَرْءِ مُتَّصِلُ
كَفَاكَ بِٱلشَّيْبِ ذَنْباً عِنْدَ غَانِيَةٍ   وَبِٱلشَّبَابِ شَفِيعاً أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ
لَا تَكْذِبَنَّ [فَمَا] ٱلدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا   مِنَ ٱلشَّبَابِ بِيَوْمٍ وَاحِدٍ بَدَلُ

وقال البحتري

رُبَّ عَيْشٍ لَنَا بِرَامَةَ رَطْبٍ   وَلَيَالٍ فِيهَا طِوَالٍ قِصَارِ
قَبْلَ أَنْ يُقْبِلَ ٱلْمَشِيبُ وَتَبْدُو   هَفَوَاتُ ٱلشَّبَابِ فِي إِدْبَارِ
كُلُّ عُذْرٍ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَلٰكِنْ   أَعْوَزَ ٱلْعُذْرُ مِنْ بَيَاضِ ٱلْعِذَارِ

وقال جميل بن معمر

تَقُولُ بُثَيْنَةُ لَمَّا رَأَتْ   فُنُونًا مِنَ ٱلشَّعَرِ ٱلْأَحْمَرِ
كَبِرْتَ جَمِيلُ وَأَوْدَى ٱلشَّبَابُ   فَقُلْتُ بُثَيْنُ أَلَا فَاقْصِرِي
أَتَنْسَيْنَ أَيَّامَنَا بِٱللِّوَى   وَأَيَّامَنَا بِذَوِي ٱلْأَجْفَرِ
وَإِذْ لِمَّتِي كَجَنَاحِ ٱلْغُرَا   بِ تُطْلَى بِٱلْمِسْكِ وَٱلْعَنْبَرِ
قَرِيبَانِ مَرْبَعُنَا وَاحِدٌ   فَكَيْفَ كَبِرْتُ وَلَمْ تَكْبَرِي

وَهٰذَا تَعْرِيضٌ مَلِيحٌ بَلْ هُوَ تَعْيِيرٌ لَهَا صَرِيحٌ لِأَنَّهُ قَدْ ذَكَرَ أَنَّهُمَا كَانَا قَرِينَيْنِ وَمُحَالٌ أَنْ يَكْبَرَ وَاحِدٌ وَيَصْغَرَ وَاحِدٌ فَهُوَ قَدْ عَيَّرَهَا كَمَا عَيَّرَتْهُ وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ لَمْ يُرِدْ تَعْيِيرَهَا وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّ ٱلشَّيْبَ ٱلَّذِي ظَهَرَ لَهُ لَيْسَ مِنْ كِبَرِهِ وَإِنَّمَا هُوَ لِأَهْوَالِ مَا يَمُرُّ بِهِ وَأَحْسَنُ مِنْ قَوْلِهِ لَفْظًا وَأَوْضَحُ مَعْنًى

قول البحتري

عَيَّرَتْنِي بِٱلشَّيْبِ وَهْيَ بَدَتْهُ   فِي عِذَارِي بِٱلصَّدِّ وَٱلْإِجْتِنَابِ
لَا تَرَيْهِ عَارًا فَمَا هُوَ بِٱلشَّيْـ   ـبِ وَلٰكِنَّهُ جَلَاءُ ٱلشَّبَابِ
وَبَيَاضُ ٱلْبَازِيِّ أَصْدَقُ حُسْنًا   إِنْ تَأَمَّلْتِ مِنْ سَوَادِ ٱلْغُرَابِ* ٣٣٧

وقال محمد بن ابي حازم

نَظَرَتْ إِلَيَّ بِعَيْنِ مَنْ لَمْ يَعْدِلِ   لَمَّا تَمَكَّنَ طَرْفُهَا مِنْ مَقْتَلِي
لَمَّا أَضَاءَتْ بِٱلْمَشِيبِ مَفَارِقِي   صَدَّتْ صُدُودَ مُفَارِقٍ مُتَجَمِّلِ
فَجَعَلْتُ أَطْلُبُ وَصْلَهَا بِتَذَلُّلٍ   وَٱلشَّيْبُ يَغْمِزُهَا بِأَلَّا تَفْعَلِي

وقال اشجع

فَإِنْ تَضَعِ ٱلْأَيَّامَ لِي مِنْ مُتُونِهَا   فَقَدْ حَمَلَتْنِي فَوْقَ كَاهِلِهَا ٱلصَّعْبِ
وَمَوْتُ ٱلْفَتَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ حَيَاتِهِ   إِذَا كَانَ ذَا حَالَيْنِ يَصْبُو وَلَا يُصْبِي

وقال ابو الشيص

خَلَعَ ٱلصِّبَى عَنْ مَنْكِبَيْهِ مَشِيبُ   وَطَوَى ٱلذَّوَائِبَ رَأْسُهُ ٱلْمَخْضُوبُ
مَا كَانَ أَنْضَرَ عَيْشَهُ وَأَغَضَّهُ   أَيَّامَ فَضْلُ رِدَائِهِ مَسْحُوبُ

وقال الحسين بن الضحاك

تَذَكَّرَ مِنْ غِرَّاتِهِ مَا تَذَكَّرَا   وَأَعْوَلَ أَيَّامَ ٱلشَّبَابِ فَأَكْثَرَا
وَمَا بَرِحَتْ عَادَاتُهُ مُسْتَقِرَّةً   وَلٰكِنْ أَجَلَّ ٱلشَّيْبَ عَنْهَا وَوَقَّرَا
يَهُمُّ وَيَسْتَحْيِي تَقَارُبَ خَطْوِهِ   فَيَتْرُكُ هَمَّ ٱلنَّفْسِ فِي ٱلصَّدْرِ مُضْمَرَا
وَلَمْ يَبْقَ فِيهِ إِذْ تَأَمَّلَ شَخْصَهُ   شَفِيعٌ إِلَى ٱلْحَسْنَاءِ إِلَّا تَنَكَّرَا
أَلَا لَا أَرَى فِي ٱلْعَيْشِ لِلْمَرْءِ مُتْعَةً   إِذَا مَا شَبَابُ ٱلْمَرْءِ وَلَّى فَأَدْبَرَا

وقال ابو تمام

شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتُ مَشِيبَ ٱلرَّ   أْسِ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ ٱلْفُؤَادِ
وَكَذَاكَ ٱلْقُلُوبُ فِي كُلِّ بُؤْسٍ   وَنَعِيمٍ طَلَائِعُ ٱلْأَجْسَادِ
طَالَ إِنْكَارِيَ ٱلْبَيَاضَ وَإِنْ عُمِّ   رْتُ شَيْئاً أَنْكَرْتُ لَوْنَ ٱلسَّوَادِ
٣٣٧ زَارَنِي شَخْصُهُ بِطَلْعَةِ ضَيْمٍ   عَمَّرَتْ مَجْلِسِي مِنَ ٱلْعُوَّادِ*

وقال ايضاً

كُلُّ دَاءٍ يُرْجَى ٱلدَّوَاءُ لَهُ   إِلَّا ٱلْفَظِيعَيْنِ مِيتَةً وَمَشِيبَا
يَا نَسِيبَ ٱلثَّغَامِ ذَنْبُكَ أَبْقَى   حَسَنَاتِي عِنْدَ ٱلْحِسَانِ ذُنُوبَا
وَلَئِنْ عِبْنَ مَا رَأَيْنَ لَقَدْ أَنْ   كَرْنَ مُسْتَنْكَرًا وَعِبْنَ مَعِيبَا
لَوْ رَأَى ٱللهُ أَنَّ لِلشَّيْبِ ظَرْفاً   جَاوَرَتْهُ ٱلْأَبْرَارُ فِي ٱلْخُلْدِ شِيبَا

وقال ابراهيم بن هرمة

أَلَا إِنَّ سَلْمَى ٱلْيَوْمَ جَدَّتْ قُوَى ٱلْحَبْلِ وَأَرْضَتْ بِكَ ٱلْأَعْدَاءَ مِنْ غَيْرِ مَا ذَحْلِ
فَإِنْ تَبْكِهَا يَوْماً تُبَكِّ بِعَوْلَةٍ عَلَى لُطْفٍ فِي جَنْبِ سَلْمَى وَلَا بَذْلِ
سِوَى أَنْ رَأَيْنَ ٱلشَّيْبَ أَبْيَضَ وَاضِحاً كَأَنَّ ٱلَّذِي بِي لَمْ يَنَلْ أَحَدًا قَبْلِي

وقال ايضاً

فِي ٱلشَّيْبِ زَجْرٌ لَهُ لَوْ كَانَ يَنْزَجِرُ وَبَالِغٌ مِنْهُ لَوْلَا أَنَّهُ حَجَرُ
إِبْيَضَّ وَٱحْمَرَّ مِنْ فَوْدَيْهِ وَٱرْتَجَعَتْ جَلِيَّةَ ٱلصُّبْحِ مَا قَدْ أَغْفَلَ ٱلسَّحَرُ
وَلِلْفَتَى مُهْلَةٌ فِي ٱلْحُبِّ وَاسِعَةٌ مَا لَمْ يَمُتْ فِي نَوَاحِي رَأْسِهِ ٱلشَّعَرُ
قَالَتْ مَشِيبٌ وَعِشْقٌ رُحْتَ بَيْنَهُمَا وَذَاكَ فِي ذَاكَ ذَنْبٌ لَيْسَ يُغْتَفَرُ

وقال ايضاً

يَقُولُونَ هَلْ بَعْدَ ٱلثَّلَاثِينَ مَلْعَبُ فَقُلْتُ وَهَلْ قَبْلَ ٱلثَّلَاثِينَ مَلْعَبُ
لَقَدْ جَلَّ قَدْرُ ٱلشَّيْبِ إِنْ كُنْتُ كُلَّمَا بَدَتْ شَيْبَةٌ يَعْرَى مِنَ ٱللَّهْوِ مَرْكَبُ

وَهٰذَا لَعَمْرِي مِنْ حَسَنِ ٱلْكَلَامِ وَفَصِيحِهِ وَمِنْ أَحْسَنِ مَا أَعْرِفُ فِي ٱلتَّجَلُّدِ عَلَى ٱلشَّيْبِ

قول محمد بن عبد الملك

وَعَائِبٍ عَابَنِي بِشَيْبٍ لَمْ يَأْلُ لَمَّا أَلَمَّ وَقْتَهُ
فَقُلْ لِمَنْ عَابَنِي بِشَيْبِي يَا عَائِبَ ٱلشَّيْبِ لَا بَلَغْتَهُ

٣٣٨ ولبعض اهل هذا العصر*

وَقَائِلَةٍ قَدْ كَانَ عُذْرُكَ وَاسِعاً لَيَالِيَ كَانَ ٱلشَّعْرُ فِي ٱلرَّأْسِ أَسْوَدَا
فَقُلْتُ لَهَا وَٱلدَّمْعُ جَارٍ كَأَنَّهُ نِظَامٌ تَعَدَّى سِلْكَهُ مُتَبَدِّدَا
لَئِنْ كَانَ هٰذَا ٱلشَّيْبُ غَرَّكِ فَٱعْلَمِي بِأَنِّي صَحِبْتُ ٱلشَّيْبَ مُذْ كُنْتُ أَمْرَدَا
أَبِٱلشَّيْبِ يُنْهَى عَنْ مُسَاعَدَةِ ٱلْهَوَى وَلَوْلَا ٱلْهَوَى مَا كُنْتُ لِلشَّيْبِ مُسْعِدَا

وقال علي بن العباس الرومي

يَا بَيَاضَ ٱلْمَشِيبِ سَوَّدْتَ وَجْهِي عِنْدَ بِيضِ ٱلْوُجُوهِ سُودِ ٱلْقُرُونِ
فَلَعَمْرِي لَأُخْفِيَنَّكَ جُهْدِي عَنْ عِيَانِي وَعَنْ عِيَانِ ٱلْعُيُونِ
وَلَعَمْرِي لَأَتْرُكَنَّكَ لَا تَضْـ ـحَكُ فِي رَأْسِ آسِفٍ مَحْزُونِ
بِسَوَادٍ فِيهِ بَيَاضٌ لِوَجْهِي وَسَوَادٍ لِوَجْهِكَ ٱلْمَلْعُونِ

وقال البحتري

يُفَاوِتُ مِنْ تَأْلِيفِ شَعْبِي وَشَعْبِهَا تَنَاهِي شَبَابِي وَٱبْتِدَاءُ شَبَابِهَا
عَسَى بِكَ أَنْ تَدْنُو مِنَ ٱلْوَصْلِ بَعْدَمَا تَبَاعَدْتَ مِنْ أَسْبَابِهِ وَعَسَى بِهَا
وَلَمْ أَرْتَضِ ٱلدُّنْيَا أَوَانَ مَجِيئِهَا فَكَيْفَ ٱرْتِضَائِيهَا أَوَانَ ذَهَابِهَا

وقال ايضاً

وَأَضْلَلْتُ حِلْمِي فَٱلْتَفَتُّ إِلَى ٱلصِّبَى سِفَاهاً وَقَدْ جُزْتُ ٱلشَّبَابَ مَرَاحِلَا
فَلِلَّهِ أَيَّامُ ٱلشَّبَابِ وَحُسْنُ مَا فَعَلْنَ بِنَا لَوْ لَمْ يَكُنَّ قَلَائِلَا

وقال ابو الشيص

أَبْقَى ٱلزَّمَانُ بِهِ نُدُوبَ عِضَاضِ وَرَمَى سَوَادَ قُرُونِهِ بِبَيَاضِ
نَفَرَتْ بِهِ كَأْسُ ٱلنَّدِيمِ فَأَعْرَضَتْ عَنْهُ ٱلْكَوَاعِبُ أَيَّمَا إِعْرَاضِ
وَلَرُبَّمَا جُعِلَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ لِجُفُونِهَا غَرَضاً مِنَ ٱلْأَغْرَاضِ
٣٣٩ أَيَّامَ أَفْرَاسُ ٱلشَّبَابِ جَوَامِحٌ تَأْبَى أَعِنَّتَهَا عَلَى ٱلرُّوَّاضِ*

وقال الطائي

غُرَّةٌ بَهْمَةٌ أَلَا إِنَّمَا كُنْـ ـتُ أَغَرًّا أَيَّامَ كُنْتُ بَهِيمَا
دِقَّةٌ فِي ٱلْحَيَاةِ تُدْعَى جَلَالًا مِثْلَ مَا سُمِّيَ ٱللَّدِيغُ سَلِيمَا

وقال البحتري

عَذَلَتْنَا فِي عِشْقِهَا أُمُّ عَمْرٍو هَلْ سَمِعْتُمْ بِٱلْعَاذِلِ ٱلْمَعْشُوقِ

وَرَأَتْ لِمَّةً أَلَمَّ بِهَا ٱلشَّيْبُ   فَرِيعَتْ مِنْ ظُلْمَةٍ فِي شُرُوقِ
وَلَعَمْرِي لَوْلَا ٱلْأَقَاحِي لَأَبْصَرْ   تَ أَنِيقَ ٱلرِّيَاضِ غَيْرَ أَنِيقِ
وَسَوَادُ ٱلْعُيُونِ لَوْ لَمْ يُحَسَّنْ   بِبَيَاضٍ مَا كَانَ بِٱلْمَوْمُوقِ
أَيُّ لَيْلٍ يَبْهَى بِغَيْرِ نُجُومٍ   أَوْ سَحَابٍ تَنْدَى بِغَيْرِ بُرُوقِ

وقال عمر بن ابي ربيعة

رَأَتْنِي خَضِيبَ ٱلرَّأْسِ شَمَّرْتُ مِئْزَرِي   وَقَدْ عَهِدَتْنِي أَسْوَدَ ٱلرَّأْسِ مُسْبِلَا
فَقَالَتْ لِأُخْرَى عِنْدَهَا تَعْرِفِينَهُ   أَلَيْسَ بِهِ قَالَتْ بَلَى مَا تَبَدَّلَا
سِوَى أَنَّهُ قَدْ لَاحَتِ ٱلشَّمْسُ لَوْنَهُ   وَفَارَقَ أَشْيَاعَ ٱلصِّبَى وَتَنَقَّلَا
وَلَاحَ قَتِيرٌ فِي مَفَارِقِ رَأْسِهِ   إِذَا غَفَلَتْ عَنْهُ ٱلْخَوَاضِبُ أَنْصَلَا
وَكَانَ ٱلشَّبَابُ ٱلْغَضُّ كَٱلْغَيْمِ خَيَّلَتْ   سَمَاوَتُهُ إِذْ هَبَّتِ ٱلرِّيحُ فَٱنْجَلَى

وقال منصور النمري

مَا تَنْقَضِي حَسْرَةٌ مِنِّي وَلَا جَزَعُ   إِذَا ذَكَرْتُ شَبَابًا لَيْسَ يُرْتَجَعُ
بَانَ ٱلشَّبَابُ وَفَاتَتْنِي بِشِرَّتِهِ   صُرُوفُ دَهْرٍ عَلَى ٱلْأَيَّامِ لِي تَبَعُ
تَعَجَّبَتْ أَنْ رَأَتْ أَسْرَابَ دَمْعَتِهِ   فِي حِلْيَةِ ٱلْخَدِّ أَجْرَاهَا حَشًى وَجِعُ
أَصْبَحْتِ لَمْ تُطْعِمِي كُلَّ ٱلشَّبَابِ وَلَمْ   تَشْجَيْ بِغُصَّتِهِ فَٱلْعُذْرُ لَا يَقَعُ

٣٤٠

الباب الثامن والاربعون*

مَنْ يَئِسَ مِمَّنْ يَهْوَاهُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ مِنْ وَقْتِهِ سَلَاهُ

ٱلْعِلَّةُ فِي ذٰلِكَ أَنَّ ٱلْيَأْسَ هُوَ مُفَارَقَةُ ٱلنَّفْسِ لِلرَّجَاءِ ٱلَّتِي كَانَتْ تَعْتَاضُ بِهِ مِنْ حَالِ ٱلصِّفَاتِ وَتَتَمَاسَكُ بِمُسَامَرَتِهِ مِنْ سَطْوَةِ ٱلْفِرَاقِ ٱلَّذِي

مُنِيتْ بِمُشَاهَدَتِهِ فَأَوَّلُ رَوْعَاتِ ٱلْيَأْسِ تَلْقَى ٱلْقَلْبَ وَهُوَ غَيْرُ مُسْتَعِدٍّ لِمُقَاوَمَتِهَا وَلَا مُصَابٍ بِمُشَاهَدَتِهَا فَتَجْرَحُهُ دَفْعَةً وَاحِدَةً عَادَةً إِلَى غَيْرِ عَادَةٍ وَٱلرَّوْعَةُ ٱلثَّانِيَةُ تَرِدُ عَلَى ٱلْقَلْبِ وَقَدْ ذَلَّلَتْهُ لَهَا ٱلرَّوْعَةُ ٱلْأُولَى فَلِلثَّانِيَةِ أَلَمُ ٱلْمُعَاوَدَةِ وَلَيْسَ لَهَا أَلَمٌ وَفَقْدُ ٱلْعَادَةِ وَٱلرَّوْعَةُ ٱلْأُولَى فِيهَا مُشَاهَدَةُ ٱلْمَكْرُوهِ وَمُفَارَقَةُ مَا تَعَوَّدَتْ مِنَ ٱلْمَحْبُوبِ فَإِنْ هِيَ لَمْ تُتْلِفْ وَفِيهَا مَكْرُوهَانِ لَمْ تُتْلِفِ ٱلثَّانِيَةُ وَلَيْسَ فِيهَا إِلَّا أَحَدُهُمَا وَكَذَلِكَ كُلُّ رَوْعَةٍ يَجْلِبُهَا ٱلْفِكْرُ وَٱلتَّذَكُّرُ هِيَ أَهْوَنُ [مِنَ] ٱلَّتِي قَبْلَهَا لِأَنَّ ٱلْمُتَقَدِّمَةَ قَدِ ٱنْذَرَتْ بِهَا وَوَطَّأَتِ ٱلْمَوَاضِعَ لَهَا حَتَّى يَنْحَلَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ مِنَ ٱلنَّفْسِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ لِأَنَّ دَوَامَ ٱلرَّوْعَاتِ إِنَّمَا يَكُونُ بِتَنَازُعِ ٱلْمَخَاوِفِ وَٱلْآمَالِ فَإِذَا وَقَعَ ٱلْيَأْسُ زَالَ ٱلْخَوْفُ بِوُقُوعِ ٱلْمَخُوفِ وَٱنْقَطَعَ ٱلْأَمَلُ بِذَهَابِ ٱلْمَأْمُولِ

واعمري لقد احسن البحتري حيث يقول

حَنِينِي إِلَى ذَاكَ ٱلْقَلِيبِ وَلَوْعَتِي عَلَيْهِ وَقَلَّتْ لَوْعَتِي وَحَنِينِي
خَلَا أَمَلِي مِنْ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدٍ وَأَوْحَشَ فِكْرِي بَعْدَهُ وَظُنُونِي
وَكَانَتْ يَدِي شَلَّتْ وَنَفْسِي تَخَوَّنَتْ وَدُنْيَايَ بَانَتْ يَوْمَ بَانَ وَدِينِي
فَوَا أَسَفِي أَلَّا أَكُونَ شَهِدْتُهُ فَجَاشَتْ شِمَالِي عِنْدَهُ وَيَمِينِي

فَإِذَا بَقِيَتِ ٱلْخَوَاطِرُ بِغَيْرِ مُحَرِّكٍ يُزْعِجُهَا تَحَلَّلَتْ مَضَاضَةُ ذَلِكَ ٱلْأَلَمِ ٱلَّذِي نَزَلَ بِهَا أَلَا تَرَى أَنَّ ٱلْحَرِيقَ إِذَا صُبَّ عَلَيْهِ ٱلْمَاءُ أَفْسَدَ ٱلْمَاءُ مَوْضِعًا وَأَفْسَدَتِ ٱلنَّارُ آخَرَ . . . . . قَائِمَيْنِ فَإِذَا ذَهَبَا جَمِيعًا بَقِيَ مِنْ تَأْثِيرِ ٱلنَّارِ يَبَسٌ وَحَرَارَاتٌ وَمِنْ تَأْثِيرِ ٱلْمَاءِ بَرْدٌ وَرُطُوبَاتٌ ثُمَّ تَحَلَّلَا جَمِيعًا عَلَى مَرِّ ٱلْأَوْقَاتِ وَٱلْعِلَّةُ فِي قَتْلِ رَوْعَةِ ٱلْيَأْسِ ٱلْأُولَى أَنَّ ٱلْقَلْبَ يُحْمَى بِوُرُودِ ٱلْمَكَارِهِ عَلَيْهِ وَسَبِيلُ سَائِرِ ٱلْبَدَنِ أَنْ يَمُدَّ ٱلْقَلْبَ بِمِثْلِ

مَا فِيهِ مِنْ حَرٍّ أَوْ بَرْدٍ فَإِذَا كَثُرَ ذٰلِكَ ٱنْهَتَكَ حِجَابُ ٱلْقَلْبِ فَكَانَ ٱلتَّلَفُ حِينَئِذٍ لِأَنَّ ٱلْقَلْبَ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ* أَلَمُ نِيَّةٍ غَيْرُ ٱلْأَلَمِ ٱلْفِكْرَةِ إِلَّا ٣٤١
أَتْلَفَ صَاحِبَهُ وَٱلْعَامَّةُ تَقُولُ شَهِقَ فُلَانٌ فَلَا تَصَدَّعَتْ مَرَارَتُهُ وَلَعَمْرِي إِنَّ ٱلْمَرَارَةَ لَتَحْمَى وَلَوْ زَادَتْ حَرَارَتُهَا لَٱنْصَدَعَتْ وَلَوِ ٱنْصَدَعَتْ لَأَتْلَفَتْ وَلٰكِنْ إِلَى أَنْ تَحْمِلَ ٱلْمَرَارَةُ حُمَّى تُصَدِّعُهَا [يَكُونُ] قَدْ حَمِيَ ٱلْقَلْبُ وَتَصَدَّعَ بَلْ تَقَطَّعَ وَمِثْلُ ذٰلِكَ لَوْ أَنَّ قِدْرًا مِنْ شَمْعٍ وَقَارٍ ثُمَّ صُبَّ فِيهَا مَاءٌ ثُمَّ أُوقِدَ تَحْتَهَا ٱلنَّارُ فَلَعَمْرِي إِنَّ ٱلنَّارَ تُذِيبُ ٱلْقَارَ وَإِنَّ ٱلْقَارَ إِذَا ذَابَ ٱنْصَبَّ ٱلْمَاءُ غَيْرَ أَنَّ قَبْلَ ذَوْبِ ٱلْقَارِ يَكُونُ ٱنْحِلَالُ ٱلشَّمْعِ وَتَلِيفَةُ ٱلنَّارِ فَكَذٰلِكَ ٱلْقَلْبُ يَنْهَتِكُ حِجَابُهُ بِٱلْحَرَارَةِ ٱلْمُنْحَازَةِ إِلَيْهِ قَبْلَ ٱنْهِتَاكِ ٱلْمَرَارَةِ بِحِينٍ طَوِيلٍ وَتَظُنُّ ٱلْعَامَّةُ بَلْ كَثِيرٌ مِنَ ٱلْخَاصَّةِ أَنَّ ٱلزَّفِيرَ سَبَبُ ٱلتَّلَفِ وَلَيْسَ ٱلْأَمْرُ كَذٰلِكَ بَلْ [هُوَ] إِذَا أَرَادَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ سَبَبٌ لِدَفْعِ ٱلتَّلَفِ وَذٰلِكَ أَنَّ ٱلْقَلْبَ إِذَا أَفْرَطَ ٱلْحَمْيُ عَلَيْهِ ٱجْتَلَبَتْ لَهُ ٱلْقُوَى ٱلْغَرِيزِيَّةُ رَوْحًا تَدْفَعُ مَضَرَّةَ ذٰلِكَ عَنْهُ فَتَجْلِبُهُ لَهُ مِنْ نَسِيمِ ٱلْهَوَى ٱلْخَارِجِ عَنْهُ فَرُبَّمَا جَاءَ مِنَ ٱلنَّسِيمِ مَا يَدْفَعُ مَضَرَّةَ تِلْكَ ٱلْحَرَارَةِ فَيَكُونُ زَفِيرٌ وَلَا يَكُونُ تَلَفٌ وَرُبَّمَا ضَعُفَ ٱلنَّسِيمُ ٱلْمُجْتَلَبُ وَحَمِيَ فِي ٱلْمَجَارِي لِشِدَّةِ مَا يَلْقَاهُ مِنَ ٱلْحَرَارَاتِ فَيَعْجِزُ بَرْدُهُ عَنْ دَفْعِ مَضَرَّةِ ٱلْحَرَارَةِ ٱلْمُحِيطَةِ بِٱلْقَلْبِ فَتَهْتِكُ ٱلْحَرَارَةُ ٱلْحِجَابَ وَيَكُونُ ٱلتَّلَفُ فَلِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ ٱلتَّلَفَ عَلَى أَثَرِ ٱلزَّفْرَةِ يَرَوْنَ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ مِنْ أَجْلِهَا وَهُوَ فِي ٱلْحَقِيقَةِ إِنَّمَا وَقَعَ مِنْ أَجْلِ ضِدِّهَا وَقَدْ تَقْتُلُ أَيْضًا أَوَّلُ مُفَاجَأَةِ ٱلْفَرَحِ ٱلْغَالِبِ بِإِفْرَاطِ بَرْدِهَا كَمَا تَقْتُلُ أَوَّلُ مُفَاجَأَةِ ٱلْحُزْنِ بِإِفْرَاطِ حَرِّهَا لِأَنَّهُ يَنْحَازُ إِلَى ٱلْقَلْبِ مِنْ سَائِرِ ٱلْأَعْضَاءِ بَرْدٌ لَا تَفِي بِهِ حَرَارَةُ ٱلْغَرِيزِيَّةُ فَيَجْمُدُ دَمُ ٱلْقَلْبِ وَيَحْدُثُ ٱلتَّلَفُ وَلَا يَكُونُ

مَعَهُ زَفِيرٌ وَلَا شَهِيقٌ لِأَنَّ ٱلنَّفَسَ لَا تَجْتَلِبُ ٱلْحَرَارَةَ مِنْ خَارِجِ ٱلْبَدَنِ كَمَا تَجْتَلِبُ ٱلْبُرُودَةَ وَقَوْلُهُمْ أَقَرَّ ٱللهُ عَيْنَكَ وَأَسْخَنَ ٱللهُ عَيْنَ فُلَانٍ إِنَّمَا هُوَ لِأَنَّ دَمْعَةَ ٱلْحُزْنِ حَارَّةٌ وَدَمْعَةَ ٱلْفَرَحِ بَارِدَةٌ وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ ٱلْفَرَحِ وَٱلْحُزْنِ إِذَا ٱسْتَوْطَنَ ٱلنَّفْسَ أَنِسَتْ بِمُجَاوَرَتِهِ قَلِيلًا حَتَّى يَصِيرَ كَٱلْخُلُقِ ٱلْمُعْتَادِ لَهَا وَكَالطَّبْعِ ٱلْقَائِمِ بِهَا وَمِنْ جَيِّدِ مَا قِيلَ فِي بَابِ ٱلتَّسَلِّي عَمَّنْ يَئِسَ مِنْهُ

هِيَ ٱلشَّمْسُ مَسْكَنُهَا فِي ٱلسَّمَاءِ فَعَزِّ ٱلْفُؤَادَ عَزَاءً جَمِيلَا
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا ٱلصُّعُودَ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ ٱلنُّزُولَا

٣٤٢ وقال امرؤ القيس*

عَيْنَاكَ دَمْعُهُمَا سِجَالُ كَأَنَّ شَأْنَيْهِمَا أَوْشَالُ
مِنْ ذِكْرِ لَيْلَى وَأَيْنَ لَيْلَى وَخَيْرُ مَا نِلْتَ مَا يُنَالُ

انشدني احمد بن يحيى لام الضحاك المحاربية

سَأَلْتُ ٱلْمُحِبِّينَ ٱلَّذِينَ تَحَمَّلُوا تَبَارِيحَ هٰذَا ٱلْحُبِّ فِي سَالِفِ ٱلدَّهْرِ
فَقُلْتُ لَهُمْ مَا يُذْهِبُ ٱلْحُبَّ بَعْدَمَا تَبَوَّأَ مَا بَيْنَ ٱلْجَوَانِحِ وَٱلصَّدْرِ
فَقَالُوا شِفَاءُ ٱلْحُبِّ حُبٌّ يُزِيلُهُ مِنَ آخَرَ أَوْ نَأْيٌ طَوِيلٌ عَلَى هَجْرِ
أَوِ ٱلْيَأْسُ حَتَّى تَذْهَلَ ٱلنَّفْسُ بَعْدَمَا رَجَتْ طَمَعًا وَٱلْيَأْسُ عَوْنًا عَلَى ٱلصَّبْرِ

وقال آخر

فَيَا رَبِّ إِنْ أَهْلِكْ وَلَمْ تُرْوَ هَامَتِي بِلَيْلَى أَمُتْ لَا قَبْرَ أَعْطَشُ مِنْ قَبْرِي
وَإِنْ أَكُ عَنْ لَيْلَى سَلَوْتُ فَإِنَّمَا تَسَلَّيْتُ عَنْ يَأْسٍ وَلَمْ أَسْلُ عَنْ صَبْرِ
وَإِنْ يَكُ عَنْ لَيْلَى غِنًى وَتَجَلُّدٌ فَرُبَّ غِنَى نَفْسٍ قَرِيبٌ مِنَ ٱلْفَقْرِ

وقال كثير

وَإِنِّي لَآتِيكُمْ وَإِنِّي لَرَاجِعٌ بِغَيْرِ ٱلْجَوَى مِنْ عِنْدِكُمْ لَمْ أُزَوَّدِ

إِذَا دَبَرَانٌ مِنْكَ يَوْماً لَقِيتُهُ   أُؤَمِّلُ أَنْ أَلْقَاكَ بَعْدُ بِأَسْعَدِ
فَإِنْ يَسْلُ عَنْكَ ٱلْقَلْبُ أَوْ يَدَعِ ٱلصِّبَى   فَبِٱلْيَأْسِ يَسْلُو عَنْكَ لَا بِٱلتَّجَلُّدِ

وقال علي بن محمد العلوي

كَانَ يُبْكِينِيَ ٱلْغِنَاءُ سُرُورًا   فَأَرَانِي أَبْكِي لَهُ ٱلْيَوْمَ حُزْنَا
آهِ مِنْ خَطْرَةِ ٱلْكَبِيرِ إِذَا مَا   خَطَرَ ٱلْيَأْسُ دُونَ مَا يَتَمَنَّى

وقال البحتري

أَرْجُو عَوَاطِفَ مِنْ لَيْلَى وَيُؤْيِسُنِي   دَوَامُ لَيْلَى عَلَى ٱلْهَجْرِ ٱلَّذِي تَلِدَا
وَلَمْ يَعُدْنِي لَهَا طَيْفٌ فَيَفْجَأَنِي   إِلَّا عَلَى أَبْرَحِ ٱلْوَجْدِ ٱلَّذِي عُهِدَا* ٣٤٣

وقال ايضاً

يَرْجُو مُقَارَنَةَ ٱلْحَبِيبِ وَدُونَهُ   وَجْدٌ يُبَرِّحُ بِٱلْمَهَارِي ٱلْقُودِ
وَمَتَى يُسَاعِدُنَا ٱلْوِصَالُ وَدَهْرُنَا   يَوْمَانِ يَوْمُ نَوًى وَيَوْمُ صُدُودِ
وَٱلْيَأْسُ إِحْدَى ٱلرَّاحَتَيْنِ وَلَنْ تَرَى   تَعَباً كَظَنِّ ٱلْخَائِبِ ٱلْمَكْدُودِ

ولبعض اهل هذا العصر

سَأَكْفِيكَ نَفْسِي لَا كِفَايَةَ غَادِرٍ   وَلَا سَامِعاً عَذْلًا وَلَا مُتَعَتِّبَا
وَلٰكِنَّ يَأْساً لَمْ يَرَ ٱلنَّاسُ مِثْلَهُ   وَصَبْرًا عَلَى مُرِّ ٱلْمَقَادِيرِ مُنْصِبَا
وَفِي دُونِ مَا بَلَّغْتُهُ بَلْ رَأَيْتُهُ   بَلَاغٌ وَلٰكِنْ لَا أَرَى عَنْكَ مَذْهَبَا

وله ايضاً

حَاوَلْتُ أَمْرًا فَلَمْ يَجْرِ ٱلْقَضَاءُ بِهِ   وَلَا أَرَى أَحَدًا يُعْدَى عَلَى ٱلْقَدَرِ
فَقَدْ صَبَرْتُ لِأَمْرِ ٱللهِ مُحْتَسِباً   وَٱلْيَأْسُ مِنْ أَشْبَهِ ٱلْأَشْيَاءِ بِٱلظَّفَرِ
فَٱلْحَمْدُ لِلهِ شُكْرًا لَا شَرِيكَ لَهُ   مَا أَوْلَعَ ٱلدَّهْرَ وَٱلْأَيَّامَ بِٱلْغِيَرِ

وقال البحتري

عَزَّيْتُ نَفْسِي بِبَرْدِ ٱلْيَأْسِ بَعْدَهُمُ   وَمَا تَعَزَّيْتُ مِنْ صَبْرٍ وَلَا جَلَدِ

إِنَّ ٱلنَّوَى وَٱلْهَوَى شَيْئَانِ مَا ٱجْتَمَعَا ... فَخَلِّيَـا أَحَـدًا يَصْبُو إِلَى أَحَـدِ

وقال ايضاً

مَحَلَّتُنَـا وَٱلْعَيْشُ غَضٌّ نَبَـاتُهُ ... وَأَفْنِيَـةُ ٱلْأَيَّامِ خُضْرٌ ظِـلَالُهَا
وَلَيْلِي عَلَى ٱلْعَهْدِ ٱلَّذِي كَانَ لَمْ تَغُلْ ... نَوَاهَا وَلَا حَالَتْ إِلَى ٱلصَّـدِّ حَالُهَا
وَكُنْتُ أُرَجِّي وَصْلَهَا عِنْدَ هَجْرِهَا ... فَقَـدْ بَانَ مِنِّي هَجْرُهَـا وَوِصَالُهَا
وَلَا قُرْبَ إِلَّا أَنْ يُعَاوِدَ ذِكْرُهَا ... وَلَا وَصْلَ إِلَّا أَنْ يُطِيفَ خَيَالُهَا

٣٤٤ وقال الاحوص*

تَذَكَّرْتُ أَيَّاماً مَضَيْنَ مِنَ ٱلصِّبَى ... وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ إِلَيْكَ رُجُوعُهَـا
تُؤَمِّلُ نُعْمَى أَنْ تَرِيعَ بِهَـا ٱلنَّوَى ... أَلَا حَبَّذَا نُعْمَى وَسَوْفَ تَرِيعُهَـا
لَعَمْرِي لَرَاعَتْنِي نَوَائِحُ غُـدْوَةً ... فَصَدَّعَ قَلْبِي بِٱلْفِرَاقِ جَمِيعُهَـا
فَظَلْتُ كَأَنِّي خِشْيَةَ ٱلْبَيْنِ إِذْ أَنَا ... أَخُو جِنَّةٍ لَا يَسْتَبِـلُّ صَرِيعُهَا

وقال آخر

أَمَـا وَٱللهِ غَيْرَ قِلًى لِلَيْلَى ... وَلٰكِنْ يَا لَـهُ يَأْسًا مُبِينَا
لَقَدْ جَعَلَتْ دَوَاوِينُ ٱلْغَوَانِي ... سِوَى دِيوَانِ حُبِّكِ يَمَّحِينَا

وقال بشار بن برد

أُحِبُّ بِأَنْ أَكُونَ عَـلَى بَيَانٍ ... وَأَخْشَى أَنْ أَمُوتَ مِنَ ٱلْبَيَـانِ
فَقَدْ أَصْبَحْتُ لَا فَرِحاً بِـدُنْيَا ... وَلَا مُسْتَنْكِرًا دَارَ ٱلْهَوَانِ
يُقَلِّبُنِي ٱلْهَوَى ظَـهْرًا لِبَطْنٍ ... فَمَا يَخْفَى عَلَى أَحَـدٍ بَرَانِي

وقال ذو الرمة

أَفِي كُلِّ أَطْلَالٍ بِهَـا مِنْكَ جِنَّةٌ ... كَمَا جُنَّ مَقْرُونُ ٱلْوَظِيفَيْنِ نَازِعُ
وَلَا بُدَّ مِنْ مَيٍّ وَقَدْ حِيلَ دُونَهَا ... فَمَا أَنْتَ فِيمَا بَيْنَ هَاتَيْنِ صَانِعُ
أَمُسْتَوْجِبٌ أَجْرَ ٱلصَّبُورِ فَكَاظِمٌ ... عَلَى ٱلْوَجْدِ أَمْ مُبْدِي ٱلضَّمِيرِ فَجَازِعُ

وقال مجنون بني عامر

فَيَا قَلْبُ مُتْ حُزْنًا وَلَا تَكُ جَازِعاً ... فَإِنَّ جَزُوعَ ٱلْقَوْمِ لَيْسَ بِخَالِدِ
هَوِيتَ فَتَاةً نَيْلُهَا ٱلْخُلْدُ فَٱلْتَمِسْ ... سَبِيلًا إِلَى مَا لَسْتَ يَوْمًا بِوَاجِدِ
أَحِنُّ إِلَى نَجْدٍ وَإِنِّي لَيَائِسٌ ... طِوَالَ ٱللَّيَالِي مِنْ قُفُولٍ إِلَى نَجْدِ
وَإِنَّكَ لَا لَيْلَى وَلَا نَجْدَ فَٱعْتَرِفْ ... بِهَجْرٍ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ وَٱلْوَعْدِ

وقال آخر* ٣٤٥

خَلَتْ عَنْ ثَرَى نَجْدٍ فَمَا طَابَ بَعْدَهَا ... وَلَوْ رَاجَعَتْ نَجْدًا لَطَابَ إِذَنْ نَجْدُ
هُوَ ٱلْيَأْسُ مِنْ لَيْلَى عَلَى أَنَّ حُبَّهَا ... مُقِيمُ ٱلْمَرَاسِي لَمْ يَزَلْ عِنْدَنَا بَعْدُ

وقال آخر

أَلَا لَا أُحِبُّ ٱلسَّيْرَ إِلَّا مُصَعِّدًا ... وَلَا ٱلْبَرْقَ إِلَّا أَنْ يَلُوحَ يَمَانِيَا
عَلَى مِثْلِ لَيْلَى يَقْتُلُ ٱلْمَرْءُ نَفْسَهُ ... وَإِنْ كُنْتُ عَنْ لَيْلَى عَلَى ٱلنَّأْيِ طَاوِيَا

ولبعض اهل هذا العصر

يَقُولُ أَبَعْدَ ٱلْيَأْسِ تَبْكِي صَبَابَةً ... فَقُلْتُ وَهَلْ قَبْلَ ٱلْإِيَاسِ بُكَاءُ
أُبَكِّي عَلَى مَنْ لَسْتُ أَرْجُو ٱرْتِجَاعَهُ ... وَأَبْكِي عَلَى أَنْ لَا يَكُونَ رَجَاءُ

وقال آخر

يَقُولُونَ عَنْ لَيْلَى عَيِيتَ وَإِنَّمَا ... بِيَ ٱلْيَأْسُ عَنْ لَيْلَى وَلَيْسَ بِيَ ٱلصَّبْرُ
فَيَا حَبَّذَا لَيْلَى إِذِ ٱلدَّهْرُ صَالِحٌ ... وَسَقْياً لِلَيْلَى بَعْدَمَا خَبُثَ ٱلدَّهْرُ
وَإِنِّي لَأَهْوَاهَا وَإِنِّي لَآيِسٌ ... هَوًى وَإِيَاسٌ كَيْفَ ضَمَّهُمَا ٱلصَّدْرُ

وَهٰذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا مَرَّ وَيَمُرُّ لِأَنَّهُ قَدْ جَمَعَ لَفْظاً لَطِيفاً وَمَعْنًى مَلِيحاً هٰذَا ٱلْبَائِسُ قَدْ عَلِمَ أَنَّ ٱلْيَأْسَ لَا يَكُونُ مَعَهُ هَوًى لِأَحَدٍ مِنَ ٱلنَّاسِ فَأَظْهَرَ ٱلتَّعَجُّبَ مِنْهُ لِأَنَّهُ خَارِجٌ عَنْ عَادَتِهِ وَوَجَدَ فِي قَلْبِهِ بَقَايَا مِنَ ٱلْحُزْنِ لِأَلَمِ ٱلْفِرَاقِ وَلَيْسَ هُوَ هَوًى قَائِمٌ وَلٰكِنَّهُ تَأْثِيرُ ٱلْاِحْتِرَاقِ

يَزُولُ حالًا بَعْدَ حَالٍ إذْ لَمْ يُدْرِكْهُ غَلِيلُ ٱلْإِشْفَاقِ وَلَمْ تُحَرِّكْهُ غَلَبَاتُ ٱلْإِشْتِيَاقِ فَظَنَّ لِشِدَّةِ مَضَاضَتِهِ أَنَّ ٱلْهَوَى بَعْدُ مُقِيمٌ فِي قَلْبِهِ

وقال آخر

نَظَرْتُ وَأَصْحَابِي بِنَجْدٍ غُدَيَّةً لِأُبْصِرَهُمْ أَمْ هَلْ أَرَى فِيَّ مَطْمَعَا
بِنَظْرَةِ مُشْتَاقٍ رَأَى ٱلْيَأْسَ وَٱلْهَوَى جَمِيعًا فَعَزَّى نَفْسَهُ ثُمَّ رَجَّعَا
شَرِبْتُ حَرَارَاتِ ٱلْفِرَاقِ فَلَمْ أَجِدْ كَمِثْلِكَ مَشْرُوبًا أَمَرَّ وَأَوْجَعَا
٣٤٦ وَقَاسَيْتُ تَفْرِيقَ ٱلْجَمِيعِ فَلَمْ يَدَعْ تَفَرُّقُ ٱلْأُلَافِ لِعَيْنَيَّ مَطْمَعَا*

وانشدني احمد بن يحيى عن زيد بن بكّار لرجل من بني اسد

وَكُنْتَ إذَا ٱشْتَفَيْتَ بِرِيحِ نَجْدٍ وَمَاءِ ٱلْبِيرِ مِنْ غُلَلٍ شِفَاهَا
فَلَمَّا أَنْ رَأَيْتَ بِهَا أُمُورًا تَقَادَمَ وَهْلُهَا وَبَدَا ثَآهَا
عَرَجْتَ عَلَى ٱلْمَنَازِلِ غَيْرَ بُغْضٍ وَأَسْمَحَ عُلْوُ نَفْسِكَ عَنْ هَوَاهَا
وَسَاقَتْكَ ٱلْمَقَادِرُ وَٱللَّيَالِي إلَى أَنْ لَا تَرَاكَ وَلَا تَرَاهَا

ولبعض اهل هذا العصر

أَمِنْتُ عَلَيْكَ ٱلدَّهْرَ وَٱلدَّهْرُ غَادِرُ وَسَكَّنْتُ قَلْبِي عَنْكَ وَٱلْقَلْبُ نَافِرُ
وَمَا ذَاكَ عَنْ إلْفٍ تَغَيَّرْتُ وَصْلَهُ عَلَيْكَ وَلَا أَنِّي بِعَهْدِكَ غَادِرُ
وَلٰكِنَّ صَرْفَ ٱلدَّهْرِ قَدْ عَجَّلَ ٱلرَّدَى وَأَيْأَسَنِي مِنْ أَنْ تَدُورَ ٱلدَّوَائِرُ
فَلَسْتُ أُرَجِّيهِ وَلَسْتُ أَخَافُهُ وَهَلْ يَرْتَجِي ذُو ٱللُّبِّ مَا لَا يُحَاذِرُ
إذَا بَلَغَ ٱلْمَكْرُوهُ بِي غَايَةَ ٱلْمَدَى فَأَهْوَنُ مَا تَجْرِي إلَيْهِ ٱلْمَقَادِرُ
تَنَاسَيْتَ أَيَّامَ ٱلصَّفَاءِ ٱلَّتِي مَضَتْ لَدَيْكَ عَلَى أَنِّي لَهَا ٱلدَّهْرَ ذَاكِرُ
أُثَبِّتُ قَلْبِي عَنْكَ وَٱلْوُدُّ ثَابِتٌ وَهَلْ تَصْبِرُ ٱلْأَحْشَاءُ وَٱلْحُزْنُ صَابِرُ
إلَى ٱللّٰهِ أَشْكُو لَا إلَيْكَ فَإنَّهُ عَلَى رَدِّ أَيَّامِ ٱلصَّفَاءِ لَقَادِرُ

وقال العتبي

فَيَا وَيْحَ قَلْبٍ عَذَّبَ ٱلْعَيْنَ بِٱلْبُكَا   عَلَى كُلِّ شِفْرٍ مِنْ مَدَامِعِهَا غَرْبُ
وَيَا وَيْحَ مُشْتَاقٍ مَحَا ٱلْيَأْسَ مَا رَجَا   لِحُرْقَتِـهِ شَرْقٌ وَلَيْسَ لَهَا غَرْبُ

وقال ذو الرمة

تَحِنُّ إِلَى مَيٍّ كَمَا حَنَّ نَازِعٌ   دَعَاهُ ٱلْهَوَى فَٱرْتَدَّ مِنْ قَيْدِهِ قَصْرَا
وَلَا مَيَّ إِلَّا أَنْ تَزُورَ بِمَشْرِقٍ(١)   أَوِ ٱلزُّرْقِ مِنْ أَطْـلَالِهَا دِمَناً قَفْرَا

وانشدني ابو طاهر الدمشقي لبعض الاعراب* ٣٤٧

أَظُنُّ ٱلْيَوْمَ آخِرَ عَهْدِ نَجْدٍ   أَلَا فَٱقْرَأْ عَلَى نَجْدٍ سَلَامَـا
فَرُبَّتَمَا سَكَنْتَ بِحُرِّ نَجْـدٍ   وَرُبَّتَمَا رَكِبْتَ بِهَا ٱلسَّوَامَـا
وَرُبَّتَمَا رَأَيْتَ لِأَهْلِ نَجْـدٍ   عَلَى ٱلْعِلَّاتِ أَخْلَاقاً كِرَامَـا
وَإِنِّي لَلْمُكَلَّفُ حُبَّ نَجْدٍ   وَإِنِّي لَلْمُسِرُّ بِهَـا ٱلسَّقَامَـا

فَهٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ ذَكَرُوا أَشْعَارَهُمْ قَدْ سَلَوْا عَلَى أَوَّلِ رَوْعَاتِ ٱلْيَأْسِ فَمِنْهُمْ مَنْ تَشَاغَلَ بِإِظْهَارِ ٱلْحَنِينِ تَجَمُّلًا لِلنَّاسِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَرَّحَ بِٱلسُّلُوِّ عَنْ نَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مَنِ ٱشْتَغَلَ بِمُعَالَجَةِ مَـا بَقِيَ مِنَ [ٱلْهَوَى] فِي قَلْبِهِ وَنَحْنُ ٱلْآنَ نَذْكُرُ طَرَفاً مِنْ أَخْبَارِ مَنْ تَمَـكَّنَتِ ٱلرَّوْعَـةُ ٱلْأُولَى مِنْ نَفْسِهِ وَتَظَاهَرَ سُلْطَانُهُ عَلَى قَلْبِهِ فَبَلَغَ إِلَى مَا لَا يُمْـكِنُ مِنْهُ تَلَافٍ وَلَا يَنْفَعُ فِيهِ ٱسْتِعْطَافٌ حَدَّثَنِي أَبُو طَاهِرٍ ٱلدِّمَشْقِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا حَامِدُ بْنُ يَحْيَى ٱلْبَلْخِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنُ نَوْفَلِ بْنِ مُسَاحِقٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ مُزَيْنَةَ يُقَالُ لَهُ ٱبْنُ عَاصِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ بَعَثَنَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَرِيَّةٍ(٢) وَقَالَ إِنْ رَأَيْتُمْ مَسْجِدًا أَوْ سَمِعْتُمْ مُؤَذِّنًا فَلَا تَقْتُلُوا أَحَدًا وَإِنَّا قَدْ لَقِينَا قَوْماً فَأَسَرْنَاهُمْ وَرَأَى نِسْوَةً وَهُوَ فِي ذِمَّتِهِ فَدَنَا إِلَى هٰؤُلَاءِ أَفِضْ إِلَيْهِنَّ فَدَنَا إِلَى ٱمْرَأَةٍ مِنْهُنَّ فَقَالَ أَسْلِمِي حُبَيْشُ قَبْلَ نَفَادِ ٱلْعَيْشِ

أَرَأَيْتِ إِذْ طَالَبْتُكُمْ فَوَجَدْتُمُ بِحَلْيَةَ أَوْ أَلْفَيْتُكُمْ بِالْخَوَانِقِ
أَلَمْ يَكُ حَقًّا أَنْ يُنَوِّلَ عَاشِقٌ تَكَلَّفَ إِدْلَاجَ السُّرَى وَالْوَدَائِقِ
فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ إِذْ أَهْلُنَا مَعًا أَثِيبِي بِوُدٍّ قَبْلَ إِحْدَى الصَّفَائِقِ
أَثِيبِي بِوُدٍّ قَبْلَ أَنْ تَشْحَطَ النَّوَى وَيَنْأَى الْأَمِيرُ بِالْحَبِيبِ الْمُفَارِقِ

قَالَ فَقَالَتْ وَأَنْتَ فَحُيِّيتَ عَشْرًا وَتِسْعًا وِتْرًا وَثَمَانِيًا تَتْرَا قَالَ ثُمَّ قَدَّمْنَاهُ فَضَرَبْنَا عُنُقَهُ فَنَزَلَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ تَخُصُّهُ فَأَكَبَّتْ عَلَيْهِ فَمَا زَالَتْ تَحِنُّ عَلَيْهِ حَتَّى مَاتَتْ وَقَالَ الْجَاحِظُ ذُكِرْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلِ لِتَأْدِيبِ بَعْضِ وُلْدِهِ فَلَمَّا رَآنِي اسْتَبْشَعَ مَنْظَرِي فَأَمَرَ لِي بِعَشَرَةِ آلَافٍ وَصَرَفَنِي فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ فَلَقِيتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ يُرِيدُ
٣٤٨ الِانْحِدَارَ* إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ فَعَرَضَ عَلَيَّ الْخُرُوجَ مَعَهُ وَقَرَّبَ حَرَّاقَتَهُ وَنَصَبَ سِتَارَتَهُ وَأَمَرَ بِالْغِنَاءِ فَانْدَفَعَتْ عَوَّادَةٌ لَهُ فَغَنَّتْ

كُلَّ يَوْمٍ قَطِيعَةٌ وَعِتَابُ يَنْقَضِي دَهْرُنَا وَنَحْنُ غِضَابُ
لَيْتَ شِعْرِي أَنَا خُصِصْتُ بِهَذَا دُونَ ذَا الْخَلْقِ أَمْ كَذَا الْأَحْبَابُ

ثُمَّ سَكَتَتْ وَأَمَرَ طُنْبُورِيَّةً فَغَنَّتْ

وَارْحَمَتَا لِلْعَاشِقِينَا مَا إِنْ أَرَى لَهُمُ مُعِينَا
كَمْ يُهْجَرُونَ وَيُضْرَبُونَ وَيُقْطَعُونَ فَيَصْبِرُونَا

فَقَالَتْ لَهَا الْعَوَّادَةُ فَيَصْنَعُونَ مَاذَا قَالَتْ وَيَصْنَعُونَ هٰكَذَا وَضَرَبَتْ بِيَدِهَا إِلَى السِّتَارَةِ فَهَتَكَتْهَا وَبَرَزَتْ كَأَنَّهَا فِلْقَةُ قَمَرٍ فَزَجَّتْ نَفْسَهَا إِلَى الْمَاءِ قَالَ وَعَلَى رَأْسِ مُحَمَّدٍ غُلَامٌ يُضَاهِيهَا فِي الْجَمَالِ وَبِيَدِهِ مِذَبَّةٌ فَلَمَّا رَأَى مَا صَنَعَتْ أَلْقَى الْمِذَبَّةَ مِنْ يَدِهِ وَأَتَى الْمَوْضِعَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَهِيَ تَمُرُّ بَيْنَ الْمَاءِ فَأَنْشَأَ يَقُولُ

أَنْتِ الَّتِي غَرَّقْتِنِي بَعْدَ الْقَضَا لَوْ تَعْلَمِينَا

وَزَجَّ بِنَفْسِهِ فِي أَثَرِهَا فَأَدَارَ ٱلْمَلَّاحُ [ٱلْحَرَّاقَةَ] فَإِذَا[1] بِهِمَا مُعْتَنِقَانِ ثُمَّ غَاصَا فَلَمْ يُرَيَا فَهَالَ ذٰلِكَ مُحَمَّدًا وَٱسْتَفْظَعَهُ وَقَالَ لِي يَا أَبَا عَمْرٍو لَتُحَدِّثُنِي بِحَدِيثٍ يُسَلِّينِي عَنْ فِعْلِ هٰذَيْنِ وَإِلَّا أَلْحَقْتُكَ بِهِمَا قَالَ فَحَضَرَنِي خَبَرُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ وَقَدْ قَعَدَ لِلْمَظَالِمِ وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ ٱلْقِصَصُ فَمَرَّتْ بِهِ قِصَّةٌ فِيهَا إِنْ رَأَى أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعَزَّهُ ٱللّٰهُ أَنْ يُخْرِجَ إِلَيَّ جَارِيَتَهُ فُلَانَةَ حَتَّى تُغَنِّيَنِي ثَلَاثَةَ أَصْوَاتٍ فَعَلَ فَٱغْتَاظَ سُلَيْمَانُ وَأَمَرَ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ فَيَأْتِيهِ بِرَأْسِهِ وَٱسْتَرْجَعَ وَأَتْبَعَ ٱلرَّسُولَ بِرَسُولٍ آخَرَ يَأْمُرُهُ أَنْ يُدْخِلَ إِلَيْهِ فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ مَا ٱلَّذِي حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ قَالَ ٱلثِّقَةُ بِحِلْمِكَ وَٱلِٱتِّكَالُ عَلَى عَفْوِكَ فَأَمَرَهُ بِٱلْقُعُودِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ أَحَدٌ إِلَّا خَرَجَ فَأَمَرَ[1] فَأُخْرِجَتِ ٱلْجَارِيَةُ وَمَعَهَا عُودُهَا ثُمَّ قَالَ قُلْ لَهَا غَنِّي فَقَالَ لَهَا ٱلْفَتَى غَنِّي

أَفَاطِمَ مَهْلًا بَعْضَ هٰذَا ٱلتَّدَلُّلِ   وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ هَجْرِي فَأَجْمِلِي

فَغَنَّتْهُ فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ [قُلْ] قَالَ تَأْمُرُ لِي بِرَطْلٍ فَأُتِيَ بِرَطْلٍ فَشَرِبَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ قُلْ قَالَ غَنِّي

تَأَلَّقَ ٱلْبَرْقُ نَجْدِيًّا فَقُلْتُ لَهُ   يَا أَيُّهَا ٱلْبَرْقُ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولُ

فَغَنَّتْهُ فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ قُلْ قَالَ تَأْمُرُ لِي بِرَطْلٍ فَأُتِيَ بِرَطْلٍ فَشَرِبَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ قُلْ قَالَ غَنِّي* ٣٤٩

حَبَّذَا رَجْعُهَا إِلَيْهَا يَدَيْهَا   فِي يَدَيْ دِرْعِهَا تَحُلُّ ٱلْإِزَارَا

فَغَنَّتْهُ فَقَالَ لَهُ قُلْ قَالَ تَأْمُرُ لِي بِرَطْلٍ فَأُتِيَ بِرَطْلٍ فَمَا ٱسْتَتَمَّ شُرْبَهُ حَتَّى وَثَبَ فَصَعِدَ عَلَى قُبَّةٍ لِسُلَيْمَانَ فَرَمَى بِنَفْسِهِ عَلَى دِمَاغِهِ فَقَالَ سُلَيْمَانُ إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أَتَرَاهُ ٱلْأَحْمَقَ ٱلْجَاهِلَ ظَنَّ أَنِّي أُخْرِجُ ٱلْجَارِيَةَ إِلَيْهِ وَأَرُدُّهَا إِلَى مِلْكِي يَا غِلْمَانُ خُذُوا بِيَدِهَا فَٱنْطَلِقُوا بِهَا إِلَى أَهْلِهِ

إنْ كَانَ لَهُ أَهلٌ وَإِلّا فَبِيعُوهَا وَتَصَدَّقُوا عَنْهُ فَلَمَّا ٱنْطَلَقُوا بِهَا نَظَرَتْ إلَى حُفْرَةٍ فِي دَارِ سُلَيْمَانَ قَدْ أُعِدَّتْ لِلْمَطَرِ فَجَذَبَتْ نَفْسَهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ

مَنْ مَاتَ عِشْقاً فَلْيَمُتْ هٰكَذَا   لَا خَيْرَ فِي ٱلْحُبِّ بِلَا مَوْتِ

وَزَجَّتْ بِنَفْسِهَا عَلَى دِمَاغِهَا فَمَاتَتْ فَسُرِّيَ عَنْ مُحَمَّدٍ وَأَحْسَنَ صِلَتِي وَذُكِرَ لَنَا أَنَّ مُحَمَّدًا بْنَ حُمَيْدٍ ٱلطُّوسِيَّ كَانَ جَالِساً مَعَ نُدَمَائِهِ يَوْماً فَغَنَّتْ جَارِيَةٌ لَهُ وَرَاءَ ٱلسِّتَارَةِ

يَا قَمَرَ ٱلْقَصْرِ مَتَى تَطْلُعُ   أَشْقَى وَغَيْرِي بِكَ مُسْتَمْتِعُ
إنْ كَانَ رَبِّي قَدْ قَضَى كُلَّ ذَا   مِنْكَ عَلَى رَأْسِي فَمَا أَصْنَعُ

قَالَ وَعَلَى رَأْسِ مُحَمَّدٍ غُلَامٌ بِيَدِهِ قَدَحٌ يَسْقِيهِ فَرَمَى بِٱلْقَدَحِ مِنْ يَدِهِ وَقَالَ تَصْنَعِينَ هٰكَذَا ثُمَّ رَمَى بِنَفْسِهِ مِنَ ٱلدَّارِ إلَى ٱلدِّجْلَةِ فَهَتَكَتِ ٱلْجَارِيَةُ ٱلسِّتَارَةَ ثُمَّ رَمَتْ بِنَفْسِهَا عَلَى أَثَرِهِ فَنَزَلَ ٱلْغَاصَةُ خَلْفَهَا فَلَمْ يَجِدُوا وَاحِدًا مِنْهُمَا فَقَطَعَ مُحَمَّدٌ ٱلشُّرْبَ وَقَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ وَأَخْبَارُ هٰذَا ٱلْبَابِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَتَضَمَّنَهَا مِثْلُ هٰذَا ٱلْكِتَابِ غَيْرَ أَنَّا ٱقْتَصَرْنَا مِنْهَا عَلَى مَا لَا يَكُونُ مَعَهُ مُضْرِبِينَ عَنْهَا وَلَا مُكْثِرِينَ بِهَا وَلَقَدْ كَادَتْ شُهْرَتُهَا لَهُ لِتَمْنَعَنَا عَنْ ذِكْرِهَا غَيْرَ أَنَّهَا كَانَتْ شَاهِدًا لِمَا قَدَّمْنَاهُ وَأَحْبَبْنَا أَنْ يُؤَيِّدَ بِذِكْرِهَا عَلَى مَا شَرَطْنَاهُ

الباب التاسع والاربعون

لَا يُعْرَفُ ٱلْمُقِيمُ عَلَى ٱلعَهْدِ إِلَّا عِنْدَ فِرَاقٍ أَوْ صَدٍّ

مِنْ شَأْنِ مَنْ كَانَ مُجَاوِرًا لِأَحْبَابِهِ وَسَامَحَتْهُ ٱلْأَيَّامُ بِبُلُوغِ مَحَابِّهِ أَنْ يَصْرِفَ خَوَاطِرَهُ إِلَيْهِمْ وَأَنْ لَا يُؤْثِرَ صُحْبَةَ أَحَدٍ غَيْرِهِمْ عَلَيْهِمْ* بَلِ ٣٥٠
ٱلْجَارِي مِنْ عَادَةِ أَهْلِ ٱلْأَدَبِ إِذَا أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ يَسْتَثْقِلُونَ أَنْ يُظْهِرُوا لَهُ ٱلْمَوَدَّةَ بَلْ يَعْتَقِدُونَهَا فِي ٱلْحَقِيقَةِ فَإِذَا كَانَتْ هٰذِهِ حَالَ أَهْلِ ٱلْأَدَبِ مَعَ مَنْ يُعَاشِرُهُمْ مِنْ غَيْرِ ٱلْأَحْبَابِ كَانَ أَحْبَابُهُمْ أَحْرَى أَنْ يَغْلِبُوا عَلَى قُلُوبِهِمْ وَإِنَّمَا يَبِينُ ٱلصَّادِقُ فِي هَوَاهُ إِذَا فَارَقَهُ أَوْ صَدَّ عَنْهُ مَنْ يَهْوَاهُ فَأَقَامَ حِينَئِذٍ عَلَيْهِ وَلَمْ يَنْتَقِلْ إِلَى مَا سِوَاهُ

انشدني احمد بن يحيى النحوي لعمر بن ابي ربيعة

يَقُولُونَ إِنِّي لَسْتُ أَصْدُقُ فِي ٱلْهَوَى ... وَإِنِّيَ لَا أَرْعَاكِ حِينَ تَغِيبُ
فَمَا بَالُ طَرْفِي عَفَّ عَمَّا تَسَاقَطَتْ ... لَهُ أَنْفُسٌ مِنْ مَعْشَرٍ وَقُلُوبُ
عَشِيَّةَ لَا يَسْتَنْكِرُ ٱلْقَوْمُ إِنْ رَأَوْا ... سِفَاهَ ٱلْحِجَى مِمَّنْ يُقَالُ لَبِيبُ
وَلَا نَظْرَةً مِنْ عَاشِقٍ إِنْ مَضَتْ لَهُ ... بِعَيْنِ ٱلصِّبَى كَلَّا ٱلْقِيَامِ لَعُوبُ
يُرَوِّحُ يَرْجُو أَنْ تُحَطَّ ذُنُوبُهُ ... فَرَاحَ وَقَدْ عَادَتْ عَلَيْهِ ذُنُوبُ
وَمَا ٱلشَّكُّ أَسْلَانِي وَلٰكِنْ لِذِي ٱلْهَوَى ... عَلَى ٱلْعَيْنِ مِنِّي فِي ٱلْفُؤَادِ رَقِيبُ

ولقد احسن ذو الرمة حيث يقول

إِذَا غَيَّرَ ٱلنَّأْيُ ٱلْمُحِبِّينَ لَمْ أَجِدْ ... رَسِيسَ ٱلْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ
تَصَرَّفُ أَهْوَاءُ ٱلْقُلُوبِ وَلَا أَرَى ... نَصِيبَكِ مِنْ قَلْبِي لِغَيْرِكِ يُمْنَحُ

أَرَى ٱلْحُبَّ بِٱلْهِجْرَانِ يُمْحَى فَيَمَّحِي ... وَحُبُّكِ مِمَّا يَسْتَجِدُّ وَيَذْبَحُ
أَبِينُ وَشَكْوَى بِٱلنَّهَارِ شَدِيدَةٌ ... عَلَيَّ وَمَا يَأْتِي بِهِ ٱللَّيْلُ أَبْرَحُ
هِيَ ٱلْبُرْءُ وَٱلْأَسْقَامُ وَٱلْهَمُّ ذِكْرُهَا ... وَمَوْتُ ٱلْهَوَى لَوْلَا ٱلتَّنَائِي ٱلْمُبَرِّحُ
إِذَا قُلْتُ تَدْنُو مَيَّةُ ٱغْبَرَّ دُونَهَا ... فَيَافٍ لِطَرْفِ ٱلْعَيْنِ فِيهِنَّ مَطْرَحُ
فَلَا ٱلْقُرْبُ يُبْدِي مِنْ هَوَاهَا مَلَالَةً ... [وَلَا حُبُّهَا] إِنْ تَنْزَحِ ٱلدَّارُ يَنْزَحُ

وقال ايضاً

هَوَاكِ ٱلَّذِي يَنْهَاضُ بَعْدَ ٱنْدِمَالِهِ ... كَمَا هَاضَ حَادٍ مُتْعَبٌ صَاحِبَ ٱلْكَسْرِ
إِذَا قُلْتُ قَدْ وَدَّعْتُهُ رَجَعَتْ بِهِ ... شُجُونٌ وَأَذْكَارٌ تَرَدَّدُ فِي ٱلصَّدْرِ* ٣٥١
وَإِنْ قُلْتُ يَسْلُو حُبَّ مَيَّةَ قَلْبُهُ ... أَبَى حُبُّهَا إِلَّا بَقَاءً عَلَى ٱلْهَجْرِ

وقال ايضاً

يَزِيدُ ٱلتَّنَائِي وَصْلَ خَرْقَاءَ جِدَّةً ... إِذَا خَانَ أَرْمَاثَ ٱلْحِبَالِ وُصُولُهَا
لَقَدْ أُشْرِبَتْ نَفْسِي لِمَيٍّ مَوَدَّةً ... تَقَضَّى ٱللَّيَالِي وَهْيَ بَاقٍ وَسِيلُهَا

وقال ايضاً

فَلَمْ يَبْقَ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ... مِنَ ٱلْوَصْلِ إِلَّا مَا تَجِنُّ ٱلْجَوَانِحُ
أَصَيْدَاءُ هَلْ قَيْظُ ٱلرَّمَادَةِ رَاجِعٌ ... لَيَالِيهِ أَوْ أَيَّامُهُنَّ ٱلصَّوَالِحُ
سَوَاءٌ عَلَيْكَ ٱلْيَوْمَ إِنْصَاعَتِ ٱلنَّوَى ... بِصَيْدَاءَ أَمْ أَنْحَى لَكَ ٱلسَّيْفَ ذَابِحُ
إِذَا لَمْ تَزُرْهَا مِنْ قَرِيبٍ تَنَاوَلَتْ ... بِنَا دَارَ صَيْدَاءَ ٱلْقِلَاصُ ٱلطَّلَائِحُ

وقال ايضاً

وَلَمْ تُنْسِنِي مَيًّا نَوًى ذَاتُ غُرْبَةٍ ... شَطُونٌ وَلَا ٱلْمُسْتَطْرَفَاتُ ٱلْأَوَانِسُ
إِذَا قُلْتُ أَسْلُو عَنْكِ يَا مَيُّ لَمْ يَزَلْ ... مَحَلٌّ لِدَارٍ مِنْ دِيَارِكِ نَاكِسُ
فَكَيْفَ بِمَيٍّ لَا تُوَاتِيكَ دَارُهَا ... وَلَا أَنْتَ طَاوِي ٱلْكَشْحِ مِنْهَا فَيَائِسُ

وقال هدبة بن خشرم

يُجِدُّ ٱلنَّأْيُ ذِكْرَكِ فِي فُؤَادِي ... إِذَا وَهَلَتْ عَلَى ٱلنَّأْيِ ٱلْقُلُوبُ
وَقَدْ عَلِمَتْ سُلَيْمَى أَنَّ عُودِي ... عَلَى ٱلْأَحْدَاثِ ذُو وَتَدٍ صَلِيبُ
عَسَى ٱلْكَرْبُ ٱلَّذِي أَمْسَيْتُ فِيهِ ... يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبُ

وقال آخر

وَإِنِّي وَإِسْمَعِيلَ يَوْمَ ٱفْتِرَاقِنَا ... لَكَالْجَفْنِ يَوْمَ ٱلرَّوْعِ زَايَلَهُ ٱلنَّصْلُ
فَإِنْ أَغْشَ قَوْماً بَعْدَهُ أَوْ أَزُرْهُمُ ... فَكَالْوَحْشِ يُدْنِيهَا مِنَ ٱلْأَنَسِ ٱلْمَحْلُ

وقال العرجي* ٣٥٢

أَلَا أَيُّهَا ٱلرَّبْعُ ٱلَّذِي بَانَ أَهْلُهُ ... فَأَمْسَى قِفَارًا مُوحِشاً غَيْرَ آهِلِ
هَلَ ٱنْتَ مُجِيبٌ أَيْنَ أَهْلُكَ ذَاهَوًى ... وَأَنْتَ خَبِيرٌ إِنْ نَطَقْتَ لِسَائِلِ
وَأَيُّ بِلَادِ ٱللهِ حَلُّوا فَإِنَّنِي ... عَلَى ٱلْعَهْدِ رَاعٍ لِلْحَبِيبِ ٱلْمُزَايِلِ

وقال الحسين بن الضحاك

لَشَتَّانَ إِشْفَاقِي عَلَيْكِ وَقَسْوَةٌ ... أَطَلْتِ بِهَا شَجْوَ ٱلْفُؤَادِ عَلَى ٱلْعَمْدِ
وَمَا حُلْتُ لِلْهِجْرَانِ عَنْ حَالِ صَبْوَةٍ ... إِلَيْكِ وَلٰكِنْ حَالَ جِسْمِي عَنِ ٱلْعَهْدِ

وقال الحسحاس الاسدي

فَمَا بَيْضَةٌ بَاتَ ٱلظَّلِيمُ يَحُفُّهَا ... وَيَرْفَعُ عَنْهَا جُؤْجُؤًا مُتَجَافِيَا
وَيَكْشِفُ عَنْهَا وَهْيَ بَيْضَاءُ ظِلَّهُ ... وَقَدْ رَاجَعَتْ قَرْنًا مِنَ ٱلشَّمْسِ ضَاحِيَا
بِأَحْسَنَ مِنْهَا يَوْمَ قَالَتْ أَرَائِحٌ ... مَعَ ٱلرَّكْبِ أَمْ ثَاوٍ لَدَيْنَا لَيَالِيَا
فَإِنْ تَبْقَ لَا تَمْلِكْ وَإِنْ تُضْحِ غَادِيًا ... تَزَوَّدْ وَتَرْجِعْ عَنْ عُمَيْرَةَ وَاقِيَا

وقال تأبط شرًا

أَلَمْ تَسْلُ ٱلْيَوْمَ ٱلْحُمُولُ ٱلْبَوَاكِرُ ... بَلَى فَٱعْتَرِفْ صَبْرًا فَهَلْ أَنْتَ صَابِرُ
وَشَاقَتْكَ هِنْدٌ يَوْمَ فَارَقَ أَهْلُهَا ... بِهَا أَسَفاً إِنَّ ٱلْخُطُوبَ تُغَادِرُ
فَإِنْ تَصْرِمِينِي أَوْ تُسِيئِي لِعِشْرَتِي ... فَإِنِّي لَصَرَّامُ ٱلْقَرِينِ مُعَاشِرُ

وقال ابو ذؤيب الهذلي

فَإِنْ وَصَلَتْ حَبْلَ ٱلصَّفَاءِ نَدُمْ لَهَا   وَإِنْ صَرَمَتْهُ فَٱنْصَرِفْ عَنْ تَجَامُلِ
لَعَمْرِي لَأَنْتَ ٱلْبَيْتُ أُكْرِمُ أَهْلَهُ   وَأَقْعُدُ فِي أَفْنَائِهِ بِٱلْأَصَائِلِ
وَفِيكَ ٱلَّتِي لَا يَبْرَحُ ٱلْقَلْبَ حُبُّهَا   وَأَذْكُرُهَا مَا أَرْزَمَتْ أُمُّ حَائِلِ
٣٥٣ وَحَتَّى يَؤُوبَ ٱلْقَارِظَانِ كِلَاهُمَا   وَيُنْشَرَ فِي ٱلْهَلْكَى كُلَيْبُ لِوَائِلِ *

وقال زهير

تَأَوَّبَنِي ذِكْرُ ٱلْأَحِبَّةِ بَعْدَمَا   هَجَعْتُ وَدُونِي قُلَّةُ ٱلْحَزْنِ وَٱلرَّمْلُ
وَكُلُّ مُحِبٍّ يُحْدِثُ ٱلنَّأْيُ بَعْدَهُ   سُلُوَّ فُؤَادٍ غَيْرَ حُبِّكِ مَا يَسْلُو

وقال جميل بن معمر

وَمَا أَحْدَثَ ٱلنَّأْيُ ٱلْمُفَرِّقُ بَيْنَنَا   سُلُوًّا وَلَا طُولُ ٱجْتِمَاعٍ تَقَالِيَا
كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنٌ إِذَا كَانَ بَعْدَهُ   تَلَاقٍ وَلٰكِنْ مَا إِخَالُ تَلَاقِيَا

وقال عروة بن حزام

فَوَٱللهِ لَا أَنْسَاكِ مَا هَبَّتِ ٱلصَّبَا   وَمَا أَعْقَبَتْهَا فِي ٱلْبِحَارِ جَنُوبُ
وَلَسْتُ أَرَى نَفْسِي عَلَى طُولِ نَأْيِكُمْ   وَبُعْدِكِ مِنِّي مَا حَيِيتُ تَطِيبُ
فَأَوَّلُ ذِكْرِي أَنْتِ فِي كُلِّ مُصْبَحٍ   وَآخِرُ ذِكْرِي عِنْدَ كُلِّ غُرُوبِ
فَوَاكَبِدَا أَضْحَتْ قَرِيحًا كَأَنَّمَا   تُلَذِّعُهَا بِٱلْكَيِّ كَفُّ طَبِيبِ

وقال آخر

لَا وَٱلَّذِي عَمَدَ ٱلْحُجَّاجُ كَعْبَتَهُ   فَهُمْ سِرَاعٌ إِلَى مَرْضَاتِهِ وُفُقُ
لَا تَذْهَلُ ٱلنَّفْسُ عَنْ لَيْلَى وَإِنْ ذَهِلَتْ   مَا دَامَ لِلْهَضْبِ هَضْبِ ٱلْغَايَةِ ٱلْبُرُقُ

وقال البحتري

تَقَضَّى ٱلصِّبَى إِلَّا خَيَالًا يَعُودُنِي   بِهِ ذُو دَلَالٍ أَحْوَرُ ٱلطَّرْفِ فَاتِرُهْ
فَيُذْكِرُنِي ٱلْوَصْلَ ٱلْقَدِيمَ وَلَيْلَةً   لَدَى سَمُرَاتِ ٱلْجِزْعِ إِذْ نَامَ سَامِرُهْ

وَعَهْدًا أَبَيْنَا فِيهِ إِلَّا تَبَايُنَا ... فَلَا أَنَا نَاسِيهِ وَلَا هُوَ ذَاكِرُهْ
إِذَا ٱلْتَهَبَتْ فِي لَحْظِ عَيْنَيْهِ غَضْبَةٌ ... رَأَيْتُ ٱلْمَنَايَا فِي ٱلنُّفُوسِ تُؤَامِرُهْ

وقال الضحاك بن عقيل

أَسَمْرَاءُ إِنَّ ٱلْيَأْسَ مُسْلٍ ذَوِي ٱلْهَوَى ... وَنَأْيُكِ عِنْدِي زَادَ قَلْبِي بِكُمْ وَجْدَا *٣٥٤
أَرَى حَرَجًا مَا نِلْتُ مِنْ وُدِّ غَيْرِكُمْ ... وَنَافِلَةً مَا نِلْتُ مِنْ وُدِّكُمْ رُشْدَا

وقال الهذلي

وَإِنِّي عَلَى أَنْ قَدْ تَجَشَّمْتُ هَجْرَهَا ... لِمَا ضَمَّنَتْنِي أُمُّ عَمْرٍو لَضَامِنُ
يُوَافِيكَ مِنْهَا طَارِقٌ كُلَّ لَيْلَةٍ ... حَبِيبٌ كَمَا وَافَى ٱلْغَرِيمَ ٱلْمُدَايِنُ

وقال ابن الدمينة

وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِيكِ حَتَّى كَأَنَّمَا ... عَلَيَّ بِظَهْرِ ٱلْغَيْبِ مِنْكِ رَقِيبُ
حِذَارَ ٱلْقِلَى وَٱلصَّرْمِ مِنْكِ وَإِنَّنِي ... عَلَى ٱلْعَهْدِ مَا دَاوَمْتِنِي لَصَلِيبُ
فَيَا حَسَرَاتِ ٱلنَّفْسِ مِنْ غُرْبَةِ ٱلنَّوَى ... إِذَا ٱقْتَسَمَتْهَا نِيَّةٌ وَشُعُوبُ
وَمِنْ خَطَرَاتٍ تَعْتَرِينِي وَزَفْرَةٍ ... لَهَا بَيْنَ جِلْدِي وَٱلْعِظَامِ دَبِيبُ

أَمَّا هٰذَا فَقَدْ أَحْسَنَ فِي ٱلْبَيْتِ ٱلْأَوَّلِ وَبَرَدَ فِي ٱلْبَيْتِ ٱلثَّانِي إِذْ جَعَلَ عِلَّتَهُ فِي ٱلْوَفَاءِ لَهَا حِذَارَ قِلَاهَا وَصَرْمِهَا وَعَلَى أَنَّهُ لَمْ يَرْضَ أَيْضًا بِذٰلِكَ حَتَّى جَعَلَ مُدَاوَمَتَهُ عَلَيْهَا مُتَّصِلَةً بِمُدَاوَمَتِهَا عَلَيْهِ لَا غَيْرَ وَهٰذِهِ حَالٌ مُفْرِطَةُ ٱلْخَسَاسَةِ مُتَنَاهِيَةُ ٱلْقَبَاحَةِ

ولبعض اهل هذا العصر

يَا غَارِسَ ٱلْحُبِّ بَيْنَ ٱلْقَلْبِ وَٱلْكَبِدِ ... هَتَكْتَ بِٱلْهَجْرِ بَيْنَ ٱلصَّبْرِ وَٱلْجَلَدِ
إِذَا دَعَا ٱلْيَأْسُ قَلْبِي عَنْكَ قَالَ لَهُ ... حُسْنُ ٱلرَّجَاءِ فَلَمْ يَصْدُرْ وَلَمْ يَرِدِ
يَا مَنْ تَقُومُ مَقَامَ ٱلْمَوْتِ فُرْقَتُهُ ... وَمَنْ يَحِلُّ مَحَلَّ ٱلرُّوحِ مِنْ جَسَدِي
قَدْ جَاوَزَ ٱلشَّوْقُ بِي أَقْصَى مَرَاتِبِهِ ... فَإِنْ طَلَبْتُ مَزِيدًا مِنْهُ لَمْ أَجِدِ

وَاللهِ لَا أَلِفَتْ نَفْسِي سِوَاكَ وَلَوْ   فَرَّقْتَ بِالْهَجْرِ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ
إِنْ تُوفِ لِي لَا أُرِدْ مَا دُمْتُ لِي بَدَلًا   وَإِنْ تَعَزَّيْتُ لَمْ أَرْكَنْ إِلَى أَحَدِ

وقال آخر

٣٥٥ أَهَجْرًا وَقَيْدًا وَاشْتِيَاقًا وَغُرْبَةً   وَهَجْرَ حَبِيبٍ إِنَّ ذَا لَعَظِيمُ*
وَإِنَّ امْرَءًا دَامَتْ مَوَاثِيقُ عَهْدِهِ   عَلَى مِثْلِ مَا قَاسَيْتُهُ لَكَرِيمُ

وقال معاذ ليلى

وَلِلنَّفْسِ سَاعَاتٌ تَهِشُّ لِذِكْرِهَا   فَتَحْيَى وَسَاعَاتٌ لَهَا تَسْتَكِينُهَا
فَإِنْ تَكُ لَيْلَى اسْتَوْدَعَتْنِي أَمَانَةً   فَلَا وَأَبِي لَيْلَى إِذًا لَا أَخُونُهَا

وقال المؤمل

لَسْنَا بِسَالِينَ إِنْ سَلَوْا أَبَدًا   عَنْهُمْ وَلَا صَابِرِينَ إِنْ صَبَرُوا
نَحْنُ إِذًا فِي الْجَفَاءِ مِثْلُهُمُ   إِذَا هَجَرْنَاهُمُ كَمَا هَجَرُوا
إِنْ يَقْطَعُونَا فَطَالَمَا وَصَلُوا   وَإِنْ يَغِيبُوا فَرُبَّمَا حَضَرُوا

وقال البحتري

أُلَامُ عَلَى هَوَاكِ وَلَيْسَ عَدْلًا   إِذَا أَحْبَبْتُ مِثْلَكِ أَنْ أُلَامَا
أَعِيدِي فِيَّ نَظْرَةَ مُسْتَثِيبٍ   تَوَخَّى الْهَجْرَ أَوْ كَرِهَ الْأَثَامَا
تَرَيْ كَبِدًا مُحَرَّقَةً وَعَيْنًا   مُؤَرَّقَةً وَقَلْبًا مُسْتَهَامَا
لَئِنْ أَضْحَتْ مَحَلَّتُنَا عِرَاقًا   مُشَرِّقَةً وَحِلَّتُهَا شَآمَا
فَلَمْ أُحْدِثْ لَهَا إِلَّا وِدَادًا   وَلَمْ أَزْدَدْ بِهَا إِلَّا غَرَامَا

وقال ايضاً

هَجَرَتْنَا عَنْ غَيْرِ جُرْمٍ نَوَارُ   وَلَدَيْهَا الْحَاجَاتُ وَالْأَوْطَارُ
وَأَقَامَتْ بِجَوِّ بِطْيَاسَ حَتَّى   كَثُرَ اللَّيْلُ دُونَهَا وَالنَّهَارُ
إِنْ جَرَى بَيْنَنَا وَبَيْنَكِ هَجْرٌ   وَتَنَاءَتْ مِنَّا وَمِنْكِ الدِّيَارُ

فَٱلْغَلِيلُ ٱلَّذِي عَلِمْتِ مُقِيمٌ وَٱلدُّمُوعُ ٱلَّتِي عَهِدْتِ غِزَارُ

وقال مجنون بني عامر

وَتَعْذُبُ لِي مِنْ غَيْرِهَا فَأَعَافُهَا مَشَارِبُ فِيهَا مُقْنِعٌ لَوْ أُرِيدُهَا* ٣٥٦
وَأَمْنَحُهَا أَقْصَى هَوَايَ وَإِنَّنِي عَلَى ثِقَةٍ مِنْ أَنَّ حَظِّي صُدُودُهَا

وقال نصيب

أَصَدَّتْ غَدَاةَ ٱلْجِزْعِ ذِي ٱلطَّلْحِ زَيْنَبُ تُقَطِّعُ مِنْهَا حَبْلَهَا أَمْ تُقَضَّبُ
وَقَدْ عَبِثَتْ فِيمَا مَضَى وَهْيَ خُلَّةٌ صَدِيقٌ لَنَا أَوْذَاكَ مَا كُنْتُ أَحْسِبُ
تَرَى عَجَباً فِي غِبْطَةٍ أَنْ نَزُورَهَا وَنَحْنُ بِهَا مِنْهَا أَسَرُّ وَأَعْجَبُ
وَفِي ٱلرَّكْبِ جُثْمَانِي وَنَفْسِي رَهِينَةٌ لِزَيْنَبَ لَمْ أَذْهَبْ بِهَا حِينَ أَذْهَبُ
فَبَانَتْ وَلَا يُنْسِيكَهَا ٱلنَّأْيُ إِنَّهَا عَلَى نَأْيِهَا نَصْبٌ لِقَلْبِكَ مُنْصِبُ

وقال آخر

حَلَفْتُ لَهَا بِمَا نَحَتَتْ قُرَيْشٌ يَمِيناً وَٱلسَّوَانِحِ يَوْمَ جَمْعِ
لَأَنْتِ عَلَى ٱلتَّنَائِي فَٱعْلَمِيهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ بَصَرِي وَسَمْعِي

الباب الخمسون

قَلِيلُ ٱلْوَفَاءِ بَعْدَ ٱلْوَفَاةِ أَجَلُّ مِنْ كَثِيرِهِ وَقْتَ ٱلْحَيَاةِ

أَلْوَفَاءُ ٱسْمٌ لِلثَّبَاتِ عَلَى ٱلشَّرَائِطِ فَكُلُّ مَنْ عَقَدَ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ عَقَدَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ بِمَنْ يَلْزَمُهُ عَقْدُهُ شَيْئاً فَثَبَتَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَزُلْ عَنْهُ سُمِّيَ مُوفِياً وَكُلُّ مَنْ شَرَطَ عَلَى نَفْسِهِ شَرْطاً [وَ] زَالَ عَنْهُ لِلزَّوَالِ سُمِّيَ غَادِرًا وَلَيْسَ يُسَمَّى مُوفِياً مَنْ فَعَلَ فِعْلاً جَمِيلاً لَمْ يَشْرِطْ عَلَى نَفْسِهِ فِعْلَهُ وَلَا شَرَطَهُ

عَلَيْهِ مَنْ يُلْزِمُهُ شَرْطَهُ وَلَا يُسَمَّى غَادِرًا مَنْ فَعَلَ فِعْلًا قَبِيحًا لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ تَرْكُهُ وَلَا شَرَطَ عَلَيْهِ مَنْ يَجِبُ شَرْطُهُ فَالْمَحْبُوبُ [يَكُونُ] مُوفِيًا لِمُحِبِّهِ وَيَكُونُ غَادِرًا بِعَهْدِهِ وَالْمُحِبُّ لَا يَكُونُ مُوفِيًا وَلَا غَادِرًا لِأَنَّ مَحَبَّتَهُ قَائِدَةٌ لَهُ إِلَى مَحَابِّ إِلْفِهِ فِيمَا يَصْلُحُ الِانْقِيَادُ إِلَى مِثْلِهِ فَهُوَ يَأْتِي طَاعَتَهُ بِطَبْعِهِ لَا وَفَاءً بِشَرْطٍ لَزِمَهُ وَكُلُّ مَنْ لَمْ يَصْلُحْ أَنْ يُسَمَّى مُوفِيًا لَمْ يَصْلُحْ أَنْ يُسَمَّى غَادِرًا وَإِنَّمَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ الْمَحْبُوبُ مُوفِيًا وَغَادِرًا لِأَنَّهُ يَأْتِي مَا يَأْتِيهِ مُخْتَارًا وَيَشْرِطُ لِإِلْفِهِ الشَّرَائِطَ عَلَى نَفْسِهِ فَيَفْعَلُ مَا ضَمِنَ أَوْ يَتْرُكُهُ فَيَكُونُ مُوفِيًا أَوْ غَادِرًا بِفِعْلِهِ أَوْ
٣٥٧ تَرْكِهِ وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ* مِنْ أَنَّ الْمُحِبَّ لَا يَكُونُ مُوفِيًا وَلَا غَادِرًا إِنَّمَا هُوَ مَا دَامَتْ مَحَبَّتُهُ قَائِمَةً فَأَمَّا إِذَا زَالَتِ الْمَحَبَّةُ بِسُلُوٍّ عَارِضٍ أَوْ بِوَفَاةِ الْمَحْبُوبِ فَالْمُحِبُّ حِينَئِذٍ يَكُونُ مُوفِيًا غَادِرًا

قالت امرأة من عامر بن صعصعة

وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِيهِ وَالتُّرْبُ بَيْنَنَا ... كَمَا كُنْتُ أَسْتَحْيِيهِ حِينَ يَرَانِي
أَهَابُكَ إِجْلَالًا وَإِنْ كُنْتَ فِي الثَّرَى ... لِوَجْهِكَ يَوْمًا إِنْ يَسُوءَكَ مَكَانِي

وَيُرْوَى عَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ أَنَّهَا زَارَتْ يَوْمًا قَبْرَ زَوْجِهَا وَعَلَيْهَا حُلِيٌّ وَثِيَابٌ مُصَبَّغَةٌ فَالْتَزَمَتِ الْقَبْرَ ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ

يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ يَا مَنْ كَانَ يَنْعَمُ بِي ... عَيْشًا وَيُكْثِرُ فِي الدُّنْيَا مُوَاتَاتِي
نَسِيتَ مَا كُنْتَ مِنْ قُرْبِي تُحِبُّ وَمَا ... قَدْ كَانَ يُلْهِيكَ مِنْ تَرْجِيعِ أَصْوَاتِي
أَزُورُ قَبْرَكَ فِي حَلْيٍ وَفِي حُلَلٍ ... كَأَنَّنِي لَسْتُ مِنْ أَهْلِ الْمُصِيبَاتِ
فَمَنْ رَآنِي مِنْ حُزْنِي مُفَجَّعَةً ... طَوِيلَةَ الْحُزْنِ فِي زُوَّارِ أَمْوَاتِ

فَبَيْنَا هِيَ مُلْتَزِمَةُ الْقَبْرِ إِذْ شَهَقَتْ شَهْقَةً فَمَاتَتْ وَلَيْسَ مَوْتُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا بِمُدَّةٍ نَقْضًا لِمَا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ فِي الْبَابِ [الَّذِي]

ذَكَرْنَا فِيهِ أَنَّ مَنْ يَئِسَ مِمَّنْ يَهْوَاهُ فَلَمْ يَلْتَمِتْ مِنْ وَقْتِهِ سَلاهُ لِمَا قَدَّمْنَا فِي ذٰلِكَ مِنَ ٱلْبُرْهَانِ وَأَرَيْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْأَمْثَالِ وَنَحْنُ نَقُولُ ٱلْآنَ مَنْ فَجَأَهُ ٱلْحُزْنُ دَفْعَةً وَاحِدَةً مِنْ غَيْرِ مُقَدِّمَةٍ حَتَّى يَمْضِيَ عَلَيْهِ مُـدَّةُ خَوْفٍ جَوًى وَلَا حِذَارٍ طَبِيعِيٍّ لَمْ يُسْتَنْكَرْ مِنْهُ أَنْ يَزُولَ تَمْيِيزُهُ فَلَا يَفْهَمَ مَا نَزَلَ بِهِ حَتَّى تَمْضِيَ عَلَيْهِ مُدَّةٌ مُتَطَاوِلَةٌ فَرُبَّمَا ٱنْحَلَّتْ سَكْرَتُهُ إِلَى إِفَاقَةِ سُلُوٍّ مُرِيحٍ وَرُبَّمَا ٱنْحَلَّتْ بِوُقُوعِ تَلَفٍ صَحِيحٍ وَعَلَى أَنَّ ٱلضَّنِينَ ٱلْمُشْفِقَ ٱلْعَالِمَ بِنُوَبِ ٱلزَّمَانِ وَٱلْمُسْتَعِدَّ لِخُطُوبِ ٱلْأَيَّامِ قَدْ يَلْحَقُـهُ بِمُفَاجَأَةِ ٱلْمَكْرُوهِ مَا يُزِيلُ تَمْيِيزَهُ وَيُبْطِلُ تَدْبِيرَهُ وَيُنْسِيهِ مَـا كَانَ ذَاكِرًا لَهُ وَلِمُعْتَرِفَاتِهِ وَهٰذَا عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّـابِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ نَالَـهُ مِنْ وَفَاةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَا خَفَاءَ بِهِ عَلَى ٱلْخَاصَّةِ وَلَا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ ٱلْعَامَّةِ مِنِ ٱنْتِضَائِهِ سَيْفَهُ وَقَوْلِهِ إِنَّ رَسُولَ ٱللهِ لَا يَمُوتُ وَلَيَقُومَنَّ فَلَيُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَ رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ حَتَّى قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ إِنَّ ٱللهَ جَلَّ وَعَزَّ يَقُولُ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ قَالَ عُمَرُ رَضِيَ ٣٥٨ ٱللهُ عَنْهُ* فَكَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ إِلَّا يَوْمَئِذٍ وَيُرْوَى عَنْ إِبَانِ بْنِ تَغْلِبَ أَنَّهُ قَالَ بَيْنَا أَنَا فِي بَعْضِ ٱلْفَلَوَاتِ فِي طَلَبِ ذَوْدٍ ضَالَّةٍ إِذْ بَصُرْتُ بِجَـارِيَةٍ أَعْشَى إِشْرَاقُ وَجْهِهَا بَصَرِي فَقَالَتْ لِي مَا لِي أَرَاكَ مُدَلَّهًا قُلْتُ فِي طَلَبِ ذَوْدٍ لِي ضَالَّةٍ قَالَتْ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى مَنْ يَعْلَمُ عِلْمَهُنَّ فَإِنْ شَاءَ رَدَّهُنَّ عَلَيْكَ قُلْتُ نَعَمْ بِأَبِي أَنْتِ مُسْرِعًا قَـالَتْ إِنَّ ٱلَّذِي أَعْطَاكَهُنَّ هُوَ ٱلَّـذِي أَخَذَهُنَّ فَٱسْأَلْهُ مِنْ طَرِيقِ ٱلْيَقِينِ لَا مِنْ طَرِيقِ ٱلِٱخْتِيَارِ فَلَمَّا رَأَيْتُ حُسْنَ مَنْظَرِهَا وَحَلَاوَةَ مَنْطِقِهَا قُلْتُ هَلْ لَـكِ مِنْ زَوْجٍ قَـالَتْ كَانَ فَدُعِيَ فَعَادَ إِلَى مَا مِنْهُ خُلِقَ فَأَجَابَ فَقُلْتُ فَهَـلْ لَـكِ مِنْ زَوْجٍ لَا تُخْشَى بَوَائِقُهُ وَلَا تُذَمُّ خَلَائِقُهُ فَأَطْرَقَتْ مَلِيًّا وَعَيْنَاهَا تَهْمِلَانِ بِالدُّمُوعِ

ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ

كُنَّا كَغُصْنَيْنِ فِي أَرْضٍ غِذَاؤُهُمَا   مَاءُ ٱلْجَدَاوِلِ فِي رَوْضَاتِ جَنَّاتِ
وَكَانَ عَاهَدَنِي إِنْ خَانَنِي زَمَنٌ   أَلَّا يُضَاجِعَ أُنْثَى بَعْدَ مَثْوَاتِي
وَكُنْتُ عَاهَدْتُهُ أَيْضاً فَعَاجَلَهُ   رَيْبُ ٱلْمَنُونِ قَرِيباً مُذْ سُنَيَّاتِ
فَٱرْدَعْ عِنَانَكَ عَمَّنْ لَيْسَ يَخْلُبُهَا   عَنِ ٱلْوَفَاءِ خِلَابٌ بِٱلتَّحِيَّاتِ

وَيُرْوَى عَنِ ٱلْأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ قَالَ دَخَلْتُ فَإِذَا أَنَا بِٱمْرَأَةٍ تَنُوحُ عَلَى قَبْرٍ وَهِيَ مُسْفِرَةٌ فَلَمَّا رَأَتْنِي غَطَّتْ وَجْهَهَا ثُمَّ كَشَفَتْهُ فَقَالَتْ

لَا صُنْتُ وَجْهاً كُنْتَ صَائِنَهُ يَوْماً   وَوَجْهُكَ فِي ٱلثَّرَى يَبْلَى
يَا عِصْمَتِي فِي ٱلنَّائِبَاتِ وَيَا   رُكْنِي ٱلْقَوِيَّ وَيَا يَدِي ٱلْيُمْنَى

وقال آخر

وَقَائِلَةٍ لَمَّا رَأَتْنِي مُدَلَّهًا   أُنَادِيكَ تَارَاتٍ وَأَبْكِيكَ تَارَاتِ
لَقَدْ كُنْتَ جَلْدًا لِلرَّزِيَّاتِ قَبْلَهَا   فَقُلْتُ لَهَا لَيْسَتْ كَإِحْدَى ٱلرَّزِيَّاتِ
أَصَابَ بِكَ ٱلدَّهْرُ ٱلرَّزِيَّةَ وَٱشْتَفَى   بِيَوْمِكَ مِنْ أَيَّامِ لَهْوِي وَلَذَّاتِي

وقالت ليلى الاخيلية ترثي توبة بن الحمير* ٣٥٩

وَأَقْسَمْتُ أَبْكِي بَعْدَ تَوْبَةَ هَالِكاً   وَأَحْفِلُ مَنْ دَارَتْ عَلَيْهِ ٱلدَّوَائِرُ
لَعَمْرُكَ مَا بِٱلْمَوْتِ عَارٌ عَلَى ٱلْفَتَى   إِذَا لَمْ تُصِبْهُ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلْمَعَايِرُ
وَلَا ٱلْحَيُّ مِمَّا يُحْدِثُ ٱلدَّهْرُ مُعْتَبٌ   وَلَا ٱلْمَيْتُ إِنْ لَمْ يَصْبِرِ ٱلْحَيُّ نَاشِرُ
وَمَا أَحَدٌ حَيًّا وَإِنْ كَانَ نَاجِياً   بِأَخْلَدَ مِمَّنْ غَيَّبَتْهُ ٱلْمَقَابِرُ
وَكُلُّ شَبَابٍ أَوْ جَدِيدٍ إِلَى بِلًى   وَكُلُّ ٱمْرِئٍ يَوْماً إِلَى ٱللهِ صَائِرُ

وَذَكَرُوا أَنَّهَا دَخَلَتْ عَلَى ٱلْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ يَوْماً فَقَالَ لَهَا بَلَغَنِي أَنَّكِ مَرَرْتِ عَلَى قَبْرِ تَوْبَةَ فَعَدَلْتِ عَنْهُ فَوَٱللهِ مَا وَفَيْتِ لَهُ وَلَوْ كَانَ مَكَانَكِ مَا عَدَلَ عَنْ قَبْرِكِ فَقَالَتْ أَصْلَحَ ٱللهُ ٱلْأَمِيرَ إِنَّ لِي عُذْرًا قَالَ

وَمَا هُوَ قَالَتْ إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ

وَلَوْ أَنَّ [لَيْلَى] ٱلْأَخْيَلِيَّةَ سَلَّمَتْ عَلَيَّ وَفَوْقِي تُرْبَةٌ وَصَفَائِحُ
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ ٱلْبَشَاشَةِ أَوْ زَقَا إِلَيْهَا صَدًى مِنْ جَانِبِ ٱلْقَبْرِ صَائِحُ

وَكَانَ مَعِي نِسْوَةٌ قَدْ سَمِعْنَ قَوْلَهُ فَكَرِهْتُ أَنْ آمُرَ بِهِنَّ عَلَى قَبْرِهِ فَلَا يَكُونُ مَا قَالَ فَأَكُونَ قَدْ كَذَّبْتُهُ فَٱسْتَحْسَنَ ٱلْحَجَّاجُ ذٰلِكَ مِنْهَا وَأَمَرَ بِقَضَاءِ حَوَائِجِهَا

وقال آخر

دَعَوْتُكَ يَا عَلِيُّ فَلَمْ تُجِبْنِي فَرُدَّتْ دَعْوَتِي يَأْساً عَلَيَّا
بِمَوْتِكَ بَانَتِ ٱللَّذَّاتُ عَنِّي وَكَانَتْ حَيَّةً إِذْ كُنْتَ حَيَّا
فَيَا أَسَفِي عَلَيْكَ وَطُولَ شَوْقِي إِلَيْكَ لَوَ ٱنَّ ذَاكَ يَرُدُّ شَيَّا

وقال البحتري

سَقَى ٱللهُ ٱلْجَزِيرَةَ لَا لِشَيْءٍ سِوَى أَنْ يَرْتَوِي ذَاكَ ٱلْقُلَيْبُ
نَصِيبِي كَانَ مِنْ دُنْيَايَ وَلَّى فَلَا ٱلدُّنْيَا تُحَسُّ وَلَا ٱلنَّصِيبُ
تَوَلَّى ٱلْعَيْشُ إِذْ وَلَّى ٱلتَّصَابِي وَمَاتَ ٱلْحُبُّ إِذْ مَاتَ ٱلْحَبِيبُ

وقال ايضاً

بِنَا أَنْتِ مِنْ مَجْفُوَّةٍ لَمْ تُعَتَّبِ وَمَعْذُورَةٍ فِي هَجْرِهَا لَمْ تُؤَنَّبِ * ٣٦٠
وَنَازِحَةٍ وَٱلدَّارُ مِنْهَا قَرِيبَةٌ وَمَا قُرْبُ ثَاوٍ فِي ٱلتُّرَابِ مُغَيَّبِ

وقال جرير

لَوْلَا ٱلْحَيَاءُ لَعَادَنِي ٱسْتِعْبَارُ وَلَزُرْتُ قَبْرَكِ وَٱلْحَبِيبُ يُزَارُ
كَانَتْ إِذَا هَجَرَ ٱلضَّجِيعُ فِرَاشَهَا صِينَ ٱلْحَدِيثُ وَعَفَّتِ ٱلْأَسْرَارُ
لَا يَلْبَثُ ٱلْقُرَنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمِ وَنَهَارُ

وقال ابو نواس

طَوَى ٱلْمَوْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ... وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِي ٱلْمَنِيَّةُ نَاشِرُ
لَئِنْ عَمِرَتْ دُورٌ بِمَنْ لَا أُحِبُّهُ ... لَقَدْ عَمِرَتْ مِمَّنْ أُحِبُّ ٱلْمَقَابِرُ
وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ ٱلْمَوْتَ وَحْدَهُ ... فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أُحَاذِرُ

وقال آخر

لناظري
كُنْتَ ٱلسَّوَادَ لِمُقْلَةٍ ... تَبْكِي عَلَيْكَ وَنَاظِرُ
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ ... فَعَلَيْكَ كُنْتُ أُحَاذِرُ

وقال اشجع

لَئِنْ أَنَا لَمْ أُدْرِكْ مِنَ ٱلْمَوْتِ ثَارِيَا ... وَلَمْ أَشْفِ قَرْحاً دَامِياً مِنْ فُؤَادِيَا
لَتَخْتَرِمَنِّي ٱلْحَادِثَاتُ وَحَسْرَتِي ... بِأَحْمَدَ فِي سَوْدَاءِ قَلْبِي كَمَا هِيَا
لَقَدْ أَفْسَدَ ٱلدُّنْيَا عَلَيَّ فِرَاقُهُ ... وَكَدَّرَ مِنْهَا كُلَّ مَا كَانَ صَافِيَا
وَأَذْكُرُ أَلَّا نَلْتَقِي فَكَأَنَّمَا ... أُعَالِجُ أَنْفَاسَ ٱلْمَنَايَا ٱلْقَوَاضِيَا
وَيَمْنَعُنِي مِنْ لَذَّةِ ٱلْعَيْشِ أَنَّنِي ... أَرَاكَ إِذَا فَارَقْتُ لَهْواً تَرَانِيَا

وانشدني احمد بن طاهر قال انشدنا ابو تمام لنفسه

هُوَ ٱلدَّهْرُ لَا يُشْوِي وَهُنَّ ٱلْمَصَائِبُ ... وَأَكْثَرُ آمَالِ ٱلنُّفُوسِ كَوَاذِبُ
٣٦١ وَقُلْتُ أَخِي قَالُوا أَخٌ مِنْ قَرَابَةٍ ... فَقُلْتُ نَعَمْ إِنَّ ٱلشُّكُولَ أَقَارِبُ*
نَسِيبِيَ فِي رَأْيِي وَعَزْمٍ وَمَذْهَبٍ ... وَإِنْ بَاعَدَتْنَا فِي ٱلْأُصُولِ ٱلْمَنَاسِبُ
كَأَنْ لَمْ يَقُلْ يَوْماً كَأَنَّ فَتَنْثَنِي ... إِلَى قَوْلِهِ ٱلْأَسْمَاعُ وَهْيَ رَوَاغِبُ
وَلَمْ أَتَجَهَّمْ رَيْبَ دَهْرِي بِرَأْيِهِ ... فَلَمْ يَجْتَمِعْ لِي رَأْيُهُ وَٱلنَّوَائِبُ
عَجِبْتُ لِصَبْرِي بَعْدَهُ وَهْوَ مَيِّتٌ ... وَكُنْتُ ٱمْرَءًا أَبْكِي دَماً وَهْوَ غَائِبُ
عَلَى أَنَّهَا ٱلْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا ... عَجَائِبَ حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ

وانشدني ابو طاهر الدمشقي للحسين بن وهب

سَقَى بِٱلْمُوصِلِ ٱلْقَبْرَ ٱلْغَرِيبَا ... سَحَائِبُ يَنْتَحِبْنَ لَنَا نَحِيبَا

فَـإِنَّ تُرَابَ ذَاكَ ٱلْقَـبْرِ يَحْوِي ... حَبِيباً كَانَ لِي يُـدْعَى حَبِيبَـا
فَقَـدْنَا مِنْـكَ عِلْقاً كَانَ يُـدْنِي ... إِلَيْنَـا ٱلْبِرَّ وَٱلنَّسَبَ ٱلْقَرِيبَـا
فَلَمَّـا بِنْتَ نَـكَّرَتِ ٱللَّيَـالِي ... قَرِيبَ ٱلنَّاسِ وَٱلْأَقْصَى ٱلْغَرِيبَـا
وَأَبْـدَى ٱلـدَّهْرُ قُبْحَ صَحِيفَتَيْهِ ... وَوَجْهاً كَالِحـاً جَهْماً قَطُوبَا
فَـأَحْرِ بِأَنْ يَطِيبَ ٱلْمَوْتُ فِيـهِ ... وَأَحْرِ بِعَيْشِهِ أَلَّا يَطِيبَـا

وقال علي بن محمد العلوي

مَنْ لِي بِمِثْلِكَ يَا رُوحَ ٱلْحَيَـاةِ وَيَا ... يُمْنَى يَدَيَّ وَقَدْ شُلَّتْ مِنَ ٱلْعَضُدِ
مَنْ لِي بِمِثْلِـكَ أَرْعَـاهُ لِحَادِثَةٍ ... تُشْكَى إِلَيْهِ وَلَا تُشْكَى إِلَى أَحَدِ
قَدْ ذُقْتُ أَنْوَاعَ ثُـكْلٍ أَنْتَ أَبْلَغُهَا ... مِنَ ٱلْقُلُوبِ وَأَخْنَاهَـا عَلَى ٱلْجَلَدِ
فَٱلْيَوْمَ لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ أَسْتَرِيحُ لَـهُ ... إِلَّا تَفَتَّتُ أَحْشَائِي مِنَ ٱلْـكَمَـدِ
قُلْ لِلرَّدَى لَا يُغَادِرْ بَعْدَهُ أَحَـدًا ... وَلِلْمَنِيَّـةِ مَنْ أَحْبَبْتِ فَـاعْتَمِدِي
إِنَّ ٱلسُّرُورَ تَقَضَّى يَوْمَ فَـارَقَنِي ... وَآذَنَ ٱلْعَيْشُ بِٱلتَّـكْدِيرِ وَٱلنَّـكَدِ

وقال محمد بن مناذر يرثي صاحبه عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي

كُلُّ حَيٍّ لَاقِي ٱلْحِمَامَ فَمُودِي ... مَـا لِحَيٍّ مُؤَمَّلٍ مِنْ خُلُودِ* ٣٦٢
لَا تَهَـابُ ٱلْمَنُونُ خَلْقاً وَلَا تُبْـ ... ـقِي عَلَى وَالِدٍ وَلَا مَوْلُودِ
فَلَوَ أَنَّ ٱلْأَيَّامَ يُخْلِـدْنَ شَيْئاً ... لِعُـلَاهُ أَخْلَـدْنَ عَبْدَ ٱلْمَجِيـدِ
وَيْحَ أَيْـدٍ حَثَتْ عَلَيْـهِ وَأَيْـدٍ ... غَيَّبَتْـهُ مَـا غَيَّبَتْ فِي ٱلصَّعِيـدِ
إِنَّ عَبْـدَ ٱلْمَجِيـدِ يَوْمَ تَوَلَّى ... هَدَّ رُكْناً مَـا كَانَ بِٱلْمَهْـدُودِ
هَدَّ رُكْنِي عَبْـدُ ٱلْمَجِيدِ وَقَدْ كُنْـ ... ـتُ بِرُكْنٍ أَنُوءُ مِنْـهُ شَدِيـدِ
حِـينَ تَمَّتْ آدَابُـهُ وَتَرَدَّى ... بِرِدَاءٍ مِنَ ٱلشَّبَـابِ جَدِيـدِ
وَسَمَتْ نَحْوَهُ ٱلْعُيُونُ وَمَا كَا ... نَ عَلَيْـهِ لِزَائِـدٍ مِنْ مَزِيـدِ
فَإِذَا مَا ذَكَرْتُـهُ عَرَضَتْ لِي ... غُصَّةٌ فِي ٱللَّهَى وَحَبْلِ ٱلْوَرِيـدِ

وَكَأَنِّي أَدْعُوهُ وَهُوَ قَرِيبٌ حِينَ أَدْعُوهُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدِ
فَلَئِنْ صَارَ لَا يُجِيبُ لَقَدْ كَا نَ سَمِيعاً هَشّاً إِذَا هُوَ نُودِي
كَانَ لِي عِصْمَةً فَأَوْدَى بِهِ الدَّهْ رُ فَيَا حَسْرَةَ الْفَرِيدِ الْوَحِيدِ
يَا فَتًى كَانَ لِلْمَقَامَاتِ زَيْناً لَا أَرَاهُ فِي الْمَشْهَدِ الْمَشْهُودِ
لَهْفَ نَفْسِي أَلَّا أَرَاكَ وَهَلْ عِنْ دَكَ لِي إِنْ دَعَوْتُ مِنْ مَرْدُودِ
خُنْتُكَ الْوُدَّ لَمْ أَمُتْ كَمَدًا بَعْ دَكَ إِنِّي عَلَيْكَ حَقٌّ جَلِيدِ
لَوْ فَدَى الْحَيُّ مَيِّتاً لَفَدَتْ نَفْ سَكَ نَفْسِي بِطَارِفِي وَتَلِيدِي
وَلَئِنْ كُنْتُ لَمْ أَمُتْ مِنْ جَوَى الْحُزْ نِ عَلَيْهِ لَأُبْلِغَنْ مَجْهُودِي
لَأُقِيمَنَّ مَأْتَمًا كَنُجُومِ اللَّيْ لِ غُرًّا يَلْطِمْنَ حُرَّ الْخُدُودِ
مُوجَعَاتٍ يَبْكِينَ لِلْكَبِدِ الْحَ رَّى عَلَيْهِ وَلِلْفُؤَادِ الْعَمِيدِ

ولبعض اهل هذا العصر

أَمِثْلُ الَّذِي أَلْقَى يُقَاوِمُهُ صَبْرُ فَأَصْبِرَ أَمْ مِثْلِي يُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ
لَئِنْ كُنْتُ غِرًّا بِالَّذِي قَدْ لَقِيتُهُ لَفِي فَقْدِ تَمْيِيزِي يَحِقُّ لِيَ الْأَجْرُ *٦٣
تَقَضَّتْ صَبَابَاتِي إِلَيْهِ وَقَصَّرَتْ ظُنُونِي بِهِ بَلْ لَيْسَ ظَنٌّ وَلَا ذِكْرُ
وَكَفَّ رَجَائِي فَاطْمَأَنَّتْ مَخَافَتِي فَلَمْ يَبْقَ لِي إِلَّا التَّأَسُّفُ وَالْفِكْرُ
فَمَا لِي رَجَاءٌ غَيْرَ قُرْبِ مَنِيَّتِي وَلَا خَوْفَ إِلَّا أَنْ يَطُولَ بِيَ الْعُمْرُ
وَلَوْ لَمْ يَحُلْ أَسْرُ الْمَنِيَّةِ بَيْنَهُ وَبَيْنِي لَمْ أَحْفِلْ بِمَا صَنَعَ الدَّهْرُ
فَلَيْتَ الْمَنَايَا وَحْدَهَا سَمَحَتْ بِهِ وَنَازَعَنِيهِ الْبَيْنُ وَالْهَجْرُ وَالْغَدْرُ

وَبَلَغَنِي أَنَّ جَمِيلًا لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ مَنْ يَأْخُذُ نَاقَتِي هٰذِهِ وَمَا عَلَيْهَا وَيَأْتِي مَاءَ بَنِي فُلَانٍ فَيُنْشِدَ عِنْدَهُ هٰذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ حَضَرَهُ أَنَا فَأَنْشَدَهُ

ذَكَرَ النَّعِيُّ وَمَا كَنَا بِجَمِيلِ وَثَوَى بِمِصْرَ ثَوَاءَ غَيْرِ قُفُولِ

غَدَرَ ٱلزَّمَانُ بِفَارِسٍ ذِي بَهْمَةٍ   ثَبْتٍ إِذَا جَعَلَ ٱللِّوَاءُ يَزُولُ

فَلَمَّا قَضَى حَيَاتَهُ أَتَى ٱلرَّجُلُ ٱلْمَاءَ ٱلَّذِي وُصِفَ لَهُ فَأَنْشَدَ ٱلْبَيْتَيْنِ عِنْدَهُ فَخَرَجَتْ بُثَيْنَةُ نَاشِرَةً شَعْرَهَا شَاقَّةً جَيْبَهَا لَاطِمَةً وَجْهَهَا وَهِيَ تَقُولُ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاعِي بِفِيكَ ٱلْحَجَرُ أَمَا وَٱللَّهِ لَئِنْ كَذَبْتَنِي لَقَدْ فَضَحْتَنِي وَلَئِنْ كُنْتَ صَدَقْتَنِي لَقَدْ قَتَلْتَنِي ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ

وَإِنَّ سُلُوِّي عَنْ جَمِيلٍ لَسَاعَةٌ   مِنَ ٱلدَّهْرِ مَا جَاءَتْ وَلَا حَانَ حِينُهَا
سَوَاءٌ عَلَيْنَا يَا جَمِيلُ بْنَ مَعْمَرٍ   إِذَا مُتَّ بَأْسَاءُ ٱلْحَيَاةِ وَلِينُهَا

وَيُقَالُ إِنَّهَا لَمْ تَقُلْ شِعْرًا غَيْرَهُ وَذَكَرُوا أَنَّ عُرْوَةَ بْنَ حِزَامٍ لَمَّا ٱنْصَرَفَ مِنْ عِنْدِ عَفْرَاءَ ٱبْنَةِ عِقَالٍ فَتُوُفِّيَ وَجْدًا بِهَا وَصَبَابَةً إِلَيْهَا مَرَّ بِهِ رَكْبٌ فَعَرَفُوهُ فَلَمَّا ٱنْتَهَوْا إِلَى مَنْزِلِ عَفْرَاءَ صَاحَ صَائِحٌ مِنْهُمْ

أَلَا أَيُّهَا ٱلْقَصْرُ ٱلْمُغَفَّلُ أَهْلُهُ   نَعَيْنَا إِلَيْكُمْ عُرْوَةَ بْنَ حِزَامِ

فَفَهِمَتْ صَوْتَهُ فَفَزِعَتْ وَأَشْرَفَتْ فَقَالَتْ

أَلَا أَيُّهَا ٱلرَّكْبُ ٱلْمُخِبُّونَ وَيْحَكُمْ   بِحَقٍّ نَعَيْتُمْ عُرْوَةَ بْنَ حِزَامِ

فاجابها رجل* من القوم ٣٦٤

نَعَمْ قَدْ تَرَكْنَاهُ بِأَرْضٍ بَعِيدَةٍ   مُقِيمًا بِهَا فِي سَبْسَبٍ وَآكَامِ

فقالت لهم

فَإِنْ كَانَ حَقًّا مَا تَقُولُونَ فَٱعْلَمُوا   بِأَنْ قَدْ نَعَيْتُمْ بَدْرَ كُلِّ ظَلَامِ
فَلَا لَقِيَ ٱلْفِتْيَانُ بَعْدَكَ لَذَّةً   وَلَا رَجَعُوا مِنْ غَيْبَةٍ بِسَلَامِ
وَلَا وَضَعَتْ أُنْثَى تَمَامًا بِمِثْلِهِ   وَلَا فَرِحَتْ مِنْ بَعْدِهِ بِغُلَامِ
وَلَا لَا بَلَغْتُمْ حَيْثُ وُجِّهْتُمُ لَهُ   وَنُغِّصْتُمُ لَذَّاتِ كُلِّ طَعَامِ

ثُمَّ سَأَلَتْهُمْ أَيْنَ دَفَنُوهُ فَأَخْبَرُوهَا فَسَارَتْ إِلَى قَبْرِهِ فَلَمَّا قَارَبَتْهُ قَالَتْ أَنْزِلُونِي فَإِنِّي أُرِيدُ قَضَاءَ حَاجَةٍ فَأَنْزَلُوهَا فَٱنْسَلَّتْ إِلَى ٱلْقَبْرِ فَٱنْكَبَّتْ

عليه فما راعهم إلا صوتها فلما سمعوه بادروا إليها فإذا هي ممدودة على القبر قد خرجت نفسها فدفنوها إلى جنبه تم القول ولله الحمد والمنة والصلاة على رسول الله

قد وفينا بحمد الله من التشبيب بكل ما ضمناه على حسن الترتيب الذي قدمناه فأفردنا له خمسين بابا ووفينا كل باب مئة بيت مع ما دخل فيها من توابع الأبيات وشواهد الاحتجاجات ولو لم يدخل في الباب من الشعر إلا ما يواطئ ترجمته مفردا من كل ما يتصل به لجاء أكثر الأشعار متبترا ولبقي عامة الكلام مستوحشا لأن البيت يقتضي الأبيات والكلام يطلب الاحتجاجات وليس حسنا أن يذكر البيت لمعنى فيه يشاكل الباب وتفرد سائر معانيه المتعلقة بالبيت الذي يليه مما ينتظم معها وينبه على صحتها وحسنها على أنه لو لزمنا أن لا نضمن الباب إلا ما يطابق لفظه مفردا مما يقتضيه ويتصل به ألزمنا تفصيل المصراع من المصراع الذي لا يشاكله حتى لا يكون في البيت كلمة تقتضي معنى ليس الباب موجبا له لأن في أشعار بلغاء العرب الذي يتضمن أوله معنى ويتضمن آخره غيره إذ البلاغة الصحيحة والمخاطبة الفصيحة في جمع المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة وربما تضمن المصراع المتأخر ضد ما يتضمنه المصراع المتقدم ولو فعلنا ذلك لخرج كتابنا عن حد
٣٦٥ العلوم المستعملة* والآداب المستحسنة إلى حد الجهالات المطربة

وَٱلنَّوَادِرِ ٱلْمُضْحِكَةِ وَخَرَجَتِ ٱلْأَبْيَاتُ لِتَقَطُّعِ نِظَامِهَا وَبَتْرِ كَلَامِهَا عَنْ بَابِ ٱلْأَشْعَارِ فَإِذَا كَانَ ٱلِٱخْتِيَارُ وَٱلِٱضْطِرَارُ مَعًا يَمْنَعَانِ مِنْ أَنْ لَا نُدْخِلَ فِي بَابٍ إِلَّا مَا تُوجِبُهُ تَرْجَمَتُهُ ٱلْمُتَقَدِّمَةُ لَهُ إِذًا فَلَا بُدَّ مِنْ إِدْخَالِ ٱلْبَيْتِ مَعَ ٱلْبَيْتِ يُزَاوِجُهُ وَمَعَ ٱلِٱحْتِجَاجِ يُطَابِقُهُ وَإِنْ كَانَ مِمَّا لَوْ أُفْرِدَ فِي نَفْسِهِ لَكَانَ ٱلْبَيْتُ غَنِيًّا عَنْ ذِكْرِهِ وَٱلَّذِي مَنَعَنِي أَنْ أَجْعَلَ أَبْيَاتَ كُلِّ بَابٍ مِئَةً كَامِلَةً فِي خَاصِّيَةِ مَعْنَاهُ سِوَى مَا يَتَّصِلُ بِهِ مِمَّا يَدْخُلُ فِي مَعْنَى سِوَاهُ شَيْئَانِ أَحَدُهُمَا أَنِّي لَوْ فَعَلْتُ ذَٰلِكَ لَمْ أَضْبُطْهُ إِلَّا بِتَحْلِيلِ ٱلْمَقْطُوعَاتِ بَلْ بِٱنْتِخَابِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ ٱلْأَبْيَاتِ وَفِي ذَٰلِكَ مَا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ مِنْ تَهْجِينِ ٱلْكِتَابِ وَتَقْبِيحِ ٱلْأَبْوَابِ وَٱلْآخَرُ أَنَّ ٱلْأَبْوَابَ حِينَئِذٍ كَانَتْ تَكُونُ بِغَيْرِ عَدَدٍ مَحْصُورٍ وَلَا حَدٍّ مَقْصُورٍ وَإِنَّمَا عَمَدْنَا أَنْ يَكُونَ ٱلْكِتَابُ مِأَيَةَ بَابٍ بِمِأَيَةِ بَيْتٍ فَيَشْتَمِلَ طَرَفَاهُ عَلَى عَشَرَةِ آلَافِ بَيْتٍ وَلِلْمُحَافَظَةِ عَلَى ذَٰلِكَ وَٱلْمُرَاعَاةِ لِتَمَامِ ٱلشَّرْطِ فِيهِ أَعَدْتُ فِيمَا ذَكَرْتُهُ مِنْ سَرِقَاتِ ٱلشُّعَرَاءِ خَمْسَةَ أَبْيَاتٍ فَقَدْ مَرَّتْ فِي أَبْوَابِ ٱلْغَزَلِ تَكُونُ قِصَاصًا مِنَ ٱلْخَمْسَةِ ٱلْأَبْيَاتِ ٱلَّتِي فِي ٱلرِّسَالَةِ ٱلْمُقَدَّمَةِ فِي صَدْرِ ٱلْكِتَابِ فَنَحْنُ لِأَنْ لَا يَخْرُجَ ٱلْعَدَدُ عَنْ حَدِّ مَا قَصَدْنَاهُ أَعَدْنَا أَبْيَاتًا قِصَاصًا عَنِ ٱلْأَبْيَاتِ لَيْسَتْ مَحْسُوبَةً فِي بَابٍ وَإِنَّمَا هِيَ مُتَمَثَّلٌ بِهَا فِي عُرُوضِ ٱلْخِطَابِ فَلَوْ سَامَحْنَا فِي أَنْ تَكُونَ ٱلِٱحْتِجَاجَاتُ وَٱلْأَبْيَاتُ ٱلْمُتَعَلِّقَاتُ بِمَا يُشَاكِلُ ٱلْبَابَ مِنَ ٱلْأَبْيَاتِ غَيْرَ دَاخِلَاتٍ فِي ٱلْعَدَدِ لَاسْتَحَالَتِ ٱلتَّسْوِيَةُ بَيْنَ ٱلْأَبْوَابِ وَلَفَسَدَ تَرْتِيبُ ٱلْكِتَابِ

وَنَحْنُ ٱلْآنَ إِنْ شَاءَ ٱللهُ وَقَدْ أَتَيْنَا عَلَى ٱلْخَمْسِينَ ٱلْمَاضِيَةِ مِنَ ٱلْأَبْوَابِ مُبْتَدِئُونَ فِي ٱلْخَمْسِينَ ٱلْبَاقِيَةِ مِنَ ٱلْكِتَابِ فَأَوَّلُ مَا نَشْرَعُ فِيهِ مِنْ

ذٰلِكَ مَا قِيلَ فِي تَعْظِيمِ أَمْرِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَٱلتَّنْبِيهِ عَلَى قُدْرَتِهِ وَٱلدَّلَالَةِ عَلَى آلَائِهِ وَٱلتَّحْذِيرِ مِنْ سَطَوَاتِهِ ثُمَّ نُعَقِّبُ ذٰلِكَ مَا قِيلَ فِي رَسُولِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ نُتْبِعُ ذٰلِكَ مَا قِيلَ فِي ٱلْمُخْتَارِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ رَحْمَةُ ٱللهِ عَلَيْهِمْ وَصَلَوَاتُهُ ثُمَّ نُنَسِّقُ إِلَى آخِرِهَا عَلَى أَحَقِّ ٱلتَّرْتِيبِ بِهَا حَسْبَ مَا تَبْلُغُهُ أَفْهَامُنَا وَيُومِي إِلَيْهِ ٱخْتِيَارُنَا وَإِنَّمَا قَدَّمْتُ أَبْوَابَ ٱلْغَزَلِ مِنْهَا دِيناً وَدُنْيَا وَ[مِمَّا هُوَ] أَدْعَى إِلَى مَصَالِحِ ٱلنَّفْسِ وَأَدْخَلَ فِي
٣٦٦ بَابِ ٱلتَّقْوَى لِأَنَّ مَذْهَبَ ٱلشُّعَرَاءِ أَنْ تَجْعَلَ ٱلتَّشْبِيبَ فِي صَدْرِ كَلَامِهَا* مُقَدِّمَةً لِمَا تُحَاوِلُهُ فِي خِطَابِهَا حَتَّى إِنَّ ٱلشِّعْرَ ٱلَّذِي لَا تَشْبِيبَ لَهُ لَيُلَقَّبُ بِٱلْحَصَا وَتُسَمَّى ٱلْقَصِيدَةُ مِنْهُ ٱلْبَتْرَاءَ وَإِنَّ قَائِلَهَا لَيُخْرَجُ عِنْدَ أَهْلِ ٱلْعِلْمِ بِٱلْأَشْعَارِ عِنْدَ عَمَلٍ يَدْخُلُ فِيهِ ٱلْمَوْصُوفُونَ بِٱلِاقْتِدَارِ وَٱلْمَنْسُوبُونَ إِلَى حُسْنِ ٱلِاخْتِيَارِ فَأَحْبَبْتُ أَنْ لَا أَخْرُجَ فِي تَأْلِيفِ ٱلشِّعْرِ عَنْ مَذْهَبِ ٱلشُّعَرَاءِ دَلِيلًا عَمَّا ضَمِنْتُ مِنْ رِعَايَةِ حُقُوقِ ٱلْمُشَاكَلَةِ وَلَمْ يَصْلُحْ إِذَا ٱنْقَضَى ذِكْرُ ٱلتَّشْبِيبِ بِٱلْغَزَلِ أَنْ أُقَدِّمَ عَلَى أَمْرِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَمْرًا وَلَا أَرْسُمَ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْأَشْعَارِ ٱلدَّالَّةِ عَلَى عَظَمَتِهِ شِعْرًا وَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا مِنَ ٱلشُّعَرَاءِ ٱتَّسَعَ فِي هٰذَا ٱلنَّحْوِ ٱتِّسَاعَ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي ٱلصَّلْتِ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُسْلِمْ فَيُعَظِّمَ ٱلْإِسْلَامُ فِي قَلْبِهِ مَا لَا تُعَظِّمُهُ إِقَامَتُهُ عَلَى كُفْرِهِ وَأَشْعَارُ أَهْلِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ فِي هٰذَا ٱلْمَعْنَى وَمَا كَانَ شَاكَلَهُ أَوْلَى أَنْ يُقَدَّمَ مِنْ أَشْعَارِ ٱلْإِسْلَامِيِّينَ لَا لِسَبْقِهِمْ فِي ٱلزَّمَانِ وَلَا لِتَقَدُّمِهِمْ فِي ٱلْأَسْنَانِ وَلٰكِنْ لِأَنَّ إِقْرَارَ ٱلْخَصْمِ بِدَعْوَى خَصْمِهِ أَقْطَعُ لِلْجَدَلِ مِنِ ٱدِّعَاءِ ٱلْمَرْءِ حَقًّا لِنَفْسِهِ وَإِنْ أَقَامَ ٱلْبَيِّنَةَ بِصِحَّةِ قَوْلِهِ وَنَحْنُ نُقَدِّمُ إِنْ شَاءَ ٱللهُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللهِ مَا نَخْتَارُهُ مِنْ شِعْرِ أُمَيَّةَ وَأَصْحَابِهِ وَٱلدَّاخِلِينَ مَعَهُ فِي بَابِهِ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ لَمْ يَبْلُغُوهُ فَقَدْ رَمَوْا غَرَضَهُ فَقَارَبُوهُ

يَتْلُوهُ ٱلْبَابُ ٱلْحَادِي وَٱلْخَمْسُونَ ذِكْرُ مَا قَالَهُ أُمَيَّةُ
وَنُظَرَاؤُهُ فِي تَعْظِيمِ أَمْرِ ٱللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ
وَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ
وَٱلصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِهِ
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
أَجْمَعِينَ

بَلَغَ هٰذَا ٱلْكِتَابُ ٱلْمُبَارَكُ تَصْحِيحاً وَمُقَابَلَةً مَعَ نُسْخَةِ أَصْلِهِ عَلَى حَسْبِ ٱلْجُهْدِ وَٱلطَّاقَةِ فَصَحَّ وَوَافَقَ فِي ذِي قَعْدَةِ سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةَ وَسَبْعَ مِأَيَةٍ مِنَ ٱلْهِجْرَةِ ٱلنَّبَوِيَّةِ

كُتِبَ مُقَابَلَةً مَعَ ٱلْمَمْلُوكِ محمد بن ابي المقاتل احمد بن فهد بن ابي الفداء اسماعيل بن ابراهيم الحمى ايده الله تعالى

فهرس

الشعراء والرواة الواردة اسماؤهم في كتاب الزهرة

ابيات لم تذكر اسماء اصحابها

NOTES and CORRECTIONS

[Numbers **1-373** refer to pages of this book ; 1-22 to lines. Conventional signs : m = readings of the MS ; ? = suggested emendations not embodied in the printed text ; c = correct ; inc = incorrect verses or passages ; ncl = not clear ; b = better reading, found elsewhere ; mc = MS correct. Brackets indicate restored words or passages. Doubtful or corrupt passages are left without تشكيل. In general the bibliography and abbreviations of Lyall's ed. of المفضليات (M) are used. In addition to works cited therein references are made to DeGœje's ed. of الشعر والشعراء (Q), Bârûdî's مختارات (B, Cairo 1329, 4 vols), كتاب الاغاني (A), recently published and other diwâns (d) and to Cairo editions of امرؤ القيس (1930), جرير (1313), جران العود (1931), ابن الدمينة (1918), الشماخ (1327), بشار بن برد (1925), العباس بن الاحنف (1322) ; to the Constantinople ed. of ابو نواس (1924), ابن الرومي (1298) and الحطيئة (1308) ; to the Beyrouth 1911 ed. of البحتري (2 vols.), and جمال ed. of ابو تمام (n. d.) ; the latter's الحماسة (H, 2 vols.) is quoted from the Cairo 1322 توفيق ed. which is more accessible than Freytag's classic work. Yâqût's معجم (Wüstenfeld) = Y. Typographical errors, especially in the first 50 pages are commended to the benevolence of the reader.]

1 13 m متفصلا 14 m العدرم 17 c لحاق 18-19 ncl 21 m المدلل — المدل بجثيه والمدل

2 1 m احماه 5 m من قوى 12 m ما يفصله 14 m وعو ل به 15 m ومطاع يستطهر
وغالب يستطهر 21 ncl

3 1 m على الاسرار 4 m تطولت بإيثار ضت به على نفسك perhaps : ضننت به على نفسك
21 c اخترته — passage from لك من to مسامعي repeated and crossed out
22 لم تفتقده

4 12 c حتى 14 m يصافه 19 m انكارا 20 m عارا

5 1 c فهو 10 m وقوع 13 c بعد — و of m seems unnecessary
18 m الطفر 19 m التدلل

6 1 c الأحباب 6 m المذرم 7 m الاشتاق 14 c للمدنف 17 c وأملق 19 c لثام

7 2 m من هواه perhaps من ; but cf heading on p. 343 9 c غيره 13 c الرأي
18 ncl, perhaps لا يعرف

8 5 c بقُبـاء Y IV, 23 9 نواظر ? 12 Note under احينوا : اي أهلكوا
13 do. under خاله : ماته 17 do. under and opp. تعرضن : اي توجّهن وقصدنه ;
do. on الخواطف and طائشات from مختار ; cf H II 80

9 1 d II 161 ; note on margin on مرضٌ : المحفوظ حور وهو العين 2 someone
crossed اركانا in MS and wrote انسانا instead. 8 Note on margin :
كل شيء : سروات 9 m جارح 13 Note on margin : القذى : ما يسقط في العين
ظهره ووسطه (مختار) 18 Note on margin : ختل اي خدع ; betw. lines,
under حدق : جمع حدقة ; under المها : جمع مهاة وهي بقرة الوحشة 22 Schwarz
I 11 No. 8, 11-12

10 7 after نظر someone crossed out superfluous اليك 15 c الاعجم cf صالحاني :
الاخطل 5ᵉ fasc. 501, note on p. 320 (S) 16 m ذكري 17 m سدري
18 someone correctly noted : العباس بن الاحنف as the author ; d 101

11 4 Krenkow 164 No. 47 12 m دمامًا 14 corrupt 16 ncl
19 Schw. I 48 No. 54, 16-17 ; I 47 No. 54, 8-9 ; H II 57

12 3 m علق رهن Schw. II No. 296 6 b تُعَدُّ 7 c أرج 10 m غـاطات
11 Macartney 171-2 No. 24, l. 7, 11-12 16 not in Pérès ed. of كثيّر

13 4 d 464 ; B IV 221 6 العباس بن الاحنف 102 11 H II 85 : ابو حيّة النميري
b وغن باكناف الحجاز 14 c كُثيرٌ 20 Pérès I 101-102, l. 1, 4, 2

14 7 d 322, l. 7-9, 42, 10 ; B IV 233 12 Barth ٨, l. 12-14 b اينبذن
20 طوق ٩, مروج (de Meynard) VI 380

15 2 Seligson 107 No. XXVI l. 2 3 p. 80 No. IV l. 15, Ahlwardt ٦٨, l. 15
4 مروج VI 379 ; Massignon, *Al-Hallâj* II 177 10 مروج VI 381
19 مروج VI 385

16 3 m مقدام 4 مروج VI 383 12 c تكون 19 مروج VI 384 b لتملاق ;
foregoing passage ncl 20 مروج VI 381

17 2 مروج VI 378. This whole passage ncl

18 1 مروج VI 384 11 c المتفلسفين The author has forgotten his promise, cf p. 4, l. 8 17 الا is added on the margin ; seems superfluous

19 12 Cf Guillaume's of Poitiers *Obediensa deu portar*

20 2 H II 104 عشمة 7 c خيفق Y II 509 14 c وجدتَهُ 16 H II 112;
عقد (Cairo 1928) IV 21, cf طوق ٤٤

21 4 m مثقلا ; مستثقلا? 9 c فارجع 12 رماني اذا ربّي ? 18 c نعيمان d 293, l. 33

22 11 mc لقد 13 c حبكم 15 رميتُ ? 16 m غبث ، شيئًا 19 m المصافات
20 c المتفلسفين 22 c طوى

23 7 c بكايدت 21 Derenbourg 88, l. 26, 27

24 6 H II 77 22 c [حبّ], missing in MS

25 3 m اری علی نفسه 5 m مفارق لنفسه ncl 10 m عذر 13 m يـاسأ
16 d I 293, l. 6, 11 21 d I 296, l. 3, 5 22 m للقاك

26 1 before ضد the word قول crossed out 4 باذا for ان ? — after الا the word سليماً crossed out — c قَدَرًا 6 m بعدما 8 m هذا

27 m حبالها 6 m تأسّى ncl, تأتي ? 12 d I 88, l. 38, 40 21 A I 50, IV 58, VII 98

29 5 meaning ncl 8 c الحُمين 11 d 285 13 Mac. 637 No. 82, l. 7-8
16 Mac. 652, No. 87, l. 19, 20, 17, 26

30 2 Mac. 600 No. 78, l. 9, 10 8 d and 1928 ed. I 306, b امتحَ سيفكَ من يديك بضربة 19 A VI 179 b وبابي مقحم لمزته

31 9 c امجَل 14 de Gœje 28 No. 3, l. 1-6 16 B IV 215 18 b تالكلا
21 not in de Gœje

32 3 m السّت 10 c شارجا 19 ncl

33 2 Y I 894 10 d II 518, l. 6-8 ; Y I 82 ; in *Moschtarik* الحُزن
20 d 95, l. 29 of معلّقة; S. Gandz (Wien, 1913), *Die Mu'allaqa des Imr.*, 36
22 not in d

34 1 m تقوم ncl 4 m الفوائد 6 c خُطاك 14 c اهـلر 18 m صبر
19 m فرحتان ; قُرحةٌ ? (S.) 22 m غير الف

35 4 name of a tribe ? 5 the first word added by a diff. hand on the margin 8 c الرُصافة ; Y II 784 and 82 9 c لِيَ ، سلوت 10 m نقري، قليل
12 inc 14 c بتبسّم 16 c لا تَيها 20 m بلا 22 ncl

36 2 موجدة — ? بنيره 3 m فيحق — b يُرصدُ بَطهرُ ? ncl 6 Qur. V 21
8 c مكافأة 9 Qur. III 29 15 m مغيب 21 m النبي بايمًا

37 2 c أطيق 9 m عادي — كل 10 بالمن ? — c عندَنـا 17 Nicholson, *A literary history of the Arabs*, 244

38 1 m بغي 10 Mac. 164 No. 23, l. 5, 8 13 d 115, l. 7, 4
14 m فلا دمع لم يبدوا 17 من حرة ? 20 Qur. VIII 2 22 ما لم يكن... فيهم ?

39 1 b أعرَفَ 8 c تشتتي 13 d 296, 347 (Cheikho) has only part of l. 14
16 c موجدة 17 ncl ; m وحده

40 1 not in d 2 c مُرح 7 هـزج 11 m قـط 13 ncl 18 انت التي and corresponding changes ? 21 not in d

41 2 d 454, l. 1-2, b لجزعت 3 c أمّ 6 ncl 7 m مصرعًا 13 m يتالك

42 5 m ما ذقته   13 m عدل   16 d 36, l. 6, 7 ; 37, l. 3 ; H II 115 b كظيم ;
Y II 108, Al-Hamdâni (D. H. Müller), ٢٢٠

43 5 m اورق   6 shows well Ibn Dâwoûd's excessive submission   11 b لتسها
12 m الندلا   13 فقد not in MS   19 m حوضه   22 m للناس

44 5 d 36 has this line as l. 8, d 38 has the other four lines ending the poem ; 1928 ed. I 109, 113

45 4 c في ' ابشرف   9 العباس بن الاحنف d 50 ; B IV 199

46 1 Mac. 85 No. 10, l. 37, 39   17 d 163   20 m من كل حلو   22 d 111

47 6 reminds of كثير   9 m الضم, in H II 75 attributed to كثير   12 m فؤادها
13 m اسنانا   15 Mac. 287 No. 39, l. 20, 12   19 m اذا ما رامتني
20 ابو دهبل ?

48 6 c لم   9 m اشد ما   14 m تشين الكعاب ncl   17 m من دوني inc, perhaps اقواء

49 11 m واحتوت عليك   12 m حارت   14 m خلى الاخا ورا ثم   16 m اعربت
18 نظلم crossed out after يظلم

50 1 m انفسخت   3 m فاستعجمت   4 cf *The Dove's Neck-ring* CII   5 c قلّت
9 Add الكلابي These verses were added during the مقابلة by the writer of the بلغ note on the last page of MS   13 m ناء These verses are also ascribed to الاخطل cf صالحاني 4° fasc., 320 — Geyer (1928), ٢٧١
17 Schw. I 71 No. 90, l. 3, 13, 7, 8, 9 and 72, l. 10, 16   19 m فاشكو
22 Schw. b حقه أن لا يعلمنا

51 1 Added on the margin, not in Schw.   4 m فحقيقة   6 m تودى
8 c فيضعف   17 m الستر   19 ncl   20 m ينطوى، نعلمه ncl   22 m يجد

52 2 m ثم يظهر   4 The words من كان يزعم crossed out in the prose
5 not in d   8 inc   9 c تتيهه   18 m فيحتي   19 m التذلل ، الحارم ، الغدر

53 1 not in d   6 ليل added on the margin   8 Schw. II 239 No. 401 has only the last verse, ending : في سوى هذا اختلف   9 m قناة   11 inc ; غدوت for عيناك ?   15 d I 70, l. 1, 6, 5, 4, 7   22 m جهدا ; c نحسن

54 4 c موجدته   8 d 469, l. 8, 10, 2, 3 of the poem   17 m ولم يكن ما كان
21 Pérès I 53, No. 4 b ملومة   22 do. II 222, No. 11 (refers to A VIII 38)

55 1 Pérès I 32   3 m ان الهوى   14 m اعيدكا   16 m على سخط ' تعقلا
20 not in Pérès

56 2 d I 283, l. 6, 7, 3, 4, 21, 16, 24, 25   3 m برهي   5 m عدت
10 m شيئا   12 m التدلل   17 d I 82, l. 8-10

57 8 m لتنقلهم — خلا فهم ? ncl 10 m غرموا ' انقدوا 17 m لم يذهب
21 d II 408, l. 1, 4

58 3 اقواء 4 not in Y, perhaps ذو القور ; M 258, l. 6 10 d 145
13 d 18 16 B IV 197

59 1 m يفرم 3 cf طوق ٤٠ 21 Barth ٢١ No. XI, l. 1-2

60 2 d 434, l. 5-8 3 m حازم 12 H II 53 ; Y IV 674 21 m الواشون
22 inc ; وانشد ?

61 1 d 438, l. 1-2 7 d 469, four lines 12 d 461, four lines
17 d 293, l. 49 b نعمة, 50 20 d 149 and also 1928 ed. I 351, l. 58, 60 63

62 7 d I 91-92, l. 1-4, 6 8 Y I 82 13-15 d I 176, l. 4, 9, 8 ; B IV 26 ;
Y III 804 13 سُرقت ? 15 c جوانح 17 d II 657, l. 6, 10, 5
21 d I 84, l. 40-41 ; m وعاود لي : very careless writing

63 These verses have been added on the margin during the مقابلة or
possibly by someone else 13 c حيّاني 17 Y II 135

64 1 inc 3 m تحدثوا عليه 5 c أبدين 6 d I 235, l. 7-9 13 m نفر فيه
14 c نُطق 17 أو left out in MS 19 m بذكرك

65 1 inc 4 Schw. I 92 No. 120, l. 12-13 ; 93, l. 3. 6, 8 11 On سيّدتي
cf Jos. Hell, العباس بن الاحنف der Minnesinger am Hofe Hârûn ar-Rachid's,
Islamica, July 1926 ; طوق ٢١ 12 m منها العطا ولاجل This whole passage
is an example of excellent سجع but rather confused thought

66 6 و seems superfluous 8 On this حديث cf Massignon's detailed
statement, *Al-Hallâj* I 174 n. 5 ; طوق ١٠٨ 19 شفينا غليلَ ?

67 2 d 86 5 Schw. I 77, l. 3, 4, 6, 12 7 c لَنوقلْ (S) 9 d الظوالم
11 m الى لا اين 20 لا ارعفك الله ? Lane I 1171

68 9 m مارفات، فبت اسنها ncl, careless writing ; أو رفاتٌ ? 12 m معتبها
14 d I 109, l. 9-10 20 Mac. 616 No. 79, l. 19, 25, 26, 31

69 3 Mac. 487 No. 64, l. 18-19 m ندل ، الحلوة 4 بوصلنا added on the margin
8 m سلك 9 c رُضابه 21 Attributed to ابو صعترة البولاني in H II 68
17 m للها الذي

70 1 m حل ، حل منطوينا for منطوون ? 3 m حل ، اقصَرُ 5 These verses added on the margin during the مقابلة ? 6 c نَعمانَ Y IV 795 9 m تلقينه ;
for نكث read ركب ? 11 cf d 39, 333 13 c بشفتين

71 6 m اثيق 7 m تقفُ 10 m مقترب 11 m ساو اودى 12 m يصطحب
14 m قا ... فم This passage describes excellently *amour courtois* 18 m تحل

19 mالعدل ، تخشون 22 mفا اوليتم

72 1 ncl 9 de Goeje 86, l. 4, 12 13 cقاه 15 m'لكساه perhaps اكساء 17 ncl 19 mاوقاه

73 3 mابطر 4 cإي واقد (S.) 5 cf المستطرف (Cairo 1308), II ١٤٤ (ch. 71), ان اكون ذلكc ; O. Rescher, *Die Gesch. u. Anecd.* aus Qaljûbî's *Nawâdir*, etc., Stuttgart 1920, p. 237 8 mفضل 15 bعجابه ? ncl 22 cسقر

74 7-15 Rather badly constructed passage 19 mفنحشى

75 4 mالف 8 d 54 ; careless, hasty writing 11 ncl 18 mالمروة 21 cمعيب ; ? يجوز بحبوبه

76 6 Mac. 212-213 No. 29, l. 22-23 9 Schwarz, *Gedichte des* معن بن اوس arabischer Text und Commentar, Leipzig, 1903, p. 19, l. 15, 17, bعثان ، عماً ، تعان ; Y I 404 12 H II 83 15 cجهلكة 16 cالحطيم ; حواصن Kowalski No. 4, l. 4, 3

77 2 mاللثاث, cf جمش الحطيئة ٤ : خفة لحمها 6 mحوشة اللثاث برغب 12 H II, 91 has the two first verses 17 M 382, l. 2 ; 383, l. 5 bفي الصحو ارتفع

78 4 inc ; m'روحي هواي 5 mتحديده These نمت قواه على اجى الصفات يطلق لنا عنه verses show that during the مقابلة the علوك failed to indicate faulty passages ; it may be that the نسخة اصلية was already corrupt beyond intelligibility 12 d II 24, l. 10-11 13 mيوازي ، مزنه 18 d 37, l. 6-7 21 Mac. 642-643 No. 83, l. 10-11 22 mوجاجة

79 6 d 53, l. 14-15 ; cطرب الطائر 13 d 13, l. 1, 3 ; cجندب ; mمن بي 14 db ? تطيب 18 d 91, l. 8-9 19 db بل 20 verses added on the margin, not in d 22 mخنا

80 1 mاهوى 15 mخمراً ومات 21 Hirschfeld 6, No. 5, l. 3-5 ; mثقيل

81 2 mشرف 3 d 50, l. 13 — mالابت shows dictation 8 correction in mوعظات shows dictation 12 d I 58, l. 1, 2, 3, 8, 6 15 db تدوي الصحيح 18 cاسداً 21 ? الكتاب 22 after معي the word شركة crossed out

82 9 mيحتال — passage ncl ; Y IV 81 15 b'خفت ? 16 mتشب 18قعقبا, ترقيبا bad writing 21 inc ; perhaps: أ فرطُ مودتي يريبك ام ضنّي

83 1 mالدن ولا قلت 2 cمصوبات 5 cخصلة 8 d 54 14 cfابو نواس d 392 15 mحلتين في الناس careless writing 17 عند ? Cf A XII 138 ; خليل مردم ديك الجن : طوقان (1343/1925 دمشق) شعراء الشام في القرن الثالث : يك الحمصي ، مصر كوكب الشرق (عدد ١٥٠٩) ; the text is very carelessly copied

84 12 mالعار لا ما عليه منك 15 cابكي — ك 16 mفضنّه

85 7 d II 560, l. 6-7 ; b ومن الغبن ; حسدًا 10 not in d 15 cf طوق ٩٣
21 m الذي, a lacuna ?
86 3 m بنسط, may refer to مَن 4-8 ncl 11 corrupt; m حطه 15 m واحدها
17 وصفناهُ ? ; m لظوظ ; confused rhetoric
87 3 cf طوق ٧٠ 20 m جا الصم ; reminds of كثيّر
88 2 m لهم عوار تكشفت 5 d I 93, l. 19, 20, 23, 29, 30 11 m بوعد
18 m صرف الزمان 19 m حضرني 21 m اتيك
89 3 m الذي 5 cf p. 87, l. 10 6 ncl 20 m برمي ; نقص ?
21 m بحيث على بل هو بصده ; ncl
90 1 B I 137 ; m ايسا 14 d 13, l. 11, 8 17 d 431, l. 5-7
21 d 544, l. 4, 5
91 5 d 361 (S.) 6 m ادري ، شحطًا 8-12 H II 109 ; Y II 343 ; attributed
to ابن الدمينة ; cf d 9-12 10 db لستهر ? 22 omit brackets
92 7 cf طوق ٣ 10 de Goeje 85, l. 7-8 13 not in d 19 m الناس
93 1 c منتهى 5 cf طوق ٨٦ 8 c حذار 11 طوق ٣٠ 15 do. ٤٧
18 m حربًا 19 m مجازى
94 1 m جعل 5 m بالسَّلم 9 m اذا ما ; c صمت 15 cf طوق ٢٧
95 4 Krenkow No. 34 has only the second verse ; these lines are repeated
on p. ١٨٩ 5 Krenkow جوامد = غوارز 14 m جيئان 22 m راعهنّ مناما
96 2 c أبان Y I 85 7 m يناجيننا seems to be anticipated from l. 11
8 in MS خدود repeated and crossed out ; carelessly written page
11 m موارح 16 m ناح 18-19 Y II 636 attributed to an اعرابي
97 2 d I 269, l. 11, 12, 7, 6 4 m بقديرُ carelessly written page
12 Mac. 550 No. 70, l. 13, 14, 12 22 not in Mac
98 2 A VII 77, 84 5 m شاغل 12 A VII 80 ; c ليلَ 13 mc بلاء (S.)
15 c هَذِهِ (S.)
99 1 cf طوق ٨٩ ; m اشف 4 c تريء 5 m الرُمدي 6 c خلُفُ ; m موعد (last
word) 8 m حرو 10 c يحبُ 13 Y I 79 17 Y III 804 ; H II 80
20 well-known lovers 22 m واتله shows dictation
100 1 m يجتاز ncl 7 جنوبها ? 8 m شموعها 9 m تبانيت فاستبت
13 m تستريدها ncl 19 after صدو the letter د added by collater
101 2 d II 405, 2-6 10 the second من قد رأى added on the margin
21 m قواها
102 4 d I 300, l. 4, 10 7 H II 51, attributed to ابن اذينة 11 inc اعشقُ ?

13 inc, عن ان اجي او ان ? ; mحـــت 16-17 H II 50 19 mيستعلب
21 cf d ابي نواس 350 22 mبدلك

103 3 very carelessly written ; H II 82 5 m لطيّته العادي لطته c (S.)
7 after ودّ the word الا crossed out in MS 9m لا تثل 11 m منك نوالًا طلب
13 m تعريض، اتشكي عن 17 صبرها ncl, صبرم ? 22 m نكن

104 2 inc 4 m تشي كالكـارهًا ; due to dictation ? 5 cf p. ٣, l. 16-22
14 cf G. Flügel ed. of مؤنس الوحيد، الثعالبي Wien, 1829, 17 : Ueber Pforten-dienst und Thorwaechter—O. Rescher, جاحظ 533 18 تصوّن المحبّ عن ?ncl

105 3 m حوله ; تكون لها ? 10 m سقاني 19 يا ريح ? 21 d I 57, l. 7-9

106 4 c الـهجرانُ 6 d I 218, l. 6-7 b 9 d I 276, l. 2, 4 ; c تكرمـةً
12 I 16, l. 1, 4 ; c عُقُبُ 13 B I 138 22 c عنهم

107 10 d ابي نواس 376 b سمياً 13 In H II 96 attributed to ابن الطثرية ; b فبتيل

108 1 d I 381, l. 8, 9, 6 ; B I 266 3 c الخـسيسُ 7 m اتى ; cf the saying انج سعد فقد هلك سعيد 8 يدفعَ ? 15 ncl 18 m اعزء تنافس 19 m تجانس
21 d I 6, l. 16, 17, 4

109 5 m مزريا بمستغرم 6 c مرعيً 7 cf طوق ١٣٩ 8 m الخبرة 15 m بنقل اذا
20 c بغفير Y II 296 (S.)

110 1 مسرورًا ? 3 d 279, l. 8-10 4 cf طوق ٧٣ 5 c السنونَ 10 m يبـلى
15 m بعضها 16 m فيها على 20 very careless writing

111 2 m ازله 5 d II 547 ; c ظللنا

112 2 Pérès I 211-212 ; A VII 81 ; Q 261 ; تزيين الاسواق 33 ; c مرسـل
10 c تسيل 15 اجتيازنا ? 20 فاتك مشهور ?

113 4, 6 c بسلمى 13 m علّي تحبـا هـا درى هادى ما نفيا very careless writing
16 m بصرى ; in Y I 654 attributed to an اعرابي 17 c بلغتم ; Y IV 745
20 Schw II 153, 154 ; c عتـب ; Beyrouth (لبابيدي 1311 ﻫ), 100

114 2 Schw. b لعمدًا 3 b رجباً حتى رجب 5 b فبعثنا 6 not in Schw.
9 cf. اخبار النسا (ابن قيم الجوزية) Cairo 1319, p. 102) ; m مثل هذا دتك
12 d 209, l. 1, 5 15 d 344, l. 21-24 17 c موقعها
20 d I 29, l. 7-10 ; B IV 236

115 3 d I 124, l. 7-8 ; B IV 236, 2 lines only 5 c يُبَلّـغك 9 m بجـار
10 جلّيت ? 11 c بعد يومَ 12 c ليلَ 13 c بلدةٍ مسبطرة وبيدٍ 21 m لتحقى

116 3 m بغفله 4 m جاء 5 m السّائلين، احدًا 6 m معذورًا 8 m كلماء حلل تامّة
11 c ثم 13 كذوب العين ? 15-18 c نعمان ; Y IV 795 19 m حدارها، فوى
20 c كلّهم ; m بحارها

117 1 m عرفت 6 after ما the scribe wrote عـمـ and crossed it out
10 ncl 12-14 cf طوق ٧٨ 16 b جمّشها cf d ابي نواس 42

118 7 m بالمحبوب الى محبوبه cf طوق ٤٩ — ٥١; rather confused passage, perhaps due to copyist's errors 15 m اعين 19 cf A XVIII 195

119 1 m فقساه 6 c ايّام 12 c أنهل 19 c مَن ; m ظنَّ 21 m جال ; b تَغُبَّ

120 6 m الح ; reminds of عروة بن حزام 7 انسانان ? 10 c قُدرة 11 c ليلٍ
13 m ذنبها 21 Egyptian Libr. d أجمعا

121 1 d I 353, l. 5, 6, 2, 9 8 c صُلبا 13 Y IV 10 14 وثارها ?
18 m شقيقة 20 m عترٍ

122 2 m باعلا 5 In H II 114 attributed to خليد ; c نَعمان 7 m اريت
10 d 7, l. 5, 8, 9, 10 11 m يتناولها 14 m معدبا ، مستهام

123 1 c المصيبة ; m المصبة 4 inc, ncl 6 c إنما 7 m اتقى 11 m لعلكا خير ثاني
22 d I 322, l. 10-11

124 1 m ترق 2 m المشيمي 6 c لّلنّاس 8 c يعَضّ 16 ncl 18 m عذرًا

125 4 not in d 9 ncl 14 c الاخاء 18 not in d

126 3 m الك الوجد 6 m نفخ 9 c عنّبي 11 m نيلًا ، امتني 16 m ضميرك

127 7 Y I 487 بتّان 8 m حنت 13 m جسدا 15 after على the word الهوى crossed out in MS 19 m مجاورتي 20 c أنْ 21 c عتبت ، فرأيتك

128 2 c إنّ 3 m محمل 6 c اجنته 10 c ملئت 20 c المعافي

129 12 ncl 13 c ثُمّت 15 m تخشى

130 10 S. suggests فعَسَاه but a noun seems to be needed, perhaps فسوّه
15 m يصفى ، منتصلا ; passage ncl 20 m الوصاح

131 1 m بتار 8 m عصمتها 9 m كاح hasty writing 11 m احلته 21-22 c يحيى

132 5 c ملئت 6 m لينفص 11 d 99, l. 1-3 15 ncl

133 2 m اضممت 10 not in de Goeje 13 m يأتي 16 m معرب 18 m جنا
20 m فاعضى

134 4 cf Hell, *l. c.* 301 6 Y II 374 9 on جارة cf *The Dove's Neck-ring*, C II 21 d 403-404, l. 25, 31-32

135 3 d 204-205, l. 34, 50 5 Schw. 96 No. 126, l. 10-11 ; A I, 111 (new ed.), last 2 lines 9 ncl 10 m تخشى ، حا ; the whole page carelessly copied 12 c انقص 15 d I 291-292, l. 25, 27, 28 ; m لا ضينك اعصاني
16 m اغمدت سيفك ; c الحُسام 17 db نزرًا 19 بعيدك لا تغضب ?
22 after كان the word هذا crossed out

136 3 Vollers 21-22, l. 11, 13, 14 ; m احد ما 6 ncl 11 d II 696, l. 11-12;

m سكته ; b معاتب ? 20 c مكافاة 22 a lacuna ?

137 4 after كيا the scribe wrote and crossed out كيانا 7 cf طوق ٧٩ 10-13 Mac. 86 No. 10, l. 38 only 14 very careless writing 20 c ليل

138 1 ncl ; c ليل 4 m حلده 5 m دليل ; c ايه 6 m اليك محب ncl 8 Y IV 712, I 118, III 58 ; c نعمان 9 m يتقالا 13 Mac. 564 No. 73, l. 3-6 ; m يتضرم 16 m ازور 18-12 not in Mac. ; Y III 699

139 5 d I 94, l. 10-12 8 missing in d 9-14 d *ibid.*, l. 13-14, 22-25, 32 17 Y IV 216

140 2 d 22, b لوعتى 3 c ملئت ; cf طوق ٦٨ 9 B IV 222 6 m فاه 11 d 347; c عصمت 16 d 348 17 m تغير 19 وصلى added on the margin

141 1 m حر 8 Y I 315 ; نقائض (Bevan), No. 61, l. 1

142 3 Y III 53 or 62 8 d 439, l. 2-4 12 d I 196, l. 6-7 ; m قد مات باللوى فقد ما فقدت الظل عند انتقاله is copied by error from the fourth line following 16 m بل لم تحده

143 5 not in d 12 m راضيا ان لا يرى

144 2 m تب very careless writing 17 d II 483, l. 6, 29, 37, 38 ; a typical case of connecting verses entirely disconnected as to meaning 18 b وردت 22 not in d

145 9 cf A XX, 54, 55 ; before عنك the words لك crossed out 10 ml جابر 11 m بي 12 before فصل the word الصفح crossed out 13 m الحسن 14m الغدر 15m صراري 19 m خضوعي ; very careless writing 20 العذر and العذر interchanged ; passage ncl

146 • m رقيب ; careless writing continues 11 de Goeje, 219 19 m ذلك 21 m حيته

147 2 cf the lord-vassal relationship in the Troubadours 7 d I 94, l. 18-19, 36 8 m اعيدك 9 cf طوق ٣١ 11 d I 288, l. 9, 12-16 14 B I 266 b خيانة 17 m اينوب

148 1 ml ابدا 8 m rather maliciously الجهم 11 m للفارف 14 m متى 15 m به 17 ncl 22 m جهلا

149 1 m عذر 11 ml خبر 14 m بعاتبه 17 m عنه

150 3 d 50 8 الحين من حين ? 12 A I 133, 134 13 m لن يده ncl, possibly a lacuna 15 d 152 18 Qur. II 62 20 not in d 21 c جوامد 22 c حاسد ، عتب

151 1 c فوجدتكم 4 m صفافا 10 c ضلالك 11 m تنالك 13 not in Schw.

22 mخليلا

152 2 mعدولا 5 b تَبْقَى 6 mاحمته 11 mحتى 14 mصفاك 15mبنابلك 20 d II 442, l. 22-23, 29-31

153 1 mلاستقى 2 mاحتجاراً 5 mاتقذني 8 mعبداً 10 the five lines are written consecutively, but the قافية being different they probably belong to different poets 18 cترَوَى ، فإن

154 2 Vollers 45 ; the other two lines missing 10 mاذن 13 صحبة ? 16 mلم اجفوتما indicates dictation ? 21 mيخاف

155 1 cفظللت ; Qur. VII 100 : وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ 6 mسلى 7-8 mطهر ، عامله ; ncl 13 mذلت 14 mسالك, cf Pérès I 59, No. 4 ; cفتسلّت 22 ncl

156 3 A VI 201 5 b اسح عيني 7 d I 151, l. 1-2 8 mخلته 12 mالحال ، الحلل ? ncl 12 cظللت ; mطللت

157 2 Y IV 996 7 d 96-97, l. 1-2 ; 1928 ed., p. 234 ; cالحمام 9 not in d 11 mليحتق 13 mكوتَه 16 cمرتهَن ; mالا ساه 18 mفاعلم الفي

158 2 mنكامركم 4 mبالليلة البست due to dictation ? 19 mحيرة 21 Mac. 336-7 No. 45, l. 23-25 22 mنشتفى

159 1 mشؤون ; the frequent confusion of ر and ش seems to be an idiosyncrasy of the scribe 4 mنبزح 6 mتبير ، مَنْ ; Y I 919 9 does not seem to belong here 10 cهواك 21 mيصبح الجودة ; cتَغشى

160 3 mكاد ، نالت نا طمنت ;very careless writing 6 ncl 8 العباس بن 64 , الاحنف 11 mالتفريق 15 mاصر due to dictation ? 17 mاجلها حين

161 4 mفاماً لهم due to dictation ? 17 cخبرٌ 19 mيوذى ncl

162 1 cسَحابة 3 mخلست 4 خوريه 9 A VII 53 10 mمجتبى 14 فيكم hasty copying 18 Y IV 1026

163 3 mالمتبر ; A VII 52 20 cلضجرة 21 mلتاذى 22 cفراق

164 5 d I 20, l. 1-4, 10-11 ; mابدا 20 should be opp. عواطف 21 mغمزة

165 2 d II 459, l. 4-5 7 mبغدري 11 cوددت ، اهُمّ 15 mصوماً ولا هجر it seems that the copying was being done during رمضان ; the hand shows a certain apathy 17 mحديدا 20 mفينبعي

166 5 Mac. 312 No. 41, l. 4, 7 6 mفنا كس 8 d I 23, l. 8-9 11 mتابدا 12 mمذ عامان 20 mعضى

167 3 mارحات ; very careless writing 11 mعزم 14 cينفخ 16 mاعيدا 17 mفسلى 19 cاحبُ ، مدنفا

168 4 m فاتى   8 d 44, l. 1-2 ; كان added on the margin ; Y II 397
10 c يقول   11 Vollers 41, l. 1-3 b   13 m علقت   15 d I 212, l. 1-3
17 c عانٍ   19 In H II 120, l. 1, 4, 5, 11, 37, attributed to زياد بن حمل بن سعد ;
Y III 423   20 Y I 288

169 3 d 71, l. 4 b فأنكَسا داني يرتدّ ; l. 1 db ; l. 3-4 ; MS corrupt   8 the scribe seems to have changed his قلم   10 c تساقط   13 d 42
14 d 457, l. 1, 2, 4, 3   21 m يقابل   22 m طلع

170 1 m اذا اليوم   3 d I 454, l. 1-4, 7-8, 12   4 m وبى   6 m مواتى
7 m انى   8 m حسرات

171 3 m بصحاب   5 m محبة   7 m بحشاه   9 Mac. 647 No. 86, l. 8-9, 15-16 ; 648 No. 87, l. 18-17 ; very careless writing   22 m غير

172 1-3 the قافية seems inc   6 m عدمتها   16 m نية بل   22 m محير مقبص

173 9 c ينعم   11 m اباء   18 d I 302, l. 2, 5 differs considerably

174 2 de Goeje 77, 75   7 m سلامًا   9 m تناقصه   16 c النّفار   17 c اوسمهُن
19 d I 17, l. 1-4   22 m هدين due to dictation ?

175 2 d I 53, l. 6-8 ; B IV 227   4 Y II 817, IV 366   16 m بحسن
17 m تسلى   21 m يدى ; Y II 828

176 1 d اجدّك ; S. refers to الاخطل 58[7] on this subject   2 m نفس نبيها
19 m بارزم

177 4 c ابنُ ; mc بيتاه   8 m بصبري ; ncl   12 ncl

178 9 m بعد له ; meaning ncl   19 m لقوم   21 m لذع

179 2 d 100, l. 4-8 ; m يدينها   4 m مشدد   6 m اذ ، ملاحة   8 d 193, l. 2-4
12 Ahlwardt 88 b مقترات   18 m سارقصُ

180 1 c الشام ; ncl   4 m الحيوان حيّا   9 Schw. 164 No. 234, l. 8-9
16 d 474, l. 1-3   19-20 seem to belong to another poet

181 17 In H II 44 attributed to الصمة بن عبدالله ; l. 1, 2, 3, 9, 5   20 m للنوى

182 1 d 301, l. 1-4   3 db تندى   6 m رحتى   9 Y I 118   13 m تعتبا
15 m لقوم   17 ncl   21 m انكرت

183 3 A VIII 126   4 Y II 61, c لعاصى   6 m فقدتني   7 b شَماع
10 d I 277, l. 1, 2, 4, 3, 7, 8   20 H II 48, l. 1-3   22 b عهادَ

184 5 A VIII 120   8 m لنفى   13 H II 76, l. 5 ; d 28, l. 13-14
21 m بذر   22 m الحرم

185 2 cf طوق ٥٩   5 d 305, l. 6   7 ncl   12 m فاست   16 cf طوق ٨٣
22 d I 149, l. 6-10 ; B IV 233

186 8 d II 413 ; c مَواقفًا 16 d II 52, l. 9 17 c جُمني 22 d II 402, l. 4, 6

187 3 d 331, l. 2-3 m ابانًا 9 d 321, l. 2-3 ; 1928 ed 421, l. 2, 4 13 m مواقع 18 m مل اشياء 21 m خذين

188 5 Y II 160, III 198, 702 8 d II 79 A VIII 66 has l. 8-9 ; m الا عدرت 9 m مواديا due to dictation ? 12 Mac. 334 No. 45, l. 14, 336 l. 22, 337 l. 27, 338 l. 30, 336 l. 21, 338 l. 32 ; Y II 61

189 2 cf p. 181, l. 17 8 Krenkow 162 No. 67 11 d I 320, l. 5-6 12 m الواشون 15 m ومني

190 7 m نقضت 10 m تودى 14 m بانً 16 Y II 790 18 d II 421, l. 2-5; B IV 232 does not have 20 20 m ان نبت 21 db منظرًا

191 1 d II 600-601, l. 1, 4 ; B IV 224 4 d I 245, l. 6, 5, 9 ; B IV 238 8 d 200-201, l. 7, 11 ; B IV 219 ; in the 1928 ed. 453 : لا اظلمُ النأيَ 14 d I 23, l. 7-9 15 m نظرت 16 Y II 738 19 cf طوق ٨٢

192 8 d 448, l. 3-4 10 تفضيل ? 11 cf طوق ٨٦ 17 not in d 22 cf طوق ٨٦

193 2 m تدلّلا ; m تجني 6 m حق 12 very difficult to make some real sense out of this long speech ; m وضمها 20 these verses follow the preceding two, but evidently belong to another poem

194 4 not in d 10 not in d 11 m وما عدت 13 Y III 368 14 m نبات

195 1-2 are in H II 47 ; d 31-32 has 1-4 only ; Y III 783 9 Krenkow 51 No. 9 ; H I 72 18 m يوم

196 3 m احق careless copying 5 m اِن 6 m سترى 8 Mac. 429 No. 57, l. 1 ; 430, l. 6 ; 433, l. 20 ; 436, l. 29-30 12 db ضخت ; c السقم 15 m فسر او فم

197 1 m لنابه 9 c برءُ (S.) 12 m علينا بعترل 13 m الصّاري 17 here ابو تمّام, d 242, l. 1, 3, 2, 4-6

198 3 d 120, l. 4, 5, 9, 13, 14 ; B IV 217 has 4-5 ; cf طوق ٦ 16 النوى ? ; m للصابر 19 cf H II 91 ; Y IV 997 22 m من صدري

199 7 ncl, perhaps قلبًا يصحو 9 ncl, perhaps وزاه عن ; غيرَ داع m 17 b وددت 20 In Y II 207 attributed to الا شجع بن عمرو السلّمي

200 7 ncl 9 m لقوم 15 In de Gœje ٧٨ a lacuna ; B I 123 ; very hasty writing 16 m الفصل 19 Y I 664 ; Hamdânî ١٣٢ , 19 21 m لقوم ، نقتل

201 4 Y II 290 ; m لقد 6 c سُلتي 13 ncl 17 m النصا

202 2 Mac. 78 No. 10, l. 8 ; 77, l. 11 ; 80, l. 14-15, very careless writing
8 m وعينٌ 9 m قميمة 10 ncl 12 m بقمية 20 ncl

203 5 m جن 9 m لكن 11 m امل 13 c ألّا 14 m عيشه
15 m at the end of line : اذا فليسل , utterly careless 22 probably مالك

204 3 not in d 6 m تلاق 9 Y I 233 ; H II 45 10 m لينا 12 d 55, l. 8
13 not in d 15 m يقاع 21 Y IV 1009 22 ncl

205 3 m فياي 12 Y II 916 13 Y IV 17 14 Y II 928 ; IV 482

206 5 In H II 54 attributed to بعض القريشيين ; in Y I 77 to كثير 7 variants:
حثاً ، رداً 9 m للهوى ، فليتك ذاغيا , due to dictation ? 15 c متنصح

207 2 c سحرنه (S.) 6 In H II 47 a good many variants 11 Y I 842
18 Y I 653 22 اقواء

208 4 Cf Nicolaus Fries, *Das Heereswesen der Araber zur Zeit der Omaijaden nach* طبري, Tübingen 1921 11 c رَويت 14 m عشي عنها 16 m خبّنت ncl
21 m اقظهم 22 m وابتدُوا

209 2 c الفراق 3 m ابو ذميل 4 In H II 87 : ابو دهبل الجمحي, all four lines
10 cf طوق ٩٤-٩٥ 16 Y 444 18 cf طوق ٥٦ 20 m غداً دعيه

210 1 Y III 121 ; Y I 101 4 d 84 ; Ahlwardt 139 No. 36, l. 1, 4, 5 ;
MS rather arbitrary 6 m خروج 8 Mac. 164 No. 23, l. 10, 9
11 c سَلمى ; m ملا معصلا 18 H II 136, l. 2 20 نقائض (Bevan) II 502
No. 57, l. 20, 22-26 ; MS very corrupt 22 m الابل

211 1 m يضبح 2 m والاساود قرب hasty copying 4 m يدُ 6 m يجب
8 m منفسح 9 m المرس 12 m يتها غير 13 c صُلب (S.)
17 peculiar syntax, ncl

212 6 m دهلي 9 m احرال 19 H II 93 22 not in Schw.

213 1 m بلوا عجول 20 Y I 888 : توباذ

214 7 d II 686, l. 1-6, 9 ; Y I 182 9 c مُحيلات ; Y II 70, I 212 10 m ابكت
19 Mac. 567 No. 75, l. 1 ; 568, l. 5 ; 569, l. 10

215 1 Mac. 138-139 No. 18, l. 1-3, 6-7 ; Y II 925 6 m احسن
7 اغراب ? ; بالكتاب 9 m اذ كاره 10-12 ncl 14 d II 428, l. 3-7
18 m مرتجي 20 d II 603, l. 7-8 21 m لا الى الحب 22 m نقص

216 1 d II 562, l. 2-4 ; Y IV 25 5 m فصلاً، اذ كاره 6 m تالفه 8 m الاذكار
10 m الناقصات 11 m يجيل 12 Mac. 485 No. 64, l. 4 ; 486, l. 8, 10
20 m بالهل

217 2 Mac. 501 No. 67, l. 1-2, 59 6 Mac. 38 No. 5, l. 1-2 ; 43, l. 24

10 Mac. 332 No. 45, l. 1-3, 7-8 ; A XVI 24   13 mمرد الصبابة ينفع shows hasty copying   16 d 310, l. 7, 10, 6, 9   19 mفلقيل الظهر اثر 21 d I 228, l. 1, 3, 9-10, very careless copying سيف صقله

218 4 2 II 689, l. 1, 3, 6-7   6 mاعلان   9 d 131, l. 3-5 10 m فرحبا السهل والعلم الفرد   13 d II 715, l. 1-4   15 Y IV 1005 16 mعلل the writing shows great haste   18 Mac. 184 No. 25, l. 3, 4, 5, 20 ; A XVI 106   20 mفكرت

219 1 Mac. 523 No. 68, l. 4-6, 9   3 dbصبّر   20 cأمْرُ   22 mولا

220 10 mاحدهما   12 Mac. 66-67 No. 8, l. 8-9   17 mالرياح 20 mبنصحه   22 mوجدي

221 2 cالنَّعمان   4 c نفس   6 d 10, l. 14-15, bتندى   9 H II 129 11 Y IV 814   15 mحنبت   17 Y IV 480   18 In H II 92 attributed to آخر ; mالحرماري ; A III 168   20 Y II 517

222 4 added on the margin   11 added on the margin   15 mيسفح 16 mتسفح ، اذ ما حرمه   19 mداء مهر ; Y IV, 700 : مهران   21 Y III 678

223 1 mبالدير ريرم ; Y II 608-710   2 mبالموقيات very careless writing 5 mيعودونَ   11 not in d   17 d 10, l. 10-11, 13   19-20 repeated, cf p. 221, l. 6-7. The scribe seems to have changed the قلم

224 5 mيستطيع   7 mحطى ، ما نوالك   10 mوروق   12 d II 162, l. 53-54 in a long satire on الاخطل ; Y II 843   17 mضانيا   20 cخلِيّان

225 2 cالخُزامى   4 cf A VII 106   19 not in d ; mغانية

226 1 mفتخبرُنا   3 Y III 821 ; cيخرجْ   8 mالعبوق   11 mوالات 13 cالألاي (S.) : a tree

227 9-10 ncl   11 mعقيدته   13 mالهلك   16 mمعين   18 after ما the word ركب crossed out   21 Y I 75

228 6 m ncl   3 and   14 cأهمُّ ، يضنى   18 mبغداذ اذ   21 not in d (Cheikho) ; mقتل

229 3 the line has been erased from الحجاز to the end and re-written by someone ; cفلَح ، تلّح (S.)   4 اقواء ; the verse has been added on the margin in a very neat hand, possibly by the master during the مقابلة 10 mاستانيت   11 the second hemistich erased and ما بي اقل added by a different hand   15 mنقض

230 6 mاخفكم   7 ncl   10 d I 96, l. 1, 7 ; the two lines refer to different subjects   13-14 not in Ahlwardt nor in Derenbourg

17 m كاحنشا.

231 1 Y II 406 ; very hasty writing 9 Pérès I 206-208, b الجبا ; m فالشارب ; Y II 12 13 m جاذب 17 ncl 21 m حبال

232 3 Y III 360 ; III 927 ; c الدجنات , very careless writing 15 cf طوق ١٥ 17 m كلاها

233 m لسؤك 3 cf طوق ٨٦ 12 c مدنف 14 c جرم ; Y II 64 16 c أرجوان (S.)

234 2 m تبوح 4 Pérès I 95 No. 14 ; c موهنًا ; m حين اوقدت والمصطليها ; الليل اعجب آخر ; the copyist took in the third line following by error 15 not in d ; in A X 65 attributed to توبه بن حمير 20 A VIII 85 ; Y I 118

235 3 Y III 728 7 ncl 8 c بالبُطاح ; Y I 661 11 m كلاب , ncl 13 H II 106 14 b اسدُ ; m اصيدا very hasty writing 22 not in d ; ذي اللّمان ?

236 6 c مقبل ; m مقيل 11 m اشمه 13 d 108 No. 92, l. 19-20, 22-23, 25-26, 24, 21, 27 15 c السمّارُ 18 c صعبةٌ 22 m بك لا

237 1 c مُغاربتها 9 A II 117 17 m عاسف 18 m نسبُقنا عير فهل 21 cf طوق ٢٥

238 9 Y I 305 19 c بالجواء ; Y II 134 22 m او حاضرت

239 4 Y III 543 17 In H II 72 attributed to نصيب 21 m سقيق

240 2 mc هدبلا (S.) ; m حفدا 6 توبة ? 15 m لعن المَنّي seems to be an expression of the scribe's feelings 7 Y II 210

241 16 m عدوة 21 d 29 ; H II 76

242 2 m الغيشمي 9 Y IV 167 15 d 179, l. 11-13 19 d II 692, l. 4-8

243 9 Y III 489 17 m يفود

244 4 Y IV 491 ; c بالمرختين 11 m اعتت 12 ncl 18 after لن the word صحح crossed out ; anticipation of صحيح 20 after عليه the word من crossed out

245 2 m محصل 7 m ان عولي hasty writing 12 Y IV 366, l. 20 17 m مولها ، بلدُ 18 m حفضت

246 1 c جزَعُ 12 m تشآمه كان 17 m ارتقاب 20 غيبَه ? 22 m ضرت

247 4 c يومَ 5 m فريح 8 c دمٌ ; verse inc 10 d 3, l. 9, 14 ; m شجاج ، يترح 16 m ذكره 22 Y II 211 ; c حَجرت

248 4 m في البال 7 Eg. Library d, p. 11 12 Schwarz, *Escorial-Studien* 17, l. 9, 11, 8 ; A VIII 147 20 بارح ? 21 m سجاح

249 2 Y IV 366   6 m فا   9 m فهذا باغا   15 m مثى   20 d (Hell 1926 ed.) ٤, l. 1-2, 5

250 1 m بالك   3 d I 159, l. 1, 3, 4   4 c إنّ ; m السواحح   14 mc واجدْ   15 c مدنف   17 m هوانًا

251 7 قدرة الله ?   17 Nöldeke 60 b لَسَرّنا

252 5 ما عسك very careless writing   6 m ذابح ; حلقك ?   12 m إحداري   14 m تسجاح   19 m كاعتراب

253 8 c ملِلْن   10 Y IV 769   11 Y II 444 : الحَشاشة ; has these verses with variants   7 Eg. Library d   20 بي in MS

254 12 Y II 343   21 Y II 553 ; III 860

255 3 نقائض (Bevan) II 686 No. 65, l. 10-11 ; Y III 116   9 c فجُنَّ   12 Y IV 524   14 H II 73 b ارار

256 16 m نظيرهم   19 m معالي   20 m عدوبته

257 3 m دو شقه تقص   4 m فيه وقيد   11 m حوص   12 m نكب على   17 m تفنيد   22 m في النظير

258 1 m غراب   15 m لاحطا بالجحطة

259 8 m افر ، التمكن   14 m مشاهد   16 cf ٩١ طوق   18 Mac. 240 No. 32, l. 6, 8, 9   19 Mac. b لا بني من دون   20 do. قوم وقفة

260 1 m اعتداد لا   2-3 ncl   6 ncl   7 لاستفتى وما بي نعمة ?   19 m تعطى

261 3 m القال   9 m يصاعف ; more careful writing, vocalized, but often wrongly   11 m حيالك ; the pronoun is fem. in MS

262 2 بالفتل مغلق ?   37 m ملقيات   18 m مشنات ;   the copyist's good resolution was of short duration   22 m لساحب ; due to dictation ?

263 2 Y III 120   3 m الا فناغا   13 d 459, 2 last lines of a six-line poem ; Y II 817   17 d I 51, l. 8-10   20 d I 53, l. 1-2 ; c افقه   21 m السلم

264 1 d I 56, l. 7-9   5 d 460   7-8 cf ٩٢ طوق   10 M 494, l. 3-6 ; in المفضليات published by the well-known literary critic حسن السندوبي , Cairo 1926, p. 114 ; m بنا حلى   12 b يُبَقّط ; m تقط   15 d I 68, l. 1-2, 7, 10   16 m بعد الغى   17 m عزّت   21 d I 77, l. 5-8   22 m and d طوقان ; تزداد refers to امن ازديارك فى الدجى الرقباء : المتنبي

265 2 m اليها   4 d I 277, l. 1-4, 8   7 m وقد كاد , careless copying   10 d I 278, l. 1-4   13 m حاد بنى   19 m لم ادر انى

266 7 Y IV 872   13 m هانت   15 m مكتوبة   16 first part erased and re-written and l. 17 added on the margin during the مقابلة ? Both lines inc

19 Y IV 64 ; I 110 ; IV 17

267 3 Y IV 369 ; m فيان 7-8 H II 113 10 A IV 79 ; Y III 71 15 c الظلّ ; LA I, 119 17 Y I 407 21 In Y III 703 attributed to والتين ، اما لفىb ; اعرابيa

268 1 اوسال not in Y ; perhaps اوعال 3 Y I 586 7 Y IV 930 ; H II 114 11 Y III 911 ; II 510 ; II 108 ; ncl 14 not in d ; Y III 678 has عشر ; Hamdâni ١٧٧ has خيم 15 c محرم 16 Y I 705 17 ncl

269 1 Y IV 10,12 2 Y I 901 ; II 182 5 m صيف 8 Y II 636 15 Y IV 138 19 d II 166, l. 1, 3, 8 ; Y II 878 ; m الدم ضم سيله نوى طيناً

270 3 Y II 829 6 m اری من 5 m جنابا ولا ارى آكنان ; Y II 120 ; II 719 12 c الوردت ; Y III 702 b ترديتا مح الثرى 14 b تغنن . . . . في الدار من ترجوه 16 c الأرضين (S.) 19 Y IV 239 20 Y III 58 21 m علو الى

271 1 m بناء 4 Y II 778-9 8 H II 92 ; m طيناً 10 Y IV 878 15 added on the margin during the مقابلة 18 Y IV 28, 482 22 Y IV 76

272 9 c ترى 22 M 534-5, l. 21, 20, 22 ; السندوبي 126

273 1 b نبت 4 يُسهدني ? 7 d 478, l. 3, 8 11 m تحاذر 12 Y III 556 14 m الصباوة 20 d I 276, l. 8-9

274 3 Y IV 16 4 Y III 38 ; c مثلُ 9 m مقالهُ ncl 12 d I 298, l. 6-7 ; m كانّ 13 b خلةٌ ، لفتةٌ

275 3 m لقومٍ 6 not in Krenkow ; A VII 127 8 inc, ncl ; m بعضٍ 9 m للصَبا 10 m محذور 13 m ساك 16 c يكتس 18 c تنامى (S.) 21 Y IV 321

276 8 d I 340, l. 1-4, 9-11 13 m الشراب 16 d I 86, l. 3-7 ; اناس added on the margin 19 m لوصل 21 m تثبت الوداع careless writing

277 6 H II 49 ; A XI 93-94 13 In Y III 650-51 attributed to ابن عيينة ; m مقتنى 18 خاشع repeated and crossed out

278 7 c حُباب 10 A II 104 11 m تطمَن 16 A II 99, 89 ; Y I 667 20 m بلظى السَير

279 2 m somewhat maliciously الخصيان 3 m سقى 4 H II 71 ; Pérès II 36 No. 106 9 d I 1, l. 1-2 12 not in Pérès 19 m به من 22 m لا ينالُها which would be اقواء

280 3 Schw. 14 No. 12, the whole poem ; Y II 198 ; III 679 8 cf ٩ طوق 11 Y II 913 attributes the four lines to a Beduin 22 m الصبّ

281 1 Y IV 84 4 c فتلقّى 5 m جيبك ، مبزدادي 17 d 97

21 m repeats واني واياها اعنها from l. 20

282 1 m تحيًا 3 cf طوق ٩٢ 5 H II 89 11 not in d 19 c اذْ (S.)
21 Eg. Libr. d 8, 10

283 5 Y II 194 10 c قدداً (S.) 12 c صُمداً (S.) 13 m اصبح
19 H II 80 ; Y III 804 attributes the verses to a Beduin

284 5 Y III 907 17 not in d 20 m واجبت 21 متخلي

285 9 Ahlwardt 2, l. 1, 3, 2 ; cf طوق ١٥ 14 c أرَّقتي ، مللت 17 M 385,
l. 12-14, السندوبي 88 ; c أرقُده 21 d I 106, l. 7-8 ; m باليات

286 2 d 155, l. 1, 2, 4 ; m هذا 3 b تساوره 6 Pérès II 244 No. 50 ;
I 179 No. 47 9 ncl 12 Y II 555 has a similar story
15 d II 604, l. 1, 8-9, 12 16 m متى قل في عرض very careless writing
20 d I 38, l. 1-6

287 5 d 438, l. 1-3 8 m عنا 17 not in d 19 before النوم the word
النفس crossed out

288 2 not in d ; c اعطف 7 m كدّت 9 ncl, inc ; m تفرى جا الكرى
10 m صوادي 11 c تُروى 13 m اصرع 19 text profusely vocalized

289 3 m تنوم 17 d 82 ; m حرجت من

290 3 Krenkow 28 No. 1 : بِيَمَّ ; Y I 737 4 m رافه ; Y بلى 6 d 100 (الملقة)
12 de Goeje 168, l. 2, 4, 7 16 not in d 20 m جودها

291 1-3 very careless writing 3 m غواد 10 d 127, l. 1, 2, 4, 5 ; Y III 91
13 d يحزّ 15 d 69, l. 16-17 تقلّبا 19 H I 83 عِرسَهُ وبناتِهِ 21 d 36
22 c ظللت

292 1 m مقاسه ، وصلهنّ 3 Y I 75 21 m الدم ; the whole line ncl

293 4 d II 441, l. 2-3 7 mc يطُلّ (S.)

294 2 ابقى ? 8 H II 112 ; m ولا يلّلام 14 d 13-14 فبتّ ; the second
hemistich was anticipated from the line following it ; d عليها سقيط من ندى
15 d لوحاً 17 H II 55 20 H II 53

295 1 Y III 531 5 d 428, l. 5, 7 ; m لو ترى مولا كيف بكاوه not corrected,
though the page is marked بلغ ending one of the sessions of the مقابلة
7 نوفل ? 11 H II 112 12 b اعشى 14 Mac. 391 No. 52, l. 9-10 ;
Y II 61

296 1 d 350 4 not in d 10 not in d 13 m الركاض 14 m فلاه
15 c ميسَم (S.) 17 d I 262, l. 5, 7 20 Y III 122

297 3 m الا 5 ncl 12 d I 230, l. 1-5, 8-9 ; Y I 192 14 m قال

16 دیارها missing in MS ; m كانّها 17 m طايلاّ ، اردي careless writing
19 real author العباس بن الاحنف d 85 20 b استاري 22 m الباكين
298 3 d II 682, l. 10, 9 6 m تصنّعُ 12 d I 113, l. 3-4, 6-7
14 m وعادل الجزع 17 Geyer 5 No. 5, l. 3-4
299 6 c اجدّ كماء ; m الابل حبّى 14 the title reads here whimsically : نحول الجسد اضعف دلايل الكمد 17 on ردية cf Lane I 1065
20 m القوى المجاز ; من كمون ? ; c المتولدة 22 m لم تديه ; c منصبّة
300 4 passage ncl 12 before حيث the name of the poet missing
16 اذابة does not fit the meaning ; m بادآنه 20 m حتى استقرّ
301 2 m الشوق ، لمنّى ; inc 4 name ncl 12 Mac. 210 No. 29, l. 13-14
15 Y III 198 20 Mac. 77 No. 10, missing 21 *ibid.*, l. 1, 3, 4
302 3 Mac. 491 No. 22, l. 1, 2, 5, 7, 8, 10-11 ; Y II 119 8 m قلتُ دَعْ
15 m غاربه
303 7 d 86, l. 3 ; 1928 ed. I 303, l. 3 14 m منفرد 15 مودود ?
20 d I 10, l. 1-2, 5
304 2 m الليلى 12 ncl 15 ابو نواس d 110 16 m اعين الدهر, very corrupt
18 Schw. 112 No. 151, l. 8, 5
305 14 In Y IV 255 attributed to محمد بن داوود الاصبهاني 18 belongs to العباس بن الاحنف d 138 21 A III 141
306 2 I 42, l. 1-2 ; Y II 370, 559 ; m حَوْمَة ; c المُحيل 3 ncl ; d and m يعن
8 m نَوْمكم 11 not in d ; m انضاض 16 m بلامها
307 12 c مَن أَمْرُه (S.) 14 c مساعَدته 15 mc سابر 20 ncl, probably لا يجوز للمرء 22 c يظهرَ
308 5 m مستخبرى 13 m رامَ ; c بقيته 18 m تعدى ; c خلسةُ 20 mc ادفعُ
22 c حُلَّتْ (S.)
309 1 c تُعلّ وتُنهل (S.) 4 d 21, l. 18-19 7 Mac. 284 No. 39, l. 9-10 ;
Y II 816 11 c يُعجب 15 m بذايعي 17 note by someone الحوض
20 c فأدنى
310 5 Schw. 121 No. 168, l. 1, 4, 12-14 8 m متكلم 11 Qur. LXXIV 4
311 2 m آكمى 9 mc الاشادة 14 جهان ? 15 m بلاعا 17 c يجي
19 c رَوينا 20 gentle irony 21 هو seems superfluous
312 2 c يُحتَمَلُ 6 m وحاضر ، قليلًا لطرفها 7 cf *senhal* of the Troubadours
10 not in de Goeje 17 m المصرف 18 H II 108 22 Pérès I 62 No. 6
313 1 Pérès مخبر 4 m اقواء ; النايم 6 اقواء 9 real author

13 mيكن ذاك العباس بن الاحنف d 85, continuation of verses on p. 297
15 not in d ; cليتهم

314 1 cصُعداء 9 cيحمّ 12 cحرّة

315 4 mعطى 11 Hell ed. (1926) No. 5, l. 3, 5 ; mغيرها 12 mارتدادها
19 mالمدار 21 mيمنعي 22 mداعره ، الى الناس ذنب

316 H II 55 one line only 11 not in d (Cheikho) 20 mبوادى

317 1 mتُصبّ 3 Goldziher 160 No. XXXIII, l. 4, 9 bتخفى ، اكلّ الناس تكرم
4 *ibid.* تنظار 7 mcاسراري 11 mاحدها 17 d I 355,
l. 4-5, 7-9

318 2 mاستودعته 3 mا يطلع 4 mاستخفى 6 mعاجزين
13 d I 41, l. 17-19 14 mرهبة ، يعزها ; تعزّها 22 mالشقى

319 1 mندا هو 2 cحلّت cf p. 308, l. 22 3 mاذ وددتنا ، جعلنا
8 d 131 11 after منك the word دمع crossed out

320 9 not in Ahlwardt nor in Derenbourg 10 mوراى 12 d II 712,
l. 1-2, 4, 8-11 17 mفجعلت 20 على الاسرار ? ncl

321 1-2 very careless writing 11 de Goeje 45, l. 2, 4-6 bزايلون
17 cظلوماً 22 cبوداديَ

322 1 mبلمن 3 mالتحفّظ ; والاعلى ? 6 ncl 9 cواساني 17 mتبيّن
18 mاحتياري 19 m لطلبه ، الى عداله ،, written hastily and with
evident apathy, ncl

323 6 mقدري 9 d I 31, l. 5-6 12 d 388, l. 1, 2, 5, 7, 8 18 bقضى الألف
20 mضاغ

324 5 mعصاتك 15 mتذكر ما الاقي ادله

325 5 mفمرى 7 mفتنوم, ncl 13 m لا اردها 21-22 so Y IV 126 ;
H II 129 hasوابغضت

326 Kosegarten 2, l. 1, 4-6 ; c لشُربة ; mلكل hasty writing 7 d II 86,
l. 10, 9 ; inc ; error in copying 11 cالجمر 13 cالعفر 15 cالمؤونة
(S.) ; mالمؤنه 21 d 226, l. 1-2

327 2 a girl's name, cf A XV 80 ; a place, cf Y II 391 13 cتطلّعا
14 mفتقما ، جهما ncl 17 Mac. 500 No. 66, l. 39, 40, 12 22 mفان انت

328 10 d 19, l. 5-6 11 mلوردها 13 d II 431, l. 1-2 ; mكبرته

329 6 mبالاثنين 12 mتشتكي 19 mالضبان ; cالضّبّان ; Y III 416 ; II 398

330 2 mباب very careless writing 12 cf طوق ٢٣ 15 the compositor
omitted a line ; insert after الخطاطا :

19 b قبيحًا بغير ترتيب وما علا امره قليلًا قليلًا كان زمان الخطاطه ? فمرة
22 m نفسًا بينها

331 3 m متفادم 6 m لك الخمر shows dictation ; m يستطيع 7 m يتجدّدُ
9 Pérès II 250, l. 25, 47 13 m طلقيها ; c رَكَنْ 14 d 258, l. 10, 16, 51,
16 m الكتاب 22 not in Pérès

332 4 A VII 79 5 m وابلت بداني 19 A I 160, 174 22 de Goeje 209, l. 1, 4

333 3 These five verses belong to two diff. poems. not by البحتري ;
in A I 167, l. 3, 5 and p. 180, l. 7 they are attributed to مجنون 4 m تلتقي
5 c كُنتُ 6 c تذهب 14 c حجر Y II 208 ; Eg. Library d 17
19 c فتسلّى ; Eg. L. d فتُرجى

334 8 cf طوق ٧-٨ 10 added on the margin ; last word conjectural
11 inc ; وحب الذي نفس ? 15 A XXI 172 has these verses exc. 18
which is ncl

335 1-2 not in Mac. 9 m لنا في غير 13 the last four words repeated
after كانوا 19 more likely هذا الباب

336 1 d II 445, l. 3, 7, 8 2 not in d 6 d I 399, l. 10-12 10 d 136
has a diff. first line 12 m فانساكم 15 m المصاف 18 d I 65, l. 10,
5 b فبلّتي 19 c خالدَ 21 Schw. 135 No. 187, l. 16-17

337 13 cf طوق ١٢٨ ، ٢ 18 m بعطاب ; in the next line الخضابَ
carefully vocalized

338 1 m حيات 3 A VII 146 attributes these verses to ابو دلف المجلي
6 d II 441, l. 5-7 7 m عرَّضتَ 8 m صبابة، ابلج 10 c النُحل ; d III 390,
l. 12, 13, 15 ; 392, l. 5, 6 b كان ; 390, l. 6 ; 392, l. 3, 4 ; cf ابن الرومي
(Cairo 1931, by عباس محمود عقاد), p. 363

339 1 d II 445, l, 4-6 ; m مرطب ; Y II 738 3 c أعوز 6 c بثينَ ; m فاقصر
7 m بذوي , not in Y 8 inc, m تطلاء 16 d II 563, l. 8-10 20 m مقتل

340 2 c الايامُ 9 c الشيبُ 14 d 85, l. 7-9, 11 ; 1928 ed. 190
19 d 26, l. 9-11, 13 ; 1928 ed. 89

341 2 m رحل 4 m سوى انى 9 m مغتفر 11 H II 78 ; after هل the word
للعاشقين crossed out 14 c التجلّد

342 2 not in d 7 d I 312 ; m تفاوت 11 d II 708 19 d 291,
l. 8-9 ; m غره مره 20 m للذيع 22 d II 436, l. 3-5

343 1 m فريمة due to dictation ? 6 not in Schw. 10 m اغلال
11 m النميري 12 A XII 18, 21 14 m لنا تبعُ 20 the reading

differs slightly from that in the ترجمة ; ncl ; seems to mean : He who loses all hope concerning his love (the one he loves) and gives no heed to it at the same time, will find consolation in oblivion ; cf p. 363, l. 1 22 الصفاء ?

344 2 m لا معاب ncl ; ? معتاد ; عاده الى ncl 3 should read الاولى ; cf p. 351, l. 14 4 لما الم الفراق وفقد ? 13 d II 493, l. 5, 8 14 c يوسفَ 16 m شهرته

345 2 m التلفه ; the passage ncl 5 m بصدعها 7 m تذوب 9 m تلفه 13 m بدفع ، الحا 20 m الفرج 22 so m ; c الحرارة

346 6 c يُنس 10 d 123 15 c منْ 16 m طمّا 18 H II 47 19 m من 22 Pérès I 111 No. 19 has only the last line ; m بدا الجوى

347 4 m المنآ 7 d I 46, l. 2, 9 10 d I 8, l. 8-9, 31 11 c يوم ; cf ٧١طوق 14 m متميبا 18 c يُعدي 22 d II 424, l. 5-6

348 2 d I 222, l. 4-5, 7-8 6 m وصلها 16 not in d 20 not in Mac.

349 10 لا missing in MS 13 m ابعد الناس 22 cf p. 344 n. 4

350 1 m الاشتياق ، ترول 4 ncl 9 ncl 20 m اشت

351 4 Mac. 170 No. 24, l. 2, 5 11 m سَلمُوا ; ذكرنا ? 20 The story occurs in A VII 23-29 in three versions ; p. 27-28 has the one nearest to ours ; the scribe left out many words

352 1 Y II 327 ; II 392 2 m اذ لاح 7 cf ادب الجاحظ by حسن السندوبي (Cairo 1931), ch. 20, p. 159 8 m الف ; Rescher جاحظ p. 4 n. 2 10 c حرّاقته

353 1 m متعانقين 5 cf المستطرف II ١٤٧ for a similary story 14 m adds فنت

355 7 the asterisk belongs after عليهم in the next line 9 ncl ; c حالُ 11 ncl 14 Schw. 226 No. 346 considerable variants 21 Mac. 78 No 10, l. 6, 9

356 1-2 not in Mac. 3-5 Mac. l. 26, 34, 7 7 p. 262 No. 35, l, 13, 14, 16 11 p. 549 No. 70, l. 11. 15 14 p. 99 No. 11 has only the two last lines, l. 22, 26 15 Y II 813 19 p. 312 No. 41, l. 6, 7, 4; m شطون فولى 20 m على لساني ; اشكو

357 5 m لك الجفن due to dictation ? 9 m منت 10 c ايّ 15 A XIX 169 has also l. 17 16 m قرباً 18 the compositor omitted a line ; the last word = راضياً and the next verse :

وَمَنْ يَكُ لَا يبقَى على النأي وُدُّهُ فقد زوَّدت زادًا عُسَيرةُ واقيا

20 ncl ; m تسل

358 2 Hell ed. 19 No. 12, l. 8-9, 22-23 4 A VI 57 5 bالقارظان
7 Y II 260-1 ; 817 13 a confusion ; cf A XX 154 14 cبعدك
15 mغريب 18-19 Y IV 976 21 d I 250-251, l. 7, 9, 10, 17 ;
Y II 72; mتعصى

359 2 cأردى 4 mمسلى 10 d 10, l. 8-11 ; H II 110

360 4-5 H II 85 14 d I 29-30, l. 3, 5, 6, 12, 13 15 mالاجرَ
17 mاصبحت 20 d I 140, l. 4-7 21 Y I 663

361 10 added on the margin 21 ncl

362 1 before قبيحاً the word حيلا crossed out 3 ncl ; the whole passage offers no plausible meaning 12 صعصعة ? 15 mفبر روحها
20 من not in MS

363 4 ncl 13 Qur. XXXIX 31 14 the asterisk belongs after عنه in l. 13
15 mاغثى ، دودم

364 6 ncl 8 يوماً not in MS 15 A X 73 ; hasty writing

365 2 A X 77 3 mاورق 8 mباعلى 12 d II 483, l. 12, 3, 4
17 d I 74, l. 1-2 19 d I 84, l. 1, 22, 20 ; also in ادباء العرب, Beyrouth 1931, (بطرس البستاني), p. 400

366 1 d 108 ; hasty writing 5 ncl 9 d 352, l. 1, 3-5, 7, 10
14 cبُشوى 17 mلواعب

367 12 mالكدرم 11 mالحميدة ; A XVIII 9, 14

368 2 mتودى 22 A VII 103

369 1 not in A 103 ; اقواء 4 cالناعيْ 6 A VII 104 10 A XX 155 ;
Eg. Libr. d 40-45

370 2 mتم العدل 13 cالمتلفتة 17 cتكون

371 12 mالف 13 mقدء 15 meaning ncl

372 12 cf ٤ طوق 13 mاذا تقضى ; meaning ncl

373 7-12 written by a diff. hand ; the transcription of the serpentine-like signature was kindly supplied by the Director of the Egyptian Library, M. A. Barrada, who also suggested the explanation on p. 3 of the Foreword.

Additions. **1** 4 ابقاك added on the margin 14-15 passage from ومن to الاتصاف added on the margin **10** 15 cf also الشذر الذهبي في شعر : صالحاني الاخطل التغلبي (Beyrouth 1925), ٤, n. 2. — **214** 20 correct MS p. ٢١٣ — Slight variants in passages quoted in Massignon's *Recueil* were not mentioned in the Notes.

The following remarks came to my notice during my brief sojourn and work in Jerusalem, at the Hebrew University (Goldziher) Library; in Cairo, at the دار الكتب المصرية; and in Istanbul, where Dr. Hellmut Ritter kindly called my attention to several manuscripts in which Ibn Dâwoûd and الزهرة are mentioned, notably كتاب الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين by ابو عبدالله مغلطاي (fol. 149a, date 742 H.), and كتاب ذمّ الهوى by عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ch. 14, p. 44), with which he expects to deal more in detail.

P. 1, c طوق ٧ (instead of ٤). — P. 3, c thirteen times, altogether 19 sessions (insert 351 after 331). — P. 5, c القرابات — P. 6, last line: c one third (instead of « one half »).

10 19 cf Q 527, l. 9, 10
14 13 cf Q 453, l. 8-10
20 16 cf Q 535, l. 14, 17, 16, 15
23 20 cf Q 73, l. 19-20
33 20 cf Lyall 12, l. 22
34 3 cf Q 241, l. 15-16
45 9 cf Q 363, l. 20; 525, l. 14
46 22 cf Q 526, l. 5-6
47 9 cf Q 363, l. 9
55 1 cf Q 263, 327
58 10 cf Q 528, l. 8-9
96 2 cf Q 323, l. 3-7
102 7 cf Q 364, l. 2, 7
112 2 cf Q 261, l. 14-16; 263
136 3 cf Q 86, l. 1-2
140 2 cf Q 525, l. 16-17
158 16 cf Q 563, l. 8-11
167 21 cf Q 360, l. 5-6
206 5 cf Q 355, l. 15; 356, l. 1-3
236 15 cf Q 56, l. 15, 16, 18, 19, 17; 40, l. 12; 56, l. 14, 20
246 16 cf Rhodokanakis, 165 No. XXXVIII, l. 1-4, 9; refers to A XVI 58-59
247 10 cf Q 451, l. 3-4
248 7 cf Q 396, l. 5-6
277 6 cf Q 355, l. 13, 14, 8, 9, 12, 10
285 17 cf Q 251, l. 10-12
297 19 cf Q 527, l. 4 5
310 6 cf Q 350, l. 7, 8, 9
333 14 cf Q 396, l 1, 3
338-9 change on the margin: fol. Nos. ٢٢٥, ٢٢٦
349 2-5 two different قافية
364 15 cf Q 273, l. 5-6, 10, 7, 11
365 2 cf Noeldeke, *Delectus* 6
366 12 cf Q 565, l. 12
372 9 Zakî Mubârak reads بالمَصِي
373 10 After a consultation with الشيخ محمد عبد الرسول at the Egyptian Library it seemed more probable to read thus: (كتبه = كَتَبَ) الملوك محمد بن ابي المثال احمد بن فريظ مقابلةً مع ابي الفداء اسماعيل بن ابراهيم الحمى ايده الله تعالى — In the original all the chapter headings are in red ink.
377 3 c الرقيات
383 note on p. 20, l. 16: c IV 2

reveal the radiation of aesthetic forces from Old Egypt along the shores of the Mediterranean, and their influence in embellishing man's soul : the only real purpose of man's life on this earth.

In conclusion I wish to thank the veteran master of old Arabic poetry, Rev. P. A. Ṣâlḥânî, youthful in spirit despite his 84 years of age, who has kindly read the sheets after they had been printed : the more important of his corrections and suggestions were marked (S.) in the Notes ; thanks are also due to the Catholic Press for their efficiency.

A. R. Nykl

Beirut, June 4, 1932

Al-Buḥturi's, much less interesting and often باردة despite its fame, has 174 chapters greatly varying in length ; in neither case is there a commentary by the author. Ibn Dâwoûd, then not much over twenty years of age, must have been Al-Buḥturi's friend (cf ٢٨٩, ٢٢٤), but nevertheless criticizes him rather severely (١٦٤), as he does many others, often with a very caustic wit : (٣٠٩ ، ٢٦٠) ذو الرمة (٣٠٢) ابو تمام ، (٢٥٩) ابن الدمينة ، (٢٩٠ ، ٧٥) امروء القيس
But he also praises them enthusiastically : البحتري (٢١٥) ، ذو الرمة (٢١٥) امروء القيس (٢٢٦). Occasionally, his own verses are excellent (٢٥٨) and offer good material for the study of his character. His great mentor on literary matters was احمد بن يحي الشيباني ابو العباس النحوي [cf *Irshâd* (Margoliouth) VI, I, 4] whom he quotes frequently, as he does a certain احمد بن ابي طاهر (see Index). As a frank literary critic he seems to have but one important predecessor, namely, Ibn Qutayba. Many of the verses of بشار بن برد cited in the text are not found elsewhere ; this applies also to some of the verses of ، ابو نواس ، البحتري ، ابو العتاهية ، عمر بن ابي ربيعة ، العباس بن الاحنف ، ابن الرومي ابن الدمينة , and Abû Tammâm.

His philosophy of love is much weaker than that of Ibn Ḥazm, who had the advantage of being older, more experienced and possessing a more powerful brain. Furthermore, a thorough study of Ibn Quzmân's book اصابة الاعراض في ذكر الاعراض permits me to state that Ibn Dâwoûd not only is far from being his « précurseur authentique. » but that there can be absolutely no connection between the mental attitude of the refined aesthete of Bagdad and the famous زجّال of Cordoba ; the latter is a typical خليع (not الوزير الاجل), who pesters his friends with facetiously worded requests for money, food, and clothing, in preponderantly five to nine-strophe songs, distinguished by whimsically intricate and original rhyme schemes. The manuscript was written at صَفَد (Palestine), not at صفد (as stated in *The Dove's Neck-ring* 236 ; the word القطّن more likely means « a resident of. »)

The seven-strophe love songs in *Pap. Chester Beatty* I (abt. 1160 B. C.), published last year by A. H. Gardiner, show clearly that in its main aspects the aesthetic expression of man's most powerful emotion, as formulated by old Egyptian singers, presents a remarkable psychic unity with what we find in the Muslim Near East in 890 A. D. and later in Andalusia and Aquitania about 1100 A. D. Further researches in this field will gradually

give a fairly intelligible interpretation. The general method adopted was to preserve the original text *tel quel* as much as possible, even where a more radical treatment would have been needed. Space does not permit to discuss in detail Ibn Dâwoûd's method of selection of verses which he explains in the final paragraph, together with his failure to make the number of verses exactly one hundred in each case. Fuller details will be found in the Notes. He is perfectly right when he says that the verses of the بلغاء العرب are distinguished by extreme conciseness and compactness of expression, their purpose being to comprise many meanings in very few words : this obliged him to quote, under many headings, verses which strictly speaking would not belong to the chapter ; otherwise, he would have been compelled not only to separate whole verses, but even to split them into hemistichs, thus exposing himself to ridicule. What he means by making a compensation for the five (really six) verses in the introductory chapter, is not clear to me. Our table of contents gives opposite the page number also the actual number of verses in each chapter (usually *less* than 100, not *more*, as stated in my translation of the طوق CVI) : total 4928. The translations of the titles of chapters 10, 13, 28, 30, 42, 45, 48, have also to be modified, as well as parts of the long passage quoted from the رسالة مقدمة, ٣, 20. [10. Suspicion comes from great jealousy. 13. He who is kept (hidden) away from his friends, will humiliate himself to those who hide them (door guards). 28. He who does not join the (departing) caravan, will weep over the vestiges (of dwellings). 30. He who cannot leave the place (where he is, away from the loved ones), will be stirred up (in his nostalgia) by the winds. 42. The thinning of the body is a proof of suffering. 45. He whose love is spontaneous, will not be warned by blame. 48. Cf Notes.]

The principal value of الزهرة consists, as was said before, in its being a well-chosen collection of excellent verses on *one* subject, arranged in tastefully and cleverly named chapters ; truly, a pretty bouquet of flowers offered to a friend. Ibn Dâwoûd evidently had a special predilection for this kind of systematizations, as attested by Haji Khalfa IV 47 (Fluegel) :

واتمه ابنه ابو بكر وزاد على ابيه ابوابًا وفصولًا

Abû Tammâm's الحماسة consists of ten chapters on ten different subjects among which الحماسة proper occupies more than one half of the volume ;

necessarily borrowed, but showing the influence of Graeco-Persian thought.

Dozy in his *Historia Abbadidarum* (Leiden 1846) I 198-199, quotes the above-cited passage, from Al-Maqqarî ; in his *Scriptorum Arabum loci de Abbadidis* (Leiden 1863) III 57-58, he speaks of « *Flos disciplinarum*, auctore Ispahanensi (زهرة العلوم) ».

The Egyptian Library catalogue lists our text among الغربيات in vol. IV, p. 260, simply as « الزهرة » with a short description. The title is exactly reproduced on our Arabic title page, except for a scribbling added by someone who tried to change the wording to نجوم الزاهرة, but partly erased his « contribution ».

In view of these facts the reading *Az-Zahra* seems preferable. As the title indicates, the text represents only one half of the author's plan ; it is quite probable that he never found sufficient patience to produce the second half.

Details concerning Ibn Dâwoûd's life will be found in *Al-Hallâj* and in De Meynard's ed. of مروج الذهب VIII 254. He composed الزهرة for a dear friend whom he constantly accuses of cruel treatment in verses modestly hidden under the pseudonym بعض اهل هذا العصر ; that it refers to him is attested by the statement in the مروج VIII 255 (وعزاه الى بعض اهل عصره) where the following three poems are quoted : cf our text ١٦٠, l. 20 ; ١٨٥, l. 9 ; ٢٢١, l. 8 ; and in Yâqût IV 255 ; our text ٢٠٥, l. 14. The verses on ٢٨٠, 11, attributed to him are more likely those of a Beduin as stated in Y II 913. There may be other pseudonyms (cf فهرس ٢٨٠) ; as regards بعض المذليين the order of verses in the زهرة is more logical than that given by Massignon in *Al-Hallâj* and *Recueil*.

While I would agree with Massignon that the book « est précieux pour la connaissance de la vie sentimentale de ce temps : rien ne peut mieux nous dire quelle était à Bagdad l'opinion des esprits lettrés et cultivés, sur ce sujet perdurable qu'est l'amour, » I cannot say much in favor of Ibn Dâwoûd' prose, unless we assume that it had been seriously tampered with by copyists. It does present a good many examples of sonorous سجع, but too often it is hopelessly muddled as to thought and logic. He evidently wishes to appear very deep, but only succeeds in being obscure. It would have been easier not to vocalize the prose, but an attempt was made to

names appear on the title page) undertook a careful study of the poems on pp. 7-9 (cf Notes), but soon gave up the good intention. Judging by the handwriting it may have been the same who had immortalized himself on the title page thus :

قد تطيّب بملك هذه الزهرة الزاهرة العبد الفقير اليه عزّ شانه محمد امين لطفي (?)

As to the correct reading of the title there has been some divergence of opinion. C. Barbier de Meynard in his edition and translation of the مروج الذهب VIII 255, (Paris 1874), speaks of « l'ouvrage connu sous le titre de *Zohrah* (*Kitab-Ezzohrah*). Brockelmann in his *Geschichte der arab. Litteratur* I 520, speaks of « *k. az zuhra,* poetische Anthologie in 100 Kapiteln » This interpretation was followed by Massignon in *Al-Hallâj* I 170, « Livre de la planète Vénus, » though in n. 1 he mentions the possibility of reading *al Zahrah* ; but in his *Recueil* he adopts *al Zohrah* definitely.

The first mention of the book known to me in European literature is in Pascual de Gayangos' *The History of the Mohammedan Dynasties in Spain*, based on Al-Maqqarî, (London 1840), I 185, quoting Ibn Ḥazm's رسالة في فضائل الاندلس where he speaks of « كتاب الحدائق by احمد بن فرج ابو عمرو who wrote it in imitation of the *Kitâbu-z-zohor* (the book of flowers) by ابو محمد بن داود, with this difference, that the work of the latter contains only one hundred chapters with one hundred verses each, while that of the former has two hundred chapters with the same number of verses in each : there is still another circumstance which makes the work of ابو عمرو the most valuable of the two, which is that there are not two chapters in his book bearing the same title, a thing which is of frequent occurrence in that of Abû Mohammed. » Massignon (*l. c.* I 171 n. 1) refers to the Codera-Ribera ed. of الضبّى (*Bibl. Arabico-Hisp.* III No. 331) :

احمد بن محمد بن فرح (sic) الجياني ابو عمر . . . . وله الكتاب المروف بكتاب الحدايق الفه للحكم المستنصر وعارض فيه كتاب الزهرة لابي بكر محمد بن داود بن علي الاصبهاني الا ان ابا بكر انما ذكر مأية باب في كل باب مأية بيت وابو عمر اورد مأيتي باب في كل باب مأيتي بيت ليس منها باب تكرّر اسمه لابي بكر ولم يورد فيه لغير اندلسي شيئا

This means to say that the Andalusian did not repeat any of Ibn Dâwoûd's titles of chapters. In view of this, Ibn Ḥazm must have known the كتاب الزهرة quite well, and in the Notes I have indicated many of the passages which show similarity with the ideas expressed in the طوق ; not

as a basis for further elucidation and improvement by those interested, seemed to be the first logical step to take. This opinion was shared by my friend Sprengling ; he submitted it to the Director of the Oriental Institute, Dr. James H. Breasted, who generously agreed to make a special grant toward the defraying of the cost of printing at the Catholic Press of Beirut. A translation may follow later — ان شاء الله — in a second volume.

The basis of the Cairo manuscript was a نسخة اصلية which was copied by a علوك for a master, and then collated with him, according to the somewhat ambiguous notation on the last page. The work was completed in ذو القعدة 718 = between December 25, 1318 and January 24, 1319. It was begun probably four months prior to this date (beginning of October 1318) with no signs of hurry or impatience until about fol. 74 ; until then, it is very sparsely vocalized, to be sure,and shows little understanding or interest, but there are no indications of disgust. It seems, however, that the fast of رمضان between October 27 and November 26, 1318, made the copyist quite apathetic, careless and even malicious. It would also appear that he at times wrote very fast under dictation and had no time or energy to add diacritical points. All these evidences have been briefly recorded in the Notes. When the copying was finished, the master and the علوك proceeded to collate the copy with the original which probably contained already not a few errors and lacunae. How this مقابلة was carried on can be deduced from the notes بلغ (on f. 251 بلغ المقابلة) at the bottom of the pages of the MS. During the first session 15 pages were covered ; then 20 pages three times (p. 35, 55, 75) ; then 16 pages (up to p. 91) ; then 20 pages twelve times (p. 111, 131, 151, 171, 191, 211, 231, 251, 271, 291, 311,331); another session for the remainder ; altogether 18 sessions. It is probable that the master was reading and the علوك was watching the copy ; otherwise, the many obvious errors and several malicious remarks could not have escaped the master's attention. At times, however, the علوك would call attention to an omission, and then the master would make a correction on the margin. In chapters 14, 16, 18, 20, 23, it would seem that certain omissions were not corrected, because the number of verses falls considerably under the stipulated one hundred ; this, of course, may have been the fault of the original copy.

One of the subsequent owners of the MS (from among those whose

publications ; hence he had given up the above plan.

After completing my introductory study concerning the contacts between the exponents of the Andalusian-Muslim and the Aquitanian poetic art about 1100 A. D., and seeing *The Dove's Neck-ring* through the press in France, I could begin with the preliminary work on the زهرة in August 1931, when my good friend William Marçais kindly placed his private library at my disposal for that purpose, shortly before my fourth journey in the Troubadour territory via Montauban, Toulouse, Lourdes, Pau, Bayonne, Saint-Jean Pied-de-Port, Roncesvalles, Pamplona, Tudela, Zaragoza, Huesca, Barbastro, Lérida, Barcelona, Perpignan, Narbonne, Montpellier.

Then, with but seven months left in which to complete the work, it was necessary to adopt an efficient and consistent method. On the peaceful and hospitable campus of the American University of Beirut — a splendid and beautifully located monument of the late Dr. Daniel Bliss — I found, (in November 1931), a good collaborator in Mr. Ibrâhîm Tûqân, then a teacher of Omayyad and Abbâsid poetry in the Department of Arabic. A talented poet himself and an enthusiastic student of the كتاب الاغاني, Abû Tammâm's الحماسة, of ابو نواس ، البحتري, and especially his favorite العباس بن الاحنف, he could, as we were going over the text, quickly identify from memory many of the anonymous poems and suggest, for corrupt passages, ingenious emendations which were later either embodied in the text or in the Notes. During this مقابلة I became aware of the rather disconnected nature of many of the poetic selections ; in checking them over I found that Ibn Dâwoûd had frequently taken considerable liberties with the longer poems from which he took the verses. Often he would put together verses very far apart and entirely disconnected as to meaning, thus creating meanings of his own ; at times he would change the wording. The chief importance of the book seemed to consist in its being an anthology of verses on *one definite subject*, (namely, *love*), culled from preceding and contemporary poets, about 890 A. D., — a connecting link between the كتاب الحماسة of ابو تمام, that of البحتري and the كتاب الاغاني ; and as such, of great value not only to specialists in old Arabic poetry, but to students of literary history in general ; also, to a certain extent, of Muslim mysticism. Rather than a translation, therefore, the publication of the text,

FOREWORD

The present volume is the result of further researches in connection with my translation of Ibn Ḥazm's طوق الحمامة (*The Dove's Neck-ring*), published last year. When it had been completed, my friend Martin Sprengling suggested that I should undertake the translation of Ibn Dâwoûd's كتاب الزهرة, from which the celebrated future ظاهري philosopher of Muslim Andalusia might have drawn some inspiration, and which Massignon, in his *Al-Hallâj*, described (I 169) as « un livre charmant, d'une inspiration très spontanée et très jeune : rarement une prose rimée plus souple et plus vibrante a mieux enchâssé de courtes pièces de vers, tirées des plus grands poètes qui aient loué l'amour, en arabe, poètes du désert, poètes des Cités. » The statement in the طوق ٤ :
لا على ما حكاه محمد بن داود رحمه الله عن بعض اهل الفلسفة الارواح أُكَرٌ مقسومة
seemed to bear a close resemblance to Massignon's quotation from the كتاب الزهرة (*op. cit.* I 177) :« Certains adeptes de la philosophie on prétendu que Dieu — sa gloire soit exaltée ! — créa tout esprit de forme ronde, comme une sphère », as to warrant the inference that the quotation in the طوق was a direct borrowing from the *Kitâb az-Zahra*.

The Egyptian Library obligingly made a photographic copy which reached me in September 1930. The bulk of the volume proved to be larger beyond my expectation — 366 pages of 21 lines each. A preliminary examination revealed : first, a considerable inconsistency of the copyist's or copyists' effort ; secondly, the overwhelming preponderance of the poetic selections over the prose part : in this respect the text could not at all be compared with the طوق, as the above-cited description of the زهرة made me expect. Massignon informed me that he had a written copy of the Cairo MS, from which he had published a few passages in his *Recueil de textes inédits* (pp. 232-240) in 1929 ; furthermore, that Dr. Hellmut Ritter had expressed to him the intention to edit the text and translate it into German. Ritter wrote me from Istanbul that his time had been fully taken up by other

---

PRINTED IN SYRIA BY THE CATHOLIC PRESS, BEIRUT, SYRIA
BOUND BY THE UNIVERSITY OF CHICAGO PRESS
CHICAGO, ILLINOIS, U.S.A.

THE ORIENTAL INSTITUTE *of* THE UNIVERSITY OF CHICAGO
STUDIES IN ANCIENT ORIENTAL CIVILIZATION, NO. 6

KITĀB AL-ZAHRAH

(The Book of the Flower)

THE FIRST HALF

Composed by

ABŪ BAKR MUḤAMMAD
IBN ABĪ SULAIMĀN DĀWŪD
AL-IṢFAHĀNĪ

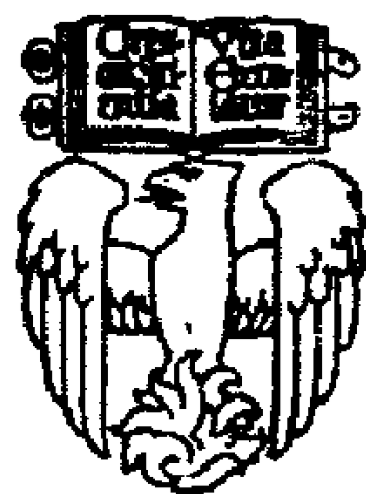
(† A.H. 297/A.D. 909)

Edited from the Unique Manuscript at the Egyptian Library

BY A. R. NYKL

In Collaboration with

IBRĀHĪM ṬŪQĀN
NĀBLUS, PALESTINE



THE UNIVERSITY OF CHICAGO PRESS
CHICAGO, ILLINOIS

THE UNIVERSITY OF CHICAGO PRESS
CHICAGO, ILLINOIS

THE BAKER & TAYLOR COMPANY
NEW YORK

THE CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS
LONDON

THE MARUZEN-KABUSHIKI-KAISHA
TOKYO, OSAKA, KYOTO, FUKUOKA, SENDAI

THE COMMERCIAL PRESS, LIMITED
SHANGHAI

KITĀB AL-ZAHRAH

(THE BOOK OF THE FLOWER)

THE ORIENTAL INSTITUTE
of
THE UNIVERSITY OF CHICAGO

STUDIES IN ANCIENT ORIENTAL CIVILIZATION

Edited by
JAMES HENRY BREASTED
with the assistance of
THOMAS GEORGE ALLEN

KITĀB AL-ZAHRAH

(The Book of the Flower)

THE FIRST HALF

Composed by

ABU BAKR MUHAMMAD

IBN ABI SULAIMĀN DĀWŪD

AL-IṢFAHĀNI

